بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد ,

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا كتابٌ عظيمُ البركة عظيمُ النفع ، نَفَعَ الله سبحانه وتعالى به خلقاً وكان سببا لهداية خلق وكان سبباً لوقاية خلقٍ من الذنوب وغوائلها ، قد وفق الله عز وجل مُصنفه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فيما يسَّرَ له من معانٍ عظيمة وهدايات مباركة استنبطها واستخرجها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ في ذكر الداء والدواء.

وهذا الكتاب المسمى "بالداء والدواء" أو" الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" هو في هذا الباب , باب ذكر الداء وذكر الدواء, وسبب تأليف الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- لهذا الكتاب هو سؤال سائل مُبتلى بذنبٍ عُضال ومعصية متجذِّرة في نفسه , عرف أنها ستكون سبباً في هلاكه في دنياه وأخراه ، ويريد خلاص نفسه منها ونجاتها , فسأل هذا السؤال الذي أجاب عنه ابن القيم رحمه الله بسخاء وكرم,فأجاب فيه بهذا الكتاب الحافل العظيم ، وأحسب والله تعالى أعلم أن نية السائل صادقة فبارك الله عز وجل في سؤاله هذه البركة العظيمة التي أثمرت كتاباً عظيماً نفع الله به أمماً وخلقاً, وهذا يستفاد منه أن المرء ينبغي أن يكون ناصحاً لنفسه وإخوانه في هذا الباب باب السؤال . ولهذا لو نظرت في كتب أهل العلم بل في كثير منها تجد أن سبب التأليف لها سؤال مبارك فالنية الصالحة في السؤال والمقصد الحسن له ثمرة تعود على السائل نفسه وتعود على غيره من المسلمين, وإذا كان سبباً في الجواب فله نصيبٌ من الأجر والثواب والله تبارك وتعالى فضله عظيم وعطاؤه جزيل , فتسبب سؤال هذا السائل وألمه في عرضه لسؤاله وتحسره على حاله وطمعه في وسيلة الخلاص والنجاة من الداء العضال الذي بُلي به ويريد خلاص نفسه منه فأجاب ابن القيم رحمه الله تعالى بهذا الجواب والمرجو أن أول من انتفع بهذا الجواب هو السائل نفسه ثم من بعد ذلك نفع الله سبحانه وتعالى بسؤاله خلقاً ، وأقول أيضا بهذه المناسبة أن العاصي المبتلى ببعض الذنوب التي أعياه الخلاص منها عليه أن يقترب من أهل العلم ومجالس العلم ويصبر نفسه عليها وإن أبت نفسه في أول الأمر وتلددت فليُلزمها, فإنه إن صبر نفسه على ذلك واقترب من أهل العلم ومجالسهم يسر الله له من أبواب التوفيق وانشراح الصدر والخلاص من

الذنوب وأضرارها وأخطارها ما لا يحتسب . والقرب من أهل العلم غنيمة وسؤالهم عما أشكل نجاة وسلامة .

ثم يستفاد أيضا من بسط الإمام ابن القيم رحمه الله هذا الجواب بهذا البسط الوافي أنَّ صبر العالِم على السائلين ورحمته لهم وبهم , ولينه معهم ورفقه بهم وتلطفه في جوابهم كل هذا له مردوده الحسن وثمرته العظيمة في قرب هؤلاء من الخير وبعدهم من الشر .وهذا الكتاب معاشر الكرام محل ثناءٍ عظيم عند أهل العلم فكثيراً ما يحيلون إليه ولو تقرأ على سبيل المثال أو تنظر عبر وسائل البحث الحديثة في فتاوى مثلا اللجنة الدائمة وفتاوى ابن اباز وفتاوى ابن عثيمين وغيرهم من أهل العلم تجد إحالات كثيرة لهذا الكتاب ,إحالات كثيرة جدا لهذا الكتاب, لأن فيه الدواء النافع والعلاج الشافي لأمراض كثيرة وأدواء متنوعة ، ولهذا كل من يشتكي من الذنوب وتتأذى نفسه منها ويريد الخلاص يُحال إلى هذا الكتاب المبارك فإن قرأه بأناة وتأمله بأناة حصَّل خيرا كثيراً ونفعاً عظيماً وقد نقل عنه أهل العلم كثيرا نقولات متنوعات في كتب كثيرة ولهذا ترى الإحالة عليه في كثير كتب أهل العلم وشروحات الحديث ، ولو طالعت أيضا في الشروحات وكتبت الداء والدواء أو الجواب الكافي ترى نقولات كثيرة عن هذا الكتاب المبارك للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ,من ثناء أهل العلم عليه قول ابن الوزير في كتابه" العواصم والقواصم" في آخر الكتاب { قال: وقد ذكر أمثال هذا الحديث وجَوَّدَ الكلام في التخويف الشيخ الإمام الشهير بابن القيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف" الجواب الكافي على من سأل عن الدواء الشافي" فمن أراد الشفاء التام في هذا المعنى فعليه بمطالعته لما فيه من تدبر كتاب الله وصحيح السنة النبوية .

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه "التقريب لفقه ابن القيم" قال : { وفي هذا الكتاب من لطائف العلم وحقائقه وبيان محاسبة النفس ومراقبتها ما لا يستغني عنه طالب علم, (الكلام للشيخ بكر أبو زيد) يقول :وقد ذكر الشيخ عبد الظاهر أبو السمح في خاتمة الطبعة لهذا الكتاب أي يعني التي كانت بعنايته أي أنه هو السبب في هداية الله له إلى طريق السلف الصالح وسلوك منهجهم في توحيد الله تعالى وعبادته.

وكما قدمت هذا الكتاب هدى الله سبحانه وتعالى به خلقاً من عباده إلى الهدى والحق والطريق القويم ، فهو كتاب عظيم البركة كبير النفع.

ومن نعم الله سبحانه وتعالى علي أنَّ معرفتي بهذا الكتاب قديمة وصلتي به مبكرة وأعتبرها هذه من النعم العظيمة فأقول أيها الشاب من نعمة الله عليك أن يكون هذا الكتاب في يدك في وقت مبكر من عمرك تقرأه بتأمل وتتأمله بأناة فإنه بإذن الله تبارك وتعالى سيكون له الأثر العظيم عليك في حياتك, ثم معاشر الكرام إذا تأملنا في واقعنا المعاصر الذي بلا مرية كثرت فيه الفتن وتعددت أبواب الشهوات وانفتحت فيه على الناس من وسائل الفساد وأبواب الفتنة والشر ما لم يكن موجودا في زمان سابق ، ولو لم يكن في زماننا إلا هذه الأجهزة الحديثة وما فيها من بلاء عظيم وشر وما فيها من فتن وما فيها من منافذ كثيرة جدا أدخلت كثيراً من الناس في أبواب من الشبهات والمحرمات والمعاصي والآثام , بل أوقعت بعضاً في خللٍ في الإعتقاد والإيمان والمعرفة بالله سبحانه وتعالى بل حتى وصل ببعض الناس إلى الإلحاد والعياذ بالله كله من طريق هذه الأجهزة .

وهذا الكتاب المبارك في مثل هذا الزمان لمن يوفق لقراءته بأناة يعد حصانة عظيمة وصمام أمان وحافظا واقيا بإذنه سبحانه وتعالى . فأنا أنصح وأؤكد وأشدد على أهمية هذا الكتاب وأهمية قراءته والعناية به قراءة متأنية متأملاً . وعندما تقرأ هذا الكتاب* قيد فوائده,* وتأمل في معانيه ,*وانقل ما تفيده منه إلى إخوانك, فإن الناس بحاجة ماسة إلى مضامين هذا الكتاب . ونسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو نسأله جل وعلا الذي يسر لنا هذا المجلس لقراءة هذا الكتاب المبارك للإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن يُيَسر لنا من خلاله البركة العظيمة والنفع الكبير علينا في أنفسنا وأهلينا وإخواننا ومن نحب, وأن يكون مجلسنا هذا باب خير للأمة , باب خير للأمة عظيم في الوقاية من الذنوب . وإذا كنا نتحدث قبل قليل عن شر هذه الأجهزة فإن أهل الخير يسر لهم من أبواب إيصال الخير للناس من خلال هذه الأجهزة فهدى الله سبحانه وتعالى خلقاً ، ولهذا أهل الفضل وطلاب العلم وأهل الخير والناصحون يستغلون هذه الأجهزة في نشر الخير , و لهذا أدعو جميع طلاب العلم وأهل الفضل أن يكون هناك تعاون على نشر مضامين هذا الكتاب المبارك للإمام ابن القيم- رحمه الله- للناس بحيث ينتفع به خلقٌ عظيم ، وأصحاب اللسان غير العربي ينقلون لقراباتهم وإخوانهم والمسلمين في بلدانهم وحتى غير المسلمين ينقلون لهم من مضامين هذا الكتاب ما نرجو الله سبحانه وتعالى سائلينه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجري في هذا الخير العظيم والبركة العميمة والنفع الكبير والفضل بيد الله لا شريك له يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ونبدأ مستعينين بالله مستمدين العون والتوفيق منه جل في علاه .

* بسم الله الرحمن الرحيم ,وبه نستعين, سئل الشيخ العلامة المتقن الحافظ الناقد :شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ تقي الدين أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية- زاده الله من فضله"مَا تَقُولُ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ، أَئِمَّةُ الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - فِي رَجُلٍ ابْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ وَعَلِمَ أَنَّهَا إِنِ اسْتَمَرَّتْ بِهِ أَفْسَدَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَقَدِ اجْتَهَدَ فِي دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَوَقُّدًا وَشِدَّةً، فَمَا الْحِيلَةُ فِي دَفْعِهَا؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَى كَشْفِهَا؟ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ مُبْتَلًى، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

هذا السؤال الذي بني عليه هذا الكتاب وكان سبباً في تأليف الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى لهذا الكتاب المبارك وهو أن رجل ابتلي ببلية ولم تسمى هنا والمراد بالبلية أي معصية عظيمة لله سبحانه وتعالى تجدَّرت في قلبه وتمكنَّت من نفسه وهو يعرف خطورتها عليه وعِظم مضرتها لكنه يريد الخلاص منها فتأبى نفسه أن تتركها ، فسأل هذا السؤال طالباً الإعانة بدلالته بما يكون فيه خلاصه من هذا البلاء وقال , فقال: رحم الله من أعان مبتلى والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . هذه المعاناة التي أشير إليها في سؤال هذا السائل هي والله معاناة كثير من الناس في زماننا هذا خاصة الذين ابتلوا من خلال الأجهزة الحديثة بالنظر المحرم إلى الشهوات المحرمة وهذا الباب انفتح في هذا الزمان انفتاحاً لم يكن في زمان قبله لم يكن في أي زمان قبله فأصبحت والعياذ بالله صور العُري وممارسة الفواحش وأشياء من هذا القبيل تُعرض عرضاً قبيحاً فاتناً لكثير من الخلق وأصبح بعض الناس كما يصف نفسه مدمنا لهذا النظر ويعرف أن هذا النظر لم ينل منه إلا مرض قلبه وشقاء نفسه ويعرف أنه دمار وهلاك يعرف ذلك ويريد الخلاص من ذلك النظر لتزكو نفسه فما استطاع والله جل وعلا يقول :(قل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) سورة النور ثم قال (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ..) إلى تمام الآية . فتورط كثير من الناس ذكورا وإناثاً في هذا النظر ويعرف أن هذا النظر سم وشر وبلاء وهلاك ويريد تركه ثم يعود وترجع نفسه فهذا الجواب الذي هنا للإمام ابن القيم لم يجعله خاصاً بسؤال هذا السائل والمتأمل في الكتاب والسياق وما سيأتي في آخر الكتاب يعرف أن البلية التي كان مصاباً بها هذا الرجل هي العشق المحرم ، هي العشق المحرم ، وأهلكه هذا العشق ويريد الخلاص منه لكن سكرة هذا العشق أهلكته وأصبح مع هذا العشق في عمى يريد خلاصا فمثل هذا في زماننا كثير خاصة ما ولَّدَته هذه الأجهزة من شرور عظيمة وفتن للناس وتهييج للشهوات وتحريك للرذائل والمحرمات فأصبح هذا القول الذي هنا لهذا السائل فَمَا الْحِيلَةُ

فِي دَفْعِهَا ؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَى كَشْفِهَا ؟ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ مُبْتَلًى هذا لسان حال كثير من الناس في زماننا ممن ابتلوا بهذه الأجهزة والمناظر المحرمة والأفلام الوبيئة الدنيئة الخسيسة الحقيرة التي أهلكت كثير من الناس, وهيجت في نفوسهم الشهوات المحرمة, وصدتهم عن ذكر الله وعن الصلاة وعن الخير وعن أبواب الخير وأوردتهم المعاطب , فهذا الكلام الذي هنا في سؤال فَمَا الْحِيلَةُ فِي دَفْعِهَا ؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَى كَشْفِهَا ؟ فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ مُبْتَلًى على الخلاص منها هو لسان حال كثيرين ولهذا ينبغي حقيقة أن يكون هناك تعاون كبير جدا وعظيم في نشر هذا الكتاب وبثه في الناس وإشاعته بينهم وأوصي من آتاه الله سبحانه يسارا في المال أن يساهم في طبع هذا الكتاب الطبعات الكثيرة ويترجم إلى لغات ليكون خلاصاً من هذه الأدواء المهلكة والشرور المعطبة وإذا كان أهل الفساد يتعاونون تعاونا كبيرا ويبذلون أموالا طائلة من أجل إخراج أفلام دنيئة تفتن الناس وتثير فيهم الشهوات المحرمة والملذات الباطلة فلأن يكون أهل الحق تعاونا في نشر الخير والفضيلة ونصح الناس ودعوتهم إلى الخير من باب أولى وأحرى , فهذه دعوة من خلال هذا المجلس أن يكون هناك تعاون على نشر هذا الكتاب بكل وسيلة وكل طريقة نرجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق من ذلك خيرا كبيرا ونفعا عميما بمنه وفضله إنه سميع الدعاء .

:فَأَجَابَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُفْتِي الْمُسْلِمِينَ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَيُّوبَ إِمَامِ الْمَدْرَسَةِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. * **لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ,أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ» .

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» ، وَفِي لَفْظٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ دَوَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

دَوَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ وَهَذَا يَعُمُّ أَدْوَاءَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ وَأَدْوِيَتِهَا، وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ دَوَاءَهُ سُؤَالَ الْعُلَمَاءِ.

بدأ ابن القيم - رحمه الله - في جوابه هذا السؤال بهذا الحديث العظيم وذكره رحمه الله لألفاظ لهذا الحديث هو من حسن البدء وجماله وأبان من خلال ذكره لهذا الحديث وقد عرفنا قبل قليل أن السائل أعياه الشفاء من دائه الذي ابتلي به وتمكن منه هذا الداء حتى ظن في نفسه أنه لا مخلص فذكر هذا الحديث ذكر هذا الحديث للمبتلين يا إخوان ذكر هذا الحديث العظيم للمبتلين بالأمراض الحسية أو الأمراض المعنوية التي أمراض الشهوات وغيرها يفتح لجميع هؤلاء باب الأمل والرجاء ويدفع عنهم أيضا سوء الظن واعتقاد عدم الخلاص . بعض المرضى سواء مرضى الشهوات أو مرضى الأبدان يظن أن داءه لا دواء له وأن مرضه لا علاج له وأحيانا يحكم على بعض الأمراض طبيا بأن لا علاج لها وينزل الله لها شفاءا وحصل من هذا قصصا كثيرة يعني بعض الأمراض حكم الأطباء أن لا علاج لها ثم ييسر الله للمريض تناول عشبة معينة يدل عليها أو شربا لماء زمزم ينصح به أو لجوءا لله بالدعاء والإلحاح والسؤال فينجلي المرض وينكشف وفي هذا في واقعنا قصص كثيرة جدا من هذا القبيل فهذا الحديث مهم أن يبدأ به مثل ما صنع الإمام المربي الناصح رحمه الله تعالى فبدأ أول ما بدأ بإيراد هذا الحديث في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال :"«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» .ثم قال الإمام ابن القيم رحمه الله : وَهَذَا يَعُمُّ أَدْوَاءَ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ وَأَدْوِيَتِهَا ليس خاصا كما يظن كثير من الناس عندما يقرأ هذا الحديث أنه في أمراض البدن , كثير من الناس يتبادر إلى ذهنه أن هذا الحديث خاص بأمراض البدن والحق كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أن هذا في أمراض البدن وأمراض القلب أمراض القلب التي هي الشهوات والشبهات والذنوب والمعاصي والآفات فهذه الأدواء كلها لها أدوية ما أنزل الله داءا إلا أنزل الله له الشفاء.

وفي الحديث هو في الصحيح قام النبي ﷺ ليلة فزعا قال { ما أنزل الله هذه الليلة من الفتن وما أنزل الله هذه الليلة من خزائن من يوقظ صواحب الحجرات يصلين. } ذكر الداء والدواء ويأتي هذا كثيرا في النصوص نصوص الكتاب والسنة يذكر الداء والدواء ولهذا قال قتادة رحمه الله - إن هذا القرآن فيه ذكر دائكم ودوائكم أما دائكم فالذنوب وأما دوائكم الاستغفار - **فالحاصل** أن بدء ابن القيم بهذا الحديث من أحسن البدء وأجمله لماذا ؟

-لأنه عندما يسمعه المرء وقد استولى عليه اليأس وعظم عنده الخطب وظن أنه لا خلاص فيقال له قد قال النبي ﷺ:" ما انزل الله من داء إلا وأنزل الله له شفاء" فهذا يبعث في قلب المرء النشاط والحركة في بذل الأسباب وزوال القنوط واليأس عن نفسه وقوة الطمع والرجاء في الشفاء فهذا الحديث له أثر عظيم ولهذا البدء به من حسن البدء وجماله،

قال وفي صحيح مسلم عن جابر لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء بريء بإذن الله إذا أصيب دواء الداء بريء أي المريض من الداء أو المرض الذي أصابه وأيضا حديث أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» ، وَفِي لَفْظٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ دَوَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمِ» ثم في قول النبي صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله أن كلام الناس في الطب -سواء طب القلوب أو طب الأبدان- قد يكون بعلم وقد يكون بجهل , وكم مرة من تتطبب في الناس بجهل خلقا في أسقام وأمراض فتسبب في تطببه بوقوع المريض بأمراض أشد مما كان فيه __ ومثله قل من يتكلم في أمور الدين معلماً وموجها ومرشدا بلا علم يورط السائلين ورطات عظيمة وقد قال عليه الصلاة والسلام { من أُرشد لغير رشدٍ فإثمه على من أرشده } فالأمر في غاية الخطورة فمداواة الأمراض البدنية أو مداواة أمراض القلوب ينبغي أن يكون بعلم ومن كان لا علم عنده فإنه يسعه السكوت . نعم

قال رحمه الله تعالى وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ دَوَاءَهُ سُؤَالَ الْعُلَمَاءِ.

نعم هذه جملة جديدة سيستدل لها ابن القيم متممة للمعنى الذي سبق تقريره أن الحديث يعم أدواء القلوب والروح والبدن وأدويتها .

*فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً، وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ، فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ.»

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ، وَأَنَّ شِفَاءَهُ السُّؤَالُ.

* نعم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحديث العظيم :"أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؟   فكيف يفتون بغير علم ؟! وقد ترتب على جوابهم لهذا السائل بغير علم موت السائل ، فقال عليه الصلاة والسلام:" قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ "وهنا ننتبه إذا كان مثل هذا يعني - وقع في الزمن الأول- زمن النبي عليه الصلاة والسلام ,فكيف بالأزمنة المتأخرة ؟!فما أعظم ما يقع مثل هذا وأشد منه وقريبا منه

في فتاوى كثيرة تنتشر انتشار النار في الهشيم من خلال الأجهزة الآن الحديثة وهي قائمة على الضلال والباطل وإيقاع الناس في الإثم والحرام.

فالنبي ﷺ قال :" : قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا ؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ" ، إذا كان الإنسان عنده عِيّ: عنده جهل, شفاء الجهل السؤال ، فأخبر النبي ﷺ أن الجهل وهذا موطن الشاهد أن الجهل داء مرض, أن الجهل داء, وأن دواء الجهل السؤال (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

الجهل داء ودواؤه السؤال, دواؤه العلم والبحث وسؤال أهل العلم ,ولهذا قال ابن القيم أخبر أن: الجهل داء وأن شفاؤه السؤال .نعم

[الْقُرْآنُ شِفَاءٌ] *قال رحمه الله :وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ شِفَاءٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} [سُورَةُ فُصِّلَتْ: 44] وَقَالَ {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: 82] .

وَ " مِنْ " هُنَا لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِفَاءٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلَا أَنْفَعَ وَلَا أَعْظَمَ وَلَا أَنْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ.

* نعم يقول ابن القيم رحمه الله : وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ شِفَاءٌ، وهذا جاء في آيات في مواضع من كتاب الله سبحانه وتعالى أخبر أنه شفاء والشفاء الذي جعله الله سبحانه وتعالى في القرآن كما أنه شفاء للقلوب من أسقامها أي أسقام الشبهات وأسقام الشهوات فإنه أيضا في الوقت نفسه شفاء للأبدان من أمراضها فجعل الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن بركة عظيمة وشفاءا عظيما وخلاصا من الأدواء والأمراض لكن الشأن كل الشأن في طريقة الاستشفاء بالقرآن كيف يكون الاستشفاء بالقرآن الكريم وهذا ما سيبينه ابن القيم رحمه الله بيانا شافيا نافعا يذكر فيه فوائد عظيمة جدا فكيف يستشفي المرء بالقرآن ؟ القرآن شفاء من كل داء شفاء لأمراض القلوب وأمراض الأبدان والأمراض المتنوعات لكن كيف يكون هذا التداوي بالقرآن والاستشفاء به وسيأتي عنده رحمه الله بيان نافع . نعم

* قال رحمه الله تعالى: وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ حَتَّى تَجْعَلُوا لِي جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي، وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتَسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقِيَ: لَا نَفْعَلُ حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم — فَنَذْكُرُ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرُ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْتَسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا.»

فَقَدْ أَثَّرَ (هَذَا) الدَّوَاءُ فِي هَذَا الدَّاءِ، وَأَزَالَهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ أَسْهَلُ دَوَاءٍ وَأَيْسَرُهُ

نعم ذكر رحمه الله هذا الحديث العظيم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين مروا بقوم وطلبوا أن يضيفوهم فأبوا ثم لدغ سيد القوم ثم لحقوا بهؤلاء النفر من أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وذكروا لهم أن سيدهم لدغ وأنهم سعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فأتوا إلى هؤلاء وطلبوا منهم إن كان عندهم شيء ، فقال بعضهم نعم والله إني لراق أرقي والله إني لأرقي ولكن لقد استضفناكم فلم تضيفونا . **الحاصل** أنه رقاه بالفاتحة فقط فقام كأنما نشط من عقال وما به قلبة يعني ما يشتكي من شيء فانظر الشفاء العاجل من هذا الدواء الذي قد يفضي سريان سم ذوات السموم إلى أن يموت الإنسان يسري السم إلى أن يصل القلب وقد يموت الإنسان بسببه فقام كأنما نشط من عقال ، فرقاه بفاتحة الكتاب فقط . قال النبي صلى الله عليه وسلم : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟وهذا فيه أن الرقية بالفاتحة من أعظم ما يكون في باب الاستشفاء للأمراض المتنوعة . ولهذا تسمى الشافية أو الشفاء أخذا من هذا الحديث العظيم . نعم

* يقول رحمة الله عليه : وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ، لَرَأَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ.

وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً يَعْتَرِينِي أَدْوَاءٌ وَلَا أَجِدُ طَبِيبًا وَلَا دَوَاءً، فَكُنْتُ أَعَالِجُ نَفْسِي بِالْفَاتِحَةِ، فَأَرَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا، فَكُنْتُ أَصِفُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْتَكِي أَلَمًا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَبْرَأُ سَرِيعًا.

هذه تجربة تذكر للإستئناس وإلا ما سبق في ذكر الحديث وتأييد النبي صلى الله عليه وسلم واخباره بأنها رقية هذا كله كاف في تقرير هذا الأمر لكن عادة أهل العلم أن يذكروا مثل هذا للإستئناس بمثل هذه الحكايات والأخبار فابن القيم يذكر تجربة له رحمه الله تعالى وأنه مكث في مكة يصيبه بعض الأمراض لا يجد طبيبا ولا يجد علاجا فكان لا يداوي نفسه إلا بالفاتحة ويرى لها أثرا عجيبا ويصف هذا العلاج أي الرقية بالفاتحة يصفها لكثيرين ويجدون لذلك فائدة وذكر أن كثيرا منهم بريء سريعا , هنا لفتة حقيقة يشار إليها يأتي كثير من الزوار ويبحثون عن رقاة وهذا كثير وهل تعرف راقي وهل تدلني على راقي ربما أتوا إلى شخص ببعض الأشخاص وقالوا هل أنت راقي ؟ فالطريقة التي عليها ابن القيم رحمه الله وهي طريقة مباركة عظيمة يرشد المريض إلى أن يرقي نفسه . أذكر أحد السلف أظن أنه مطرف بن عبد الله الشخير عاد مريضا فقال له المريض ادعو لي ، فقال له مطرف ادعو لنفسك فإن دعوتك دعوة مضطر والله يقول (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) دعوة المعاني للمرض المتألم الذي في شدته ليس كدعوة شخص لا يحس بما يحسه المريض من ألم ومعاناة فدعوة المريض لنفسه دعوة مضطر فأولى من أن تقول نعم أنا سأدعو لك ووو الخ ...قل له ادعو لنفسك وحثه على ذلك وفي ظهر الغيب ادعو لأخيك لا تترك ذلك ادعو له لكن لا يعلق المرضى بالأشخاص ولا يربطون بهم حثه على أن يرقي نفسه وأن يدعو لنفسه،

ولهذا هؤلاء لما كانوا يسألون ابن القيم رحمه الله كان يرشدهم إلى أن يرقي الواحد منهم نفسه بالفاتحة فيجدون لها فائدة عظيمة وكثير منهم يبرأ سريعا . يقول فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ما قال له فكنت أرقيهم بالفاتحة يقول كنت أصف ذلك لمن يشتكي هذه طريقة أهل العلم . الآن جلس بعض الناس وفتحوا عيادات والناس يتقاطرون عليهم من كل مكان وأصبحت أبواب فتن هذه وشر ترتب على بعضها بل كثير منها مفاسد عظيمة لا يعلمها الا الله ولم يعرف هذا عن أحد من السلف أنه يجلس في مكان ليس له عمل إلا الناس يتقاطرون عليه ويرقيهم هذا لا يعرف . نعم

* قال رحمه الله تعالى : وَلَكِنْ هَاهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ، وَهُوَ أَنَّ الْأَذْكَارَ وَالْآيَاتِ وَالْأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُرْقَى بِهَا، هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحِلِّ، وَقُوَّةَ هِمَّةِ

الْفَاعِلِ وَتَأْثِيرِهِ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ الْمُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ الْحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ عَدَمَ تَأْثِيرِهَا قَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلِكَ الدَّوَاءِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ يَمْنَعُ مِنَ اقْتِضَائِهِ أَثَرَهُ، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوَاءَ بِقَبُولٍ تَامٍّ كَانَ انْتِفَاعُ الْبَدَنِ بِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ الْقَبُولِ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا أَخَذَ الرُّقَى وَالتَّعَاوِيذَ بِقَبُولٍ تَامٍّ، وَكَانَ لِلرَّاقِي نَفْسٌ فَعَّالَةٌ وَهِمَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ

[الدُّعَاءُ يَدْفَعُ الْمَكْرُوهَ]

وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ أَثَرُهُ عَنْهُ، إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ - بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ - وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرِّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا.

كَمَا فِي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ»«وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» فَهَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ مُزِيلٌ لِلدَّاءِ، وَلَكِنَّ غَفْلَةَ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ تُبْطِلُ قُوَّتَهُ، وَكَذَلِكَ أَكْلُ الْحَرَامِ يُبْطِلُ قُوَّتَهُ وَيُضْعِفُهَا.كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [الْمُؤْمِنُونَ: 51] وَقَالَ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [الْبَقَرَةِ: 172]

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟» .

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِأَبِيهِ: أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلَاءٌ، فَخَرَجُوا مَخْرَجًا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِرْهُمْ: إِنَّكُمْ تَخْرُجُونَ إِلَى الصَّعِيدِ بِأَبْدَانٍ نَجِسَةٍ، وَتَرْفَعُونَ إِلَيَّ أَكُفًّا قَدْ سَفَكْتُمْ بِهَا الدِّمَاءَ، وَمَلَأْتُمْ بِهَا بُيُوتَكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، الْآنَ حِينَ اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَيْكُمْ ؟ وَلَنْ تَزْدَادُوا مِنِّي إِلَّا بُعْدًا.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْبِرِّ، مَا يَكْفِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ.

هذا كلام للإمام ابن القيم وتقرير نافع جدا في هذا الباب لما ذكر الاستشفاء بالفاتحة وعظم نفعه قد يقول بعض الناس: أنه قد رقى نفسه بالفاتحة أو رقي بها وأيضا بغيرها فلم يحصل شفاءا وبعض الناس وللأسف عندما يعرض عليه الرقية بالفاتحة يقول نجرب , الذي يقول نجرب هذا ما عنده يقين , الذي يقول: نجرب هذا ما عنده يقين الشفاء مع اليقين مع الثقة بالله سبحانه وتعالى «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ» ولهذا نبه ابن القيم رحمه الله: أن الانتفاع بهذه الأدوية النافعة من الآيات والأذكار المأثورة والأدعية النافعة أن ذلك يستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره الماهية في نفسها هي الشفاء قطعا ويقينا لكن إن تخلف الشفاء فهذا يرجع إلى هذا المعنى الذي ذكره رحمه الله تعالى والدواء في نفسه نافع والشفاء قطعا كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام , الفاتحة قال وما أدراك أنها رقية والقرآن وصفه الله كله شفاء فإذا تخلف الأثر تخلفت العافية تخلف حصول الانتفاع فهذا ليس عائدا للآيات والأذكار والأدعية فهي نافعة قطعا لكن إما في المحل غير قابل أو من رقى نفس الراقي فيه ضعف بمنزلة الذي يرمي السهم بيد رخوة فيكون ضعيفا , فيحتاج لقوة اليقين وقوة الثقة بالله سبحانه وتعالى والمريض نفسه يكون عنده قوة اليقين وقوة الرجاء وقوة الثقة بالله سبحانه وتعالى , ويشترط أيضا انتفاء المانع وهذا باب بينه العلماء وسيأتي له بعض التفاصيل عند ابن القيم وهو مراعاة شروط الدعاء وآداب الأذكار حتى تحقق النفع المرجو والفائدة المؤملة .

ولهذا ذكر ابن القيم رحمه الله هنا حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» فَهَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ مُزِيلٌ لِلدَّاءِ، وَلَكِنَّ غَفْلَةَ الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ تُبْطِلُ قُوَّتَهُ .) مثل ذلك أكل الحرام ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) فأنى يستجاب لذلك فالحاصل أن الدعاء يحتاج كما في أثر أبي ذر إلى البر يحتاج إلى البر فإذا وجد الدعاء مع البر نفع النفع العظيم والفائدة الكبيرة .

ونسأل الله الكريم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات,اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها,اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى,اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا

على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا,

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك,اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

👇*اضغط على الرابط للاشتراك*🔴
https://t.me/alzaadd

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ

وعلى آله وصحبه أجمعين , أما بعد ..

فتأكيداً لما سبق ذكره والإشارة إلى ه من أهمية هذا الكتاب العظيم ، و مسيس الحاجة إليه قراءةً وتأملاً وإفادةً من مضامينه العظيمة وفوائده الثمينة ونفائسه الفريدة ، وأيضاً سبق الإشارة إلى أن هذا الكتاب المبارك نفع الله تبارك وتعالى به خلقاً من عباد الله وكان سبباً في هداية خلق ، وكان أيضاً سبباً في ثبات خلق ، لما حواه من بيان رصين ونصح ثمين وإفادات عظيمة تفيد المسلم درايةً بالحق وثباتاً عليه ، وأيضاً سبق الإشارة إلى ثناء أهل العلم عليه ودلالتهم إليه ونصحهم بقراءته والإفادة منه وحثهم على ذلك . فهو كتاب فيه خير عظيم ونفع كبير ، ولهذا فإني أنتهز هذه الفرصة -فرصة منة الله سبحانه وتعالى علينا أجمعين بالاجتماع والتوافر على قراءته والإفادة منه- أن أقترح مشاريع دعوية عديدة تتعلق بهذا الكتاب وكلٌ يأخذ منها ‹بسهم› بحسب ما ييسر الله تبارك وتعالى له من ذلك :

- **المشروع الأول : إهداء هذا الكتاب ورقياً أو نسخة إلكترونية والثانية أخف من الأولي وأيسر ، مع حث لمن يُهدَي إلى ه هذا الكتاب على قراءته والإفادة منه ، والإشارة إلى فوائده العظيمة وما حواه من خير ونفع عظيم . وهناك نسخ إلكترونية للكتاب جيّده ، واضحة يمكن أن يوضع لها رابط وتُرسل عبر الأجهزة ؛ أجهزة التواصل مع الرابط مع الحث والترغيب في قراءته .**

- **المشروع الثاني : انتقاء فوائد بشكل يومي أو أسبوعي من الكتاب وإرسالها إلى كمٍ كبيرٍ من الناس حتي يُفيدوا من هذه الفوائد من جهة ، وأيضاً حتي تقع في نفوسهم رغبة في قراءة هذا الكتاب ، لأنك إذا أرسلت له فائدة ثمينة وأحَلْت على هذا الكتاب ، ثم ثانية وأحلت على هذا الكتاب ، ثم ثالثة وأحلته على هذا الكتاب وأعجبته الفوائد أحَبَّ الكتاب وبحث عنه وقرأه وكنت سبباً في معونته على ذلك .**

• المشروع الثالث : يتعلق بالخطباء ، هذا الكتاب فيه مواطن عديدة جداً يصلُح أن تُنتَزَع وتُلَخَّص وتكون خطبة جمعة مؤثرة ونافعة جداً ، فأنصح الخطباء أن يُفيدوا في مواضيع عديدة لخطبهم في عدد من الجُمع من هذا الكتاب الثمين العظيم المبارك .

• المشروع الرابع : ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات ، ومن كان عنده قدرة على الترجمة فليستعن بالله سبحانه وتعالى وليجعل هذا من جملة عمله الصالح الذي يتقرب به إلى الله عز وجل ، فليعمل على نقل فوائد هذا الكتاب بترجمتها إلى لسان أهل بلده ، ثم (مسألة النشر) : إن لم يتيسر نشره ورقيّاً فلينشره عبر الوسائل الاتصال الحديثة التي تَسَهَّل وتَيَسَّر فيها من النقل وسرعته وكثرة تداوله ما لا يخفي .

• المشروع الخامس : يتعلَّق بالآباء في البيوت ، أن يكون هذا الكتاب في البيت : كتاب الإجازة ؛ الإجازة الصيفية ، يوَفِّره في البيت ويُخطط كيف يُفَعِّل قراءته بين أهله وولده وأبنائه وبناته إما بعقد مسابقة علمية ،أو منافسة بينهم ،أو مجالس مستمرة منتظمة في قراءة هذا الكتاب مع وضع حوافز أو مشجعات في قراءته والإفادة منه ، وهذا فيه نفع جداً بإذن الله عز وجل ، ومعونة بإذن الله على صلاح البيوت ،وصلاح الأبناء وبخاصة أن الأبناء والبنات في هذا الزمان يُفتَنُون كثيراً من خلال الوسائل ؛ وسائل الفتنة ووسائل الشر ويُغرَون كثيراً بالفساد والشهوات والملذات المُحَرَّمة ، فما أحوجهم أن يُرشَدوا إلى هذا الكتاب العظيم الذي من وفقه اله سبحانه وتعالى لقراءته والإفادة منه كان له بإذن الله ‹صمام› أمان وباب سلامة وعافية بإذن الله سبحانه وتعالى من الشرور والآفات .

• المشروع السادس : المسابقات العلمية ، وهذه مثمرة ولهذا يُشار على الجمعيات ،والمراكز الدينية ،وأماكن التوجيه ،والإدارات الدينية أن يعقدوا مسابقات في هذا الكتاب ،وبإذن الله سبحانه وتعالى سأُعلِن قريباً عن مسابقة في هذا الكتاب ومنافسة علمية على نطاق واسع بإذن الله سبحانه وتعالى ، وسيوضع لها أسئلة وجوائز أيضاً ثمينة مُغرِية ، كل ذلك من باب التعاون على انتشار هذا الخير والفوائد التي حواها هذا الكتاب العظيم المبارك .

• المشروع السابع : طباعة هذا الكتاب ، وهذا يعني يتعلق بأهل إلى سار والخير يستعينون بالله عز وجل ويوفرون نسخ كثيرة لطلاب العلم وللناس ولعوان المسلمين ، فهذا كتاب يصلح للجميع : للعالم والمُعَلِّم وطالب العلم المبتدئ ، كتاب يصلح للجميع ؛ لأنه كتاب يعني في باب الوعظ والرقائق والتذكير والتحذير من الذنوب وبيان خطورة الذنوب ، وأيضاً

حسن الظن بالله ، والتعلق بالله ، والثقة به ، والتوكل عليه ، والتوحيد وما يترتب عليه من الثبات والنجاة من الفتن والشرور فحوي يعني فوائد عظيمة يحتاج إلى ها كل مسلم ، يحتاج إليها كل مسلم حاجة يعني ماسّة وضرورة مُلِحّة .

أيضاً • المشروع الثامن : هذا يتعلق بطلاب العلم الذين سيذهبون إلى بلدانهم بعد انتهاء الدراسة -مع دعائنا لهم بأن يحفظهم الله وأن يبارك في إجازتهم- أن يكون هذا الكتاب مشروع في الإجازة يَجمَع عليه من استطاع من أهل الحي أو جماعة المسجد او المعهد الذي هو مرتبط به ،فيُقرأ الكتاب ويُعَلَّق عليه بما تيسر ، وإذا كان البلد الذي هو منه من أهل لسان غير عربي فيَقرأ عليهم الكتاب ويترجم لهم هذا الكتاب ،فيكون مشروع لطالب العلم في إجازته الصيفية أن يقرأه ويُفيد منه طلاب العلم في جماعة مسجدهم أو المعهد الذي هو مرتبط به أو نحو ذلك مما تيَسَّر .

• المشروع التاسع : إهدائه لأئمة المساجد والخطباء ، هذه نافعة جداً وهذه من أثمن الهدايا وأنفعها ، عندما تُهديه خطيباً أو إمام مسجد في بلدك نسخة من هذا الكتاب ، ثم تُرَغِّبه في القراءة ؛ قراءته على الناس أو أن يُفيد منه في خطبة في الجمعة ، كم ستحصل من الخير عندنا يشتغل هذا الخطيب بما وجّهته إليه وأرشدته إليه ! , وإن ضممتني معك وقلت إن فلان يشجعك على ذلك فأحب أن أكون شريكاً لك أيضاً في هذا الأجر وهذا الخير العظيم الذي نسأل الله عز وجل أن ييسره .

◦ المشاريع كثيرة جداً لكن هذه تفتح لكم يعني أبواباً وما ذكرته يدل على ما لم أذكره ، يبقي مشروع أخير ، إن قال واحد من الإخوان : كل هذا ما تيَسَّر لي ، فأقول : لا تبخل على إخوانك بالدعاء لهم ، كل من عقد نية- أنا أدعو الإخوان جميعاً كُلّاً يعقد النية والعزم على مشروع من هذه المشاريع أو أكثر ، أقل شئ مشروع واحد منها لكن من يعني ما يجد فرصة أو يجد صعوبة أن يشارك في شئ منها مع أنها كثير منها سهل جداً فعليه أن يجتهد بالدعاء لإخوانه بالتوفيق ، يقول : نسأل الله أن يوفق هؤلاء الإخوة وأن يعينهم ، يدعو لهم بظهرالغيب بما يكون فيه الفائدة والخير .

وحقيقة يا إخوان هذه رغبتنا جميعاً ، أن نتعاون في نشر هذا الكتاب حتي يكون معونة للناس على التقليل من الذنوب أو التوبة منها ؛ لأن الكتاب فعلا يساعد ، وأهل الشر والفساد لهم جهد كبير جداً في نشر الغواية وتحريك الشهوات والدعوة إلى الذنوب والموبقات ، وأهل

الحق أولَي أن يعملوا في الإصلاح في الأرض .وهذا الكتاب من أحسن الكتب في باب الإصلاح والتعليم والتحذير من الذنوب وبيان خطر الذنوب وعقوباتها .ابن القيم هنا في هذا الكتاب تكلَّم عن عقوبات الذنوب كلام يُخَوِّف ، يقرأ الشخص عقوبة ثم أخري ثم عقوبة ثم أخري حتي يستوي قلبه خوفاً من الذنوب ، والناس بحاجة إلى هذا .أرجو الله سبحانه وتعالى وأسأله جل وعلا بأسمائه الحسني أن يبارك في هذه المشاريع التي أشرت إليها وأن يُعين الجميع على ما فيه الخير والنفع والفائدة .

وأؤكد مرة أخري ما ختمت به أن كل أحد يسمع الآن من الحاضرين أو من يسمعون من خلال البث أن يعقد النية والعزم على أن يعمل بواحد من هذه المشروعات أو أكثر وندعو جميعاً لأنفسنا وللجميع بالمعونة والتوفيق والسداد وأن يجري الله سبحانه وتعالي الخير الكبير والنفع ، أعاننا الله أجمعين وسددنا وألهمنا الصواب وجعلنا أجمعين مفاتيح للخير مغاليق للشر بمنِّه وكرمه . نعم .

****

((بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .. فيقول العلامة ابن قيّم الجوزية في كتابه الداء والدواء

: فَصْلٌ:"الدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ"

وَالدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يَدْفَعُهُ، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ.

كَمَا رَوَى الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» .

قال رحمه الله : (فصلٌ : والدعاء من أنفع الأدوية).فالكتاب في " الداء والدواء " ، فالدعاء من أنفع الأدوية وهو من أنفعها - من أنفع الأدوية- لكل داءٍ وكل بلاء ، فهو نافع في كل داء وفي كل بلاء ،ولهذا ينبغي على المسلم أن تعظم عنايته بالدعاء في كل باب من أبواب البلاء يعاني منه ، إذا كان يعاني من بلاء في قلة ذات إلى د ، أو يعاني من بلاء في مرض ، أو ضعف في القوى والبدن ، أو يعاني من بلاء يتعلق بأولاده من عقوق أو نحو ذلك ، أو يعاني من بلاء

من أذي المتسلطين عليه والمؤذين له ، أو غير ذلك من أنواع البلاء . فعلاج ذلك كله الدعاء .. فالدعاء علاج ناجع ، نافع ، وعظيم النفع ،سيسوق المصنف رحمه الله تعالى من الشواهد والأدلة ما يدل على عظيم نفع الدعاء وعظيم بركته وأنه مثل ما فصَّل ، يقول : "الدعاء من أنفع الأدوية ،وهو عدو البلاء ،* يدفعه ويعالجه *ويمنع نزوله* ويرفعه أو يخففه إذا نزل"ولهذا سيأتي أن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، ما نزل : برفعه او تخفيفه ، وما لم ينزل : بدفعه أو تحويله ، فالدعاء فيه نفع عظيم ، لكن بشروط الدعاء وسيأتي تنبيه المصنف رحمه الله عليها وضوابطه التي دلَّ عليها كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

قال :" وهو سلاح المؤمن" وساق هنا الحديث الذي في مستدرك الحاكم من حديث على رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ: (الدعاء سلاح المؤمن) وإسناد الحديث ضعيف فهو غير ثابت لأن فيه من هو متروك ، فهو غير ثابت عن نبينا-عليه الصلاة والسلام- والمعني في قوله "الدعاء سلاح المؤمن" : أن الدعاء يدفع البلاء مثل ما يُدفع العدو بماذا ؟ بالسلاح ، فالدعاء سلاح المؤمن ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال : (إنما تُنصَرون وتُرزَقون بضعفائكم ، بدعائهم وإخلاصهم) وهذا واضح أن الدعاء سلاح ؛ سلاح عظيم جداً ونافع غاية النفع في دفع البلاء والشواهد على المعنى كثيرة .والشواهد على سلامة المعنى أن (الدعاء سلاح) كثيرة ، لكن هذا اللفظ غير ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام : (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض) نعم .

((قال رحمه الله تعالى : وَلَهُ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا.

الثَّالِثُ: أَنْ يَتَقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.))

هذه الآن ثلاث مقامات للدعاء مع البلاء ، يعني إذا كان هناك بلاء وهناك أيضاً دعاء لرفع او دفع هذا البلاء ، فهناك ثلاث مقامات في هذا الأمر :

◦ **أولها** : أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ.، وقوة الدعاء من قوة التزام الداعي بشروط الدعاء وآدابه ، لأن الدعاء يكتسب القوة من اليقين ، الثقة ، عدم استعجال الإجابة ، الجزم في الدعاء إلى غير ذلك من ضوابطه .

فكلما كانت هذه الضوابط مجتمعة كان هذا أقوي في الدعاء ، ولهذا سيأتي في فصل قريب عند ابن القيم عَدَّ أموراً كثيرة في أنها إذا اجتمعت في الدعاء فإنه لا يكاد يُرَد ، وهو فصل نفيس سيأتي معنا قريباً بإذن الله سبحانه وتعالى .

فالحاصل انه قد يكون -وهي **الحالة الأولي**- " الدعاء أقوي من البلاء فيدفعه" ، **والحالة الثانية** أن يكون" الدعاء أضعف من البلاء" ،والضعف في الدعاء بضعف التزام المرء بشروط الدعاء وآدابه فيقوي عليه البلاء فيصاب به العبد لكن قد يخففه ، قد يخففه هذا الدعاء الضعيف " قد يخففه وإن كان ضعيفاً" ، **الحالة الثالثة** : "أن يتقاوما ويتعالجا ويمنع كل واحد منهما صاحبه . نعم .

((قال رحمه الله تعالى: وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

نعم ،اورد هنا هذا الحديث في مستدرك الحاكم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واسناده ضعيف ، قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يُغنِي حذر من قدر) ، بمعني أن القدر إذا جاء مهما كان حذر المرء وتوقيه منه فالمكتوب لابد أن يقع ، لكن لا يعني هذا تعطيل الأسباب وعدم فعلها ، بل الإنسان وإن كان الحذر لا يغني من القدر ، فالإنسان مطلوب منه أن يبذل الأسباب التي تكون بها عافيته وسلامته ، ومن أعظم ذلك : الدعاء الصادق والإلحاح على الله وحسن اللجوء إليه سبحانه وتعالى .

قال : "والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل" وهذا سيأتي في الحديث الذي بعده . نعم .

((قال : وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ» .

وقوله في الأثر او في الحديث الذي قبله : (لا يغني حذر من قدر) هذا صح موقوفاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما-قال : "وفيه" أي مستدرك الحاكم "من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال : (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل)

مما نزل : أي من البلاء ، ومعني نزل يعني : وقع وأصيب به العبد

ومما لم ينزل : أي مالم يقع ،فالدعاء ينفع من هذا وينفع من هذا

وهذا المعني : (أن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل) يدل عليه الآية الكريمة في سورة الإسراء : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا)

كشفه : أي إذا نزل ،لا يملكون كشفه إذا نزل, ولا يملكون تحويله إذا لم ينزل : يعني تحويله موطن نزوله ،لا يملكون ذلك .

هذا فيمن يُدعي من دون الله ،أما الله سبحانه وتعالى من دعاه ولجأ إليه فالأمر بيده والخلق خلقه سبحانه وتعالى .

الحاصل أن الدعاء ينفع مما نزل : أي من البلاء بكشفه ، وينفع مما لم ينزل بدفع نزوله وتحويله إلى موطن آخر ، ففيه النفع العظيم .

قال:"فعليكم عباد الله بالدعاء" أي اعتنوا به ، أكثروا منه ،أَلِحُّوا على الله سبحانه وتعالى بالدعاء فإن فيه دفع البلاء ورفعه ، دفعه : قبل ان يقع ، ورفعه : بعد وقوعه . نعم.

وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»

ثم ختم هذه الأحاديث بهذا الحديث حَدِيثِ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ) ،وهذا ثابت عنه ﷺ ، ففيه أن الدعاء يرد القدر ،وليس معني ذلك أن المكتوب في اللوح المحفوظ أن القدر يرد ذلك ، ليس هذا المعنى وإنما المعنى أن القدر والدعاء : القدر الذي كُتب في اللوح والدعاء الذي هو من جملة القدر الذي كُتب .

في الحديث دلالة علي أن من القدر أن يكون كُتب بلاء ينزل وكُتب أنه يُكشف بالدعاء الذي يدعو ، فيكون المعني أن الله قدّر السبب والمسبب ، قدّر الأسباب والمسببات ؛ فهذا بقدر

وهذا بقدر وهذا يعينك علي فهم الحديث (لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ) أن تعلم أن الدعاء من القدر ، فإذاً الدعاء يرد القدر .

أفاد الحديث أن الدعاء يرد القدر ، وهذا فيه الحث العظيم علي الدعاء والإلحاح علي الله سبحانه وتعالى، ولهذا فإن من الأخطاء عند بعض الناس هناك دعوة ربما تكون شائعة في بعض الأماكن ، يقولون فيها : " اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه" هذا للدعاء غير صحيح ، بل يُسأل الله سبحانه وتعالىرد القضاء ، والدعاء يرد القضاء ، ويُسأل تبارك وتعالىكما جاء في الدعاء المأثور في حديث عائشة : (أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً)

فالحاصل أن هذا في الدعاء يقاوم البلاء ويدفعه ويرفعه إذا وقع فشأنه عظيم جداً ، " ولا يزيد في العمر إلا البَرّ" هذا البر الذي يزيد في العمر هو أيضاً من جملة المكتوب ، مكتوب في اللوح المحفوظ أنّ عمره كذا وأنه بالبر يكون عمره كذا ، فالكتاب الذي هو اللوح المحفوظ كُتب فيه كل ما هو كائن من الأسباب والمسببات ، الأعمال والنتائج ، الأفعال والآثار ، كل هذه مكتوبة في اللوح المحفوظ .. والحديث حسّنه الألباني-رحمه الله- دون الجملة الأخيرة التي هي "وإن الرجل ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه" نعم.

فَصْلٌ(الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ)

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ: الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ.وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»

: نعم ، هذا الفصل فيه قدرٌ زائد علي الذي قبله ، يعني الفصل الذي قبله ، قال : والدعاء من أنفع الأدوية ، ثم عقد فصلاً أن من أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء، والإلحاح في الدعاء قَدْر زائد علي ما سبق ، الإلحاح في الدعاء هو التكرار ودوام السؤال ، يدعو ويدعو ، مرة تلو الأخري ، مُلِحّاً على الله سبحانه وتعالى ،لا ينقطع من الإلحاح والسؤال والطلب متضرعاً إلى الله سبحانه وتعالى (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا) التضرع هو الإلحاح ، يلحّ على الله سبحانه وتعالى والله يحب المُلِحّين بالدعاء، لأن الدعاء حبيب إلى الله سبحانه وتعالى ، والداعون قريبون منه جل في علاه .

قال : " ومن أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء" وقد روي ابن ماجة في سننه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من لم يسأل الله يغضب عليه) والحديث حسّنه الألباني -رحمه الله- في الصحيحة برقم 2654 وذكر شواهد تدل علي ثبوته ،

(من لم يسأل الله يغضب عليه) هذا فيه دليل على حب الله للدعاء ، وحبه للداعين ، وأنه سبحانه وتعالى من عظيم حبه للدعاء أنه يغضب ممن يترك الدعاء ، وقد قال الناظم :

والله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضب

ابن آدم إذا سئل يغضب مرة واحدة ، وإن أُلِحَّ عليه في السؤال مرتين ، ثلاث يغضب أشد ما يكون ، والله يغضب إن تركت سؤاله ، فهو يُحِب الداعين ويحب أن يُدعَي وأن يتذلل ، والدعاء فيه افتقار ، فيه ذُل ، فيه انكسار بين يدي الله في إظهاره فاقة العبد إلى الله سبحانه وتعالى وتذلل بين يديه ، يمد يديه على هيئة الفقير المسكين الضعيف المحتاج المفتقر مُلِحّاً علي ربه ، إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً ، فالحاصل أن هذا الحديث حديث عظيم في بيان مكانة الدعاء وفضله وكرمه على الله ، مثل ما جاء في الحديث الآخر : (ليس شئ أكرم على الله من الدعاء) ، في الحديث الآخر قال : (الدعاء هو العبادة) نعم ..

وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ» .)

نعم . هنا في هذا الحديث وإسناده ضعيف لأن في إسناد منه منكر ،الحديث غير ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام ،قال فيه (لا تعجزوا في الدعاء ، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد) الدعاء يعني النجاة ، الدعاء نجاة للداعي . نعم .

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ» .

وأيضاً هذا غير ثابت لأن فيه من هو متروك الحديث ، لكن جاء في بعض المصادر من قول الأوزاعيّ أو جاء عن الأوزاعيّ أنه قال : كان يُقال أفضل الدعاء الإلحاح علي الله والتضرع . نعم .

وَفِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ مُوَرِّقٌ: مَا وَجَدْتُ لِلْمُؤْمِنِ مَثَلًا إِلَّا رَجُلٌ فِي الْبَحْرِ عَلَى خَشَبَةٍ، فَهُوَ يَدْعُو: يَا رَبِّ يَا رَبِّ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُنْجِيَهُ.

هذا الخبر او الأثر فيه هذا المثل الجميل الذي يبين حاجة العبد وفقره إلى الدعاء والإلحاح على الله سبحانه وتعالى فيه واضطراره إلى الدعاء ، ففي هذا الأثر أن مثل المؤمن مثل رجل في البحر علي خشبة ، يعني تخيل رجل علي البحر وافترَض أنه أيضاً لا يحسن السباحة ، وعلى خشبة يخشي سقوطه وغرقه في هذا البحر .. يا رب ، يارب, يعني يكرر .. يلح على الله أن ينجو ، الآن إذا قدّرت الأمر وتأملت في أمواج الفتن التي تموج في الناس وتصرِفهم عن الحق ، وتوقعهم في الهَلَكة ، وتدفعهم إلى الباطل ، أمواج كثيرة جداً متلاطمة ، أمواج الشبهات ومُضلات الفتن -نسأل الله العافية- ، ولهذا قال النبي ﷺ: (تعوّذوا بالله من الفتن) ، قال الصحابة : نعوذ بالله من الفتن ، فهذه الأمواج العاتية المهلكة النجاة منها بالتعوذ ، بالدعاء ، باللجوء إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يقول دائما المرء : يا رب .. يا رب ، يدعو ربه ويسأله الثبات والإعاذة من الفتن والنجاة من الشرور والمُهلكات ، يبقي دائماً ملِحاً علي الله سبحانه وتعالىوالله لا يُخَيّب من دعاه ، ولا يرد من ناداه (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) نعم .

(قال رحمه الله تعالى: [فَصْلٌ مِنْ آفَاتِ الدُّعَاءِ]

وَمِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ تَرَتُّبَ أَثَرِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ:* أَنْ يَسْتَعْجِلَ الْعَبْدُ،* وَيَسْتَبْطِئَ الْإِجَابَةَ،* فَيَسْتَحْسِرُ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ بَذَرَ بَذْرًا أَوْ غَرَسَ غَرْسًا، فَجَعَلَ يَتَعَاهَدُهُ وَيَسْقِيهِ، فَلَمَّا اسْتَبْطَأَ كَمَالَهُ وَإِدْرَاكَهُ تَرَكَهُ وَأَهْمَلَهُ.

وَفِي صحيح الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَابُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي» .

ثم عقد-رحمه الله تعالى- هذا الفصل في التنبيه على آفة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه ، يعني إذا وُجِدَت تكون مانعة من إجابة الدعاء ، وهذا الفصل وما سيأتي بعده فيه تنبيه من الإمام ابن القيّم-رحمه الله تعالى- إلى أهمية العناية بشروط الدعاء وآدابه وأن الداعي ينبغي عليه في كل مرة يدعو الله سبحانه وتعالى أن يتأدب بآداب الدعاء ، وأن يلتزم شروطه وضوابطه وقيوده التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، لأن هذه الشروط كما قدمت تُعطي الدعاء قوة ،يكون الدعاء قوي بهذه الشروط ، قوي بهذه الضوابط العظيمة التي التزمها الداعي في دعائه فكانت قوة له في دعائه فيكون دعاءً مستجاباً ، دعاءً مقبولاً ولهذا يأتي في الحديث : («يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ)يعني إن كان سالماً من هذه الآفات فهو دعاؤه مستجاب ، فإذاً هذا الفصل عقده-رحمه الله- تحذيراً من هذه الآفات وأن الداعي ينبغي عليه أن يحرص علي معرفة آداب الدعاء وشروطه وأن يعتني بها في كل مرة يدعو الله سبحانه وتعالى، قال : "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه-التي هي الاستجابة- أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء"

وهذا يحصل لكثير من الناس في كثير من حاجاتهم ، يدعو مرة أو مرتين ، يرفع يده مرةاو مرتين ثم يقول مع نفسه دعوت ما يستجيب لي ، فيترك الدعاء وينقطع عن هذا الخير ، وترك الدعاء هو حرمان ، ترك الدعاء هو حرمان من الخير ، لهذا كان أحد السلف يقول : لأنا أشد خشية أن أُحرَم من الدعاء من أن أُحرَم الإجابة ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء . ترك الدعاء هذا حرمان ،ترك الدعاء والانقطاع عنه هذا حرمان ، وهذا الحرمان من الدعاء يتسلل إلى كثير من الناس .. عندما يدعو مرة او مرتين في حاجة أو في ضرورة من ضروراته ، ثم بينه وبين نفسه يقول : دعوت فلم يُستَجَب لي ويدع الدعاء .

فإذاً من الضوابط المهمة في الدعاء : أن يلازم المرء الطلب والإلحاح ولا ييأس من الإجابة ، وقد تقدَّم معنا قريباً إيراد المصنف رحمه الله لقول النبي ﷺ: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة) وهذا اليقين إذا حضر في القلب لا يقع هذا المعنى الذي عندنا هنا ، لا تقع هذه

الآفة ، لأن من عنده يقين وثقة بالله سبحانه وتعالى يُثمِر يقينه إلحاحاً على الله سبحانه وتعالى بالدعاء ، وتأمل هذا المثل ما أجمله في توضيح هذه المسألة !

(وهو بمنزلة -يعني هذا الذي يدعو مرة او مرتين ثم يستحسر ويدع الدعاء- وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ بَذَرَ بَذْرًا أَوْ غَرَسَ غَرْسًا، فَجَعَلَ يَتَعَاهَدُهُ وَيَسْقِيهِ، فَلَمَّا اسْتَبْطَأَ كَمَالَهُ وَإِدْرَاكَهُ تَرَكَهُ وَأَهْمَلَهُ) .

وإذا كان هذه الحال فيما يراه الناس مذموماً من يفعل ذلك ،شخص يبذر ويتعب ثم إذا أوشك أهمله وتركه وقال : تعبت فيه وما أثمر ! ,هذا يُذَم ، فمثله الداعي يعني سبحان الله ربما من الناس من ينقطع عن الدعاء وهو عن الإجابة قاب قوسين أو أدنى ، قربت الإجابة ودنت منه ثم ينصرف عن الدعاء وينقطع ويقول دعوت ودعوت فلم يُستجب لي .

قال : "وفي الصحيح -في صحيح البخاري- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (يُستجب لأحدكم مالم يعجل) انتبه ! (يستجب لأحدكم مالم يعجل) إذاً العجلة في الدعاء ليس فيها خير .. العجلة في الدعاء"آفة" مثلما عبر بن القيم . العجلة في الدعاء آفة ،لا يستعجل الإجابة ولا يستبطئ أيضاً الإجابة بل يُلح ويدعو ويكرر الدعاء وهو يؤمل ويرجو ، قال : (يستجاب لأحدكم مالم يعجل ، يقول :' دعوت فلم يُستَجب لي)

وأيضاً ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال ﷺ: (لا يزال يستجاب لأحدكم ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ، مالم يستعجل)

الدعاء بالإثم وقطيعة الرحم: هذا من استعجال الشر والعياذ بالله ، وهذا مضرَّة على الإنسان ،والله يقول : (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) فهذا من الآفات ،يعني دعاء الإنسان على نفسه أو على قرابته أو على ولده يدعو عليهم بإثم أو قطيعة رحم ، هذا من العجلة ، من العجلة المذمومة ، فهذا لا يُستجاب للعبد ، قال : (يُستجاب لأحدكم ما يدعُ بإثم أو قطيعة رحم) (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ)

لكن من رحمة الله أن هذا لا يُستجاب ، قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم او قطيعة رحم ، ما لم يستعجل) قيل : يا رسول الله! وما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أره يستجيب لي . فيستحسر ذلك ويدع الدعاء ، يستحسر ويقع عنده اليأس والقنوط ويدع الدعاء ، يترك الدعاء ، فإذا هذه مثل ما عبّر ابن القيم : "آفـة" ينبغي على الداعي ان يحذر منها .

ثم أورد أيضاً ما في المسند للإمام أحمد وهو بمعني ما سبق من حديث أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لايزال العبد بخير ما لم يستعجل ، قالوا : يا رسول الله! كيف يستعجل ؟ قال : يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي) نعم .

((قال رحمه الله (: فَصْلٌ أَوْقَاتُ الْإِجَابَةِ)

وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السِّتَّةِ، وَهِيَ:

***الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ،* وَعِنْدَ الْأَذَانِ، * وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، * وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ،* وَعِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ،* وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ.**

وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً.

وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِي الْقِبْلَةَ.

وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ.

وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ.

وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -.

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ صَدَقَةً، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهَا مَظَنَّةُ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ.

هذه الجملة عظيمة جداً وفيها خلاصة بديعة للغاية ، خلاصة موجزة وبديعة للغاية في آداب الدعاء وشروطه ، فجمع في هذه الخلاصة جمعاً بديعاً نافعاً ، وهذه الأمور التي عدَّدَ رحمه الله

تعالى الأمر فيها كما ذكر : إذا اجتمعت للعبد في دعاؤه لا يكاد دعاؤه يُرَد ،دعاؤه مستجاب ، فهذه خلاصة وهذا من الأمثلة التي أقول يعني قبل قليل أنها تُنشر ، يعني مثل هذه الآن لو أخذت هذه الجملة وقلت : قال ابن القيم في كتابه العظيم "الداء والدواء" وأرْسَلتَ هذه الفائدة تأكَّد أنه سيفرح بهذه الفائدة وسيحب الكتاب ، فتجمع في هذا بين خيرين ، يعني دللته علي هذه الفائدة النفيسه وتحبيبه لهذا الكتاب المبارك ، وهذه وسائل حقيقة مهمة في الاشتغال بها والتعاون عليها في تحريك مثل هذه المعاني ونشر مثل هذه الفضائل والخيرات حتي يُنتَفع بها بإذن الله سبحانه وتعالى.

والكلام على هذا الفصل يؤجل إلي لقائنا القادم ونسأل الله تبارك وتعالى ان يوفقنا أجمعين لكل خير .

****

جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم ألهمكم الله الصواب ووفقكم للحق نفعنا الله بما سمعنا وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين .

يقول السائل جزاكم الله خيراً في بلادنا تقوم كثير من الفرق والطوائف على تقديس الاولياء ودعائهم من دون الله فأرجو منكم الوصية والنصيحة بارك الله فيكم .

هذا الذي أشار إليه السائل الكريم في هذا السؤال هو حقيقة من المصائب العظيمة والبلايا الجسيمة والنكبات التي بُليت فيها بعض المجتمعات بسبب دعاة الضلال وأئمة الباطل وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح " **إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**" فأئمة الضلال هم من روجوا لمثل هذه الضلالات ودعوا إلى التعلق الباطل بالأولياء المزعومين والالتجاء إليهم والضراعة بين يديهم وقصد قبورهم للدعاء والذل والسؤال والبكاء والرجاء وهذا كله من الشرك بالله لأن الدعاء هو أعظم العبادة هو حق لله سبحانه وتعالى وقد قال الله جل وعلا:" وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وقال الله سبحانه وتعالى قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ قال تعالى قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ وقال تعالى وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

لَكُمْ ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة والدعاء كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم هو العبادة فمن دعا غير الله مستغيثاً به ملتجأ إليه طارحاً حاجته بين يديه فقد إتخذه شريكاً مع الله ونداً مع الله سبحانه وتعالى وهذا هو الشرك الأكبر المحبط للعمل المبطل للدين وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ والسائل في سؤاله يسأل عن الخلاص والخلاص هو في شيء واحد وهو نشر التوحيد بين الناس ، الناس محتاجون الى التوحيد ودلاتهم عليه وذكر براهينه وأدلته من كتاب الله وسنة نبيه الناس بحاجة إلى من يعلمهم القرآن ويعلمهم أدعية القرآن ويعلمهم ضوابط الدعاء في القرآن وفي سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بحاجة ماسة إلى ذلك لأن كثير منهم مساكين نشأوا في بلد ليس فيه إلا دعاة ضلال ولا يسمع إلا دعاة الضلال ما سمع داعياً يدعو إلى الحق ولهذا كثير منهم قريب إلى الحق إذا ذُكرت له الادلة وبُينت له يرجع عن قريب ، أذكر مرة كان إلى جواري أحد الزوار كنت أقرأ القرآن وهو بجنبي يدعو ويبكي أثّر في بكائه وهو يدعو ثم بعد قليل وقد تأثرت ببكائه بعد قليل أسفت لحاله رافعاً يديه ويقول مدد مدد وهو يستغيث بأحد المخلوقين أنا كنت متأثراً ببكائه وهو خاشع في دعائه ثم فوجئت واذا هذا البكاء يدعو غير الله فتلطفت معه في الحديث وتدرجت معه شيء عن بلده متى وصلت كذا يعني بأسلوب لطيف تضطره أن يتجاوب معك ثم أخذت اذكر له آيات واحاديث في فضل الدعاء والبكاء والخشوع وأن هذا لا يرد والدعاء يستجاب وهو يستمع الي معطيني جنبه فلما أخذت أذكر الدعاء والبكاء وفائدته وأشياء من هذا القبيل إلتفت علي ثم دخلت في الصميم أن الدعاء حق لله ولا يجوز أن يدعى غير الله واخذت اسوق آيات وتعمدت أن أكثر من آيات القرآن في هذا الباب واحاديث وذكرت قصص من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام في ضراعته الى الله وصيته لابن عباس إذا سألت الله فأسأل الله أشياء من هذا القبيل اطلت وهو يستمع استماع جيد ثم سألته سؤالاً غير مناسب لكنني أنا كنت متقصد لهذا السؤال اريد ان اتأكد هل فهم وإلا ما فهم قلت سمعت هذا الكلام قال نعم قلت له ما رأيك هذا طبعاً هذه خطأ لان هذه آيات واحاديث ليس فيها رأي لكن انا قصدت ان اعرف هل فهم الرجل او لم يفهم فقال لي والله كلام عجباً ذكرني بمقولة للإمام الشافعي قال تقول لي آيات واحاديث وتقول ما رأيك هكذا قال لي تقرأ علي آيات واحاديث وتقول لي ما رأيك قلت ولا زلت اقول لك الآن ما رأيك لأني سمعتك منذ قليل ترفع يديك وتدعو غير الله فأينك من هذه الآيات والأحاديث اتدرون ماذا قال لي هو الموضع الذي حقيقة قال لي يا اخي انا من بلد كذا وكذا سمى لي بلده ما احد قال لي هذا الكلام يعني ما سمع الدعوة الى التوحيد والصلة بالله ما احد قال لي الكلام هذا اذاً بعضهم

يكون نشأ في مجتمع ما عندهم الا والعياذ بالله الدعوة الى التعلق بالأولياء ودعاء غير الله والاستغاثة بغير الله وينسجون لهم خاصة السدنة ينسجون قصص يروجونها بين العوام ويفتعلونها حتى ينكب العوام على هؤلاء المقبورين دعاء واستغاثه والالتجاء الي غير الله نعم.

أحسن الله اليكم ومتعكم الله بالصحة والعافية واياك والسامعين يقول اخي قد ابتلي بالعشق وفتك به هذا البلاء حتى كره نفسه وهو محب للتوحيد ولأهله فهل من نصيحة وتوجيه كي اوصل صوتكم اليه ؟

اولاً نسأل الله عز وجل لأخيه هذا المبتلى بالعشق بالعافية نسأل الله له العافية ونسأل الله العافية لكل مبتلى ووصيتي لهذا الاخ ان يتلطف بأخيه وان يقنعه بقراءة هذا الكتاب وان يتلطف معه بأن يقرأ هذا الكتاب إن قرأ أخاه هذا الكتاب قراءة متأنية ففيه الشفاء بإذن الله واصل الكتاب هو شكوى من عاشق عانى العشق معاناة شديدة جدا فطلب من يعينه ويدله فكتب هذا الكتاب الامام ابن القيم رحمه الله تعالى وذكر فيه علاجاً نافعًا عظيم النفع فأنت إن استطعت ان تقنع اخاك ان يقرأ الكتاب فبها ونعمة وإلا فاعمل الثانية اقرأ انت الكتاب قراءة متقنة وخذ الفوائد منه واوصلها لأخيك بالتدريج شيئاً فشيئاً فإنه بإذن الله تعالى يكون بذلك خلاصه وعافيته وعافاه الله وكل مبتلى نعم.

يقول أحسن الله إليكم شيخنا هل من اللازم أن يصلي المعتمر فيه الروضة كل يوم أم مرة واحدة تكفي ؟

جاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال **ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة** فهذا يدل على فضل هذه البقعة، وليس في هذا الحديث ولا في غيره تخصيص اوقات أو إلتزامات معينة في اليوم كذا او نحو ذلك لكن تيسرت الصلاة والجلوس في الروضة فبها ونعمة وإن لم يتيسر بسبب كثرة الزحام وخفف على نفسه وعلى إخوانه المسلمين فلعل في هذا بإذن الله سبحانه وتعالى خيرا نعم.

يقول شيخنا هل يفهم من حديث أبي سعيد أمس بأن سيد القوم لم يكن مسلم وعليه فتجوز الرقية من المسلم للكافر ؟

نعم هذا المعنى مستفاد والرقية تصح وخاصة اذا كانت وسيلة لدعوته للإسلام وهدايته الدين وبيان ما في القرآن من الخير والبركة والنفع نعم.

يقول لي إبنة لا تسمع ولا تتكلم وكانت تصلي ماتت في سن السابعة عشرة من عمرها فهل يجوز لي أن اعمل عمرة ؟

نعم إذا كانت على هذه الحال.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

🔴 *اضغط على الرابط للاشتراك * 👇🏻

https://t.me/alzaadd

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه أجمعين ,أما بعد ,

يقول العلامة بن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه "الداء والدواء "فصل" أَوْقَاتُ الْإِجَابَةِ"

فَصْلٌ (أَوْقَاتُ الْإِجَابَةِ)

وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السِّتَّةِ، وَهِيَ:

الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَعِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ.

وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً.

وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِي الْقِبْلَةَ.

وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ.

وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ.

وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم -.

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ صَدَقَةً، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهَا مَظِنَّةُ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه أجمعين ,أما بعد,

فهذا فصل عظيم النفع ,كبير الفائدة, عقده الإمام بن القيم رحمه الله تعالى لبيان شروط الدعاء والإجابة ,وأن الدعاء إنما يكون نافعا مثمرا إذا أجاب الداعي بشروطه وضوابطه الذي دل عليها كتاب الله, وعلى سنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه , قد قال الله تعالى : { ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } [الأعراف : 55- 56]

وهذه من الآيات الجوامع لآداب الدعاء مع ضوابطه وفيها أن:- الدعاء إنما يكون نافع لصاحبه إذا جاء بضوابطه التي دل عليها كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .الحاصل أن الداعي إذا اعتنى في دعاءه بالضوابط الشرعية والآداب المرعية التي دل عليها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كان ذلك أبلغ وأعظم وأقوى لتحقق أثر الدعاء وثمرته المرجوة,والإمام بن القيم- رحمه الله تعالى- ذكر هنا خلاصة مختصرة وعصارة مفيدة جمع فيها أهم شروط الدعاء وأدابه ,

قال رحمه الله تعالى" وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ" حضور القلب أي: أن يكون وهو يدعو الله عز وجل يدعوه بقلب حاضر ليس بقلب لاهٍ, أحيانا يدعوا المرء ربه ويرفع يديه ولكن قلبه في وادٍ آخر, لا يكون حاضر ولهذا مر معنا في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ) . فالقلب إذا كان غافلا لاهيا هذا مانع من موانع الإجابة,إذن في الدعاء لابد من حضور القلب , ولابد من جمعيته على المطلوب -أن يكون القلب متوافرا مجتمعا على المطلوب- المعني المقصود ,فيكون حاضرا ويكون مجتمعا-مجتمعا على حاجة المرء مقصوده و مطلوبه في توجهه إلى ربه سبحانه وتعالى ,قال : ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السِّتَّةِ.

وهذه نبه عليها -رحمه الله تعالى- ليكون في هذا التنبيه معونة على العبد أن يتحرى هذه الأوقات ,ليس معنى ذلك أنه لا يدعو إلا في هذه الاوقات لكن المراد بذلك أن يكون لهذه الأوقات مزيج عناية بالدعاء لأن الإجابة فيها أحرى فيتحرى فيها الدعاء لأنها أوقات مظنة إجابة ,

قال : وَهِيَ:الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ, وهذا وقت شريف فاضل عظيم ,قال نبينا عليه السلام في الحديث الصحيح :" " ينزل ربنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا كل ليلة ، فيقول : من يسألني فأعطيه ؟ ومن يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يستغفرني أغفر له ؟ "

فأفاد ذلك أن هذا الوقت الشريف وقت النزول الإلهي الثلث الأخير من الليل وقت إجابة للدعاء فيها الرب الغني الحميد جل في علاه يقول:من يدعوني من يسألني ؟من يستغفرني ؟ فوقت إجابة دعاء من دعى أجيب دعاءه ومن سأل أعطي سئله ومن استغفر غفر له ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون لهذا الوقت حظا من الدعاء والذكر وما كتب الله سبحانه وتعالى ويسر من قيام الليل .

قال رحمه الله تعالى : ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ : وقت ما يؤذن المؤذن السنة أن تقول مثل ما يقول وهذا فيه ثواب عظيم كما في حديث عمر في الصحيح : (إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَالَ أَحَدُكُمْ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ... إلى أن قال في تمامه),(ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فقالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ)

فالسنة عند سماع الآذان أن يقول مثلما يقول المؤذن , إلا إذا وصل إلى حي على الصلاة حي على الفلاح..فالسنة كما في حديث عمر المشار إليه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله . فقول المصنف رحمه الله : الآذان : أي بعد الآذان مباشرة , بعد الفراغ من الآذان , هذا وقت لتحري الدعاء , وأول ما يبدأ به من الدعاء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم,وسؤال الله له الوسيلة" ثم صلوا عليا ثم سلوا لي الوسيلة" فأول ما يبدأ بعد الفراغ من الآذان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية ثم من بعدها يسأل الله الوسيلة لنبينا عليه الصلاة والسلام "اللهم آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ والمَقَامًا المَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ" فيدعوا بهذه الدعوة ثم من بعد ذلك يدعوا بما تيسر له لأن هذا من أوقات الإجابة كما ذكر بن القيم رحمه الله وغيره من أهل العلم وقد جاء حديث عند أبي داود وغيره وهو حديث ثابت " عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا قال : يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا » : فاقونا بالفضل

الآذان فيه ثواب , من يقرأ الأحاديث التي وردت في ثواب الآذان يجد أن المؤذنين حصلوا ثواب عظيم ولو لم يكن في ذلك إلا حديث : (الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ) هذا دلالة دعوة للصلاة ورد فيه أحاديث عظيمة جدا في فضل الآذان فقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم:" إن المؤذنين يفضلوننا » فقال عليه الصلاة والسلام :"قل كما يقولون ثم سل تعطى " فقوله عليه الصلاة والسلام "ثم

سل تعطى " هذا يدل على أنه بعد الآذان وقت تحري الدعاء ,بعد أن تصلي على النبي ﷺ,وبعد أن تأتي بالدعاء المختص به عليه الصلاة والسلام " اللهم آتِ مُحَمَّدًا ﷺ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ..ألخ "

"بعد ذلك سل تعطى "كما صح بذلك الحديث , قال : فإذا انتهيت :يعني من الآذان >سل تعطى " وهذا يدل على أن هذا وقت تحرٍ للدعاء كما قال بن القيم "عند الآذان "

قال : وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، ثم الوقت المتسع الذي بين الآذان والإقامة :أيضا هو وقت إجابة للدعاء وقد صح في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال:" أن الدعاء بين الآذان والإقامة لا يرد "

قال : وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ , والمراد هنا بدبر الصلاة :أي آخر الصلاة قبل التسليم – هذا هو المراد قبل التسليم لما جاء في حديث بن مسعود في ذكر تعليم النبي ﷺ لهم التشهد قال عقب ذلك قال النبي ﷺ عقب ذلك "ثم ليتخير من المسألة ما شاء " فإذا هذا وقت تخير وتحري للدعاء قبل أن يسلم, ولهذا ينبغي على المسلم أن يحرص قبل السلام أن يدعوا بما تيسر وكثير من المصلين يمل إذا طال التشهد ,

أذكر من طرائف القصص: أحد الأئمة كان يصلي -ولعل الإمام محدثكم -, هذا الكلام قديم جاءه احد المصلين وقال يا شيخ انا قرات التشهد مرتين, من قال تقرا التشهد مرتين ؟ اذا انت التشهد فرصتك العظيمه ان تتحرى من الدعاء ما تشاء ,هذا وقت تحري دعاء وقت فاضل عظيم يتحرى فيه المسلم خاصه الدعوات الجوامع العظيمه المأثوره عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال :وعند صعود الإمام يوم الجمعه على المنبر حتى تقضى الصلاة, و آخر ساعه بعد العصر من ذلك اليوم وذلك لما ورد عن نبينا عليه الصلاه والسلام في الحديث الصحيح أنه قال:" يوم الجمعه هو خير يوم طلعت عليه الشمس "قال صلوات الله وسلامه عليه" وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يدعو الله سبحانه وتعالى إلا أعطاه حاجته" وفي تحديد هذه الساعة خلاف معروف بين أهل العلم واصح ما قيل وهو هذان الوقتان اللذان أشار اليهما ابن القيم رحمه الله تعالى "عند صعود الإمام يوم الجمعه على المنبر حتى تقضى الصلاه"

" اذا ننتبه هنا الى أمر مهم في صلاه الجمعه السجود" أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد"

وعند ما قبل السلام أدبار الصلوات: مر معنا ان وقت ماذا تحر الدعاء؟- يوم الجمعه. هذا السجود وهذا الدعاء الذي قبل السلام شانه اخر لهذه الفضيله التي جاءت في الحديث فاجتمع فيه فضل الحال وفضل الزمان والوقت فضل في صلاه وفي وقت يتحرى فيه الدعاء في الصلاه وايضا زمان فاضل كما جاء في هذا الحديث الذي هو" ساعه من يوم الجمعه تبدا من صعود الإمام إلى أن تقضى الصلاه" فالأدعية التي تكون في الصلاه صلاه الجمعه لها شان عظيم قال مصادفه خشوعا في القلب وانكسار بين يدي الرب وذلاً له وهذه المعاني مهمه جدا في الدعاء ان يكون القلب مخبت خاشع منيب مقبل على الله عز وجل متذلل بين يديه قال تضرعا ورقه كل هذه المعاني تكون في القلب وهو يدعو الله عز وجل وتضرع ورقه

قال: واستقبل الداعي القبله- وهذا ليس من شروط الدعاء -ولكنه من أدبه ولهذا يأتي في أحاديث عديدة في الدعاء يقول فاستقبل عليه الصلاه والسلام القبله ودعا -فهذا من اداب الدعاء- العظيمه وكان على طهاره وهذا ايضا من الآداب وليس من الشروط وهو عظيم الشان في هذا الباب" باب الدعاء وتحري اجابته ورفع يديه إلى الله" ورفع اليدين هو هيئه ذل وافتقار الى الله سبحانه وتعالى وهو من اسباب الاجابه ولهذا جاء في حديث سلمان رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال:" ان الله حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا" اي خائبتين

قال رحمه الله تعالى: وبدا بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاه على محمد عبده ورسوله ﷺ وهذا يدل عليه قصة الرجل وهي ثابته الذي سمعه النبي ﷺ يدعو في صلاته فقال عجله هذا فقال النبي ﷺ :"اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم الصلاه على رسوله الله ﷺ ثم يدعو بما شاء"

قال رحمه الله: ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ.: التوبه: فلاح " تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" وبموجب لنيل الخيرات و إجابه الدعوات وغفران الذنوب

ثم أدخل على الله ومعنى الدخول هنا أي دخول بالدعاء والإلحاح والإقبال على الله سبحانه وتعالى في عرض الحاجه والطلب والسؤال ثم دخل على الله و ألح عليه سبحانه وتعالى قال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا "اي يجمع في دعائه بين الرغبه والرهبه راغب راهبا وهذا شان المسلم في كل العبادات :" أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ" ففي كل عباده منها الدعاء يجمع العبد بين

الرجاء والخوف والرغبه والرهبه قال وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده التوسل إليه بأسمائه وصفاته هذا يكثر في ادعيه في القران أدعيه الرسول عليه الصلاه والسلام

قد قال الله سبحانه وتعالى:" وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " وقال جل وعلا:" ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى " فهذه اعظم الوسائل في الدعاء :التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائك الحسنى وصفاته العليا ويضمن كل دعوه ما نسبها من الأسماء إن كان غفران للذنوب الغفور الرحيم كان سؤال عن الرزق الرزاق الكريم وهكذا يدعو حاجاته وسؤالاته متوسلا إلى الله بأسمائه وصفاته ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين توسل بالفتاح و انه خير الفاتحين يدعوا ويتوسل الى الله في كل حاجه بما يناسبها من اسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته.

قال : وتوحيده اي لا إله الا الله وهذه وسيله عظيمه جدا- لا إله الا الله وسيله عظيمه -ولهذا تنظر في كثير من الادعيه الماثوره عن النبي صلى الله عليه وسلم تجد فيها هذه الكلمه كلمه التوحيد, اللهم اني اسالك بانك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد ..,, تجد ادعيه كثيره مأثورة عن النبي عليه الصلاه والسلام فيها التوسل إلى الله جل وعلا بالتوحيد,ومن ذلك دعاء سيد الاستغفار وأدعية كثيرة مأثورة عنه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، وقدم بين يدي دعائه صدقة لا أعلم حديثاً خاصاً في هذا لكن هناك عمومات تدل على هذا مثل حديث أن" الصدقة تطفيء غضب الرب"، وأيضاً ما جاء في حديث الولي الحديث المشهور قال عليه الصلاه والسلام قال الله تعالى:" من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل "، والصدقة منها إما واجبة: فتدخل في الاول ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه أو مستحبة: فتدخل في الثاني," ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"، الثمرة ما هي ؟ ثمار من ضمنها إجابة الدعاء قال:" حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها "أي يسدده في قواه وحواسه ولئن سألني لأعطينه ولئن إستعاذ بي لأعيذنه فالتقرب إلى الله بالنوافل, ومنها الصدقة من أسباب إجابة الدعاء ، ليس المعنى المراد هنا أن المرء عندما يريد أن يدعو قبل الدعاء يُخرج صدقة وكل مرة يريد أن يدعو يخرج صدقة وإنما المعنى أن يكون صاحب صدقة بذل فهذه الصدقة وهذا الإحسان وهذا البذل من أسباب إجابة الدعاء قال فإن هذا الدعاء يعني الذي جمع هذه الاوصاف وهذه الضوابط العظيمة فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرّد

أبداً ولا سيما إن صادف الادعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها مظِنّة الاجابة أو أنها متضمنة للاسم الاعظم وذكر رحمه الله تعالى على ذلك أمثلة عديدة .نعم.

قال رحمه الله تعالى : فَمِنْهَا مَا فِي السُّنَنِ (وَفِي) صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَفِي لَفْظٍ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ.»

هذا حديث عظيم وفيه هذه التوسلات العظيمة إلى الله تعالى" بالتوحيد" كما تقدم وبأسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة وهذا من أعظم التوسل إلى الله أعظم ما تتوسل به إلى الله توحيده لا إله إلا الله وأسمائه وصفاته جلا وعلا . وهذا الحديث مشتمل على ذلك سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت هذه وسيلة عظيمة وهي التوسل إلى الله بالتوحيد ، فإذا كان العبد موحداً من أهل لا إله إلا الله حقاً وصدقاً فهذا التوحيد من أسباب إجابة دعائيه بل هو أعظم أسباب إجابة الدعاء الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هذا توسل إلى الله بالأسماء والصفات وبما تضمنته السورة العظيمة المباركة سورة الإخلاص، وفي الحديث المعروف قصة الرجل الذي كان يقرأ بها ويختم بها كل صلاة فلما سئل عن ذلك قال: لأن فيها صفة الرحمن وأنا أحب الرحمن فهي سورة أخلصت لذكر صفة الرحمن سبحانه وتعالى ,فتضمن هذا الدعاء التوسل الى الله بالاسماء وصفات التي تضمنتها هذه السورة العظيمة "سورة الإخلاص"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دعي به أجاب" وفي رواية:" لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب" الحاصل أن هذا الحديث هو حديث ثابت فيه هذا التوسل العظيم لله بأسمائه سبحانه وتعالى وصفاته وأن هذه الدعوة من الدعوات التي ينبغي أن يتحراها المسلم وأن يعتني بها بهذه الالفاظ الثابتة المأثورة في هذا الحديث العظيم ,نعم.

قال رحمه الله تعالى : فِي السُّنَنِ وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.»

أَخْرَجَ الْحَدِيثَيْنِ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ..

وهذا الحديث ايضاً حديث ثابت وفيه هذه التوسلات العظيمة إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في تمامه لقد دعا الله بإسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى فهو كالذي قبله يعني دعاء عظيم فيه توسلات عظيمة لله جلا وعلا في توحيده واسمائه وصفاته وهذا أعظم ما يتوسل به الى الله جل وعلا في الدعاء نعم.

قال رحمه الله تعالى : وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 163] .

وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ {الم - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ،» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

نعم - قال إسم الله الاعظم في هاتين الآيتين:" وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾وفاتحة آل عمران الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾بعض اهل العلم جزم أن اسم الله الاعظم هو الله وهذا الاسم إليه ترجع جميع الاسماء الحسنى ولهذا تجد في القرآن الاسماء تضاف اليه" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ فمن أهل العلم من جزم أن الاسم الاعظم هو الله وهذا ذكره ابن القيم في زاد المعاد رحمه الله: أن اسم الله الاعظم الحي القيوم وهذان القولان في تعين الاسم الاعظم هو أقوى ما قيل في هذا الباب أقوى ما قيل إما أنه اسمه تبارك

وتعالى الله او أنه اسمه الاسمين الحي القيوم وهذه الاسماء جاءت في الاحاديث التي ذكر النبي ﷺ انها فيها اسم الله الاعظم الذي من دعي به أجاب ومن سأل به اعطى ,

ولأهل العلم في التعيين أقوال كثيرة يعني ربما اوصلها بعضهم الى العشرين او اكثر قولاً لكنها كثير منها واهٍ جداً وضعيف لكن أقوى ما قيل اسم الله أو الحي القيوم أو الأعظم لا يختص باسم معين وإنما اسماء الله جل وعلا الحسنى العظيمة او كما قال بعض اهل العلم يكون في الاسماء الجوامع التي لا تدل على معنى مفرد وإنما تدل على معاني كثيرة و معاني عديدة، لكن بغض النظر عن ذلك كله من دعا بهذه الادعية ,بغض النظر عن الخلاف والتعيين لاسمه الاعظم من دعا بهذه الادعية التي قال النبي ﷺ في خاتمتها:" لقد سأل الله باسمه الاعظم" ماذا يكون؟ يكون دعا باسم الله الاعظم قطعاً دعا باسم الله الاعظم إذا جاء بهذا الدعاء وهذه التوسلات باللفظ الذي جاء في هذا الحديث هو قطعاً دعا بإسم الله الأعظم، ولهذا ينبغي على المسلم ان يُعنى بهذه الادعية حفظاً لها ودعاء لله سبحانه وتعالى بها- نعم.

قال رحمه الله تعالى : وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَصَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَرَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» - يَعْنِي: تَعَلَّقُوا بِهَا وَالْزَمُوا وَدَاوِمُوا عَلَيْهَا..

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن نبينا ﷺ وهو حديث ايضاً ثابت أنه ﷺ قال ألظّوا بـ يا ذا الجلال والاكرام، وبيّن ابن القيم رحمه الله تعالى ان المعنى اي تعلقوا بها وإلزموها وداوموا عليها الضمير يعود على الدعوة يعني اعتنوا بهذه الدعوة واظبوا عليها لازموها حافظوا عليها لانها دعوة عظيمة فألظّوا هذه الكلمات تفيد عناية بهذا الدعاء واهتمام به يا ذا الجلال والاكرام وليس المراد أن يقول الداعي يا ذا الجلال والاكرام ويسكت وإنما يجعل هذه وسيله بين حاجته ودعوته وسؤاله ومطلوبه نعم.

قال رحمه الله تعالى: وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الْأَمْرُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» .

هذا الدعاء فيه رجل متروك فهو غير ثابت عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه، أما يا حي يا قيوم فهذه شأنها عظيم في الدعاء كما مر معنا في الدعاء بإسم الله الاعظم الحديث الاول فيه يا حي يا قيوم او الحديث الثاني فيه يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم نعم.

قال رحمه الله تعالى وَفِيهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ

قال: وفيه من حديث أنس ابن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه او كربه امر يعني كرب او شدة- قال: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث" ففيه التوسل الى الله سبحانه وتعالى بهذين الاسمين العظيمين الحي القيوم واليهما ترجع جميع الاسماء والصفات

لان صفات الله:__ إما ذاتية فهي ترجع إلى اسمه الحي

او فعليه فهي ترجع الى اسمه القيوم

فإلى هذين الاسمين ترجع جميع الاسماء الحسنى فهما من الأسماء الجوامع للصفات الكثيرة والعظيمة والنعوت الجليلة لله سبحانه وتعالى، فكان اذا حزبه أو كربه أمر قال:" يا حي يا قيوم برحمتك استغيث" اي اتوسل اليك واستغيث سائلاً وطالباً الغوث والنجاة من الشدة فهي دعوة عظيمة ولا سيما في الشدائد والكربات نعم.

قال رحمه الله تعالى : وَفِي صَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ، قَالَ الْقَاسِمُ: فَالْتَمَسْتُهَا فَإِذَا هِيَ آيَةُ {الْحَيُّ الْقَيُّومُ} » .

نعم وهذا الحديث فيه أن :"اسم الله الاعظم -يقول عليه الصلاه والسلام:" اسم الله الاعظم في ثلاث سور من القرآن آية الكرسي من سورة البقرة واول آل عمران.." الم (1) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

الْحَيُّ الْقَيُّومُ"," وسورة طه" قول الله تعالى" وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ " وهذا الحديث مع بعض الاحاديث منه جزم بعض اهل العلم ان الحي القيوم هو اسم الله الاعظم- نعم.

قال رحمه الله تعالى : وَ فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ وَصَحِيحِ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ " {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 87] إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ.» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

قال رحمه الله تعالى : وَفِي مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ أَمْرٌ مُهِمٌّ، فَدَعَا بِهِ يُفَرِّجُ اللَّهُ عَنْهُ؟ دُعَاءُ ذِي النُّونِ» .

وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يَقُولُ: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ؟ دُعَاءِ يُونُسَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ كَانَ لِيُونُسَ خَاصَّةً؟ فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 88] فَأَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرِئَ بَرِئَ مَغْفُورًا لَهُ» .

أورد رحمه الله هذه الاحاديث الثلاثه واصحها الاول وهو ثابت عن نبينا عليه الصلاه والسلام, حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ،«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ " {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} هذه الدعوة تضمنت ثلاث او اربع وسائل عظيمة لله سبحانه وتعالى يتوسل الى الله بها :-

الوسيلة الاولى: التوحيد (وهو اعظم الوسائل توسل إلى الله سبحانه وتعالى بالتوحيد لا إله إلا أنت ،

والوسيلة الثانية: التنزيه لله جل وعلا عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته،

والوسيلة الثالثة :الاعتراف بالتقصير مُلتجأ الى الله بافتقاره واعترافه بتقصيره

فهذه هي وسائل عظيمة هي من اسباب قبول الدعاء ولهذا تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم :"إنه لم يدعو بها مسلم في شيء قط الا استجاب الله له" فهي وسائل عظيمة يتوسل الى الله بها سبحانه وتعالى وهي من أسباب قبول الدعاء وعدم رده -نعم.

قال رحمه الله تعالى وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ.

» وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» .

نعم هذا الذي ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس هو ذكر عظيم جليل الشأن يستحب أن يقوله المسلم في الكُروبات والشدائد وهو فرج في الشدائد والكروبات فقد كان نبينا عليه الصلاه والسلام يقول عند الكرب يعني عند الشدة لا اله الا الله العظيم الحليم، لا اله الا الله رب العرش العظيم، لا اله الا الله رب السماوات ورب الارض رب العرش الكريم ، وهذا كله توسل الى الله جلا وعلا وتعظيم له وتوحيد وتوسل له جل وعلا باسمائه وصفاته فهو من اعظم تفريج الكروبات والشدائد والضائقات التي تصيب العبد نعم.

قال رحمه الله تعالى » وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ..

نعم هذا في اسناده مقال ويغني عنه الحديث الذي قبله حديث ابن عباس وهو في الصحيحين نعم.

قال رحمه الله تعالى وَفِي مُسْنَدِهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»

هذه دعوه عظيمه تقال عند الهم والغم والامور المؤلمة المحزنة حثنا نبينا عليه الصلاه والسلام على أن نتعلمها ولهذا في خاتمة الحديث لما قيل :ألا نتعلمها قال بل ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها .من الذي قال هذا؟- رسولنا عليه الصلاه والسلام :"ينبغي على من سمعها ان يتعلمها" فهذه دعوات ينبغي على كل من سمعها ان يتعلمها :يعني يحفظ الفاظها ,ويتعلمها: اي يفهم معانيها ومدلولاتها ويجعلها في دعوته فيما يصيبه من هم وكرب وشدة ,فإن فيها كما اخبر نبينا عليه الصلاه والسلام إذهاب للهم والحزن وإبدال له بالفرح والسرور،

وانتظمت هذه الدعوة أمور اربعة فيها الفرج من الهموم والغموم:-

الاول: التوحيد :توحيد الله واخلاص الدين له واعلان العبودية له والذل بين يديه في قوله: عبدك ابن عبدك ابن امتك:،

والامر الثاني: الايمان بالقضاء والقدر .وان الامور كلها بقضاء الله. والايمان بالقضاء والقدر سلوان للمصاب"مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِۗوَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، قال:" ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك" ،

والامر الثالث: معرفة اسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة والتوسل إلى الله بها, قال :"اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ".

الامر الرابع: العناية بالقرآن لانه قال:" ان تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي"، وهنا انبه عندما يدعو الداعي بهذه الدعوة "ان تجعل القران ربيع قلبي" ماذا ينبغي عليه بعد هذا ؟ أيستقيم ان يدعو بهذا الدعاء ثم يهجر القرآن ؟

ولهذا هناك اخطاء في الادعية يترتب عليها عدم وجود اثر الدعاء :-

ومن ذلك ما نبّه عليه اهل العلم انك اذا دعوت بدعوة في امر ما إبذل السبب, فأنت إذا قلت" ان تجعل القرآن ربيع قلبي" افتح المصحف واقرأ وتدبر وتأمل في كلام الله واجعل للقرآن حظاً من وقتك حتى يكون ربيعاً لقلبك ,لن يكون القرآن ربيعاً لقلب المرء وهو في الرف او يوضع في بعض البيوت للزينة او نحو ذلك, لن يكون ربيعاً للقلب عندما يفتح المرء وينظر في الآيات ويقرأ ويتدبر ويفهم يكون حين إذاً ربيع لقلبه، "كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ".

فهذه امور اربعة اجتمعت في الحديث(التوحيد، الايمان بالقضاء والقدر، والتوسل الى الله باسمائه وصفاته، والعناية بالقرآن) هذه الامور الاربعة التي اجتمعت في هذا الدعاء هي سبب الفرج وزوال الهم والغم والكروبات- نعم.

قال رحمه الله تعالى « وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا كَرَبَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِلَّا اسْتَغَاثَ بِالتَّسْبِيحِ.»

هذا الاثر رواه ابن سمعون في أماليه واسناده ضعيف وهو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه قال :"ما كرب نبي من الانبياء الا استغاث بالتسبيح" وقد مر معنا في دعاء ذي النون في الكرب" لا إله الا انت سبحانك إني كنت من الظالمين" فهذا فيه ان التسبيح يؤتى به في الكرب والشدة كما تقدم معنا في دعوة ذا النون اما هذا الاثر فإسناده الى ابن مسعود ضعيف نعم.

قال رحمه الله تعالى « وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْمُجَابِينَ، وَفِي الدُّعَاءِ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - مِنَ الْأَنْصَارِ يُكَنَّى أَبَا مُعَلَّقٍ وَكَانَ تَاجِرًا يَتَّجِرُ بِمَالٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يَضْرِبُ بِهِ فِي الْآفَاقِ، وَكَانَ نَاسِكًا وَرِعًا، فَخَرَجَ مَرَّةً فَلَقِيَهُ لِصٌّ مُقَنَّعٌ فِي السِّلَاحِ، فَقَالَ لَهُ: ضَعْ مَا مَعَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: فَمَا تُرِيدُهُ مِنْ دَمِي؟ شَأْنُكَ بِالْمَالِ، قَالَ: أَمَّا الْمَالُ فَلِي، وَلَسْتُ أُرِيدُ إِلَّا دَمَكَ، قَالَ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَذَرْنِي أُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، قَالَ صَلِّ مَا بَدَا لَكَ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ فِي آخِرِ سُجُودِهِ أَنْ قَالَ: يَا وَدُودُ يَا وَدُودُ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَا فَعَّالًا لِمَا تُرِيدُ، أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَبِمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِيَنِي شَرَّ هَذَا اللِّصِّ، يَا مُغِيثُ أَغِثْنِي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ بِيَدِهِ حَرْبَةٌ قَدْ وَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنَيْ فَرَسِهِ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ اللِّصُّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَدْ أَغَاثَنِي اللَّهُ بِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: أَنَا مَلَكٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الْأَوَّلِ فَسَمِعْتُ لِأَبْوَابِ السَّمَاءِ قَعْقَعَةً، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّانِي، فَسَمِعْتُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ضَجَّةً، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّالِثِ، فَقِيلَ لِي: دُعَاءُ مَكْرُوبٍ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُوَلِّيَنِي قَتْلَهُ، قَالَ الْحَسَنُ: فَمَنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، اسْتُجِيبَ لَهُ، مَكْرُوبًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَكْرُوبٍ..»

نعم لكن هذا لو ثبت لكنه غير ثابت فلا يُعمل بما دل عليه لعدم ثبوته وإسناد هذا الخبر إسناد واهٍ وينظر في الكلام على إسناده السلسلة الضعيفة للشيخ الالباني رحمه الله وغفر له وأسكنه فردوسه الأعلى برقم 5737 وبين اسناد هذا الخبر اسناد واهٍ فهو غير ثابت.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان ينفعنا اجمعين بما علمنا وان يزيدنا علما وتوفيقاً وان يصلح شأننا كله وان لا يكلنا الى انفسنا طرفة عين ، اللهم آتي نفوسنا تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا انت استغفرك وأتوب اليك

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

👇*اضغط على الرابط للاشتراك*🔴

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد , فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه الداء والدواء:

وَكَثِيرًا مَا تَجِدُ أَدْعِيَةً دَعَا بِهَا قَوْمٌ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، فَيَكُونُ قَدِ اقْتَرَنَ بِالدُّعَاءِ ضَرُورَةُ صَاحِبِهِ وَإِقْبَالُهُ عَلَى اللَّهِ، أَوْ حَسَنَةٌ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ شُكْرًا لِحَسَنَتِهِ، أَوْ صَادَفَ وَقْتَ إِجَابَةٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، فَيَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ السِّرَّ فِي لَفْظِ ذَلِكَ الدُّعَاءِ فَيَأْخُذُهُ مُجَرَّدًا عَنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي قَارَنَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاعِي، وَهَذَا كَمَا إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلٌ دَوَاءً نَافِعًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فَانْتَفَعَ بِهِ، فَظَنَّ غَيْرُهُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ هَذَا الدَّوَاءِ بِمُجَرَّدِهِ كَافٍ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، كَانَ غَالِطًا، وَهَذَا مَوْضِعٌ يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين , وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له, وأشهَد أن محمداً عبده ورسوله, صلى الله وسلم عليه, وعلى آله وأصحابه أجمعين..أما بعد,

فهذا الفصل عَقَدَه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في ثنايا كلامه عن الدعاء, أنَّه أعظم الدواء وأنفعه في علاج كل الادواء وجميع الأسقام وأنواع الأمراض, ومرَّ معنا ذِكر الإمام ابن القيّم رحمه الله تعالى, الشروط التي لابُدَّ من رعايتها والعناية بها؛ ليكون الدعاء مستجاباً؛ وليكون للدعاء أثره وعائدته ومنفعته.

وهذا الفصل أراد أن يُنَبِّه به رحمه الله تعالى, أن بعض الناس قد يغترّ ببعض ألفاظ الأدعية, التي هي من إنشاء بعض الناس, في موقف مُعيَّن أو في ضرورة مُعيَّنة, فدعا فاستُجيبَ له, فكثير ما يتوهم الناس في مثل هذا المقام أنَّ هذا السرّ عائدٌ لألفاظ الدعاء.

كثيرا ما يحصل, وفي زماننا هذا كثيرا مايتداول بعض الناس أدعية هي مُتكلَفة في إنشائها, ويذكرون حولها قصة واحدة معينة, إمّا لشخص أنشئ هذا الدعاء, أو أنه دعا به فحصل

مقصودُه, فيتوهم الناس أنَّ هذا السرّ في ألفاظ الدعاء, **لابد أن ننتبه لهذه الفائدة فإنها ثمينة جداً.**

يظن كثير من الناس أن هذا سرٌّ في لفظ الدعاء, سر في لفظ الدعاء, ومثلما قال ابن القيّم رحمه الله: **قد تكون الاجابة التي حصلت لهذا الدعاء؛ لاقتران هذا الدعاء بالضرورة التي قامت بصاحبه الداعي**, والله تعالى يقول: ((أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)) , وقد يكون عائداً الى قوة إقبال الداعي على الله, وصدقه في الالحاح والطلب, قد يكون هناك حسنة أو حسنات تقدم بها, فكانت سبباً لقَبول دعوته ووسيلة لقبول دعوته كعفة عن فاحشة أو برٍّ بالوالدين أو أداء للحقوق أو صنائع معروف قدمها, فتكون رافداً عظيما في قبول دعائه .

فهذا الدعاء الذي يُستجاب, قد يظن كثير من الناس أنه عائد للألفاظ؛ ولهذا في زماننا يتداولون ألفاظاً مُخترعة مُنشَأة, ويقولون فلان بن فلان حصل له كيت وكيت ودعا بهذا الدعاء ف, ويظنّون إن كان حقا مايُشيرون اليه قد حصل قد يكون ذلك عائدا الى ماذا؟ - الى إما ضرورة قامت في الداعي, أو مثلما قال ابن القيم: صدق في الإقبال والإلحاح على الله في الدعاء, أو يكون اقترن بالدعاء أو سبق الدعاء حسنة وحسنات أو صنائع معروف, فكانت رافداً في قبول دعائه, ففي مثل هذه الحالة يظن كثير من الناس أن السرَّ في لفظ الدعاء, فيؤخذ مجردا عن الامور التي اقترن بها.

يضرب ابن القيم مثال هنا للتوضيح, يقول: "**هذا كما إذا استعمل رجل دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي**" , استعمل دواءً نافعا في وقت معين على الوجه الذي ينبغي استعمله استعمالاً صحيحاً, "**فانتفع به فظنَّ غيرُه أن استعمال هذا الدواء بمجرده كافٍ في حصول المطلوب فيكون بذلك غالطاً وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس**".

حقيقة هذه فائدة, فائدة ثمينة جدا ينبغي أن ينتبه لها؛ لإنّ كثيرا ما يتداول بعض الناس في زماننا عبر وسائل التواصل أدعية يقولون جُربت, وأنّ فلان من الناس جربها في كذا فنفعت, ويظنون أن الانتفاع إن كان فعلاً قد حصل يظنون أن السر عائد الى ماذا ؟ الى لفظ الدعاء, وليس الأمر كذلك, بل هناك صور أعظم من ذلك يأتي تنبيه ابن القيم عليها, نعم.

قال رحمه الله: **وَمِنْ هَذَا قَدْ يَتَّفِقُ دُعَاؤُهُ بِاضْطِرَارٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَيُجَابُ، فَيَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّ السِّرَّ لِلْقَبْرِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ السِّرَّ لِلِاضْطِرَارِ وَصِدْقِ اللُّجْأِ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، كَانَ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ إِلَى اللَّهِ.**

هذا تنبيه مثل الذي قبله, يعني التنبيه الذي قبله, يتوهم منه الناس أن هذا السر في الألفاظ, ألفاظ الدعاء, ومثل هذا عندما يدعو رجل عند قبر, ثم تحصل اجابة, قد يتوهم الناس أن السرَّ عائد لدغائه عند القبر, فيتوهمون أن هذا من أسباب إجابة الدعاء , ولا يكون الأمر كذلك. قد يكون وافق أن الرجل في ضرورة , مُلِّح على الله, صادق في إلحاحه على الله سبحانه وتعالى؛ فأجيبت حاجته لذلك , فلا يكون السرُّ في كونه دعا عند القبر, ولهذا كثيرا مايضل كثيرٌ من الناس ويتعلقون بتعلقات باطلة تبنى على ظنون فاسدة وأوهام كاسدة لاصحة لها, بل هناك حالة أعظم من ذلك, من هاتين الحالتين, اللتان ذكرهما ابن القيم رحمه الله تعالى, وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم, والتنبيه عليها في هذا الموطن له أهميته؛ حتى لا يُغتَر, لأنَّ هذه التنبيهات كلها من أجل ماذا ؟ ألا يُغترّ.

<u>الأولى</u> أن لا يغتر بألفاظ يُظنُّ أنها ألفاظ مُجابة, وأنها ألفاظ دعوات مستجابة, ولا يكون الاستجابة التي حصلت في القصة إن صَحَّت عائدة الى الألفاظ, وإنما عائدة الى أشياء أخرى.

أو عند قبر في <u>الحالة الثانية</u>, ولا يكون السرُّ عائدا لكونها عند القبر وإنما لأمور أخرى, من ضرورة أو صدق أو شيء من هذا القبيل.

<u>اسمع ماذا يقول ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم</u>: يقول: **ومن هذا الباب من قد يدعو دعاءا يعتدي فيه؛ إما بطلب ما لا يصلح, أو بالدعاء الذي فيه معصية, فيه معصية الله, شرك أو غيره.**

انتبه.. شرك أو غيره, فإذا حصل بعض غرضه, ظَنَّ أن ذلك دليل على أنّ عَمَلُه صالح , قال ابن تيمية رحمه الله: **وهو -يعني في حقيقة الأمر- في منزلة من أمليّ له وأمدّ بالمال والبنين يظُنُّ أن ذلك مسارعة له في الخيرات.**

الآن عندما يُمد الشخص بالمال والبنين ويَظن أنه مسارعة بالخيرات وهو في الحقيقة استدراج, نستدرجهم من حيث لا يعلمون, وهذا أيضا يغتر لو قُدِّر أنّ شخصاً مثلاً دعى صاحب قبر, وهذا من الشرك الأكبر المُبطل للعمل, لو قدر أنّه دعى صاحب قبر في حاجة ثم حصلت الحاجة, كم يُفتن كثير من الناس في ذلك, فإن كان وجِد من ذلك وصحّ, وكثيرا ما يكون في هذا من الكذب والإفك, خاصة السدنة يكذبون أشياء على العوام ليروجوا عندهم التعلق بالمقبورين ودعائهم من دون الله سبحانه وتعالى, فلو قُدِّر أن شيئاً من ذلك حصل فيكون من قبيل الاستدراج, لا من قبيل صحة الدعاء واستقامة العمل أبداً, لأنه لا يمكن أن يكون العمل مستقيماً وهو شرك بالله سبحانه وتعالى.

فالحاصل أن هذه التنبيهات مهمة؛ حتى لا يحصل اغترار بألفاظ مُعيَّنة أو بأماكن مُعيَّنة أو أحوال وصفات مُعَيَّنة فلا يَغترُّ الإنسان, والخلاصة في هذا الأمر أن المُعَوَّل في الدعاء استقامة وصحة, هو موافقته للمشروع, وضوابط الشريعة, وشروطها وآدابها التي جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ, وما سوى ذلك لا يغتر الانسان به, نعم.

فَصْلٌ شُرُوطُ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ]

وَالْأَدْعِيَةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ، وَالسِّلَاحُ بِضَارِبِهِ، لَا بِحَدِّهِ فَقَطْ. فَمَتَى كَانَ السِّلَاحُ سِلَاحًا تَامًّا لَا آفَةَ بِهِ، وَالسَّاعِدُ سَاعِدُ قَوِيٍّ، وَالْمَانِعُ مَفْقُودٌ؛ حَصَلَتْ بِهِ النِّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ، وَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ تَخَلَّفَ التَّأْثِيرُ، فَإِنْ كَانَ الدُّعَاءُ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ صَالِحٍ، أَوِ الدَّاعِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ كَانَ ثَمَّ مَانِعٌ مِنَ الْإِجَابَةِ، لَمْ يَحْصُلِ الْأَثَرُ.

هذا فصل عظيم, ومهم جداًفي بيان الدعاء, من حيث تحقُق الأثر أو تخلُف الأثر, تحقُق الأثر: تحقُق أثر الدعاء أو تخلُف أثر الدعاء, لأنَّ المَرء قد يدعو لهُ أو لغيرهِ ثمّ يَتخلَّف الأثر, أو يدعو ويتحقق الأثر, ولهذا مثلما سبق أن مَرَّ معنا أنَّ من آداب الدعاء , أن لا يستحسر المرء ويستعجل الإجابة ويقول دعوت ودعوت فلم يُستَجب لي, لكن دائماً, وهذه مستفيدة من هذا الفصل العظيم الذي عقده, دائما يتَفقد المرء نفسه, ويتهم نفسه بالتقصير ويزيد الدعاء, فيزيد الإخلاص ويزيد الإقبال, ويزيد الالحاح على الله سبحانه وتعالى, لا أن ينثني من أول الطريق, بمنزلة من بذر بِذراً ثُّم لما أوشك أن ينتفع به أهمَله وتركه, طال به الأمر فأهمله وتركه, فيقول ابن القيم هنا في هذا الفصل :والادعية والتعوذات بمنزلة السلاح, والسلاح

بضاربه لا بحده, أرأيتم لو أن شخصاً معه سيف وحاد ولكن يده رخوة تماماً ثُمَّ لما يَضرب -هكذا هي رُخوة-, هل يؤثر شيئًا ؟! لأنها رخوة يده, فالسلاح بضاربه لا بحدّه, هذا يقصد به رحمه الله: أنَّ الدعاء في وجود عوائده وآثاره وثمراته, هذا عائد الى قوة الدعاء, والدعاء يكتسب القوة من ماذا ؟ نعم, الدعاء يكتسب القوة من* استيفاء شروطه وضوابطه التي في كتاب الله, وسنتهِ, وسنة نبيّه ﷺ, فكلما ماكان الدعاء مُستوفياً للشروط, كان ذلك أقوى في الدعاءِ وأمكن وأدعى للإجابة, ولهذا نلاحظ في الأحاديث التي تذكر آداب الدعاء أو شروط الدعاء يُذكر فيها يُستجاب لأحدكم مالم كذا , فتذكر الاستجابة مُقيدة بتلك القيود والضوابط.

إذن السلاح بضاربه الدعاء بقوة الداعي في دعائه, مثل السلاح بضاربه أيضا الدعاء بقوة الداعي في دعائه, وقوة الداعي في دعائه, راجعة الى استيفائه لشروط الدعاء وقيوده وضوابطه التي في الكتاب والسنة.

قال: "**فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به**", هنا مكانها تقول: إذا كانت الأدعية أدعية صحيحة, ثابتة مأثورة, "**والساعد ساعد قوي**" والداعي داعي قوي باستيفائه للشروط وأداب الدعاء "**والمانع مفقود**" أي المانع من وجود الأثر مفقود, لأن الآن لو كانت الأرض التي تُضرَب, المكان الذي يُضرب بالسيف, مع قوة الساعد وحدة السيف, حصاة صلبة صماء, وضربها بقوة ساعده وحدة السيف تؤثر فيها, أرض صلبة أو حصاة صلبة صماء يؤثر فيها ما يؤثر فيها, لوجود مانع الذي هو صلابة الموضع, إذن قبول المحل, قبول المحل, يعني سلامة الدعاء في نفسه وقوة الداعي وقبول المحل, فإذا اجتمعت هذه الثلاث حصلت المنفعة, مثلما تحصل النكاية في العدو, ومتى تخلَّفت واحدة من هذه الثلاث تخلف الأثر.

قال: **فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح, أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء**, يعني هذا في ضعف الدعاء وعدم قوَّته, **أو كان ثَمّة مانع من الإجابة لم يحصل الأثر.**

فهذا تنبيه مهم, الفائدة من هذا التنبيه, أن المرء في كُل مرة يتخلف الأثر, لا يلوم إلا نفسه, لا يرجع باللوم إلا لنفسه, يرجع لنفسه بالتقصير, لعلي كذا, لعلي كذا, فيزداد في الالحاح ويعاود السؤال, ويَقبل على الله بصدق, ويخلص في دعائه ويصدق في رجائه مع الله سبحانه وتعالى, نعم.

[: قال رحمه الله تعالى: فصل:وَهَاهُنَا سُؤَالٌ مَشْهُورٌ وَهُوَ:أَنَّ الْمَدْعُوَّ بِهِ إِنْ كَانَ قَدْ قُدِّرَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وُقُوعِهِ، دَعَا بِهِ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَدْعُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قُدِّرَ لَمْ يَقَعْ، سَوَاءٌ سَأَلَهُ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَسْأَلْهُ.]

نعم, وبناءًا على هذا بعض الجهال ومن لا فهم عنده ولا بصيرة قد يقول ما الحاجة للدعاء ؟!, إذا كانت الأمور بقضاء وقدر, والأشياء مقدرة فما الحاجة للدعاء ؟!

يقول هناك سؤال مشهور وهو: أن المدعو به إذا كان قد قُدِّر , لم يكن بد من وقوعه, دعى به العبد أو لم يدعو , وإن لم يكن قد قُدر لم يقع سواء سأل العبد أو لم يسأل, فبعض الناس ربما لجهله وظنه صحة هذا السؤال, لأن هذا السؤال فيه خلل, يظُن صحة هذا السؤال واستقامته, فربّما ترك الدعاء, ربما ترك الدعاء وربما ظن أنه شيء لا حاجة إإليه,أو ربما قال تحصيل حاصل, ففي الإجابة على هذا هناك إجابات مغلوطة عديدة, يُشير إليها ابن القيم ثم يبين رحمه الله الصحيح في هذا الأمر, نعم.

فَظَنَّتْ طَائِفَةٌ صِحَّةَ هَذَا السُّؤَالِ، فَتَرَكَتِ الدُّعَاءَ وَقَالَتْ: لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَهَؤُلَاءِ مَعَ فَرْطِ جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُتَنَاقِضُونَ فَإِنَّ طَرْدَ مَذْهَبِهِمْ يُوجِبُ تَعْطِيلَ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والريُّ قد قُدِّر لك, فلا بد من وقوعها, أكلتَ أو لم تأكل, وإن لم يُقدَّرا لم يَقَعا أكلتَ أو لم تأكل, وإن كان الولد قد قُدِّر لك, فلا بُدَّ منه وَطأْتَ الزوجة والأمةَ أو لم تَطأ, وإن لم يُقدَّر لم يَكُن, فلا حاجة الى التزوج والتسري, وهَلُمَّ جرا.

فَهَلْ يَقُولُ هَذَا عَاقِلٌ أَوْ آدَمِيٌّ؟ بَلِ الْحَيَوَانُ الْبَهِيمُ مَفْطُورٌ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَحَيَاتُهُ، فَالْحَيَوَانَاتُ أَعْقَلُ وَأَفْهَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

هذه طائفة أولى فيما يتعلق بهذه المسألة, ظنَّت أن هذا الكلام صحيح, وهو: أنَّ المَدعوّ به إن كان مُقدَّر فما في حاجة للدعاء, وإن لم يُقدَّر فالدعاء لا فائدة منه إن دعى, إذن لا حاجة للدعاء, وتوقفو عن الدعاء, عطَّلوا الدعاء الذي هو أحبُّ العبادات الى الله, وأعظمُها شأناً, الدعاء هو العبادة, ومرّ معنا أحاديث عظيمة في فضل الدعاء وكرمه على الله وعظيم مكانته, فظنّوا هذا الأمر صحيحاً, فعطّلوا الدعاء, وهذا مدخل من مداخل الشيطان المُهلِكة والعياذ بالله, لكن ابن القيم رحمه الله لمّا ردَّ على هؤلاء ردَّ بردٍّ عظيم وقوي, وهو: أنَّ هؤلاء الذين

يقولون هذا القول, هم في الحقيقة لا يطردونه في كل شيء: لا يطبقونه في كل شيء, ولهذا يقولون دليل فساد المذهب التناقض الذي يكون عليه صاحبه, فابن القيم يقول: هؤلاء هم لا يطردون هذا المذهب في كل شيء, في قضية مهمة قضية الطعام والشراب, لو يقال لهم على نفس فهمهم الفاسد إن كانَ مُقدَّرا أن تَشبَع, تَشبَع, وإن كان مُقدَّرا أن يَحصل لك الريّ يَحصُل, لاتأكل ولا تشرب, اترك الطعام والشراب, هل يفعل؟ , لماذا لا يفعل والدعاء تركه بناءا على نفس الكلام, إذا تحرَّكت مثلما يقول العوام عصافير البطن, بَحَث عن الأكل وأكل بشراهة ولم يُفكر في المذهب ولا كل الأمور هذه, كلها يتركها, هذا التناقض الآن في المذهب, الآن هو نفس التقرير في الأكل يأكل ويشرب, وإذا كان اشتهى الزوجة والأولاد مثلا, يقول: لا لا , لا تتزوج ولا تأخذ, مايحتاج إن كان مُقدرا أن يكون لك أولاد يكون لك أولاد, مايقبل, وفي الدعاء وقَّفه وترك الدعاء وهجره ظناً منه أن , ولهذا فساد هؤلاء يظهر في تناقضهم في تطبيق هذا المذهب أو هذا الرأي الفاسد الذي فهموه, نعم.

وقال ابن القيم الحيوانات أعقل منهم, إذا كانوا فعلاً عطَّلوا الأسباب بهذه الطريقة الحيوانات أعقل منهم, الحيوانات تبذُل السبب, يقول عليه الصلاة والسلام: "لو توكلتم على الله حقَّ توكلِّه لرزقَكُم كما يَرزُق الطير", تبقى في العُشّ؟, قال: "تَغدوا", في الصباح الباكر تتحرك تبحث عن , "تغدوا خماصاً وتروح بِطاناً", شبِعت, وترجع معها أيضا بطعام لصغيرها في عُشِّه, نعم.

قال رحمه الله: وَتَكَايَسَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: الِاشْتِغَالُ بِالدُّعَاءِ مِنْ بَابِ التَّعَبُّدِ الْمَحْضِ يُثِيبُ اللَّهُ عَلَيْهِ الدَّاعِيَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الْمَطْلُوبِ بِوَجْهٍ مَا وَلَا فَرْقَ عِنْدَ هَذَا الْمُتَكَيِّسِ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالْإِمْسَاكِ عَنْهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فِي التَّأْثِيرِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَارْتِبَاطُ الدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ بِهِ كَارْتِبَاطِ السُّكُوتِ وَلَا فَرْقَ.

نعم, وهذا أيضاً مذهب آخر فاسد في هذا الباب, أيضا مُنطَلية عليهم الشبهة المُتقدمة, أو التقرير السابق, فقالوا: نحن ندعو, لا لإنَّ الدعاء له تأثير, يقولون الدعاء ليس له تأثير بناءا على الكلام الذي مرّ, قالوا ندعو فقط تَعبُّدا لله, لا لأنَّ الدعاء له تأثير , الدعاء لا تأثير له أو منفعة, ولا أثر, لكن ندعو تعبُّدا لله, وهذا أيضاً مذهب ظاهر فساده وبُطلانه, نعم.

قَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَكْيَسُ مِنْ هَؤُلَاءِ: بَلِ الدُّعَاءُ عَلَامَةٌ مُجَرَّدَةٌ نَصَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَارَةً عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَمَتَى وُفِّقَ الْعَبْدُ لِلدُّعَاءِ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً لَهُ وَأَمَارَةً عَلَى أَنَّ حَاجَتَهُ قَدِ انْقَضَتْ، وَهَذَا كَمَا إِذَا رَأَيْتَ غَيْمًا أَسْوَدَ بَارِدًا فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُمْطِرُ.

قَالُوا: وَهَكَذَا حُكْمُ الطَّاعَاتِ مَعَ الثَّوَابِ، وَالْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي مَعَ الْعِقَابِ، هِيَ أَمَارَاتٌ مَحْضَةٌ لِوُقُوعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَا أَنَّهَا أَسْبَابٌ لَهُ.

وَهَكَذَا عِنْدَهُمُ الْكَسْرُ مَعَ الِانْكِسَارِ، وَالْحَرْقُ مَعَ الْإِحْرَاقِ، وَالْإِزْهَاقُ مَعَ الْقَتْلِ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ سَبَبًا الْبَتَّةَ، وَلَا ارْتِبَاطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ، إِلَّا مُجَرَّدُ الِاقْتِرَانِ الْعَادِيِّ، لَا التَّأْثِيرِ السَّبَبِيُّ وَخَالَفُوا بِذَلِكَ الْحِسَّ وَالْعَقْلَ، وَالشَّرْعَ وَالْفِطْرَةَ، وَسَائِرَ طَوَائِفِ الْعُقَلَاءِ، بَلْ أَضْحَكُوا عَلَيْهِمُ الْعُقَلَاءَ.

نعم, وهذا القول الثالث, أيضاً قول ظاهر الفساد, يقولون أن الدعاء, والأثر الذي يترتب على الدعاء, وجود الأثر هذا ليس من تأثير الدعاء, ليس وجود الأثر تأثيرٌ سببه وجود الدعاء, ليس هو هذا, وإنما هو الاقتران العادي, فلا ارتباط بين الدعاء والآثار التي تترتب عليه, ومثلما قال ابن القيم: **هذا الذي يقولونه مخالف للحس والعقل والشرع والفِطرة, وسائرِ طوائفِ العقلاء.**

الآن ذكر رحمه الله ثلاث أقوال فيما يتعلق بالمسألة السابقة, كلُّها ظاهرة الفساد, ثُمَّ بيَّن الصواب رحمه الله ذاكرا الشواهد والأدلة عليه, نعم.

قال رحمه الله : وَالصَّوَابُ أَنَّ هَاهُنَا قِسْمًا ثَالِثًا، غَيْرَ مَا ذَكَرَهُ السَّائِلُ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْمَقْدُورَ قُدِّرَ بِأَسْبَابٍ، وَمِنْ أَسْبَابِهِ الدُّعَاءُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ مُجَرَّدًا عَنْ سَبَبِهِ، وَلَكِنْ قُدِّرَ بِسَبَبِهِ، فَمَتَى أَتَى الْعَبْدُ بِالسَّبَبِ، وَقَعَ الْمَقْدُورُ، وَمَتَى لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ انْتَفَى الْمَقْدُورُ، وَهَذَا كَمَا قُدِّرَ الشِّبَعُ وَالرِّيُّ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَقُدِّرَ الْوَلَدُ بِالْوَطْءِ، وَقُدِّرَ حُصُولُ الزَّرْعِ بِالْبَذْرِ، وَقُدِّرَ خُرُوجُ نَفْسِ الْحَيَوَانِ بِذَبْحِهِ، وَكَذَلِكَ قُدِّرَ دُخُولُ الْجَنَّةِ بِالْأَعْمَالِ، وَدُخُولُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ

نعم, والدعاء وتحقق الأمور أو المطالب أو المصالح أو المقاصد بالدعاء, فهذا مُقدَّر وهذا مُقدَّر, الدعاء نفسه مُقدَّر, والآثار التي تترب عليه هي أيضاً مُقدَّرة .

يقول: والصواب أن ها هنا قسمًا ثالثًا غير ماذكره السائل, السائل مرَّ علينا كلامه في السؤال, وهو: إن كان مُقدّراً فلا حاجة إليه, وإن كان غير مُقدّر فلا مَنفَعة فيه, لكن يقول هناك قسم ثالث غير ما ذكره السائل, وهو أن هذا المُقدّر قُدِّر بأسباب ومن أسبابه الدعاء, ومرَّ مَعنا لا يَرُدُّ القَدَر إلا الدعاء, والدعاء من القدر, ولهذا ردّ القدر بالدعاء هو من ردّ القدَر بالقدَر, نردُّ القَدر بالقَدر, فالانسان إذا داهمه مُصاب أو كانت هناك مخاوف, أو انعقدت أسباب مصيبة معيّنة, أو بلاء معيّن, ما يستسلم ويقول هذا مُقدّر ويقف بل يردُّ القدر بالدعاء, يدعو ويلح على الله سبحانه وتعالى حتى تنجلي عنه الغمة وتنكشف, ويزول الخوف, فالدعاء نفسه من القدر, نعم.

قال: وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الْحَقُّ، وَهَذَا الّذِي حُرِمَهُ السَّائِلُ وَلَمْ يُوَفَّقْ لَهُ.

إذا السؤال نفسه خطأ, السؤال نفسه المتقدم الذي انبنت عليه تلك الفهوم الفاسدة, السؤال في نفسه خطأ, لأنَّ مثلما قال هناك قسم آخر في المسألة ماتنبه له هؤلاء, وهو أن هذا المُقدَّر بأسباب ومن أسبابه الدعاء, والدعاء نفس أيضاً من جملة القدر, نعم.

الدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ

وَحِينَئِذٍ فَالدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ، فَإِذَا قُدِّرَ وُقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ، كَمَا لَا يُقَالُ: لَا فَائِدَةَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنْفَعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.

عُمَرُ يَسْتَنْصِرُ بِالدُّعَاءِ

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - أَعْلَمَ الْأُمَّةِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَفْقَهَهُمْ فِي دِينِهِ، كَانُوا أَقْوَمَ بِهَذَا السَّبَبِ وَشُرُوطِهِ وَآدَابِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَكَانَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَكَانَ أَعْظَمَ جُنْدَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: لَسْتُمْ تُنْصَرُونَ بِكَثْرَةٍ، وَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُمُ الدُّعَاءَ، فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ،

وَأَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَنَظَمَهُ فَقَالَ:

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ ... مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ مَا عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَا

نعم, يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم هُم أفقه الأمة وأعلم الأمة, كانوا أقوم الناس بهذا السبب الذي هو الدعاء, وأقومهم بآدابه وشروطه وضوابطه, والبلاء إنما جاء فيمن بعدهم, والبِدع إنما جاءت فيمن بعدهم, قد عافاهم الله وسلَّمهم وكانوا خير أمة محمد عليه الصلاة والسلام, فكانوا أقوم الناس بالدعاء, وأحرصهم عليه, وألزمهم للسنة والاتباع وتَقيُّدَهم بالهدَي, هَدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام, والتزامهم بالشروط ولهذا ترى أسئلتهم العظيمة في الدعاء للنبي ﷺ تفقيهاً لأنفسهم وللأمة رضي الله عنهم وأرضاهم, وذكر أمثلة من ما يتعلق بسيرة عمر, قال: " كان يستنصر به على عدوه, وكان أعظم جنده", والدعاء سلاح ويستنصر به على الأعداء, ولهذا تجد في القرآن وفي سنة النبي ﷺ أدعية كلها استنصار على العدوّ بالدعاء, وكم يحتاج الناس في هذا الزمان أن يُلحّوا على الله سبحانه وتعالى أن ينصرهم على عدوهم, وأن يجعل كيد عدوهم في نحره, كان عليه الصلاة والسلام إذا خاف عدواً قال: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم, ونعوذ بك من شرورهم", هذا استنصار بالدعاء, وقد قال عليه الصلاة والسلام إنما تنصرون وتُرزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم, الدعاء ضرورة وسبب عظيم, وسلاح متين, ينبغي, سلاح لايَخبو كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله سلاح عظيم جداً, ينبغي على المسلمين أن يفزعوا الى الله ولاسيَّما في هذا الزمان الذي تسلَّط فيه الأعداء, وكثرت فيه شرورهم, أن يفزعوا الى الله سبحانه وتعالى أن يرد كيد الأعداء في نحورهم, وأن ينصر المستضعفين من المسلمين في كل مكان, وأن ينصر من نصر دين الله سبحانه وتعالى, هذا استنصار بالدعاء, قال: كان عمر يستنصر به على عدوه وكان أعظم جنده, وكان يقول للصحابة: " لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء" أي بالدعاء, من السماء:اي بالدعاء بالفزع إلى الله واللجوء إليه سبحانه وتعالى, وكان رضي الله عنه يقول: "إني لا أحمل هم الإجابة, ولكن هم الدعاء, فإذا ألهمت الدعاء فإن الأجابة معه"؛ لأنَّ الله يقول:" ادعوني استجب لكم", نعم.

فَمَنْ أُلْهِمَ الدُّعَاءَ فَقَدْ أُرِيدَ بِهِ الْإِجَابَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [سُورَةُ غَافِرٍ: 60] وَقَالَ: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ» .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِضَاءَهُ فِي سُؤَالِهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِذَا رَضِيَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَكُلُّ خَيْرٍ فِي رِضَاهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ فِي غَضَبِهِ.

يقول رحمة الله عليه: من ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة, ولهذا من النعم العظيمة والمنن الجسيمة التي يوفق الله لها عبده أن يوفقه للدعاء, وإذا وجد المرء في نفسه إقبالًا على الدعاء, فهذا من أمارات الخير, ودلائل التوفيق, إذا رآى نفسه منشرحة ومقبلة على الدعاء, وكلما مر عليه وقت أقبل على الله وأخذ يُلح ويدعو, وهو حسن الظن بالله, عظيم الألحاح على الله, صادقاً في دعائه والتجائه الى الله, مُعتنيا بشروط الدعاء وآدابه وضوابطه, هذا من علامات الخير ودلائله, إذا وفِّق العبد, وإذا حُرِم الدعاء حُرِم الخير.

قال أحدُ السلف: (تأملتُ في جِماعِ الخير, فإذا الخير كثير, الصلاة خير, والصيام خير, وإذا كل ذلك بيد الله, ولا نقدِر على شيء مما في يده إلا أن نسأله, فأدركت أنَّ جماع الخير الدعاء), فالدعاء جماع الخير, وهو مفتاح كل خير, فإذا حُرِم المرء الدعاء حُرِم الخير, وإذا وفقَّ وشُرِح صدره للدعاء فهذا من أمارات الخير ودلائل التوفيق, والله سبحانه وتعالى يحب الدعاء, ويرضى عن الداعين, وفي هذا الحديث وقد تقدم معنا "من لم يسأل الله يغضب عليه" يقول ابن القيم: هذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته, وإذا رضي الله تبارك وتعالى فكل خير في رضاه, كما أنَّ كل بلاء ومصيبة في غضبه, كل بلاء ومصيبة في غضبه ومن لم يسأل الله, ماذا؟ يغضب عليه, إذا ينبغي على العبد أن لا يهجر الدعاء, ولا يليق بالعبد أن يهجر الدعاء, بل الجدير بالمسلم أن يكون قريبا من الدعاء في كل وقت, يُقبل على الله ويدعو(يارب يارب) يُلح على الله سبحانه وتعالى, نعم.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ أَثَرًا [«أَنَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهًى وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ»] ...

نعم .. يعني هذا من أخبار بني إسرائيل ويغني عنه ما سبق من الأدلة والآيات والأحاديث التي قدم الإمام رحمه الله ذكرها ..

__قال رحمه الله: وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ - عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنِحَلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَالْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ، وَاسْتُدْفِعَتْ نِقْمَتُهُ، بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ.

.. نعم : يعني الأسباب الصالحة لنيل الخير في عبادة الحق أو الإحسان إلى الخلق .. هذه لها أثرها على العبد بل آثارها العظيمة وعوائدها الكريمة عليه في الدنيا والآخرة .. مثل ما قال الله سبحانه وتعالى(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةًۖوَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فالعبد كل ماكان أعظم تقربا إلى الله وطلبا لمرضاته وعناية بالبر والإحسان إلى الخلق مان ذلك من أعظم الأسباب الجالبة للخير له .. من أعظم الأسباب الجالبة للخير له .. فالإيمان والعمل الصالح يثمران كل خير قي الدنيا والآخرة بل إن كل خير في الدنيا والآخرة هو ثمرة من ثمرات الإيمان .. وكل شيء يدفع عن العبد ويوقى من العبد هو من ثمار الإيمان العمل الصالح .. فكل ماكان العبد أعظم عناية للأسباب النافعة كان ذلك سببا لجلب الخيرات ودفع الشرور .. فما إستجلبت نعم الله ولا إستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه .. ثم ذكر رحمه الله تعالى كلاما نافعا موسعا مفيدا في ترتب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة على ما يكون من العبد .. فالأعمال الصالحة والطاعات الزاكية يترتب عليها كل خير والأعمال السيئة والشر والفساد يترتب عليه أيضاً مثل ما قال الله عزوجل (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى).. وقال جل وعلا ((هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ)).. وقال جل وعلا (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى) .. والآيات في هذا المعنى كثيرة .. وهذا مبحث نافع ومفيد وذكر رحمه الله تعالى على أمثلة كثيرة جدا .. ويؤجل الكلام عليه بإذن الله سبحانه وتعالى إلى اللقاء القادم .. نسأل الله أن ينفعنا أجمعين وأن يوفقنا لكل خير بمنه وكرمه ..

ـــجزاكم الله خيرا وبارك فيكم وألهمكم الله الصواب ووفقكم للحق .. نفع الله ما سمعنا وغفر لنا ولكم وللمسلمين أجمعين .. آمين

س ــ يقول السائل :أحسن الله إليك .. **هل ثبت أن يوم الأربعاء ما بين الظهر والعصر وقت من اوقات إجابة الدعاء** ؟ ..

ورد في هذا الباب الحديث عن جابر رضي الله عنه وهو مخرج في الادب المفرد للإمام البخاري وفي عدد من المصادر وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الأحزاب دعى يوم الاثنين ثم دعى يوم الثلاثاء ثم دعى يوم الأربعاء ..فاستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر .. والحديث الصحيح غير ثابت عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه .. وعلى فرض ثبوته لا يفيد تخصيص ذلك الوقت فضلا عن تخصيص مكان معين

يتحرى فيه الدعاء .. **وإنما يستفاد منه إن صح** فائدة عظيمة هي متقررة وهي **مداومة الدعاء** .. مداومة الدعاء **والإلحاح وأن الإنسان لا يتوقف** .. فالنبي صلى الله عليه وسلم بناءا على هذا الحديث إن ثبت دعا الاثنين ثم دعا الثلاثاء ثم إستجيب له قي الأربعاء .. فبعض الناس يأتي ويقصد الأربعاء نفسه فلا يكون حتى وإن صح الحديث لا يكون طبق الحديث .. لأن النبي ما خص عليه الصلاة والسلام الأربعاء وإنما دعى الاثنين ثم دعى الثلاثاء ثم دعى الاربعاء فاستجيب له في الأربعاء .. فالفائدة التي تستفاد منه إن صح هي الإلحاح "ادعوا ربكم تضرعا " ويكثر من الدعاء ويلح على الله سبحانه وتعالى فيه .. وما جاء في الحديث أن جابرا قال : **لم تعرض لي حاجة إلا تحريت ذلك الوقت** .. هذا غير ثابت على الصحيح ..غير ثابت عنه رضي الله عنه ... نعم

س ــ **يقول ظلمني أحد الموظفين في البلدية ومزق أوراقي وقد كنت أعطيتها له .. فإعتراني شعور بالظلم فدعوت الله عليه أن يمزقه كما مزق أوراقي ..فمات بعد سنتين أو ثلاث في حادث مروري مزقت فيه جثته بحيث لم يستطيع أن يغسل أو يكفن ..بل وضعوه في كيس بلاستيكي مخصص لذلك .. هل علي إثم أو هل علي شيء فيما دعوت عليه** ؟

العقوبة حتى في دعاء الشخص على من ظلمه لا يتجاوز فيها حد المظلمة .. وهذا يخطي فيه كثير من الناس .. يعني بعض الناس يظلم في قضية ما معينة وفي مصلحة من المصالح الدنيوية فيدعوا على من ظلمه بأن يجعله من أهل النار مخلدا فيها .. هذا ظلم ..أو يدعوا عليه بأشياء أعظم من الذنب .. الله يقول(وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) وفي سورة الشورى قال جل وعلا (: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ })..

اخد العلماء من هذه الآية أن **المراتب ثلاثة**: .. **المراتب** في هذا الباب **ثلاثة** :-

الأولى: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا".. وهذا عدل .." وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ"

المرتبة الثانية: العفو: وهذا أكمل .. "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ"..

والمرتبة الثالثة: الظلم .." إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ".. ففي مثل هذه الأمور يأتي السؤال الآن .. **إذا مزق الموظف ورقة الإنسان .. هل تمزيق الورقة يستحق به عقوبة شرعية أن يؤتى به ويمزق بدنه..هل يستحق**؟ .. هو لا يستحق ذلك لتمزيق الورقة .. نعم هناك عقوبات أخرى يكون مستحقا لها ..لكن إتفاقا ليس مستحقا أن يمزق بدنه .. إذا لا يصح ان يدعى عليه بذلك ... وقد يكون هذا الأمر منية ذلك الرجل ولا علاقة لها بدعوة هذا الداعي أو يكون دعا عليه بأمر لا يستحقه .. لا يستحق أن يدعي عليه في مثل ذلك بمثل هذا الدعاء .." وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا.."

وأين التسرع في مثل هذا الدعاء..؟مما وقفت **عليه في ترجمة عون بن عبد الله** في" سيرة أعلام النبلاء" وهي فائدة ثمينة أدعوا الجميع إلى تقييدها إما في الذهن أو كتابة .. ذكروا في ترجمته **كانوا إذا إشتد غضبه من شخص قال : بارك الله فيك** .. مرة رويتها في أحد المجالس قال :"هذا وهو مرتاح ماهو غضبان .. بماذا يدعوا ..إذا كان في شدة الغضب بارك الله فيك ؟ فكيف وهو مرتاح ؟ .. **فالحاصل** إلى أن الانسان ما ينبغي أن يتسرع وهذا من الاستعجال في الدعاء ... نعم

س_ يقول: جزاك الله خيرا .. هل من أكثر من الدعاء فقط في طلب الأمور والمصالح الدنيوية .. هل عليه شيء ؟

الله جل وعلا قال في سورة البقرة عقب ذكر أحكام الحج : (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) وهذه الدعوة صح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه **أنها كانت أكثر دعوات النبي** صلوات الله وسلامه عليه,فلا ينبغي للإنسان أن يقصر دعائه على الأمور الدنيوية فقط, فهو إلى أمور الآخرة احوج وضرورته إلى الآخرة أحوج .. قد يدعوا بحاجات في الدنيا وهو غدا سيغادر الدنيا ويلقى الله سبحانه وتعالى ويلقى اليوم الآخر و ما فيه .. فحاجته إلى السؤال بما يتعلق باليوم الآخر أعظم وضرورته إليه ألزم وأشد ... نعم

س_ أحسن الله إليك ..يقول: لماذا إشتد خوف السلف من هذه الآية " وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ "

هذا من عظم إيمانهم رضي الله عنهم .. لأنه كلما عظم الايمان عظم الخوف .. ومثل ماقال الحسن رضي الله عنه : إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة .. فمثل هذا الآية توجب الخوف .. وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ.. فيخاف الانسان يخاف أن يرد .. "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ."." وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ". مثل هذه الدعوات تحرك في القلب ولا شك خوفا عظيما وهذا من كمان ايمانهم .. يقول الحسن : المؤمن جمع بين إحسان ومخافة والمنافق جمع بين إساءة وأمن .. قد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة المؤمنين الكمل ..قال جل وعلا (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ).

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ... اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

👇*اضغط على الرابط للاشتراك*🔴
https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الخامس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد، يقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه " الداء والدواء"

وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُصُولَ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحُصُولَ السُّرُورِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ، تُرَتُّبَ الْجَزَاءِ عَلَى الشَّرْطِ، وَالْمَعْلُولِ عَلَى الْعِلَّةِ، وَالْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ، وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مَوْضِعٍ.

فَتَارَةً يُرَتِّبُ الجزاء على الحكم الْكَوْنِيَّ, وَالْأَمْرَ الشَّرْعِيَّ عَلَى الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 166] .

وَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: 55] .

وَقَوْلِهِ: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نكالا} [الْمَائِدَةِ: 83] .

وَقَوْلِهِ: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الْأَحْزَابِ: 35] .

وهذا كثيرا جدا .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.

فهذا الذي ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى وأشار إلى كثرته في القرآن الكريم وأن مواطن وروده في القرآن يزيد على الألف موضعاً وذكر نحو هذا أيضاً في كتابه مفتاح دار السعادة , مبني على ما سبق مما يتعلق بالدعاء , وأن العناية بالدعاء هو من دفع القدر بالقدر , لأن الدعاء سببٌ يبذله العبد وإذا وُفق العبد للدعاء فهو من قدر الله وهو أيضاً من توفيق الله سبحانه وتعالى .

ومر معنا في الحديث قول نبينا ﷺ (لا يرد القدر إلا الدعاء) والدعاء من القدر ونحو هذا ما جاء في الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام (أرأيتَ يا رسول الله دواءاً نتداوى به أو رقية نسترقيها أيرد ذلك من قدر الله شيء قال هي من قدر الله) .

وعمر رضي الله عنه في قصة رجوعه عن البلد الذي أصيب بالوَباء بعد مشورة مع الصحابة ثم عزم على الرجوع فقال له أبو عبيدة أتفرُّ من قدر الله ؟ قال له: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ثم ضرب مثالاً عجيباً قال لو جئت إلى وادياً فيها عدوتان جهتان ناحيتان إحداهما فيها مرعى والأخرى لا مرعى فيها إن رعيت إبلك في العدوة التي فيها مرعى فهذا بقدر وإن رعيتها في الذي لا مرعى فيه فهذا بقدر , يقصد أن: الإنسان إن جاء إلى مثل هذا الموطن سيذهب إلى الذي فيه المرعى ما يقول الأمور بقدر ويذهب إلى المكان الذي لا مرعى فيه بل يبذل السبب, والسبب إذا وفق له العبد فهو من قدر الله سبحانه وتعالى.

فهو يريد أن يؤكد رحمه الله تعالى على عِظَم شأن الدعاء وعِظَم عوائده على العبد وفوائده في الدنيا والآخرة وأنَّ ما أشار إليه رحمه الله تعالى من قول أو من ذلك السؤال إذا كان الدعاء أو الأمر الذي ندعو به مقدَّراً فما الحاجة إلى الدعاء ؟, وبيَّنَ رحمة الله عليه أنَّ السؤال في أصله فاسد , لأنَّ الدعاء سبب مأمور به وهو من قدر الله سبحانه وتعالى .

ومن المعلوم أنَّ الأمور المقدَّرة على العبد من وقوع بلاء أو عدم وقوعه , من حصول شِدَّةٍ أو عدم حصولها إلى غير ذلك أمرٌ مُغيَّب عن العبد لا يدري , لكن العبد مأمور ببذل الأسباب التي تكون بها العافية والسلامة , ومطلوبٌ منه أيضاً أن يحرص على الدعاء الذي في المحافظة عليه العافية والسلامة , بل أُمِرَ أن يواظب على الدعاء وأن يُلِحَّ في الدعاء وأن يُكثِرِ وأن لا يقنط من رحمة الله سبحانه وتعالى .

فذكر رحمه الله هنا: أنه قد رَتَّبَ الله سبحانه حُصول الخَيرات في الدنيا والآخرة وحُصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال, ترتيب الجزاء على الشر , وترتيب المعلول على العِلَّة , والعلة: هي الموجبة للحكم ,والمعلول: هو الحكم هو الذي أوجبته العلة , والمُسَبَّب على سَبَبِهِ , فكما أنَّ هذه مُرَتَّبة بعضها على بعض فكذلك الجَزاء ثواباً أو عقاباً مُرتب على العمل .

وترتيب حصول الخيرات في الدنيا والآخرة يعني: ثواباً أو عقاباً وأيضاً حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة أي في باب الثواب والعقاب -الدنيوي والأخروي- كله في كتاب الله مرتب على الأعمال قال : وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع هنا هذه الكلمة

ذكرها وذكر نحوها في كتاب" **مفتاح دار السعادة**" عندما تقف على مثل هذه الكلمة لعالم مثل ابن القيم رحمة الله عليه تدرك العناية العظيمة منه بكتاب الله , حتى لما ذكر هذه العبارة في كتابه مفتاح دار السعادة قال : لو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مئة موضع أو مئتين لسقناها ,ولكنه يزيد على ألف موضع بطرقٍ متنوعة ، وذِكر هذا الرقم مبني على عنايةٍ منه بتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى وهذا يفتح لطالب العلم نافذة في هذا التحصيل العظيم بالتدبر , التدبر لكتاب الله سبحانه وتعالى { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ}.

ثم ذكر هنا رحمه الله: أنَّ هذا جاء على أنواعٍ- يعني بطرق متنوعة- وذكر أمثلة ,والنوع :هو ما يدخل تحته أفراد عديدة من الأمثلة فذكر أنواع . النوع الأول ذكره رحمه الله بترتب الجزاء على الحُكم , والحُكم:- حُكم كوني و قدري و حُكم أمري شرعي , ترتبه عليه على الوصف المناسب له يعني بحسب الوصف المناسب له ، وذكر أمثلة على ذلك { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ } الانتقام هو الجزاء وهو مترتب على ماذا ؟ على ما ذكره الله عنهم بقوله { آسَفُونَا } ومعنى آسفونا: أي أغضبونا والأسف شدة الغضب,

{ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ} هذا في العقوبات . في باب الثواب { إنَّ المُسلمين والمُسلمات } ثم ذكر أوصافاً عديدة لهم خَتَمها بقوله { أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفرَةً وَأجراً عَظيماً } وهذا في القرآن كثير .نعم .

وَتَارَةً يُرَتِّبُهُ عَلَيْهِ بِصِيغَةِ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: 29]

وَقَوْلِهِ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التَّوْبَةِ: 11] .

وَقَوْلِهِ: {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [سُورَةُ الْجِنِّ: 16] .

هذا نوع آخر من هذا الباب تارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ } هذا الشرط { يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } هذا هو الجزاء, { فَإِنْ تَابُوا } هذا هو الشرط { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخوانكم في الدِّين } هذا هو الجزاء . فإخوانكم في الدين أي إن حصل منهم ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

ومثلها { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ }

{ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا } هذا الشرط { لَأَسْقَيْنَاهُمْ } هذا الجزاء . {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } (والآية التي بعدها) " وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا) .

وَتَارَةً يَأْتِي بِلَامِ التَّعْلِيلِ كَقَوْلِهِ: {لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [سُورَةُ ص: 29] .

وَقَوْلِهِ: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 143] .

نعم تارة يأتي بلام التعليل فقوله عز وجل { لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } اللام هنا لام التعليل أي إنما أنزل القرآن لأجل ذلك ذلك { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } وكذلك قوله { وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شهيدا } اللام هنا لام التعليل -نعم .

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ كَيِ الَّتِي لِلتَّعْلِيلِ كَقَوْلِهِ: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [سُورَةُ الْحَشْرِ: 77] .

وَتَارَةً يَأْتِي بِبَاءِ السَّبَبِيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 182] .

وَقَوْلِهِ: {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 105] .

وَقَوْلِهِ: {بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} ، وَقَوْلِهِ: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 112] .

نعم الباء هنا يعني: هي سبب إن كان عقوبة ما ذكر في السياق فهي السبب لتلك العقوبة وإن كان ثوابا فهو سبب لذلك الثواب { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} الباء هنا سببية أي بسبب أعمالكم .

وَتَارَةً يَأْتِي بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ ظَاهِرًا أَوْ مَحْذُوفًا، كَقَوْلِهِ: {فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 282] .

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: {أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: 172]

وَقَوْلِهِ: {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 156] ، أَيْ: كَرَاهَةَ أَنْ تَقُولُوا.

نعم تارة يأتي بالمفعول لأجله ظاهرا أو محذوفاً كقوله { فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ } المصدر المؤول هنا "أن تضلَّ" في محل نصب مفعول لأجله .

وَتَارَةً يَأْتِي بِفَاءِ السَّبَبِيَّةِ كَقَوْلِهِ: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [سُورَةُ الشَّمْسِ: 14] .

وَقَوْلِهِ: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} [سُورَةُ الْحَاقَّةِ: 10] .

وَقَوْلِهِ: {فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} الْمُؤْمِنُونَ: 48] .

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ [لَمَّا] الدَّالَّةِ عَلَى الْجَزَاءِ، كَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: 55].

وَنَظَائِرِهِ.

فاء السببية هنا في الآية الأولى { فدمدم } الفاء في (فدمدم) هذه فاء السببية وفي الثانية

(فأخذهم) وفي الثالثة (فكانوا من المُهلكين) وتارة يأتي بفاء السَّببية ، فاء السببية هي يؤتى بها لترتب السبب على مُسَبَبه .

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ [لَمَّا] الدَّالَّةِ عَلَى الْجَزَاءِ، كَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: 55].

وَنَظَائِرِهِ.

وَتَارَةً يَأْتِي بِإِنَّ وَمَا عَمِلَتْ فِيهِ، كَقَوْلِهِ: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: 90] .

وَقَوْلِهِ فِي ضَوْءِ هَؤُلَاءِ: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 77] .

نعم يعني الأولون -مسارعتهم في الخيرات- هي سبب فوزهم بنعيم الله سبحانه وتعالى ورضوانه, والآخرون لما كانوا قَوم سَوء استحقوا هذه العقوبة عقوبة الله سبحانه وتعالى لأنهم قوم سوء .

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ " لَوْلَا "، الدَّالَّةِ عَلَى ارْتِبَاطِ مَا قَبْلَهَا بِمَا بَعْدَهَا، كَقَوْلِهِ: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ - لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: 143 - 144] .

نعم يعني أن التسبيح نجاة للعبد { وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ } نعم.

وَتَارَةً يَأْتِي " بِلَوِ " الدَّالَّةِ عَلَى الشَّرْطِ كَقَوْلِهِ: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 66] .

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ صَرِيحٌ فِي تَرَتُّبِ الْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْأَحْكَامِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْأَمْرِيَّةِ عَلَى الْأَسْبَابِ، بَلْ تَرْتِيبِ أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَصَالِحِهِمَا وَمَفَاسِدِهِمَا عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْأَعْمَالِ.

وَمَنْ تَفَقَّهَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَأَمَّلَهَا حَقَّ التَّأَمُّلِ انْتَفَعَ بِهَا غَايَةَ النَّفْعِ، ومن يَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ جَهْلًا مِنْهُ، وَعَجْزًا وَتَفْرِيطًا وَإِضَاعَةً، فَيَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَجْزًا، وَعَجْزُهُ تَوَكُّلًا،

يعني هذه المسألة يؤكد رحمة الله عليه على أهمية أن يفقهها العبد , وأن يُعنى بها وأشار رحمه الله أن ورود شواهدها في القرآن يزيد على الألف , وهذا كله بالتأمل والتدبر يُعين العبد على البَذل للأسباب النافعة التي مآلاتها على العبد في الدنيا حميدة في الدنيا والآخرة , وفي الوقت نفسه أن يحذر العبد أشد الحذر من الأسباب الضارة والأعمال الضارة التي يترتب على وقوع العبد فيها الشر والمآلات السيئة في الدنيا والآخرة فإذا فقه العبد ذلك وأحسن فهمه أعانه على بذل السبب النافع والبعد عن السبب السيء .

قال ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً وإضاعة بل هذه الآيات الكثيرة التي أمثلتها تزيد على الألف تدفع العبد إلى أن يجتهد في فعل الأسباب وبذلها فيما يحقق له المصلحة والمنفعة في أمور دينه ودنياه. يبذل الأسباب ولا يتكل على القدر لأنه إذا اتكل على القدر يكون توكله عجزاً وتواكلاً إذا اتكل على القدر وعَطّل الأسباب يكون حينئذ توكله عجزاً وتواكلاً, وعجزه

توكلاً, يقول ابن القيم وعجزه توكلاً يعني عندما يترك الأعمال النافعة عجزاً وكسلاً يقول في نفسه ماذا ؟ أنه متوكل! فيصف عجزه بأنه توكلاً وليس الأمر كذلك ، التوكل مربوط في النصوص بِفعل الأسباب وبذلها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) , ثم بين عليه الصلاة والسلام أن الطير لا تبقى في عُشِّها, بل تبذل السبب تغدو في الصباح الباكر تبحث عن عَيشها وطعامها وغذائها تغدو خِماصاً أي جائعة بحاجة إلى الطعام وتروح يعني في المساء بطاناً شَبِعة ، بذلت السبب لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير فهذا الحديث نفسه فيه دلالة على بذل السبب وأن التوكل مرتبط بفعل الأسباب.

قال رحمه الله: بَلِ الْفَقِيهُ كُلَّ الْفِقْهِ الَّذِي يَرُدُّ الْقَدَرَ بِالْقَدَرِ، وَيَدْفَعُ الْقَدَرَ بِالْقَدَرِ، وَيُعَارِضُ الْقَدَرَ بِالْقَدَرِ، بَلْ لَا يُمْكِنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَعِيشَ إِلَّا بِذَلِكَ. فَإِنَّ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ وَالْبَرْدَ وَأَنْوَاعَ الْمَخَاوِفِ وَالْمَحَاذِيرِ هِيَ مِنَ الْقَدَرِ.

وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ سَاعُونَ فِي دَفْعِ هَذَا الْقَدَرِ بِالْقَدَرِ، وَهَكَذَا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ يَدْفَعُ قَدَرَ الْعُقُوبَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ بِقَدَرِ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. فَهَذَا وِزَانُ الْقَدَرِ الْمُخَوِّفِ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُضَادُّهُ سَوَاءٌ. فَرَبُّ الدَّارَيْنِ وَاحِدٌ وَحِكْمَتُهُ وَاحِدَةٌ لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُبْطِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا. فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ الْمَسَائِلِ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا، وَرَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

هذه مثل ما وصف- مسألة شريفة وعظيمة للغاية ونافعة للمسلم غاية النفع -, وجدير بكل مسلم أن يتأمل لأن هذا من أعظم الفقه والفهم , ولهذا صَدّرها بقول الفقيه كل الفقيه, هذا من أعظم الفقه ومن أعظم الفهم, لدين الله سبحانه وتعالى أن يرد المرء القدر بالقدر ويدفع القدر بالقدر , ويعارض القدر بالقدر ثم وضّح مثالاً يكاد الأمر فيه يكون متفق عليه- في هذه المسألة -, قال لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر , والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر , الجائع والعطشان والبردان ما يبقى في مكانه يقول: مقدر علي هذا الجوع ولا آكل لأن هذا مقدر علي , بل تجده يبحث عن الطعام ليس فقط يبحث عن الطعام يبحث عن الأجود والأشهى والأحسن والألذ ويختار هذا ويترك هذا , هنا في مثل هذا الموطن بذل السبب يشتغل بشكل جيد , يعني يختار لما يأت إلى مسألة الصلاة والعبادة وما تكون به النجاة في الدار الآخرة يتعللون بهذه المسألة, وعرفنا فيما سبق أن من دلائل فساد المذهب تناقض صاحبه وعدم طرد مذهبه في كل الأمور .

يقول -لما ضرب هذا المثال انتبه هذا كلام عظيم جداً -لما ضرب هذا المثال قال : ومن وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والعمل الصالح ، يعني مثل ما أنه يدفع قدر الجوع بالأكل ويدفع قدر العطش بالشرب وقدر البرد الشديد بالبحث عن الملابس الشتوية المناسبة وهذا جيد وهذا أحسن وهذا أفضل وهذه المدفأة أحسن الخ .. كما أنه يسعى في هذه الأسباب فكذلك ينبغي عليه أن يدفع العقوبة الأخروية بماذا ؟ ببذل الأسباب ، مثل ما هو الآن يدفع هذه الأشياء ببذل الأسباب أيضاً العقوبة الأخروية يدفعها ببذل الأسباب ولهذا أحد المتقدمين قال: عجباً (كلاماً بمعناه) قال عجباً لمن يتوقى بعض الأطعمة الآن تجد كثير من الناس يعني يعمل لنفسه حمية من بعض الأطعمة وتسأله لماذا ؟ يقول أخشى أنها تسبب لي كذا أو تتعبني في كذا , حتى بعضهم من غير شكاية يتجنب بعض الأطعمة حمية وتوقياً وربما أيضاً يتوقى مثلاً الإكثار من الطعام ويتوقى من أمور ويضبط أموره في هذا الباب حمية يخشى من الأمراض يخشى من التبعات الخ . فأحد المتقدمين يقول :

(عجباً لمن يتقي بعض الأطعمة خوف مَضَرَّتِها ..كيف لا يتقي الذنوب خَوفَ مَعَرَّتِها)

الذنوب إذا تمادى فيها العبد أفضت به إلى النار وهذه الأشياء التي هو حريص على اتقائها إذا لم يتقيها أفضت به إلى مضرة دنيوية قد تكون وقد لا تكون لكن الذنوب إذا ما اتقاها العبد أفضت به إلى النار ولهذا لما عُرِّفَت التقوى في اللغة ماذا قيل في معناها ؟ أن تجعل بينك وبين ما تخشاه وقاية تقيك . هذا يوضح التقوى لغة: أن تجعل بينك وبين ما تخشاه وقايةً تقيك عندما تخشى البرد تلبس , الجوع تأكل , العطش تشرب حرارة الشمس تستظل, تجعل ما بينك وبين ما تخشاه وقايةً تقيك ، وتقوى الله :هي أن تجعل بينك وبين ما تخشاه من سخط الله وقاية تقيك , وهي فعل الأوامر وترك النواهي .

فكما أن الإنسان يتقي هذه الأشياء ويبذل الأسباب في اتقائها , فكذلك عقوبة الله في الدار الآخرة لا بد من بذل الأسباب التي تُتَّقى بها النار { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارا } أي أدبوهم علموهم ربوهم على طاعة الله والبعد عن معصيته , بهذا تكون الوقاية من النار لا بد من بذل السبب , أما أن يتقاعس الإنسان ويتوانى ويفرّط ويتكل على بعض الأشياء ، ابن القيم سيأتي له كلام قريب نافع جداً <u>في موجبات التفريط عند كثير من الناس اتكال على بعض الأشياء</u> وذكر أمثلة مهمة ستأتي عنده رحمه الله تعالى .

قال: فهذا وزان القدر المَخوف في الدنيا وما يُضادُّه سواء,انتبه فالقدر المخوف في الدنيا الجوع والعطش والخ وباتفاق أن الناس يَسعون في اتقاء ذلك فكذلك القدر المخوف في الآخرة وهو النار وسخط الله لا بد من بذل الأسباب التي يُتقى بها ذلك .

قال: فَرَبُّ الدارين واحد الدنيا والآخرة وحكمته واحدة لا يناقض بعضها بعضاً ولا يبطل بعضها بعضاً.

قال رحمه الله تعالى :لَكِنْ يَبْقَى عَلَيْهِ أَمْرَانِ بِهِمَا تَتِمُّ سَعَادَتُهُ وَفَلَاحُهُ.

يعني إذا تقرر ما سبق أن لا بد من بذل الأسباب وأن النجاة بهذا البذل وأن العبد ينبغي أن يجاهد نفسه على ذلك ويبذل من وسعه ما استطاع فعلاً للطاعات وتجنباً للمعاصي يبقى عليه إذا فهم ذلك وعرفه يبقى عليه أمران تتم سعادته بهما .

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعْرِفَ تَفَاصِيلَ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَيَكُونَ لَهُ بَصِيرَةٌ فِي ذَلِكَ بِمَا يُشَاهِدُهُ فِي الْعَالَمِ، وَمَا جَرَّبَهُ فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَمَا سَمِعَهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير لأن فعل الخير متوقف على ماذا ؟ على المعرفة به واتقاء الشر أيضاً متوقف على المعرفة بالشر , ولهذا قديماً قيل : كيف يتقي من لا يدري ما يتقي ، إذا كانت الأمور مترتبة على الأسباب فيلزم العبد أن يعرف ويجاهد نفسه على المعرفة التفصيلية بأسباب الخير ليفعلها وأسباب الشر ليتقيها , ويكون له بصيرة في ذلك بما يشاهده في العالم , وكما قيل: السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره ، وفي دعاء بعض السلف (اللهم لا تجعل غيري أسعد بما علمتني مني ولا تجعلني لغيري عبرة) الخير للإنسان أن ينظر ويعتبر بدل أن يبقى هو عبرة للآخرين. وإذا أراد الناس أن يعتبروا قيل انظروا إلى أمة كذا وانظروا إلى فلان وانظروا إلى حال كذا للاعتبار ,فخيرٌ له أن يعتبر هو بدل أن يكون عبرة للآخرين .

قال أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير و يكون له بصيرة في ذلك ما يشاهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره , ما يشاهده في العالم يعني في الناس عموماً من يفعل الخير ما هي العواقب ومن يفعل الشر ما هي العواقب , و كما أن هذا يكون في الأفراد أيضاً يُنظر في الأمم { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} وما جربه في نفسه وغيره , تجربة الإنسان هو في نفسه يستفيد منها لأن الإنسان يمر بمراحل , مراحل من أعمال الخير ومراحل

من أعمال الشر , وينظر في العواقب في هذا والعواقب في هذا ، حاله في هذا وحاله في هذا ، وما سمعه من أخبار الأمم قديماً وحديثاً .

قال رحمه الله تعالى : وَمِنْ أَنْفَعِ مَا فِي ذَلِكَ تُدَبُّرُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ كَفِيلٌ بِذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَفِيهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيعًا مُفَصَّلَةً مُبَيَّنَةً، ثُمَّ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا شَقِيقَةُ الْقُرْآنِ، وَهِيَ الْوَحْيُ الثَّانِي، وَمَنْ صَرَفَ إِلَيْهِمَا عِنَايَتَهُ اكْتَفَى بِهِمَا مِنْ غَيْرِهِمَا، وَهُمَا يُرِيَانِكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَأَسْبَابَهُمَا، حَتَّى كَأَنَّكَ تُعَايِنُ ذَلِكَ عِيَانًا.

يعني من يوفقه الله سبحانه وتعالى للتدبر في القرآن والتأمل في هداياته وكذلك في سنة النبي عليه الصلاة والسلام اكتفى بهما عن غيرهما , فيهما الكفاية في هداية العبد إلى أسباب الخير, حثاً على فعلها وبياناً للآثار العظيمة المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وأيضاً أسباب الشر وما يترتب على الشر من العواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة ، هذا مفصل في القرآن تفصيلاً فيه كفاية وفي القرآن بُيّنَت سبيل المصلحين ومآلاتهم وبُيّنَت أيضاً سبيل المفسدين ومآلاتهم { وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } أي تتضح للناس حتى يعتبروا ويرتدعوا وأيضاً فُصِّلت سبيل المصلحين" والله يعلم المصلح من المفسد "حتى ينتفع الناس بهم ويتخذون أئمة وقدوة لهم , فالقرآن وكذلك السنة فيهما البيان المفصل الشافي الكافي .

وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَخْبَارَ الْأُمَمِ، وَأَيَّامَ اللَّهِ فِي أَهْلِ طَاعَتِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ، طَابَقَ ذَلِكَ مَا عَلِمْتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَرَأَيْتَهُ بِتَفَاصِيلِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، وَوَعَدَ بِهِ، وَعَلِمْتَ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يُنْجِزُ وَعْدَهُ لَا مَحَالَةَ. فَالتَّارِيخُ تَفْصِيلٌ لِجُزْئِيَّاتِ مَا عَرَّفَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكُلِّيَّةِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

يقول رحمه الله إذا تأملت القرآن وهداياته والسنة وهداياتها وأخذت العبرة انظر التاريخ , التاريخ هو شاهد لما تقرأه في القرآن عن أحوال الأمم , الأمم التي نجاها الله والأمم التي حلَّت بها عقوبة الله سبحانه وللنجاة أسباب وللعقوبة أسباب , فينظر في أسباب النجاة ليَستمسك بها وينظر في أسباب العقوبة ليحذر منها ويتقيها ، والله سبحانه وتعالى لما يذكر أسباب نجاة المصلحين الصالحين يذكر أن هذا للجميع { وكذلك نُنجي المُؤمنين } { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا } { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }

والعقوبة التي تحل بالظالمين أيضاً هي لمن كان على شاكلتهم ، لمن كان على طريقتهم , فالعقوبة التي حلت { وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ } لما يذكر العقوبة { أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } العقوبة التي تحل بالكفار حقيق بها أيضاً الكفار المتأخرين فيأخذ الإنسان العبرة والعظة مما قصه الله سبحانه وتعالى وفصله في القرآن وما جاء في السنة ويجد في التواريخ أو في التاريخ شواهد كثيرة على ذلك .

[فَصْلٌ مُغَالَطَةُ النَّفْسِ حَوْلَ الْأَسْبَابِ]

الْأَمْرُ الثَّانِي أَنْ يَحْذَرَ مُغَالَطَةَ نَفْسِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَعْرِفُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ وَالْغَفْلَةَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُضِرَّةِ لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَلَا بُدَّ، وَلَكِنْ تُغَالِطُهُ نَفْسُهُ بِالِاتِّكَالِ عَلَى عَفْوِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ تَارَةً، وَبِالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِاللِّسَانِ تَارَةً، وَبِفِعْلِ الْمَنْدُوبَاتِ تَارَةً، وَبِالْعِلْمِ تَارَةً، وَبِالِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ تَارَةً، وَبِالِاحْتِجَاجِ بِالْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ تَارَةً، وَبِالِاقْتِدَاءِ بِالْأَكَابِرِ تَارَةً أُخْرَى.

هذا الأمر الثاني لاحظ سبحان الله يعني هذا الرجل مصلح ومربي وموفق في صياغة الكلام وترتيبه ولما ذكر أولاً أن الأمور مترتبة على أسبابها وقال الشواهد على هذا في القرآن تزيد على ألف ، مترتبة على أسبابها وقرر بوضوح وجلاء هذا الأمر , دعا إلى أمرين تتحقق بهما السعادة ينبنيان على ما سبق الأمر الأول أن تعرف الأسباب التي تكون بها السعادة لتفعلها والأسباب التي يكون بها الهلاك ليجتنبها , يفعل ذلك ويبذل جهده في معرفة الأسباب وذكر أعظم ما يُعينك على ذلك العناية بالقرآن والسنة فيهما هذه الهدايات بما فيه الكفاية والغنية { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } ففي القرآن وفي السنة كفاية في تحقق العبرة والعظة وأخذ الهدايات العظيمة فيما تكون به النجاة ليُفعل وفيما تكون به العقوبة ليُجتنب ويُترك ، بعد ذلك يقول رحمه الله أن يحذر مغالطة نفسه لأن سبحان الله قد يعرف الذي سبق ويكون أيضاً عنده شيء مثلاً من المعرفة التفصيلية من الأسباب والعقوبات, حتى أيضاً يكون عند العبد معرفة تفصيلية بعقوبات لذنوب معينة يجد نفسه ماذا ؟! نعم يا إخوان , واقع فيها وهو يعرف و قرأ . مرة يحدثنا أحد الأفاضل يقول: كنت أتناقش في باص في إحدى الدول , يقول كنت أتناقش مع شخص في مسألة أظن كانت مقصود وعظ شخص أمامهم كان مخموراً فيقول: أخذت أتناقش معه في تحريم الخمر وكيف أنه يتدرج وكان معنا صاحب أخطأت في الآيات فالتفت المخمور وصحح لي الآيات- أنا يحدثني بهذه القصة صاحبها يقول: صحح لي الآية

,فأحياناً يكون الإنسان يعرف العقوبة للذنب المعين ويجد نفسه تقع فيه هنا في مشكلة أخرى غير ما سبق غير قضية عدم المعرفة يعرف ولهذا بعض العصاة المبتلى ببعض الذنوب عندما ينصح في ذنب يقول: والله إني أعرف وأن هذا فيه عقوبة ادعوا لي أن الله يخلصني من هذا ، يعرف إذاً هذا يحتاج إلى معرفة أمر آخر غير الذي سبق بمعرفته وتحقيقه تكون السعادة ما هو أن يحذر مغالطة نفسه على هذه الأسباب, كيف مغالطة النفس؟! يعني يكون يعرف أن هذه الأفعال توجب العقوبة والدليل كذا –يعرف- , لكن نفسه تغالطه وهي تريد هذا العمل المشين تقول له رحمة الله واسعة فتدعوه نفسه إلى البقاء على الذنب اتكالاً ماذا ؟! على الرحمة . فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من أسباب المضرة له في الدنيا والآخرة ولكن تغالطه نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة يتكل على العفو والمغفرة , يقول ربك غفور ويستمر في ذنبه أو يغالط نفسه بالتسويف بالتوبة يعني عندما يدعى أو تدعوه نفسه إلى ترك هذا الأمر يقول: معك وقت استمر الآن يعني سبحان الله بعض الشباب عنده مفهوم عجيب في هالمسألة يقول: اغتنم شبابك ,ايش معنى اغتنم شبابك ؟! اغتنم شبابك الرسول ﷺ قال :"اغتنموا خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك" اغتنم شبابك . بعض الشباب يريد أن يغتنم الشباب بالاستكثار من المعاصي الاستكثار من الذنوب , وإذا أحد ناصحه من الكبار في نفسه يقول هذا ما يعرف , إذا صرنا في سنه نتوب ! ويؤجل التوبة إذا كبر ويريد أن يغتنم الشباب هذا من الشيطان, اغتنام الشباب أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه الشاب أن يغتنمه في الخيرات وأنواع الطاعات وأنواع القرب ,وإذا كان يوم القيامة الله سبحانه وتعالى يسأل الناس عن العمر كله , فإنه جل وعلا يسأل عن مرحلة الشباب سؤالا خاصاً مع أنها داخلة في العمر" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه) إذا سئل عن عمره فيما أفناه؟ أليست مرحلة الشباب داخلة في العمر ؟! داخلة, لكن لأهمية هذه المرحلة في أن تغتنم في الخيرات للقوة والنشاط والصحة الخ , يكون عنها سؤال خاص يوم القيامة فأحيانا تأتي المغالطة بتسويف التوبة , كثير ما سبحان الله الشيطان عمل عمله مع بعض الناس بتسويف التوبة إلى أن دخلوا القبور وهو معهم في التسويف كل ما حدثتهم أنفسهم بالتوبة دعاهم إلى التأجيل إلى أن دخلوا القبور وهم في هذا التسويف . وبالاستغفار باللسان تارة يعني بعضهم يظن أن مجرد الاستغفار باللسان يكفي وسيذكر ابن القيم شيء من الأمثلة على هذا .

وبفعل المندوبات تارة خاصة ما يأتي في بعض المندوبات ذكر ترتب غفران الذنوب عليها فيكتفي بها (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد

البحر) يقول لنفسه خذي راحتك في الذنوب افعلي ما شئت منها استكثري منها غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ! ألهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ؟! سبحان الله ، يعني سبحان الله ينقلب المفهوم لدى بعض الناس في فهم بعض الأحاديث فيجعلون والعياذ بالله مفهوم الحديث الحث على الذنوب يجعلون بعض الأحاديث مفهومها عندهم الحث على الذنوب والاستكثار منها الحديث فيه حث على ماذا ؟ على كثرة ذكر الله والمحافظة على طاعة الله سبحانه وتعالى وأنه بهذا غفران الذنوب ، أما الاستكثار من الذنوب فهذا سبب لماذا ؟ للعقوبات مثل ما مر معنا في التفاصيل التي ذكرها ابن القيم رحمه الله .

وبالعلم تارة أي أنه عنده علم وعنده حظ ونصيب من علم أو عنده علم بهذا أو دراية وبالاحتجاج تارة بالقدر يحتج على معاصيه بالقدر وهذا أمر قدره الله عليه والقدر يُحتج به في المصائب دون المعائب , إذا أصابت المرء مصيبة يقول قدر الله وما شاء فعل وإذا وقع في ذنب ما يقول قدر الله وما شاء فعل يقول أستغفر الله وأتوب إليه ويبادر إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى , وبالاحتجاج بالأشباه والنظائر والاقتداء بالأكابر تارة , هذه حال كثيرين يعني بعض الناس فيما يقارفه من ذنوب إمّعة ينظر من حوله إما كبار أو في سنه ينظر إلى حالهم ومعهم فيما يفعلون , ويتكل على مثل ذلك .

فهذه أمور هي مثل ما وصف ابن القيم مغالطات للنفس تعرف ما يكون به النجاة وتعرف أن هذا الذنب يترتب عليه تلك العقوبات لكن يغالط نفسه بمثل هذه الأشياء ويضرب على ذلك الآن أمثلة كثيرة .

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، زَالَ أَثَرُ الذَّنْبِ وَرَاحَ هَذَا بِهَذَا

هذا كثير يظن هذا الظن لكن الذنوب وخاصة الكبائر لا بد فيها من توبة وسيأتي معنا لاحقاً قول النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهم ما اجتنبت الكبائر { إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } المراد بالسيئات الصغائر{ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا } .

قال رحمه الله : ، وَقَالَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ: أَنَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ وَقَدْ غُفِرَ ذَلِكَ أَجْمَعُهُ

هذا جهل مطبق والعياذ بالله جهل عظيم .

كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ، وَقَالَ لِي آخَرُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: نَحْنُ إِذَا فَعَلَ أَحَدُنَا مَا فَعَلَ، اغْتَسَلَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا وَقَدْ مُحِيَ عَنْهُ ذَلِكَ

طاف بالبيت أسبوعا يعني سبعة أشواط محي عنه ذلك ولهذا بعضهم يغتر بمثل ذلك وتجده حتى ليس فقط يفعل ذنوب حتى يترك فرائض من فرائض الدين ويظن أنه إذا فعل غفر له ذلك كله- نعم.

، وَقَالَ لِي آخَرُ: قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَصَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْ لِي، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَصَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَصْنَعْ مَا شَاءَ.» قَالَ: أَنَا لَا أَشُكُّ أَنَّ لِي رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّقَ بِنُصُوصٍ مِنَ الرَّجَاءِ، وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا وَتَعَلَّقَ بِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَإِذَا عُوتِبَ عَلَى الْخَطَايَا وَالِانْهِمَاكِ فِيهَا، سَرَدَ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَنُصُوصِ الرَّجَاءِ، وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

وَكَثِّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا ... إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمِ

نسأل الله العافية . نعم

وَقَوْلِ الْآخَرِ: التَّنَزُّهُ مِنَ الذُّنُوبِ جَهْلٌ بِسَعَةِ عَفْوِ اللَّهِ.

نعوذ بالله التنزه من الذنوب يعني تركها والبعد عنها هذا يقول جهل بسعة عفو الله ، هذا جهل بسعة عفو الله يقصد الإكثار من الذنوب والمعاصي والآثام وأن من يترك الذنوب هذا جاهل بعفو الله ، عفو الله سبحانه وتعالى لمن يستحق العفو وعقوبته لمن يستحق العقوبة نعم.

وَقَالَ الْآخَرُ: تَرْكُ الذُّنُوبِ جَرَاءَةٌ عَلَى مَغْفِرَةِ اللَّهِ وَاسْتِصْغَارٌ.

نعم يقصد أن مغفرة الله كبيرة وعظيمة فترك الذنوب جرأة ! الجرأة فعل الذنوب وليس ترك الذنوب لكن هذا تلاعب الشيطان بهؤلاء نعم .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ: رَأَيْتُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِصْمَةِ.

يعني أعوذ بك أن تسلمني من أن أقع في الذنوب والعياذ بالله نسأل الله العافية -يقول هذا في دعاء نعم .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَغْرُورِينَ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الْجَبْرِ،

الجبر يعني مجبور على فعل نفسه فيتعلق بهذا ،ولهذا يقولون :عند المعصية جبري وعند الطاعة قدري يعني مذهبه حسب هواه , فإذا فعل معصية عوتب فيها قال أنا مجبور وإذا دعي إلى طاعة تركها وقال ما قدر الله لي الطاعة

وهذا كله مبني على الفساد والهوى المبني في النفس ومن الشيطان والعياذ بالله وتلاعبه بهؤلاء نعم.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَغْرُورِينَ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الْجَبْرِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا فِعْلَ لَهُ الْبَتَّةَ وَلَا اخْتِيَارَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَسْأَلَةِ الْإِرْجَاءِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ، وَالْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ إِيمَانَ أَفْسَقِ النَّاسِ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ.

نعم هذا خطورة مذهب الإرجاء وأن من يعتقد هذا المذهب يضره في سلوكه وعمله ويدفعه إلى مثل هذا الغرور ويتعطل عنده العمل والطاعة والعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ، وَكَثْرَةِ التَّرَدُّدِ إِلَى قُبُورِهِمْ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِمْ، وَالِاسْتِشْفَاعِ بِهِمْ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِهِمْ، وَسُؤَالِهِ بِحَقِّهِمْ عَلَيْهِ، وَحُرْمَتِهِمْ عِنْدَهُ.

نعم حتى إنه يقع في ضروب من الشرك يظن أن بها نجاة وفيها الهلاك المحقق وهذا الذي أشار إليه يكثر عند الطرقية أصحاب الطرق الضالة , تجد فرائض الدين وواجباته وتجنب المحرمات

والآثام هم في بعد عنها كثير ما يكون عندهم بعد عنها و يتعلقون بمثل هذا الضلال ومثل هذه التعلقات الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان نعم .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِآبَائِهِ وَأَسْلَافِهِ، وَأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَكَانَةً وَصَلَاحًا، فَلَا يَدَعُوهُ أَنْ يُخَلِّصُوهُ كَمَا يُشَاهِدُ فِي حَضْرَةِ الْمُلُوكِ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ تَهَبُ لِخَوَاصِّهِمْ ذُنُوبَ أَبْنَائِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَإِذَا وَقَعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي أَمْرٍ مُفْظِعٍ خَلَّصَهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ بِجَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، وَعَذَابُهُ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَرَحْمَتُهُ لَهُ لَا تَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُ: أَنَا مُضْطَرٌّ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ، وَلَوْ أَنَّ فَقِيرًا مِسْكِينًا مُضْطَرًّا إِلَى شَرْبَةِ مَاءٍ عِنْدَ مَنْ فِي دَارِهِ شَطٌّ يَجْرِي لَمَا مَنَعَهُ مِنْهَا فَاللَّهُ أَكْرَمُ وَأَوْسَعُ فَالْمَغْفِرَةُ لَا تَنْقُصُهُ شَيْئًا وَالْعُقُوبَةُ لَا تَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِفَهْمٍ فَاسِدٍ فَهِمَهُ هُوَ وَأَضْرَابُهُ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَاتَّكَلُوا عَلَيْهِ كَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [سُورَةُ الضُّحَى: 55] .

قَالُوا: وَهُوَ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، وَأَبْيَنِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُرْضِيهِ تَعْذِيبُ الظَّلَمَةِ وَالْفَسَقَةِ وَالْخَوَنَةِ وَالْمُصِرِّينَ عَلَى الْكَبَائِرِ، فَحَاشَا رَسُولَهُ أَنْ يَرْضَى بِمَا لَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الحاصل أن هذه كلها يعني فهوم كاسدة وظنون وأوهام تعلق بها بعض الناس فجعلته يبقى مُصراً على ذنوبه ومراد ابن القيم رحمه الله بذكر هذه الأمثلة على وجه التفصيل , وهذا التفصيل الذي ذكره يدل أن الرجل رحمه الله له سَبر لأحوال الناس ومعرفة بها سَبر المصلح الناصح فعنده هذا السبر والدراية والمعرفة المفصلة وذكر هذه الأشياء التي هي موجودة ولا تزال توجد في أناس ويتكلون عليها أو يتكئون عليها فيبقون مصرين على الذنوب والعياذ بالله هذا يتكل على كذا وهذا يتكل على كذا وهذا يبني إصراره على الذنوب على مثل هذا الفهم أو ذاك الفهم . وأن المآل أو النتيجة واحدة وهي تعرض هؤلاء جميعاً لسخط الله ومقته وعقوبته و هم في هذه الأوهام والظنون التي ألقاها الشيطان وكلها من مصائد الشيطان .ابن القيم رحمه الله له تفصيل واسع في هذه المسألة في كتاب خاص" إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان" ، واستمر رحمه الله في ذكر الأمثلة في هذا الباب. نكتفي بهذا.

ونسال الله الكريم أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وصلاحاً وهدى وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

👇*اضغط على الرابط للاشتراك*🔴
https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السادس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد, فيقول العلامة بن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه الداء والدواء :

قال رحمه الله : وَكَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [سُورَةُ الزُّمَرِ: 53]وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الذُّنُوبِ وَأَسَاسُهَا، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي حَقِّ التَّائِبِينَ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذَنْبَ كُلِّ تَائِبٍ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ، وَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ فِي حَقِّ غَيْرِ التَّائِبِينَ لَبَطَلَتْ نُصُوصُ الْوَعِيدِ كُلُّهَا. وَأَحَادِيثُ إِخْرَاجِ قَوْمٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ. وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى صَاحِبَهُ مِنْ قِلَّةِ عِلْمِهِ وَفَهْمِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هَاهُنَا عَمَّمَ وَأَطْلَقَ، فَعُلِمَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّائِبِينَ، وَفِي سُورَةِ النِّسَاءِ خَصَّصَ وَقَيَّدَ فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 48] ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَهُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي حَقِّ التَّائِبِ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم ,الحمد لله رب العالمين, وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمين ,اللهم ياربنا فقهنا في الدين وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما وأصلح لنا إلهنا شأننا كله يا حي ياقيوم يا ذا الجلال والإكرام, أما بعد,

فهذا من جمله الأمثلة التي يذكرها الإمام بن القيم رحمه الله تعالى لما يقع فيه بعض الناس من مغالطة لنفسه بالاتكال على مثل هذه الفهوم أو الظنون الفاسدة ويذكر رحمه الله هذه الأمثلة وأكثر منها رحمة الله عليه تحذيرا منها لأنها لا تزال تتكرر عند العصاة والمذنبين فيستروح لذنبه بالاتكال على مثل هذه الأمور ليبقى مقيما على الذنب تاركا التوبة والأوبة إلى الله سبحانه وتعالى ،

قال رحمه الله : *وكاتكال بعضهم* أي كمغالطته لنفسه على قول الله تعالى *«{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} »*

قال *وهذا أيضا من أقبح الجهل :* الآية جاءت في مساق الحث على التوبة إلى الله فجعلها أصحاب هذا الفهم في مساق الحث على فعل الذنوب فقلبوا مفهومها رأسا على عقب نسأل الله العافية والسلامة ,الآية جاءت في مساق الحث على التوبة لأنه قوله سبحانه وتعالى *«{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} »*

جاء قبله قول الله عز وجل« لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»* ومعنى لا تقنطوا: أي توبوا مهما كانت ذنوبكم, ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى ويدخل في ذلك الشرك هو رأس الذنوب, هو داخل في الآية *« *«{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} »* أي الشرك وغيره من الذنوب في حق من تاب منه, فإن من تاب تاب الله سبحانه وتعالى عليه ,فالآية جاءت في مساق الحث على التوبة فعكس هؤلاء مفهوم الآية وجعلوها في الحث على الإكثار من الذنوب فإذا جاءه داعي التوبة إلى الله قال : *«{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} فيبقى على ذنبه ولا يتوب بهذا الفهم الذي هو من أقبح الجهل كما قال بن القيم,

قال وهذا إنما إوتي صاحبه من قلة علمه وفهمه فإنه سبحانه هنا _ أي في آية الزمر _ عمم وأطلق عمم أي الذنوب وأطلق أي المغفرة لم يقيدها,عمم الذنوب جميعا, وأطلق المغفرة بدون قيد وفي سورة النساء

« إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » خصص قال : *« إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ > خصص هذا الذنب, وقيد المغفرة, بقوله :" وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " فقال *« *« إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »* »* فأخبر سبحانه أنه لا يغفر الشرك ,وأخبر أنه يغفر ما دونه ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق بين الشرك وغيره

الحاصل أن: آية الزمر في حق التائب , وآية النساء: في حق من مات على ذلك- من مات على الشرك- فلا مطمع له إطلاقا في مغفرة الله سبحانه وتعالى,وأما الذنوب التي دون الشرك والكفر بالله فهي تحت المشيئة,

أما آية الزمر فهي في حق التائبين, فأطلقت المغفرة في كل الذنوب لأن من تاب من أي ذنب كان, تاب الله عليه ,وأعظم الذنوب ثلاثة:* الشرك *والقتل * والزنا, والله يقول *« وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا »*

من تاب تاب الله عليه من هذه الذنوب أو غيرها من الذنوب

قال رحمه الله *و كَاغْتِرَارِ بَعْضِ الْجُهَّالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [سُورَةُ الِانْفِطَارِ: 66] فَيَقُولُ: كَرَّمَهُ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ لَقَّنَ الْمُغْتَرَّ حُجَّتَهُ، وَهَذَا جَهْلٌ قَبِيحٌ، وَإِنَّمَا غَرَّهُ بِرَبِّهِ الْغَرُورُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، وَنَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ وَجَهْلُهُ وَهَوَاهُ، وَأَتَى سُبْحَانَهُ بِلَفْظِ الْكَرِيمِ وَهُوَ السَّيِّدُ الشديد الْعَظِيمُ الْمُطَاعُ، الَّذِي لَا يَنْبَغِي الِاغْتِرَارُ بِهِ، وَلَا إِهْمَالُ حَقِّهِ، فَوَضَعَ هَذَا الْمُغْتَرُّ الْغُرُورَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَاغْتَرَّ بِمَنْ لَا يَنْبَغِي الِاغْتِرَارُ بِهِ.

هذا مثال آخر من الأمثلة التي هي للمغالطة مغالطة النفس أن بعض هؤلاء اغتر بفهم فاسد فهمه من قوله تعالى {يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} »* ما الذي غرك فجعلك تنسى حق الله ؟؟والواجب عليك نحوه؟؟ من توحيد أو طاعة أو عبادة أو بعد عما يسخطه سبحانه وتعالى؟ ما غرك بربك الكريم ؟؟!

فالجهال من هؤلاء الذين ساء فهمهم فهموا من الآية فهما فاسدا قالوا :إنا في الآية لقن العاصي حجته- والعياذ بالله -

مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} قال كرمه ,بمعنى قصدوا ماذا ؟ -قصدوا أن العاصي يفعل ما يشاء والرب ماذا ؟- والرب كريم: يعني يصفح مهما كانت الأمور, فيتكئون على مثل هذا الفهم ويستمرون في الذنوب والمعاصي -نسأل الله العافية -قال وهذا جهل قبيح

وإنما غره بربه الغرور , والغرور : إسم من أسماء الشيطان, العدو ,قال رحمه الله تعالى : وإنما غره بربه الغرور وهو الشيطان

ونفسه الأماره بالسوء وجهله وهواه, هذا الذي غر الإنسان وأوقعه في المعاصي ,قال: وأتى سبحانه بلفظ الكريم تنبيها على ماله من حق العبادة لأنه كريم عظيم جليل ماجد سبحانه وتعالى فحقه أن يطاع وأن يذل له ويخصع سبحانه وتعالى, لكن هناك أشياء غرت الإنسان فصرفته عن طاعة الله والقيام بحقوقه على عباده إلى الوقوع في ما يسخط الله سبحانه وتعالى, من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والهوى ونحو ذلك .

و في الآية في قوله تعالى *« وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ »* فالغرور: هو الشيطان لأنه يغر الإنسان بمثل هذه الخدع وهذه المصائد فيجعله مقيما على المعاصي والذنوب مضيعا حق الله سبحانه وتعالى عليه

وَكَاغْتِرَارِ بَعْضِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي النَّارِ: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى - الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [سُورَةُ اللَّيْلِ: 15 - 16] ، وَقَوْلِهِ: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 24] .

وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ أَنَّ قَوْلَهُ: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} هِيَ: نَارٌ مَخْصُوصَةٌ مِنْ جُمْلَةِ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ، وَلَوْ كَانَتْ جَمِيعَ جَهَنَّمَ فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ لَا يَدْخُلُهَا بَلْ قَالَ {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ صَلْيِهَا، عَدَمُ دُخُولِهَا، فَإِنَّ الصَّلْيَ أَخَصُّ مِنَ الدُّخُولِ، وَنَفْيُ الْأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْأَعَمِّ. ثُمَّ إِن هَذَا الْمُغْتَرُّ لَوْ تَأَمَّلَ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهَا، فَلَا يَكُونُ مَضْمُونًا لَهُ أَنْ يُجَنَّبَهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي النَّارِ {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} ، فَقَدْ قَالَ فِي الْجَنَّةِ: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 133] وَلَا يُنَافِي إِعْدَادُ النَّارِ لِلْكَافِرِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا الْفُسَّاقُ وَالظَّلَمَةُ، وَلَا يُنَافِي إِعْدَادُ الْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

هذا أيضا مثال من الأمثلة التي وقع بعض الناس في مغالطات مع نفسه فأقام على ذنوبه بسببها اتكاءا على مثل هذه المفاهيم الخاطئة فبعضهم يستدل بالآية يقول إن الله سبحانه وتعالى قال في شأن النار : {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى - الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} »*

مراده أن النار إنما هي لمن ؟ - للكافر , في الآية الآتية أيضا قال *« {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} »* فإذا العصاة على فهم هؤلاء,ما شأنهم ؟؟ - ليس لهم مكان في النار

النار : {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى - } من هو الأشقى ؟؟ : { - الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} أي الكافر وقال في الآية الأخرى *«{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} »* أي أمور العصيان مالها علاقة أمور المعاصي لا علاقة لها في النار ودخولها, فيتكأ على مثل هذا الفهم الخاطئ للآية فيبقى مقيما والعياذ بالله على ذنوبه ومعاصيه وأوتي هذا مثل سابقيه من سوء فهمه لكلام الله سبحانه وتعالى

يقول بن القيم رحمه الله: ولم يدري هذا المغتر أن قوله *«: { فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى - } »* هو لنار مخصوصة من جملة دركات جهنم ولو كانت جميع جهنم فهو لم يقل لم يدخلها وإنما قال لا يصلاها :

فيقول بن القيم المراد بالنار *« نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى »* يعني الكافر المكذب هذه طبقة من النار أو دركة من دركات النار للكافرين {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} وهذه الطبقة لا يصلاها إلا الكافر, لعل ما يوضح هذا المعنى تماما الذي أشار إليه بن القيم قول الله سبحانه وتعالى في سورة أخرى قال *« وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} »* هذا من هو ؟؟

-هذا الكافر .

وجاء في الصحيح لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام لما ذكر حديث الشفاعة قال *{ وأما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس أخذتهم النار بذنوبهم __ ثم ذكر النبي عليه الصلاة والسلام حال عصاة الموحدين ودخولهم النار فقال __ فتميتهم النار إماتة ثم يخرجون ضبائر ضبائر من النار فيلقون في نهر الفردوس فيحيون بماءه فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل }*

اجمع بين الآية والحديث : الآية:- قال *«* وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} »* »*

من هو ؟؟الكافر.

وفي الحديث:- قال:" أن أهل النار الذين هم أهلها الكفار لا يموتون فيها ولا يحيون", لا يموتون: أي فيستريحون من العذاب, ولا يحيون: أي حياتا فيها راحة- بل هم في عذاب مقيم ونكال أليم دائم -*« وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ »* هذا يتعلق بالكفار ,

والأية هنا *« لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى - } »* تتعلق بالكفار لكن هل فيها دلالة على أن العاصي لا يعذب ؟؟

- الآية ليس لها علاقة... هناك آيات أخرى دلت على تعذيب العاصي بحسب عصيانه وذكرت معاصي كثيرة وتوعد عليها بالنار فكيف تبطل تلك النصوص الكثيرة التي هي معاصي وتوعد عليها بالنار بهذا الفهم الخاطئ لهذه الآية وأن هذه الآية يزعم هؤلاء أفادت أن النار لا يدخلها إصلا إلا الكافر أما العصاة لا مكان لهم في النار ؟!

ومثلها أيضا الآية التي بعدها *«*«{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} »* كونها أعدت لهم يبقون فيها مؤبدين خالدين أبد الآباد, لا يعني أن لا يكون للعصاة حظ من العذاب في النار على قدر المعاصي ,لكن هنا أيضا ينبغي أن يعرف أمر مهم ألا وهو أن دخول الكافر للنار مختلف عن دخول العاصي للنار,

دخول الكافر للنار: دخول تخليد وتأبيد.

ودخول العاصي للنار : دخول تمحيص وتطهير , لأنه لما لقي الله سبحانه وتعالى بإيمان معه خبث المعاصي التي لم يتب منها ولقي الله بها ,وكانت الجنة دار طيب المحض -لا يدخلها إلا الطيب المحض - فكان دخولهم للنار من أجل أن يطهروا من معاصيهم وذنوبهم ثم يدخلون من بعد ذلك التطهير إلى الجنة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أشرت إليه *{يخرجون ظبائر ظبائر}* دفعات دفعات -جماعات جماعات- لأنهم متفاوتون في الذنوب فيطهرون في النار على قدر ذنوبهم ثم يخرجون يخرج الأقل ثم الأكثر ثم الأكثر وهكذا

قال رحمه الله تعالى: و كَاغْتِرَارِ بَعْضِهِمْ عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: يَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلِّهَا، وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الْأَجْرِ، وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ، أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهُمَا إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ.

فَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، لَا يَقْوَيَا عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ، إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ.

فَكَيْفَ يُكَفِّرُ صَوْمُ يَوْمِ تَطَوُّعٍ كُلَّ كَبِيرَةٍ عَمِلَهَا الْعَبْدُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا، غَيْرُ تَائِبٍ مِنْهَا؟ هَذَا مُحَالٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ مُكَفِّرًا لِجَمِيعِ ذُنُوبِ الْعَامِ عَلَى عُمُومِهِ، وَيَكُونُ مِنْ نُصُوصِ الْوَعْدِ الَّتِي لَهَا شُرُوطٌ وَمَوَانِعُ، وَيَكُونُ إِصْرَارُهُ عَلَى الْكَبَائِرِ مَانِعًا مِنَ التَّكْفِيرِ، فَإِذَا لَمْ يُصِرَّ عَلَى الْكَبَائِرِ لِتَسَاعُدِ الصَّوْمِ وَعَدَمِ الْإِصْرَارِ، وَتَعَاوُنِهِمَا عَلَى عُمُومِ

التَّكْفِيرِ، كَمَا كَانَ رَمَضَانُ وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ مُتَسَاعِدَيْنِ مُتَعَاوِنَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ: { إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 31] فَعُلِمَ أَنَّ جَعْلَ الشَّيْءِ سَبَبًا لِلتَّكْفِيرِ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَتَسَاعَدَ هُوَ وَسَبَبٌ آخَرُ عَلَى التَّكْفِيرِ، وَيَكُونُ التَّكْفِيرُ مَعَ اجْتِمَاعِ السَّبَبَيْنِ أَقْوَى وَأَتَمَّ مِنْهُ مَعَ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ أَسْبَابُ التَّكْفِيرِ كَانَ أَقْوَى وَأَتَمَّ وَأَشْمَلَ.

هذا أيضا مثال آخر من أمثلة اتكال هؤلاء المغرورين بسبب فهوم خاطئة لبعض النصوص ولا سيما نصوص" الوعد والرجاء" فمن ذلك أن بعضهم إتكل في إقامته على ذنوبه على قول النبي صلى الله عليه وسلم *{صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله إن يكفر سنة التي قبله}*

وما ورد أيضا في فضل يوم عرفة وما فيه من تكفير للذنوب فاتكل بعضهم على فهم هخاطئ لهذه الأحاديث حتى قال بعضهم يوم عاشوراء يكفر ذنوب العام كلها ويبقى صيام يوم عرفة زيادة في الأجر ,على هذا الفهم الذي يفهمه هذا من الحديث أي شيء يصنع هو ؟

- على مدار العام يبقى في ذنوبه ومعاصيه لأن عنده صيام عاشوراء يكفر سنة وعنده ,صيام عرفة احتياط زائد فهذا صيام عاشوراء يكفر سنة كاملة و صيام عرفة هذا رصيد زائد, فيكون من باب زيادة الأجر, أما التكفير انتهى للسنة الكاملة بصيام يوم عرفة فيبقى والعياذ بالله مطمئنا على فعل الذنوب مقيما عليها ويغتر بهذا الفهم الخاطئ ,قال: ولم يدر هذا المغتر أن صوم رمضان وهو أعظم من صيام يوم عاشوراء وأعظم من صيام يوم عرفة ,لماذا ؟؟ -قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي *{ ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه }*

صيام عاشوراء نافلة, وعرفة نافلة, وصيام رمضان فريضة ,"فماتقرب أحد بشيء أحب إلى الله بشيء الذي افترضه الله على عباده "

ويقول المصنف :صوم رمضان والصلوات الخمس أعظم وأجل من صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء وهي إنما تكفر ما بينها إذا اجتنبت الكبائر ،

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح *{ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات إلى ما بينهن ما اجتنبت الكبائر}* إذن التكفير الذي جاء في عرفة وجاء في يوم عاشوراء بهذا القيد الذي قيد به, فالتكفير ما هو أعظم من هذا الصيام وهو صيام رمضان والصلوات الخمس المفروضة, فإذا كانت الصلوات الخمس المفروضة وهي أعظم, صيام شهر رمضان وهو

أعظم, لا يكون تكفيره للذنوب إلا بهذا القيد اجتناب الكبائر فلأن يكون صيام عاشوراء وصيام عرفة كذلك من باب أولى .

وهذا هو المعنى الأقرب لأن بن القيم ذكر معنيين و كان الأقرب هو الأول فيما ذكره رحمه الله قال: **فرمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة لا يقوى على تكفير الصغائر إلا مع انضمام ترك الكبائر إليه قال:" ما اجتنبت الكبائر " فيقوى مجموع الأمرين على تكفير الصغائر ,فكيف يكفر صوم تطوع كل كبيرة عملها العبد على حسب الفهم الذي فهمه أولئك وهو مصر عليها غير تائب منها هذا محال!!**

قال رحمه الله: وَكَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم - حَاكِيًا عَنْ رَبِّهِ " «أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» يَعْنِي مَا كَانَ فِي ظَنِّهِ فَإِنِّي فَاعِلُهُ بِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَلَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ، وَيَقْبَلَ تَوْبَتَهُ.

وَأَمَّا الْمُسِيءُ الْمُصِرُّ عَلَى الْكَبَائِرِ وَالظُّلْمِ وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّ وَحْشَةَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْحَرَامِ تَمْنَعُهُ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الشَّاهِدِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْآبِقَ الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِهِ لَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ، وَلَا يُجَامِعُ وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَدًا، فَإِنَّ الْمُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بِقَدْرِ إِسَاءَتِهِ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ.

كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ, وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ.

وَكَيْفَ يَكُونُ مُحْسِنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ، حَالٌّ مُرْتَحِلٌ فِي مَسَاخِطِهِ وَمَا يُغْضِبُهُ، *

مُتَعَرِّضٌ لِلَعْنَتِهِ قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتَكَبَهُ وَأَصَرَّ عَلَيْهِ ؟ وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ بَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَجَحَدَ صِفَاتَ كَمَالِهِ، وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ - صلى الله عليه وسلم - وَظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ ؟ وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى وَلَا يَرْضَى وَلَا يَغْضَبُ ؟ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَهُوَ السِّرُّ مِنَ الْقَوْلِ: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ فُصِّلَتْ: 23] .

فَهَؤُلَاءِ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَعْمَلُونَ، كَانَ هَذَا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَرْدَاهُمْ ذَلِكَ الظَّنُّ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ جَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتَ جَلَالِهِ، وَوَصَفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَإِذَا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ كَانَ هَذَا غُرُورًا وَخِدَاعًا مِنْ نَفْسِهِ، وَتَسْوِيلًا مِنَ الشَّيْطَانِ، لَا إِحْسَانَ ظَنٍّ بِرَبِّهِ.فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

هذا أيضا مثال آخر يذكره رحمه الله تعالى لحال هؤلاء المغترين المغالطين لأنفسهم فيقول: كاتكال بعضهم على قوله ﷺ حاكيا عن ربه أنه قال عز وجل *{ أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء}*

فكيف يفهم هؤلاء هذا الحديث" أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء" يفهم هذا الحديث أنه مقيم على معاصيه وعلى ذنوبه وعلى آثامه, وهو يظن بربه أنه لن يعذبه عليها, فيبقى مقيما عليها إلى أن يلقى الله بها, وقد قال الله سبحانه *« لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ »* فليست المسألة مجرد أماني ورجاء مجرد ,بل لا بد من إقامة برهان بإصلاح النفس والعمل, والبعد عن مساخط الرب سبحانه وتعالى. قال رحمه الله : ما كان في ظنه فإني فاعله به ,ثم بين بن القيم رحمه الله أن حسن الظن بالله لا يستقيم إلا مع حسن العمل وأما سوء العمل لا يكون معه حسن ظن بالله إلا شيء يكون في النفس على وجه المغالطة لها -على وجه المغالطة للنفس- لتبقى مصرة على الذنوب والمعاصي, أما حسن الظن حقيقة بالله لا يكون إلا مع حسن العمل ولهذا نقل نقلا عظيما جدا عن الإمام الحسن البصري رحمه الله أنه قال [إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل] إذن حسن الظن مرتبط بحسن العمل, وسوء الظن مرتبط بسوء العمل, قل أيضا إن شئت: إن حسن العمل يثمر حسن الظن ,كل ما اجتهد العبد في إحسان العمل يثمر هذا حسن الظن, والإساءة في العمل تثمر الوحشة وسوء الظن, لا تثمر حسن ظن ,وإنما تثمر وحشة وسوء ظن, ولهذا فإن مرد الأمر إلى صلاح العمل" صلاح الطاعة لله سبحانه وتعالى ، وحسن التقرب إليه سبحانه وتعالى بصالح الأعمال"

يقول: كيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه؟ مايمكن حال مرتحل في الذنوب والمعاصي وما يسخط الله ويبغضه متعرض للعنة الله قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه وهان نهيه عليه فارتكبه وأصر عليه, كيف يكون هذا محسن الظن وهو على هذه الحالة !!

وكيف يكون محسن الظن بربه من بارزه بالمحاربة, وعادى أولياءه ووالى أعداءه ,وجحد صفاته وأساء الظن بما وصف به نفسه !!

قال وكيف يحسن الظن به من يظن أنه لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب ؟ كل هذه لا تستقيم مع حسن الظن بالله سبحانه وتعالى!! ,ثم ذكر مثالا عظيما في هذا الباب أخذه من هذا السياق في سورة فصلت :قال الله سبحانه وتعالى *« وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (22) »*

هذا ماهو ؟ - هذا ظن خاطئ خطير في حق الله, في أمر العلم- صفة العلم لله جل وعلا- ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون،

هل نفوا صفة العلم من أصلها ؟؟ - نفوا علم الله بالتفاصيل مثل ما قال بن القيم هنا : قال: وقد قال في حق ما شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات وهو السر: تعلق سمعه أو علمه كما في الآية تعلق علمه ببعض الجزئيات هو السر ,فقالوا يعلم الأمور الظاهرة ولا يعلم الخفية- والعياذ بالله- , فماذا ترتب على هذا الظن الفاسد ؟؟ -قال *«{وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ »*

وهذه الآية نستفيد منها <u>فائدة</u> :أن الخطأ في أسماء الله وصفاته <u>جد خطير خطير جدا</u>, ليس أمراً سهلاً, هؤلاء لم ينكروا صفة العلم من أصلها ,وإنما ظنوا أن علم الله لا يتناول بعض الجزئيات, فأرداهم هذا الظن-أهلكهم- وكان موجبا لسخط الله وعقوبته سبحانه وتعالى فالخطأ في الأسماء والصفات أمر ليس بالهين , قال : فهولاء لما ظنوا أنه سبحانه لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا إساءة لظنهم بربهم فأرداهم ذلك الظن :وهذا شأن كل جاحد ,كل من جحد صفات الله كصفات كماله ونعوت جلاله سبحانه وتعالى .

: قال رحمه الله تعالى: فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، ، وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَيَقُّنُهُ بِأَنَّهُ مُلَاقٍ اللَّهَ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ وَيَرَى مَكَانَهُ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَسَاخِطِهِ

مُضَيِّعٌ لِأَوَامِرِهِ، مُعَطِّلٌ لِحُقُوقِهِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ خِدَعِ النُّفُوسِ، وَغُرُورِ الْأَمَانِيِّ؟

وَقَدْ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ بْنُ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَتْ «لَوْ رَأَيْتُمَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي مَرَضٍ لَهُ، وَكَانَتْ عِنْدِي سِتَّةُ دَنَانِيرَ، أَوْ سَبْعَةٌ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ أُفَرِّقَهَا، قَالَتْ: فَشَغَلَنِي وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى عَافَاهُ اللَّهُ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْهَا فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ أَكُنْتِ فَرَّقْتِ السِّتَّةَ الدَّنَانِيرَ؟ فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ لَقَدْ شَغَلَنِي وَجَعُكَ، قَالَتْ فَدَعَا بِهَا، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، فَقَالَ: مَا ظَنُّ نَبِيِّ اللَّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟ وَفِي لَفْظٍ: مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللَّهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ.»

سبحان الله تأمل هذا الحديث ست دنانير ونبي الله صلوات الله وسلامه عليه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويقول ما ظن بي الله ولو لقي الله هذه عنده ,يقول بن القيم رحمه الله تعالى تعليقا على الحديث:

فَيَا لَلَّهِ مَا ظَنُّ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ وَالظَّلَمَةِ بِاللَّهِ إِذَا لَقَوْهُ وَمَظَالِمُ الْعِبَادِ عِنْدَهُمْ؟ فَإِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ: حَسَّنَّا ظُنُونَنَا بِكَ، إِنَّكَ لَنْ تُعَذِّبَ ظَالِمًا وَلَا فَاسِقًا، فَلْيَصْنَعِ الْعَبْدُ مَا شَاءَ، وَلْيَرْتَكِبْ كُلَّ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَلْيُحْسِنْ ظَنَّهُ بِاللَّهِ، فَإِنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّهُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَبْلُغُ الْغُرُورُ بِالْعَبْدِ

يعني كل نصوص الوعيد بهذا تبطل كلها ,ولا يصبح لها أي قيمة ,وأي نص فيه وعيد وتهديد يعرض على مثل هؤلاء ماذا يقول ؟؟- يقول نحسن الظن بالله ,ولا يبالي بنصوص الوعيد ولا يكترث بها, يقول أنا أحسن الظن بالله والله عز وجل يقول *{فليظن بي ماشاء}* ويبقى مقيما على... فتأتي هذه الفهوم الغالطة الخاطئة على جميع نصوص الوعيد بالإبطال ,ويصبح ليس لها أي قيمة على فهم هؤلاء وحاشا أن يكون الأمر كذلك .

وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: {أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ - فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: 86 - 87] . * أَيْ مَا ظَنُّكُمْ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ إِذَا لَقِيتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ. *؟!

إذا لقوه وقد عبدوا غيره ليس لهم يوم القيامة عند الله إلا النار مخلدين فيها أبدا الآباد, وإن ظنوا غير ذلك والظنون كثيرة عند أصحاب الضلال والباطل- اليهود أشد الناس كفرا من ظنونهم يقولون- *« لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ »* قالوا أيام تعد على رؤوس الأصابع

قليلة جدا بل قالوا ما هو أشد قالوا *« { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى } »* وقالوا *« نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ »* أشياء من هذا القبيل كثيرة *« وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى »* هذه كلها لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تنفع صاحبها, وإنما الذي ينفعه مع الظن حسن العمل- توحيدا وإخلاص وإيمانا وطاعة وعبادة لله وتقربا إليه- أما من لقي الله بالشرك فليس له إلا النار, ولا مطمع له إطلاقا في رحمته ومغفرته, ومن لقي الله فيما دون الشرك فهناك تهديد ووعيد ونصوص وعيد جاءت بالعقوبات وهي عقوبات عظيمة زاجرة رادعة في كتاب الله وسنة نبيه صلوات وسلامه وبركاته عليه .

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ عَلِمَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ هُوَ حُسْنُ الْعَمَلِ نَفْسُهُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى حُسْنِ الْعَمَلِ حسن ظَنُّهُ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُثِيبَهُ عَلَيْهَا وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ، فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْعَمَلِ حُسْنُ الظَّنِّ، فَكُلَّمَا حَسُنَ ظَنُّهُ بربه حَسُنَ عَمَلُهُ، وَإِلَّا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ، كَمَا فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ وَالْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» .

وَبِالْجُمْلَةِ فَحُسْنُ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ، وَأَمَّا مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأَتَّى إِحْسَانُ الظَّنِّ.

نعم يقول رحمه الله :من تأمل هذا الموضع الذي ساء فيه الفهم عند أولئك حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه: بمعنى أنه كل ما حسن العمل حسن الظن ولهذا المؤمن في قبض روحه يكون فيه من الأنس والراحة والبشر بخلاف غيره الذي يقول *« قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا »* فالمؤمن الذي حسن عمله يرتفع حسن الظن بحسب ارتفاع العمل وكثرته ,ومن ساء عمله ساء ظنه ولهذا في الخاتمة يظهر مثل هذا الأمر *« قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ »*

قال: وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز , ثم استشهد في هذا الحديث *{ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني }* هذا الحديث في إسناده كلام ,لكن معناه مستقيم تماما صحيح لا ريب في استقامة معناه وسلامته لأن فعلا الكيس الحاذق من الناس الفطن من دان نفسه أي حاسب نفسه ,عمر بن خطاب رضي الله عنه يقول *{ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا }* فالكيس الذي يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن

يحاسبه الله يوم القيامة, والعاجز هو الذي يتبع نفسه هواها ومع ذلك يتمنى على الله الأماني كحال من قال الله عنهم *« ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ »* يبقى على المعاصي- على الفجور -تمنى -يقول أنا اتمنى أن أكون في الدرجات العالية في الجنة والمنازل الرفيعة, قدم لنفسك ,مهد لها بالعمل الصالح ,بالتوبة ,بالإنابة ,بالإقبال على الله, ليس هو مجرد أماني, فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت, والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني يتبع هوى النفس من المعاصي والانغماس في المحرمات وفي الوقت نفسه يتمنى على الله الأماني أن يكون في الجنة وأن يكون في الدرجات العالية إلى آخره فهذه الأماني ليست بمجدية ولا منجية ولا نافعة لصاحبها وإنما الذي ينفع صاحبها أن يحاسب نفسه وأن يزن عمله قبل أن يلقى الله" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل العرض على الله", *« يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ »*

قال: وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاح -الذي هي الأعمال الصالحة والتقرب إلى الله- وأما مع انعقاد أسباب الهلاك .. يعني في ممارسة العبد لها وإتيانه لها , فلا يتأتى حسن الظن إذن,ولا يزال الكلام موصولا حول هذه المسأله مسألة حسن الظن نكتفي بهذا نسأل الله الكريم أن ينفعنا ويوفقنا لكل خير بمنه وكرمه

الأسئلة :

جزاكم الله خيرا وبارك اللهفيكم وألهمكم الله الصواب ووفقكم للحق ونفعنا الله بما سمعنا وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين آمين

السؤال الأول : يقول السائل هل العبد يسأل عن الذنب الذي تاب منه أمام ربه ؟

الجواب : من تاب تاب الله عليه إذا كان صادقا في توبته إلى الله سبحانه وتعالى فإن الله يتوب عليه بل جاء في سورة الفرقان (إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فأولئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا).

سؤال الثاني : يقول زوجتي تعاني من حساسية في الصدر ولا تستطيع لبس الخمار فهل يجوز لها إن تخرج بدون أن تلبس الخمار كاشفة عن وجهها ؟؟؟

الجواب : هذه الحساسية التي في الصدر لا يظن أنها لها تعلق بالخمار إلا إذا كان نوع من القماش تتحسس منه إذا وضعته على وجهها فتستبدله بآخر لأن بعض الأقمشة نعم يكون فيها لمن عنده حساسية في صدره أذى له فقد تكون كذلك فتبحث عن نوع آخر من القماش لا يسبب هذه الحساسية التي تعاني منها ,وتغطية الوجه واجب تغطية الوجه للمرأة واجب دلائل وجوبه واضحة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ووالد الكريم حفظه الله ومتع بعلمه له رسالة نافعة ومفيدة جدا في هذا الباب وجوب تغطية المرأة وجهها وجمع فيها الأدلة على ذلك من كتاب والسنة .

سؤال الثالث : كيف نجمع بين الأمر بحسن الظن بالله وبين ما ورد عن السلف الصالح من خوفهم الشديد من الله ومن عذابه وأقوالهم التي جاءت عنهم في مرض الموت خاصة ؟

الجواب : السلف من يقرأ سيرتهم يجد أن الله سبحانه وتعالى جمع لهم الخير وكل باب من أبواب الدين كله لهم منه نصيب فلهم نصيب من الخوف ولهم نصيب من حسن الظن ولهم نصيب من الرجاء ولهم نصيب من كل باب من أبواب الدين والله سبحانه وتعالى قال:

« أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ»

اجتمع فيهم الأمران رجاء الرحمة وخوف العذاب هذا موجود وهذا موجود فعنده رجاء لرحمة الله فلا قنوط وعنده خوف من عذاب الله فلا أمن وهذا هو حقيقة العمل الصالح أن يكون بين الرجاء والخوف ولهذا السلف الصالح رحمهم الله تعالى جمع الله لهم المحاسن والخيرات فعندهم من الخوف ماهو من كمال إيمانهم وعندهم أيضا من الرجاء بالله سبحانه وتعالى أيضا ما هو من كمال إيمانهم ولهذا عندهم هذا وعندهم هذا عندهم حسن الظن وعندهم أيضا الخوف من الله سبحانه وتعالى

سؤال الرابع : يقول بارك الله فيك الذي أسلم هل كل ما عمل من قبل يغفر له عند إسلامه

الجواب : عمرو بن العاص لما أراد أن يسلم اشترط على النبي ﷺ أن يغفر له كل ما مضى فقال النبي ﷺ *{ ألم تعلم أن الإسلام يهدم ماقبله وأن التوبة تهدم ماكان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله }*فالاسلام يهدم ماكان قبله فإذا أسلم دخل في الإسلام تائبا لله تعالى فإن

إسلامه وتوبته تهدم ماكان قبله ,لكن إن أسلم وبقي على معصية من المعاصي فإن هذه المعصية يؤاخذ عليها وإسلامه مقبول ويكون مسلماعاصيا

نسال الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله إنه سميع قريب مجيب , سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك ,اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبيك محمد و آله وصحبه

قال :فإن الشرك داخل في هذه الآية فإنه رأس الذنوب وأساسها ولا خلاف أن هذه الآية في حق التائبين بدليل *«« لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»»* أي توبوا إلى الله مهما عظمت ذنوبكم ,كبرت خطاياكم, تعددت , لا تقنطوا فإن الله يغفر, و لهذا قال جماعة من أهل العلم إن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ,لأن الذنوب مهما عظمت إن تاب العبد منها وصدق في توبته إلى الله تاب الله عليه ,

***قال فإنه يغفر كل ذنب للتائب :* أي ذنب كان**

***قال : ولو كانت الآية في حق غير التائبين__يعني كما يفهم هؤلاء __ من الآية لبطلت نصوص الوعيد كلها :* ما أصبح لها أي قيمة وأحاديث إخراج قوم من الموحدين من النار بالشفاعة لأن على فهم هؤلاء يغفر الذنوب جميعا ليس في حق من تاب وإنما في حق من مات على ذلك هذا فهم هؤلاء وهو كما قال بن القيم من أقبح الجهل**

👇*اضغط على الرابط للاشتراك*🔴
https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد:

فيقول العلّامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى بكتابه "الداء والدواء"

فإن قيل: بل يتأتى ذلك ، ويكون مستندُ حسن الظن سعةَ مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده ، وأنّ رحمته سبقت غضبه ، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضرّه العفو.

قيل: الأمرُ هكذا ، واللهُ فوق ذلك ، وأجلّ (٢) وأكرم وأجوَد وأرحم. ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به ، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة ، والعزة ، والانتقام وشدة البطش ، وعقوبة من يستحق العقوبة.

فلو كان معوَّلُ حُسنِ الظنّ على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البرّ والفاجر ، والمؤمن والكافر ، ووليه وعدوه. فما ينفع المجرمَ أسماؤه وصفاته ، وقد باء بسخطه وغضبه ، وتعرّض للعنته ، وأوضعَ في محارمه ، وانتهك حرماته ؟ بل حسن الظن ينفع من تاب ، وندم ، وأقلع ، وبدّل السيئة بالحسنة ، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ، ثم حسّن الظنّ. فهذا حسن الظن (٣)، والأول غرور! والله المستعان.

ولا تستطِلْ هذا الفصل ، فإنّ الحاجة إليه شديدة لكل أحد ، ففَرْقٌ (١) بين حسن الظن بالله وبين الغرور به.: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾

(٣)، فجعل هؤلاء أهل الرَّجاء ، لا البطّالين (٤) والفاسقين.

: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ﴾ فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها. فالعالم (٦) يضع الرَّجاء مواضعه ، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه.

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد: فهذه شُبهة مع جوابها ختم بها رحمه الله تعالى هذا الفصل وهو فصل طويل ، ومن لطف ابن القيم- رحمه الله تعالى- في البيان والإيضاح ، ولطفه بالقارئ يعتذر عن الإطالة مبينًا أن الموضوع جدير بها وأن الحاجة ماسّة إليها ، لأن مثل ما مر معنا هي أمور ترد على أذهان بعض الناس وخاصة المنغمسين في الذنوب فيجعلونها تُكَئَةً لهم للبقاء على ذنوبهم ومعاصيهم ، فكان مقتضى النصح في هذا الباب الإطالة بعض الشيء بذكر الأمثلة التي ذكر- رحمه الله تعالى- ، وللأمثلة التي أوردها- رحمه الله- بقية ستأتي عند بن القيم فإنه في هذا الكتاب أطال النَفَس في الإجابة على هذه الأشياء التي قد يتعلق بها من يُغالط نفسه ليبقى على ذنوبه ومعاصيه ، فيقول رحمه الله :فإن قيل بل يتأتّى ذلك ، يتأتّى ذلك يعني: يتأتّى أن يكون الإنسان مُقيمًا على المعاصي والذنوب غير تائب منها وأن يُحسِن الظنَّ بالله أنه إذا لقي الله يوم القيامة يغفر له ، لأن الله واسع المغفرة ،واسع العفو ، واسع الرحمة ، واسع الصفح -سبحانه وتعالى- يقول: يتأتّى ذلك وإن كان الإنسان باقٍ على ذنوبه ومعاصيه لأن الرَّب سبحانه وتعالى واسع العفو ، واسع المغفرة ،واسع الرحمة ، ورحمته سبقت غضبه ، والعقوبة لا تنفعه ولا تزيد في ملكه شيء والعفو لا يضره فيكون يتأتّى ذلك ، قال ابن القيم -رحمة الله عليه- الأمر هكذا ، قصده الأمر هكذا أن الرب واسع المغفرة واسع الرحمة واسع العفو سبحانه وتعالى وأن رحمته سبقت غضبه ، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو ، يقول:الأمر هكذا والله عز وجل فوق ذلك وأجَل- سبحانه وتعالى- لكن شأنه سبحانه وتعالى أنه يضع الأمور في مواضعها "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥ ﴾ " لا يُسوّي سبحانه وتعالى بين شخصٍ زمَّ نفسه بزمام الشَّرع ،وضبطها بضوابط الشريعة وجاهدها على تجنب الذنوب والمعاصي ، وبين شخص مُسرف على نفسه بالمعاصي ومُسرف على نفسه بالذنوب و الخطايا ، الأول يُحسن الظن في الله والثاني مع إقامته يُحسن الظن بالله لكنه مُسرف على نفسه ، وحسن الظن بالله كما تقدم إنما يكون مع حسن العمل وصلاح العمل واستقامة المرء على طاعة الله سبحانه وتعالى فهو سبحانه وتعالى إنما يضع ذلك في محلّه فهو موصوف بالحكمة والحكمة وضع الأمور مواضعها ،وإنزالها منازلها ،وإعطاء كلٍ ما يستحقه ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ١٩ ﴾ ١٩

، هذا بحسب الأعمال ولهذا الجنَّة درجات والنار دركات ، درجات الجنّة بحسب الأعمال ، ودركات النار بحسب الأعمال ولا يُسوَّى بين الناس لا في درجات الجنّة ولا في دركات النار ، وإنما الأمر بحسب الأعمال ، وهذا مُقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى فهو موصوف بالحكمة والعزة والإنتقام وشِدة البطش وعقوبة من يستحق العُقوبة ، هؤلاء أهل هذه المقولة اتكئوا على

حُسن الظن بالله مُجردين النظر في هذا الباب إلى أسمائه سبحانه وتعالى وأنه واسع العفو ،واسع الرحمة واسع الصفح ، واسع المغفرة ، جرّدوا النظر إلى ذلك ،

فيقول ابن القيم رحمه الله: لو كان مُعَوَّل حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشترك في ذلك البَّر والفاجر والمؤمن والكافر ووليه وعدوهم -ثم يؤكد في بيان ذلك- فيقول: فما يمنع المجرم أسمائه وصفاته وقد باء بسخط الله! نعم الله واسع المغفرة واسع الرحمة ، لكن المجرم بإجرامه لم يجعل لنفسه حظًا منها أو جعل حظه منها قليل ونصيبه منها يسير فما ينفع المجرم أسمائه وصفاته وقد باء بسخطه غضبه وتعرض لِلَعنته ووقع في محارمه وانتهك حُرماته ، بل حُسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبَدَّل السيئة بالحسنة واستقبل بقيّة عمره بالخير والطاعة ، هذا الذي ينفعه حسن الظن لا المُقيم على معاصيه وذنوبه وخطاياه ، هذا شاهد جميل للمسألة الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾ " هذا الرجاء في محلّه لأنه معه صَلَح عمل ومثله قُل في حسن الظن في محله إذا كان مع حُسن العمل.

وقال رحمه الله تعالى فصلٌ:وكثير من الجهال اعتمدوا على (١) رحمة الله وعفوه وكرمه ، وضيّعوا أمره ونهيه ، ونسوا أنه شديد العقاب ، وأنه لا يردّ بأسه عن القوم المجرمين. ومن اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند.

وهذا فصل جديد عظيم جدًا وأيضًا أطال فيه بعض الشيء وذكر فيه أدلّة كثيرة جدًا من السُنَّة ، شواهد لما قرَّر رحمه الله تعالى فيقول كثير من الجُهّال وهذا واقع في زماننا هذا كثير من الجُهّال اعتمدوا وإن شئت قل اتكئوا على رحمة الله وعفوه وكرمه ولهذا عندما يُخاطَب بعضهم في ذنوبه وفي معاصيه كثيرًا ما يأتي على ألسنتهم مع إقامته على المعاصي يقول: ربك غفور ربك رحيم الله واسع المغفرة الله واسع الرحمة ، فيتكئ على ذلك ويبقى على معاصيه دون أن يُعرِّض نفسه لهذه الرحمة وهذه المغفرة بترك الذنوب وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ " هل هي مكتوبة لكل أحد؟- هي وسعت كل شيء نعم- هم يقولوا الله واسع الرحمة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾: إلى آخر الآيات ،

فهذا هو الذي فعلًا أهلٌ لها الذي يتقي ، يؤمن بالآيات ، يطيع الله عز وجل ، ليست هي لكل أحد ، نعم- واسع المغفرة لكنها ليست لكل أحد ، فكثير من الناس يتكئ على الرحمة ، يتكئ على المغفرة مع إسرافه وبقائه على ذنوبه ومعاصيه ، قال: ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند ، وسيأتي نُقول جميلة في هذا الباب ، نعم

وقال معروف (٢): رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخِذلان والحمق (٣).

وقال بعض العلماء: من قطع عضوًا منك (٤) في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم ، لا تأمَنْ أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا (٥)

نعم سيأتي قريب من هذا النقل نقله عن ابن عقيل الحنبلي في هذا المعنى ، نعم

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء! فقال: أخاف أن يطرحني في النار ، ولا يبالي (٦).

قيل للحسن- أي الحسن البصري- رحمه الل:ه أراك طويل البكاء :يعني بكاؤك كثير ، فقال: أخاف أن يطرحني ولا يبالي ، وهذا يأتي في نقول عديدة قريبة في هذا المعنى عن السلف ، وهو من شدة خوفهم ، الحسن نفسه رحمه الله يقول :**المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والفاجر أو المنافق جمع بين إساءة وأمن** ، فهذا الخوف الذي نراه عند السلف هو من حسن عملهم ، وحسن إيمانهم ، وحسن طاعتهم ،لأنهم جمعوا بين الحسن في العمل والخوف من الله سبحانه وتعالى ، ولهذا قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

، الذين يؤتون ما آتوا: يقدمون ما يقدمون من أعمال صالحة" وقلوبهم وجلة": أي خائفة ، خائفة أي من أن تُرَد عليهم أعمالهم ولا تقبل "﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ " يقول ابن عمر: لو أعلم أنه تُقُبِل مني ولو سجدة واحدة خير لي من الدنيا وما فيها ، فكانوا مع إحسانهم في العمل عندهم خوف لا ينظرون إلى أعمالهم على وجه العُجب والغرور وأن أعمالهم كاملة ومتمِمة لا ينظرون إليها هذا النظر ، وإنما يحسنون ويُكمّلون ويرون أنهم مقصرين وهذه صفة المؤمنين الكُمَّل ، قد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن معنى الآية ، قالت:" أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يُعذَّب ؟ قال: لا يا ابنة الصِّديق ولكنه الرجل يُصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ألا يُقبَل ، قال: أخاف أن يطرحني ولا يبالي ، نظير هذا ما نُقل عن بعض السلف من خوفهم من قوله تعالى:﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الزمر:

هنا يقول: أخاف أن يطرحني ولا يبالي: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ هذا يورث خوفًا ، لكن لمّا كان عندهم مع الخوف رجاء لا يُفضي بهم الخوف إلى قنوط لأنهم جمعوا بين الرجاء والخوف ولهذا إذا رأيت مثلًا في باب الخوف لا تظن أن هذا هو فقط مسلك من نُقِل عنه هذا النقل هناك أيضًا آثار مروية عنهم في باب الرجاء تُذكر في موطنها وهذا جانب لا بد أن ننتبه له في فهم هدي السلف وطريقتهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، بكى أحد السلف عند الوفاة فقيل له ما يُبكيك ؟ فقال: سمعت قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ فأخشى أن يبدو له فيَّ مثل ذلك أو كلام من هذا معناه ، فأنا أنظر ما يبدو له فيَّ -أو كلامًا قريبًا في هذا المعنى في هذه الآية- ، الحاصل أن هذا الخوف كان موجودًا عند السلف رحمهم الله ، هنا قِف وتأمل بشكل واضح. هؤلاء كمّلوا أعمالهم ، وذاك المُفرِّط مقيم على المعاصي إقامةً مستمرة ويقول ماذا ؟ -يقول: ربك غفور رحيم ، هؤلاء أهل طاعة وعبادة ومداومة على العبادة وعندهم هذا الخوف وذاك المُفرِّط ماذا ؟ -على تفريطه مستمر ، وفي الوقت نفسه عنده أمن ، وهذا المعنى الذي ألمح إليه الحسن رحمه الله بقوله: أن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة والفاجر جمع بين إساءة وأمن ،

وكان يقول: إن قوم ألهتهم أمانيّ المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة ، يقول أحدهم إني أُحسِّن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل.

هذه كلمة عظيمة فيها كفاية في الجواب على كل ما سبق من الأمثلة التي ذكر الإمام ابن القيّم رحمه الله فالحسن ذُكر له أن قوم ألهتهم أماني المغفرة ، أماني المغفرة أي تمني أن ينالوا مغفرة الله مع بقائهم على الذنوب والله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ النساء: ١٢٣،" ليس الأمر مُجرد أماني فقط فهناك أُناس ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة- نسأل الله العافية- ، لا يزال تُلهيه أماني المغفرة -ربك غفور ..إلى آخر حياته وهو مُقيم على المعاصي فألهته هذه الأماني عن التوبة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى الإنابة إليه ، يقول أحدهم:لأني أُحسن الظن بربي يعني أنا هذا شأني لأني أُحسن الظن بربي ، وكَذَب لأنه لو أحسن الظن لأحسن العمل لأن الأمران متلازمان حسن الظن وحسن العمل- نعم.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد ، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوّفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال: والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمْنًا خير لك من أن تصحب قومًا يؤمّنونك حتى تلحقك المخاوف (١).

هذه نصيحة ثمينة جدًا من هذا الإمام التابعي الجليل رحمه الله تعالى ، قيل له يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالس أقوام يخوِفوننا ما معنى يخوفوننا ؟ يذكرون لنا نصوص الخوف ونصوص الوعيد يخوِفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير أي من الخوف ، قال واللهِ لأن تصحب أقوامًا يخوِفونك حتى تُدرك أمنًا خير من أن تصحب أقوامًا يُؤَمنونك حتى تلحق المخاوف أي يوم القيامة والعقوبات ، وفعلًا يعني من الناس من يُؤَمِن العاصي يؤمنه ويشجعه على معاصيه وربما قال له: الله غفور ورحيم ونحو هذا الكلام فيبقى مُقيمًا ، لكن الناصح في مثل هذا المقام يذكر نصوص الوعيد الزاجرة للعاصي عن معاصيه ، ولهذا إذا كان الشخص مُقيمًا على المعاصي المناسب أن يُذكَر له نصوص الوعيد لأنه هو بحاجة إليها لأن عنده تفريط ومعاصي فيُذكَر نصوص الوعيد وحتى يخاف ويرتدع وينزجر ، إذا خاف وارتدع وانزجر يُجمع له حينئذٍ بين الرجاء والخوف ، لكن ما دام مُقيمًا على المعاصي مُكِبًا على الذنوب يحتاج أن يُذَكَّر بنصوص الوعيد ، ولهذا بعض العلماء أفرد كُتُبًا في الكبائر لهذا الغرض ، يذكر الكبيرة والوعيد عليها ، ما يذكر شيء يتعلق بالرجاء في الغالب ، كله وعيد كبائر ووعيد عليها ، نعم

وقد ثبت في الصحيحين (٢) من حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "يُجاءُ بالرجل يوم القيامة ، فيُلقَى في النار ، فتندلق أقتابُ بطنه (٣)، فيدور في النار كما يدور [١١/ ب] الحمار برَحاه ، فيُطيف به أهلُ النار ، فيقولون: يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا (٤) عن المنكر ؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه".

من هذا الموطن بدأ ابن القيّم في سَوق أحاديث كثيرة جدًا كُلها في هذا الجانب جانب الوعيد ، لأنه سيُعالج مشكلة هؤلاء الجُهَّال الذين اعتمدوا على الرحمة والعفو والكرم ونَسوا أن عقاب الله شديد فهم بحاجة إلى أن يُسرد لهم هذه النصوص حتى يَعوا الحقيقة ، وحتى ينظروا إلى هذا الجانب ، فهم في غفلة عنه ، ولهذا كما قدمت لكم إذا كان الشخص مُقيمًا على الذنوب فالمناسب أن يُذَكَّر بنصوص الوعيد بما يُحَقِق له الإرتداع والإنزجار عن المعاصي والذنوب التي هو مقيم عليها فذكر أولًا هذا الحديث وفي الصحيحين عن أسامة ابن زيد رضي الله عنهما في قصة أو خبر الرجل -الذي يُؤتى به يوم القيامة ويُلقى في النار حتى تندلق أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه تندلق أي تخرج ويُطاف في النار كما يُطاف الحمار بالرحى ، فيطوف به أهل النار متعجبين يا فلان يقولون له ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ لاحظ هنا الرجل هذا الذي أُلقي في النار كان في الدنيا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومعروف بذلك ، يأمر من ؟ يأمر عُصاة ولهذا هو معروف وقالوا يا فلان ألم تكن ؟ فكان يأمر عُصاةً بالمعروف وينهى عن المنكر ويعرفونه بذلك في الدنيا ويطوفون متعجبين وهم يرونه معهم في النار

فيقول لهم كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه ، هذا الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه مع إلقائه في النار شُبِّه بماذا ؟-بالحمار شُبِّه بالحمار ويُلقى في النار ويُطاف به في النار وقد اندلقت أقتابه أي أمعاء بطنه كما يُطاف بالحمار ، ذُكِر الحمار هنا كما يُطاف بالحمار في الرحى فَشُبِّه بالحمار وذُكر أنه يلقى في النار ويعاقب بهذه العقوبة هنا شُبِّه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولكنه يا يأتمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر بالحمار وفي القرآن الكريم آية شُبِّه فيها من يُؤمَر بالمعروف ويُذَّكر ويوعَظ ولا ينتفع شُبِّه أيضًا بالحمار فما الآية ؟ قال تعالى: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ المدثر ، " ففي الحديث شُبِه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكنه لا يأتمر بالمعروف ولا يفعل بالحمار ، وفي القرآن شُبِّه من يؤمَر بالمعروف ويُنهى عن المنكر ويوعَظ ويُذَكر فيفر من الذكرى ولا ينتفع بها أيضًا شُبِّه بالحمار ، عافانا الله نعم.

وذكر الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه قال : مر رسول الله ﷺ بالبقيع فقال:
"أف لك ، أف لك! " فظننتُ أنه يريدني. فقال: "لا ، ولكن هذا قبر فلان بعثتُه ساعيًا على (١) آل فلان ، فغَلَّ نَمِرَ (٢)، فدُرِّعَ الآن مثلَها من نار"..

هذا أيضًا من أحاديث الوعيد ، حديث أبي رافع رضي الله عنه قال مرَّ رسول الله ﷺ بالبقيع فقال أُفٍ لَك أُفٍ لَك هو لا يرى أحدًا حول النبي ﷺ كان يمشي وحده مع النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فظنَّ أنه يقصده بها ظنَّ أنه يريده بها ، أُفٍ لَك أُفٍ لَك ، قال فظننت أنه يريدني فقال لا ، قال النبي ﷺ لم أقصدك بهذه الكلمة ولكن هذا قبر فلان وسمَّاه ، هذا قبر فُلان بَعثُه ساعيًا إلى آل فلان ، ساعيًا أي في أخذ أموال الصدقة وأموال زكاة بَعثُه ساعيًا إلى آل فلان فَغَلَّ نَمِرَة قطعة واحدة غَلَّها فَدُرِّعَ الآن يقول فدرّع الآن مثلها من النار في قبره نمرة أقلها ، فكيف بشخص عنده مظالم كثيرة للناس وحقوق كثيرة للناس وتعديات كثيرة للناس ثم يقول في نفسه ربك غفور رحيم والله واسع المغفرة يجب أن ينظر إلى هذه الأحاديث يجب أن ينظر لها ويتأمل فيها ويكون له فيها عبرة واتعاظ وذكرى ، نمرة غلّها يقول النبي ﷺ فدرّع الآن مثلها من النار في قبره البس درعًا من نار في قبره بسبب تلك النمرة ، هي السبب لما غلها -فلا يستهين الإنسان بالمظالم- لا يستهين بالتعديات -لا يستهين بظلم العباد ،ويتكل على مغفرة الله سبحانه وتعالى ، من القصص حقيقة التي في نفس الباب وفيها عبرة قصة أبي مسعود رضي الله عنه وهي في سنن أبي داود وإسنادها ثابت قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعيًا هذه مسألة ساعيًا مسألة فيها شيء من الخطورة لأنه يرى أموال وأموال والنفس ضعيفة وتفتن بالمال كثير ما ، الأعمال الخيرية عندما يليها بعض الناس ويوضع في يده أموال طائلة إما لبناء مسجد أو لأيتام ويرى أموال طائلة ربما كان قبل ذلك ما وقعت في يده في حياته مثل هذه الأموال لكنه أحسن به الظن ودفعت له تلك الأموال ليبني مسجدًا أو ليبني دار أيتام أو

ليساعد محتاجين في بلده ووضع في يده مال في حياته كلها ما رآها يأتي الشيطان ويقول أنت الآن بذلت وساعي وكذا وكذا لك نصيب خذ العشر ثم يقول لا ما يكفي العشر خذ الربع أنت جدير بهذا أصلًا لو ما جئت به ما حصّل هؤلاء المساكين شيء من ذلك أنت الساعي ولك نصيب ولك ولك إلى أن يجعله يأخذ جزءًا كبيرًا منه إن لم يأخذه كله وربما يقول الشيطان أنت أصلًا لما كنت صغير يتيم وهذا للأيتام فخذه ماذا باعتبار سابق يعني حياتك كلك يتيم وفقير وكذا ويأتيه بتأويلات حتى يوقعه والعياذ بالله وهذا الذي أحدثكم عنه يقع كثير حتى والله في زماننا لا بد أن نبين مثل ما فصّل ابن القيم لا بد أن نفصّل حتى ننتبه وإلا يفاجأ الإنسان ،يعني سبحان الله لو أن شخصًا أخذ هذه الأموال ثم أستعملها في غير وجهها ولما اكتملت مثلًا بنى فيها بيت ولما أكتمل البيت قبضت روحه فكان ورثته لهم الغن وهو الذي عليه ماذا ؟؟- الغرم والعقوبة ، فيجب على الإنسان أن ينتبه ، الحاصل أبو مسعود يقول بعثني رسول الله ﷺ ساعيًا ثم قال لي: انطلق أبا مسعود انطلق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء- والغلول يأتي من غل يحمله على عنقه يوم القيامة - ولهذا أناس يأتون يوم القيامة الذي على رقبته إبل والذي على رقبته غنم والذي على رقبته خيل والذي على رقبته صامت يعني(ذهب وفضة) والذي على رقبته رقاع تخفق كما في الحديث حديث أبي هريرة حديث الغلول في صحيح البخاري ، قال: لا ألفينك يوم القيامة على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء ، قال: فقلت إذن لا انطلق اسمح لي قال له النبي :لا أكرهك على هذا العمل قال إذن لا انطلق: يعني أخشى هذا فيه خوف فيه ورع فيه شيئًا ليس متيقن من أن يقع فيه ولهذا يعني قيدت هنا فائدة لكم ثمينة سمعتها من الوالد في هذا المجلس في شرحه لهذا الحديث في سنن أبي داود ، قال حفظه الله وجزاه عنا خيرًا ، قال هذا يدل على ما كان عليه الصحابة من الخشية من الوقوع في الأمور المحرمات وأن الواحد منهم قد يترك الشيء لما يخشى أن يترتب عليه وأن كان غير متيقن وقوعه في الإثم ليس متيقن من وقوعه في الإثم هنا لكنه ورعًا قال: إذن لا انطلق ، قال النبي ﷺ أكرهك: يعني إن شئت تذهب لكن الأمر بهذه الخطورة.

هذا حقيقة يعني ينبهنا على فائدة أن قضية الأموال هذه قضية ليست بالهينة ومن يكون على عمل في الأموال التي تجمع مثلًا في أيتام أو بناء دور أيتام أو في تحفيظ للقرآن أو مثلًا في بناء مساجد أو في أعمال خيرية أو ما إلى ذلك الأمر جد خطير ، والإنسان يفتن خاصة من كان قليل ذات اليد إذا فوجئ مرة في حياته قال لشخص أنا والله أحسن بك الظن وبلدك محتاج إلى كذا خذ هذا المبلغ مئة ألف وهو في حياته كلها ربما ألفي ريال ما اجتمعت في يده فيأتي في يده مبلغ كبير جدًا فيحضر الشيطان فورًا والنفس الأمارة والهوى وأشياء كثيرة وعليه خطورة ، الصحابي هنا أبا مسعود أنظر الورع العظيم قال إذن لا انطلق سامحني قال لا أكرهك على ذلك

فالإنسان في مثل هذه الحال إن وجد في نفسه ضعف أن يقول سامحني ما أستطيع إذا كان يخشى على نفسه ، فالعافية يقولون ماذا ؟ لا يعدلها شيء نعم

، نعم بس تتمة الحديث ما كانت واضحة عندي يقول لا ألفينك يوم القيامة على ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء قد غللته قال فقلت إذن لا انطلق قال لا أكرهك هذا حديث عظيم جدًا وفيه حقيقة مثل ما ذكر الوالد حفظه الله خوف الصحابة من أمور ليس متيقن وقوعها في الإثم لكن الورع العظيم والخوف الذي في قلوبهم يحملهم على ذلك ، نعم

وفي مسنده أيضًا (٣) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مررتُ ليلةَ أُسريَ بي على قوم تُقرَضُ شفاهُهم بمقاريض من نار ،فقلتُ: من هؤلاء ؟ قالوا (١): خطباء من أهل الدنيا (٢) ، كانوا يأمرون الناس بالبرّ ، وينسون أنفسهم ، أفلا يعقلون (٣)؟ ".

وهذا الحديث أيضا فيه هذا الوعيد للخطباء خاصة والوعاظ والمعلمين فيه وعيد لمن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكن يخالف الناس إلى ما ينهاهم عنه ولهذا قول الله سبحانه وتعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

وما ذكره الله عن نبيه شعيب عليه السلام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)

وما جاء أيضًا في أول سورة الصف (لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)).هذه الآيات الثلاث يعني: كما جاء عن بعض السلف يجب على كل من تصدر للخطابة والدعوة والتعليم أن يجعلها نصب عينيه ، فإن من العقوبات التي يوم القيامة عقوبات لخطباء من أمة محمد عليه الصلاة والسلام كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب. نعم

وفيه أيضًا (٤) من حديثه ، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -: "لما عُرِجَ بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمِشون وجوههم وصدورهم.فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل ؟ فقال (٥): هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم".

هذا أيضا من أحاديث الوعيد لمن يأكلون لحوم الناس والمراد بأكل لحوم الناس أي الغيبة قال الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ).

فأكل لحوم الناس بالغيبة وأيضًا السخرية والاستهزاء والإنتهاك لأعراضهم والولوغ في حرماتهم ، هذا باب عظيم من أبواب الإثم فيه عقوبات عظيمة ،ومع ذلك في مجالس تعقد لا لشيء إلا

لغيبة الناس والتندر والضحك والسخرية بالآخرين مجالس من أولها إلى أخرها وأصحابها لا يبالون ولا يفكرون بوقوف بين يديّ الله وأن هذا باب من أبواب الإثم وباب من أبواب العقوبة يوم يلقى العبد ربه سبحانه وتعالى ، قال: لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ، والجزاء من جنس العمل لما كان العمل أكل للحوم الناس بالغيبة والسخرية والاستهزاء والولوغ في الأعراض كانت العقوبة أن أصبحت أظفارهم من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم عقوبة لهم حتى هذا العمل الذي كانوا عليه ، نعم

وفيه أيضًا (٦) عنه ، قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول: "يا مقلّب القلوب (٧) ثبّتْ قلبي على دينك". فقلنا: يا رسول الله ، آمنّا بك وبما جئتَ به ، فهل تخاف علينا؟ قال: "نعم ، إنّ القلوب بين إصبَعين من أصابع الله ، يقلّبها كيف شاء".

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة في هذا الباب باب الخوف ، الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :" أمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا يعني وقد أمنا بك وأمنا بما جئت به" فقال: النبي صلى الله عليه وسلم " نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء" وجاء في بعض الأحاديث فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه وكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :" يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" وهذه الدعوة دعوة عظيمة جدًا ينبغي -معاشر المؤمنين- أن نحافظ عليها وأن نعتني بها عناية عظيمة يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك لأننا خاصة في هذا الزمان مع كثرة الفتن والله على خطر عظيم جدًا لكن إذا فوض الإنسان أمره إلى الله وأكثر اللجوء إلى الله وصدق مع الله في الدعاء يسّر له جلّ وعلا من أبواب التوفيق والنجاة والسلامة والعافية ما تكون به نجاة العبد بإذن الله سبحانه وتعالى فكان من أكثر دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ومن الأدعية في القرآن " رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ "آل عمران ، نعم

وفيه أيضًا (١) عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل: "مالي لم أر (٢) ميكائيل ضاحكًا قطّ؟ " قال: ما ضحك منذ خُلِقت النار".

قال وفيه أي المُسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم أرى ميكائيل ضاحكًا قَط ، وميكائيل في قول بعض أهل العلم هو الموكول بالقَطر الموكول بالسحاب بالمطر ، فقال مالي لم أرى ميكائيل ضاحكًا قط قال ما ضحك منذ خُلِقَت النار ، وهذا فيه إثبات الضحك للملائكة وفيه إثبات الخوف أيضًا الخوف العظيم وفيه أيضًا أن ميكائيل خُلِق قبل خَلق النار قال ما ضحك منذ خُلِقت النار أي خوفًا ، فهذا الخوف نافع للعبد وهو جزء من الإيمان " وَأَمَّا مَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ " هذا الخوف موهم جدًا في حياة العبد لكن الإنسان الذي استمرأ المعاصي وأقام عليها لا يلتفت إلى الخوف وينظر إلى عُموم المغفرة وسعة المغفرة ولا يلتفت إلى الخوف فيبقى على المعاصي مصرًا عليها فتكون حاله مثل ما قال ابن القيم رحمه الله كالمعاند ليس هذا هو حسن الظن بالله ، نعم

وفي صحيح مسلم (٣) عنه ، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يُؤتَى بأنعَمِ أهل الدنيا من (٤) أهل النار ، فيُصبَغ في النار صَبغةً ، ثم يقال له: يا ابن آدم ، هل رأيتَ خيرًا قطّ؟ هل مرَّ بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا ربّ.

ويؤتى بأشدّ الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ في الجنة صَبغةً ، فيقال له: يا ابن آدم ، هل رأيت بؤسًا قطّ؟ هل مرّ بك شدة قطّ؟ فيقول: لا ، والله يا ربِّ ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيتُ شدة (٥) قط".

هذا الحديث العظيم وهو في صحيح مسلم من الأحاديث التي فيها حث على النظر إلى العواقب والمآلات وما يكون في الدار الآخرة من ثواب وعقاب وأن الناصح لنفسه ينبغي أن ينظر ، لأن هذا النظر نجاة العبد يوم القيامة " إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ "الطور ، لا بد من الخوف والإشفاق في الدنيا لا بد من الخوف ، وهذا الحديث يعين إعانة عظيمة على الخوف من النار ، يُؤتى بأنعم أهل الدنيا :أكثرهم تنعمًا في الدنيا وهو من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة يعني يُغمس فيها غمسة ثم يُقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط ؟ انظر أنعم أهل الدنيا يُفكِّر الإنسان في هذه اللحظة في جميع أنواع النعيم الذي في الدنيا مجرد أن يُغمس غمسة في النار يوم القيامة ويُسأَل هل رأيتَ نعيمًا قط ؟ يقول لم

أرى نعيمًا قط ، بالمقابل أشد الناس بؤسًا في الدنيا وفكر أيضًا في هذه الصورة البؤس الشديد في الدنيا وهو من أهل الجنة يوم القيامة ، يُصبَغ في الجنَّة صَبغة ويُقال هل رأيتَ من بؤسٍ قط ؟ يقول ما رأيت بؤسٍ قط ، ولهذا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أي باعتبار المآلات والعواقب ، ولهذا هذا الحديث حديث نافع جدًا الباب باب النظر في العواقب والمآلات ويُعين على فهمه الحديث الآخر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :"حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات" ما معنى ذلك ؟ يعني لا تَغُر العبد الشهوات وحسن الإستمتاع بها في الدنيا فإن هذا زائل ومن وراءه النار ، وإذا غُمس الإنسان في النار يوم القيامة كل مُتع الدنيا ينساها ويقول لم أذُق نعيمًا قط ، وحُفَّت الجنَّة بالمكاره فلا تمنع الإنسان المكاره من إلزام نفسه على الطاعة والعبادة والقيام بفرائض الله سبحانه وتعالى فإن العاقبة الجنة جنة عرضها السماوات والأرض

أُعدَّت للمتقين فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يزال ابن القيم رحمه الله تعالى يسوق الأحاديث وبعد هذا ساق حديث البراء بن عازب الطويل في ذكر عذاب القبر ونعيمه وهذا يؤجل إلى لقائنا في الغد بإذن الله تعالى.نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا بمنِّه وكرمه.

أكثر من سؤال عن ليلة النصف من شعبان

ليلة النصف من شعبان أولاً: بإختصار أنصح بأن يقرأ رسالة قيمة مختصرة عظيمة النفع كبيرة الفائدة في هذا الباب للإمام عبد العزيز ابن باز رحمه الله تعالى ، وهي ليست طويلة في ثلاث صفحات أو أربع صفحات لكنه جزاه الله خيراً أتى فيها على خلاصة المقصود وزبدة الأمر في هذا الباب وبيّن رحمة الله عليه أن الفضائل الكثيرة التي تذكر والأعمال والعبادات التي تذكر تخص بها ليلة النصف من شعبان لا أصل لها صحيح ثابت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ونقل نقولات عديدة عن أهل العلم في تأكيد ذلك وأنه لم يثبت عن النبي ﷺ تخصيص لليلة النصف من شعبان بقيام ولا أيضاً النهار بصيام إلا لمن كان له صيام معتاد من كان يصوم البيض يستمر على صيامه لأن النية صيام البيض.

فيصوم صيامه المعتاد أما تخصيص ليلة النصف من شعبان بعمل وتخصيص يومها أيضاً بعمل فهذا ليس فيه شيء يثبت يعتمد عليه عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام .

والأصل في العبادة التوقيف كما قال عليه الصلاة والسلام "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" أي مردود على صاحبه غير مقبول منه بل الليلة وإن ثبت فيها فضيلة الليلة أي ليلة كانت وإن ثبت فيها فضيلة الفضيلة وحدها ليست مسوغاً لتخصيصها بعبادة وعمل حتى يأتي الشارع بذلك ، فانظر مثلاً فضل الجمعة وليلة الجمعة نهى النبي ﷺ أن تخص ليلة الجمعة بقيام مع أنها ليلة فاضلة ونهى أن يفرد يومها بصيام يخص به إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده العبادات مبنية على التوقيف وإذا كان العمل لا دليل عليه من سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الصحيحة الثابتة فإنه يرد على صاحبه ولا يقبل منه. ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...أما بعد , فيقول العلامة ابن القيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه" الداء والدواء

* وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ رضي الله عنهما أنه قال : «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَقَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى

سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَغْرَقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ. فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - {لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الْأَعْرَافِ: 40] فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ- فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى-، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 31] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ.»

وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ أَيْضًا «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ، فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ، لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلًا كَانَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، قَالَ الْبَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ وَيُمَدُّ لَهُ مِنْ فِرَاشِ النَّارِ» .

بسم الله الرحمن الرحيم ,الحمد لله رب العالمين, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ عليه وعلى إله وأصحابه أجمعين ,اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين..أما بعد ,

فلا يزال المصنف الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى -يسوق الأحاديث من سنة النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه في هذا الجانب الذي جمع فيه -رحمه الله تعالى- هذا الجمع النافع المفيد من الأحاديث وهو جانب الوعيد ,وأكثر من الأحاديث لأنه بصدد رحمه الله تعالى معالجة من يغالط نفسه في إقامته على المعاصي والذنوب بباب إحسان الظن بالله سبحانه وتعالى ويغفل غفلة عظيمة عن نصوص الوعيد وابن القيم -رحمه الله تعالى- ساق هذه النصوص وأكثر من ذكرها معالجة لهذه المشكلة لأنها مشكلة موجودة في كثير من الناس كثير من الناس يتكل على باب حسن الظن وأن الله

واسع المغفرة ,وأن رحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء, ويغفل عن هذه النصوص الكثيرة التي فيها الوعيد والتهديد وعقوبات الذنوب والمعاصي يغفل عنها غفلة عظيمة ثم يبقى مقيماً على المعاصي إلى أن تداهمه المنيّة وهو على ذلك عياذاً بالله ,ولهذا علاج ذلك هو التذكير بنصوص الوعيد ولهذا أطال في ذكرها وبسطها وذكر أنواع العقوبات التي تتعلق بها وهنا ذكر رحمه الله حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما الطويل في ذكر نعيم القبر وعذابه وهو حديث ثابت عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه قال المصنف الإمام ابن القيم -رحمه الله- وهو حديث صحيح صححه جماعة من الحُفّاظ والحديث ذكر فيه النبي ﷺ نعيم القبر وعذابه والكلام على جمل هذا الحديث قد يطول لكن موضع الشاهد من سياق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث ما جاء في آخره عندما يكون العبد في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة وهو على الإسراف والإقامة على ذنوبه ومعاصيه فإنه في هذه الحالة يكون على خطر عظيم وأن الواجب عليه أن يعد لهذا اليوم عدته لأن أعماله التي قدمها في هذه الحياة ستأتيه في قبره على صورة رجل فإن كانت صالحة جاءت على صورة رجل صالح جاءت صفته في الحديث بأنه حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فتأتي أعماله على صورة رجل صالح مبشرة له لكن اذا كانت أعمال الرجل خبيثة سيئة فإنه يأتيه عمله على صورة رجل قبيح ،قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الذي يجيء بالشر ,

هذا الحديث فيه إيقاظ للعبد إيقاظ عظيم جداً بأن يعمل على إصلاح عمله لأن عمله إن كان صالحاً كان مؤنساً له في وحشة القبر مبشراً له يأتيه على أحسن صورة أجمل هيئة, وإذا كان عمله سيئاً خبيثاً فإنه سيأتيه على هذه الصورة السوء والخبث مبشراً بما يسوء المرء, فوجب على كل ناصح لنفسه أن يعد لهذا اليوم عدته وأن يعلم أن هذه الحفرة سيدرج فيها ولا بد ،

ربما ظن أنه يعيش عمراً طويلاً وما علم أنه سيدرج فيها في الغد حتى وإن كان شاباً ولهذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام *{ أكثروا من ذكر هادم اللذات }*

فذكر هذا اليوم وذكر هذه التفاصيل في هذا الحديث وفي غيره مما ذكر المصنف وما لم يذكر هو باب من أبواب إصلاح العبد و أن يُحذر من الاتكال على حسن الظن بالله مفرطاً ومُضيّعاً في جانب طاعة الله سبحانه وتعالى .

* وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَاسْتَقْبَلْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: أَيْ إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا»

سياق المصنف لهذا الحديث وهو أيضاً من حديث البراء رضي الله عنه بعد حديث البراء الطويل يوضح لنا أن الغرض من سياق الحديث الأول: هو المعنى الذي جاء في هذا الحديث الثاني *{لمثل هذا اليوم فأعدوا}* والإعداد يكون بإصلاح العمل حتى يكون مؤنساً للمرء في قبره سروراً وراحة وقرة عين له وأن يجانب العمل السيء حتى لا يكون أذى عليه وشؤماً في قبره ,يقول عليه الصلاة والسلام *{ لمثل هذا اليوم فأعدوا }*

لمثل هذا اليوم الذي سينزل بكل واحد منكم فأعدوا العدة لمثل هذا اليوم ، يوم يكون العبد في انقضاء من الدنيا وإقبال من الآخرة انتهت دنياه بكل تفاصيلها وأقبل على الآخره, فلمثل هذا اليوم فأعدوا ,إذاً أولئك الذين يسوق ابن القيم هذه الأحاديث من أجلهم وهم من يتكلون على جانب حسن الظن مع الإقامة على الذنوب والمعاصي يجب أن ينظروا في مثل هذه الاحاديث وأن يعملوا على إعداد العدة وتأمل هنا قول النبي ﷺ *{ فأعدوا }* ولما قال له رجل متى الساعة قال *{ ماذا أعددت لها }* لا بد من عدة ما يكفي الاتكال على حسن الظن بالله لا بد أن يعد لذلك اليوم عدته *« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ »*

*وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ قَالَ: «خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمًا فَنَادَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَدْرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ قَوْمٍ خَافُوا عَدُوًّا يَأْتِيهِمْ فَبَعَثُوا رَجُلًا يَتَرَاءَى لَهُمْ، فَأَبْصَرَ الْعَدُوَّ، فَأَقْبَلَ لِيُنْذِرَهُمْ، وَخَشِيَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ، فَأَهْوَى بِثَوْبِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ أُتِيتُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أُتِيتُمْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» .

هذا يبين هذا الحديث وهو في المسند- حديث البراء- أن النبي ﷺ نصح الأمه وأبان السبيل, وأوضح الأمر- سلام الله وصلواته عليه –كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم هكذا كان في وعظه وتنبيهه وتخويفه , فما ينبغي للعبد أن يبقى مفرطاً بل يأخذ بهذا الوعظ الذي جاء عن النبي ﷺ وهذا التخويف وهذا التذكير وأن يقف على هذه النصوص متأملاً لها وأن يكون لها الأثر عليه في حياته ولهذا أورد رحمه الله هذا الحديث العظيم أن النبي ﷺ قال *{ أيها الناس أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟, قالوا:

الله ورسوله أعلم, قال: إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلاً يتراءى لهم فأبصر العدو فأقبل لينذرهم }* فهو منذر جيش صلوات الله وسلامه عليه منذر من عذاب شديد والحديث وإن كان في سنده مقال لكن يشهد له ما جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال *{ إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله -أي يحفظهم ويصونهم- فخشي أن يسبقوه- أي العدو إلى أهله- فجعل يهتف يا صباحاه }* يهتف من بعد محذراً فالنبي ﷺ حذّر وأنذر وخوف وذكر الوعيد فما ينبغي للعبد الناصح لنفسه أن يهمل هذه النصوص عن نبينا عليه الصلاة والسلام ويبقى متكلاً على حسن الظن مع حسن الظن مع التفريط والإضاعة, وهذا مراد المصنف رحمه الله تعالى من سياق هذا الحديث ونظائره.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَإِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» .

في هذا الحديث وهو في صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام إن على الله عز وجل عهداً لمن شرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال... أيليق بالمرء أن يبقى على هذا الخمر يشربه ويقول: أنا أحسن الظن بالله ونبينا ﷺ يقول إن على الله عز وجل عهداً لمن شرب الخمر أن يسقيه من طينة الخبال فمثل هذا يحدث خوفاً في قلب الناصح لنفسه وحذراً شديداً ويقف يتأمل في هذه الطينة طينة الخبال التي يقول النبي ﷺ في هذا الحديث :إن على الله عز وجل عهداً لمن شرب مسكر أن يسقيه من هذه الطينة طينة الخبال قالوا : وما طينة الخبال قال: عرق أهل النار أو عصارة أهل النار, أصل الخبال: الفساد ,فعرق أهل النار أو عصارة أهل النار هو: هذا الفساد الذي يخرج من أجسامهم عرقاً خبيثاً أو عصارة خبيثة فيسقيه الله سبحانه وتعالى منها- عقوبة له- فما يليق بعاقل أن يغفل النظر عن هذه الأحاديث العظيمة في الوعيد ويقول أنا أحسن الظن بالله, نعم أحسن الظن بالله وأحسن العمل وتجنب مساخط الرب سبحانه وتعالى, فمثل هذه الأحاديث ما تغفل بل يجب على الإنسان وخاصة المبتلى بمثل هذه الذنوب أن ينظر ويعيد النظر ويكرر النظر حتى تكون موقظة لقلبه وخلاص له من عقوبة ربه —نعم .

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ.

هذا الحديث أيضاً من الأحاديث النافعة في هذا الباب يقول الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه *{أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ }* والأطيط: هو الصوت الذي يكون للسماء من الملائكة الكثر الذين على السماء أو فوق السماء, ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد. الآن لما ترفع رأسك وتنظر هذه السماء المحيطة بالأرض كلها وبينها وبين الأرض خمسمائة عام وثم هي مستديرة على الأرض في سعتها ,هذه السماء الواسعة ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله, ثم السماء التي فوقها مثل ذلك, وسعتها أعظم, والتي فوقها أوسع وأعظم, ولهذا الملائكة لا يحصيهم إلا الذي خلقهم سبحانه وتعالى ,وسبحان الله لما تتأمل هذا الحديث وتقرأ مثلاً

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » كم هم هؤلاء الذين يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ !

فالحاصل: أن هذه الكثرة من الملائكة كلهم ساجدون لله خاضعون خائفون خاضعون لله سبحانه وتعالى ,ثم يقول صلى الله عليه وسلم *{ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل }* هذا الحديث عندما ينظر فيه الإنسان مرة واثنتين وثلاث وأربع أيسعه أن يتكل على حسن الظن ويبقى مقيماً على التفريط والتضييع؟؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:*{ لو تعلمون ما أعلم }* أي من عقاب الله وبطشه وانتقامه وما أعد من العقوبات إلى آخره *{ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون }*, أيليق بعبد والأمر كذلك أن يتكل على حسن الظن ويغفل مثل هذا ؟!!

ثم قوله هنا *{ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً }* فيه كما نبه أهل العلم إلى: اجتماع الرجاء والخوف

{ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً } يعني أنه فيه باب رجاء يعني كما أنه فيه وعيد وتهديد وعقوبات إلى آخره فيه باب رجاء ,لكن لا بد من إعمال الرجاء والخوف حتى تتحقق للعبد النجاة, لأن العبد إن أعمل الرجاء وحده أمن من مكر الله وعقوبته, وإن أعمل الخوف وحده قنط من رحمة الله ويئس من روح الله وكل من الأمن من المكر, والقنوط من الرحمة من كبائر الذنوب, ولا يمكن أن يحصل الاعتدال والقوام في ذلك إلا بإعمال الرجاء والخوف معاً والرجاء بابه أحاديث الوعد, والخوف بابه أحاديث الوعيد, بهذا

تكون نجاة العبد *« نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ »* هذا وهذا لا بد منهما .

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي جَنَازَةٍ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى سَاقَيْهِ، فَجَعَلَ يُرَدِّدُ بَصَرَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُهُ وَيُمْلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا، وَالْحَمَائِلُ: عُرُوقُ الْأُنْثَيَيْنِ.»

يعني هذا أيضاً من الأمور التي تتعلق بالقبر , وأن الناصح لنفسه ينبغي أن يعد لهذا اليوم عدته كما تقدم معنا من قول نبينا عليه الصلاة والسلام *{ لمثل هذا اليوم فأعدوا }*

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوُفِّيَ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَسُوِّيَ عَلَيْهِ، سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَسَبَّحْنَا طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ سَبَّحْتَ، ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ فَقَالَ: لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ» .

لا إله إلا الله ... قال في هذا العبد الصالح قال صلى الله عليه وسلم :"لو نجا أحد عليه من ضمة القبر لنجا منها سعد بن معاذ ",فهل يليق بإنسان أن يتكل على حسن الظن وينسى هذا اليوم ,وينسى ضغطة القبر, وينسى ما جاء في حديث البراء المتقدم من تفاصيل ؟! هذه أمور موقظات تجعل العبد ينتبه ويحذر أشد الحذر من التمادي في الذنوب اتكالاً على حسن الظن بالله سبحانه وتعالى .

سعد بن معاذ اهتز لموته عرش الرحمن رضي الله عنه وأرضاه وتضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج عنه قال صلى الله عليه وسلم : لو نجا أحد منها لنجا منها سعد بن معاذ !

فمثل هذه الأمور تجعل العبد يحاسب نفسه ويزن أعماله ويجاهد نفسه على طاعة ربه سبحانه وتعالى بما يرجو أن ينال به النجاة ,تقدم معنا لما سمع أبو ذر الحديث المتقدم قال: والله لوددت أني شجرة تعضد ,هذه الأحاديث تحرك في القلب خوف, وهذا هو المطلوب هنا الآن : وهو ابن القيم يعالج قضية يعني متجذرة في كثير من الناس مفرطين ومقيمين على المعاصي ومضيعين لأوامر الله ومرتكبين لكثير من المحرمات, ثم يسلي نفسه مع هذا التفريط ويقول إن الرب غفور رحيم والله واسع المغفرة وما إلى ذلك ,نعم لكن لا بد أن ينتبه إلى هذه المعاني العظيمة ,ولا بد أن تداوى القلوب بمثل هذه الأحاديث.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ» .

نعم هنا ذكر الجنازة الصالحة وغير الصالحة إذاً المناط في هذه الأمور على الصلاح أو غير الصلاح، الصلاح في طاعة الله وعبادته وحسن التقرب إليه ,وغير الصلاح بالإقامة على عصيانه وارتكاب مساخطه وما يغضب الرب سبحانه وتعالى, فإن كانت صالحة: قالت قدموني قدموني لأنها تعلم أنها مقبلة على خير وعلى نعيم, وعند قبض روح الصالح تبشره الملائكة عند موته.وأبشروا بالجنة. يسمع البشارة وتقبض روحه وهو في أنس وسعادة بما هو مقبل عليه, ومجرد ما يقبض الملك- ملك الموت- روح العبد المؤمن الصالح, فالملائكة الذين تقدم ذكرهم معنا ملائكة الرحمة وهم يجلسون على مقربة منه, لا يدعونها في يده طرفة عين, ومعهم حنوط من الجنة, وكفن من الجنة ,ولهذا هنا انتبه إلى فائدة جميلة تتعلق بحديث البراء: أن المؤمن بعد موته يكفن مرتين :-

-كفن لجسده: وهذا يباشره أهله وقرابته ومن يقوم على تغسيله وتكفينه.

-وكفن لروحه: بعد قبضها من قِبل ملك الروح والذي يقوم على هذا التكفين لروحه ووضع الحنوط في كفنه هم الملائكة الذين. وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات العظيمة التي تقدمت معنا في حديث البراء هذه إذا كانت صالحة والصلاح بالأعمال الصالحة والطاعات الزاكية.

فمثل هذا اليوم يجب على العبد أن يعد له عدته بمجاهدة نفسه على الصلاح وأن يحذر من ضده وهو غير الصلاح إن كانت غير صالحة قال: يا ويلها أين تذهبون بها .

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الرُّءُوسُ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ» .

نعم هذا الذي يتكل على حسن الظن هل تأمل في قول النبي صلى الله عليه وسلم يغرقون فيها على قدر خطاياهم أليس في هذا داعي للانتباه واليقظة والحذر من الخطايا ؟!!

الشمس تدنو قدر ميل تكون قريبة ويزاد في حرها وليس في ذلك ظل في ذلك اليوم ظل إلا من يظلهم الله سبحانه وتعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وهم أهل الصلاح- وذكرت أعمالهم الصالحة التي استحقو بها ذلك فيجب على من تغالطه نفسه أن ينتبه لمثل هذه الأحاديث وأن يعد لمثل هذه الأحوال عدتها .

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ ؟ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ نَقُولُ ؟ قَالَ: قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» .

يقول عليه الصلاة والسلام :كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنا جبهته يستمع متى يؤمر ؟: يعني متى يؤمر بالنفخ في الصور فتنتهي الدنيا كلها في هذه النفخة *« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ»*

فهذه النفخة التي يترتب عليه صعق كل من كان حياً على وجه الأرض وبها تنتهي هذه الحياة وتبدأ الحياة الأخروية, فيقول عليه الصلاة والسلام: كيف أنعم وصاحب القرن قد إلتقم القرن ؟!

الحاصل أن مثل هذه الأحاديث ينبغي أن يحضرها العبد في ذهنه, حتى تكون موقظة له بالبعد عن الإسراف على نفسه بالمعاصي والذنوب ,*{قالوا :كيف نقول يارسول الله ؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل }* وهذه كلمة عظيمة جداً وهي كلمة توكل وإلتجاء وتفويض إلى الله سبحانه وتعالى يحسن أن يقولها المسلم في دفع ما يخاف من أهوال أو شدائد أو كربات, وأن يقولها أيضاً في جلب ما يطلب من مصالح ومقاصد حسنة طيبة ,وكثير من الناس يظن أنها تقال فقط في مقام دفع المكروه .وهي تقال في مقام دفع المكروه, وجلب المصالح والمنافع. ولهذا شرع لنا في كل مرة نخرج فيها من البيت أن نقول:" بسم الله توكلنا على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ":نستعين بالله ونلتجأ إليه سبحانه وتعالى ونفوض أمورنا إليه جل وعلا ,

ومن الشواهد على أن هذه الكلمة تقال في باب طلب النعماء, وهذا -كما ذكرت -كثير من الناس يغفل عنه من الشواهد أنها تقال في مقام طلب النعماء قوله سبحانه وتعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ »*

قالوا حسبنا الله وفي هذا المقام مقام طلب النعماء ,وإما استعمالها في مقام دفع الضر والبلاء ففي قوله سبحانه وتعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} »* وجمع المعنيان في الآية التي في سورة الزمر قول الله سبحانه وتعالى *« وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ»* . أي في هذا وهذا في باب الرحمة وفي باب دفع الضر وقل حسبي الله : أي في هذا وفي هذا في باب طلب الرحمة وفي باب دفع الضر والشدة .

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ» .

نعم هذه فيها عقوبات المتكبرين المختالين المتعظمين في أنفسهم أنه يلقى الله سبحانه وتعالى وهو عليه غضبان .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الْمُصَوِّرِينَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» .

أحيوا ما خلقتم يعني يؤمر بأن ينفخ فيما خلق أي فيما صور,أحيوا فيما خلقتم أي فيما صورتم انفخوا فيه الروح ثم يعذبون بكل صورة صوروها في هذه الحياة الدنيا ,وجاء في عقوبات المصورين أحاديث كثيرة جداً, جاء فيها أحاديث كثيرة ووعيد ,

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

وَفِيهِمَا أَيْضًا عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحَ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ» .

نعم في هذا الحديث وهو في الصحيحين أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أنه يجاء يوم القيامة بالموت عندما يكون في أهل الجنة- الذين أكرمهم الله عز وجل بدخولها- ويكون في النار أهلها الذين هم خالدون فيها بعد إخراج عصاة الموحدين, يؤتى بالموت يوقف بين الجنة والنار- يؤتى به حقيقة- ثم ينادى أهل الجنة يقال: أتعرفون هذا, فيقولون: نعم هذا الموت ,وينادى أهل النار ويقال: أتعرفون هذا؟ فيقال :نعم هذا الموت . كيف عرفوه ؟؟

-لأنهم ذاقوه كل واحد منهم ذاقه, كل واحد منهم ذاق الموت عرفه بأن ذاق الموت, فيعرفونه معرفة جيدة بهذا الموت الذي ذاقوه, انتهت دنياهم وبدأت آخرتهم إنتهت بهذا الموت دار العمل وبدأ دار الجزاء والحساب فيؤتى بهذا الموت ويجعل في مكان بين الجنة والنار ثم كما أخبر عليه الصلاة والسلام يذبح الموت ، الموت يذبح حقيقة كما أخبر نبينا عليه الصلاة والسلام يذبح الموت ماذايعني ذبح الموت ؟؟إذا ذبح الموت ماذا يعني ؟؟؟

-يعني أن أهل الجنة في الجنة خلود أبدي ,لا يتطرقه موت إطلاقاً وأهل النار في النار خلود أبدي لا يتطرقه موت إطلاقاً ولهذا مر معنا في *« { وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} »* لا يموت : أي الموت ذبح انتهى, ولا يحيى : أي لا يحيى حياة فيها راحة وفيها حياة بل

حياة فيها جحيم وعقاب أبدي مستمر ,هذا الحديث لأجل توضيح مراد ابن القيم أؤكد على هذا المعنى من سوق الحديث ,هذا الحديث عندما يقرأه المرء ماذا يحدث في نفسه ؟عندما يقرأ هذا الحديث ويتأمل في معناه ويتأمل في ذلك اليوم ماذا يحدث في نفسه ؟؟- يحدث خوف يحدث... وهذا هو المطلوب -هذا هو المقصود -هذه الأحاديث هي مهمة جداً في حياة المرء حتى تداوي ما عنده من تفريط وتقصير وعدم استعداد لذلك اليوم العظيم .

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ قَالَ: «مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَادَامَ عَلَيْهِ، » ثُمَّ أَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُهُ.]*

نعم هذا الحديث وبعده أحاديث فيها ما يتعلق بعقوبات بعض المعاصي لا تقبل له صلاة فلعل يؤجل هذا وما بعده وما في معناه إلى لقاءنا القادم ..

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً,

أشير إلى كلام سيأتي لابن القيم رحمه الله تعالى لكن جميل أن نستحضره مع كل حديث قرأناه مع هذه الأحاديث يقول ابن القيم: والأحاديث في هذا الباب أضعاف أضعاف ما ذكرنا لما أورد الأحاديث قال في تمامها والأحاديث في هذا الباب أضعاف أضعاف ما ذكرنا فلا ينبغي لمن نصح نفسه أن يتعامى عنها, ويرسل نفسه في المعاصي ويتعلق بحسن الرجاء وحسن الظن هذا مراد ابن القيم من سوق هذه الأحاديث وأحاديث الباب كما قال أضعاف أضعاف ما ذكر رحمه الله تعالى ,ونسأل الله التوفيق والمعونة والسداد .

الأسئلة جزاكم الله خيراً وبارك الله فيكم وألهمكم الله الصواب ووفقكم للحق نفعنا الله بما سمعنا وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين .

السؤال الأول :* يقول السائل أحسن الله إليك ملك الموت هل هو واحد أم إنه إسم جنس فيكون عدد من الملائكة ؟

الجواب : ملك الموت واحد *« قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »*

و في الآية الأخرى قال *« تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ »* فملك الموت واحد وله أعوان وما يذكر أن إسمه عزرائيل الذي هو ملك الموت هذا جاء في بعض الإسرائيليات ولم يأتي في الأحاديث الصحيحة يعتمد عليها في هذا الباب فهو ملك وله أعوان من الملائكة ,وأيضاً يحضر وفاة المؤمن ملائكة هم ملائكة الرحمة جاء وصفهم في حديث البراء بن عازب, ويحضر قبض روح الكافر ملائكة هم ملائكة العذاب جاء وصفهم في حديث البراء .

السؤال الثاني : أثابكم الله يقول هل يعذب الميت في قبره ببكاء أهله عليه وإن كان صالحاً ؟

الجواب : هذا جاء في الحديث أن الميت ليعذب ببكاء أهله ,والحديث ثبت عن نبينا ﷺ

ولأهل العلم في معنى هذا الحديث أقوال منها :أن تعذيبه ببكاء أهله إن كان له يد في ذلك وهذا له صور مثلاً :

- أن يكون مثلاً بلده معروف بالبكاء والتسخط والجزع والأعمال الجاهلية معروف في البلد ومعتاد عليها فلم ينههم عن ذلك ,ولهذا بعض السلف ومنهم بعض الصحابة في وصيته يحذر أهله من ذلك. - أبرأ إلى الله- يكتب في الوصية من كل صالقة وحالقة وشاقة- يثبتها في الوصية- فإذا كان مثل هذا أو كان أيضاً له يد في مثل هذا الأمر أو عرف عنه مثل ذلك فيمن مات من قرابته فتلقوا ذلك عنه أو نحو ذلك..

- أما ذنوبهم التي هي لهم ولا يد له فيها فإن الله سبحانه وتعالى يقول *« {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} »*

السؤال الثالث : يقول هل من السنة إلقاء موعظة للناس بعد دفن الميت وباستمرار بعد دفن كل ميت ؟

هذا السؤال بناه السائل على ما ورد في حديث البراء وحديث البراء لا يدل على أن هذا الأمر كان معتاداً وسنة ماضية في كل جنازة وإنما هذه تأخر اللحد وكان يعمل على التهيئة فاستغل عليه الصلاة والسلام هذه الفرصة فوعظهم وذكرهم ,فإذا كانت الموعظة لها مناسبة معينة أو سبب معين أو خطأ معين, فاحتاج إلى تنبيه فإنه يؤتى بها, أما أن تتخذ سنة ويداوم عليها مع كل جنازة نحو ذلك ,فهذا مما لا أصل له في هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

السؤال الرابع : يقول ما حكم من يتوب وبعد قليل يقع في نفس الذنب ؟

الجواب :- إذا كان يعلم أن له رباً يغفر الذنب ويقبل التوب ويجاهد نفسه على التوبة ويتوب ثم تغلبه نفسه, ثم يجاهد نفسه على التوبة, فهذا يرجى له خير ,وقد تقدم حديث في هذا المعنى,

- لكن إذا كان لا يبالي فهذا الذي على خطر لكن إذا كانت تغلبه نفسه ثم يرجع نادماً منيباً إلى الله عز وجل تائباً باكياً على تفريطه وما حصل منه, ثم تحصل بعض الأسباب التي تجره مرة أخرى إلى الذنب ,ثم يبادر إلى التوبة فهذا يرجى له خير بإذن الله سبحانه وتعالى .

السؤال الخامس : يقول ماهي الطريقة الصحيحة في الوقوف على القبر والدعاء للميت بالتثبيت والإستغفار له ؟

الجواب: عند دفن الميت السنة إن- يدعى له بالتثبيت, ومن المعلوم أن من على القبر هم عليه من جهاته كلها هم على القبر , فكل في مكانه وفي جهته يدعو بهذه الدعوة للميت وقد جاء في الحديث

{ سلوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل } يدعى له بالثبات يدعى له بالمغفرة, يُسأل الله له ذلك يجتهد له في الدعاء, لكن لا يطيل المكث وما جاء عن عبد الله بن عمر بن العاص أنه قال*[قدر نحر جزور]* يقول الشيخ بن باز رحمة الله: عليه هذا اجتهاد منه ,لكن لا يعرف في السنة أن يمكث طويلاً وإنما يدعو له وبعض أهل العلم يقول الهدي في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثلاثاً لكن يدعو له بما تيسر ثم ينصرف,- ولا يقيم إقامة طويلة أو يمكث مكوثاً طويلاً لأن هذا لم يعرف ولم ينقل عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

* اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابة الداء والدواء

* وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهُ قَالَ: «مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً مَا دَامَ عَلَيْهِ، » ثُمَّ أَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُهُ.

* بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليُ المتقين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..أما بعد :

فلا يزال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يسوق أحاديث الوعيد في مقام بيانه رحمه الله تعالى أو تحذيره مما يقع فيه بعض الناس من مغالطة لأنفسهم في إقامتهم على المعاصي وإسرافهم على أنفسهم بالذنوب وأنهم يتكئون في هذا على حسن الظن بالله سبحانه وتعالى فيورد رحمه الله تعالى هذه الأحاديث ، أحاديث الوعيد ,وأحاديث العقوبات المشتملة على الزواجر, وما عدّ الله سبحانه وتعالى لأصحاب المعاصي وأرباب الذنوب من عقوبات أن هذه يجب أن تكون على بال المسلم وأن تكون حاضرة في ذهنه لِئلا يعرض نفسه لسخط الله سبحانه وتعالى وعقوبته جل وعلا, فساق أحاديث كثيرة منها هذا الحديث في المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : *{ من اشترى ثوباً بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه }* أي الثوب .

والحديث من حيث الإسناد غير ثابت لأن مداره على رجل يُقال له هاشم الأقوص وهو كما قال الإمام البخاري رحمه الله غير ثقة فالحديث ضعيف الإسناد غير ثابت عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لكن خطورة المال الحرام وإن كان قليلاً درهم أو أقل من درهم أو نحو ذلك هذا جاء فيه أحاديث كثيرة عن نبينا عليه الصلاة والسلام تغني عن هذا الحديث الضعيف مثل ما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال*{ من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه أوجب الله له النار قالوا يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً قال ولو كان قضيباً من آراك }* لو كان عود مِسواك فكيف بأشياء كبيرة يقتطعها الإنسان بحق وسيأتي معنا عند المصنف قريباً من اقطع قيد شبرٍ بغير حق طوقه يوم القيامة من سبعة أراضين وفي بعض الألفاظ خُسف به سبعة أراضين فحتى لو كان الأمر شيئاً يسيرًا أو قليلاً فإن الظلم ظلمات والحقوق مؤداة يوم القيامة .

* وَفِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ طِينَةَ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ»

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث فيما يتعلق بالسُكْر والسكر آفة عظيمة وشر مستطير ومضاره على من يفعله مضار عظيمة ، بل جاء وصفه بأنه أم الخبائث لأنه جِماع الشرور، ومفتاح لأبوابها وهذا الحديث شاهد على هذا المعنى أن الخمر أم الشرور والخبائث, قال:*[من ترك الصلاة سُكراً مرة واحدة]* : هذا يفيد ماذا ؟؟

-أن من آفات الخمر أنه قد يفوت بسببه الصلاة قد يفوت الفرض والفرضين للسُكر الذي هو فيه فالسُكر يترتب عليه تعطيل الواجبات وفعل المحرمات ,فهو جماع الشرور وآفة عظيمة جداً ومن بُليَ به والعياذ بالله فتح على نفسه شراً عظيماً .

قال:*[من ترك الصلاة سُكراً مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسُلبها]*هذه خسارة فادحة جدًا, هذه يتصورها الكثير من الناس فيما يتعلق بمُتع الدنيا مثل لو شخص من الأثرياء أصبح وليس عنده من ماله وماله لا يساوي الدنيا كلها جزء يسير منها أصبح ولا يملك منه شيء يتألم الناس له ويعتبرونها في حقه فاجعة عظيمة.

[من ترك الصلاة سُكراً مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا _ ليس جزءاً يسيراً منها _ فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلبها]

وهذا يبين لنا أن الصلاة خير من الدنيا وما فيها أنظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في نافلة الفجر قال: *{هي خير من الدنيا وما فيها }*

ذِكر الله خير من الدنيا وما فيها لئن أقول سبحان الله والحمد ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس يعني أحب اليه من الدنيا وما فيها ،

*{ فمن ترك الصلاة سُكراً مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسُلبها ومن ترك الصلاة سُكراً أربع مرات كان حقاً على الله أن يسقيه طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال عصارة أهل جهنم}*والخبال أصله الفساد فالعصارة الفاسدة المنتنة الخبيثة يُسقى منها يوم القيامة جزاءًا وفاقاً والجزاء من جنس العمل.

قال وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ مَرْفُوعًا «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ مَرَّةً لَمْ يقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» .

* وهذا أيضاً يتعلق بالخمر هذه الآفة الخبيثة التي يترتب عليها من الشرور الشيء الكثير يقول عليه الصلاة والسلام في الوعيد على شربها *{ من شرب الخمر مرة لم تُقبل له صلاة أربعين صباحاً }*أي أربعين يوماً، وليس معنى ذلك أن هذه المدة الأربعين تسقط عنه الصلاة بل هي باقية واجبة عليه ولا تبرأ ذمته إلا أن يؤديها, وليس معنى أنه لا تقبل صلاته أي أنه إذا صلى في هذه الأربعين تكون صلاته غير صحيحة ؛صلاته صحيحة مجزئة لكن لا يُثاب عليها صلاته صحيحة وتبرأ الذمة ,ولو تركها في هذه المدة وقال أنها غير مقبولة إذًا أتركها فالإثم يتضاعف والعقوبة أعظم لأن ترك الصلاة عمداً كفرٌ؛ *{ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر}* فهو يلزمه أن يصلي ويواظب على الصلاة ويعتني بها لكن لا يُثاب عليها عقوبة له لا يُثاب عليها في تلك المدة مدة الأربعين *{من شرب الخمر مرة لم تُقبل له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه}* وهذا فيه أن باب التوبة مفتوح وأن العاصي المُسرف يجب عليه أن يستحضر هذا دائماً وأن الله يقبل التوبة من شرب الخمر ومن أي ذنب كما قال الله سبحانه وتعالى : قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ »* أي توبوا *« إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »* من تاب تاب الله عليه فإذا تاب تاب الله عليه *{فإن عاد لن يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فإن عاد كان حقاً على الله أن يسقية من ردغة الخبال يوم القيامة }* ومر معنا معنى ذلك في الحديث الذي قبله .نعم

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «مَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ، قِيلَ: وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ ؟ قَالَ نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ» .

ثم ذكر هذا الحديث الثالث أيضاً فيما يتعلق بالخمر والعقوبات التي عليها أن النبي ﷺ قال:*{ من مات مدمناً للخمر }*هنا أيضاً مشكلة في الخمر أن من دخل فيها شرب مرة أو مرتين يستدرجه هذا الأمر إلى أن يدخل في ما يسمى الإدمان والإدمان أيضاً آفة خطيرة جدًا ومضرة جسيمة على العبد*{فمن مات مدمناً للخمر سقاه الله من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة ؟ قال

نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن }*إذا كان يؤذي أهل النار ريح فروجهن فكيف بمن يشرب هذا السائل النتِن الخبيث المؤذي يشربه ، سقاه الله يوم القيامة من نهر الغوطة ,نهر الغوطة هذا الذي يخرج من فروج المومسات .

والعاقل عندما يتأمل في مثل هذا يجد فيه رادعاً عظيماً وموقظاً كبيراً للمرء أن يتجنب هذه الآفة فمع قراءة هذه الأحاديث الثلاثة ولها نظائر في السنة كثيرة أيليق بعاقل ناصح لنفسه أن يُهمل هذه الأحاديث ويستمر في شرب الخمر ويقول أنا أحسن الظن بالله أن لا يعذبني ؟!

هذا مقصود ابن القيم بإراده مثل هذه الأحاديث ولو أُعمِلَ هذا الفهم الذي يفهمه بعض الناس لعطلت جميع أحاديث الوعيد ولم يصبح لها معنى -لم يصبح لها اي معنى- ولم يصبح لها أي أثر

فهذه الأحاديث زاجرة وهي عقوبات أعدها الله سبحانه وتعالى ,أنظر الجملة التي وردت في هذا الحديث قال *{ إلا كان حقاً على الله أن يسقيه }* هذا الوعيد يأخذ بقلوب العقلاء مأخذًا قوياً وفيه من الزجر والردع ما لا يخفى. نعم

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ» .

* ثم أورد رحمه الله هذا الحديث أن النبي ﷺ قال:*{ يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير }*جدال أي المذنب العاصي يجادل عن نفسه وأيضاً يبدي المعاذير عن ذنوبه وعمّا وقع فيه من أخطاء فجدال ومعاذير عرضة جدال وعرضةٌ معاذير يعني لكن ليس هذا لكل أحد هذا ليس لكل أحد ولهذا تقرأ في سورة المُرسلات يقول الله سبحانه وتعالى*« هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) »*هذا ليس لكل أحد وإنما لبعض المذنبين أو صِنف من المذنبين وإلا هناك منهم من شأنهم كما قال الله وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ»*

قال: وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه أو آخذ بشماله وفي سورة الحاقة وفي سورة الحاقة والإنشقاق ذكر ما يترتب على هذا وعن هذا .نعم

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ: فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَضَرَبَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مَثَلًا، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا وَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا» .

* ثم أورد هذا الحديث العظيم جداً في بيان خطورة الصغائر والذنوب التي لا يراها الإنسان شيء ويقول هذه تافهة أو يسيرة أو ليست بشيء محقرات الذنوب أي التي يتحاقرها الإنسان لا يراها شيئاً وكثير من الذنوب سبحان الله بعض الكبائر أصبحت محقرات عند بعض الناس فالحاصل أن محقرات الذنوب يعني الذنوب الصغيرة التي لا يراها فاعلها شيئاً النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلاً بعد أن حذر أمته ناصحاً عليه الصلاة والسلام من محقرات الذنوب قال إياكم ومحقرات الذنوب أي احذروها واتقوها تجنبوها أدركوا خطورتها *{إياكم ومحقرات فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه}* هذه واحدة وهذه أخرى وهذه ثالثة وهذه رابعة محقرات وماضٍ على تلك الطريقة حتى تجتمع عليه هذه المحقرات فتهلكه والعياذ بالله وضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً عجيباً يوضح لنا ذلك وضرب لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً*{ كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم }* يعني صنيعهم الطعام إعدادًا معهم العجين معهم الماء لكن يحتاجوا النار تُنضج الطعام لو أخذوا عوداً واحداً صغيراً ووضعوه تحت القِدر أيُنضج طعامهم ؟

-ما يصنع شيئًا ,فلو جاء واحد منهم بعود واحد وأشعله ووضعه تحت القدر من أجل أن ينضج الطعام أي شيء يقول له أصحابه ؟ - يُحقّر أمره, يقال ماذا يصنع ؟ -هذا ما يفيد شي! ولا يوقد.

ولو جاء معهم بثاني أيضاً ما ينضج ثالث أيضاً ما ينضج رابع ما ينضج الطعام لكن يقول*{فجعل الرجل ينطلق فيجيب العود والرجل يجيب العود حتى جمعوا سوادا }* كمية كبيرة *{وأججوا نارا}*فأنضجوا ما قذفوا فيها حينئذ تنضج ,هذا مثال سبحان الله عجيب جداً ,أن المحقرات في النظرة الأولى الوهلة الأولى لها يراها الإنسان ليست بشيء مثل هؤلاء الذين يصنعون الطعام, ولنستحضر المثال جيداً فإنه نافع من الناصح الأمين عليه الصلاة والسلام,

يعني لو أن شخصاً وهم في البرية يصنعون طعام وعندهم القدر وفيه اللحم وفيه الأشياء الأخرى وذهب واحد وجاب عود صغير ووضعه وأشعله تحت القدر وقال انتظروا الآن ينضج الطعام يحقرون عمله ما هذا ؟؟!! -هذا ليس بشيء, وجاء بعود تاني .. يحقرون عمله ,

هذا مثال عجيب سبحان الله ,من ينظر حال الناس مع ذنوب هم كشأن هؤلاء كما في هذا المثل فإذا جاء ذنب وآخر وثالث ورابع وخامس إلى أن يكون سواد من الذنوب ولا يدري كم هذه الذنوب التي تراكبت تراكمت مع مر الليالي وكر الأيام ولهذا قال ناصحاً عليه الصلاة والسلام *{إياكم ومحقرات الذنوب }* أي احذروها ,هذا الحديث الآن مع أولئك الذين يتكئون على حسن الظن أي شيء يكون هذا الحديث وهم فيه من هو منغمس في الكبائر متكلاً على حسن الظن. نعم

قال وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : «يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَعَلَى حَافَّتَيْهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ» .

* قال رحمه الله: هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:*{يضرب الجسر على جهنم }* يضرب أي ينصب وجاء في بعض النصوص وصفه بأنه أحد من الشعر وأدق من السيف ويؤمر الناس بالمرور والعبور من فوق هذا الصراط والنار من تحت المار على هذا الصراط قال الله تعالى *« وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا "." ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا .. نسأل الله من فضله وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا »* كل أحدٍ من هذا العبور على يقين لثبوته لكن النجاة هو في شك منها ولهذا يجب أن يُعِدّ لهذا اليوم عدته وأن يُصلح عمله لأن العبور على الصراط الذي يُنصب على متن جهنم يوم القيامة هو بحسب سير الإنسان في الصراط المستقيم الذي في الدنيا *« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ »* كل ما كان المرء أتبع للصراط المستقيم في الدنيا كان هذا أنفع له في العبور على الصراط الذي على متن جهنم يوم القيامة وإذا تخطفت المرء الأهواء والشبهات والضلالات وأخرجته عن الصراط المستقيم في الدنيا تخطفته يوم القيامة الكلاليب التي على جنبي الصراط يوم القيامة فهناك كلاليب كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم لماذا تخطف الناس؟ لماذا تخطف فِئَام أو فئات من الناس؟- قال تخطف الناس بأعمالهم- أي السيئة أعمالهم الرديئة -التي أوجبت سقوطاً وهوياً -والعياذ بالله- في نار جهنم, فأكون أول من يجوز أي يعبر ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم

سلم وهذه شفاعة , وعلى حافتيه أي الصراط كلاليب مثل شوك السِعدان تخطف الناس بأعمالهم أي أعمالهم السيئة التي توجب هلاكهم- والعياذ بالله -

فمنهم الموبق بعمله : أي المُهلك .

ومنهم المُخردل : أي المقطّع تقطعه هذه .

ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يرحمهم من هم هؤلاء ؟من هم ؟ -عصاة الموحدين الذين عندهم ذنوب أوجبت لهم السقوط في النار فإذا أراد أن يخرجهم سبحانه وتعالى من أراد أن يرحم مما كان يشهد أن لا إله إلا الله : لاحظ هؤلاء الذين في النار يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلّون ولهذا النار لا تأكل مواضع السجود منهم يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلّون لكن عندهم ذنوب أوبقتهم أهلكتهم فدخلوا بسببها في النار .

أمر الملائكة أن يخرجوهم : فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا -أي محشتهم النار- أحرقتهم فيُصبُ عليهم من ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحِبّة في حميل السيل : هؤلاء يُطرحون هؤلاء يعني يُخرجون من النار وقد امتحشوا صاروا فحماً مثل قطع الفحم وتميتهم النار إماتة ويُخرجون من النار موتى أحرقتهم النار وأماتتهم وهذه الإماتة عندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يخرجهم تميتهم النار إماتة فيخرجون قطع من الفحم ويلقون في نهر الفردوس فيحيون بماءه كما تنبت الحِبّة في حميل السيل ,الحبة في حميل السيل : السيل عندما يأتي في الوادي يحمل البذور التي في الوادي على متنه ثم يُلقيها على جنبتيه فتنبت على جنبتي الوادي بماء السيل .

هؤلاء مثل هذا الذي ينبت على جانب الوادي من ماء الوادي هؤلاء يحيون بماءه قال عليه الصلاة والسلام :"ينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل ألا ترونها تخرج صفراء ملتوية" يعني هؤلاء يحيون مثل هذه النباتات التي تحيا بماء السيل, هؤلاء عصاة الموحدين فمثل هذا يوجِد في القلب رادعاً زاجراً من الذنوب حتى لا يكون من هؤلاء الذين تصيبهم النار ولو للحظة لأن أنعم أهل الدنيا كما تقدم لو غُمس في النار غمسة واحدة لقال ماذا ؟ ما رأيت خيراً قط ,فلا يُفتن المرء بالدنيا وزخرفها ومتعها ولهوها لا يفتن بذلك غمسة واحدة في النار تنسيه كل هذا ويقول ما رأيت خيراً قط وما مر بي نعيمٌ قط فلا يغتر الإنسان ولا يفتن. نعم

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ، هُوَ عَالِمٌ، فَقَدْ قِيلَ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» وَفِي لَفْظٍ «فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* هذا الحديث فيه أن أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة هؤلاء الثلاثة, أول ثلاثة من خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة هؤلاء لو تنظر في حال هؤلاء الثلاثة عندهم هذه الأعمال التي لو تأملت تُعد من جلائل أعمال الدين وعظيمها ورفيعها :-

_ الجهاد حتى الاستشهاد.

_ وتعلّم العلم وقراءة القرآن حتى يكون عالِماً مقرءاً معلماً له مكانته في العلم.

_ والنفقة والبذل في سبيل الله والعطاء الواسع .

هذه الأعمال الثلاثة هي من جلائل الأعمال وعظيم الخصال, ومع ذلك هؤلاء لما فسدت نياتهم رُدّت أعمالهم وكانوا من أول من تُسعر بهم النار :

رجل قاتل ليُقال جريء وقد قيل : قال الناس جريء وهو قاتل من أجل هذه الكلمة, وقيلت في الدنيا قل ملايين المرات ,ما تنفع يوم القيامة إذا كانت هي مقصوده وهي غايته وهي بُغيته ما تنفع يوم القيامة ،

ورجل تعلّم العِلم : قرأ القرآن حفظ وأتقن وأضبط ولازم العلماء وقرأ الكتب وحفظ المتون, ليقال قارئ ليقال عالم, ليقال فقيه ليقال مجتهد, ثم نال ذلك وقيل عنه هذه الكلمات أو أكثر ماذا تنفع يوم القيامة إذا كانت هي مقصوده في هذا العلم وتحصيله ,ولهذا يجب على طالب العلم أن يحذر من هذا المُبطل للعمل, تجده السنوات الطويلة يلازم العلم والعلماء ويحفظ وإلى آخره فإن فسدت النية باء بالخيبة والعياذ بالله والنية تحتاج إلى معالجة ومعالجة ومعالجة مستمرة ما عالجتُ شيئاً - يقول سفيان- أشد علي من نيتي النية أمرها ليس بالهين .

والثالث: يُنفق ويبذل من الأموال ليقال فلان سخي وفلان كريم وفلان يبذل أموال فيقال ذلك لكن ما ينفعه هذا يوم القيامة ,لماذا ؟؟-لأنه لن يدخل في صالح عمل المرء إلا ما ابتغي به وجه الله *« فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا »*

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى *{أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معيَ فيه غيري تركته وشركه }* لما نأتي إلى مسألة حسن الظن هؤلاء الثلاثة منهم : واحد منهم في جهاد وأبلى بلاءاً عظيماً في النكاية بالأعداء وحتى قُتِل لكن كان يفعل ذلك من أجل أن يُقال جريء ,

وآخر: عكف على العلم وحفظه وضبطه وأتقن وحفظه وتعلم إلى آخره ليقال عالم أو يقال قارئ متقن حافظ مُجيد يقصد هذا .

وثالث: حصّل الأموال وأخذ يُنفق ويبذل بسخاء لكن لأجل أن يقال مُنفق هؤلاء أعمالهم عظيمة, في الظاهر أعمال عظيمة جدًا لكن لما كانت النية ليست لله وإنما للرياء للسمعة للشهرة كانوا من أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة.نعم

قال رحمه الله تعالى وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَقُولُ: كَمَا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَخَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالْمُخْلِصُونَ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

هذا من الآية الكريمة " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ,اظن الأقرب الصالحون ؟أم المخلصون ؟..المخلصون ؟ نعم.. وأنا عندي الصديقون والمخلصون يوجد عطف, وأيضاً الصديقون المخلصون يستوي المعنى أيضًا,

- نعم يوهم أنه من العلماء أو من الشهداء والصديقون أوالمخلصون وهو ليس منهم.نعم

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ : «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي مَالٍ أَوْ عِرْضٍ فَلْيَأْتِهِ، فَلْيَسْتَحِلَّهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَأُعْطِيهَا هَذَا، وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ هَذَا فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»

* هذه نصيحة عظيمة من نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لأمته في باب الحقوق حقوق العباد وأن الحقوق مؤداة يوم القيامة كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام, فيقول عليه الصلاة والسلام ناصحاً لأمته*{من كانت عنده لأخيه مظلمة من مال أو عِرض فليأته فليستحلها منه}*يطلب منه العفو والمسامحة أو يرد الحق الذي له أو يطلب منه العفو يطلب منه المسامحة يتودد معه يتلطف معه يأتي بالعبارات اللطيفة الرقيقة التي تدخل عليه تطفئ من غضبه أو الشدة عليه فيعفو إذا عفا عنه غنِم لأن الموقف يوم القيامة عصيب جداً ,الدنيا قد يكون هناك درهم ودينار ,حتى في الدنيا لو لم يكن معك درهم و دينار قد يكون بلطفك في طلب العفو تنال عفواً بدون درهم ولا دينار. لكن يوم القيامة لا درهم ولا دينار دراهم ودنانير تنتهي في الدنيا فما ثم إلا الحسنات والسيئات يأتي الناس كما جاء في حديث عبد الله ابن أُنيس*{ يأتون يوم القيامة بهماً قالوا وما بهما يارسول الله قال ليس معهم من الدنيا شيء}*فيكون القصَاص بالحسنات والسيئات كما هو موضح في هذا الحديث ,فإذا كانت له حسنات أُخذ من حسناته وأعطيها أي الخصوم أصحاب الحقوق وإلا أخذي من سيئاته ,إذا فنيت حسناته أو لم يكن له حسناته.. فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا المعنى الذي هنا يوضحه الحديث المعروف في صحيح مسلم عندما قال النبي ﷺ *{ أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس مِن أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وصدقة أعمال وحسنات ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا وأخذ مال هذا وقذف هذا فيؤخذ من حسناته فيعطون فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح في النار) هذا مفلس, ولهذا هذه نصيحة ثمينة جدا, ويجب على المرء أن تقع من قلبه موقعاً عظيماً فإذا كانت هناك حقوق يتفقد ويتنبّه ويؤدي الحقوق لأهلها, أو يطلب منهم العفو قبل أن لا يكون درهم ولا دينار عندما يقف الناس بين يدي الله يوم القيامة ,أيليق بعاقل للناس عنده مظالم وحقوق ويتكئ على حُسن الظن ويقول ربك غفور ويمشي مستمراً في هذه المظالم, هل هذا ناصح لنفسه أو موبق لها ومهلك العياذ بالله ؟! الحقوق مؤداة والظلم ظلمات يوم القيامة .نعم

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» .

وفي لفظ الحديث "طوقه يوم القيامة من سبع أراضين" وهذا فيه أن الأراضين سبع ,*« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ »* أي سبع فمن أخذ شبرًا من الأرض !

تعالوا ننظر في الشبر ماذا يكون لو كان شخص عنده أرض زراعية ومئات الآلاف واسعة جداً وزحف على أرض جاره شبراً ماذا يقدم هذا الشبر في أرضه الواسعة التي أكرمه الله بها ! قل زحف متراً أمتار ماذا تقدم هذه الأرض ! وربما يعيش وما إستفاد منها **لكن** يطوقها يوم القيامة من سبع أراضين.

*{ لعن الله من غير منار الأرض}*يقول عليه الصلاة والسلام ,من المعاني التي ذكرها العلماء أن يأتي إلى العلامات التي تضبط الحدود بينه وبين جاره فينزع العلامات ويدخلها قليلاً في أرض جاره إذا أدخلها في أرض جاره ما الذي حدث ضاقت أرض جاره واتسعت أرضه يغير حتى يأخذ شيئاً منه.

إذا كان شبر يطوقه من سبع أراضين ,كيف من يأخذ الأراضي الشاسعة ويتعدى على الحقوق ويأتي مثلا يداعي في المحاكم ويحتال ويأتي بأشياء وشهادات وشهود إلى آخره ويحكم له فيها حتى وإن حُكِمَ له من القاضي هذا لا ينجيه من عذاب الله يوم القيامة لأنه قد يكون ألحن بالحجة من صاحب الأرض فيقضى له لكن هذا لا ينجيه من عذاب الله يوم القيامة ,*{من أخذ شبراً من الأرض بغير حق خُسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين }*.

الشيخ عطية سالم رحمه الله كان له درس في هذا المسجد قال في تعليقه على هذا الحديث قال كلمة جميلة :قال [هذا وعيد شديد ينبغي على جميع أهل البساتين والأراضي وأصحاب المخططات الذين يتعاطون العقارات أن يحفظوا هذا الحديث ليتحروا الحق فلا يتجاوزوه] .

وهذا كلام عظيم جداً فعلاً هذا الحديث ينبغي أن يحفظه المشتغل بالعقار وأصحاب البساتين وأصحاب الأراضي والمُخططات يحفظوا هذا الحديث ليحفظوا أنفسهم من عقوبة الله يوم القيامة وألا يغتر يقول هذا جزء يسير ما يضُر ! -لا .. ,شبر واحد يطوقه من سبعة أراضين يوم القيامة فيحتاط لنفسه لينجو من سخط الله سبحانه وتعالى وعقوبته يوم القيامة .نعم

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةٌ، قَالَ: فَإِنَّهَا قَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» .

* هذا الحديث وهو في الصحيحين يصف فيه النار نار يوم القيامة أنها أضعاف- أضعاف النار -التي في الدنيا وأنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً, الصحابة رضي الله عنهم لما أخبرهم بذلك قال: ناركم التي توقدون منها جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا :*{والله إن كانت كافية }* الصحابة قالوا: والله إن كانت لكافية نارنا هذه كافية أن يوضع فيها المخطئ الآثم أن يوضع فيها

كافية ,قال عليه الصلاة والسلام*{فإنها قد فُضلت عليها بتسعة وستين حزءا كلهن مثل حرها}*إذا كان الإنسان لا يحتمل نار الدنيا التي هي أقل من نار القيامة بتسعة وستين إذا كان لا يحتمل النار التي في الدنيا أن يضع فيها إصبعه, بدل أن يضع فيها إصبعه لا يضع فيها بل يدني منها ما يضعها داخلها وإنما يدنيها للحظات يتحّمل؟فكيف إذا وضع إصبعه في هذه النار؟؟ فكيف إذا وضع جسمه كاملاً في هذه النار ؟! كيف إذا وضع جسمه في نار هي ضعف هذه النار بتسع وستين مرة ؟؟!

هذا لا بد أن ينتبه له المرء والذنوب تفضي إلى النار تفضي إلى سخط الجبار فيجب على العبد أن يتقي النار, يقول سبحانه وتعالى*« قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا »* قال الصحابة: أي أدبوهم علموهم ربوهم على طاعة الله سبحانه وتعالى حتى تكون الوقاية من النار ,الوقاية من النار ما تكون بمجرد الأماني لا بد من عمل لا بد من وضع وقاية بينه وبين النار بالطاعة ولزوم العمل وحسن التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ,تُتقى النار بالتقوى... النار تتقى بتقوى الله ,وتقوى الله فعل ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.نعم

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ أَوْ حُرِّقْتَ، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ تُحِلُّ سَخَطَ اللَّهِ» .

* هذا الحديث فيه جملة من الوصايا أوصى بها النبي ﷺ الصحابي الجليل معاذ حِب النبي ﷺ *{ يا معاذ إني أحبك }* أوصاه بهذه الوصايا قال أوصاني رسول الله ﷺ فقال :*{لا تشرك بالله شيئاً وإن قُتِلتَ أو حُرِّقت }* وهذه مرحلة كمال لأن الإنسان لو قال كفراً ليدفع تحريق عن نفسه أو القتل عن نفسه اتقاءاً لهذا لم يعاقبه الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل*« (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ) »*

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام *{ إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه }* فقال *{وإن قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك }*

تخرج من أهلك أي تطلق زوجك ومالك: يعني إن كان رقيقاً تبيعه أو مال تنفقه أو ما إلى ذلك.. فهذا الذي يظهر أيضاً أنها مرحلة كمال ,لكن المطلوب هو البر بالوالدين إلا إذا كان مثلاً طلب

الوالدين مبني على الدين مثلما طلب عمر رضي الله عنه من إبنه ,فإذا كان مبني على أمر من هذا القبيل فلا بد, لكن إذا كان طلب الوالدين تطليق الزوجة مبني على هوى أو أغراض شخصية أو أمور حتى أيضاً أحياناً يكون الوالد يطلب الطلاق لأنها متدينة.. لأنها مستقيمة ...لأنها متحجبة ويكون الوالد مفرطاً في هذه الأشياء فيطلب منه طلاقها ,لا يُطاع في ذلك ولهذا المسألة فيها تفصيل،

{ولا تعقن والديك } حتى وإن طلب منه هذه الأشياء لا يعقهم يبرهم ويحسن إليهم حتى وإن ما استجاب لطلبهم لا يقابلهم بالعقوق كيف وقد قال الله سبحانه وتعالى*« وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖوَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا .. »*

ما قال فعقهما قال" وصاحبهما" مع هذه الحالة أمر بالصحبة بالمعروف" ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله "

و هذا المعنى فيه أحاديث عديدة ينظر جمعاً وبياناً نافعاً لها في كتاب المصنف رحمه الله. __ الصلاة __ *{ولا تشربن خمراً فإنها رأس كل فاحشة }* لأنها أم الخبائث وجماع الشرور .

{وإياك و المعصية } أي احذرها .

{فإن المعصية تحل سخط الله} أي توجب سخط الله سبحانه وتعالى.نعم

قال رحمه الله وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرْنَا، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ يَتَعَامَى عَنْهَا، وَيُرْسِلَ نَفْسَهُ فِي الْمَعَاصِي، وَيَتَعَلَّقَ بحبل الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ.

هذه الخاتمة للأحاديث توضِّح أن طول النفس الذي في سوق الأحاديث أراد منها النصح لهؤلاء الذين يتعامون عن مثل هذه النصوص ويرسلون أنفسهم في المعاصي متعلقين بحسن الرجاء وحسن الظن , فأين هم من هذه الأحاديث ؟ أين هم من تأملها وتدبرها والنظر فيها والنظر في هذه العقوبات الزواجر الموقظات ؟ وكثير من العصاة لما أكرمهم الله سبحانه وتعالى, لما أكرمهم الله بالوقوف على هذه الأحاديث ردعتهم كثير منهم تاب من حديث واحد كثير من العصاة تاب من حديث واحد حتى إن بعضهم ليقول للعالم أو الداعية الذي بلغه هذا الحديث قال : والله ما سمعته إلا الآن, ولا عرفته إلا الآن ويحمد الله الذي أكرمه بمعرفة هذا الحديث ,فهذه الأحاديث هي روادع وزواجر وموقظة للقلوب فمن يتكل على حسن الظن لا بد أن يداوي نفسه بها بأن يتأملها مرة وأخرى وأهل العلم اعتنوا بجمع هذه الأحاديث حتى أشرت فيما سبق أن بعض العلماء أفردوا كتباً

في الكبائر لا يذكر فيها إلا الكبائر الكبيرة الأولى وما هي والأدلة على العقوبات التي فيها والثانية والثالثة والرابعة والخامسة فتعد الكبائر وتذكر العقوبات من أجل ماذا ؟؟

- التحذير منها واتقاءها (تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه.. فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) ,(كيف يتقي من لا يدري ما يتقي) لا بد أن تُعرف هذه النصوص وأن يردع المرء كل ما همت نفسه بخطيئة يردعها بمثل هذه النصوص وبهذه الأحاديث أحاديث الوعيد.

قَالَ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ: احْذَرْهُ وَلَا تَغْتَرَّ بِهِ، فَإِنَّهُ قَطَعَ الْيَدَ فِي ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَجَلَدَ الْحَدَّ فِي مِثْلِ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْخَمْرِ، وَقَدْ دَخَلَتِ الْمَرْأَةُ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، وَاشْتَعَلَتِ الشَّمْلَةُ نَارًا عَلَى مَنْ غَلَّهَا وَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا.

نعم هذا قد مر معنا في حديث أبي رافع في أوائل الأحاديث التي ساق رحمه الله لما مر بالقبر فقال:* {أفٍ لك أفٍ لك فقال الصحابي ظننت أنه يريدني }* فيقول بن العقيل:*[احذره ولا تغتر فإنه قطع اليد في ثلاث دراهم وجلد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمر]* يعني في شرب قليل من الخمر, *[ودخلت إمرأة النار في هرة]*كما ثبت بذلك الحديث ,*[واشتعلت الشملة ناراً على من غلها وقد قتل شهيداً]*.

فما يغتر الإنسان مثلًا ببعض أعماله الصالحة فيتمادى في بعض الذنوب ويُسرف على نفسه في بعض الخطايا, نعم.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه " الداء والدواء "

وقال الامام احمد: حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب رضي الله عنه يرفعه قال: "دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ". قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء. قالوا له : قرب ولو ذبابا . فقرب ذبابا ، فخلوا سبيله ، فدخل النار . وقالوا للاخر: قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة " . وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم يا ربنا فقهنا في الدين أما بعد.

فهذا الحديث الذي ساقه المصنف رحمه الله تعالى ساقه في ضمن الأحاديث المتقدمة في باب العقوبات ، والحديث كما هو واضح من سياقه ودلالته يدل على أمرين على سعة رحمة الله ومغفرته سبحانه وتعالى وعظيم مغفرته وأيضاً يدل على عظيم عقوبة الله جل وعلا وشدتها وأن الأعمال بالخواتيم فإن قول النبي ﷺ * دخل رجل النار في ذباب * قوله في ذباب يدل أنه قبل ذلك كان مسلماً وكفر بتقريبه ذباباً لصنم لأن الذبح عبودية وصرف العبودية لغير الله تعالى شرك:" ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾أي لربك ، ولإن كان الذباب تافهاً ليس مما يُتقرب بمثله لكنّ هذا الخبر يفيد أن أرباب الباطل مقصودهم عمل القلب يعني وجود أصل التقرب فإذا وجد أصل التقرب إن كان في النفيس والثمين فبها وإن لم يكن فبما يصح به حصول التقرب ووجوده ، والأعمال بالخواتيم الرجل الذي إمتنع توحيداً وإخلاصاً وتعظيماً لله وعدم تقرب لغيره فقتلوه دخل الجنة وفيه أن الجنة والنار قريبتان من أهلهما فليس بين صاحب الجنة والجنة إلا أن يموت وليس بين صاحب النار والنار إلا أن يموت ، وهذا الحديث يورَد عليه إشكال معروف وهو أن هذا الذي قرب ذباباً السياق يدل على أن هناك إكراه والله سبحانه وتعالى يقول ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾أي فلا إثم عليه ولا عقوبة إستثناه الله فهذا إشكال يورد على هذا الحديث أو هذا الخبر وجواب أهل العلم عليه من وجهين :

الأول: إحتمال عدم وجود الإكراه وهو إحتمال قائم لأن هؤلاء الذين هم قائمون على صنم لا يجوزه أي لا يمر من عنده حتى يقرب أما بدون تقريب لا يمر من تلك الجهة لا يسمحون له بالمرور حتى يُقرب فيه خيار

آخر به السلامة أو لا يوجد؟ نعم ما هو؟ يرجع هم لا يجوز لا يمر أحد لا يمر أحد إلا أن يُقرِّب فهناك خيار الرجوع قد يُقال إذاً فلِما قُتِل؟ ربما يكون قتلُهُ لما في كلامه من تسفيه لمعبودهم عندما قال لهم ما كنت لأقرب لأحد غير الله وهذا صدع بالتوحيد وتسفيه للمعبودات الباطلة وأنها لا تستحق شيئاً هذا جواب .

الآخر: إذا كان في الأمر إكراه فإنّ رفع الحرج عن المكره هذا إنما هو لأمة محمد ﷺ ولهذا يقول جل وعلا في سورة الكهف ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ والسياق يدل على أن هناك إكراه رجم وفي تمام الآية نفي للفلاح وقد جاء في الحديث عن نبينا محمد ﷺ أنه قال: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه) الحاصل أن هذا الخبر فيه ما أشرت في أول الحديث عنه بيان سعة الرحمة والمغفرة وأيضاً شدة العقوبة ولو كان في أمرٍ يراه الإنسان يسيراً ولهذا يقول في تيسير العزيز الحميد الشيخ سليمان بن عبد الله قال فيه وهو من الفوائد التي ينقلها عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيه الحذر من الذنو ولو كانت صغيرة في الحُسبان أي فيما يظنه الإنسان أو فيما يُخيّل إليه يجب أن يحذر منها ولهذا قد يقول الإنسان وماذا في ذبابٍ تافه يُقرّب لصنم أو نحو ذلك فلا يستهين الإنسان في الذنوب ولو كانت صغيرة حسبانه وفي ظنه وهذا هو مقصود المصنف رحمه الله تعالى من إيراد هذا الخبر في هذا الموطن والحديث ليس في مسند الإمام أحمد والأصل أن العزو هكذا يشعر أن الحديث في المسند وهو إنما هو في كتاب الزهد له -رحمه الله تعالى -عن طارق ابن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً عليه- نعم .

قال وهذه الكلمة الواحدة يتكلم بها العبد يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب.

نعم يعني الكلمه الواحدة ومثلها الفعل الواحد وإن كان يعني يسيراً يظنه في حسبانه أو هيناً أو تافهاً أو نحو ذلك قد يهوي به في النار سبعين خريفاً "رب كلمة يقولها المرء لا يلقي بها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً " نعم

قال رحمه الله تعالى: وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نِعم الله عليه في الدنيا، وأنه لا يغيّر به ويظن ذلك أنه من محبة الله له ، وأنه يعطيه في الآخرة أفصل من ذلك . وهذا من الغرور .

نعم هذا من الغرور وكم يُفتن كثير من الناس بسبب ذلك سواءً من أهل الشرك أو من أرباب الذنوب والمعاصي يجد مثلاً أنه مع إقامته على المعاصي والذنوب وإسرافه على نفسه بإرتكابها ماله يزيد تجارته الدنيوية تتنامى صحته وعافيته في إزدياد ونحو هذه الأشياء فيظن أن هذا العطاء الدنيوي في المال في

الصحة في الولد تَيسُّر الأمور الدنيوية له يظن أن هذا دليل على رضا الله عنه وأن الله عز وجل إنما أعطاه المال والصحة والعافية والولد لكونه راضٍ عنه فيتكئ أو يتكل على هذا فيبقى على ذنوبه مغتراً بهذا الأمر

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾فيظن هؤلاء أن هذا العطاء الدنيوي دليل الرضا ، رضى الله عنه فيتكل على هذا ويبقى مسرفاً فهذا من الغرور قال ربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا يعني صحته تجارته كثرة الولد أو نحو ذلك وأنه لا يغير به ويظن أن ذلك من محبة الله له وأنه يعطيه في الأخرة أفضل من ذلك وهذا الذي يظنه هذا الظان هو من الدلائل على هوان الدنيا على الله سبحانه وتعالى وأن الأمر كما قال الله عز وجل في شأنها" كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ "يعني الكفار والمؤمنين من العطاء الدنيوي" وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾- نعم

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثنا رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التوجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو إستدراج) ثم تلا قوله عز وجل:" فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾.

نعم يعني هذا الحديث كافٍ في دحض الشبهة المتقدمة وبيان فسادها يقول ﷺ (إذا رأيت الله عزوجل يعطي العبد من الدنيا علي معاصيه ما يحب) يعني ما يحب العبد من أمور الدنيا (فإنما هو إستدراج) ثم تلا قول الله عز وجل:"فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ" أنظر هذا العطاء الدنيوي أموال تجارات مساكن منازل مراكب إلى أخره أبواب كل شيء "حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ "فإذا كان العطاء متوالي على العبد ويتكاثر وماله يتنامى وهو في المعاصي مقيم على المعاصي فهذا من أمارات ودلائل أنه مستدرج مثل ما قال نبينا ﷺ (فإنما هو إستدراج) نعم.

وقال بعض السلف إذا رأيت الله يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على معاصيه فاحذره فإنما هو إستدراج يستدرجك به، وقد قال الله تعالى:" وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾.

هذه الآية سبحان الله فيها بيان لطف الله سبحانه وتعالى بالعباد ورحمته حتى لا يكون الأمر فتنة لهم وسبب لإنصرافهم عن دين الله فيقول جل وعلا:" وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ

بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا" يعني لوسّع عليهم سعة عظيمة في العطاء الدنيوي بأنواعه وأصنافه" وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" مهما كان العطاء هو عطاء دنيوي زائل زائف منتهي منقضي فلا يُغترّ به وكل متاعٍ في الدنيا فلا يُغتر به" وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ فلا يغتر العبد بهذا ، ولولا هوان الدنيا على الله لما سقى منها كافر شربة ماء الدنيا هينة على الله والذي يريد أن يعرف هوان الدنيا على الله معرفة جليّة فلينظر في سيرة النبي ﷺ ماذا كان بيته وماذا كان طعامه وماذا كان لباسه وماذا وماذا؟ وهو أفضل عِباد الله وأشرفهم عند الله وأعظمهم منزِلة ومكانته في الآخرة الفردوس الأعلى منزلة لا يبلغها أحد -نعم-.

وقد ردّ سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله:" فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا" أي ليس كل من نعّمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمته ولا كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته بل ابتلي هذا بالنعم وأكرم هذا بالأبتلاء .

هذه الآية أيضاً فيها جواب لما تقدم لأن من الناس فعلاً من يظن هذا الظن ويتوهم هذا الوهم يظن أن من وسّع الله عليه في العطاء الدنيوي فهذا دليلٌ على أن هذا الموسع عليه كريم عند الله يظنون ذلك وبالمقابل أيضاً يظنون أن المُقتّر والمضيّق عليه دليلٌ على هوانه عند الله قال الله تعالى:" فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ " وأن هذا دليل على كرامتي عند الله ومكانتي" وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" قال الله (كَلَّا) ليس هذا ولا هذا ليس هذا الذي يظن هؤلاء ولا الذي يظن أولئك، إذاً ما هو الأمر؟ هذا إبتلاء وهذا إبتلاء من يعطيه الله عز وجل العطاء الدنيوي مبتلى ومن أيضاً يُضيّق عليه في أمور الدنيا أيضاً مبتلى فإن الله سبحانه وتعالى يبتلي بالرخاء والشدة ويبتلي بالصحة والمرض ويبتلي بالغنى والفقر" وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ يبتلي بهذا وهذا ولهذا قال النبي ﷺ (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته) هذا هو الإبتلاء الأول الذي هو النعمة والعطاء (إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته) وهذا الإبتلاء الثاني الشدة والمرض والفقر وما إلى ذلك (إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) وذلك لا يكون إلا للمؤمن فالمؤمن مبتلى بالسراء والضراء بالشدة والرخاء لكنه فائز في كِلا الإبتلائين فهو في سرائه فائز بثواب الشاكرين وفي ضرائه فائز بثواب الصابرين، **وثمة خلاف عند أهل العلم** قديم وبعضهم أفرده بمصنف أيهم أعظم عند الله الغني الشاكر أو الفقير الصابر؟ لأن كُلاً منهما أدّى عبودية إبتلائه الذي إبتلاه الله به

ذاك إبتلاه الله بالغنى فشكر وهذا أبتلاه بالفقر فصبر كلٌ أدى العبودية التي تتعلق بنوع الإبتلاء الذي يخصه . قال أبن القيم رحمه الله : سألت شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه المسألة فقال :**أعظمهما أجراً أتقاهما لله** " الأتقى لله هو الأعظم أجراً" قال: قلت له: فإن كانوا في التقوى سواء , قال: هم في الأجر سواء, الغني الشاكر والفقير الصابر, قال هم في الأجر سواء, لأن هذا ابتلاء هذا, وهذا ابتلاء هذا, فهذا حقق العبودية المطلوبة ,وهذا حقق العبودية المطلوبة, فليس كما يُظن أن المرء إذا وُسّع عليه في الدنيا هذا من علامات إكرام الله وحبه له, وما يدري هذا المسكين قد تكون هذه السعة الدنيوية استدراج مثل ما تقدم معنا في الحديث وفي الآية الكريمة :" سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ "-نعم*

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»

نعم وهذا المعنى الذي في هذا الحديث هو في الآيةالتي تقدمت وهي في سورة الإسراء قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ ﴾. هؤلاء: يعني الكفار﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾. المقصود بالعطاء هنا ما هو الدنيوي ,مثل ما في الحديث:" إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب"

أما الإيمان :الدين لا يعطيه الله إلا من يحب, فيكرمه سبحانه وتعالى, ويفوز بإصطفاء الله واجتبائه وهدايته, مثل ما قال الله سبحانه وتعالى :"وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (وقال الله سبحانه وتعالى:" بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ "وقال: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا "والآيات في هذا المعنى كثيرة نعم*

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: رُبَّ مُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَغْرُورٍ بِسَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

* هذه ثلاث- ثلاث جديرة بالتأمل- في هذه الكلمة لبعض السلف يقول: رُب مستدرَج بنعم الله وهو لا يعلم ويكون توالي النعم عليه وتتاليها يتوهم من ذلك أن هذا عن رضى من الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أن هذا استدراج له مثل ما في الآية الكريمة:"{ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ } **فهذا استدراج**. فرُب إنسان تتوالى عليه النعم وهو لا يعلم أن هذا استدراج له ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم : يجد أنه يرتكب معاصي وأخرى وثالثة ولا أحد يطّلع عليه فيغرّه ذلك

ويفضي به إلى التمادي في هذا الباب. **ورب مفتونٍ بثناء الناس عليه وهو لا يعلم** ,لا يعلم أنه في خيبة وخسران وخاصة إذا كان الناس يُثنون عليه في ظاهرٍ باطنه خلاف ذلك, ولنا الظاهر والله يتولى السرائر, فربما يغتر بثناء الناس عليه وباطنه الذي يعلمه الله سبحانه المطلع على السرائر يوجب سخط الله ومقته وغضبه سبحانه وتعالى نعم.

[فَصْلٌ الِاغْتِرَارُ بِالدُّنْيَا]

وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ غُرُورًا مَنِ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَعَاجِلَهَا، فَآثَرَهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَرَضِيَ بِهَا مِنَ الْآخِرَةِ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ: الدُّنْيَا نَقْدٌ، وَالْآخِرَةُ نَسِيئَةٌ، وَالنَّقْدُ أَحْسَنُ مِنَ النَّسِيئَةِ.

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: ذَرَّةٌ مَنْقُودَةٌ، وَلَا دُرَّةٌ مَوْعُودَةٌ.

وَيَقُولُ آخَرُ مِنْهُمْ: لَذَّاتُ الدُّنْيَا مُتَيَقَّنَةٌ، وَلَذَّاتُ الْآخِرَةِ مَشْكُوكٌ فِيهَا، وَلَا أَدَعُ الْيَقِينَ بِالشَّكِّ.

نسأل الله العافية, نسأل الله العافية , يعني هذا كله من كيد الشيطان لابن آدم حتى يَخرُج من هذه الدنيا مفلساً من الخير ولا يزال الشيطان يدخل على الناس من مداخل ومداخل حتى يغادروا هذه الدنيا وهم مفاليس -من الخير نسأل الله عز وجل العافية والسلامة- فيقول ابن القيم : **من أعظم الناس والخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها, فآثرها على الآخرة ورضي بها من الآخرة** : ودخل عليه الشيطان من هذا المدخل **الدنيا نقد والآخرة نسيئة مؤجل والنقد أحسن من النسيئة**: شيء بيدك أحسن من شيء مؤجل أو مؤخر النقد ,يملي لهم الشيطان **مثل هذا الدنيا نقد والآخرة نسيئة والنقد أحسن من النسيئة** وسيأتي أجوبة عظيمة وجميلة لابن القيم عن هذه الكلمات كلها ويقول: **بعضهم ذَرّة** يعني شيء يسير قليل **منقودة** تعطى تأخذها فوراً **ولا دُرّة** ولا درة **ثمينة موعودة ويقول آخر منهم للذات الدنيا متيقنة وللذات الآخرة مشكوك فيها** والمشكوك فيه ما هو سلامة عقل من يقول هذا الكلام -عقله ليس فيه سلامة- ودينه ليس فيه سلامة -ولهذا أيضا سيأتي جواب ابن القيم رحمة الله عليه عن هذا فيقول صاحب هذا: لا أدع اليقين بالشك- نعم

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلِهِ، وَالْبَهَائِمُ الْعُجْمُ أَعْقَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ الْبَهِيمَةَ إِذَا خَافَتْ مَضَرَّةَ شَيْءٍ لَمْ تُقْدِمْ عَلَيْهِ وَلَوْ ضُرِبَتْ، وَهَؤُلَاءِ يُقْدِمُ أَحَدُهُمْ عَلَى مَا فِيهِ عَطَبُهُ، وَهُوَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ.

فَهَذَا الضَّرْبُ إِنْ آمَنَ أَحَدُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَالْجَزَاءِ، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ حَسْرَةً، لِأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى عِلْمٍ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَبْعَدُ لَهُ.

وَقَوْلُ هَذَا الْقَائِلِ: النَّقْدُ خَيْرٌ مِنَ النَّسِيئَةِ.

فجَوَابُهُ أَنَّهُ إِذَا تَسَاوَى النَّقْدُ وَالنَّسِيئَةُ فَالنَّقْدُ خَيْرٌ، وَإِنْ تَفَاوَتَا وَكَانَتِ النَّسِيئَةُ أَكْبَرَ وَأَفْضَلَ فَهِيَ خَيْرٌ، فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا كَنَفَسٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْآخِرَةِ ؟

كما في مسند الامام أحمد من حديث اوس بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ : "مَا الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إِلّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحدُكُمْ أُصْبُعَهُ في الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ"

إذاً ماذا يكون متاع الدنيا ؟هذا المثل عجيب وعظيم جدا إذا جاء الإنسان للبحر الواسع المتباعد الأطراف وأدخل إصبعه في البحر ثم يعقد موازنة بين الماء الذي علق بإصبعه والبحر ماذا يساوي؟ فهذا مثَل للفرق بين الدنيا ونعيم الآخرة, **بل** ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر- نعم.

فَإِيثَارُ هَذَا النَّقْدِ عَلَى هَذِهِ النَّسِيئَةِ، مِنْ أَعْظَمِ الْغُبْنِ وَأَقْبَحِ الْجَهْلِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا نِسْبَةَ الدُّنْيَا بِمَجْمُوعِهَا إِلَى الْآخِرَةِ، فَمَا مِقْدَارُ عُمُرِ الْإِنْسَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ

وهذا أيضاً لافتة عظيمة جداً, يعني عمر الإنسان ماذا يقارَن بالآخرة الباقية ؟ماذا يقارن بالآخرة ؟! "وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "فماذا يُقارَن؟ يعني إذا قلنا عمر الإنسان سبعين سنة ؟ إذا كان عمره سبعين سنة وهو ينام النوم المعتاد في اليوم والليلة ثمان ساعات كم يصفي من السبعين؟ لو قلنا ستين أهون للحساب, إذا كان عمره ستين سنة ونام في كل يوم وليلة ثمان ساعات والنائم غير مكلَّف, عشرين سنة إنتهت هذه من عمره غير مكلف فيها , وخمسة عشر سنة قبل التكليف- ما بقي شيء - يبقى سُنيّات قليلة جدًا, انظر أول شي يكون في الآخرة **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ماذا يقارَن؟ دعك الآن من النعيم الذي هنا والنعيم الذي هناك ,لكن الوقت ومقدار العمر إذا كان الإنسان يحصّل نعيماً هنا في هذه الحياة الدنيا يخسر بسببه نعيم الآخرة في هذه السُنيّات القليلة جداً ,هذا إن أعطي عمراً وإلاّ بعض الناس سبحان الله نسأل الله العافية -نسأل الله العافية -بعض الناس يركب سيارته أو في الطائرة من بلد إلى بلد وليس له حاجة إلا المعصية في البلد الذي هو مسافرٌ إليه **ويموت في الطريق** أيّ خسارة هذه ! أي بلاء هذا ! أي شدة هذه! وهذا الذي ينتقل من بلد إلى بلد أو من حي إلى حي بدون سفر, قد يموت في

طريقه, ما يأمن الإنسان متى يأتيه الموت ؟ فتنتهي هذه الدنيا التي هو مغتر بملاذها متهالك على ملاذها فيخسر نعيم الآخرة والعياذ بالله -نعم

فَأَيُّمَا أَوْلَى بِالْعَاقِلِ؟ إِيثَارُ الْعَاجِلِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، وَحِرْمَانُ الْخَيْرِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ، أَمْ تَرْكُ شَيْءٍ حَقِيرٍ صَغِيرٍ مُنْقَطِعٍ عَنْ قُرْبٍ، لِيَأْخُذَ مَا لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا خَطَرَ لَهُ، وَلَا نِهَايَةَ لِعَدَدِهِ، وَلَا غَايَةَ لِأَمَدِهِ؟

*لا قيمة له ,هذه الكلمة لها استعمالان :يعني تُستعمَل تارة في الشيء التافه اليسير جداً فيسأل عنه يقال هذا لا قيمة له, يعني لا يساوي شيئاً ,وتارةً تستعمل في الثمين غاية الثمن الذي لا قيمة له يعني : مهما بذلت من قيمة فلا توفيه ,وابن القيم لاحظته في كتبه تارة يستعمل هذه الكلمة في هذا, وتارة يستعملها في هذا, لا قيمة له, فهي تُستعمل يعني في التافه الذي لا قيمة له, والثمين غاية الثمانة الذي مهما بذل فيه قيمة لا يوفى, وقوله ولا خطَرَ له: أي لامثل له , وجاء في حديث في ابن ماجة "شمروا إلى الجنة فإنها لا خطر لها" يعني لا مثل لها ,لكن إسناده ضعيف —نعم.

وَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ: لَا أَتْرُكُ مُتَيَقَّنًا لِمَشْكُوكٍ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى شَكٍّ مِنْ وَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ، أَوْ تَكُونَ يَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى الْيَقِينِ فَمَا تَرَكْتَ إِلَّا ذَرَّةً عَاجِلَةً مُنْقَطِعَةً فَانِيَةً عَنْ قُرْبٍ، لأمرٍ مُتَيَقَّنٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ.

وَإِنْ كُنْتَ عَلَى شَكٍّ فَرَاجِعْ آيَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى الدَّالَّةَ عَلَى وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَتَجَرَّدْ وَقُمْ لِلَّهِ نَاظِرًا أَوْ مُنَاظِرًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّ خَالِقَ هَذَا الْعَالَمِ وَرَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَعَالَى وَيَتَقَدَّسُ وَيَتَنَزَّهُ عَنْ خِلَافِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ، وَمَنْ نَسَبَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ شَتَمَهُ وَكَذَّبَهُ، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ، إِذْ مِنَ الْمُحَالِ الْمُمْتَنِعِ عِنْدَ كُلِّ ذِي فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ، أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ الْحَقُّ عَاجِزًا أَوْ جَاهِلًا، لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى، وَلَا يُثِيبُ وَلَا يُعَاقِبُ، وَلَا يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُرْسِلُ رُسُلَهُ إِلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ وَنَوَاحِيهَا، وَلَا يَعْتَنِي بِأَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ سُدًى وَيُخَلِّيهِمْ هَمَلًا، وَهَذَا يَقْدَحُ فِي مُلْكِ آحَادِ مُلُوكِ الْبَشَرِ وَلَا يَلِيقُ بِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ نِسْبَةُ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ إِلَيْهِ؟

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ مِنْ مَبْدَأِ كَوْنِهِ نُطْفَةً إِلَى حِينِ كَمَالِهِ وَاسْتِوَائِهِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَنْ عُنِيَ بِهِ هَذِهِ الْعِنَايَةَ، وَنَقَلَهُ إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَصَرَّفَهُ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ، لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُهْمِلَهُ وَيَتْرُكَهُ سُدًى، لَا يَأْمُرُهُ وَلَا يَنْهَاهُ وَلَا يُعَرِّفُهُ بِحُقُوقِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يُثِيبُهُ وَلَا يُعَاقِبُهُ.

نعم كما في قوله سبحانه وتعالى: (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أي لا يؤمر ولا يُنهى- نعم.

وَلَوْ تَأَمَّلَ الْعَبْدُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَكَانَ كُلُّ مَا يُبْصِرُهُ وَمَا لَا يُبْصِرُهُ دَلِيلًا لَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا وَجْهَ الِاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ فِي كِتَابِ إِيمَانِ الْقُرْآنِ.

هذا مطبوع التبيان" التبيان في أقسام القرآن" وهنا ذكر اسمه بمعناه- نعم.

عِنْدَ قَوْلِهِ: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ - وَمَا لَا تُبْصِرُونَ - إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [سُورَةُ الْحَاقَّةِ: 38 - 40] .

وَذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: 21] .

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ دَلِيلُ نَفْسِهِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ كَمَالِهِ.

فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْمُضَيِّعَ مَغْرُورٌ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ: تَقْدِيرِ تَصْدِيقِهِ وَيَقِينِهِ، وَتَقْدِيرِ تَكْذِيبِهِ وَشَكِّهِ.

نعم تقديرين- تقدم ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى -لأنه قال: إما أن يكون كذا وإما أن يكون كذا يعني إما أن يكون مصدِّق ثم لا يعمل أو يكون شاك غير مصدق فهو على التقديرين مغرور - نعم

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجْتَمِعُ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِالْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيَتَخَلَّفُ الْعَمَلُ؟ وَهَلْ فِي الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ غَدًا إِلَى بَيْنِ يَدَيْ بَعْضِ الْمُلُوكِ لِيُعَاقِبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَةٍ، أَوْ يُكْرِمَهُ أَتَمَّ كَرَامَةٍ، وَيَبِيتُ سَاهِيًا غَافِلًا, لَا يَتَذَكَّرُ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ، وَلَا يَأْخُذُ لَهُ أُهْبَتَهُ.

قِيلَ: هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ سُؤَالٌ صَحِيحٌ وَارِدٌ عَلَى أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ، فَاجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَهَذَا التَّخَلُّفُ لَهُ عِدَّةُ أَسْبَابٍ:

*انتبه هنا لمسألة عظيمة ينبه عليها رحمه الله يقول: فإن قيل أو قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف عن العمل لاحظ عبارة ابن القيم قال: التصديق الجازم لأن التصديق باليوم الآخر على درجتين ,ويُنظَر في بيان ذلك بيانا مفصلاً ونافعاً في كتاب" فتح الملك العلّام في العقائد والآداب والأحكام" المستنبطة من القرآن للإمام ابن السعدي رحمه الله تعالى" وهو الكتاب الذي بإذن الله سبحانه وتعالى سنقرؤه في شهر رمضان المبارك بعد صلاة العصر هو: كتاب عظيم ونافع غايةً وفيه خلاصة معاني القرآن في العقيدة والآداب الأحكام ,وهو من كتب الشيخ رحمه الله النفيسة

فالحاصل أن التصديق باليوم الآخر أو الإيمان باليوم الآخر على درجتين:- الدرجة الأولى: الإيمان أو التصديق الجازم, والثانية الإيمان أو التصديق الراسخ.

الفرق بينهما شاسع, ولهذا لاحظ عبارة ابن القيم قال: فإن قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لاشك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل الراسخ -لا يتخلف معه العمل الراسخ ,لا يتخلف معه العمل لأن الراسخ هو الذي يكون حاضراً مع العبد في أوقاته في الطاعة ,يستحضر اليوم الآخر فيُحسِّنها عندما تحدثه نفسه باالمعصية, يستحضر اليوم الآخر, فيكف عنها ولا يزال معه (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ), فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) أي اعتقدت أني ملاق حسابي ,فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى, الإيمان الراسخ لا يتخلف معه العمل أما الإيمان الجازم فهو الذي فيه هذه المسألة التي ذكر, والإيمان الجازم هو الحد الذي لا يُقبل أدنى منه في صحة الإيمان لأنه أدنى من ذلك الشك وهو كفر ,لم يكن هناك جزم فما الذي دون الجزم نعم الشك والشك كفر" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا " أي أيقنوا ولم يشكوا فإذا وُجد الشك -الظن- لم يستقم حينئذ إيمان ,لأن الإيمان لا بد فيه من جزم فهل يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلّف العمل هل هذا يمكن؟ قال ابن القيم :رحمه الله تعالى- أن هذا مُمكِن و له أسباب , وأشار إلى بعضها, الأسباب التي أشار إليها ينبغي أن ينتبه الإنسان لها حتى يكون في سلامة وعافية- نعم

وَهَذَا التَّخَلُّفُ لَهُ عِدَّةُ أَسْبَابٍ:

أَحَدُهَا: ضَعْفُ الْعِلْمِ، وَنُقْصَانُ الْيَقِينِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَفَاوَتُ، فَقَوْلُهُ مِنْ أَفْسَدِ الْأَقْوَالِ وَأَبْطَلِهَا.

وَقَدْ سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى عِيَانًا بَعْدَ عِلْمِهِ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ عَلَى ذَلِكَ، لِيَزْدَادَ طُمَأْنِينَةً، وَيَصِيرَ الْمَعْلُومُ غَيْبًا شَهَادَةً.

وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الْمخبَرُ كَالْمُعَايَنَ» .

*المخبَر: هو الذي يصل إليه الخبر نقلاً ,يقال له :حصل كذا, وُجد كذا ,وقع كذا, هل هو سواء مع المعاين الذي يشاهد الأمر بعينه- يقف عليه بنفسه- يراه؟ "ليس المخبر كالمعاين" وأيضاً يروى الحديث وهو حديث ثابت" ليس الخبر كالمعاينة" نعم

فَإِذَا اجْتَمَعَ إِلَى ضَعْفِ الْعِلْمِ عَدَمُ اسْتِحْضَارِهِ، أَوْ غَيْبَتُهُ عَنِ الْقَلْبِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْقَاتِهِ أَوْ أَكْثَرِهَا لِاشْتِغَالِهِ بِمَا يُضَادُّهُ، وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ تَقَاضِي الطَّبْعِ، وَغَلَبَاتُ الْهَوَى، وَاسْتِيلَاءُ الشَّهْوَةِ، وَتَسْوِيلُ النَّفْسِ، وَغُرُورُ الشَّيْطَانِ، وَاسْتِبْطَاءُ الْوَعْدِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَرَقْدَةُ الْغَفْلَةِ، وَحُبُّ الْعَاجِلَةِ، وَرُخَصُ التَّأْوِيلِ وَإِلْفُ الْعَوَائِدِ..

* هذه الآن ماهي, ما هي هذه ?هذه أسباب التخلف يعني: يؤمن باليوم الآخر ,ويصدق باليوم الآخر ,وفي العمل يتخلف, يقع في المعاصي, يفرط في الطاعات ,وهو يؤمن بأنه سيقف بين يدي الله وأنه سيحاسبه - فهناك أسباب أحدها: ضعف العلم, ونقصان اليقين -فإذا انضم إلى ضعف العلم ونقصان اليقين تقاضي الطبع ,غلبة الأهواء, استيلاء الشهوة, تسهيل النفس, غرور الشيطان,إستبطاء الوعد, طول الأمل, رقدة الغفلة, حب العاجلة, رخص التأويل ألف العوائد هذه كلها أسباب , ولهذا يقف الإنسان عند هذه الأسباب, ويتأمل تأمل الحذر, ألا يُدخل عليه من خلالها ,أو من خلال بعضها, لأن كثير من الناس التخلف الذي عنده كان بسبب هذه الأمور و أجناسها وأمثالها- نعم

فَهُنَاكَ لَا يُمْسِكُ الْإِيمَانَ إِلَّا الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا

*اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا واحفظنا يارب العالمين, اللهم ثبت الإيمان في قلوبنا واحفظنا يا ذا الجلال, ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا- نعم.

وَبِهَذَا السَّبَبِ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْقَلْبِ.

*نعم- الإيمان يصل إلى هذا الحد ويعلو ويرتفع ويزيد حتى يكون أمثال الجبال كما سُئل بعض السلف :أيزيد الإيمان وينقص ؟ قال: نعم حتى يكون أمثال الجبال: أي قوتاً وينقص حتى لا يبقى منه شيء أوحتى لا يبقى منه إلا مثقال ذرة- نعم.

وَجِمَاعُ هَذِهِ الْأَسْبَابِ يَرْجِعُ إِلَى ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ وَالصَّبْرِ، وَلِهَذَا مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً فِي الدِّينِ، فَقَالَ تَعَالَى: {مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السَّجْدَةِ: 24]

*وللمصنف- رحمه الله تعالى- كلام متين ونفيس للغاية في معنى هذه الآية في رسالة له إلى أحد إخوانه طُبعت بهذا العنوان" **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**" وبيّن فيها أن الإمامة في الدين تكون بأمور أربعة جمعت في الآية الكريمة- نعم.

[فَصْلٌ الْفَرْقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْغُرُورِ]

وَقَدْ تَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْغُرُورِ، وَأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنْ حَمَلَ عَلَى الْعَمَلِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَسَاقَ إِلَيْهِ، **فَهُوَ صَحِيحٌ**، وَإِنْ دَعَا إِلَى الْبِطَالَةِ وَالِانْهِمَاكِ فِي الْمَعَاصِي **فَهُوَ غُرُورٌ**، وَحُسْنُ الظَّنِّ هُوَ الرَّجَاءُ، فَمَنْ كَانَ رَجَاؤُهُ هَادِيًا لَهُ إِلَى الطَّاعَةِ، زَاجِرًا لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، **فَهُوَ رَجَاءٌ صَحِيحٌ**، وَمَنْ كَانَتْ بِطَالَتُهُ رَجَاءً، وَرَجَاؤُهُ بِطَالَةً وَتَفْرِيطًا، **فَهُوَ الْمَغْرُورُ**.

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ يُؤَمِّلُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ مِنْ مَغْلِهَا مَا يَنْفَعُهُ فَأَهْمَلَهَا وَلَمْ يَبْذُرْهَا وَلَمْ يَحْرُثْهَا، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَغْلِهَا مَا يَأْتِي مَنْ حَرَثَ وَبَذَرَ وَسَقَى وَتَعَاهَدَ الْأَرْضَ لَعَدَّهُ النَّاسُ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ.

وَكَذَلِكَ لَوْ حَسُنَ ظَنُّهُ وَقَوِيَ رَجَاؤُهُ بِأَنْ يَجِيئَهُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ أَوْ يَصِيرَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَحِرْصٍ تَامٍّ عَلَيْهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

*نعم وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

تمنيتَ أن تمسي فقيها.. مناظرا بغير عناء والجنون فنون

وليس اكتساب المال دون مشقة تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟

العلم يحتاج إلى أسباب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام :"إنما العلم بالتعلم" وأما من يقول اللهم علمني ويبقى فلا يُصب عليه العلم صبا في فراشه يعني ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان كل يوم بعد صلاة الصبح يدعو بثلاث دعوات: " **اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً** " لو أن إنساناً صلى الصبح ودعا بهذه الدعوة وبعدها اتجه إلى فراشه ونام إلى الظهر يُصب عليه العلم في فراشه صباً؟ أيسوىّ به الآخر الذي بعد هذا الدعاء يقوم بنشاط ويذهب أماكن العلم و حلَق العلم ومتون العلم ويحفظ وإلى آخره" إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم"," ومن يتحرى الخير يعط ومن يتوقى الشر يوق" لا بد من بذل الأسباب إذا كان لابد من بذل الأسباب ,وهذا مقصود ابن القيم لنيل المصالح الدنيوية, فكذلك لا بد من بذل الأسباب لنيل المصالح الأخروية, والفوز بالدرجات العالية في جنات النعيم- نعم.

فَكَذَلِكَ مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ وَقَوِيَ رَجَاؤُهُ فِي الْفَوْزِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، مِنْ غَيْرِ طَاعَةٍ وَلَا تَقَرُّبٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

*نعم - يعني كذلك مثل الصورة الأولى يعني شخص عنده أرض زراعية لكن لا يبذر ولا يسقي ولا يحرث ولا ولا.., وفي النهاية يتمنى أن يكون مثل الآخر, يأتي وقت الحصاد ويغل منها مثل هؤلاء, هذا يعده الناس ضرب من ضروب السفه و الجنون, والنهاية غُبن وخسران, فمثل ذلك الآخرة لا بد أن يبذل الإنسان الأسباب ويجاهد نفسه ,كما قال الله تعالى:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 218] .

من هم هؤلاء الذين يرجون رحمة الله ؟ذكر صفاتهم

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ رَجَاءَهُمْ إِتْيَانَهُمْ بِهَذِهِ الطَّاعَاتِ؟

نعم فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات -نعم

وَقَالَ الْمُغْتَرُّونَ: إِنَّ الْمُفَرِّطِينَ الْمُضَيِّعِينَ لِحُقُوقِ اللَّهِ الْمُعَطِّلِينَ لِأَوَامِرِهِ، الْبَاغِينَ عَلَى عِبَادِهِ، الْمُتَجَرِّئِينَ عَلَى مَحَارِمِهِ، أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ.

*أيستقيم هذا؟ هل يستوي هؤلاء مع هؤلاء- كالذين أثنى الله عليهم بأعمالهم؟ وقال: أولئك يرجون رحمة الله أما البطّالين العاطلين, السابحين في الأماني, المنغمسين في الذنوب والمعاصي ,أين هم من الرجاء حقيقةً؟, من يرجو رحمة الله يطلبها ,ويتعرض لها ويطلب مواسمها ويجاهد نفسه على نيلها, انظر إلى الناس إذا دخل رمضان- نسأل الله أن يبلغنا رمضان أجمعين- إذا دخل رمضان ماذا يصنعون؟ يرجون رحمة الله ويتنافسون في الأعمال الصالحة, لا يقعدون بطّالين عاطلين بل يتنافسون في الأعمال الصالحة يرجون رحمة الله, أولئك يرجون رحمة الله بخلاف حال المغرورين.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرَّجَاءَ وَحُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِتْيَانِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اللَّهِ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ وَثَوَابِهِ وَكَرَامَتِهِ، فَيَأْتِي الْعَبْدُ بِهَا ثُمَّ يُحْسِنُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، وَيَرْجُوهُ أَنْ لَا يَكِلَهُ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مُوصِلَةً إِلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَيَصْرِفَ مَا يُعَارِضُهَا وَيُبْطِلَ أَثَرَهَا.

*نعم- هذا سر المسألة وخلاصة الأمر.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسماءه الحُسنى وصفاته العُليا وبأنه هو الله الذي لا إله إلا هو أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علمًا وتوفيقاً وأن يُصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا على أنفسنا طرفة عين إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك

اضغط على الرابط للاشتراك👇
https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله. أما بعد , فيقول الإمام العلامة أبو عبد الله ابن القيم -رحمه الله تعالى- وغفر له وللشارح والسامعين وجميع المسلمين، يقول في كتابه الداء والدواء:

فصل: ومما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاءه ثلاثة أمور:

أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

(وأما رجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء ,والأماني شيء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات).

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذا فصل عقده -رحمه الله تعالى- لتوضيح وبيان ما سبق، لأن من أشار إليهم -رحمه الله- سابقاً الذين يغالطون أنفسهم ببقائهم على الإسراف على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، ثم يزعمون أنهم مع هذا يحسنون الظن بالله، وأنه يغفر ذنوبهم، وأنه لا يعاقبهم، وأن رجاءهم بالله عظيم، فهذه التي تكون من هؤلاء مع بقائهم على الذنوب هي أماني وليست رجاء؛ لأن الرجاء يستلزم ما أشار إليه ابن القيم -رحمه الله-، فإذا انتفت هذه الأشياء التي ذكر هنا فإن الأمر يكون مجرد أماني، والله تعالى يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: 123]. وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 111-112]، لكن بهذا القيد: أسلم وجهه لله، أي منقاداً مطيعاً ممتثلاً خاضعاً لله -عز وجل-، وهو محسن فله أجره عند ربه، أما أن يبقى مع الأماني المجردة فإنها لا تجدي صاحبها شيئاً ولا تنفعه.

وإذا سمّى هؤلاء فعلهم هذا قوة رجاء؛ فيُقال لهم : هذا ليس من قوة الرجاء في شيء، وإنما هو مجرد أماني، والرجاء كما يوضح ابن القيم هنا يستلزم ثلاثة أمور:* محبة ما يرجوه، * وخوفه من فواته، *وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

هذا هو الرجاء الحقيقي للشيء أن يكون محباً له، وفي الوقت نفسه خائفاً أن يفوت، وثالثاً ساعياً باذلاً الأسباب التي ينال بها هذا الذي يرجوه، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني.

وهذا ضابط مفيد جداً للتفرقة بين الأماني والرجاء، وأيضاً حتى يعرِف المرء الذي عنده هل هو الرجاء الصحيح أو الأماني الزائفة، لا بد أن يفرق بينهما، وهذا الضابط نافع جداً في التفرقة بين الأماني والرجاء.

قال -رحمه الله تعالى-: (والرجاء شيء، والأماني شيء آخر)، ما هو الرجاء؟ وما هي الأماني؟

الرجاء: ما كان مصحوباً بحُب الذي يرجوه، وخوف فواته، والسعي في تحصيله، إذا قُدِّر أن شخصاً يحب تحصيل شيء لنفسه، لكن لا يبذل سبباً لتحصيله، أيكون صنيعه هذا رجاءً؟ ليس من الرجاء في شيء، وإنما هو أماني، والأماني لا تُجدي ولا تنفع صاحبها كما قال الله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الأماني كثيرة جداً عند الناس، وكما قال الحسن البصري -رحمه الله-: (ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال) الإيمان ليس مجرد أماني وتمنيات.

قال -رحمه الله-: (والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راجٍ خائف).

لأن عرفنا أن الرجاء يستلزم المحبة، ويستلزم خوف؛ لأن ما يرجوه يعد ثميناً عنده للغاية فيخاف أن يفوته هذا الذي يرجوه، فكل راج خائف والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

إذن سرعة السير من قوة الرجاء، وقوة الرجاء تولّد خوف فوات ما يرجو، فيُسرِع ويبذل السبب ويجتهد، فيظفر بإذن الله -سبحانه وتعالى- بمقصوده وحاجته.

قال -رحمه الله-: (وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة").

هذا مثل دنيوي يعرفه الناس ويشاهدونه واقعاً، وهو يصور المسألة يصورها تصويراً واضحاً بيّناً، يقول -عليه الصلاة والسلام-: "من خاف أدلج" يعني أسرع، وحث الخطا، الآن هذا كلنا ندركه، إذا كنت مثلاً في الطريق إلى المطار، وتخاف أن تفوتك الطائرة، وأنت محتاج إلى هذا السفر ومشتاق إليه، أي شيء تصنع؟ تبقى في مكانك وتقول: أمشي؟ وتتوانى وتقول: لن تفوت؟ ما يفعل هذا الإنسان، من خاف أدلج؛ معروف هذا، من خاف أدلج وأسرع في نيله، ومن أدلج بلغ المنزل بلغ المقصود، إذا كنا نعرف هذا في شيء في أمورنا الدنيوية ومصالحنا الدنيوية، فلنعمل عملاً حثيثاً في نيل المطالب

الأخروية "ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة" هذا أيضاً يصوّر لنا أن أمور الآخرة ونيل الدرجات العالية فيها يحتاج إلى تجارة دنيوية، وهي التجارة الرابحة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10]، التجارة هذه التي تكون في الدنيا للنجاة من العذاب الأليم يوم القيامة هي: بذل الوسع، ومجاهدة النفس على طاعة الله وحسن التقرب إليه -سبحانه وتعالى-.

الشاهد إذا كان الناس يعلمون أن(من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل)، فالشأن كذلك في أمور الآخرة، لا بد من خوف، لابد من إدلاج، لا بد من عمل، لا بد من سعي، لا بد من بذل حتى يبلغ المنزل العالي في جنات النعيم.

قال -رحمه الله-: (وهو -سبحانه-: كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة فعُلِمَ أن الرجاء والخوف النافع هو ما إقترن به العمل الصالح).

هذه جملة عظيمة جدًا وفيها زبدة نافعة ومفيدة للمسلم.

يقول -رحمه الله-: (وهو -سبحانه وتعالى- كما جعل الرجاء لأهل العمل الصالح فكذلك جعل الخوف لأهل العمل الصالح، فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل) فإذا لم يكن الرجاء مقترناً بالعمل أو لم يكن الخوف مقترناً بالعمل لم يكن نافعاً، فهو إنما يكون نافعاً إذا اقترن بالعمل، برهان كونه نافعاً اقترانه بالعمل.

وانظر في ذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: 57] قبل: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾؛ ((﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾))، أي بالتنافس في الأعمال والطاعات، ومثلها قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، فالرجاء النافع والخوف النافع هو المقترن بعمل.نعم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 57-61]، وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة -رضي الله عنها- أنها

قالت: سألت رسول الله ﷺ - عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: "لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون ألا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات، وقد روي من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضاً).

قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إلى آخر الآيات، هذه جاءت مشتملة على صفات المؤمنين الكُمّل، والمؤمنون الكمل الذين كملوا إيمانهم هم من اتصفوا بهذه النعوت العظيمة، وهي برهان تحقيقهم للإيمان والتوحيد، فذكر الله -عز وجل- نعوتاً عظيمة لهم، منها -وهو موطن الشاهد- لما أراد ابن القيم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ المعنى ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يفعلون ما يفعلون من الذنوب وهم خائفون أن يعاقبهم الله عليها، هل هذا هو المعنى؟ قالت عائشة: يا رسول الله، أهو الرجل يزني ويسرق ويقتل ويخاف أن يعذب؟ ..هل هذا معنى الآية، قال: "لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل".

إذن قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي يقدّمون ما يقدمون من الأعمال الصالحة والقُربات المتنوعة وهم في الوقت نفسه خائفون أن ترد وأن لا تقبل منهم، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:27]، ولا يجزم المرء لنفسه أنه حقق التقوى في أعماله، ولهذا يقدم ما يقدم من طاعة وهو يرجو أن يقبلها الله منه، **لا يجزم** أنها متقبلة مهما بذل، ولهذا شعار المسلمين من لدُن زمن الصحابة إذا لقي بعضهم بعضاً عقب طاعة الصيام في رمضان وعقب طاعة الحج في عيد الفطر وعيد الأضحى؛ يقول بعضهم لبعض تقبل الله منا ومنكم، هذا من زمن الصحابة سُنّة ماضية، تقبل الله منا ومنكم، لا أحد يجزم لا لنفسه ولا لغيره بأن أعماله متقبلة، ولكن يرجو، يقدم ويرجو، أيضاً يقدم ويخاف، يرجو أن تقبل ويخاف أن ترد ولا يجزم.

فاقترن إذن **الرجاء بالعمل**، واقترن أيضاً **الخوف بالعمل**، ولهذا لا يتعجب الإنسان؛ سيأتي معنا نصوص تروى عن الصحابة **مع كمال إيمانهم عندهم خوف شديد**، من لا يعرف الأمر يتعجب مبلغ الخوف الذي عندهم مع كمال العمل، وربما يرى من نفسه ومن غيره مع قوة التفريط في العمل ما عنده خوف مثل هذا الخوف الذي عند الصحابة؛ وهم عندهم من كمال العمل وكمال الطاعة وعندهم شدة خوف، وسيأتي أمثلة عجيبة ذكرها ابن القيم -رحمه الله تعالى-.

قال-رحمه الله-: (والله -سبحانه- وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن).

الله -سبحانه وتعالى- **وصف أهل السعادة** بالإحسان أي في العمل والعبادة والطاعة والتقرب مع الخوف، شاهد ذلك الآية التي تقدمت، فيه إحسان في العمل وفيه مسارعة في الخيرات وفيه إيمان وفيه تعبُّد وفيه تقرب لله -سبحانه وتعالى-، ومع ذلك قلوبهم وجلة، فوصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، **ووصف الأشقياء** بالإساءة مع الأمن ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: 99] عندهم إساءة، وهم في الوقت نفسه آمنون، ولهذا قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: (إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق أو الفاجر جمع بين إساءة وأمن).

قال -رحمه الله-: (ومن تأمل أحوال الصحابة -رضي الله عنهم- وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن، فهذا الصديق -رضي الله عنه- يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن).

الآن سينقل نقولًا تحتاج إلى أن الإنسان فعلاً يتأمل فيها؛ وإن كان بعضها في سنده مقال، بعضها سنده ضعيف، لكن مجموعها والثابت منها يصور يوضح لنا حقيقة واضحة في الصحابة وشدة خوفهم -رضي الله عنهم-، وأن شأنهم كما ذكر ابن القيم: (من يتأمل أحوال الصحابة -رضي الله عنهم- وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف)، ما معنى غاية العمل؟

نعم كماله، مكملين للأعمال، جِد واجتهاد ودأب في العبادة التقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-، (وغاية في الخوف) يعني خوف ليس قليل، وإنما غاية في الخوف، خوف شديد قوي يملأ قلوبهم، مع كمال العمل الذي هم عليه.

ثم يقول -رحمة الله عليه-: (**ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن**) يتحدث عن واقع مؤلم في أحوال كثير من الناس، ومن ينظر سيرة هذا الإمام -أعني ابن القيم رحمه الله تعالى- يجد عجباً في تعبده: في صلاته، وفي طاعاته، وقرباته لله -سبحانه وتعالى-، ويقول: (**نحن جمعنا بين التقصير، بل التفريط والأمن**)، هو يشير بذلك إلى حال المفرطين، <u>لكن خذ يا طالب العلم</u> فائدة من كلمة ابن القيم هذه ضعها في قلبك موضعاً عظيماً، فإنها نافعة لك عندما تدعو إلى الله، عندما ترتقي المنبر تخطب، عندما تعظ الناس، **<u>انتبه لها</u>**، ما قال -رحمة الله عليه وهو يقرر هذه المسألة: وأنتم جمعتم بين التقصير والأمن، يخاطب من عنده أ ويخاطب من يقرأ، ما قال أنتم، إذا قال الخطيب أنتم كذا ،وأنتم كذا، كأنه ماذا؟ -كأنه سالم، وربما يكون أكثر منهم تقصيراً، ربما فيه ما فيه هو من التقصير، لكن لما يجعل نفسه معهم ومنهم، يكون للكلام أثره، إذا كان يقول: **<u>ونحن</u>**؛ وهم يعلمون من حاله - أعني الخطيب- صلاحاً واستقامة يؤثر فيهم أكثر، يقولون: كيف الآن وهو في صلاحه وفي عبادته

يقول: ونحن ؟! يؤثر فيهم أكثر، لكن لو قالوا: أنتم، تجد في بعضهم ربما يأتيه ويخاطبه: وأنت ويش تكون ؟ وإن ما قالها بلسانه له تبقى في خاطره عليه، هذا منهج مهم ومسلك عظيم عليه أهل العلم في التعليم والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

من يعطينا شاهدا على هذا المنهج ؟ - من قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر,وهو يكتم إيمانه ويعظ قومه ماذا قال ؟- ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ ما قال: ينصركم، هو مؤمن يكتم إيمانه، ما قال: من ينصركم من بأس الله إن جاءكم، أنتم كذا، مثل هذا نافع جداً، هذا ننتبه له، ابن القيم -رحمه الله- يقول: (ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن) اقرأ له مثل هذا بل أقوى منه في كتابه -رحمه الله تعالى- طريق الهجرتين لما تحدث عن المقربين ما هي أعمالهم، وارجع إليه ضروري ترجع لهذا الكتاب، لما تكلم عن المقربين ما هي صفاتهم، وأخذ يعرض صفات المقربين، بل ذكر برنامج المقربين اليومي من الفجر إلى الفجر، ماذا يعمل، حتى بين وين يصلي في المسجد، وين يكون، ذكر شيء عجب في أوصاف المقربين، لكنه قبل أن يبدأ بذكر أوصافهم أخذ يقدم اعتذار في قرابة صفحة كاملة كيف هو يذكر أوصاف المقربين، وهو ما شم رائحتهم يقول، ويعتذر ويقول لكن يشفع لنا، ويذكر أشياء الأول الثاني الثالث، هذا فرق شاسع في التعليم، وهذا مهم جداً ينبغي لطالب العلم أن ينتبه له لما يعتلي المنبر أو يخطب أو يُحاضر أو يكلم الطلاب.

وبالمناسبة الآية التي ذكر زميلكم ارجعوا إلى كلام جميل في معناها لابن سعدي -رحمه الله-، في تفسير ابن سعدي ذكر مثل هذه المعاني التي ينبغي أن ينتبه لها الداعي أو الخطيب أو الواعظ إلى آخره.

قال: (ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن) ثم ذكر أمثلة من واقع الصحابة -رضي الله عنهم-.

قال -رحمه الله-: (فهذا الصديق -رحمه الله- يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن ذكره أحمد عنه وذكر عنه أنه كان....).

الآن وأنت تسمع، هذه نقول عديدة عن الصديق -رضي الله عنه-، من هو الصديق؟ استحضره في ذهنك من يكون -رضي الله عنه-؟ أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- هو أفضل الناس في كل الأمم بعد النبيين -رضي الله عنه- والدلائل على ذلك كثيرة، فاسمع هذا الذي له هذا الفضل وله هذه المكانة وشهد له النبي - ﷺ - بالجنة؛ وتأتي مثل هذه العبارات، قد يكون بعض ذلك لا يثبت لكن في مجموع الروايات فيه خوف شديد عند هؤلاء، وهذا الذي ذكر ابن القيم أن الله وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، غاية الإحسان مع غاية الخوف.

(وذكر عنه -رضي الله عنه- أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وكان يبكي كثيرا، ويقول: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله -عز وجل-، وأتي بطائر فقلبه، ثم قال -رضي الله عنه-: ما صيد من صيد ولا قطعت من شجرة إلا بما ضَيَّعت من التسبيح، ولما احتضر -رضي الله عنه- قال لعائشة -رضي الله عنها-: يا بنية، إني أصبت من مال المسلمين هذه العباءة وهذا الحلاب وهذا العبد، فأسرعي به إلى ابن الخطاب، وقال -رضي الله عنه-: والله لوددت كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد).

هذه (والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد) مر معنا قريباً عمن؟ أبي ذر، مر معنا قريباً عن أبي ذر مثل هذا، وأيضا جاء عن ابن مسعود مثل هذا المعنى.

هذا الذي نُقل عن أبي بكر، ونقل عن نظائر له، وسيأتي نظائر أيضاً عن الصحابة، هو من شدة خوفهم من أهوال يوم القيامة والعقوبات التي عدها الله، والنار وسخط الله، يقرؤونها في القرآن، ويكون لها وقع قوي جداً في قلوبهم وخوف شديد مع العمل الذي هم عليه، ولا يلتفتون لهذه الأعمال، وإنما يرجون رب العالمين -سبحانه وتعالى- أن يكتب لهم نجاة، كيف وقد سمعوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لن يدخل أحد الجنة بعمله". ولهذا الإنسان يحسن في العمل لكن لا يلتفت للعمل، يرجو نجاته **من رب العالمين**، يسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينجيه وأن يتغمده برحمته.

(وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر -رضي الله عنه- قال: وددت لو أني خضرة تأكلني الدواب، وهذا عمر -رضي الله عنه- قرأ سورة الطور، حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: 7] بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي، قالها ثلاثا ثم قضى، وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه، فيبقى في البيت أياما يعاد يحسبونه مريضا وكان في وجهه -رضي الله عنه- خطان أسودان من البكاء، وقال له ابن عباس -رضي الله عنهما-: نصر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل، فقال: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر، وهذا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته، وقال -رضي الله عنه-: لو أنني بين الجنة والنار، لا أدري إلى أيهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيهما أصير).

هذا جاء عن عبد الله الرومي قال: بلغني، بعض الروايات المتقدمة هي غير ثابتة، يعني مثلاً ذكر الخطان الأسودان من البكاء في إسناده انقطاع، والذي قبله سنده ضعيف، لكن مجموع هذه الأخبار

توضح أن وهو المقصود وليس المقصود ذات الخبر المنقول، والصفة التي تنقل في الخبر، وإنما المقصود أن هذا مشهور ومتواتر في حال الصحابة، ومستفيض عنهم شدة خوفهم، وهذا هو المقصود من هذه النقول الكثيرة، أما تفاصيلها بعضها قد لا يكون ثابتاً. نعم

(قال -رحمه الله-: وهذا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وبكاؤه وخوفه، وكان يشتد خوفه من اثنتين: **طول الأمل واتباع الهوى**، قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل).

وجاء هذا الخبر وصية منه -رضي الله عنه- يحذر من طول الأمل واتباع الهوى، يحذر في وصية له -رضي الله عنه- من طول الأمل واتباع الهوى.

ثم قال: (فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة)، طول الأمل أي في الدنيا، ينسي الآخرة يعني ينسي الاهتمام بالآخرة وأعمال الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق، إذا اتبع المرء هواه صده عن الحق ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ,

ثم قال: (ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحد بنون) الآخرة لها بنون، والدنيا لها بنون،(فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونون من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل)، وهذه موعظة عظيمة نافعة في محاسبة النفس والاستعداد للقاء الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحشر: 18] فهذه الموعظة نافعة جدا، والتأمل فيها نافع بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

قال -رحمه الله-: (وهذا أبو الدرداء -رضي الله عنه- كان يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت ؟).

يعني النبي - ﷺ - قال: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع"، ومنها "عن علمه ماذا عمل به" فمع العمل الذي هم عليه عندهم هذا الخوف، ولهذا عرفنا أن الخوف مقارن لماذا؟ للعمل، فمع الخوف الذي كان عندهم كانوا أهل عمل وإحسان في العمل، فيقول -رضي الله عنه-: (إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت فكيف عملت فيما علمت؟)

(وكان -رضي الله عنه- يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت، لما أكلتم طعاما على شهوة، ولا شربتم شرابا على شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعيد تضربون وتبكون على أنفسكم ولو وودت أني شجرة تعضد ثم تؤكل).

مر مثله عن أبي بكر وأبي ذر، وأشرت أيضاً ابن مسعود، وهذا أبو الدرداء.

(وكان ابن عباس -رضي الله عنهما- أسفل عينيه مثل الشراك من الدموع، وكان أبو ذر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد، وودت أني لم أخلق، وعرضت عليه النفقة، فقال: عندنا عنز نحلبها، وأحمرة ننقل عليها، ومحرر يخدمنا، وفضل عباءة وإني أخاف الحساب فيها).

مثل هذه الكلمات التي فيها شدة الخوف؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن الذي يصح منها؛ بعضها كما قدمت قد لا يثبت، لكن الذي يصح منها لا يكون المعنى ذاته مراداً، ولكن أهوال يوم القيامة وشدائد يوم القيامة والخوف الشديد الذي يملأ القلب يوجد فيه مثل هذه الكلمات خوفاً، وإلا في جانب آخر تراهم عندهم طمع ورجاء وسؤال الجنة وطلب ثواب الآخرة وعمل الآخرة وأمور من هذا القبيل، فأنبه على ذلك حتى لا يظن الظان أن هذا هو الذي عندهم، لا؛ عندهم أيضا طلب للجنة وعمل لأجل الجنة، مثلما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي: حولها ندندن، أنا ومعاذ والصحابة كلهم حول الجنة نيلاً لها، والنار نجاة منها يدندنون، لكن هذا الخوف له باب، وهو عندما يذكرون أهوال يوم القيامة، وشدائد يوم القيامة والعقوبات ووو... إلخ، اشتد الخوف فتأتي مثل هذه الكلمات، لكنها أصالة ليست مقصودة، لكن حملهم عليها شدة الخوف. ولهذا يقول ابن تيمية: (خوف وهيبة من أهوال القيامة، فيثابون على هذا الخوف، وخوفهم هذا جزء من إيمانهم).

قال -رحمه الله-: (وقرأ تميم الداري -رضي الله عنه- ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: 21] جعل يرددها ويبكي حتى أصبح، وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح: وودت أني كبش فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي).

هذا في سنده انقطاع، بعض المتقدم يعني ليس ثابتاً، لكن أعيد ما أشرت إليه، التفاصيل ليست مقصودة، وإنما المقصود الخروج بصورة واضحة أن الصحابة -رضي الله عنهم- وهذا متظافر عنهم ومستفيض- فيه شدة خوف من الله -سبحانه وتعالى-، ومثل هذه العبارات ما صح منها محمول على ما

ذكره ابن القيم أن ابن تيمية وهو شدة الخوف عندهم من أهوال يوم القيامة والشدائد، فهو جزء من خوفهم، وخوفهم جزء من إيمانهم.

قال -رحمه الله-: (وهذا باب يطول تتبعه).

لاستفاضته وتواتره وكثرة النقول فيه، وكثير من النقول المتقدمة تجدونها في مثل الزهد للإمام أحمد والكتب التي تعنى بهذا الجانب، وكتب الرقاق.

(قال البخاري في صحيحه: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، وقال إبراهيم التيمي -رحمه الله-: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذِّبا، وقال ابن مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل).

لأنه أدرك المُرجِئة الذي يقول الواحد منهم إيماني كإيمان جبريل، وهم يعتقدون أن أهل الإيمان فيه سواء، وأن آحاد الأمة إيمانه مثل إيمان صدّيق الأمة، في رده عليهم يقول: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -) وفي بعض الروايات: أو أكثر، (كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل أو ميكائيل).

(ويذكر عن الحسن -رحمه الله- أنه قال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق).

وأيضاً يروى عنه أنه يقول: أن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق جمع بين إساءة وأمن.

(وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول لحذيفة: أنشدك الله هل سماني لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ يعني في المنافقين، فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحدا).

يقول هذا -رضي الله عنه- وأرضاه وهو من هو في العمل والعبادة والطاعة والخيرية والفضل، وشهد له النبي - صلى الله عليه وسلم - بالجنة، لكن ماذا؟ هذا الخوف جزء من الإيمان، خوف يملأ قلوبهم، لا يزكون

أنفسهم، مع الصلاح العظيم الذي أكرمهم الله -سبحانه وتعالى- به ما يزكي الواحد منهم نفسه، الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْۖهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: 32] لا يزكي نفسه، فهذا الخوف جزء من الإيمان القوي العظيم الذي عمرت به قلوبهم -رضي الله عنهم-وأرضاهم.

قال -رحمه الله-: (فسمعت شيخنا يقول -يعني ابن تيمية-: ليس مراده أني لا أبرئ غيرك من النفاق، بل المراد: لا أفتح على نفسي هذا الباب، فكل من سألني: هل سماني لك رسول الله - ﷺ - فأزكيه، قلت: وقريب من هذا قول النبي - ﷺ - للذي سأله أن يدعو له أن يكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قال: "سبقك بها عكاشة"، ولم يرد أن عكاشة وحده أحق بذلك ممن دعاه من الصحابة، ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب، وربما قام من لا يستحق أن يكون منهم، فكان الإمساك أولى والله أعلم).

يعني قول النبي - ﷺ -: "سبقك بها عكاشة" يعني حسماً لمثل هذا، وحذيفة -رضي الله عنه- لما قال: لا، ولا أزكي بعدك أحداً، يعني إن سُئلت بعدك هذا السؤال لن أجيب، لماذا؟ حسماً لمثل هذا، مثل ما قال النبي - ﷺ - للسائل: "سبقك بها عكاشة".

<u>الحاصل</u> هذه النقول جمعها ابن القيم -رحمه الله تعالى- في بيان حال الصحابة، وعندما تنظر في حالهم في هذا الباب تجد شدة الخوف الذي كانوا عليه -رضي الله عنهم- وأرضاهم،إذا نظرت أيضاً الرجاء تجد أيضاً من أحسن الناس رجاء، فجمعوا بين الرجاء والخوف، وهذا الذي يجب أن يكون عليه المرء، **لأن المرء إذا كان عنده خوف وحده بدون رجاء؛ ماذا يحدث له؟** يقنط، **وإذا كان عنده رجاء بلا خوف، ماذا يحدث له؟** يأمن من مكر الله.

فإذا جمع بين الرجاء والخوف حدث التوازن، أقول ذلك حتى ننتبه، الصحابة ليس هذا الذي عندهم فقط، إذا جئت في أبواب الرجاء والنقول عنهم في هذا الباب تجد كلاماً عظيما في كمال حالهم -رضي الله عنهم- وأرضاهم.

<u>أشير هنا</u> إلى قاعدة في هذا الباب قررها أهل العلم في مسألتنا هذه، وأن الواجب أن يكون العبد والحال المحمودة في العبد أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يبلغ به الخوف مبلغاً إلى أن يوصله إلى القنوط من رحمة الله أو اليأس، وأيضاً لا يبلغ به الرجاء مبلغاً إلى أن يصل به إلى أن يأمن من مكر الله -سبحانه وتعالى-، وكل من الأمرين من كبائر الذنوب؛ أعني القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

وعلامة ذلك؛ انتبه للفائدة، وعلامة ذلك أن يكون دائباً في عمل الخير واجتناب الشر، فإن الذي ييأس من رحمة الله لا يبْعُد أن يصل به الأمر إلى أن يدع العمل، كيف؟ يقول أنا مُعذّب معذب، فلماذا أعمل؟ ولماذا أترك المعاصي؟ ولماذا؟ وهذه حال واقعة، يصل به اليأس إلى أن يترك العمل، فيقول في نفسه: أنا معذب معذب، منتهي، العذاب حاصل حاصل، فلماذا أدع العمل استولى عليه ماذا؟ اليأس هذا نوع.

النوع الآخر من يأمن من مكر الله، من أمن من مكر الله، الآمن من مكر الله هو في قرارة نفسه أنه يوم القيامة ماذا؟ ناجي، فيقول: أنا يوم القيامة ناج، فأيضاً ما الحاجة للعمل؟

فالنتيجة واحدة، شدة اليأس والأمن من مكر الله كلها تفضي إلى نتيجة واحدة، وهي ترك العمل.

إذن المحمود هو الجمع بين الرجاء والخوف، والعلامة الصادقة على ذلك **الدأب على العمل**، إذا كان عنده دأب على العمل وعناية بالعمل هذه من علامات اجتماع الرجاء والخوف، لكن من يستولي عليه شدة اليأس ربما وصل به الأمر إلى تركه، لأنه سيقول: أنا معذب معذب فما الحاجة للعمل؟ والذي يأمن يقول: أنا ناج ناج فما الحاجة إلى العمل؟ فكل منهما سيفضي به هذا إلى ترك العمل.

ثم ذكر -رحمه الله- فصلاً جديدًا رجع فيه إلى ما سبق قال: (فلنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر دواء الداء الذي إن استمر أفسد دنيا العبد وآخرته).وهذا يوضح لنا أن ابن القيم عنده نفس عميق عظيم في الإصلاح، وجلد وصبر في البيان والنصح، ربما لما قرأنا ما سبق، قلنا في أنفسنا: الحمد لله، انتهت المسألة، واضحة، ما عاد تحتاج بيان، يقول: نرجع الآن نبين، نحن الآن نظن أنه ما عاد بقي فيها شيء، واضحة، وذكر أدلة وبراهين، وصارت واضحة، يقول: فلنرجع إلى ما كنا فيه وسيمشي أيضاً معك الآن في نفس طويل يحتاج منك صبر لتفهمه، مثلما صبر -رحمه الله- الصبر العظيم في تحريره وبيانه، فجزاه الله خيرا على ما أحسن وأبان، ونفعنا الله أجمعين، ووفقنا لكل خير.

جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم، وألهمكم الله الصواب، ووفقكم للحق، وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: ما معنى قول أبي بكر -رضي الله عنه-: (فإن لم تبكوا فتباكوا)؟

-هذا إن ثبت، قلت إن بعض هذه الآثار في سندها كلام، لكن إن ثبت فالمعنى: إن لم تبكِ فحاول أن تستجلب لنفسك البكاء بحسن التدبر، حسن التأمل، حسن النظر في المعاني، إحضار النفس،

إحضار القلب، لا أنّ المراد التظاهر بالبكاء، ليس هذا المراد، ولكن (تباكوا) يعني تعاطوا أو ابذلوا الأسباب التي تصل إلى حصول هذا المقصود.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: من كان عنده مظلمة عند أحد، ثم استحل منه، وطلب أن يعفو ويصفح عنه، ولكنه أبى أن يعفو عنه، فهل يبقى إثم بعدما استحل منه؟

-الاستحلال وحده لا يكفي، إذا كانت حقوق مالية أو أشياء من هذا القبيل، ولم يطلب منه مالاً، وقال: سامحني وألح عليه في المسامحة، وقال له: لا، أنا أريد حقي، ما يخرج من التبعة بهذا الطلب، ولكن يسعى جاهداً في إعطائه ما في ذمته له.

-وإذا كان الأمر لا يتعلق بحقوق مالية، يعني غيبة ونحو ذلك، أهل العلم منهم من ذكر إذا كان طلب منه يفضي إلى مفسدة، فالشريعة جاءت بدرء المفاسد، يعني أن تأتي لأخيك وتقول له: أنا قلت فيك كذا، وقلت فيك كذا، وقلت فيك كذا، وتفصل ماذا قلت فيه في ساعة سفه وجهل، ثم تفصل له، ربما هو لا يدري عن شيء، فتملأ صدره عليك، وتثير نفسه عليك، وتوجد في نفسه عليك، هذه مفسدة، فإذا كان يخشى من ذلك، فيكثر له من الدعاء، أو أيضاً يكون الطلب بغير الطريقة التي تقدمت، يعني يلقاه، ويقول له: أرجو المسامحة، لا بد أن يكون حصل تقصير، لا بد من شيء تعرف نحن فينا ضعف وفينا قصور، وأنت رجل كريم ومحسن، وجزاك الله خير، إن كان حصل...، مثل هذا الكلام، وإلا فيكثر له من الدعاء، ويجعل محل ذمه وغيبته والطعن في عرضه ثناء عليه، لتذهب هذه تلك بإذن الله -سبحانه وتعالى-، لكن الحقوق المالية إن لم يسامح لا بد أن يعيدها له.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: من ترك صوم رمضان لعذر، ولم يزل حتى جاء رمضان آخر، فهل يصومه بنية قضاء الفائتة أو بنية الأداء؟

-لا، يصوم بنية الأداء، يصوم رمضان الحاضر بنية الأداء، والفائت هذا باقي في ذمته، يصومه بعد رمضان، وإذا كان عنده تقصير يستغفر من هذا التقصير، ويندم على هذا التقصير، ثم يقضي بعد رمضان الفائت من الذي قبله، ويطعم عن كل يوم مسكين بسبب تأخيره إلى ما بعد رمضان.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: أسأت الظن في شخص، فماذا يلزمني؟

-لا تظن بأخيك ظناً سيئاً وأنت تجد على الخير محملاً، ولأن يكون خطؤك مع أخيك في باب إحسان الظن خير لك من أن يكون خطؤك مع أخيك في باب إساءة الظن، لأنك إن أحسنت الظن فيه وأنت

مخطئ مأجور على إحسانك الظن، وإن أسأت الظن فيه وأنت مخطئ أثمت على إساءتك الظن في أخيك، ولهذا يحذر المرء من مثل هذا، وخاصة الظنون هذه التي هي في الحقيقة من إلقاء الشيطان لإلقاء العداوة بين الإخوان، ولهذا في أدنى موقف يأتي الشيطان ويلقي في نفس المرء أسوأ الاحتمالات وأسوأ الظنون، ثم تقع العداوة وهذا هو مطلوب الشيطان.

فعلى كل حال مثل هذا ينبغي أن المسلم يحذر منه، ومثل ما أنه يحب لنفسه أن يحسن به الظن في كلامه في أقواله في تصرفاته في أفعاله، فليفعل ما يحبه لنفسه مع إخوانه، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويأتي لإخوانه الشيء الذي يحب أن يؤتى إليه.

أحسن الله إليكم، يقول السائل: المرأة التي كانت تصرع وتتكشف، فأرشدها النبي - ﷺ - إلى الصبر، هل يفهم من هذا أن الصبر على المرض أفضل من السعي والعلاج والدعاء في ذلك؟

-السعي في العلاج ليس بواجب، لكن قد قال النبي - ﷺ -: "تداووا عباد الله" يعني رغب في الدواء، ولهذا فإن التداوي هو مستحب، بعض أهل العلم قال بوجوبه، لكن يستحب للمرء أن يتداوى بما يرجو أن يكون فيه نفعاً له، وقد قال -عليه الصلاة والسلام-: "تداووا عباد الله، ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله".

وهذه المرأة كانت تُصاب بالصرع وتتكشف، فقال:"تصبرين ولك الجنة؟" قالت: أصبر، لكنني أتكشف، فأُدعو الله ألا أتكشف، التكشف الذي يحصل من هذه المرأة هو وقت الصرع، فهل هي آثمة؟ هي مصابة بصرع، ما تدري أصلاً، فليس آثمة، ولا يعاقبها الله على شيء يكون ما تشعر به – مصروعة-، لكن مع ذلك تقول: أُدعو الله أن لا أتكشف، فسبحان الله، هناك نوع من الصرع تصاب به كثير من النساء، وهو أن تكون صريعة الشهوات والأهواء، إذا أصيبت بهذا الصرع تتكشف ولا تبالي، ولا تخاف من عقوبة الله، ولا تفكر أصلاً في هذا الأمر لأنها صريعة الشهوة، وهذا النوع من الصرع خطير جداً إذا أصاب المرأة، تجد تتكشف ولا تبالي، هذه تتكشف مصروعة بالمرض الذي أصابها، وتطلب من النبي - ﷺ - أن لا تتكشف، وأصبحت من بعد ذلك تصاب بالصرع ولا تتكشف، وذاك التكشف لم تكن محاسبة عليه، فكيف بالتي تتكشف عمداً قاصدة، ولا تبالي ولا تخاف من لقاء الله -سبحانه وتعالى-؟! نسأل الله -عز وجل- العافية.

سؤال واحد، أحسن الله إليكم، يقول السائل، شيخنا نحن طلبة الجامعة قاربنا على الرجوع إلى بلادنا فبماذا تنصحونا في هذا الصيف وفي رمضان خاصة؟

أنصحكم تسمعون الأذان الآن، وترددون معه، أما الجواب عليه ما في وقت يكفي.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ,اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فيقول العلّامة ابن القيم الجوزية رحمه الله في كتابه الداء والدواء

فَصْلٌ:ضَرَرُ الذُّنُوبِ فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَانِ

فَلْنَرْجِعْ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ دَوَاءِ الدَّاءِ الَّذِي إِنِ اسْتَمَرَّ أَفْسَدَ دُنْيَا الْعَبْدِ وَآخِرَتَهُ.
فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ، أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ تَضُرُّ، وَلَا بُدَّ أَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَانِ عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرَرِ، وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي، فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، دَارِ اللَّذَّةِ وَالنَّعِيمِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى دَارِ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَصَائِبِ؟

وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ فَجَعَلَ صُورَتَهُ أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا، وَبَاطِنَهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ، وَبُدِّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلَظَّى، وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا، وَبِمُوَالَاةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ أَعْظَمَ عَدَاوَةٍ وَمُشَاقَّةٍ، وَبِزَجَلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجَلَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْكَذِبِ وَالزُّورِ وَالْفُحْشِ، وَبِلِبَاسِ الْإِيمَانِ لِبَاسَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، فَهَانَ عَلَى اللَّهِ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ، وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى فَأَهْوَاهُ، وَمَقَتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ فَأَرْدَاهُ، فَصَارَ قَوَّادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ، رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ، فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَارْتِكَابِ نَهْيِكَ.

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّى عَلَا الْمَاءُ فَوْقَ رَأْسِ الْجِبَالِ؟ وَمَا الَّذِي سَلَّطَ الرِّيحَ الْعَقِيمَ عَلَى قَوْمِ عَادٍ حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟

وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ نَبِيحَ كِلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَأَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ عَلَى أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ، وَلِإِخْوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ؟

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلَظَّى؟

وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَالْأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرْقِ؟

وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ؟

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا؟

وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يس بِالصَّيْحَةِ حَتَّى خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟

وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ، وَسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا؟

وَمَا الَّذِي سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ، مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ، وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ١٦٧] .

بسم الله الرحمن الرحيم،الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ،وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد،

فهذا الفصل وهو: عودٌ إلى بدء وتأكيد لمتقدم عقده الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- لبيان أن الذنوب ضارة ولا بد وواقعة مضرتها على العبد ولا بد، وأضرار الذنوب متنوعة، وجدير بكل ناصح لنفسه أن يعتبر بأحوال المُعذَبين،ومن ذاقوا أضرار الذنوب، فيعتبر لا أن يجعل من نفسه عبرة للآخرين، فإن السعيد من اتعظ بغيره والشقي من كان عِظة لغيره، ولهذا ينبغي على العبد* أن يكون ناصحًا لنفسه غاية النصح ،*وأن يُجاهد نفسه للبعد عن الذنوب ليسلم من غوائلها وعواقبها ومضارها الوخيمة على صاحبها في الدنيا والآخرة، وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في هذا الفصل مَسردًا نافعًا جدًا ربما لا تكاد تراه بهذا العرض وهذا الترتيب وهذه الوجازة في موضع آخر، ذكر فيه عقوبات متنوعة ترتبت على الذنوب عبر التاريخ لأنواع من الذنوب، والله سبحانه وتعالى قص ذلك في القرآن وأبانه في مواطن عديدة، ليعتبر المعتبر ويتعظ المتعظ، فإن هذه القصص والأخبار لم تحكى لمجرد العلم بها والمعرفة ،وإنما حكيت لأخذ العبرة والعظة، ولهذا فإن ما سمعنا الآن من مسرد لأنواع من العقوبات وكلها لها شواهدها ودلائلها يجعل في العبد حيطة من نفسه، وحذرًا من الذنوب وأخطارها وأضرارها،

فترتب عليها كل ما سمعنها وأكثر في الأمم السابقة، وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه جلّ وعلا أمور كثيرة من أحوال الأمم إجمالًا وتفصيلًا ،كل ذلك لأخذ العبرة والعظة من ذلك، وبعد ذلك أخذ رحمه الله تعالى يسوق نصوصًا كثير من السنة في ذكر عواقب الذنوب ومضارها في الدنيا والآخرة، نعم.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عُمَرَ وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ، بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ، تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى.

هذا أثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه وفيه عظيم فقه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وأخذهم العبرة من القصص وأحوال الأمم والعقوبات، فلما أكرم الله سبحانه وتعالى المسلمين بفتح قبرص فُرِّق بين أهلها وشُتِتَ شملهم بعد أن كانت أمة ظاهرة قاهرة لها مُلك، لها دولة ذهبت في مهب الريح وتفرَّق أمرهم ولم يبقَ لهم ذاك الملك وذاك الظهور، هذا بالنسبة للمسلمين في ذاك اليوم يوم فرح عظيم وسرور وغبطة وهناءة بنعمة الله سبحانه وتعالى أن يسَّر هذا الفتح العظيم والخير، لكنَّ أبي الدرداء رضي الله عنه جلس وحده يبكي، فقيل له في ذلك ما يُبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟!يعني هذا يوم فرح وسرور وغبطة وهناءة بهذه النعمة فعزَّ الله فيه الإسلام وأهله فما الذي يجعلك تبكي؟ قال: ويحك يا جُبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره ، وفي المصدر تركوا أمره، أو المصادر مصادر تخريج الخبر -تركوا أمره- وهما بمعنى واحد وهذا الخبر في الزهد للإمام أحمد ، وليس في مسنده والإحالة هكذا بالإطلاق على الإمام أحمد تشير إلى أنه في المسند، قال :إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم المُلك تركوا أمر الله فصار أمرهم إلى ما ترى أي: انتهى الظهور وانتهى المُلك وتشتت الأمر وتفرَّقوا، فهذا فيه عبرة، لما نظر إلى هذا الجانب بكى من هذه العبرة والعظة، وأن في هذا دلالة على هوان الخلق على الله سبحانه وتعالى إذا أضاعوا أمره " وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ "، إذا أضاعوا أمره، لكن إن حفظوا أمر الله سبحانه وتعالى حفظهم الله وأيدهم وأمدهم وأعانهم وكفاهم شر أعدائهم، "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ" "كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ " لكن إذا تركوا أمر الله سبحانه وتعالى هانوا عليه "وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ " نعم.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ: أَنْبَأَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - يَقُولُ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث أن النبي ﷺ قال " لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ " أي يكون منهم إسراف على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، وانصراف عن حقوق الله التي خلقهم من أجلها وأوجدهم لتحقيقها، وانهماك في الدنيا وشهواتها وملذاتها، وعدم مبالاة بالآخرة وأمرها العظيم، فإذا كانوا كذلك أصبحوا عُرضة للعقوبة والهلاك فلم يبقى لهم حينئذٍ عُذر، أي على أنفسهم جنوا وبذنوبهم أوجبوا عقوبة الله سبحانه وتعالى فلم يبقى لهم عذر ،وهذا معنى قوله حتى يُعذروا من أنفسهم أي بارتكابهم للذنوب والمعاصي ومساخط الله سبحانه وتعالى والانصراف فلا يبقى لهم عذر، فيكونون حقيقين بعقوبة الله ولا عذر لهم لأنهم جنوا على أنفسهم بالإسراف والإكباب على الذنوب، نعم.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُنَاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: كَيْفَ يُصْنَعُ بِأُولَئِكَ؟ قَالَ: يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ» .

وهذا الحديث فيه أن المعاصي إذا ظهرت ومعنى ظهرت: أصبح لها شيوع بين الناس وظهور أصبحت ظاهرة، فإذا كان حال الناس بهذه الصفة ظهرت الذنوب وشاعت وكثرت في الناس عمَّ الله سبحانه وتعالى الجميع بعذاب من عنده، ومعنى عمَّهم أي الصالح منهم والطالح المذنب وغير المذنب يعم الجميع بعذاب من عنده، فقيل يا رسول الله أما فيهم يومئذ أُناس صالحون؟ فيشملهم هذا العذاب أما فيهم أناس صالحون؟ قال بلى، قلت فكيف يُصنع بأولئك يعني: مع أنهم لم يكونوا من أهل تلك الذنوب و لم يكونوا من أهل تلك المعاصي، قال يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرةٍ من الله ورضوان، يصيبهم ما أصاب الناس أي العقوبة التي تنزل تعم الجميع لكن يصيروا مآلهم إلى مغفرة من الله ورضوان، لأنهم أهل طاعة وليسوا بأهل معصية،لكن هذا من شؤم المعاصي ،وعقوبة المعاصي كما أفاد هذا الحديث مثل النار إذا حلت في مكان أكلت الأخضر واليابس لا تأكل اليابس فقط حتى الأخضر تأكله، فمضرة الذنوب وشؤمها على البلاد والناس حتى الدواب حتى الزروع لها شؤم " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ " نعم.

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللَّهِ وَفِي كَنَفِهِ مَا لَمْ يُمَالِئْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا، وَمَا لَمْ يُزَكِّ صُلَحَاؤُهَا فُجَّارَهَا، وَمَا لَمْ يُهِنْ خِيَارُهَا أَشْرَارَهَا، فَإِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ» .

هذا رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات وبالمناسبة فكتاب "العقوبات لابن أبي الدنيا" وهو مطبوع هو في هذا الباب ،يذكر أنواع العقوبات، ويسوق الأحاديث والأخبار كلها في هذا الباب وهذا الخبر من مراسيل الحسن وأيضًا إسناده ضعيف وهو مرسل نعم.

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» .

هذا تقدم عند المصنف رحمه الله في أوائل الكتاب عندما تكلم عن الدعاء والقضاء لا يرد القدر إلا الدعاء، جاء في آخر الحديث هذه الجملة وأول الحديث الذي يتعلق بالدعاء ورده للقدر أو القضاء، ثبت بما له من شواهد، يعني هذه الجملة من حديث ثوبان ثبتت بما لها من شواهد، أما آخر الحديث إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، فقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أن هذه الزيادة لم يجد لها ما يشهد لها ،لكن الذنوب والمعاصي لها مضار عظيمة من ضمنها هذا المعنى الذي ذُكر في الحديث الحرمان من الرزق ومن البركة في الرزق والبركة في العيش، كما أن أيضًا أن الطاعة سبب في البركة كما قال الله تعالى "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ" ضد ذلك يترتب عليه ضد ذلك أيضًا، ضد ذلك وهو العمل السيء يترتب عليه ضد ذلك وهو الحياة غير الطيبة وهو من عقوبات الذنوب -نعم.

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ، قَالُوا وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ

هذا الحديث فيه أن المسلمين إذا إنهمكوا في المعاصي، وأكبوا على الدنيا، وانشغلوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وطلب مرضاته وأصبح همهم وهمتهم اللهو والغفلة والباطل، فإن من العقوبة على ذلك تسليط أمم الكُفر عليهم ،حتى يكونوا بهذا المثال الذي ذُكر في الحديث قال: يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أُفق كما تداعى الأكَلة على قصعتها، أَكَلَة :جمع آكل مثل كَتَبة جمع كاتب، مثل ما يوضع الطعام ثم يجتمع عليه أكلة جياع من كل جهة كيف يكون أخذهم لهذا الأكل وتناولهم لهذا الطعام؟ وهم أتوا إلى هذا الطعام من كل جهة وهم جياع،

فيوشك يقول عليه الصلاة والسلام :أن تتداعى عليكم الأمم من كل أُفُق كما تداعى الأَكَلَة على قَصعتها مثل مما يجتمع الأَكَلة على القَصعة التي هي وعاء الطعام الذي يوضع فيه الطعام، قلنا :يا رسول الله أَمِن قِلَّةٍ منّا يومئذ يعني عندما تتداعي الأمم أمم الكفر وتتسلط على المسلمين أيكونون في ذلك الوقت قلة بسبب قلتهم؟ قال: أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاءٌ كغثاء السيل، غثاء السيل:الذي يحمله فوق متنه من الزبد والأشياء الخفيفة التي يحملها على متنه وهو مندفع فيقول عليه الصلاة والسلام :ولكنكم غثاء كغثاء السيل تُنزع المهابة من قلوب عدوكم ويُجعل في قلوبكم الوهن، يجتمع أمران:- المهابة تذهب :المهابة التي يجعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بإسلامهم وإيمانهم وطاعتهم قد قال عليه الصلاة والسلام: "نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر"فهذه المهابة تذهب والأمر الآخر يُصاب المسلمون بالوهن والوهن هو جاء مُفسرًا في الحديث عندما سُئل النبي ﷺ عنه قال: حُب الدنيا وكراهية الموت، حب الدنيا لأن القلوب انشغلت بها وتعلقت بها، ولم يصبح هناك اهتمام بالآخرة يليق بمقام الآخرة العظيم، فحب الدنيا لأن قلوبهم تعلقت بالدنيا، فهذا الحديث يبين أن المسلمين إذا كانوا بهذه الصفة كانت العقوبة تسلط الأعداء، تسلط أمم الكفر عليهم من كل جانب ومن كل جهة- نعم .

وَفِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ.»

هذا تقدم عند المصنف رحمه الله تعالى وفيه هذه العقوبة للمغتابين، ومن يقعون في أعراض الناس أي غيبةً وسخرية واستهزاءًا وتهكمًا، عقوبتهم ذكرت في هذا الحديث: أنه يكون لهم يوم القيامة أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ،والعقوبة من جنس العمل، لما كان العمل أكل للحوم الناس بالغيبة والسخرية ونحو ذلك.،، أصبحت العقوبة من جنس ذلك، يكون لهم أظافر من نحاس يخمشون بها وجوههم عقوبة من الله سبحانه وتعالى- نعم.

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، وَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ وَعَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ، لَأَبْعَثَنَّ أُولَئِكَ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ» .

هذا الحديث ضعيف الإسناد فيه رجل متروك هو يحيى ابن عُبيد الله ،فيه :أنه يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، الختل للشيء :أخذه خِلسة مثل الذئب عندما يختل الفريسة فيختلون الدنيا بالدين، وربما يكون المعنى أنهم يختلون الدنيا بالدين الظاهر هو طلب الدين والباطن الدنيا، ويلبسون للناس مسوك الضأن من اللين: يعني يتظاهرون بالزهد والورع والخشية، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل: " أَبِي يَغْتَرُّونَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ" لكنه كما قدمت غير ثابت -نعم.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْهُمْ خَرَجَتِ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ

هذا يُروى مرفوعًا وموقوفًا ولم يثبت لا هذا ولا هذا كما فصل ذلك، وأبانه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في سلسلته الضعيفة، فهو غير ثابت لا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذا الموقوف على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه،قال: يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا أسمه وهذا الأمر قد يكون واقعًا في بعض المناطق: يعني يُعرف في بعض المناطق الإسلام بالهوية يعني يكتب في الهوية أو البطاقة مسلم لكن لا صلاة ولا عبادة ولا دين، فهذا إذا كان كذلك فهذا ليس عنده من الإسلام إلا الإسم، في البطاقة يُكتب مسلم، وأما الأفعال لا يفعل شيئًا من أعمال الإسلام لا صيام ولا صلاة ولا زكاة وانهماك في الدنيا أيضًا أمور الإيمان ليس عنده منها خضر ولا من القرآن إلا رمه أي حروفه وكلماته أما حقائقه ومعانيه وتدبره والاهتداء بهداياته والعمل به فلا يكون موجودًا، مساجدهم يومئذٍ عامرة أي فيها مصلين وهي خراب من الهدى يعني تكون عامرة بالأجسام دون القلوب وعلى كلٍ الأثر ليس ثابتًا عن علي رضي الله عنه وأرضاه -نعم.

وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَلَاكِهَا.

هذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوف عليه ، قَالَ: إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَلَاكِهَا. لكن ثبت هذا في مستدرك الحاكم من حديث بن عباس رضي الله عنهما مرفوعا،لفظه "إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله " وهذا فيه أن الذنوب من موجبات حلول العقوبة- عقوبة الله سبحانه وتعالى على الناس- نعم

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ: إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ الْعِلْمَ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ، وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا بِالْأَرْحَامِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ.

نعم هذا عن الحسن البصري-رحمه الله تعالى- مرسلاً، وقد جاء في القرآن في سورة محمد قال تعالى " فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ" –

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا إِلَّا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئِمَّتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» .

نعم-هذا يؤجل إلى اللقاء القادم بإذن الله سبحانه وتعالى...

الأسئلة:

يقول :شيخنا أحسن الله إليكم : رجلا يغتاب الكثير من الناس، حتى أنه لا يذكر اسمائهم ،وهو الآن يريد التوبة، فكيف السبيل إلى ذلك وكيف يرد المظالم ويتحلل من هؤلاء ،جزاكم الله خيرا؟

أسأل الله عز وجل بأسماءه الحسنى أن يتوب على السائل وأن يوفقه للتوبة النصوح و أن يمن علينا أجمعين بالتوفيق لسديد الأقوال وصلاح الأعمال ويعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، الغيبة أمرها ليس بالهين ،أمرها عظيم جدا ،ولولم يأتي في الغيبة إلا الآية الكريمة التي في سورة الحجرات " وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" وهذا فيه فتح باب للمغتاب أن يتوب ،لأن باب التوبة مفتوح و أن الله سبحانه وتعالى تواب من الغيبة وغيرها لكن إذا صدق العبد مع ربه سبحانه وتعالى في التوبة، والذنب الذي يتوب منه العبد إذا كان يتعلق بالآدميين لابد ان يتحلله وان يطلب مسامحته، لان ذنبه تعلق به (حق له) وسيقتص منه يوم القيامة ،والقصاص من الحسنات،يأخذون من حسناته-من صلاته- من قراءته للقرءان -من جلوسه لطلب العلم -،يجلس لطلب العلم سنوات ربما تذهب السنوات التي جلسها لآخرين ما جلسوا لطلب العلم ! مثله، فهكذا تذهب جلوسه لهم،تذهب صلاته،حتى أن بعض الناس من كثرة تعدياتهم على آخرين يأتي يوم القيامة ويكون مفلسا مع أنه عنده صلوات كثيرة وصيام كثير وصدقات وأعمال بر، كلها تذهب لأصحاب التبعات والحقوق، فمن الخير للعبد أن يتخلص منها في الدنيا قبل أن تؤخذ من حسناته يوم القيامة ، وفيما يتعلق بالطعن في أعراض الناس من الغيبه لهم والسخرية والاستهزاء ونحو ذلك ، إذا كان يعلم أن طلب المسامحه ممن اغتابهم بتفصيل ما قال فيهم يترتب عليه مفاسد ! فالشريعه جاءت بدرء المفاسد ،فعليه في هذا المقام أن يفعل أمرين:-

الأول: أن يكثر من ذكرهم با لخير -تعويضا عن الذكرى لهم بالسوء- مع الدعاء لهم والاستغفار والترحم -أحياءا كانوا أو أموات-ونحو ذلك..

والثاني: أن يطلب من هؤلاء المسامحه ليس على وجه التفصيل بذكر ما كان منه- مما يخشى أن يترتب عليه المفسده، ولكن على وجه العموم، يذهب ويقول لابد و أن أخطأت في حقك وحدث مني تقصير -ويكون متلطف معه- ويطلب منه أن يسامحه وغالب الناس فيهم خير ومن الخير له أن يطلب منه المسامحه في الدنيا قبل ان يقتص من حسناته يوم القيامة.

س٢* يقول: أحسن الله إليك: قد كنت نظرت إلى بعض الأفلام والصور وقد تُبت إلى الله تعالى ولكن لا أزال أرى هذه الأمور في خاطري فكيف السبيل لمحو تلك الأمور من ذاكرتي؟

-أيضا نسأل الله للسائل التوبة النصوح و أن يخلصه من هذه البقايا والرواسب لهذه المشاهدات الآثمة التي كانت فترة من الزمان يشاهدها، ولعل سؤال هذا الأخ الكريم يفتح باب مهما للتنبيه على أمر يغفل عنه أكثر من ينظر إلى تلك المناظر ،ويشاهد تلك المشاهد،كثير ممن ينظر لتلك المناظر يظن أنها نظرات تنتهي في حينها وتنقضي في وقتها لكن ليس الأمر كذلك بل الأمر كما ذكر السائل الكريم يبقى منها بقايا تنطبع في القلب ،حتى أن بعض الناس يذكر عن نفسه أن بقايا من تلك المناظر تقفذ إلى قلبه وهو ساجد.. وهو راكع وهو مادد يديه بالدعاء تقفذ مناظر سيئة كان منهمكا فتره من عمره بالنظر إليها- هو لما كان ينظر إليها ظنها انها فترة وتنتهي ولا يبقى منها شيء لكنها تبقى لأن الأشياء التي ينظر الانسان إليها ببصره ويستمع إليها بسمعه تنطبع في القلب وتلتصق به وخلاصه منه ليس بالهين لكن لا يقال أن القلب لا يخلص منها، ولنذكر هنا قول الله سبحانه وتعالى:" بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ" تزكية القلب بيد الله ،فعلى العبد أن يصدق مع الله سبحانه وتعالى في طلب زكاة قلبه صادقا مع الله فيذهب الله عنه إذا صدق ومن دعاء نبيينا ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا...فيلجأ إلى الله،هذا الذي أُوصي به هذا السائل الكريم أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى صادقا ملحا على الله أن يزكي قلبه، وزكاة القلب تعني في معناها: طهارة القلب ،لأن التزكية للقلب لا تكون إلا بطهارته، ولهذا يقول بن تيمية رحمه الله : فإن تزكية القلب تشمل هذا وهذا. *تشمل عمارته بالخير و *سلامته من الشرور من الآفات -تشمل هذا وهذا-،" خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"

تطهرهم: أي ما يكون بالقلب من شح و أشياء من هذا القبيل، وتزكيهم: فالتزكية تشمل هذا وهذا
فالذي أنصح به السائل أن يقبل على الله سبحانه وتعالى صادقا ومُلحاً على الله بالدعاء أن يزكي قلبه،وفي الوقت نفسه يأخذ بأسباب زكاة القلب، و أعظم ما يكون من ذلك: العناية بالقرءان، وشغل الأوقات مع قراءة كتاب الله سبحانه وتعالى قراءة وتدبرا،"يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ" أي بالقرءان والقرءان هو كتاب فيه تزكية للقلوب.

يقول :جزاك الله خيرا:ماذا يفعل من عق والديه لكي ينجو من عذاب الله في الآخرة والدنيا وقد ينجو من عقوق أبناءه له كما عق والده؟

توبته مما كان منه من عقوق و إن كان والده حيا لا يزال على قيد الحياه ففرصته عظيمة جدا ليعوض ما كان منه في سالف أمره من عقوق إلى تحول إلى البر والاحسان، وطلب المسامحة من والده والعفو ،و إن كان والده ميتا فليعمل على بر والده وليضاعف جهده في بر والده بما يستطيع من البر الذي يكون للوالد بعد الوفاة ، و أعظم ذلك: الدعاء

الكثير للوالد، مثل ما قال عليه الصلاة والسلام "أو ولد صالح يدعو له" فيكثر الدعاء للوالد بالمغفرة والرحمة،وايضا يتصدق عن والده ويحج ويعتمر ويفعل من وجوه البر التي لها أدلتها في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ويرجو من الله أن يكون مكفرا مما كان منه من عقوق. لكن الصدق مع الله في التوبة من هذا العقوق أساس نجاة من كان عاقا لوالده ثم يتبع التوبة الصادقة ما يتبعه من أعمال تكون بإذن الله سبحانه وتعالى معونة لتحقق هذا الأمر.

س٣*هل الشرك الاصغر يدخل في قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ "؟

لأهل العلم في هذه المسألة قولان:-

-منهم من قال: إنه يدخل، لعموم الآية: لان الله سبحانه وتعالى قال " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ " فالآية عامة، لكن اهل هذا القول يقولون: وإن كان لا يغفر، لكن ليس عذابه عذاب المشرك الشرك الاكبر المخرج من الملة الذي هو الخلود في النار.

-والقول الثاني: ان الشرك الاصغر شأنه كالكبائر، فيكون داخل تحت قوله" وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ " ويكون المراد بالشرك الذي لا يغفر هو الشرك الأكبر الناقل من الملة المحبط للعمل كله.

س٤* من هم اولو الارحام الذين تجب صلتهم؟وهل الزيارة واجبة؟

- أولو الأرحام :هم قرابة الانسان ،قرابته من جهة أبيه - أجداده –والد أبيه ووالدتة أبيه. و إخوان والديه من الأعمام وهكذا تمتد القرابة من جهة الاب ومن جهة الأم ،فهؤلاء القرابة لهم حق،حق الصله،وصلة الرحم واجبة ، وقطيعة الرحم إثم موجب عقوبة الله سبحانه وتعالى،والصلة تكون بأمور منها : *الزيارة ،وتكون بأمور كثيرة يصل الرحم بزيارتهم – في زماننا هذا- بالاتصال عليهم، بالاحسان اليهم،بالهدية المتيسرة لهم،بالدعاء لهم، بتخصيص لهم دعاء يخصهم ،،إلى غير ذلك من الأمور التي هي من صلة الرحم.

س٥ يقول أحسن الله إليك ،ما السبيل إلى تدبر القرءان؟!

- تدبر القرءان مقصد لأجله نزل كتاب الله، كما قال سبحانه وتعالى"كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ "،وقال:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ" ،وقال :" أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ" ، فالقرءان انزل لتدبر آياته وتعقل معانيه ويهدى بهداياته كما قاله الله سبحانه وتعالى: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" والسبيل إلى تدبر القرءان بالقراءة المطمئنة لكتاب الله عز وجل التي لا تكون (هبدا) ،فعندما يقرأ لا يكون همه متى أختم السورة،وانما يكون همه متى أعقل معانيها،وأفهم هداياتها ودلالاتها،ويستعين على الفهم بكتب التفسير المعتمدة لأهل العلم ،ومن أحسن هذه

للمبتدئ: تفسيرالامام السعدي- رحمه الله تعالى- وكذلك التفسير الميسر الذي طبع في المجمع وبدأ به تفسير الامام السعدي ثم تفسير بن كثير -رحمها ا لله- ، فإن هذه الكتب –كتب أهل العلم -تعين العبد على تدبر القرءان الكريم والاهتداء بهداياته ونسأل الله العظيم أن يوفقنا لكل خير.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِ العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد... فيقول ابن القيم الجوزية__ رحمه الله تعالى__في كتابه الداء والدواء

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشَرَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا إِلَّا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئِمَّتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ» .

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله __ ﷺ __ وعلى آله وأصحابه أجمعين .اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا ،وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين،أما بعد..

فهذا الحديث ..حديث عمر بن الخطاب__ رضى الله عنه __ يُعد من الأحاديث الجوامع في بيان عقوبات الذنوب ولا سيما الذنوب التي يستفشي أمرها في الناس ويكثر ظهورها بينهم فإن الظهور العام للذنوب من أسباب العقوبات العامة وفي هذا الحديث تعوذ النبي عليه الصلاة والسلام من أن يدرك أصحابه رضى الله عنهم هذه الأمور، وإذا كان يُتعوذ بالله سبحانه وتعالى من إدراكها دون أن يقع فيها المرء فكيف الشأن بالوقوع فيها والانغماس فيها والعياذ بالله، ولهذا فإن الناصح لنفسه يتعوذ بالله سبحانه وتعالى من الشرور كلها والذنوب بجميع أنواعها ويسأل ربه أن يعيذه من شر نفسه وشر الشيطان وأن يعيذه من شر الأعمال وسيء الأعمال ويسأل ربه تبارك وتعالى التوفيق لصالح الأعمال وسديد الأقوال،ذكر عليه الصلاة والسلام خمسة خصال مشينة خطيرة إذا شاعت ترتب عليها مضرات عظيمة جدًا:

الأولي: قال: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها ، ظهرت الفاحشة : أي الزنا ومثله وأقبح اللواط

إذا ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها: أصبحت تُمارس ليس بالخفاء وإنما لها أمكنة ولها دور ولها محلات تُقصد وتعرف بذلك.

ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا : أي ينشأ فيهم أمراضًا غير معروفة ولا مألوفة ولا معتادة ولا سُمِعَ بها قبل ذلك، ومثل هذه الأمراض لم يكن قبل ذلك وجودٌ لها ،فلا يكون لها أيضاً تجربة سابقة في علاجها ..لا يكون هناك تجارب أو تجربة سابقة في علاجها.. لأنها أمراض جديدة، وتكونُ أيضاً مستشرية ومستعصية وهذه عقوبة من الله سبحانه وتعالى لما متّعَ هؤلاء أبدانهم متعة محرمة، ولذذوا أبدانهم ملذة أو تلذذًا محرمًا ،عوقبوا بجزاء من جنس العمل فبلاهم الله سبحانه وتعالى بأسقام في أجسادهم وأمراض في أبدانهم فاستحالت اللذة إلى سقم وألم ووجع وغُصص ونكد، وهذه عقوبة مُعجلة في هذه الحياة الدنيا، وأما عقوبة الآخرة فأشد و أنكى وأعظم وأفظع ،لكن هذه من العقوبات المعجلة لمن كانت هذه حالهم -والعياذ بالله- ظهور الفاحشة فيهم واستعلانها في مجتمعاتهم إلا بلاهم الله عز وجل بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا.

الثانية: ولا نقص قومٌ المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان: وهذه عقوبة أيضاً من جنس العمل لما كان العمل نقصًا في المكيال وإجحافًا مع الناس وهضمًا للحقوق وأكْلًا لأجزاء من أموالهم بالباطل بلاهم الله عز وجل بالسنين :وهي الشدة ،بجفاف الأرض ونضوب المياه وحصول القحط والجدب .

وشدة المئونة: يعني المعيشة تشتد عليهم وتضيق أحوالهم وأمورهم .

وجور السلطان: أي يُسلط الله سبحانه وتعالى عليهم من السلاطين من يجورون في التعامل معهم مثلما كانوا هم يجورون في التعامل مع الناس فلما كان تعاملهم ظلمًا وجورًا يسلط الله عليهم من الولاة من يعاملهم بهذه المعاملة ،وهذا المعنى دل عليه القرآن في قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا..) فإذا شاع الظلم في المجتمع ،والتعدي على الحقوق تكون العقوبة من جنس ذلك، أن يولى على الظالم ظالما،فمثلما يتسلطوا على الناس ظلماً يسلط الله سبحانه وتعالى عليه من ذلك عقوبة له .

قال: وما منع -وهذه الثالثة- قومٌ زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء: وزكاة المال فريضة وهي كما هو معلوم قرينة الصلاة وركنٌ من أركان الإسلام وهي زكاة لأنها تُزكي صاحب المال، و المال نفسه، وتكون سببًا لزكاة المجتمع من الغل والحسد وغير ذلك..، ففيها من معاني التزكية الشيء العظيم ،فإذا منع الناس الزكاة عوقبوا بجزاء من جنس صنيعهم ،فإذا مَنعوا الزكاة مُنعوا القَطر ،إذا منعوا فضل مالهم وقليل من مالهم أوجبه الله سبحانه وتعالى عليهم في كثير من المال الذي أعطاهم الله إياه تكون العقوبة مَنع ،فلما كان صنيعهم منعًا كانت العقوبة منعًا، : قال :فلولا البهائم لم يمطروا :يعني إذا نزلت الأمطار في بعض الأحيان فهذه ليست لهم وإنما للبهائم ،وما يحصلونه من الماء هم

فيه تبعٌ للبهائم ،لولا البهائم لم يمطروا ،لكن هذا القليل الذي ينزل هو للبهائم وهم فيه تبعٌ لها، وهذا عقوبة لهم للمنع لما كان صنيعهم منعا كانت العقوبة كذلك .

ولا خفر قومٌ وهذه الرابعة العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم ،إذا نكثوا العهد والأمان الذي التزموه واخلوا به كانت العقوبة أيضاً من جنس ذلك ، يسلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم: أي عقوبةً من الله سبحانه وتعالى لهم.

والخامسة: وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم :وأيضاً هذه عقوبة عظيمة يصلح فيها التفكك واختلال الأمن وشيوع الفوضى ومفاسد كثيرة ومضار عظيمة وهي تكون عقوبة لهم من الله بسبب تفريطهم في إقامة شرعه جل في علاه.نعم ،

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ فِيهِمْ بِالْخَطِيئَةِ جَاءَهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا، فَإِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَالَسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارَبَهُ، كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةٍ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، ضَرَبَ بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» .

"ثم أورد رحمه الله هذا الحديث في المسند والسُنن وساق الإسناد إلى أبي عبيدة ابن عبدالله ابن مسعود عن أبيه، وهو لم يسمع من أبيه فهو منقطع فالإسناد هنا ليس بثابت لكن المعنى أو العقوبة هذه دلت عليها الآية الكريمة وقد أشير إليها في هذا الحديث: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ما السبب ؟- قال : (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصَّنْعَانِيِّ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ: إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ، وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ:إنهم لَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي، وَكَانُوا يُؤَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ.

هذا الخبر الذي ذكره رحمه الله هو في" العقوبات لابن أبي الدنيا "وكثير من النقول التي هنا هي من كتاب العقوبات لابن أبي الدنيا، وكتاب العقوبات لابن أبي الدنيا هو جزء أفرده في جمع النصوص والأحاديث والآثار

والأخبار في باب العقوبات، فحشد جمعا كبيرًا وكل ذلك يسوقه بالأسانيد، وابن أبي الدنيا تميز بالأجزاء الحديثية الكثيرة، ربما تصل إلى الأربعمائة جزء كلها في أبواب مثل هذا ،يعني مثلاً أفرد العقوبات بجزء،أفرد الشكر بجزء ،أفرد اليقين بجزء ،وهكذا له أجزاء كثيرة، ويحشد في الأجزاء التي يجمع من النقول والآثار ما يُريح الباحث، لأن إذا كان الإنسان يبحث عن أثر عن أحد من أئمة السلف فلينظر هل لابن أبي الدنيا في هذا الأثر جزءٌ أفرده في الغالب يجده، وهذا أقوله عن تجربة في آثار عديدة ،في الغالب يجده لأنه يحشد يعني ويجمع جمع عجيب جداً ،ثم يسوق ما يسوق بالأسانيد ومن أسند فقد أحال أو برأت ذمته .

أورد- رحمه الله- هذا الخبر قال ذكر ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عمر الصنعاني وهذا مجهول الحال ،قال أوحى الله إلي يوشع هذا من أخبار بني إسرائيل، فعلى كل حال يعني القائل لهذا حاله مجهولة فلا يوثق بما ذكر وأيضًا هو من أخبار بني إسرائيل .

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكَيْنِ إِلَى قَرْيَةٍ، أَنْ دَمِّرَاهَا بِمَنْ فِيهَا، فَوَجَدَا رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، فَقَالَا: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فُلَانًا يُصَلِّي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: دَمِّرَاهَا وَدَمِّرَاهُ مَعَهُمْ، فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ فِيَّ قَطُّ.

وهذا أيضًا في سنده ضعيف و روي مرفوعاً إلي النبي عليه الصلاة والسلام عند الطبراني في الأوسط من حديث جابر رضى الله عنه ،ولا يثبت عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وَذَكَرَ الْحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مِسْعَرٍ: «أَنَّ مَلَكًا أُمِرَ أَنْ يَخْسِفَ بِقَرْيَةٍ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهَا فُلَانًا الْعَابِدَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ بِهِ فَابْدَأْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ.

نعم هذا عن مِسعر هو ابن كيدان و في مصدر التخريج قال عن مسعر قال: بلغني ،وذكر هذا الخبر أن ملكاً،البلاغات عند أهل العلم ليست من الصحيح المحتج به .فمسعر بن كيدان يقول: بلغني أن ملكاً فما الواسطة أو من الواسطة بينه وبين هذا النقل أن ملكاً خسف بقرية الخ...

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: لَمَّا أَصَابَ دَاوُدُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي: قَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَأَلْزَمْتُ عَارَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ يَا رَبِّ، كَيْفَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، أَنَا أَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ وَتُلْزِمُ عَارَهَا غَيْرِي، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، إِنَّكَ لَمَّا عَمِلْتَ الْخَطِيئَةَ لَمْ يُعَجِّلُوا عَلَيْكَ بِالْإِنْكَارِ.»

هذا عن وهب بن مُنبّه وهو من أخبار بني إسرائيل والمتن عندي في نكارة -لا يسلم من نكارة -وقد قال الله سبحانه وتعالى فيما يختص بداوود عليه السلام في هذا الباب ،باب إنكار المنكر،قال (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ، (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ) فهم لُعنوا على لسانه لأنهم (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ) .

و داوود عليه السلام بخاصة يكثر عند اليهود الكذب عليه،يكثر عندهم الكذب عليه واتهامه بتهم جائرة ظالمة.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا عَنِ الزَّلْزَلَةِ، فَقَالَتْ: إِذَا اسْتَبَاحُوا الزِّنَا، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَازِفِ، غَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سَمَائِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ تَزَلْزَلِي بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَنَزَعُوا، وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَذَابًا لَهُمْ؟ قَالَتْ: بَلَى، مَوْعِظَةً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَكَالًا وَعَذَابًا وَسُخْطًا عَلَى الْكَافِرِينَ، فَقَالَ أَنَسٌ: مَا سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ.

*ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الخبر عن أنس أنه دخل على عائشة هو ورجلٌ آخر وسألوها عن الزلزلة، فذكرت أنها تكون عقوبة لأنواع من المعاصي لكن أيضاً الإسناد غير ثابت ،وقال الذهبي: أحسِبُهُ موضوعاً على أنس، قال ذلك في تعقباته علي المستدرك الحاكم ،في آخره، قال: "يا أم المؤمنين أعذابا لهم ،قالت بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا علي الكافرين.

هذه الجملة بأي شيء تُذكركم في أمر مرَّ معنا ؟نعم ،هذه الجملة (قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالاً وعذاباً وسخطاً على الكافرين) بماذا تذكركم ؟- نعم مر معنا (كنتم تعدون الآية تخويفا ونحن نعدها نعمة)،.تفصيل ما أشرنا إليه هو هذا(قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين ونكالا وعذابا وسخطا علي الكافرين).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدِيثًا مُرْسَلًا: «إِنَّ الْأَرْضَ تَزَلْزَلَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: اسْكُنِي، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكِ بَعْدُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ، ثُمَّ تَزَلْزَلَتْ بِالنَّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ أَحْدَثْتُمُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا» .

قال ذكر ابن أبي الدنيا حديثا مرسلا يعني هذا مرسل ضعيف وقد قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في كتابه "الاستذكار" « لم يأت عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من وجهٍ صحيح أن الزلزلة كانت في عصره ولا صحت عنه فيها أي الزلزلة سُنة وقد كانت أول ما كانت في عهد عمر ــ رضى الله عنه ــ»

فهذه فائدة ثمينة للحافظ ابن عبد البر أنه لم يحصل زلزلة للأرض في زمن النبي عليه الصلاة والسلام،ولم يحفظ عنه في سنة تتعلق بالزلزلة ،نعم هناك عمومات يستفاد منها في هذا الباب لكن الزلزلة بعينها لم يحفظ عنه فيها صلى الله عليه وسلم سُنة.

وَفِي مَنَاقِبِ عُمَرَ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا «أَنَّ الْأَرْضَ تَزَلْزَلَتْ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَا لَكِ؟ مَا لَكِ؟ أَمَا إِنَّهَا لَوْ كَانَتِ الْقِيَامَةُ حَدَّثَتْ أَخْبَارَهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَ فِيهَا ذِرَاعٌ وَلَا شِبْرٌ إِلَّا وَهُوَ يَنْطِقُ» .

أيضاً هذا غير ثابت لأن في سند منه متروك الحديث .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ صَفِيَّةَ، قَالَتْ: زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا هَذَا؟ وَمَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ، لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا.

وهذا قال ذكر الإمام أحمد عن صفية قال : زلزلت المدينة على عهد عمر ــ رضى الله عنه ــ فقال يا أيها الناس ما هذا ؟ ،ما أسرع ما أحدثتم لان عادت لا اساكنكم فيها .

وهذا من عمر ــ رضى الله عنه ــ فيه أن الزلزلة فيها عقوبة، وإيقاظ للناس، وتنبيه للعصاة الغافلين لأن سكون الأرض وركودها هذه من نعم الله على العباد.

من نعم الله سبحانه وتعالى على العباد: أن الأرض تحتهم ساكنة غير متحركة غير رجراجة ،لو كانت الأرض التي تحت الناس أرضاً رجراجة متحركة لا يستطيع أحداً أن يبني بيتاً،لا يستطيع أن يزرع زرعاً،لا يستطيع أن يسافر من بلدٍ إلى بلد ،ولهذا سكون الأرض من النعم العظيمة التي ينبغي أن يستشعرها المرء وألا يعصي الله على هذه الأرض التي جعلها الله قراراً ساكنة يُحصِّل عليها المرء منافعه ومصالحه فمِن شُكر الله على هذه النعم ألا يُعصى الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض.

وَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّمَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ إِذَا عُمِلَ فِيهَا بِالْمَعَاصِي فَتُرْعِدُ فَرَقًا مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا.

نعم وهذا رواه ابن أبي الدنيا والذي قبله أيضاً في العقوبات وفي هذا الأثر أن تزلزل الأرض هو بسبب معاصي بني آدم عليها .

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاتِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى - وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [سُورَةُ الْأَعْلَى: ١٤ - ١٥] .

وَقُولُوا كَمَا قَالَ آدَمُ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٢٣] .

وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ: {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ هُودٍ: ٤٧] .

وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧] .

ثم أورد هذا الأثر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كتب إلى الأمصار: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاتِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ ،مر معنا قريباً وإن كان سنده فيه مقال،قال: إن ربكم ليستعتبكم أي بزلزلة الأرض وهذا المعنى يعني ذكره عمر بن عبد العزيز وهو معنى صحيح قال: بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ شَيْءٌ يُعَاتِبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ،معنى يعاتب به العباد أي: مَن الله عليكم بهذه الأرض -ساكنة مستقرة، تقيمون عليها مصالحكم وحاجتكم وأموركم، تنامون نوما هنيئا، مستقرة أحوالكم مطمئنين، فكيف يليق بكم وقد أنعم الله عليكم بهذه النعمة أن تعصوا الله فوق هذه الأرض وتتحركوا على هذه الأرض بالمعاصي ،معاصي الله سبحانه وتعالى،فاهتزاز الأرض من تحتهم هذا من العتاب لهم حتي ينتبهوا (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) تخويفا للعباد وإنذارا وتحذيرا ولهذا مثل هذه العقوبات تكون لبعض الناس باب خير،كم من إنسان كانت هذه باب خير له فتاب إلى الله وأناب وصدق مع الله في توبته،قال: إن هذه الرجفة شيء يعاتب الله عز وجل به العباد، وقد كتبت إلي الأمصار أن يخرجوا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا فمن كان عنده شيء فليتصدق به فإن الله عز وجل يقول (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى*وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) وَقُولُوا كَمَا قَالَ آدَمُ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٢٣] .وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ: {وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ هُودٍ: ٤٧] .

وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧] .

حاصل القول أنه حثهم في هذا المقام على أمرين ، على كثرة الصدقة وكثرة الاستغفار ،

الصدقة تطفيء غضب الرب سبحانه وتعالى، والاستغفار يدرأ عن الناس شرورا عظيمة ويجلب لهم أيضاً خيرات عظيمة ،(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا*يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَلَاءً لَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

هذا الحديث وقد حسن إسناده ابن القيم ،وأيضاً شيخه ابن تيمية رحمه الله حسن إسناده جماعة من أهل العلم ،ذكر فيه النبي عليه الصلاة والسلام أربعة خصال إذا وجدت كانت سبباً لنزول البلاء ،البلاء الذي لا يُرفع حتى يراجع الناس دينهم .

الأولى: إذا ظن الناس بالدينار والدرهم ،أي: أصبح فيهم الشح والبخل فلا يخرجون النفقة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى عليهم،لا يخرجون زكاة أموالهم ولا يخرجون النفقات التي أوجبها الله عليهم لما قام في نفوسهم من الشح والبخل .

والثانية: التبايع بالعينة ،أن يشتري الرجل سلعة من آخر بثمنٍ مؤجل :يعني مثلاً يشتري سيارة من شخص بعشرة آلاف ريال مقسطة على مثلاً عشرة شهور كل شهر ألف مجرد ما يشتريها، الذي باعه يشتريها منه بثمن مُعجل أقل من قيمتها بثمانية آلاف ريال فترجع للبائع الأول ،يعني العين باقية للبائع الأول لكن صورة العمل وصول إلي القرض الربوي بالفائدة ويجعلون هذه العين بينهم وبين المرابات العلانية فيبيعه السلعة بثمن مؤجل ثم يبتاعها منه فوراً بثمن معجل فيكون حاصل الأمر أنه أعطاه مالا بفائدة مقسطا عليه لمدة شهور ،قال وتبايعتم بالعينة.

والثالثة: تَبِعوا أذناب البقر يعني تعلقوا تعلقاً بالدنيا وأصبح متكالبين عليها هي همتهم وشغلهم الشاغل وتركوا الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام ،أنزل الله بهم بلاءً لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخَذُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ بَلَاءً، فَلَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ» .

نعم- وهذا بمعنى الذي قبله ،لكن فيه زيادة تبين حال الصحابة رضى الله عنهم في السخاء والكرم والبذل ، قال:" لقد رأيتنا وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم" يعني بذلا وسخاء.

وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ الْفِتْنَةَ وَاللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا عُقُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ.

وَنَظَرَ بَعْضُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَا يَصْنَعُ بِهِمْ بُخْتَنَصَّرُ، فَقَالَ: بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا سَلَّطْتَ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَعْرِفُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.

وَقَالَ بُخْتَنَصَّرُ لِدَانْيَالَ: مَا الَّذِي سَلَّطَنِي عَلَى قَوْمِكَ؟ قَالَ: عِظَمُ خَطِيئَتِكَ وَظُلْمُ قَوْمِي أَنْفُسَهُمْ.

نعم- هذا من أخبار بني إسرائيل.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَحُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ نِقْمَةً أَمَاتَ الْأَطْفَالَ، وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ النِّسَاءِ، فَتَنْزِلُ النِّقْمَةُ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَرْحُومٌ» .

* نعم وهو غير ثابت.

وَذُكِرَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي الْحِكْمَةِ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا اللَّهُ مَالِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدَيَّ، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أُعْطِفْهُمْ عَلَيْكُمْ.

نعم، قال : ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، هذا المعنى دلت عليه الآية التي أشرت إليها ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ -يعني بما كسبت أيديهم بصنائعهم وأعمالهم . نعم،،

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا جَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَى حُلَمَائِهِمْ، وَفَيْئَهُمْ عِنْدَ سُمَحَائِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا جَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَى سُفَهَائِهِمْ، وَفَيْئَهُمْ عِنْدَ بُخَلَائِهِمْ.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا عَلَامَةُ غَضَبِكَ مِنْ رِضَاكَ؟ قَالَ: إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَهُوَ مِنْ عَلَامَةِ رِضَائِي عَنْكُمْ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَهُوَ مِنْ عَلَامَةِ سُخْطِي عَلَيْكُمْ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي.

*هذا كله بمعنى واحد ويغني عن هذا الآية الكريمة التي أشرت إليها .

* وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز كلام عظيم حول هذا المعنى يمكن أن يُراجع واستدلال عليه بالآية التي أشرت إليها.

وَذَكَرَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ أُمَرَاءَ كَذَبَةً، وَوُزَرَاءَ فَجَرَةً، وَأَعْوَانًا خَوَنَةً، وَعُرَفَاءَ ظَلَمَةً، وَقُرَّاءَ فَسَقَةً، سِيمَاهُمْ سِيمَاءُ الرُّهْبَانِ، وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً فَيَتَهَاوَكُونَ فِيهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيُنْقَضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً، حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَشْرَارَكُمْ، فَيَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ» .

*هذا في إسناده من هو متروك الحديث.

وَفِي مُعْجَمِ الطَّبَرَانِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : «مَا طَفَّفَ قَوْمٌ كَيْلًا، وَلَا بَخَسُوا مِيزَانًا، إِلَّا مَنَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَطْرَ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُنُونَ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الْقَتْلُ - يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْخَسْفُ، وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ

إِلَّا لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ» وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدٍ بِهِ.

*نعم هذا غير ثابت لكن يغني عنه عموماً في ذكر العقوبة ما تقدم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ، فَمَا تَكَلَّمَ حَتَّى تَوَضَّأَ، وَخَرَجَ، فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ» .

*وهذا أيضًا إسناده ضعيف.

وَقَالَ الْعُمَرِيُّ الزَّاهِدُ: إِنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ، وَإِعْرَاضِكَ عَنِ اللَّهِ أَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ فَتَتَجَاوَزَهُ، وَلَا تَأْمُرُ فِيهِ، وَلَا تَنْهَى عَنْهُ، خَوْفًا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.

وَقَالَ: مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَخَافَةً مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، نُزِعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةُ، وَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَاسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ.

نعم ،نُزعت منه الطاعة يعني هيبته تذهب مثل ما ضيع هذا الواجب إذا كان يمر بالمنكر الذي يسخط الله فيتجاوزه ولا يأمر ولا ينهى خوفاً ممن لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعاً ،يعني هذا الذي يمارس المنكر أو لا يفعل المعروف فإذا كان لا يأمره ويتجاوزه ولا يأمر ولا ينهي خوفا ممن لا يملك ،كانت العقوبة ذهاب الطاعة ،لكن إذا كان الخوف هذا يترتب عليه أذى ومضرة عليه فلا ملامة عليه لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في أصله جلب المنافع والمصالح ودفع للشرور والمفاسد ،ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف وليكن نهيك عن المنكر بغير المنكر ،إذا كان يترتب على النهي عن المنكر مفسدة أشد من مفسدة إنكار المنكر فدرء المفسدة مقدم ،إذا كان يخاف من ذلك ،واستمر الإمام ابن القيم يسوق النقول عن أئمة السلف رحمهم الله، والأحاديث في هذا في ذكر العقوبات،وذكر الضعيف فيما مر معنا، عادة أهل العلم يجمعون في مثل الكتب الموسعة يجمعون ما في الباب مع الإحالة إلى مصادرهم فيكون من جهة أحال إلي مصدره ليراجع ومن جهة اخرى يكون يستدل بهذه الأخبار بالعموم يعني لا ينظر إلي تفاصيل الخبر نفسه ومحتوياته وإنما المعنى العام،والمعنى العام مستقر، يعني مثلا الناس

إذا كانوا وقعوا في الظلم والشر والفساد ولي عليهم من شرارهم ويسلط عليهم ،هذا دل عليه القرآن ،وذكر ابن القيم آثار في هذا المعنى كثيرة بعضها ضعيف فلا يضر ضعفه في إثبات المعنى العام الذي قصده ،لا يكون قصد تفاصيل ما في هذه الأخبار وإنما قصد هذا المعنى وهو معنى مستقر دل عليه كتاب الله سبحانه وتعالى،وهذا له نظائر عديدة فيما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى:

ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا إنه تبارك وتعالى سميع قريب.

جزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم والهمكم الله الصواب ووفقكم للحق ونفعنا الله بما سمعنا وغفر الله لنا ولكم وللمسلمين أجمعين ..آمين

س١: يقول السائل أحسن الله إليك، هل صحيح أن دانيال نبي ؟

هذا من المختلف فيه يعني: هناك من نبوتهم متحققة وقد جاء ذكر خمس وعشرين في كتاب الله عز وجل وهناك من نبوتهم مختلف فيها منهم دانيال.

س٢: يقول أحسن الله إليكم ،هل مؤاكلة من نعرف عنه بأنه صاحب معصية أو بدعة ظاهرة ،يوجب ذلك العقوبة ،مؤاكلته؟

-إذا كانت المؤاكلة يصحبها نية التألف والتودد إليه وتقريبه إلى الخير وتحبيبه والتدرج في مناصحته ودلالة على الخير ،فهذا باب خير ويرجى أن يترتب عليه بإذن الله سبحانه وتعالى المصلحة والمنفعة ،أما إذا كان لا يبالي أصلا بالمعصية ولا يتمعر لها ولا يكترث بها وليس له هم إلا مجلس بالضحك واللعب ولا يبالي هذا الذي يُخشي عليه ،والله أعلم.

س٣. يقول جزاك الله خيرا،هل من السنة وضع اليدين على الصدر عند زيارة قبر الرسول ﷺ ؟

-لا اعلم ما يدل على ذلك، وهذه الصفة هي مشروعة في قيام الإنسان في صلاته بين يدي رب العالمين، وهي هيئة خشوع و ذل لله سبحانه وتعالى،وأما عند إتيان قبر النبي عليه الصلاة والسلام،والسلام عليه وعلى صاحبيه أو عند زيارة القبور عموما فلا يشرع للمرء أن يضع يديه علي صدره كهيئة المُصلي .

ومن الأمور المؤسفة في واقع بعض الناس أنه عند القبر يقف على هذه الهيئة في خشوع لا يكون منه في صلاته وفي وقوفه بين يدي رب العالمين جل في علاه .

س٤: يقول لي عمٌّ من أصحاب النفوذ وهو يكره تقصير الثوب وإعفاء اللحية ، فكلما أزوره من باب صلة الرحم يؤذيني بسب مظهري أمام الناس ،فبما تنصحني؟

أنصحك بالمداومة على زيارة العم والصبر عليه والملاطفة له ، و قابل أذاه بنصح وإذا كان عمك جريء هذه الجرأة في سبٍ و أذىً قولي، فكن أنت جرئ لكن برفق وأدب ولطف بإيصال الخير له ودلالاته عليه مع الدعاء لهذا العم أن يصلحه الله ،أكثر من الدعاء له . وعم الرجل صِنو أبيه وله حق وإذا كان بهذه الصفات ،تصبر على أذاه وأنت ترجو الله سبحانه وتعالى أن يحقق له صلاحاً وهداية على يديك.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِ وسلم علي عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه.

اضغط على الرابط للاشتراك👇

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ..أما بعد , فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه الداء والدواء .

قال وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 105] .

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ - وَفِي لَفْظٍ: إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ - يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ» .

*بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. أما بعد ,

أورد الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم عن صِدّيق الأمة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه وهو في بيان خطورة المعاصي والذنوب ولا سيما إذا استُعلِن بها ولم يُنكرها أهل الصلاح فإنّ مثل هذا يكون من أسباب العقوبات العامة ولهذا روى أبو بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:*{إن الناس إذا رأوو الظالم فلم يأخذوا على يديه وفي لفظ إذا رأوو المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده}* وقد قال العلماء في مثل هذا إن ظهور المعاصي والاستعلان بها دون انكار من أهل الصلاح والفضل يدل على استهانة بالدين وبأمر الدين من الجميع فيكون موجبًا للعقوبة العامة فأفاد هذا الحديث أن الواجب هو إنكار المنكر لكن في حدود ضوابط الشريعة وأدلتها لأن الناس في هذا الباب أو الخاطئين في هذا الباب على قسمين قسم من أشار إليهم أبو بكر رضي الله عنه في هذا الحديث قال إنكم تتلون هذه الآية وإنكم تضعونها على غير مواضعها والمراد أن يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقول ما دمت صالحاً في نفسي مستقيمًا في نفسي فلا عليّ من أمر الآخرين يصلحوا أو يفسدوا ما دمت في نفسي صالحاً هذا يكفيني ثم يستشهد على صنيع هذا بالآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى *« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ »* فيفهمون من ذلك أن المعنى إذا

اهتديتم أنتم في أنفسكم فلا عليكم من ضلال الآخرين وأنَّ هذا يعني أن لا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فيقضون بهذا الالتباس في الفهم على الآيات الصريحة والنصوص الكثيرة الداعية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه من أسباب خيريّة الأمة وفلاحها ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة يقابل هؤلاء آخرون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن من غير فقه ومن غير حكمة ومن غير بصيرة بضوابط الشريعة ومن غير أيضاً نظر إلى العواقب والمآلات فربما ترتب على طريقتهم في الأمر أو النهي الغير مضبوطة بضوابط الشريعة من المفاسد الشيء الكثير ومن المضار الشيء الكثير والحق قوامٌ بين ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الدين وهو من موجبات الفلاح للأمة وسعادتها في الدنيا والآخرة لكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون عالِماً بما يأمر به وما ينهى حكيماً فيما يأمر به وفيما ينهى عنه ذا صبر وحلم وأناة في دعوته وأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراعياً لضوابط الشريعة التي تتحقق بها بإذن الله سبحانه وتعالى المصالح وتدرأ المفاسد .

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عن أبي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «إِذَا خَفِيَتِ الْخَطِيئَةُ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ، ضَرَّتِ الْعَامَّةَ» .

*نعم هذا الحديث عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا خفيت الخطيئة إلى آخره... في سند مروان ابن سالم قال الحافظ متروك لكن روى ابن وضاح هذا الخبر في البدع والنهي عنها عن الأوزاعي قال سمعت بلال ابن سعد يقول وذكره من قوله من قول بلال ابن سعد وهو الأشبه والأقرب وفي هذا الخبر أن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها لأنها وقعت خفاءاً فمضرتها على صاحبها وحده لكن إذا ظهرت واستُعلِن بها فلم تغير ضرت العامة وهذا المعنى تقدم معنا في حديث النبي ﷺ *{ إذا رأو المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده }*

قال إذا رأوا المنكر فلم يغيروه لكن إذا استخفى به صاحبه لم يراه العامة عامة الناس أو عموم الناس لم يروه إذا استخفى به صاحبه .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ: تُوشِكُ الْقُرَى أَنْ تُخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ، قِيلَ وَكَيْفَ تُخَرَّبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ؟ قَالَ: إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارَهَا، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا.

*نعم هذا أثر يروى عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال توشك القرى أي البلدان والديار والمدن أن تخرب وهي عامرة، وهي عامرة أي بالبيوت والسكان وقالوا كيف تخرب وهي عامرة قال إذا علا فجارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها ، إذا كانت حال القرية بهذه الصفة يكون هذا من سباب الخراب،والخراب هنا خراب الدين وضياعه الذي يترتب عليه من المفاسد والمضار والعواقب الوخيمة ما لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى .نعم

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ ابْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «سَيَظْهَرُ شِرَارُ أُمَّتِي عَلَى خِيَارِهَا، حَتَّى يَسْتَخْفِيَ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِينَا الْيَوْمَ» .

* ثم أورد هذا الحديث وهو مرسل وسنده أيضاً ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم : يستخفي أي بإيمانه خشية من أهل الشر وأهل الفساد وهذا يقع يعني في المناطق التي يكون فيها ظهور لأهل الفساد فإن بعض أهل الإيمان قد يستخفي خوفاً من شرهم وتسلطهم وآذاهم له قال يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم .

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ قَالَ: «يَأْتِي زَمَانٌ يَذُوبُ فِيهِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، قِيلَ: مِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فِيمَّا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ لَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ» .

* نعم هذا ضعيف الإسناد غير ثابت رفعه إلى النبي عليه الصلاة والسلام وفيه أنه يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن أي كمداً وألماً كما يذوب الملح يعني إذا وضع في الماء قيل مما ذاك قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره .نعم

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» .

* هذا يشهد له حديث أبي بكر المتقدم معنا قريبا قال في هذا حديث صلوات الله وسلامه عليه ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله لم يغيروه إلا عمهم الله بعقابه ،وهذا فيه أن بعض أحوال المؤمنين في المنكرات أنهم في غاية الضعف وعدم القدرة ففرق بين أن يكون لهم قوة ومُكنة وقدرة على الإنكار وبين من كانوا في مرحلة ضعف ربما إنكارهم يودي بهم إلى مضار عظيمة وعواقب مثلاً ضارة ففي هذه الحالة ينظر الآمر والناهي ويقدر المصالح والمفاسد

ويتأمل في الضوابط ، ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ضوء ذلك يكون الأمر والنهي ولهذا ينبغي أن يُعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس الأمر فيه هكذا على إطلاقه لا في الأمر بالمعروف ولا أيضاً في النهي عن المنكر لا بد من مراعاة ضوابط الشريعة في ذلك وأن يكون أمره بالمعروف معروفاً ونهيه عن المنكر لا أن يكون بمنكر بل يكون باعتدال ومراعاة لقواعد الشريعة وضوابطها التي بها تتحقق المصالح وتدرأ المفاسد . نعم

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أُسَامَةَ ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: بَلَى، إني كُنْتُ آمُرُكُم بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» .

* هذا الحديث تقدم عند المصنف رحمه الله تعالى وفيه أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون هو في نفسه ممتثلاً ما يأمر به ومنتهياً عمّا ينهى عنه لأنه في غاية الخطورة أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على لسانه فقط لا يكون واقعًا في حاله وعمله وسلوكه فهذا في غاية الخطورة *« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ »*« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ »*

وفي دعوة شعيب عليه السلام لقومه عليه السلام قال *« وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ »*

فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب عليه أن يراعي هذا في نفسه هو بأن يكون ممتثلاً للشيء الذي يأمر به منتهياً عن الشيء الذي يُنهى عنه . وفي هذا الحديث أنه يجاء برجل يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه أهل النار وهم في غاية العجب متعجبين أشد العجب من وجود هذا الشخص بينهم في النار يقولون له يا فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر.يعني معروف بسيرته عند العصاة أنه ينهاهم ويأمرهم فتعجبوا غاية العجب من وجوده بينهم في النار يوم القيامة فقال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر و آتيه فكان باء بهذه العقوبة والعياذ بالله. نعم

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مَالِكِ ابْنِ دِينَارٍ قَالَ: كَانَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَغْشَى مَنْزِلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَيَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، فَرَأَى بَعْضَ بَنِيهِ يَوْمًا يَغْمِزُ النِّسَاءَ، فَقَالَ: مَهْلًا يَا بُنَيَّ، مَهْلًا يَا بُنَيَّ فَسَقَطَ مِنْ سَرِيرِهِ، فَانْقَطَعَ نُخَاعُهُ، وَأُسْقِطَتِ امْرَأَتُهُ، وَقُتِلَ بَنُوهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِمْ: أَنْ أَخْبِرْ فُلَانًا الْحبرَ: أَنِّي لَا أُخْرِجُ مِنْ صُلْبِكَ صِدِّيقًا أَبَدًا، مَا كَانَ غَضَبُكَ لِي إِلَّا أَنْ قُلْتَ مَهْلًا يَا بُنَيَّ.!

* ثم أورد هذا الخبر وهو من أخبار بني إسرائيل وعادة العلماء في مثل هذه الأخبار يوردونها إستئناساً بذكرها ولا سيما إذا حوت معاني مفيدة أو حِكمًا أو نحو ذلك فتذكر إستئناساً لا تذكر ليستشهد بها أو يستدل بها أو يبنى عليها حكم هذا لا يصح لكن تذكر على سبيل الإستئناس ، ففي هذا الخبر أن حبر من أحبار بني إسرائيل والحبر هو العالِم كان يغشى منزله : أي يأتي منزله الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بأيّام الله فرأى بعض بنيه يوماً يغمز النساء فقال مهلاً يا بني مهلاً يا بني قال هذه الكلمة وانتبهوا للمعنى فيها قال مهلاً يا بني يعني ما رعيت حقي وسمعتي ومكانتي ما رعيت ذلك فإلتفت في وعظه لابنه ونهيه لإبنه إلى ماذا إلى نفسه ليس غضباً لله وإنما نظر في هذا الأمر مما يتعلق به هو سمعته شخصه غضب لذلك لم تكن هذه الغضبة لله سبحانه وتعالى ولا يكون في صالح عمل المؤمن إلا ما كان لله حتى الغضب الذي يقع من الإنسان في باب المنكر إذا لم يكن لله متقرباً به لا يدخل في صالح عمله مهما اشتد غضبه ومهما كان أمره ,فهذا الرجل غضب من ابنه لكن قال مهلاً يا بني مهلاً يا بني يعني أن هذا يتنافى مع بنوتك لي ورعايتك لمقامي وحفظك لقدري ومكانتي ومنزلتي أراد هذا المعنى فسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صِدّيقاً أبداً ما كان غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً يا بني يعني ما راعيت هذا المعنى ,على كل هذا من الأخبار التي تروى عن بني إسرائيل . نعم

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا، كَمَثَلِ الْقَوْمِ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا» .

* وهذا الحديث سبق أن تقدم عند المصنف رحمه الله تعالى وفيه التحذير من محقرات الذنوب أي الذنوب التي لا يراها فاعلها شيئاً يرى أنها يسيرة وليست مهمة وليست بذاك الشأن فيستهين بها هذه المحقرات من الذنوب اجتماعها على الإنسان في امتداد عمره تشكل حِملاً كبيراً قد لا ينتبه له وهو لا يزال كل يوم يستهين بها وهذا هين وهذا حقير وهذا ليس كذا ويمضي في حياته ثم يفاجئ وإذا بركام من هذه الأمور التي هو لا يراها شيئاً فضرب النبي ﷺ مثالاً عجيباً ، عجيباً للغاية يدرك المرء من خلاله خطورة محقرات الذنوب وهو لو أن أناساً في البريّة أرادوا أن يصنعوا طعاماً معهم مكونات الطعام يحتاجون إلى النار لإنضاجه فلو جاء واحد منهم بعود صغير وأشعل تحت هذا القدر الذي فيه طعام هؤلاء أيصنع شيئاً ؟؟

يقول هذا تافه ليس بشيء ما يصنع شيئا فإذا جيء بعود آخر معه لا يصنع شيئاً ثالث أيضا لا يصنع شيئاً لا يزال يراه الناس في أعينهم لا يصنع شيئاً لكن لو استمر الجمع حتى اجتمع عدد ليس بالقليل من الأعواد أنضج إذن طعامهم فهذا سبحان الله مثل عجيب أن محقرات الذنوب لا يزال المرء يراها ليست بشيء وأنها هينة ثم يُفاجئ بعد ذلك أنها كونت كمّاً هائلاً من الذنوب وحِملا ثقيلا من الذنوب يبوء بعقوبته يوم يلقى الله سبحانه وتعالى وكل أعمال المرء محصاة عليه كما قال جل وعلا *« أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ »* العبد ينسى هذه الأشياء ولا تزال نفسه تستهين هذا قليل وهذا يسير وهذا هين وهذا ليس بشيء ثم يفاجئ بتراكمات وتراكبات من الذنوب فتكون مُهلكة له والعياذ بالله . نعم

قال وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدَّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنَ الْمُوبِقَاتِ.»

* هذا يبين الحال الشريفة العظيمة الرفيعة التي كان عليها أصحاب النبي ﷺ من الورع وتقوى الله عز وجل وإتقاء الذنوب وعدم الإستهانة بالمحقرات وإيراد المصنف له عقب الذي قبله من أجود وأنفع ما يكون إذا كان الناس يتهاونون بالمحقرات فإن الصحابة رضي الله عنهم كان شأنهم أعلى من ذلك قال *إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر* : يعني تحتقرونها هينة ليست بشيء ، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات* : أي المهلكات. نعم

وَفي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتِ النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا سَقَتْهَا، وَلَا هي تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».

* هذا فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى أي رأى بعينه ﷺ وكان هذا النظر للنار ومن فيها من المعذبين كان وقت صلاته بالناس صلاة الكسوف والشمس كسفت في حياته عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وهو يصلي بالناس صلاة الكسوف رأى الجنة والنار رأى الجنة حقيقة ورأى النار أيضاً حقيقة ورأى أصنافاً من المعذبين في النار ذكر منهم عليه الصلاة والسلام أنه رأى إمرأة تعذب في هرة سجنتها حتى ماتت أي حبستها في غرفة أو في مكان حتى ماتت فدخلت النار في هرة لا هي أطعمتها ولا سقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض إذا كانت هذه المرأة قد رآها النبي ﷺ تعذب في هرة أليست النفس المؤمنة أعلى وأعظم ! فماذا يصنع من يلقى الله سبحانه وتعالى وفي ذمته دماء أزهقها لأرواح مؤمنة ونفوس معصومة محرمة إذا كانت هذه عذبت في هرة فكيف بمن أزهق روحاً مؤمنة أو أوراحا مؤمنة مثل ما يصنع والعياذ بالله الخوارج ومن هم على شاكلتهم من تقتيل لأهل الإسلام قد قال عليه الصلاة والسلام عنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لا يتسلطون إلا على المسلمين ويسلّون سيوفهم على رقاب المسلمين وكم أزهقوا عبر التاريخ من أرواح مؤمنة معصومة محرمة فماذا يصنع هؤلاء بتلك الدماء إذا كانت إمرأة عذبت في هرة حبستها حتى ماتت ،كيف الشأن بمن يقتل النفس المعصومة التي حرم الله سبحانه وتعالى قتلها ، وقتل النفس المعصومة هو أعظم ذنب عُصي الله تبارك وتعالى به بعد الشرك بالله « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ »*

وَفي الْحِلْيَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ تَرَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ دِينَهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أُمِرُوا بِشَيْءٍ تَرَكُوهُ، وَإِذَا نُهُوا عَنْ شَيْءٍ رَكِبُوهُ، حَتَّى انْسَلَخُوا مِنْ دِينِهِمْ كَمَا يَنْسَلِخُ الرَّجُلُ مِنْ قَمِيصِهِ.

* ثم أورد هذا الأثر عن حذيفة ابن اليمان وهو في الحلية أي حلية الأولياء لأبي نُعيم أنه قيل له في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم قال : لا لم يكن تركهم لدينهم في يوم واحد ولكنهم كانوا إذا

أمروا بشيء تركوه وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا عن دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه وهذا الأثر حقيقة عظيم جدا يعني انسلاخ المرء من الدين لا يأتي في يوم وليلة فجأة لكن إذا استهان بالمعاصي والأوامر لا يبالي بها والنواهي لا يبالي واستمر على هذه الحال هذا المعنى الذي قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر الشرك فإذا استهان استمر على هذه الإستهانة ربما أوصلته استهانته بالمعاصي إلى الإنسلاخ من الدين فبنوا إسرائيل لم ينسلخوا من الدين فجأة هكذا في يوم وليلة انسلخوا من الدين لكن انسلاخهم من الدين كان عبر مراحل وخطوات اتبعوها للشيطان *« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»*

هؤلاء مضوا في مراحل وخطوات للشيطان اتبعوها إلى أن وصلوا إلى درجة الإنسلاخ من الدين جملة . نعم

وَمِنْ هَاهُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْقُبْلَةَ بَرِيدُ الْجِمَاعِ، وَالْغِنَاءُ بَرِيدُ الزِّنَا، وَالنَّظَرُ بَرِيدُ الْعِشْقِ، وَالْمَرَضُ بَرِيدُ الْمَوْتِ.

* قال رحمه الله ومن هنا قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر يعني توصل الإنسان إليه وتفضي به إليه لأن الشيطان أعاذنا الله عز وجل أجمعين وأهلينا وذرياتنا منه ، يتّبع مع المرء خطوات ولا يقنع من المؤمن إلا أن يصل به إلى الكفر بالله فهو يتدرج به خطوة تلوى الأخرى تلوى الأخرى إلى أن يوقعه في الكفر فالمعاصي بريد للكفر أي توصل صاحبها إلى الكفر [كما أن القُبلة بريد الجماع] القبلة المحرمة بريد للجماع المحرم [والغناء بريد الزنا] يهيج في نفس المرء الزنا ويحركه في قلبه [والنظر بريد العشق] النظر المحرم للصور بريد العشق حتى يتولع القلب بها ويبتلى بها بالعشق المحرم ولهذا قال الله سبحانه *« قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ»* أي أطهر وأنقى لقلوبهم وأسلم من شرور العشق وما شاكله من الأمور التي أدواء وأمراض للقلوب والمرض بريد الموت . نعم

وَفِي الْحِلْيَةِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ سُوءَ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ، قِلَّةُ حَيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ - وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ - أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ

نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَيْحَكَ هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ فَابْتَلَاهُ بِالْبَلَاءِ فِي جَسَدِهِ وَذَهَابِ مَالِهِ؟ اسْتَغَاثَ بِهِ مِسْكِينٌ عَلَى ظَالِمٍ يَدْرَؤُهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُعِنْهُ، وَلَمْ يَنْهَ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ.

* ثم أورد رحمه الله هذا الأثر في حلية الأولياء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال [يا صاحبي الذنب لا تأمن سوء عاقبته] الذنوب لها عواقب وخيمة بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة والناصح لنفسه يدعوها دائماً إذا تحركت لفعل الذنب إلى النظر في العواقب لا يجعلها ناظرة إلى لذة الذنب وحلاوة المعصية بل ينقلها إلى النظر إلى عاقبة الذنب فإذا نقلها أخذ بنفسه إلى طريق السلامة والنجاة وإن أبقاها مع لذة . الذنب هلكت ، ولهذا من نصح المرء لنفسه إذا تحرك فيها داعي الذنب والمعصية أن ينقل نفسه مباشرة إلى العواقب يقول لا إذا فعلت ماذا يترتب علي ويُحدّث نفسه بالعواقب التي تترتب على فعله للذنب وقد قال الناظم :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها

من الحرام ويبقى الخزي والعارُ

تبقى عواقب سوء من مغبتها

لا خير في لذة من بعدها النارُ

اذا نظر هذا النظر سلِم بإذن الله واذا أغمض عينيه عن هذه المعاني وركّز نظره على لذة المعصية التي يريدها والتفت إلى هذا فقط هلك والعياذ بالله ،أنظر هذا الكلام كلام عجيب سبحان الله يقول [ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته] يعني لا تظن أن الذنب هو مجرد معصية فعلت لا هناك أمور أيضا تتبعها كثير منها هي أشد من نفس الذنب الذي وقع فيه الإنسان [قلة حياؤك ممن على يمينك وعلى شمالك] ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ملك عن يمينه وملك عن شماله عندما يغشى الإنسان المعاصي ويرتكب الذنوب والملكان على يمينه كاتب للحسنات وكاتب للسيئات فقلة الحياء هذا أمر ،[وضحكك وانت لا تدري ما الله صانع بك أعظم.] الإنسان وهو يضحك في ذنبه ولا يدري ما العواقب التي ستؤول به في هذه الفعلة وهذه المعصية [وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب] كثير من الناس يعني في بعض الذنوب وبعض الشهوات المحرمة نفسه تطلبها من وقت فإذا ظفر بالمعصية التي يريد فرح هذه أيضا

مصيبة يفرح بمعصية الله هو الآن ليس فقط معصية لا ... فرح قلبه بالمعصية أن ظفر بها فهذه أيضا مصيبة عظيمة [حزنك على الذنب إذا فات أعظم من الذنب] يتحسر ويتألم أن فاته الذنب الذي كانت نفسه متطلعة إلى أن تفعله [خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك] *« يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ »*

يُحدِّث أحد الأشخاص عن نفسه أنه كان في غرفة ينظر فيها من خلال الأجهزة إلى مناظر محرمة آثمة فسمع حركة عند باب الغرفة أطفأ الجهاز وخاف وفتح الباب وإذا قطة كانت تتحرك عند الباب حصل له هذا الفزع من حركتها عند بابه ورب العالمين جل في علاه يراه ولم يتحرك في قلبه خوف من الله !!

ولا يليق بالمؤمن أن يجعل الله سبحانه وتعالى أهون الناظرين إليه هذا لا يليق بالمؤمن فهذه المعاني حقيقة لو أن الإنسان استذكرها لكانت أعظم رادع له عن الذنب إذا استذكرها عندما تتحرك نفسه للمعصية لكانت أعظم رادع له عن الذنب [قال ويحك هل تدري ما كان ذنب أيوب فابتلاه الله بالبلاء في جسده قال استغاث به مسكين إلى آخره] هذا التعيين للذنب الذي كان من أيوب الله أعلم به ونفس الأثر في ثبوته عن ابن عباس ضعف في إسناده إليه فعلى كلٍ المعاني المتقدمه هذه معاني مهمة جدا المعاني المتقدمة التي مرت معنا وأن صاحب الذنب ينبغي أن ينظر إلى هذه المعاني وأن يكون في حذر هذه المعاني عظيمة جدا ومهم النظر إليها واعتبارها.نعم

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ بِلَالَ ابْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ.

* هذا أثر عظيم جدا لبلال بن سعد يرويه عنه الأوزاعي يقول لا تنظر إلى صغر الخطيئة دائما إذا تحرك في النفس رغبة في فعل خطيئة ما لا يقول المرء في نفسه هذه صغيرة هذه سهلة هذه يسيرة لا ينظر هذا النظر ولكن أنظر إلى من عصيت وأنظر إلى عظم من عصيت سبحانه وتعالى، سبحان الله ننتبه هنا إلى فائدة مهمة أن نظر المرء عندما يوجهه ينفعه بإذن الله إذا كان نظراً نافعاً مثل ما أرشد بلال ابن سعد أن تنظر إلى عظم من عصيت عندك أمران إذا تحرك في النفس رغبة في المعصية عنده أمران إما أن ينظر إلى أن المعصية سهلة هذه يسيرة جدا إن نظر هذا النظر وقع فيها وفي غيرها من الذنوب لكن إن نظر نظرا آخر وقال لا يا نفس لا تقولي هذا الذنب يسير أنظري إلى عظمة الله أنظري إلى نعمة الله عليك بالسمع بالبصر بالقوة بالحواس، بالمال لا

يليق بكِ أن تستعملي هذه حتى ولو كان صغيرا فإن نظر هذا النظر كفّه بإذن الله سبحانه وتعالى عن المعصية . نعم

وَقَالَ الْفُضَيْلُ ابْنُ عِيَاضٍ: بِقَدْرِ مَا يَصْغَرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغَرُ عِنْدَ اللَّهِ.

* قال الفضيل بن عياض بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله يصغر عندك أي تستهين به وتستخف بأمره ولا تعظم الرب سبحانه وتعالى يعظم عند الله سبحانه وتعالى وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله إذا عظّمت الذنب وعِظم الخطيئة وأن هذا لا يليق بالمؤمن وهذا أمر عظيم ومقام الله أجل من أن أعصيه ونحو ذلك بقدر ما يعظم عندك أي الذنب عندك يصغر عند الله . نعم

وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى، يَا مُوسَى إِنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِي إِبْلِيسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا أَعُدُّ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْأَمْوَاتِ.

* الموت المراد به هنا موت القلب لأن الموت قد يكون الإنسان ميتاً وهو يأكل ويمشي ويتحرك وهو ميت قال الله سبحانه وتعالى *« أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ »* كمن هو أعمى وقال جل وعلا

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ »،

فالحياة بطاعة الله والموت بالمعاصي والذنوب وأعظم ما يكون الموت بالكفر بالله سبحانه وتعالى قال يا موسى إن أول من مات من خلقي إبليس أي هذا النوع من الموت وذلك أنه عصاني وإنما أعدُّ من عصاني من الأموات ليس كل من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء الميت هو ميت الأحياء ميت القلب أما من مات على طاعة الله واستراح من هذه الدنيا وعناءها ليس بميت، الميت حقيقة ميت الأحياء الذي هو على الأرض يمشي يأكل يشرب يتحرك ولكنه ميت القلب والعياذ بالله . نعم

وَفِي الْمُسْنَدِ وَجَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

{كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾} [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: 14] .» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

* هذا الحديث وما بعده يؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله سبحانه وتعالى،

وأنبّه إلى أن الدرس في شهر رمضان المبارك نسأل الله جل وعلا أن يبلغنا إياه على خير وصحة وعافية وطاعة وإيمان وحسن تقرب لله سبحانه وتعالى وأن يغنمنا أجمعين خيرات هذا الشهر وبركاته بمنه وكرمه سيكون الدرس في شهر رمضان بعد صلاة العصر في كتاب فتح الرحيم الملك العلام في العقائد والآداب والأحكام المستنبطة من القرآن للإمام ابن السعدي رحمة الله عليه وهو كتاب عظيم ويناسب أن نستفيد منه جميعاً في شهر رمضان لأنه خلاصة نافعة جداً في تفسير القرآن وبيان معانيه وأحد الأفاضل المحسنين جزاه الله خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناته طبع كمية طيبة جداً من هذا الكتاب وصلت المدينة اليوم وسيوزّع هدا الكتاب من الغد الثلاثاء بعد العصر بكشك التوعية رقم سبعة جوار مبنى الرئاسة المسجد النبوي وكذلك الكشك رقم أربعة الذي في آخر سور الحرم الجهة الجنوبية المقابلة لباب رقم خمسة باب قباء وذلك يوميا اعتبارا من الغد وسيكون التوزيع في رمضان بعد العصر وبعد التراويح فالمرجو من الإخوان الكرام كلٌ يأخذ نسخته من الكتاب ويهيئها معه من أول يوم من رمضان بعد العصر نبدأ في قراءة هذا الكتاب بإذن الله وبالنسبة لهذا الكتاب كتاب الداء والدواء أيضا في رمضان نستمر بإذن الله في قراءته لكن بعد صلاة الفجر ، فسيكون بإذن الله في رمضان درسان الأول بعد الفجر إكمال لكتاب الداء والدواء لابن القيم والثاني بعد العصر والعادة ان الدرس في رمضان واحد كما هو معلوم عندكم لكن سبحان الله أنا نفسي أيضاً مستأنس جداً بكتاب الداء والدواء وما تمكنت أن أوقفه ،ونسأل الله أن يعيننا أجمعين وأن ييسر لنا وإياكم الخير بمنه وكرمه ..... ويوزع معه أيضاً رسالة جديدة عنوان عشر قواعد في تزكية النفوس وأيضا هي مفيدة لنا أجمعين في قبالة هذا الشهر المبارك.نعم

الأسئلة :

سؤال 1: يقول متعك الله بالصحة هل حلق اللحية يعد من الذنوب أو أنه أمر استحباب فقط ؟

الجواب : لا ليس أمر الاستحباب لأن النبي ﷺ أمر بإعفاءها وقال في أمره بإعفائها قال {خالفوا المجوس أعفوا اللحى } ومخالفة المجوس ليس أمرا مستحباً بل هذا أمر واجب ولهذا فإن حلق اللحية أمر محرم ولا يجوز للمرء أن يحلق لحيته بل إن اللحية زينة للرجل وجمال ومما

يروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها إذا حلفت تقول والذي زين الرجال باللحى وفتاوى أهل العلم من مشايخنا الكبار وعلمائنا الأفاضل كلها واحدة متفقة على تحريم حلقها وأن حلقها أمر محرم ليس أمرا مكروها فقط بل هو أمر محرم والدلائل على ذلك كثيرة بسطها أهل العلم رحمهم الله في فتاواهم ومصنفاتهم التي في شأن اللحية. نعم

سؤال :2 يقول حفظك الله إذا كان الوالد يغتاب وأنكرت عليه ولم يستجب فهل لي أن أترك مجلسه وهل لي أن أزعل أغضب على الوالد لأجل هذا الأمر ؟

الجواب : الوالد له حق خاص وعظيم تأمل هذا الحق في قول الله سبحانه وتعالى*« وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖوَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا »* ما قال إزعل على تعبير السائل أو أزعل لا... قال صاحبهما في الدنيا معروفاً أمر في مثل هده الحالة الشديدة وهي أمر الشرك والدعوة إلى الشرك أمر بالمصاحبة بالمعروف وكيف بما هو دون الشرك من الأقوال والأفعال فاستمر في اللطف مع الوالد والبر له والإحسان إليه وكثرة الدعاء له وتخيّر أوقات ارتياحه وطمأنينة نفسه فإقرأ عليه الأحاديث وكلام أهل العلم في حرمة الغيبة وخطورتها حتى يكون بإذن الله سبحانه وتعالى خلاصه من هذه الآفة على يديك بإذن الله سبحانه وتعالى .

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين وأن يوفقنا لكل خير ،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه

* اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِ العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد... فيقول الامام أبو عبد الله ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــوغفر له وللشارح والسامعين وجميع المسلمين يقول رحمه الله تعالى في كتابه الداء والدواء.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَجَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: 14] .»وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين,, أما بعد,

فهذا حديث عظيم في بيان أن الذنوب لها أثر على قلب العبد وأنه كلما أذنب العبد ذنبًا كان لهذا الذنب أثر على قلبه وكلما ازدادت الذنوب ازداد الأثر إلى أن يصل إلى الدرجة التي وصفت في قوله تعالى { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } أي غطى على قلوبهم " مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" والحديث يبيّن أن أثر الذنوب على القلب ليس بالهيّن, أرأيت عندما يكون في يدك عودًا من خشب وبين يديك أرض ملساء ناعمة ثم أخذت تضرب بطرف العود الأرض هذا العمل يسمى نكت , فتنكت بالعصا أي تضرب بها الأرض, إذا كررتَ الضرب في مواضع منها ونظرت إلى الأرض وجدت ماذا ؟وجدت أثرا لهذا النكت وهكذا الشأن في الذنوب, الذنوب كلما حصلت من العبد نكت في القلب نكتة سوداء, وإذا أذنب ذنبا آخر نكت أيضا نكتة أخرى وثالثة ورابعة,, وكل ما زادت الذنوب زاد النكت في القلب إلى أن يغطى القلب من كل جهاته بهذا النكت فيصل إلى درجة الران التي هي التغطية على القلب كاملاً ,فيقول عليه الصلاة والسلام : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ **أي من الذنب** وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ" انظر هنا النعمة يعني مع كون الذنوب تؤدي إلى هذا النكت لا يظن المذنب أن هذا النكت الذي وقع في قلبه يبقى لا يظن أنه يبقى بل بإذن الله بالنزع والتوبة والاستغفار يُصقل قلبه ومعنى يصقل: أي يُجلى ويمحو الله سبحانه وتعالى ما في قلبه من نكتة أو ثنتين أو ثلاثة أو أربع تمحى إذا تاب صادقًا مع الله سبحانه وتعالى في توبته من الذنب الذي قارفه أو الخطيئة التي ارتكبها قال فإذا تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه , لاحظ الآن أنت عندما يكون عندك في البيت مرآة نظيفة ناصعة ودائماً تنظر فيها ثم ترى عليها قطعاً من السواد لا تحب أن تبقى فتجلوها عن المرآة بمنشفة أو نحو ذلك هذا يسمى صقل, صقل قلبه: أي جلي الذي في قلبه فأصبح سالماً من ذاك النكت الذي كان فيه وهذا فيه فائدة للعبد المؤمن أنه متى زلّت به القدم ووقع في الذنب والخطيئة فليبادر

إلى التوبة إلى الله والاستغفار من الذنب ولينزع عن الذنب -يقلع عنه إقلاعاً تاماً- فيُصقل قلبه,أيّ خير يرجوه المرء لنفسه عندما يبقى القلب مملوءًا بهذه النكت السوداء, بل يجب عليه أن يبادر إلى ما يجلو هذا السواد وينقي القلب وتتحقق به زكاة قلبه بإذن الله سبحانه وتعالى, لأن التزكية التي للقلب تكون أولاً بتطهيره من هذه الأشياء , ثم عمارته بالخير , فهي تتناول هذا وهذا كما قال الله: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا", والتطهير الذي هو التخلية مقدَّم على التزكية التي هي التحلية فينقى القلب تنقيته بالاستغفار والتوبة والإقلاع عن الذنب, قال وإن زاد: أي في الذنوب زادت أي النكت في قلبه حتى تعلو قلبه أي تغطيه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} نعم.

قال رحمه الله : وَقَالَ حُذَيْفَةُ: إِذَا أَذْنَبَ الْعَبدُ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَصِيرَ قَلْبُهُ كَالشَّاةِ الرَّبْدَاءِ.

نعم هذا الأثر عن حذيفة هو بمعنى الحديث المتقدم وأن النُكَت لا تزال بسبب الذنوب على القلب نكتة تلو الأخرى حتى تغطي القلب تماماً- نعم.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قال حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَإِنَّكُمْ أَهْلٌ لِهَذَا الْأَمْرِ مَا لَمْ تَعْصُوا اللَّهَ. فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ لَحَا قَضِيبَهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصْلِدُ» .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَإِنَّكُمْ أَهْلٌ لِهَذَا الْأَمْرِ "المراد بالأمر أي الولاية وسياسة الناس وولاية أمرهم- مَا لَمْ تَعْصُوا اللَّهَ — انظر أثر المعصية وهذا المقصود من إيراد هذا الحديث هنا انظر أثر المعصية قال : "مَا لَمْ تَعْصُوا اللَّهَ. فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ", كان عليه الصلاة والسلام بيده قضيب يعني قطعة من غصن شجرة عود من الشجر وأنت تعرف أن عود الشجر عليه غطاء قشرة القشرة التي على الغطاء إذا نزعتها ماذا يتبين لك من ورائها بياض العود, **يتبين لك** بياض العود هذا العمل يقال له -يعني قشر القضيب يقال لحاه أي قشره قشر هذا الغطاء الذي عليه أو القشرة التي عليه قال: " فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ" ,و" كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ ": والمقصد أن أموركم تكون في ضعف وفي نقص وفي وهاء مثل ما يُلحى هذا القضيب, لأن القضيب إذا لحي القضيب ذبل , وبقاء هذه القشرة عليه هي تحافظ على بقائه , فإذا قشر هذا اللحاء الذي عليه -الذي هو القشرة التي عليه- يفضي به إلى الذبول فهي تحفظه بإذن الله سبحانه وتعالى, قال :"بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى

هَذَا الْقَضِيبُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ لَحَا قَضِيبَهُ".يعني أخذ يقشر هذه القشرة التي على القضيب "فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصْلِدُ» يبرق ويلمع, يصلد: أي يبرق ويلمع –نعم.

قال رحمه الله : وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ وَهْبٍ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: قَالَ فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإِذَا عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ ".

نعم- هذا تقدم وأيضاً سيأتي, وهو من أخبار بني إسرائيل, والشاهد منه أن المعصية تفضي إلى الغضب, والغضب يفضي إلى الهلاك " وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ " يؤدي إلى الهلاك والمعصية تفضي إلى الغضب, والغضب يفضي إلى الهلاك ,نعم.

هذا الخبر قال ذكر الإمام أحمد أي في كتابه "الزهد" وأيضاً أثر الذي يليه عن عائشة فيما كتبته إلى معاوية هو في "كتاب الزهد للإمام أحمد" نعم

قال وَذَكَرَ أَيْضًا عَنْ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنْ عَامِرٍ قَالَ: كَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَدَّ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا.

هذا يعد أثر من الآثار التي تترتب على الذنب أو الذنوب, الذنوب يترتب عليها آثار كثيرة وسيأتي تفصيل للعواقب التي تترتب على الذنوب من بينها هذاالذي جاء في هذا الأثر أن" الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَدَّ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا".فيعني وجود الذنب توجب ذم الإنسان والمراد بذمه: ليس من أهل الفسق و أهل المعاصي وإنما من أهل الخير يذمونه على تفريطه وتضيعه ووقوعه فيما يسخط الله سبحانه وتعالى, نعم

قال رحمه الله: ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: لِيَحْذَرِ امْرُؤٌ أَنْ تَلْعَنَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مِمَّ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ فَيُلْقِي اللَّهُ بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

وهذا أثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه في بيان هذا الأثر ,وهو نظير الذي قبله, قال: عَدَّ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا له.ففي هذا الأثر يبيّن أبو الدرداء رضي الله عنه ما يترتب على الذنب من أنّ وقوع العبد فيه , يوجب بغض قلوب المؤمنين له, ويترتب عليه ذلك ، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُو بِمَعَاصِي اللَّهِ فَيُلْقِي اللَّهُ بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ,وهذا المعنى الذي ذكره أبو الدرداء هنا يشهد له ما جاء في الحديث الصحيح "إن الله إذا أحب عبده نادى جبريل في السماء إني أحب فلاناً" ثم بعد ذلك

قال:" **إن الله إذا أبغض عبده نادى جبريل ثم تلقى له البغضاء في الأرض** "فالمعنى الذي جاء هنا يشهد له ما جاء في حديث النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

قال رحمه الله: وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ لِأَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَهُ الدَّيْنُ اغْتَمَّ لِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ هَذَا الْغَمَّ بِذَنْبٍ أَصَبْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

عبد الله بن الإمام أحمد له زيادات على كتاب والده الزهد, وأيضاً كتابه المسند فأهل العلم عندما يخرّجون هذا الأثر لا يقول روى الإمام أحمد في الزهد, وإنما يقولون روى عبد الله في كتاب الزهد لأبيه, لأنه لما روى كتاب الزهد زاد بعض الأحاديث وهي مميزة ومعروفة زادها , وتُعرف بزيادات عبد الله على المسند أو على الزهد لأبيه أو نحو ذلك.,, ففي زياداته على الزهد لأبيه أن محمد ابن سيرين لما ركبه الدَّين اغتم لذلك فقال: **إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة** , وهذا المعنى جاءت فيه آثار وهو أن الذنب قد لا تكون عاقبته بعده مباشرة , بل قد تتأخر إلى سنوات طويلة ليس شرط تحديداً أربعين, لكن قد تتأخر إلى سنوات طويلة فيقول: **إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته منذ أربعين سنة**, أعد النظر في هذا الأثر يعني هناك معنى لا بد أن ننتبه له حتى تعرف الحياة التي كانوا عليها ,بل السلامة والعافية التي كانوا عليها يقول: **ذنب أصبته منذ أربعين سنة**, الحياة مملوءة بالذنوب لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام (**ذنب أصبته منذ قبل أربعين سنة**) إذا كانت تراكمات من الذنوب لكن الحياة الصافية ,يذكر فعلاً حياته صافية, يذكُر فعلاً ما كان قبل أربعين أو قبل .. لأنه لايزال يوجعه وحتى وإن تاب منه بخلاف التراكمات الكثيرة من الذنوب, فلا يكون الشأن فيها مثل هذا فيقول: **إني لأعرف هذا الغم من ذنب أصبته منذ أربعين سنة**, الحاصل أن الذنب والمعصية لا تُنسى" **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** ، لا تُنسى, محصاة عليه ولها عقوبة, قد تكون عقوبتها قريبة, وقد تكون مؤخرة في الدنيا ,مؤخرة: يعني تتأخر إلى أربعين سنة أو في حدود ذلك أو أقل أو أكثر, وقد مؤخرة إلى الدار الآخرة, لكن الله جل وعلا رحيم غفور كريم بعباده جل وعلا, فمن تاب تاب الله عليه إذا صدق مع الله سبحانه وتعالى في توبته وإنابته تاب الله سبحانه وتعالى عليه وأيضاً (**إني لأعرف هذا الغم إني لأعرف هذا الغم بذنب أصبته)** هذا من كمال السلف . يعني يعيد ما أصابه من الذنوب إلى تفريطه, " **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ** ", يعيده إلى تفريطه إلى تقصيره هو في جنب الله سبحانه وتعالى, فرق بين من هذه حاله عندما تصيبه المصيبة ومن يتسخط ويرى أنه ليس أهلاً أن يصاب بهذا البلاء أو بهذا.. **فرق بين هؤلاء** يعني يصيبه غم فيعيده إلى ماذا ؟- يعيده إلى تقصير قبل أربعين سنة, وآخر يصيبه الغم ويقول: كيف أنا أصبت بهذا وأنا ماذا فعلت وماذا صنعت حتى أُبتلى ؟, بعضهم يتسخط من قدر الله سبحانه وتعالى فيقع في باب إثم آخر ويجر على نفسه بلوى أخرى, فشتان بين هؤلاء وهؤلاء ,حياة السلف حياة مجيدة مباركة ومع هذه البركة لا يزكي الواحد منهم نفسه بل لا يزال يرى نفسه مقصرًا ,نعم

قَدْ لَا يُؤَثِّرُ الذَّنْبُ فِي الْحَالِ

قال رحمه الله : وَهَاهُنَا نُكْتَةٌ دَقِيقَةٌ يَغْلَطُ فِيهَا النَّاسُ فِي أَمْرِ الذَّنْبِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ تَأْثِيرَهُ فِي الْحَالِ، وَقَدْ يَتَأَخَّرُ تَأْثِيرُهُ فَيُنْسَى، وَيَظُنُّ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَا يُغَبِّرُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

إِذَا لَمْ يُغَبِّرْ حَائِطٌ فِي وُقُوعِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ غُبَارُ.

هذه نكتة مهمة ينبه عليها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى, يغلط فيها الناس, في أمر الذنب, كثير من الناس عندما يقع في الذنب ثم يرى أنه بعد الذنب أنه لم يُصَب بشيء -لم يحصل له- فيظن حينئذ أنه لا تأثير له لأنه لو كان له تأثير أو له أثر لوجدت له مباشرة فطالما أنها لم توجد مباشرة فليس لها تأثير ويقيسون هذا المعنى على ما جاء في البيت:

إِذَا لَمْ يُغَبِّرْ حَائِطٌ فِي وُقُوعِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ غُبَارُ

ما دام أنه لم يحصل غبار وقت وقوع الحائط إذاً ليس هناك غبار فيما بعد, فما دام أن الذنب لم تحصل له عقوبة مباشرة إذاً ليس هناك عقوبة هكذا يفهم بعض الناس, وما يدري المسكين أنه قد يصاب بالعقوبة بعد عشر سنوات بعد عشرين سنة ,قال: قال وقد يتأخر تأثيره فيُنسى حتى أنه.., فعلاً بعض الناس يعاقب بأمر بسبب ذنب أصابه لكنه نسي الذنب, بخلاف حال السلف في صدقهم مع الله سبحانه وتعالى, وخوفهم من الذنوب, نعم.

قال رحمه الله : وَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا أَهْلَكَتْ هَذِهِ النُّكْتَةُ مِنَ الْخَلْقِ؟ وَكَمْ أَزَالَتْ غُبَارَ نِعْمَةٍ؟ وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِقْمَةٍ؟ وَمَا أَكْثَرَ الْمُغْتَرِّينَ بِهَا الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، فَضْلًا عَنِ الْجُهَّالِ، وَلَمْ يَعْلَمِ الْمُغْتَرُّ أَنَّ الذَّنْبَ يَنْقَضُّ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، كَمَا يَنْقَضُّ السُّمُّ، وَكَمَا يَنْقَضُّ الْجُرْحُ الْمُنْدَمِلُ عَلَى الْغِشِّ وَالدَّغَلِ.

الْجُرْحُ الْمُنْدَمِلُ عَلَى الْغِشِّ وَالدَّغَلِ: يعني عندما يكون أحد فيه جرح ثم يُخاط الجرح أو يُلأم الجرح على أشياء في داخل البدن من أمور هي مضرة بالبدن مثل ما وصفها رحمه الله بالغش والدغل, أشياء في داخل البدن لم ينظَّف الجرح من الأوساخ أو الأقذار ثم يلأم الجرح عليها وهي بداخله, وقت لأمها ربما المريض لا يشعر بشيء ويجد أن الجرح إلتأم وانتهى الأمر ,لكن ما الذي يحصل ؟- مثل ما ذكر الإمام ابن القيم يرجع الجرح إلى فساد ربما أشد من الحالة التي تُرك عليها قبل أن يُلأم ,لأنه لئم على فساد, فيترتب على ذلك زيادة الفساد وزيادة الشر ,لكن يأتي هذا ليس مباشرة ,لأن مباشرة يرى المريض أنه لأَمَ جرحه وانتهى أمره

ثم يفاجأ بعد حين بالآثار أو العواقب المؤلمة له جدًا, فالذنب مثل ذلك , قد لا تكون هناك عقوبة مباشرة ثم يفاجأ بعد سنوات بأشياء يعاني منها معاناة في حياته وهي من آثار ذنوبه ومعاصيه- نعم.

قال رحمه الله: وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكُم، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطغِكُم، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى.

هذا أثر عن أبي الدرداء فيه موعظة, بل مواعظ نافعة للمسلم ,يقول: **اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ**,وهذه درجة الإحسان قال في الحديث قال: **أخبرني عن الإحسان ,قال: أن تعبد الله كأنك تراه"** فيقول رضي الله عنه **اعْبُدُوا اللَّهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ** ,وهذه درجة الإحسان في العبادة,(**وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى**،) وهذا شاهده في الحديث : **تذكروا هاذم اللذات ,أكثروا من ذكر هاذم اللذات**" إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء, فعدوا أنفسكم في الموتى وهذا نافع للعبد إذا عد نفسه في الموتى وذكر نفسه بالموتى وقال لنفسه : يا نفسي ربما أنتِ لا تكونين غداً من أهل هذه الحياة قد لا تدركين رمضان.

أروي لكم قصة سمعتها قريباً تنفعنا ولولا ما فيها من النفع لم أروها لكم, قبل ثلاث أيام تحديداً ثلاث أيام أو أربعة أحد الأفاضل ومعه جواله يريني تواصلاً بينه وبين داعية في بلده, بلده في دولة إفريقية, وذكر لي أن ذلك الداعية له جهود كبيرة في الدعوة وذكر لي ملخصًا للحوار الذي بينه وبين ذلك الداعية في تخطيط لما يقدمونه من دعوة في رمضان, نفعل كذا ونفعل كذا, والأوقات التي يكون فيها برامجهم يعني تواصل في ماذا يقدمون في رمضان ,قال هذا من أسبوع, وأنا يومياً بيني وبينه تواصل كله تخطيط لرمضان, قال وأخبرك أنه اليوم توفي , هذا من الدعاة وكان يخطط لهذا الرمضان الذي ننتظره نحن ويرتب ماذا سيقدم للمسلمين من أعمال ونصائح ومواعظ, وهي تُكتب له بإذن الله سبحانه وتعالى وحالت بينه وبين رمضان المنيّة وكان يخطط خيراً عظيماً يقدمه في بلده لإخوانه المسلمين في رمضان, وهو يخطط, ما كان يعلم أنه لن يكون ممن أهل هذا الرمضان, فمثل هذه المعاني مثل ما قال أبو الدرداء رضي الله عنه **عدوا أنفسكم في الموتى** :هذا من أعظم الأمور التي تعين العبد على تزكية نفسه وإصلاحها حتى قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال كلاماً معناه: **لو غفل قلبي عن الموت لخشيت أن يهلك علي قلبي أو يفسد علي قلبي** فذكر الموت صلاح للعبد , وتذكير نفسه بالموت صلاح له بإذن الله تعالى,أحد السلف أراد أن يعظ أحد العصاة وأخذه إلى القبور **وقال انظر لو كنت مكان هؤلاء ماذا تتمنى؟ قال أتمنى أن يعيدني الله إلى الدنيا لأعمل غير ما أنا أعمله الآن .قال أنت الآن في الدنيا اعمل**- قبل أن يصبح الأمر مجرد ماذا؟- أمنية فيقول رضي الله **عُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكُمْ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ**.أو يطغيكم يعني لا ينهمك الإنسان في الدنيا انهماكا تاما ولا أيضا يترك العمل الدنيوي الذي تتحقق به مصلحته ومصلحة أهله وولده, لكن لا يجعل الدنيا هي أكبر همه ولا مبلغ علمه, ولهذا **وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكُمْ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى**.بل يبقى وتبقى آثاره الطيبة وعوائده الحميدة على العبد في الدنيا والآخرة ، **وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى** مثل ما قال الله سبحانه وتعالى " **أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ** "," **وَمَا كَانَ رَبُّكَ**

نَسِيًّا " فأعمال العبد محصاة عليه, أعمال العبد حسنها وسيؤها محصاة عليه, فينتبه العبد الإثم لا ينسى حتى وإن نسيه العبد, فإنه لاينسى بل محصى على العد ,نعم.

قال رحمه الله : وَنَظرَ بَعْضُ الْعُبَّادِ إِلَى صَبِيٍّ، فَتَأَمَّلَ مَحَاسِنَهُ، فَأُتِيَ فِي مَنَامِهِ وَقِيلَ لَهُ: لَتَجِدَنَّ غِبَّهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

لتجدن غبها بعد أربعين سنة: مثل الأثر الذي تقدم قد لا يكون المراد الأربعين تحديداً ,يعني بعد حين ولو مدة طويلة, ولو مدة طويلة تجد غِبّه ,ولهذا لا يستهين الإنسان بالمعاصي والذنوب ,لا يستهين بها, لا يستهين بالنظر المحرم ,وليُنتبه في هذا المقام من الجوالات ,الجوالات هذه والله مصيبة الآن في هذا الزمان مصيبة عظيمة جدا ,ودخل إلى القلوب -قلوب المؤمنين النقية- دخل إليها. من خلال الجوالات أشياء خطيرة جدا وبلاوي جسيمة وكانت قلوباً نقية فلوثها الجوال بشيء عجب خاصة الجوالات التي تسمى الذكية ,والذكاء بدون زكاء يعد بلاءاً, و مضرة على الإنسان ,الإنسان الذكي غاية الذكاء إذا لم يكن عنده زكاء يكون آفة على المجتمع الذي هو فيه, ومضرة عليه,وهذه الأجهزة مع ما فيها من لوث- لوث كثير جداً- أصبحت في أيدي الغافلين قليل الإيمان قليل الطاعة والعياذ بالله قليل العلم فأصبحت تصب في قلوبهم أمور صباً ,وتملؤها بأشياء خطيرة جداً فأمرضت وخلخلت القلوب وأوهت الإيمان وأضعفت اليقين, وسببت أضرار كثيرة ,ولهذا يجب على العبد أن يكون ناصحا لنفسه, وإذا كان يخلو بنفسه مع هذا الجوال بما فيه من المناظر ويظن أنه في عافية من نظر الناس إليه فليعلم أن رب العالمين مطلع عليه سبحانه وتعالى ,وليتق الله جل وعلا وليحافظ على سلامة قلبه, إذا كنا مر علينا في الحديث النكتة السوداء بالله عليكم أخبروني كم هي النكت السوداء التي أدخلتها هذه الجوالات إلى القلوب؟,إذ كنا نتحدث قبل قليل عن حديث النبي ﷺ **النكتة السودا كلما زاد زادت**,كم هي النكت التي دخلتها هذه الأجهزة ببرامجها من نكت سوداء على كثير من القلوب؟- بعض الناس ليس فقط نقطة سوداء بعضهم تحول من الدين إرتد بسبب الجوالات ,وبعضهم دخل في أهواء وأدواء ومصائب عظام إلى متى الإنسان ينساق مع وراء برامجها المعطبة المهلكة؟ فيجب على الإنسان أن يضع لنفسه حاجزا يحول بينه وبين ما فيها من المهالك, ويتقي الله سبحانه وتعالى ما ينساق مع هذه الأجهزة حتى توصل إلى به وتقضي به إلى الهلكة والعياذ بالله ..نعم

قال رحمه الله: هَذَا مَعَ أَنَّ لِلذَّنْبِ نَقْدًا مُعَجَّلًا لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ.

نعم- يعني هناك مثل ما تقدم الإشارة يعني: قد تكون العقوبة معجلة وقد تتأخر, وقد يكون تأخرها ليس لأسبوع ولا لشهر ,قد يكون عشر سنوات, أربعين سنة قد تتأخر العقوبة, قد تكون العقوبة في الآخرة ,فلا

يستهين الإنسان بالذنب, ويقول لنفسه نعم وقعتِ بالذنب فما حصل!,أي كم غرَّت هذا الفهم كم غر من أناس ؟! نعم

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ عَجِبْتُ مِنْ ذِي عَقْلٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ، ثُمَّ هُوَ يُشْمِتُ بِنَفْسِهِ كُلَّ عَدُوٍّ لَهُ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ يَعْصِي اللَّهَ وَيَشْمَتُ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ كُلُّ عَدُوٍّ.

نعم نعم هذا الأثر يعني يتعجب يحيى بن معاذ الرازي ممن يقول في دعائه" اللهم لا تشْمِت بي الأعداء" ثم هو يشْمِت بنفسه الأعداء : بأن يرتكب المعاصي والذنوب ثم تكون شماتة عليه يوم القيامة تكون شماتة عليه يوم القيامة- نعم.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: مَنْ خَانَ اللَّهَ فِي السِّرِّ هَتَكَ اللَّهُ سِتْرَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ.

[فَصْلٌ مِنْ آثَارِ الْمَعَاصِي]

وَلِلْمَعَاصِي مِنَ الْآثَارِ الْقَبِيحَةِ الْمَذْمُومَةِ، الْمُضِرَّةِ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

فَمِنْهَا: حِرْمَانُ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

نعم. هذا فصل ننتبه له فصل عظيم جدا نحن من أول ما نقرأ في الكتاب, والإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- يحدثنا عن عواقب الذنوب وأخطار الذنوب ومضار الذنوب ,وساق أحاديث تلو الأحاديث حتى ظننا أن الأمر قد تم في البيان في إيضاح عواقب الذنوب وأضرارها, وإذا بإبن القيم وهذا من نصحه العظيم رحمة الله عليه يعقد هذا الفصل العظيم يقول: **وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المُضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله** ثم يمشي عشرات الصفحات ونحن قبل قليل كنا نظن أن الموضوع استوفي في ذكر عواقب الذنوب لأن كل الذي تقدم هو عواقب للذنوب وأضرار لها في الدنيا والآخرة ,وهذا الفصل الذي نحن الآن بدأنا في قراءته من نفائس هذا الكتاب فصل عظيم جداً ,وحقيقة كل مسلم يحتاج أن يقرأ هذا الفصل- فصل عظيم ومهم- وأنا أنصح الدعاة والخطبة والوعاظ أن يجعلوا هذا موضوعاً لوعظ الناس في خطبهم ووعظهم يجعلوا ذلك من موضوعاتهم المهمة في الخُطَب ووعظ الناس وتحدثاً بنعمة الله سبحانه وتعالى ربما أول أو ثاني خطبة أو ثالث خطبة -يعني لا تزيد عن ذلك- من خطبة كانت من هذا الموضع نقلتُ كلام ابن القيم كما هو. ومجرد وضعت معه الحمد والثناء ومخاطبة عباد الله والباقي كله نقلته من الإمام ابن القيم في هذا الموضع وفعلاً كلام عظيم جداً الناس يحتاجون إليه ,الناس يحتاجون حاجة شديدة إلى هذا الكلام اسمعوا ماذا يقول ابن الوزير في كتابه"العواصم والقواصم"عن هذا الفصل يقول: **ومن أحسن من جمع في ذلك ابن القيم** - يعني من جمع في آثار الذنوب وعواقبها- "**ومن أحسن من جمع في ذلك ابن القيم في كتابه الجواب الكافي, فقد جوّد في الزجر عن المعاصي ,وأجاد وأبدع,**

وأفاد, وأمتع, وجاء بما لم يُسبَق إلى مثله " وفعلاً الذي يقف على كلام ابن القيم يجد أن ابن القيم فعلاً أجاد ونوّع في الأضرار ورتب وأحسن في الإيراد والاستشهاد والاستدلال- نعم.

فَمِنْهَا: حِرْمَانُ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

وَلَمَّا جَلَسَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذَكَائِهِ، وَكَمَالِ فَهْمِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي

هذا الأمر الأول من العواقب القبيحة المذمومة المترتبة على المعاصي والذنوب:-

حرمان العلم : فحرمان العلم أي ابتداءاً الذنوب تحول بين الإنسان وبين طلب العلم, وكم من أناس حال بينهم وبين طلب العلم الذنوب. حرمتهم ذنوبهم من العلم, وكلما تحرك فيهم إقبال إلى العلم حرمتهم الذنوب منه وحالت بينهم وبينه, هذا من جهة,من جهة أخرى أن المشتغل في العلم إذا وقع في الذنوب كانت هذه الذنوب سبباً أيضاً لحرمانه هو للعلم, فربما فقد حسن الفهم الذي كان عنده , ربما فقد قوة الحافظة التي كانت عنده, وربما ذهب عنه شيئاً عظيماً حصله في وقت طويل من عمره, فتكون الذنوب سبباً للحرمان من العلم, وذلك مثل ما مر معنا أن **العلم نور**-" وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ", العلم نور," وَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ", العلم نور- نور وضياء لصاحبه- والمعصية ظلمة, وظلمة المعصية تطفئ نور العلم , فقال رحمه الله : **منها حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور** :ولهذا لا يليق بالعبد الذي توقّد قلبه وأضاء وأشرق بنور العلم أن يذهب إلى المعاصي يطفئ بها نور العلم الذي أُضيء قلبه به. قال: **جَلَسَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذَكَائِهِ، وَكَمَالِ فَهْمِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.**

قال رحمه الله: وَمِنْهَا: **حِرْمَانُ الرِّزْقِ**، وَفِي الْمُسْنَدِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَكَمَا أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ فَتَرْكُ التَّقْوَى مَجْلَبَةٌ لِلْفَقْرِ، فَمَا اسْتُجْلِبَ رِزْقُ اللَّهِ بِمِثْلِ تَرْكِ الْمَعَاصِي.

منها -أي من عواقب الذنوب- **حرمان الرزق** : وأيضاً **ذهاب البركة** التي فيه يحرم الرزق وما كان عنده من رزق لا يبارك له فيه, يحرم من البركة, قال وَفِي الْمُسْنَدِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» وَقَدْ تَقَدَّمَ. معنا واستشهد على ذلك بهذا الحديث وأيضا بقوله : وَكَمَا أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ, وهذا دل عليه الآية في سورة الطلاق- قول الله سبحانه وتعالى-: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (ويرزقه من حيث لا يحتسب) فتقوى الله سبحانه وتعالى" مجلبة للرزق"- إذاً يُفهَم من ذلك أن ترك التقوى مجلبة لماذا؟- للفقر ,إذا كانت التقوى مجلبة للرزق, فترك التقوى مجلبة للفقر, فَمَا اسْتُجْلِبَ رِزْقُ اللَّهِ بِمِثْلِ تَرْكِ الْمَعَاصِي – نعم.

قال رحمه الله : وَمِنْهَا: **وَحْشَةٌ يَجِدُهَا الْعَاصِي** فِي قَلْبِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ لَا تُوَازِنُهَا وَلَا تُقَارِنُهَا لَذَّةٌ أَصْلًا، وَلَوِ اجْتَمَعَتْ لَهُ لَذَّاتُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَمْ تَفِ بِتِلْكَ الْوَحْشَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَحِسُّ بِهِ إِلَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ حَيَاةٌ، وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ، فَلَوْ لَمْ تُتْرَكِ الذُّنُوبُ إِلَّا حَذَرًا مِنْ وُقُوعِ تِلْكَ الْوَحْشَةِ، لَكَانَ الْعَاقِلُ حَرِيًّا بِتَرْكِهَا.

وَشَكَا رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ وَحْشَةً يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ:

إِذَا كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ ... فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ

وَلَيْسَ عَلَى الْقَلْبِ أَمَرُّ مِنْ وَحْشَةِ الذَّنْبِ عَلَى الذَّنْبِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قال ومنها أي- من عواقب الذنوب- وَحْشَةٌ يَجِدُهَا الْعَاصِي فِي قَلْبِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ لَا تُوَازِنُهَا وَلَا تُقَارِنُهَا لَذَّةٌ أَصْلًا- مهما كانت اللذة- والعاصي إذا كان يجد في المعاصي التي يغشاها لذة أو متعة فهي لذة فانية في وقتها, لكن من عواقب هذه اللذة المحرمة المسخِطة لله سبحانه وتعالى أنها توجد في قلب العاصي وحشة بينه وبين الله , إن قارنها باللذة التي يحصلها في معصية لم تقارن ولو مثل ما قال ابن القيم :**لو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها**, أيّ خير بلذات الدنيا إذا كانت تفقد العبد أو تجلب للعبد وحشة بينه وبين الله سبحانه وتعالى يصبح القلب مستوحش بينه وبين الله سبحانه وتعالى, وحشة بخلاف المؤمن قلبه مقبل على الله وهذا قلبه مستوحش, قلبه مقبل على الله مستأنس بطاعة الله سبحانه وتعالى, وهذا

مستوحش من آثار الذنوب لكن العاصي الذي تراكمت عليه الذنوب لا يحس مثل الميت الذي في طرف بدنه جرح هل يحس بألم؟! فهو أيضاً لا يحس **وما لجرح بميت إيلام** , فلو لم تترك الذنوب إلا حذَراً من وقوع تلك الوحشة لكان حرياً بتركها ,قال: **شكى أحدهم إلى بعض العارفين هذه الوحشة فقال له: إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس**- أدخل في الأنس- الأنس بطاعة الله سبحانه وتعالى- دعك من الذنوب التي لا خير فيها ولا طائل من ورائها, وادخل في الأنس الحقيقي واللذة الحقيقية التي هي إنما تكون بطاعة الله سبحانه وتعالى. نعم

قال رحمه الله : وَمِنْهَا: الْوَحْشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَلَاسِيَّمَا أَهْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ يَجِدُ وَحْشَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ تِلْكَ الْوَحْشَةُ بَعُدَ مِنْهُمْ وَمِنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَحُرِمَ بَرَكَةَ الِانْتِفَاعِ بِهِمْ، وَقَرُبَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، بِقَدْرِ مَا بَعُدَ مِنْ حِزْبِ الرَّحْمَنِ، وَتَقْوَى هَذِهِ الْوَحْشَةُ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ، فَتَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، فَتَرَاهُ مُسْتَوْحِشًا مِنْ نَفْسِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَرَى ذَلِكَ فِي خُلُقِ دَابَّتِي، وَامْرَأَتِي.

ثم ذكر رحمه الله نوع آخر من الوحشة يجدها العاصي **الأولى:** وحشة بينه وبين الله, **والثانية** :وحشة بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير وهذه المعتبرة أما العصاة فهو وإياهم على شاكلة واحدة والطيور على أشباهها تقع, لكن المعتبر الوحشة التي تقع بينه وبين أهل الخير وكلما جاء إلى مجلس فيه صلحاء وأهل الخير استوحش من المجلس وربما لم تحب نفسه أصلاً الدخول فيه ولا تقبل عليه فهذه وحشة سببها المعاصي, والذنوب فإنه يجد بينه وبين أهل الخير وحشة وكلما قويت تلك الوحشة بعُد منهم, ماذا يترتب على بعده من أهل الخير؟- إذا بعد من أهل الخير أصبح نُهبة لأهل الشر وأهل الفساد ,وإذا بعد عنهم حُرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقرب بعده من حزب الرحمن وهذه الوحشة التي تكون بين اعبد وأهل الخير أهل الفضل وأهل الصلاح تُفضي به إلى أن تصله بحزب الشيطان ويكون منهم, ويصبح من جنود الشيطان -والعياذ بالله- ولهذا من الأضرار العظيمة للذنوب أنها توجد في قلب العاصي هذا الوحشة ولهذا لا يرغب في مجالس الخير, مجالس التعليم, مجالس للتذكير, مجالس الوعظ ,ما يرغب في شيء منها ولا تألفه نفسه, حتى إذا كان يستمع إلى المذياع إذا دوّر المذياع فجاءت موعظة أو ذكرى استوحشت نفسه ما تقبل وإذا جاء اللهو والباطل والحرام أقبلت نفسه على ذلك هذا كله من الأضرار التي تجرها المعاصي والذنوب على العبد .

قال رحمه الله : وَمِنْهَا: تَعْسِيرُ أُمُورِهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَتَوَجَّهُ لِأَمْرٍ إِلَّا يَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ أَوْ مُتَعَسِّرًا عَلَيْهِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ مَنْ تَلَقَّى اللَّهَ جَعَلَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، فَمَنْ عَطَّلَ التَّقْوَى جَعَلَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ عُسْرًا، وَيَا لَلَّهِ الْعَجَبُ! كَيْفَ يَجِدُ الْعَبْدُ أَبْوَابَ الْخَيْرِ وَالْمَصَالِحِ مَسْدُودَةً عَنْهُ وَطُرُقَهَا مُعَسَّرَةً عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ ؟

هذا أيضاً -من عواقب الذنوب- تعسر الأمور :كلما دخل في باب من الأبواب وجده مغلق, ويجد أموره متعسرة ,وماعلم أن هذا التعسر من عواقب ذنوبه , وآثامه وخطاياه ,وانظر إلى استدلال ابن القيم على هذا المعنى بقوله جل وعلا:" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا "هذا نظير استدلاله المتقدم على أن المعاصي مجلبة للفقر, استدل على ذلك بماذا؟ " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ") فاستدل بها على هذا المعنى قال: إذا كانت التقوى مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر وإذا كانت التقوى مجلبة للتيسير فتركها مجلبة للتعسير إذا كانت التقوى مجلة للتيسير" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا " والآيتان كلاهما في سورة الطلاق- فكذلك ترك التقوى مجلبة للتعسير- نعم

وَمِنْهَا: ظُلْمَةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ حَقِيقَةً يَحِسُّ بِهَا كَمَا يَحِسُّ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا ادْلَهَمَّ، فَتَصِيرُ ظُلْمَةُ الْمَعْصِيَةِ لِقَلْبِهِ كَالظُّلْمَةِ الْحِسِّيَّةِ لِبَصَرِهِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ نُورٌ، وَالْمَعْصِيَةَ ظُلْمَةٌ، وَكُلَّمَا قَوِيَتِ الظُّلْمَةُ ازْدَادَتْ حَيْرَتُهُ، حَتَّى يَقَعَ فِي الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ وَالْأُمُورِ الْمُهْلِكَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، كَأَعْمَى أُخْرِجَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَتَقْوَى هَذِهِ الظُّلْمَةُ حَتَّى تَظْهَرَ فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ تَقْوَى حَتَّى تَعْلُوَ الْوَجْهَ، وَتَصِيرُ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ حَتَّى يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ وَالْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ"

نعم -لعل هذه تؤجل.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ،اللهم آتِ نفوسنا تقواها زكها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها ،اللهم إنا نسأل الهدى والتقى والعفة والغنى ،اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ،اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ،

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اضغط على الرابط للاشتراك👇

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه وأجمعين أما بعد فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يبارك لنا أجمعين في شهرنا المبارك العظيم, وأن يهلّه علينا وعلى أمة الإسلام بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام, وأن يجعله عزاً لأمة محمد ﷺ , وأن يغنّمنا أجمعين خيرات هذا الشهر وبركاته العظيمة, وأن يعيننا فيه وفي كل وقت حين على ذكره وشكره وحسن عبادته, ونسأله جل في علاه أن يوفقنا لعمارة أوقات هذا الشهر العظيم لياليه وأيامه بطاعته وحسن التقرب إليه, وأن يجعلنا ممن يُحسن صيامه إيمانا واحتسابا وقيامه إيماناً واحتسابا, وأن يبلغنا ليلة القدر, وأن يغنّمنا ما فيها من عظيم الثواب والأجر بمنه وكرمه سبحانه وتعالى وقد قال نبينا ﷺ كما في الترمذي وغيره:" **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة**", إنه يا معاشر العباد شهر عظيم وموسم عظيم ووقت مبارك وهو خير الشهور, وأحبها إلى الله سبحانه وتعالى, فليحمد الله العبد المؤمن أن بلغه رمضان وهو في صحة وعافية وأمن وإيمان وليسأل ربه جل وعلا أن يعينه فيه على الطاعة والعبادة وحسن العمل ,فنسأل الله لنا أجمعين التوفيق والسداد والهداية والرشاد والمعونة على كل خير, إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء, وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فيقول الإمام العلامة أبو عبد الله ابن القيم رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين وجميع المسلمين في كتابه الداء والدواء في فصل آثار المعاصي القبيحة المذمومة المضرّة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة قال رحمه الله :

تابع فصل [فَصْلٌ مِنْ آثَارِ الْمَعَاصِي]

وَمِنْهَا: ظُلْمَةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ حَقِيقَةً يَحِسُّ بِهَا كَمَا يَحِسُّ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا ادْلَهَمَّ، فَتَصِيرُ ظُلْمَةُ الْمَعْصِيَةِ لِقَلْبِهِ كَالظُّلْمَةِ الْحِسِّيَّةِ لِبَصَرِهِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ نُورٌ، وَالْمَعْصِيَةَ ظُلْمَةٌ، وَكُلَّمَا قَوِيَتِ الظُّلْمَةُ ازْدَادَتْ حَيْرَتُهُ، حَتَّى يَقَعَ فِي الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ وَالْأُمُورِ الْمُهْلِكَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، كَأَعْمَى خَرَجَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَتَقْوَى هَذِهِ الظُّلْمَةُ حَتَّى تَظْهَرَ فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ تَقْوَى حَتَّى تَعْلُوَ الْوَجْهَ، وَتَصِيرُ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ حَتَّى يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ"

هذا من الآثار التي تترتب على المعاصي والذنوب ,أنّ من آثارها ترتب هذه الظلمة التي تظهر على العاصي, لأن طاعة الله سبحانه وتعالى نور وضياء, الصلاة نور وكل طاعة يُتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى هي نور لصاحبها وضياء له ,وعلى الضد من ذلك عصيان الله سبحانه وتعالى هذا ظلمة ,فكما أن طاعة الله نور فإن معصيته ظلمة, وهذه الظلمة تغشى العاصي , ويُظلِم حتى إن هذه الظلمة لتكسو وجهه, فيُظلِم وجهه بسبب المعاصي والذنوب التي يقترفها ,وهذه الظلمة التي تكون على وجهه هي من ظلمة قلبه, لأن القلب يُظلِم بالمعاصي وقد مر معنا في حديث نبينا عليه الصلاة والسلام إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء وإذا زاد زادت أي النُكَت السوداء على قلبه حتى تكسو قلبه وتغطيه فإذا غطت هذه النقط السوداء قلبه كان القلب مظلمًا وظلمته سببها المعاصي ثم تترحل هذه الظلمة وتنتقل إلى أن تصل إلى وجهه فيكون مظلمًا بسبب المعاصي, فهي ظلمة للقلب وظلمة للوجه وظلمة في الطريق, فهو يسير بلا هداية, ويتحرك بلا بصيرة, "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . "قال رحمه الله تعالى: فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره : أرأيتم الشخص الذي يُبصر عندما يطفئ المصباح في الليل المظلم ؟ كيف أنه لا يهتدي طريقه ؟ فمِثله من أظلم قلبه بالمعاصي فإنه يسير في الأرض حيران لا يهتدي إلى سبيل ولا يهتدي إلى طريق وإنما تستدرجه الشياطين وأهواء النفس المُظلِمة إلى أنواع من الهلكة يسير إليها في خطوات تلو خطوات يدعوه إليها الشيطان-والعياذ بالله -فالحاصل من أضرار المعاصي وعواقبها الوخيمة أنها: تسبب ظلمة يجدها العاصي في قلبه يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم. أورد رحمه الله أثرًا عظيم النفع عن ابن عباس رضي الله عنهما **في عواقب الحسنات وعواقب السيئات**, وآثار الحسنات وآثار السيئات قال رضي الله عنه: إن للحسنة ضياءا في الوجه ونورا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة سوادًا في الوجه -وهذا هو موضع الشاهد هنا- وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق- نعم.

قال رحمه الله: وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ:-

- أَمَّا وَهْنُهَا لِلْقَلْبِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ، بَلْ لَا تَزَالُ تُوهِنُهُ حَتَّى تُزِيلَ حَيَاتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

-وَأَمَّا وَهْنُهَا لِلْبَدَنِ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ قُوَّتُهُ مِنْ قَلْبِهِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ قَلْبُهُ قَوِيَ بَدَنُهُ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ - فَهُوَ أَضْعَفُ شَيْءٍ عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَتَخُونُهُ قُوَّتُهُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَفْسِهِ .وتَأَمَّلْ قُوَّةَ أَبْدَانِ فَارِسَ وَالرُّومِ، كَيْفَ خَانَتْهُمْ، أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا، وَقَهَرَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِقُوَّةِ أَبْدَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ؟

هذا أيضا من آثار المعاصي أنها تسبب الوهن للعاصي في قلبه وبدنه, تسبب الوهن أي الضعف في قلبه وبدنه, أما وهن القلب فما يقع فيه المرء من معاصي يمرض القلب لأن المعصية مرض والمرض ضعف ووهن, فيكون القلب بسبب المعاصي مريضاً ضعيفا, وكلما زادت المعاصي زاد هذا الوهن والضعف في قلبه إلى أن يصل كما قال المصنف بأن: تزيل حياته بالكلية: يعني لا تزال به المعاصي تضعفه ,تضعفه أي: تضعف حياته إلى أن تذهب حياته, وهذا معنى ما تقدم إن المعاصي بريد الكفر : فالمعاصي لا تزال تضعف القلب حتى تذهب عنه حياته, والمراد بالحياة حياة الإيمان التي هي الحياة الحقيقة ,وإضعافها للبدن لأن البدن تبع للقلب, ويوضح لنا ذلك قول نبينا عليه الصلاة والسلام :"ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب", فالقلب في تحركاته هو تبع للبدن فإذا كان القلب قويًا كان البدن تبعاً له في القوة وإذا كان ضعيفا كان البدن تبعاً له في الضعف – نعم.

قال رحمه الله وَمِنْهَا: حِرْمَانُ الطَّاعَةِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلذَّنْبِ عُقُوبَةٌ إِلَّا أَنْ يَصُدَّ عَنْ طَاعَةٍ تَكُونُ بَدَلَهُ، وَيَقْطَعَ طَرِيقَ طَاعَةٍ أُخْرَى، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ طَرِيقٌ ثَالِثَةٌ، ثُمَّ رَابِعَةٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَيَنْقَطِعُ عَنْهِ بِالذَّنْبِ طَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا كَرَجُلٍ أَكَلَ أَكْلَةً أَوْجَبَتْ لَهُ مِرْضَةً طَوِيلَةً مَنَعَتْهُ مِنْ عِدَّةِ أَكَلَاتٍ أَطْيَبَ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

هذا أيضا من الآثار التي تترتب على المعاصي: أن من آثارها السيئة أنها تحرم صاحبها من الطاعات , وليست تحرمه من طاعة واحدة ,بل تحرمه من طاعة تلو أخرى بحسب استغراقه في المعاصي, فإن المعاصي إذا أخذت من وقت المرء شغلته عن الطاعة التي خلق لأجلها, ووجد لتحقيقها ,حتى إن بعض الناس لم تشغله المعاصي عن أمور من الرغائد والمستحبات, بل شغلت بعض الناس المعاصي عن الفرائض والواجبات, ولهذا تجد في بعض الناس من يترك فريضة الله جل وعلا يُدعى إليها فيتركها لاشتغاله بمعصية, **وهذه مصيبة** عظيمة جدًا! تُعد من آثار المعاصي السيئة أنها تحرم صاحبها من طاعة الله سبحانه وتعالى ,ولهذا لا يزال العاصي ينهمك في المعصية وتستهوي قلبه, ثم تمر عليه أوقات الطاعات الفاضلة بل الفرائض المتحتمة ويتركها بسبب هذه المعاصي, إذاً هذا من الآثار السيئة للمعاصي :

أنها تحرمه من الطاعة بل من طاعات. **وانظر** إلى المثال العجيب الذي ضربه ابن القيم رحمه الله تعالى لتوضيح ذلك: **كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات طيبات** :هذا مثال يوضح لنا حال العاصي,العاصي تقع نفسه في معصية من المعاصي تستهويه فيقع فيها, ثم تحرمه من طاعات كثيرة هي خير من الدنيا وما فيها, فليتفكر المرء في هذا الأمر الذي نبّه عليه ابن القيم رحمه الله, فإنه سيراه واقعا في كثير من الناس كثير من الناس حُرموا من طاعات كثيرة بسبب المعاصي التي استهوتهم وشغلت أوقاتهم- نعم

قال رحمه الله وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعَاصِيَ تُقَصِّرُ الْعُمُرَ وَتَمْحَقُ بَرَكَتَهُ وَلَا بُدَّ، فَإِنَّ الْبِرَّ كَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، فَالْفُجُورُ يُقَصِّرُ الْعُمُرَ. وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ:-

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نُقْصَانُ عُمُرِ الْعَاصِي هُوَ ذَهَابُ بَرَكَةِ عُمُرِهِ وَمَحْقُهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ بَعْضُ تَأْثِيرِ الْمَعَاصِي.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلْ تُنْقِصُهُ حَقِيقَةً، كَمَا تُنْقِصُ الرِّزْقَ، فَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً تُكَثِّرُهُ وَتَزِيدُهُ، وَلِلْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ أَسْبَابًا تُكَثِّرُهُ وَتَزِيدُهُ.

قَالُوا : وَلَا يمْنَعُ زِيَادَةُ الْعُمُرِ بِأَسْبَابٍ كَمَا يُنْقَص بِأَسْبَابٍ، فَالْأَرْزَاقُ وَالْآجَالُ، وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ، وَالصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرُ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَضَاءِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ يَقْضِي مَا يَشَاءُ بِأَسْبَابٍ جَعَلَهَا مُوجِبَةً لِمُسَبَّبَاتِهَا مُقْتَضِيَةً لَهَا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: تَأْثِيرُ الْمَعَاصِي فِي مَحْقِ الْعُمُرِ إِنَّمَا هُوَ بِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ هِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَافِرَ مَيِّتًا غَيْرَ حَيٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى، {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ} [سُورَةُ النَّحْلِ: 21] .فَالْحَيَاةُ فِي الْحَقِيقَةِ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَعُمُرُ الْإِنْسَانِ مُدَّةُ حَيَّاتِهِ فَلَيْسَ عُمُرُهُ إِلَّا أَوْقَات حَيَاتِهِ بِاللَّهِ، فَتِلْكَ سَاعَاتُ عُمُرِهِ، فَالْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالطَّاعَةُ تَزِيدُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ عُمُرِهِ، وَلَا عُمرَ لَهُ سِوَاهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَجِدُ غِبَّ إِضَاعَتِهَا يَوْمَ يَقُولُ: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [سُورَةُ الْفَجْرِ: 24] .

فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ تَطَلُّعٌ إِلَى مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ أَوْ لَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَلُّعٌ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ ضَاعَ عَلَيْهِ عُمُرُهُ كُلُّهُ، وَذَهَبَتْ حَيَاتُهُ بَاطِلًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَلُّعٌ إِلَى ذَلِكَ طَالَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ بِسَبَبِ الْعَوَائِقِ، وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِهِ بِأَضْدَادِهَا، وَذَلِكَ نُقْصَانٌ حَقِيقِيٌّ مِنْ

عُمُرِه.وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ عُمْرَ الْإِنْسَانِ مُدَّةُ حَيَّاتِهِ وَلَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِإِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَالتَّنَعُّمِ بِحُبِّهِ وَذِكْرِهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ.

ذكر رحمه الله تعالى هذا الأثر **من آثار الذنوب وعواقبها الوخيمة**: أنها تقصر العمر وتمحق البركة فيه, وإذا كانت الطاعة سبباً في البركة في العمر والسعة في الرزق, والقوة في البدن, فالمعصية على الضد من ذلك , **وتأمل** في توضيح هذا المعنى الذي يقرره ابن القيم رحمه الله قول النبي عليه الصلاة والسلام:" **من أحب أن ينسأ له في أثره ويبسط له في رزقه فليصل رحمه**", هذه الطاعة الحبيبة إلى الله عز وجل صلة الرحم سبب لطول العمر , وسبب للسعة في الرزق ضدها إذاً ماذا يكون إذا كانت هي سبب لطول العمر والسعة في الرزق ؟- فضدها الذي هو القطيعة ماذا يكون ؟ " **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**" إذا كانت الطاعة تزيد العمر وتوجب البركة فيه والسعة في الرزق والقوة في البدن, والرخاء في العيش, والحياة الطيبة الكريمة, فإن المعصية على الضد من ذلك, انظر في هذا وهذا قول الله سبحانه وتعالى:" **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**", ضد ذلك قال:" **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾, المعاصي يترتب عليها محق البركة وحلول العقوبة وقصر العمر, والطاعة على الضد من ذلك يترتب عليها السعة في الرزق والبركة في العمر والحياة الطيبة الكريمة, قال ابن القيم رحمه الله: **اختلف الناس في هذا الموضع** يعني ما المعنى المراد في كون الطاعة سبب لطول العمر وكون المعصية سبب لقصر العمر ؟ ما معنى ذلك ؟!

فذكر أقوالا ثلاثة:-

طائفة: ذهبت إلى أن المعنى في نقصان العمر عمر العاصي هو ذهاب البركة- بركة عمره -ومحقها وأن عمره وإن امتد من حيث الزمان- من حيث المدة الزمانية- فهو عمر لا بركة فيه , عمر محقت بركته ولا شك أن كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن: **هذا من آثار الذنوب وعواقبها** محق البركة- محق البركة في العمر-

طائفة أخرى: قالت : بل تنقص العمر حقيقة كما تنقص الرزق قال: **فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسبابا كثيرة تكثره وتزيده** , أيضا بالمقابل المعصية كما هو الشأن في الطاعة, فإذا كان للمعصية الشؤم على العبد لأسباب كثيرة تزيد من الشؤم في حياته والوهاء والضعف والنقص إلى آخره.. من الآثار والعواقب السيئة, فإن الطاعة سبب للخيرات ,فجعل الله سبحانه وتعالى الطاعة سببا لكل خير

والمعصية سببا لكل بلاء, **ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة** فالمعاصي هي أسباب مثل ما قال الله:" مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ "مثل ما قال الله:" كُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ" -نعم

والقول الآخر أو الثالث : أن تأثير المعصية في محق العمر إنما هو بأن حقيقة الحياة حياة القلب, بعض أهل العلم حمل المعنى في زيادة العمر في المطيع نقصان العمر في العاصي أن الحياة الحقيقية هي حياة القلب, فالمدة التي يكون القلب فيها حياً هي عمره: لأنه حينئذ مشتغل بالحياة الحقيقة التي خلق لأجلها, وأوجد لتحقيقها فإذا اشتغل بالمعاصي- والعياذ بالله- خرج عن هذه الحياة ,فأصبحت حياته لا قيمة لها , ضاعت -لو كانت ستين سبعين ثمانين.. إذا كانت مشغولة بالمعاصي والذنوب لم يصبح لها قيمة لماذا ؟-لأن القيمة الحقيقية للحياة بحياة القلب بطاعة الرب سبحانه وتعالى - نعم, وإذا كانت حياة المرء الحقيقية إنما هي بطاعة الله فسبحان الله **انتبه لهذا** المعنى هذه الحياة الحقيقية لا ينتهي أثرها بموت العبد, بل بعد موته يبدأ ما يسميه بعض أهل العلم بالعمر الثاني - حياة ثانية بعد الموت - لا ينتهي بموته بل يبدأ بعد موته عمر آخر. فيكون وهو ميت في قبره لا تزال الأجور تتوالى عليه في قبره, وهو في قبره .وكم من أناس ماتوا من عشرات بل من مئات السنين ولا يزال كل يوم يكتب لهم ماذا ؟- أجور . مثل ما قال الله سبحانه وتعالى في سورة يس" إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ", آثارهم هذه: بعد موت الإنسان من آثار أعماله الصالحة ,يُكتب له ,لو نظرت الآن في أئمة العلم ودعاة الحق ممن ماتوا من مئات السنوات والناس لا يزالون يتفقهون على علومهم ومؤلفاتهم وتحقيقاتهم, هذا كله أجور مستمرة لهؤلاء, ولهذا كم من أناس **هم في القبور** ولا تزال الأجور تتوالى عليهم كل يوم ! وكم من أناس يمشون على الأرض أحياء , يتحركون عليها بصحة وعافية, يأكلون ويشربون ويمر الأيام ولا تكتب لهم أجور بل تكتب آثام وأوزار, فانظر الفرق بين الحياتين **حياة** هذا الذي في قبره الذي هو العمر الثاني- الحياة الثانية- وبين هذه الحياة التي ...وهذا يوضح المعنى الذي ذكره ابن القيم رحمه الله هذا الذي يمشي على الأرض بالمعاصي والآثام أيّ حياة هذه ؟! حتى وإن كان في تمام الصحة والرزق الطعام والقوة إلى غير ذلك ؟! أيّ حياة هذه إذا كان يمشي على قدمين تمر الأيام والليالي والشهور لا تكتب له أجور بل يكتب عليه أوزار ؟! — نعم.

قال رحمه الله [**فَصْلٌ تَوَالُدُ الْمَعَاصِي**]

وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ تَزْرَعُ أَمْثَالَهَا، وَتُولِدُ بَعْضَهَا بَعْضًا، حَتَّى يَعِزَّ عَلَى الْعَبْدِ مُفَارَقَتُهَا وَالْخُرُوجُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا، فَالْعَبْدُ

إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً قَالَتْ أُخْرَى إِلَى جَنْبِهَا: اعْمَلْنِي أَيْضًا، فَإِذَا عَمِلَهَا، قَالَتِ الثَّالِثَةُ كَذَلِكَ وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَضَاعَفُ الرِّبْحُ، وَتَزَايَدَتِ الْحَسَنَاتُ.

وَكَذَلِكَ كَانَتِ السَّيِّئَاتُ أَيْضًا، حَتَّى تَصِيرَ الطَّاعَاتُ وَالْمَعَاصِي هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً، وَصِفَاتٍ لَازِمَةً، وَمَلَكَاتٍ ثَابِتَةً، فَلَوْ عَطَّلَ الْمُحْسِنُ الطَّاعَةَ لَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَأَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ، حَتَّى يُعَاوِدَهَا، فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ، وَتَقَرَّ عَيْنُهُ.

وَلَوْ عَطَّلَ الْمُجْرِمُ الْمَعْصِيَةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ لَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَضَاقَ صَدْرُهُ، وَأَعْيَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ، حَتَّى يُعَاوِدَهَا، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُسَّاقِ لَيُوَاقِعُ الْمَعْصِيَةَ مِنْ غَيْرِ لَذَّةٍ يَجِدُهَا، وَلَا دَاعِيَةٍ إِلَيْهَا، إِلَّا بِمَا يَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ بِمُفَارَقَتِهَا.

كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ شَيْخُ الْقَوْمِ الْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وَقَالَ آخَرُ:

فَكَانَتْ دَوَائِي وَهْيَ دَائِي بِعَيْنِهِ ... كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ

وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ وَيَأْلَفُهَا وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا، وَتُزْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا.

وَلَا يَزَالُ يَأْلَفُ الْمَعَاصِيَ وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا.

فَالْأَوَّلُ قَوِيّ جُنْدَ الطَّاعَةِ بِالْمَدَدِ، فَكَانُوا مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ، وَهَذَا قَوِيّ جُنْدَ الْمَعْصِيَةِ بِالْمَدَدِ فَكَانُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ.

ثم ذكر رحمه الله في هذا الفصل أثر آخر من آثار المعاصي, وجدير بكل مسلم أن يتأمل وأن يتأمل وأن يزيد التأمل في مثل هذا الكلام العظيم فإنه نافع غاية النفع لأن فيه إيقاظ للقلوب وتجلية لمعاني مهمة يحتاج فعلا العبد أن يوقف عليه, وأن ينبه عليها, فيقول رحمه الله أن:المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا مثل الطاعات -الطاعات تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا -وإذا وقع المرء في المعصية نادته أختها- أخت المعصية- نادته ليقع فيها ,ونادته الثالثة والرابعة إلى أن يجد نفسه ماضيا في المعاصي في خطوات, وقل مثل ذلك في الطاعة, أرأيتم العبد إذا خرج متطهرا من بيته متجهاً إلى بيت الله للصلاة

مقصده الصلاة يؤدي فرض الله, كم هي السنن العظيمة التي يوفَّق لها في اتجاهه إلى صلاته؟ ,كم من الخيرات والطاعات التي تتيسر له في إتيانه بيوت الله سبحانه وتعالى؟, كم من أبواب البر؟! ولهذا شُرع لنا إذا دخلنا باب المسجد أن نقول ماذا ,افتح لي أبواب رحمتك ,لأن هذا مدخل- مدخل عظيم- يدخل منه العبد إلى نيل الرحمات والعطايا العظيمة والهبات فالطاعة تولد أخرى وتدعو إلى أخرى والمعصية مثل ذلك قال: إن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعضا حتى يعز على العبد يعني يصعب على العبد مفارقتها والخروج منها, كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها, السيئة لها عقوبة وهي أنها تجر إلى سيئة أخرى والأخرى إلى أخرى, والحسنة لها ثواب وهي أنها تجر إلى أخرى والأخرى إلى أخرى وهكذا ولهذا يحتاج العبد أن يصبر نفسه على وضع قدمه في خُطا ماذا؟- نعم الطاعات, يصبر نفسه يضع قدمه في خُطا الطاعات وتبدأ الطاعات تدعوه هذه إلى تلك إلى تلك وهكذا ,يجد نفسه ماضياً وليحذر من ماذا؟- من أن يضع قدمه في خطا المعاصي لأنه إن وضع قدمه في خطا المعاصي جرته إلى معاصي أخرى,

بعض السلف -وأظنه الإمام أحمد- ضرب لهذا مثلا عجيبا: أرأيتم الشخص إذا كان عليه ثوب حُلة نظيفة بيضاء جميلة ووصل إلى مكان فيه طين ويريد أن يمر هل ترون أنه مباشرة يخوض في الطين يدخل بالحلة البيضاء في الطين؟ أم تجده ينظر في خطواته, يبحث عن أماكن جافة ؟هذا حجر وهذه خشبة و..يضع عليها خطواته حتى لا يصيب حلته شيء يسير إذا استمر في خطواته في هذا الطريق الذي فيه الوحل, ثم أصابه في طرف ثوبه نقطة بسيطة من الوحل ثم أصابته أخرى ثم أصابته ثالثة يصل إلى مرحلة ماذا؟- يدخل مباشرة يخوض في الطين ,وهذا واقع المعاصي تجد المرء في البداية متحفظ متوقي ومتردد ويفعل أو لا يفعل ثم يفعل واحدة ثم أخرى مثلها ثم ثالثة ثم يخوض في المعاصي ولا يبالي -والعياذ بالله- يخوض في المعاصي, هذا الذي هو تولد المعاصي بعضها من بعض لا يستهين بالمعصية وأن يضع قدمه في خطاها لا يستهين بذلك, لأن هذا طريق هلكة طريق شر -يجب أن يمنع نفسه, والطاعة عليه أن يصبر نفسه على طريقها ويضع قدمه فيها, فالطاعة تدعو إلى أختها والمعصية تدعو إلى أختها, قال: فالعبد إذا عمل حسنة قالت أخرى إلى جنبها اعملني أيضا, قالت أخرى: يعني طاعة أخرى اعملني أيضا فإذا عملها قالت الثالثة كذلك يعني أن الحسنة تدعو إلى الحسنة وتنادي إليها ,قال: فالعبد إذا همل حسنة قالت أخرى إلى جنبها اعملني أيضا فإذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرا فتضاعف الربح وتزايدت الحسنات, هذا الذي ذكره ابن القيم له شاهد جميل جدا في القرآن في قول الله سبحانه وتعالى: وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا "ﱠ واقرؤوا كلام ابن سعدي عن هذه الآية- كلام جميل جدا- نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا : من يقترف حسنة نزد له فيها حسنى لأن الحسنة تجلب الحسنة " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ"," هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "بالمقابل أيضا يقول الله سبحانه وتعالى: " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ", قال وكذلك جانب السيئات أيضا حتى تصير الطاعات والمعاصي هيئات راسخة ,هذه في جانب الطاعة أمر عظيم وفي جانب المعصية مشكلة والله عويصة جدا إذا كانت المعصية هيئة راسخة للعبد- هذه والله مصيبة مصيبة عظيمة جدا -لكن متى يصل المرء إلى أن تصبح المعصية هيئة راسخة فيه؟ متى يصل إليها يبدأ في الخطوات التي أشرنا إليها سابقاً في المعاصي إلى أن تصبح المعصية هيئة راسخة فيه؟ والآخر الموفَّق من عباد الله الذي وضع خطواته في الطاعات يمضي فيها إلى أن تصبح الطاعة هيئة راسخة فيه وصفة لازمة ماذا يترتب على هذا وهذا؟ **انتبه الكلام عظيم جدا** يقول: **فلو عطّل المحسن الطاعة التي أصبح الطاعة هيئة راسخة فيه وصفة لازمة وملكة ثابتة**- لو عطل المحسن الطاعة- **لضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأحس من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء حتى يعاودها أي حتى يعاود الطاعة فترجع إليه حياته وراحته وأنسه وطمأنينته** **بالمقابل** العاصي الذي أصبحت المعصية ملَكة له وهيئة ثابتة, **لو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه حتى يعاودها** :أي حتى يرجع للمعصية ,**لكن الواجب عليه أن يصبر على المرارة**: هذه التي يتحدث عنها ابن القيم ويجاهد نفسه إلى أن تتحول الملكة التي عنده من تلك السيئة إلى الملكة الحسنة في طاعة الله سبحانه وتعالى, **يصبر نفسه**: يجاهد نفسه- يتحمل المرارة التي يجدها في أول مرة- حتى يصبح طريقا حلوا لا ألذ منه ولا أطيب ,قال حتى إن كثيرا من الفساق -سبحان الله العظيم- **انتبه ماذا يقول**-**حتى إن كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها**, لماذا, لماذا يواقع المعصية من غير لذة؟- لأنها أصبحت ملكة له-,ما يتركها, فيفعلها من غير لذة, لأنها أصبحت ملكة له سيطرت عليه من غير لذة يجدها ولا داعية إليها, إلا لما يجد من ألم مفارقتها, كما صرح بذلك شيخ القوم في الزاد, نقل هذا البيت قال كما صرح بذلك شيخ السوء حيث يقول:

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها,

وهل يتداوى من المعصية بالمعصية؟ هل المعصية تداوي؟,فهو يداوي نفسه من ألم المعصية بالمعصية ولا يزال -والعياذ بالله- يهلك نفسه , فالكأس الأولى شربها لذة والكأس الأخرى للتداوي من الألم الذي يجده في المفارقة, لأنها أصبحت ملكة له ,قال رحمه الله: **ولا يزال العبد يعاني الطاعة** يعني يعالج نفسه ويصبر نفسه, **يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تؤزه إليها أزا وتحرضه عليها وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها ولا يزال الآخر يألف المعاصي**

ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه إليها أزا, فالأول قوى جند الطاعة بالمدد فصاروا من أكبر أعوانه وهذا قوى جند المعصية بالمدد فكانوا أعوانا عليه ,نعم.

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ تُضْعِفُ إِرَادَةَ الْخَيْرِ]

وَمِنْهَا: - وَهُوَ مِنْ أَخْوَفِهَا عَلَى الْعَبْدِ - أَنَّهَا تُضْعِفُ الْقَلْبَ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَتُقَوِّي إِرَادَةَ الْمَعْصِيَةِ، وَتُضْعِفُ إِرَادَةَ التَّوْبَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا، إِلَى أَنْ تَنْسَلِخَ مِنْ قَلْبِهِ إِرَادَةُ التَّوْبَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَوْ مَاتَ نِصْفُهُ لَمَا تَابَ إِلَى اللَّهِ، فَيَأْتِي بِالِاسْتِغْفَارِ وَتَوْبَةِ الْكَذَّابِينَ بِاللِّسَانِ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، وَقَلْبُهُ مَعْقُودٌ بِالْمَعْصِيَةِ، مُصِرٌّ عَلَيْهَا، عَازِمٌ عَلَى مُوَاقَعَتِهَا مَتَى أَمْكَنَهُ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْرَاضِ وَأَقْرَبِهَا إِلَى الْهَلَاكِ

هذا أيضا من الأخطار العظيمة التي تترتب على المعاصي ,يقول رحمه الله: **وهو أخوفها على العبد** يعني أن هذا **من العقوبات الخطيرة التي تترتب على العبد** :أنها تضعف القلب عن إرادته, فتقوي إرادة المعصية, وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا بمعنى أن: المرء كلما جنحت نفسه -والعياذ بالله- للمعصية وأتبعها بأخرى وتقدم في خطوة ثالثة في طريق المعصية وهكذا سار في الطريق أثرت هذه المعاصي على قلبه, ضعف إرادته, كان قبل ذلك عنده إرادة قوية فتضعف بسبب هذه المعاصي, الإرادة: إرادة الخير التي في قلبه ومن ذلك إرادة التوبة, قبل أن يقع في المعصية تكون نفسه كارهة , يدخل المعصية ونفسه متخوفة منها, فإذا دخل وانتقل إلى أخرى. وإلى ثالثة هذا الذي كان يجده في قلبه ماذا يحدث له؟- يضعف إلى أن يتبلد تماما, يقولون في الأمثال كثرة الإمساس تذهب ماذا؟ الإحساس, يوضح لنا ذلك أكثر" المثل الذي جاء في السنّة" قال عليه الصلاة والسلام :**إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبة الصراط سوران وفي السورين أبواب مفتحة وعلى الأبواب المفتحة ستور مرخاة وداع يدعو من أول الصراط :يا عباد الله ادخلوا الصراط ولا تعوجو, وداع يدعو من جوف الصراط**- وهذا وجه الشاهد – **يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلج**, قال: **أما الصراط**: فهو الإسلام ,**وأما السوران**: فحدود الله, **وأما الأبواب التي عليها ستور مرخاة** :فمحارم الله, **وأما الداع الذي يدعو من أول الصراط**: فكتاب الله **,وأما الداعي الذي يدعو من جوف الصراط**: فواعظ الله في قلب كل مسلم, هذا الواعظ إذا أراد العبد أن يدخل في المعصية أو يفتح بابا من أبواب المعاصي يجد في قلبه وخزاً - ألماً- ضيقة- عدم رغبة- عدم انشراح صدر- ولهذا إذا دعاه أهل المعاصي إلى معاصيهم يجد أنه ليس مرتاحا ,فإن غُلب غلبه أهل الشر أو غلبته النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان -والعياذ بالله- فدخل في طريق

المعصية وامتد سيره فيها الواعظ الذي كان يجده أولاً قبل الدخول ماذا يحصل له؟ يبقى على قوته؟ - لا والله مادام أنه سار في الطريق وامتد سيره فيه يضعف هذا الواعظ, ولهذا ابن القيم يقول: **وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا, ويضعف هذا الواعظ الذي في قلبه شيئًا فشيئًا إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة** والعياذ بالله **إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة**: يعني في خطواته في طريق المعصية, قد يمر بمراحل ونفسه تحدثه بالتوبة, فإذا امتد سيره في المعاصي يصل إلى مرحلة إلى أن ينسلخ فلا يفكر في التوبة أصلا, **إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية فلو مات نصفه لما تاب إلى الله**: من تمكن- والعياذ بالله- وتغلغل المعصية من قلبه- نعم.

قال رحمه الله [**فَصْلٌ إِلْفُ الْمَعْصِيَةِ**]

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَنْسَلِخُ مِنَ الْقَلْبِ اسْتِقْبَاحُهَا، فَتَصِيرُ لَهُ عَادَةً، فَلَا يَسْتَقْبِحُ مِنْ نَفْسِهِ رُؤْيَةَ النَّاسِ لَهُ، وَلَا كَلَامَهُمْ فِيهِ.

وَهَذَا عِنْدَ أَرْبَابِ الْفُسُوقِ هُوَ غَايَةُ التَّهَتُّكِ وَتَمَامُ اللَّذَّةِ، حَتَّى يَفْتَخِرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيُحَدِّثَ بِهَا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ عَمِلَهَا، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا.

وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ لَا يُعَافَوْنَ، وَيُسَدُّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ التَّوْبَةِ، وَتُغْلَقُ عَنْهُمْ أَبْوَابُهَا فِي الْغَالِبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم : «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرُونَ، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَسْتُرَ اللَّهُ الْعَبْدَ ثُمَّ يُصْبِحُ يَفْضَحُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيهَتِكُ نَفْسَهُ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ» .

قال رحمه الله : **ومنها أن ينسلخ من القلب استقباحها**, استقباحها أي :المعصية أن يراها قبيحة, كثير من العصاة في أول الأمر في طريقه وفي خطواته في المعاصي يراها قبيحة, لكن تغلبه الأمارة بالسوء ويغلبه قرناء الشر والفساد, فيفعل القبيح, وهو يُدرك قبح ما يفعل, يدرك أنه قبيح يعلم أنه قبيح ويفعله, لكن غلبته نفسه ,غلبه دعاة الشر قرناء الفساد, هذا الاستقباح للمعصية إذا امتد سيره في المعصية هل يبقى؟ - لا يبقى يصل إلى مرحلة ينسلخ من القلب استقباح المعصية , فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له , المجاهرون بالمعاصي هذه المجاهرة التي وصلوا إليها وهي غاية في السوء هل كانوا كذلك ابتداءًا؟ -كانوا في مرحلة من مراحل حياتهم يستترون بالمعاصي ,ويرون أنها قبيحة, حتى إن نفوسهم كارهة لها لكن غُلبوا عليها ,لكن امتد سيرهم وواصلوا السير في طريق المعاصي إلى أن أصبحوا مجاهرون, لعل أحدكم يذكرنا بكلام مر معنا أحد السلف سُئل عن بني إسرائيل: هل وصلوا إلى الهلاك في ليلة واحدة؟ قال لا

كانوا إذا أمرهم الأنبياء لا يأتمرون .وإذا نهوهم لم ينتهوا, أصبحوا هكذا في خطوات في المعاصي إلى أن أصبحوا إلى هذا المآل, فالمجاهرون ما كانوا من بداية أمرهم هكذا أبداً أيضاً, قل مثل ذلك كبار المجرمين في أشد ما يكونون في الإجرام ما كانوا كبار من أول الأمر في الإجرام, ولكن خطوات ..,, " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ "فمن عقوبة المعصية إذا سار الإنسان فيها أنه ربما يصل به الحال -والعياذ بالله- إلى أن ينسلخ من قلبه استقباح المعاصي ,إذا انسلخ من قلبه استقباح المعاصي يصل إلى مرحلة ماذا ؟ -المجاهرة بها, لأنها ليست قبيحة لا يراها قبيحة فيجاهر بها, الآخرون يستترون بالمعاصي وهو يهتك هذا الستر عن نفسه. ويقول لقرنائه وأصحابه: فعلت وفعلت- وفعلت لأمور هي قبيحة- ولكنه ما أصبح يراها قبيحة, هذه المرحلة التي وصل إليها **تُعَد من عقوبات الذنوب** وعواقب الذنوب الوخيمة: أنها قد تفضي بالإنسان إلى هذه المرحلة الشنيعة أنه ينسلخ من قلبه استقباح الذنوب إلى أن يصل-والعياذ بالله- إلى درجة المجاهرة, المجاهرة ماذا يترتب عليها ? (**كل أمتي معافى إلا المجاهرون**) ,نعم

الآن في الأجهزة الحديثة مثلا في المجاهرة .بعض الناس فعلا وصل إلى هذه المرحلة وأصبح يهتك ستر الله عليه بتصوير نفسه في قبائح شنيعة جداً ثم يبعثها مرسلة في الجوال يراها كثير من الناس , وتبقى ثابتة , هذا كله من عواقب المعاصي, هل هؤلاء الذين يفعلون مثل هذه المجاهرات بالمعاصي -يصورون أنفسهم في أشياء شنيعة جدا وأمور قبيحة لا تليق - هل كانوا هكذا من أول الأمر? -لا وضعوا أقدامهم في المعاصي خطوة تلو الأخرى إلى أن حصل هذا الانسلاخ للقلب, فأصبح لا يستقبح المعصية, إذا أصبح لا يستقبحها, يصل إلى درجة المفاخرة فيها, وتُعجب نفسه بها فيهتك ستر الله سبحانه تعالى قال: **وإن من الإجهار أن يستر الله العبد ثم يصبح يفضح نفسه ويقول يا فلان عملت يوم كذا كذا وكذا وفعلت كذا وكذا**,في زماننا هذا ما أصبح يحتاج أن يقول ماذا? عملت ما يحتاج الآن في زماننا يصور نفسه -والعياذ بالله- مايحتاج يقول للناس, ولا يحتاج أنه يقابل فلان ثم فلان ثم فلان مشوار طويل,يضغط زر واحد في لحظة واحدة وتذهب للعالمين ,يهتك ستره على الملأ ,على العالمين كلهم ,ولهذا يحتاج فعلا أن يُنتبَه إلى أن الجوال يُعد شؤم على كثير من الناس إلا من رحم الله وعافاه الله, ولهذا يا صاحب الجوال قل: يارب سلم سلم قل يارب سلم سلم, وصلى الله وسلم على رسول الله..

اضغط على الرابط للاشتراك👇

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين..أما بعد,

فيقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله وغفر له - ولشيخنا والمسلمين، في كتابه "الداء والدواء "قال : وَمِنْهَا أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي فَهِيَ مِيرَاثٌ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فَاللُّوطِيَّةُ: مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ.

وَأَخْذُ الْحَقِّ بِالزَّائِدِ وَدَفْعُهُ بِالنَّاقِصِ، مِيرَاثٌ منْ قَوْمِ شُعَيْبٍ.

وَالْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ هُودٍ.

فَالْعَاصِي لَابِسٌ ثِيَابَ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَمِ، وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَحْمَدَ رحمه الله فِي كِتَابِهِ الزُّهْدِ لِأَبِيهِ عَنْ مَالِكِ ابْنِ دِينَارٍ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ: لَا تَدْخُلُوا مَدَاخِلَ أَعْدَائِي، وَلَا تَلْبَسُوا مَلَابِسَ أَعْدَائِي وَلَا تَرْكَبُوا مَرَاكِبَ أَعْدَائِي، وَلَا تَطْعَمُوا مَطَاعِمَ أَعْدَائِي، فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه -وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم إنّا نسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً وعملاً متقبلا..أما بعد, فهذا أثر من آثار الذنوب ، وعاقبة من عواقب الذنوب ، **أنها تجعل المذنب متشبّهاً بأمة من الأمم الكافرة**، التي حلّت بها عقوبة الله ، ومقته ، و سخطه ، وغضبه -جل في علاه -والعاصي في عصيانه لله - عز وجل- وارث من تلك الأمم نصيباً من أفعالهم المشينة، التي كانت موجباً لسخط الله - سبحانه وتعالى- عليهم ، كما أن المطيع وارث في طاعته لأنبياء الله ، قال -عليه الصلاة والسلام-" إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ،وإنّما ورثوا

العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر "، أي من ميراث الأنبياء والعاصي لله - سبحانه وتعالى - وارث للأمم ، الأمم التي سخِط الله عليها لفعائلها الشنيعة ، و آثامها ، وفِعلهم لما يسخط الله -سبحانه وتعالى -فمن آثارِ الذنوب ، وعواقبها الوخيمة ، أن المذنب متشبّه بأولئك ، أو بتلك الأمم في بعض أفعالهم ، ووارث لهم بعض صفاتهم ، وخِصالهم ، التي أوجبت سخط الله -جل وعلا -، فعلى سبيل المثال من يعمل عمل قوم لوط ، إتيان الذُكران من العالمين ، هو وارث لقوم لوط ، الذين ذكرهم الله - سبحانه وتعالى- في مواطن من القرآن واصفًا لهم بالضلال والإسراف والجهل وغير ذلك من الأوصاف . وأحلّ بهم جل وعلا عقوبته وسخطه . **وأخذ الحق بالزائد ودفعه بالنقصان ، ميراث عن قوم شعيب** .(وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) فكانوا (إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) فيبخسون الناس حقهم .فمن كان يتعامل في بيعه وشرائه بهذه الطريقة ، يتعامل في كيله ووزنه بهذه الطريقة ، فهذا العمل الذي يعمله هو ميراث ، ورثه عن تلك الأمة التي غضِب الله سبحانه وتعالى عليها .

كذلك من كان صاحب كِبر وعلوٍ في الأرض ، وتعالٍ على عباد الله فإن فيه شبهاً من فرعون وقومه (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ) فيكون فيه شبه من فرعون وقومه ومن كان على شاكلته من أهل العلو والتكبّر في الأرض . **والتكبر والتجبر ميراث عن قوم هود** ، فالعاصي لابس ثياب بعض هذه الأمم وهم أعداء الله .وأورد رحمه الله هذا الخبر من أخبار بني إسرائيل أن الله أوحى إلى نبي من أنبيائهم " **أنْ قل لقومك لا يدخلوا مداخل أعدائي ولا يلبسوا ملابس أعدائي ، ولا يركبوا مراكب أعدائي** ."

المقصد ألاّ يتشبّهوا بأعداء الله في خصائصهم وصفاتهم سواء في لباسهم أو في طريقة أكلهم أو في طريقة دخولهم وخروجهم ونحو ذلك .لا يتشبّهوا بهم فيما هو من خصائصهم .قال : فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي .

المعنى الذي جاء في هذا الخبر هو بمعنى ما جاء في الحديث الصحيح الذي ساقه المصنف رحمه الله بعده وهو قول نبينا ﷺ :"من تشبه بقوم فهو منهم ."

من تشبه بهم في خصائصهم سواء في دخولهم أو خروجهم أو أكلهم أو شربهم أو لباسهم أو نحو ذلك في الأمور التي هي من خصائصهم فهو منهم . **فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي** ، أي فهو منهم كما جاء في الحديث عن نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام .نعم

وقال رحمه الله :فصلٌ : [فَصلٌ هَوَانُ الْعَاصِي عَلَى رَبِّهِ], [فَصلٌ إِلْفُ الْمَعْصِيَةِ]

إِلْفُ الْمَعْصِيَةِ وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ سَبَبٌ لِهَوَانِ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ، وَإِذَا هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ لَمْ يُكْرِمْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 18] وَإِنْ عَظَّمَهُمُ النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِمْ، فَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ أَحْقَرُ شَيْءٍ وَأَهْوَنُهُ

نعم .هذا أيضًا من عواقب الذنوب ، أن المعصية سبب لهوان العبد على الله ،كما أن الطاعة سبب لعلو مكانة الشخص ورفعته ، ورفعة منزلته عند الله سبحانه وتعالى .المعصية سبب لهوان العبد على الله ، وإذا هان العبد على الله سبحانه وتعالى هلك (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ) أي لا يجد من يُكرمه. فهذا أثر من آثار الذنوب أنها توجب هوان العبد على الله سبحانه وتعالى.

قال: وإن عظّمهم الناس: يعني بعض أهل المعاصي قد يكون معظّمين عند بعض الناس لا لمكانة لهم في قلوب الناس وإنما لحاجات أخرى قد يكرمه لحاجة عنده ,وقلبه يبغضه قد يكرمه خوفاً منه, وخوفا من بطشه وأذاه, ونحو ذلك لكن المعصية سبب لهوان العبد .نعم

قال وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَرْتَكِبُ الذَّنْبَ حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ وَيَصْغُرَ فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ عَلَامَةُ الْهَلَاكِ، فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا صَغُرَ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهَا فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ.

أيضا هذا **من الآثار التي تترتب على الذنوب**: أن إرتكاب العبد للذنب واستمراءه له واستمراره في فعله **يوجب هوان الذنب** عنده لأن المرء أول ما يُذنب أول ما يبدأ يقع في الذنب يُحس بكبره وعظمه, يحس بذلك إذا استمر في الذنب, يصغُر هذا الكبر للذنب في عينه ويهون عنده حتى يصل إلى مرحلة يفقِد هذا الإحساس, بل والعياذ بالله ربما وصل إلى مرحلة يتفاخر فيها بفعله لذلك الذنب, فهو في أول الأمر يحسه كبيراً ثقيلاً, ثم إذا استمر فيه ضعُف هذا الإحساس في قلبه إلى أن يذهب هذا الإحساس عنه تماما, إلى أن يصل إلى عد هذا الذنب مفخرة من المفاخر فيجاهر بها ,قد مر معنا قول نبينا عليه الصلاة والسلام:" كل أمتي معافى إلا المجاهرون" قال وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن مسعود أنه قال:" إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه"

الجبل ليس بالهين إذا كان الإنسان في حافة جبل أو طرفه وهو خائفاً يسقط عليه هذا الجبل أو في أصل الجبل وخائف أن يسقط عليه هذا الجبل- ليس جبل- لو كان فوق الإنسان صخرة ثقيلة وليست ممسكة بشيء ثابت وهو تحتها كيف يكون خوفه؟ كيف لو كانت جبلاً كبيرا؟ فالمسلم يحس أن ذنبه أو ذنوبه كأنه تحت أصل جبل خائف أن يسقط عليه الجبل, قال: **والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا** : يعني هش الذباب عن أنفه يعني لا يراه شيئاً, لا يرى ذنبه شيء, كأنه ذباب وقع على أنفه فقال هكذا: فرق بين هذا وذاك فرق بين من يحس أن الذنب عظيما وبين من يراه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار لكن السؤال هنا هذا الذي يُحس أن ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال **به هكذا فطار** ، هل كان بهذه الصفة من بدء الأمر من بداية الأمر ؟ لا والله كان في بداية الأمر الذنب كبير عنده و عظيم جدًّا ثم تمادى في الذّنب وتمادى وتمادى إلى أن وصل إلى هذه المرحلة لا يراه شيئاً ، فإذاً هذا من خطورة المعاصي ، من خطورة المعاصي أنّ العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه و يصغر في عينه . نعم

[فَصْلٌ شُؤْمُ الذُّنُوبِ]

قال رحمه الله **وَمِنْهَا**: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ يَعُودُ عَلَيْهِ شُؤْمُ ذَنْوبه. فَيَحْتَرِقُ هُوَ وَغَيْرُهُ بِشُؤْمِ الذُّنُوبِ وَالظُّلْمِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : إِنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتَ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: إِنَّ الْبَهَائِمَ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ. وَأَمْسكَ الْمَطَرُ، وَتَقُولُ: هَذَا بِشُؤْمِ مَعْصِيَةِ بني آدَمَ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: دَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا حَتَّى الْخَنَافِسُ وَالْعَقَارِبُ، يَقُولُونَ: مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ.فَلَا يَكْفِيهِ عِقَابُ ذَنْبِهِ، حَتَّى يبوء بلَعَنَة مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

*هذا أيضا أثر **من آثار الذنوب وعواقبها** الوخيمة أنّ الذنب يعود شؤمه على المذنب وعلى غيره حتى إنّ شؤم ذنبه ليطال الدّواب والبهائم والطيور ، قال الله سبحانه وتعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } ، ولهذا يروى في الآثار منها هذه الآثار التي نقل الامام ابن القيّم رحمه الله تعالى: أنّ الدّواب و الطيور و البهائم وغيرها تتأذّى من معاصي ابن آدم وتقول : منعنا القطر مُنعنا المطر بسبب معاصي بني آدم ، فالمعاصي لها شؤم و شؤمها قد يطال وينال الحشرات والدّواب والبهائم ، ولهذا بعض أهل العلم قالوا في قول النبي عليه الصلاة و السّلام :

{ وإنّ العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء) لأنّ نفع العالم يصل إليها بكفّه النّاس, وردعهم عن الذنوب ونهيهم عن المعاصي فيصلح النّاس وصلاح النّاس سبب للخيرات فيستغفر له كل شيء ، لأنّه الصلاح الذي يترتّب عليه يصل إليهم ، فهذا المعنى ذكره بعض أهل العلم في معنى هذا الحديث ،فإذا كان العاصي أي يترتّب على عصيانه هذا الأذى الذي ينال هذه البهائم والطيور وغيرها فإنّ المصلحين في النّاس يترتّب على أيديهم من الخير ما يصل إلى هذه الدّواب والبهائم والطيور .نعم

[فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ تُورِثُ الذُّلَّ]

قال رحمه الله وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [سُورَةُ فَاطِرٍ: 10] أَيْ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَته.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

ثم ذكر رحمه الله تعالى: أن من عواقب الذنوب وأضرارها الوخيمة أنها تورث الذُل، إذا كانت الطاعة عزٌ للمطيع ورفعه فإن المعصية ذلٌ له وهوان والعز في طاعة الله ,مثل ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام ,فالإسلام والطاعة لله سبحانه وتعالى هذا عزٌ للعبد ورفعه والمعصية ذلٌ وهوان ،فمن أراد العزة لله فليطلبها بطاعته ، فليطلبها بطاعة الله سبحانه وتعالى، قال الحسن: إنهم -أي العصاة- ، إنهم وإن طقطقت بهم البغال ، وهملجت بهم البراذين -نوع من الخيل-، إن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ، يعني حتى وإن كانت عندهم مركوبات جميلة حسنة طيبة فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاة ، نعم.

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُفْسِدُ الْعَقْلَ]

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعَاصِيَ تُفْسِدُ الْعَقْلَ، فَإِنَّ لِلْعَقْلِ نُورًا، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ وَلَا بُدَّ، وَإِذَا طُفِئَ نُورُهُ ضَعُفَ وَنَقَصَ.

، منها أن المعاصي تفسد العقل سبب لفساد العقل ، الطاعة تضيء العقل وتكسوه نورًا فيحسن المرء في استعمال عقله تفكرا وتأملا ونظرا في العواقب والمآلات وغير ذلك ، فإذا غشى الذنوب وارتكبها أطفأت هذا الذي في عقله، وأضرت بعقله وأصبح يتحرك مسلوبًا هذا النور والضياء الذي كان في عقله بسبب شؤم المعاصي والذنوب ،نعم ،

قال رحمه الله : وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا عَصَى اللَّهَ أَحَدٌ حَتَّى يَغِيبَ عَقْلُهُ، وَهَذَا ظَاهِرٌ، فَإِنَّهُ لَوْ حَضَرَ عَقْلُهُ لَحَجَزَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ فِي قَبْضَةِ الرَّبِّ تَعَالَى، أَوْ تَحْتَ قَهْرِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَفِي دَارِهِ عَلَى بِسَاطِهِ وَمَلَائِكَتُهُ شُهُودٌ عَلَيْهِ نَاظِرُونَ إِلَيْهِ، وَوَاعِظُ الْقُرْآنِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِظُ الْمَوْتِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِظُ النَّارِ يَنْهَاهُ، وَالَّذِي يَفُوتُهُ بِالْمَعْصِيَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَضْعَافُ اضعاف مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ السُّرُورِ وَاللَّذَّةِ بِهَا، فَهَلْ يُقْدِمُ عَلَى الِاسْتِهَانَةِ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ؟

، قال رحمه الله تعالى: قال بعض السلف: ما عصى الله أحدا أبد حتى يغيب عقله, قال: وهذا ظاهر ,ولهذا فإن أهل العلم يرون أن كل عاصٍ جاهل وأن عصيانه من جهله وأنه لو كان عاقلا تمام العقل لما ارتكب تلك المعاصي فعصيانه من جهله.

قال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله، قال ابن القيم: وهذا ظاهر فإنه لو حضر عقله - أي وقت تحرك نفسه- لفعل المعصية لحجزه عن المعصية ، العاصي عندما وقع في المعصية **لنتأمل** في هذا ، هل وقع فيها عن نظر وتأمل بعقله؟ أو أن النظر إنما كان منصبا على حركة نفسه وشهوته دون أن يعمل عقله؟, لأن لو أعمل عقله حجزه ، لو أعمل عقله لقال له: هذا يسخط الله ، هذا يترتب عليه كذا ويترتب عليه كذا، يذكر له حواجز تحجزه عن المعصية ،فإذا غاب العقل لم يكن حاضرا وقت تحرك النفس في المعصية ارتكبها, ولهذا من الخير للإنسان, إذا تحركت نفسه لفعل معصية من المعاصي أن يجتهد فورا في أن يحرك عقله في ذلك الموطن ,فلا يعمل بحركة نفسه الباطنة قلبه وإرادته بل يعمل عقله -تفكرا وتأملا وتدبرا في العواقب وما يترتب على هذا الذنب -، قال: فإنه لو حضره عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى أو تحت قهره ومطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملائكته شهودٌ عليه ، ناظرون إليه وواعظ القرآن

ينهاه، وواعظ الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه ، وواعظ النار ينهاه ، هذه الأشياء كلها لا تظهر للإنسان وقت المعصية إلا إن **حرك عقله تأملا وتفكرا** فإنه يكون بإذن الله سبحانه وتعالى حاجزا له عن المعاصي، نعم ،

[فَصْلٌ الذُّنُوبُ تَطْبَعُ عَلَى الْقُلُوبِ]

قال رحمه الله وَمِنْهَا: أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَكَاثَرَتْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: 14] ، قَالَ: هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يعْمى الْقَلْبَ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمَّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُمْ وَمَعَاصِيهِمْ أَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ.

وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلًا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ الْهُدَى وَالْبَصِيرَةِ انْعَكَسَ فَصَارَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَيَسُوقُهُ حَيْثُ أَرَادَ.

هذه أيضا **من عواقب الذنوب**: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها ،قد مر معنا في حديث نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكته سوداء فإن تاب ونزع واستغفر صقل وإذا زاد زادت- اي النكت- حتى تألوا قلبه وذلك الران ثم تلا قوله سبحانه وتعالى: {{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} } ،أي من الذنوب والمعاصي، فالمعاصي يترتب عليها أنه ينكت في القلب نكته تلو الأخرى وهكذا إلى أن تغطي هذه النكت السوداء قلب المرء فيطبع على القلب, وتغطي هذه المعاصي على قلبه وذلك الران {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} } أي غطى عليها ما كانوا يكسبون.

وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية -يعني المعاصي يترتب عليها صدأ القلوب- فالقلوب تصدأ بالمعاصي وجلاء صدئها ذكر الله ,فإذا ذكر الله وأقبل عليه وأناب إليه- سبحانه وتعالى - صُقل قلبه كما قال نبينا - عليه الصلاة والسلام - .

[فَصْلٌ الذُّنُوبُ تُدْخِلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ]

قال رحمه الله **وَمِنْهَا**: أَنَّ الذُّنُوبَ تُدْخِلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَإِنَّهُ لَعَنَ عَلَى مَعَاصٍ وَغَيْرُهَا أَكْبَرُ مِنْهَا، فَهِيَ أَوْلَى بِدُخُولِ فَاعِلِهَا تَحْتَ اللَّعْنَةِ.

فَلَعَنَ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ، وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ.

وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ.

وَلَعَنَ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ.

وَلَعَنَ السَّارِقَ.

وَلَعَنَ شَارِبَ الْخَمْرِ وَسَاقِيَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا وَمُشْتَرِيهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ.

وَلَعَنَ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ وَهِيَ أَعْلَامُهَا وَحُدُودُهَا.

وَلَعَنَ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ.

وَلَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا يَرْمِيهِ بِسَهْمٍ.

وَلَعَنَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وَلَعَنَ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَلَعَنَ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا.

وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ.

وَلَعَنَ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ.

وَلَعَنَ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ وَأُمَّهُ.

وَلَعَنَ مَنْ كَمِهَ أَعْمًى عَنِ الطَّرِيقِ. -كمَّه: أعمى أي أضل أعمى عن الطريق-

وَلَعَنَ مَنْ أَتَى بَهِيمَةً.

وَلَعَنَ مَنْ وَسَمَ دَابَّةً فِي وَجْهِهَا.

وَلَعَنَ مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا أَوْ مَكَرَ بِهِ.

وَلَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ.

وَلَعَنَ مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ مَمْلُوكًا عَلَى سَيِّدِهِ.

وَلَعَنَ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا.

وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ بَاتَتْ مُهَاجِرَةً لِفِرَاشِ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ.

وَلَعَنَ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ.

وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ.

وَلَعَنَ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ.

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

وَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ فِي كتابه مَنْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ وَقَطَعَ رَحِمَهُ، وَآذَاهُ وَآذَى رَسُولَهُ - صلى الله عليه وسلم -.

وَلَعَنَ مَنْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى.

وَلَعَنَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بِالْفَاحِشَةِ.

وَلَعَنَ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ الْكَافِرِ أَهْدَى مِنْ سَبِيلِ المؤمن الْمُسْلِمِ.

وَلَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَ الرَّجُلِ.

وَلَعَنَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي وَالرَّائِشَ، وَهُوَ: الْوَاسِطَةُ فِي الرِّشْوَةِ.

وَلَعَنَ عَلَى أَشْيَاءَ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِ ذَلِكَ إِلَّا رِضَاءُ فَاعِلِهِ بِأَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَلْعَنُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِهِ.:

هذا أيضا من الآثار التي تجلبها الذنوب والمعاصي أنها تدخل فاعلها تحت اللعنة، تدخل فاعلها تحت اللعنة,وابن القيم -رحمه الله تعالى- ذكر أمثلة في معاصي توجب اللعنة، وقال -رحمه الله-:

فإنه لعن على معاصي والتي غيرها أكبر منها، فإذا كانت هذه المعاصي وهي أصغر مما هو أكبر منها، فإن غيرها من باب أولى أن يكون كذلك، فإذن من عواقب الذنوب وأضرارها الوخيمة أنها تُدخل فاعلها تحت اللعنة وإذا تفكر العاقل في هذا الأمر أوجبه- أوجب له نُصحا لنفسه بترك الذنوب-، والبعد عنها حتى لا يكون داخلا تحت من لعنهم الله، أو لعنهم رسوله -عليه الصلاة والسلام-، أو من تلعنهم الملائكة ملائكة الله ,واللعن دليل على أن الأمر الذي لعن فاعله عليه ليس هينا، ولا من صغائر الذنوب، فإن اللعن دليل على أن الذنب الذي فعل عظيم وليس بالهين، وهو من علامات الكبيرة أن يلعن المرء على فعلها، **الحاصل** أن من الأضرار التي تُوجبها الذنوب والمعاصي أنها تدخل فاعلها تحت لعنة الله، أو لعنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، أو لعنة الملائكة

قال ابن القيم -رحمه الله- : **فلو لم يكن في فعل ذلك - أي الذنب أو المعصية -إلا رضا فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته لكان في ذلك ما يدعوا إلى تركه**- نعم .

«قال -رحمه الله- [فَصْلٌ حِرْمَانُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

. وَمِنْهَا: حِرْمَانُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَدَعْوَةِ الْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سُورَةُ غَافِرٍ: 7 - 9] .

فَهَذَا دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الَّذِينَ لَا سَبِيلَ لَهُمْ غَيْرُهُمَا، وَلَا يَطْمَعُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ بِإِجَابَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، إِذْ لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَاتِ الْمَدْعُوِّ لَهُ بِهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

هذا أيضاً أثر **من أثار الذنوب**، وعاقبة من عواقبه الوخيمة، أن المعاصي والذنوب توجب حرمان العبد من دعوة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ودعوة الملائكة ,فإن الله -سبحانه- أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات﴿فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ ﴾ [محمد - 47:19]

أمره الله -سبحانه وتعالى- بذلك ,وينال العبد نصيبه من استغفار النبي - ﷺ -بحسب حظه من الإيمان و الإتباع للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام. مثل هذا ما جاء في هذه الدعوات العظيمة للملائكة قال الله سبحانه :" الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ "أي من الملائكة، فهناك ملائكة حمله للعرش وهناك ملائكة حافون وترا الملائكة حافين من حول العرش، فهؤلاء الملائكة الذين هم حملة العرش والملائكة -الذين هم حافون من حول عرش الرحمن-" يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا "وذكر الله سبحانه وتعالى ألفاظ دعائهم :{ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} ,هذه الدعوات من الملائكة وهم جنس آخر غير جنس البشر، الملائكة خلقوا من نور والبشر خلقوا من طين و مع اختلاف الجنس **انظر** هذه الرابطة مما يدلك أن رابطة الإيمان هي أوثق رابطة على الإطلاق. وهي أوثق من رابطة النسب ولهذا الرابطة الدينية أوثق من الرابطة الطينية. الدين هو أوثق رابطة وأعلى رابطة على الإطلاق **ولهذا انظر** مع اختلاف الجنس الملائكة خلقوا من نور والبشر خلقوا من طين ثم يدعون هذه الدعوات. لكنها لمن ؟ -وهذا موطن الشاهد من السياق-، -للذين آمنوا وتابوا و اتبعوا سبيل النبي عليه الصلاة والسلام, الذي هو شرع الله جل في علاه ولهذا قال ابن القيم: فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين,هذا أخذهم من قوله :ويستغفرون للذين آمنوا التائبين المتبعين لكتابه وسنة رسوله ﷺ لا سبيل له غيرهما، هذا أخذهم من قوله:"فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ "

لا سبيل إلى الله من غير الكتاب والسنة. سبيله الكتاب والسنة كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام, فلا يطمع غير هؤلاء بإجابة هذه الدعوة إذا لم يتصف بصفات المدعو له بها والمدعو له بها هو :المؤمن التائب المتبع لسبيل الله كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام, فإذا كان الإيمان و التوبة وإتباع سبيل الله جل في علاه ينال به العبد هذا الدعاء فإن المعصية والبعد عن التوبة يوجب ماذا ؟- الحرمان, يوجب الحرمان من ذلك. نعم

قال رحمه [فَصْلٌ مَا رَآهُ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ عُقُوبَاتِ الْعُصَاةِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قال فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَأَنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابتعثاني ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي:

انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَاهُنَا فَيَقتبعُ الْحَجَرُ، فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يُصْبِحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يُصْبِحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَعمَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَانِ؟ فَقَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، قال وأحسب أنه كان يقول فإذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: فَقَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ فحسبت أنه كان يقول أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحَ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فْغَر لَهُ فَاهُ فَأَلْقِمُهُ حَجَرًا، قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ، أَوْ كَأَكْرِهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْأًى، وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حتى أتينا عَلَى رَوْضَةٍ مُعَتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لون الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانَي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قطُّ، قَالَ: قُلْتُ لهما: مَا هَذَا؟ مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دوحة عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ روضةً قطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، قَالَ: فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ

الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَا ذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا لِي: هَذَا مَنْزِلُكَ، قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، فَذَرَانِي فَأَدْخُلُهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.

قال قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ: الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ: الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو من بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.

وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ.

وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ - وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقَانِيِّ: وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ - فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ.

وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ.»

هذا الحديث في ذكر هذه الرؤيا العظيمة التي رآها النبي عليه الصلاة والسلام **مشتمل على العديد من عقوبات المعاصي والذنوب**، ولهذا صدّر الإمام ابن القيم رحمه الله إراده بهذا الحديث بقوله: ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري.. الى آخره، فهذه **من عقوبات المعاصي** رآها النبي صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، أما الأول **من هؤلاء المعذبين** فهو: الذي تثقل رأسه عن الصلاة المكتوبة التي اوجبها الله سبحانه وتعالى عليه, وخاصة يكون هذا الأمر في صلاة الفجر، ويتحول في زماننا

هذا في شهر رمضان الى صلاة الظهر لأن كثير من الناس يسهر في ليالي رمضان حتى يتسحر ويصلي الفجر ثم ينام فيتحول الثقل الذي كان عنده عن صلاة الفجر إلى ثقل عن صلاة الظهر- والعياذ بالله- فيثقل رأسه عن الصلاة المكتوبة **وهذا أمر خطير جدا**, ولهذا ينبغي على كل من يضع رأسه على الوسادة لينام **أن ينتبه** قد تكون هذه الوسادة الوتيرة المريحة سبب أن يثلغ رأسه يوم القيامه، نعم قد تكون هذه الوسادة سبب لأن يثلغ رأسه يوم القيامه يضرب بصخرة حتى ينفلق ثم يلتئم ويضرب حتى ينفلق ويضرب حتى ينفلق وهكذا، فالوسادة امرها خطير جدا ولهذا يجب على المرء وهو يتنعم بارتياح ونوم هانئ طيب على هذه الوسادة- يتلذذ بعد العناء والتعب - بأن يضع رأسه على الوسادة ليدخل في نوم يريح بدنه ويجم نفسه ويقوم منه بنشاط عليه **أن ينتبه لهذا** المعنى ويسأل ربه ان يعينه على النهوض لصلاة ,وإلا تكون هذه الوسادة سبب لعقوبة الله وقد كان نبينا كما صح في الحديث:" **إذا عرَّس بليل**" يعني نام في وقت متأخر من الليل **"أقام ساعده"** يعني وضع ساعده بهذه الطريقة ووضع خده على كفه ونام, ولو تجرب هذه النومة وأنت في غاية التعب محتاج إلى الراحة الشديدة،تجد أنها نومة متعبة ولا يمكن أن تستغرق في النوم،لكن إذا عظمت الصلاة في قلبك رضيت بهذه النومة،لأن من يأتي في آخر الليل متعباً ويلقي رأسه على الوسادة وهو أصلا لا يفكر في مسألة الصلاة وإنما يفكر فقط في راحة بدنه،ثم يصبح و تطلع الشمس و هو على فراشه خامد لا يقوم.. **هذه مصيبة عظيمة** ولهذا الوسادة خطيرة جدا ولي خطبة خطبة جمعة بعنوان :[الوسادة و إضاعة الصلاة] لأنه يجب على المرء أن ينتبه لشأن الوسادة،الوسادة هذه الوثيرة الجميلة كثير من الناس ربما تكون سبب لأن يثلغ رأسه مرات يوم القيامة ، يلتئم و يثلغ يلتئم ويثلغ وهكذا ..-عقوبة له والعياذ بالله-.

قال : **الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإن الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة**.قوله (**وينام عن الصلاة المكتوبة**) هذا مثال لرفضه للقرآن، قوله ينام عن الصلاة المكتوبة هذا مثال لرفضه للقرآن،لأن رفض القرآن ترك العمل به،رفض القرآن أو هجر القرآن ترك العمل بالقرآن { **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** }،فإذا كان يحفظ حروفه ولا يقيم حدوده فهذا رفض للقرآن ، لأن القرآن انزل ليعمل به ، ازل ليعمل به {**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**}اي : يعملون به ، تلاوة القرآن حق التلاوة هي العمل بالقرآن،فإذا لم يعمل به فهذا رفض للقرآن،وأعظم من ذلك..أعظم ما يكون من ذلك..أن ينام عن الصلاة المكتوبة،أن ينام عن الصلاة المكتوبة... وهذا النوم عن الصلاة المكتوبة قد يبتلى به بعض الحفاظ للقرآن، نعم ،قد يبتلى به بعض الحفاظ، يكون حافظ القرآن حفظا متقنا لو قرأ لا يخطىء في حرف، من إتقانه لحفظه،لكن ينام

عن الصلاة المكتوبة، هذا النوم عن الصلاة المكتوبة رفض للقرآن ، كم في القرآن من الآيات في الأمر بإقامة الصلاة.. والمحافظة على الصلاة وأن الصلاة لها وقت موقوت و زمن محدد ,و تهديد للساهين عن الصلاة المؤخرين لها عن وقتها {فويل للمصلين} {فخلف من بعدهم خلف} كم في القرآن من الآيات في هذا المعنى ؟ ,فإذا كان ينام عن الصلاة المكتوبة هذا من أشد ما يكون من الرفض لـ القرآن الكريم، **فالحاصل أن** هذا من العقوبات..هذا نوع من العقوبات..،والجزاء من جنس العمل ، **الجزاء من جنس العمل**، لما كانت المعصية هنا ثقل رأس عن فريضة الله كانت عقوبته ثلق رأسه، لما كانت معصيته ثقل رأسه عن طاعة لله صارت عقوبته ثلق رأسه.نسأل الله جل وعلا أن يعين الجميع وأن يعيذ الجميع,وأن يصلح أبنائنا وأبناء المسلمين بمنه وكرمه.

الثاني من هؤلاء المعذبين قال: **الرجل الذي أتيت عليه يشرشر** (يعني: يقطع) **شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه** يعني: يُقطَّع من جهة الفم ومن جهة المِنخر ومن جهة العين، فهو الرجل يغدو في بيته أو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

في الزمان الأول كيف تبلغ الكذبة الآفاق؟ هل تبلغ الكذبة الآفاق في يوم وليلة ؟ - تحتاج على الأقل شهر، شهرين، ثلاثة حتى تبلغ الآفاق؛ لأن وسائل الاتصال ليست كالزمان هذا، لكن الآن الكِذبة تبلغ الآفاق في ثانية واحدة مجرّد ما يدخل كلمة في هذه الأجهزة ويضغط ضغطة واحدة، مجرد ما يضغط تبلغ الآفاق في ثانية واحدة، مش دقيقة، في ثانية واحدة تبلغ الكذبة الآفاق وتصل لأقصى الدنيا، وهذا ينبِّه المرء تنبيهًا عظيمًا أن يتقي الله عز وجل و أن يكون على حذر من هذه الأجهزة.

كما أن هذه الأجهزة فيها فائدة، من نواحي شرّ وشؤم على كثير من النّاس ومضرّة عظيمة عليهم؛ لأنّ كثير من النّاس يجلس ويكذب وينشر ويكتب أبو فلان ويفتري ويُلصق تُهَمًا ..إلخ ويقول ما أحد يعرفني، أو يعلم بحالي، وما علم أن ربّ العالمين مطّلع عليه وإن أعماله كلها محصاة " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ", " أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ "فهذه عقوبة لهؤلاء، هذه عقوبة، بل هذه من العقوبات التي لهؤلاء, وليتفكر **كيف أنّه يوم القيامة يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يلتئم ويُعاد ذلك!**

و الثّالث من هؤلاء المعاقَبين: الزناة فإنّهم يكونون عراة في مثل التنّور ويأتيهم اللّهب والنّار المصطلية من تحتهم، يصيحون وعقوبةً لهم من جنس أعمالهم، لمّا تلذّذوا تلك اللّذّة المحرّمة، أوجبت لهم هذه العقوبة.

وأمّا الرّجل الذي أتيتَ عليه يسبح في النهر ويُلقم من حجر فإنه آكل الرّبا، آكل الرّبا هذه من عقوبته يوم القيامة ليست هذه عقوبته فقط بل هذه من عقوبته يوم القيامة.

وأمّا الرّجل الكريه المرآة الذي عند النّار يحشّها ويسعى حولها فإنه مالك، يوقدها، يحشّها أي يوقدها, فإنه مالك خازن جهنّم، وأمّا الرّجل الطويل الذي في الرّوضة فإنّه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

الحاصل أنّ هذا الذي تقدّم ذكر لبعض العقوبات التي تكون يوم القيامة.

قال رحمه الله: (فَصْلٌ الذّنُوبُ تُحْدِثُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ]

وَمِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي: أَنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ، وَالزَّرْعِ، وَالثِّمَارِ، وَالْمَسَاكِنِ، قَالَ تَعَالَى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سُورَةُ الرُّومِ: 41] .

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا وَلِيَ الظَّالِمُ سَعَى بِالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ فَيَحْبِسُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْقَطْرَ، فَيَهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ثُمَّ قَرَأَ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سُورَةُ الرُّومِ: 41] .ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَى مَاءٍ جَارٍ فَهُوَ بَحْرٌ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكُمْ: بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَى مَاءٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَّا الْبَرُّ فَأَهْلُ الْعَمُودِ، وَأَمَّا الْبَحْرُ فَأَهْلُ الْقُرَى وَالرِّيفِ، قُلْتُ: وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمَاءَ الْعَذْبَ بَحْرًا، فَقَالَ: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [سُورَةُ فَاطِرٍ: 12]

وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَحْرٌ حُلْوٌ وَاقِفٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ، وَالْبَحْرُ الْمَالِحُ هُوَ السَّاكِنُ، فَسَمَّى الْقُرَى الَّتِي عَلَيْهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ بِاسْمِ تِلْكَ الْمِيَاهِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قَالَ: الذُّنُوبُ.

قُلْتُ: أَرَادَ أَنَّ الذُّنوبَ سَبَبُ الْفَسَادِ الَّذِي ظَهَرَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي ظَهَرَ هُوَ الذُّنوبُ نَفْسُهَا فَتَكُونُ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} لَامَ الْعَاقِبَةِ وَالتَّعْلِيلِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ فَالْمُرَادُ بِالْفَسَادِ: النَّقْصُ وَالشَّرُّ وَالْآلَامُ الَّتِي يُحْدِثُهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ مَعَاصِي الْعِبَادِ، فَكُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ عُقُوبَةً، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلَّمَا أَحْدَثْتُمْ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ عُقُوبَةً.

وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْفَسَادَ الْمُرَادَ بِهِ الذُّنوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} فَهَذَا حَالُنَا، وَإِنَّمَا أَذَاقَنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَاقَنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

هذا أيضًا من عواقب الذنوب وأثار المعاصي أنها تُحدِث أنواع الفساد في الأرض, ولهذا مر معنا أن الدواب والطير تلعن أهل المعاصي والذنوب لما يترتب على عصيانهم من الآثار السيئة من قلة الأمطار وجفاف الأرض وزوال البركة منها.

وهذه الآثار للذنوب تدل على عظم خطورة الذنوب وأنها يترتب عليها من المضار ما يكون به فساد البر والبحر كما قال الله ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحرِ بِما كَسَبَت أَيدِي النّاسِ لِيُذيقَهُم بَعضَ الَّذي عَمِلوا لَعَلَّهُم يَرجِعونَ﴾ [الروم - 41]

ونقل ابن القيم -رحمه الله تعالى - نقولات عن غير واحد من السلف في معنى البر والبحر وأن البحر ليس المراد به البحر المالح فقط بل كل قرية عليها ماء ولو ماءً قليلا أو نهرا أو واديا أو منقعًا للماء أو نحو ذلك كلها يشملها هذا الفساد الذي هو من شؤم المعاصي وعواقبها الوخيمة.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يصلح أحوالنا أجمعين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر.اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات , اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا

على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

* اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد ،

فيقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا وللمسلمين في كتابه الداء والدواء

الْمَعَاصِي سَبَبُ الْخَسفِ وَالزَّلَازِلِ

قال وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْخَسفِ وَالزَّلَازِلِ ، وَيَمْحَقُ بَرَكَتَهَا ، وَقَدْ «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي دِيَارِ ثَمُودَ ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ دِيَارِهِمْ إِلَّا وَهُمْ بَاكُونَ ، وَمِنْ شُرْبِ مِيَاهِهِمْ ، وَمِنَ الِاسْتِسْقَاءِ مِنْ آبَارِهِمْ ، حَتَّى أَمَرَ أَنْ لَا يُعْلَفَ الْعَجِينُ الَّذِي عُجِنَ بِمِيَاهِهِمْ لِلنَّوَاضِحِ ، لِتَأْثِيرِ شُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ فِي الْمَاءِ ،» وَكَذَلِكَ تَأْثِيرِ شُؤْمِ الذُّنُوبِ فِي نَقْصِ الثِّمَارِ وَمَا تَرَى بِهِ مِنَ الْآفَاتِ.

قال وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ فِي ضِمْنِ حَدِيثٍ قَالَ: وُجِدَ فِي خَزَائِنَ بَعْضِ بَنِي أُمَيَّةَ ، حِنْطَةٌ ، الْحَبَّةُ بِقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرَةِ ، وَهِيَ فِي صُرَّةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: كَانَ هَذَا يَنْبُتُ فِي زَمَنٍ مِنَ الْعَدْلِ ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ أَحْدَثَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَأَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الصَّحْرَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْهَدُونَ الثِّمَارَ أَكْبَرَ مِمَّا هِيَ الْآنَ ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُهَا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا ، وَإِنَّمَا حَدَثَتْ مِنْ قُرْبٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ..اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أما بعد ، فهذا أثر آخر من آثار الذنوب وعواقبها ومضارها أنها لها تأثير على الأرض التي وقعت عليها المعصية - معصية الله- فتؤثر على الأرض في مياهها وزروعها وأشجارها وثمارها والبركة أيضاً تؤثر على ما كان فيها من بركة لأن طاعة الله سبحانه وتعالى سبب للبركات بركات الأرض وخيراتها كما قال الله سبحانه وتعالى(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فإذا كانت الطاعة والتقوى مجلبة لبركات الأرض وخيراتها لكثرة المياه ونماء الزروع ووفور الماشية وحصول الخيرات المتنوعة **فإن المعصية** على الضد من ذلك ، تؤثر في نضوب المياه وقلة الأمطار ويُبس الأشجار وجفافها وتأثر الماشية إلى غير ذلك.. **من أنواع الآثار التي هي من عواقب الذنوب وشؤمها** وكلما عظم الذنب كان أثرُ الذنب -أو المعصية -على الأرض أشد وأكبر ، ولهذا

ضرب الإمام ابن القيم في هذا الباب مثلاً رحمه الله تعالى بديار ثمود- المعذبين الذين أهلكهم الله سبحانه وتعالى بالصيحة- فهذه الديار لما مر بها النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه في غزوة تبوك في طريقه صلوات الله وسلامه عليه وعجن بعض الصحابة عجينهم ليطبخ من مياهها ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يُعطى للنواضح- يعني الإبل- ونهى عن أكله ونهى عن شربِ الماء في ذلك الموطن ، وأمر أن يمروا مرورًا سريعًا ، لأن الأرض أصابها شؤم المعصية فحلّت العقوبة -عقوبة الله سبحانه وتعالى فيها- فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يسرعوا وأن يمروا متباكين :يعني متأثرين من هذا الأمر لا يمروا مرور الانبساط ونحو ذلك ، كل ذلك لما تُحدثه المعصية في الأرض من تأثير- تأثير في الثمار ، تأثير في الزروع ،تأثير في البركة- بركة الأرض وخيراتها إلى غير ذلك من أنواع التأثيرات —نعم.

قال رحمه الله **وَأَمَّا تَأْثِيرُ الذُّنُوبِ فِي الصُّوَرِ وَالْخَلْقِ ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ» .**

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْفَجَرَةِ وَالْخَوَنَةِ ، يُخْرِجُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا ، وَيَقْتُلُ الْمَسِيحُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وَيُقِيمُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ، وَتُخْرِجَ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا ، وَتَعُودُ كَمَا كَانَتْ.

نعم ،هذا موطن الشاهد من هذا التقرير أن الطاعة والصلاح في الأرض واستقامة العباد على طاعة الله سبحانه وتعالى سبب للبركات- سبب لبركات الأرض وخيراتها- فإذا جاء في آخر الزمان الذي هو وقت نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي وقد تواتر به الحديث عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه فتُملأ الأرض بالقسط بعد أن كانت مُلئت بالجور والجور ترتب عليه فساد في الأرض في زروعها في مياهها في ثمارها في ماشيتها ففي ذلك الزمان تملأ الأرض عدلاً فتُخرج الأرض بركاتها تخرج الأرض بركاتها وهذا يستفاد منه أن **بركة الأرض تبع للطاعة في الأرض** طاعة الله سبحانه وتعالى في الأرض **وذهاب البركة من الأرض تبع للمعصية**- معصية الله سبحانه وتعالى في الأرض- ففي ذلك الزمان إذا ملئت الأرض عدلاً تخرج الأرض بركاتها وتعود كما كانت -.

حَتَّى إِنَّ الْعِصَابَةَ مِنَ النَّاسِ لَيَأْكُلُونِ الرُّمَّانَةَ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيَكُونُ الْعُنْقُودُ مِنَ الْعِنَبِ وِقْرَ بَعِيرٍ ، وَإِنَّ اللِّقْحَةِ الْوَاحِدَةِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ،

هذا ثبت في صحيح مسلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام أخبر أن ذلك يحصل.....في ذلك الزمان بعد نزول عيسى وخروج المهدي عندما تمتلأ الأرض عدلاً يحصل هذا الأمر وهو عليه الصلاة والسلام الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه وبركاته عليه فاخبر أن العصابة من الناس يأكلون الرمانة ،العدد الكبير من الناس تكفيهم رمانة واحدة ،قال ويستضلّون بقحفها يجلسون في ظل قشرة رمانة من كبرها ،هذا كله من البركة التي ينزلها الله سبحانه وتعالى في الأرض لما كان في الارض من طاعة وعدل واستقامة على طاعة الله ويكون العنقود الواحد من العنب وِقر بعير يعني حِمل بعير عنقود واحد يكفي عددًا كبيراً من الناس وإن اللقحة الواحدة لتكفي الفئام يعني يكفي حليبها الفئام من الناس يعني العدد الكبير من الناس- نعم .

وَهَذِا لِأَنَّ الْأَرْضَ لَمَّا طَهُرَتْ مِنَ الْمَعَاصِي ظَهَرَتْ فِيهَا آثَارُ الْبَرَكَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي مَحَقَتْهَا الذُّنُوبُ وَالْكُفْرُ ،

نعم الذنوب والكفر تمحق بركات الأرض وهذا هو المقصود ،اذا كنا نتحدث عن الارض عموماً لماذا أيضاً لا ننظر حتى نستفيد أكثر ،ينظر كل واحد منا إلى بيته في خاصة **نفسه لا بد أن ننتبه لهذا ،البيت اذا شُغِلَ بطاعة الله كان هذا بركة في البيت** ،مجلبة للبركة في البيت **وإذا كان البيت بيت معصية لله سبحانه وتعالى فهذا مجلبة للشؤم على البيت** ، شروراً وأمراراً وآفاتٍ وغير ذلك وتمحق بركة البيت فالبركة تبع للطاعة ومحقها تبع للمعصية إذا كانت المعصية محقت البركة وإذا كانت الطاعة حلّت البركة .نعم

قال : **وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بَقِيَتْ آثَارُهَا سَارِيَةً فِي الْأَرْضِ تَطْلُبُ مَا يُشَاكِلُهَا مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي هِيَ آثَارُ تِلْكَ الْجَرَائِمِ الَّتِي عُذِّبَتْ بِهَا الْأُمَمُ ،**

نعم يشهد بذلك قول الله وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾. نعم

قال فَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْأَرْضِ مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ ، فَتَنَاسَبَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ الْكَوْنِيُّ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَكَانَ الْعَظِيمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِلْعَظِيمِ مِنَ الْجِنَايَةِ ، وَالْأَخَفُّ لِلْأَخَفِّ ، وَهَكَذَا يَحْكُمُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ وَدَارِ الْجَزَاءِ.

وهذا أيضاً **تنبيه** في هذا الباب أن: العقوبة محقاً للبركة ، وما يترتب على المعصية من شؤم هو بحسب حجم المعصية والمعاصي ، تتفاوت ليست على درجة واحدة ، فكل ما عظمت الذنوب وكثرت كان ذلك اشد في محق البركة وحلول العقوبة. نعم

قال رحمه الله: **وَتَأَمَّلْ مُقَارَنَةَ الشَّيْطَانِ وَمَحِلَّهُ وَدَارَهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَارَنَ الْعَبْدَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ نُزِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنْ عُمْرِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَقَوْلِهِ ، وَرِزْقِهِ ، وَلَمَّا أَثَّرَتْ طَاعَتُهُ فِي الْأَرْضِ مَا أَثَّرَتْ ، نُزِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنْ كُلِّ مَحِلٍّ ظَهَرَتْ فِيهِ طَاعَتُهُ ، وَكَذَلِكَ مَسَكْنُهُ لَمَّا كَانَ الْجَحِيمَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ.**

نعم- يعني الشيطان هو من وراء هذه المعاصي والذنوب يؤز العباد إليها أزا وكلما كان الناس أكثر طاعة لهذا الشيطان كان ذلك سببًا لمحق البركة عنهم وسببًا لحلول العقوبة ،فكلما كان العبد قريباً من الشيطان مطيعًا له متبعًا لما يدعو إليه كان ذلك شؤمًا في حياة العبد و محقاً للبركة في عمره في رزقه في حياته و كلما كان أبعد كلما كان ذلك أسلم له ، نعم

لعلنا نرجع إلى الدرس الماضي في الحديث الذي مر معنا حديث سمرة بن جندب الذي في صحيح البخاري عقد له المصنف رحمه الله تعالى فصلاً خاصاً وساق فيه الحديث ،قال: **ومن عقوبات المعاصي ما رواه البخاري في صحيحه من حديث سمرة ابن جندب** وذكر في هذا الحديث الطويل أنواع من العقوبات منها عقوبة ، هي ثلغٌ لرأس الرجل ثم يلتأم ثم يثلغ ثم يلتأم ثم يثلغ وهكذا ،والأخرى يشرشر شدقه إلى قفاه و منخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه والثالثة: الرجال والنساء العراة اللذين هم في مثل بناء التنور والرابعة : الرجل الذي قال أتيت عليه يسبح في النهر ويلُقم الحجارة فإنه آكل الربا في صحيح البخاري في بعض البخاري روى الحديث في أكثر من موضع ربما في ثلاث مواضع في بعض المواضع التي خرّج فيها الإمام البخاري رحمه الله زيادة مهمة و مفيدة في فهم معني هذا الحديث ففيه أن النبي ﷺ قال: بعد هذه العقوبات فيُصنع به إلى يوم القيامة يصنع به يعني تصنع به هذه العقوبة إلى يوم القيامة ،فهذا يفيد ماذا ؟أن هذه العقوبة أين ؟- نعم في القبر- أن هذه العقوبة في القبر- أن هذه العقوبات التي ذُكرت في هذا الحديث في القبر لأن قال :فيصنع به: يعني هذه العقوبة إلى يوم القيامة ،ثلغ للرأس والشرشرة للشدق ،والتنور الذي في مثل التنور هذه في القبر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فيُصنع به إلى يوم القيامة ،والإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "**الروح**" أشار للحديث وقال هذا في البرزخ يعني هذه العقوبات في البرزخ الذي هو القبر وبالأمس لما أشرت إلى الحديث كُنت أذكر أن هذا يوم القيامة لكن الصواب أنه في

البرزخ ،الصواب أنه في البرزخ وهذه الرواية توضح ذلك ،توضح ذلك أنه في البرزخ وأن هذه العقوبات في البرزخ ،

أعود لما تحدثتُ عنه في الحديث نفسه ذاك الذي يُثلغ رأسه ثم يلتئم سبب ذلك أنه يقرأ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة: أي يثقُل رأسه عن الصلاة المكتوبة ، من أجل أن يُقرّب المعنى الذي في الحديث للذهن أكثر ، حتى يستيقظ القلب **وينتبه** وإذا أردنا أن ننبه شخصاً مُبتلى بذلك لعل الله سبحانه وتعالى يُخلّصهُ من ذلك ، وهذه العقوبات ذِكرُها زاجر لمن أراد الله سبحانه وتعالى به خيراً من التمادي فيما هو عليه ، فأقول: لو قيل تقديرًا في لشخص يثقُل رأسه عن الصلاة المكتوبة ، لو قيل له إن نمت غداً عن الصلاة المكتوبة سيلقى على رأسك صخرة حتى ينثلغ رأسك ،هل يثقل رأسه ؟- أبدًا ! ، وما يدريه لعله يكون غدًا من عِداد الأموات دخل القبر وبدأ في مسألة ثلغ الرأس انتبهوا لعله من الغد يكون في عِداد الأموات ما يضمن أنه غدًا من الأحياء وأنه يقوم ويصلي ما يضمن قد يكون في عداد الأموات ويدرج في قبره وتبدأ هذه العملية عملية ثلغ الرأس التي إلى يوم القيامة كما قال فيصنع به إلى يوم القيامة فيصنع به إلى يوم القيامة فهذه المعاني لما يوضحها المرء في نفسه ويتأمل فيها ويدرك أن هذه عقوبات أخبر عنها الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يخاطر بنفسه بل يعمل على خلاص نفسه ونجاتها من ذلك نسأل الله عز وجل لنا أجمعين العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة لنا ولأهلينا وذرياتنا والمسلمين أجمعين- نعم .

قال رحمه: [فَصْلٌ الذّنُوبُ تُطْفِئُ الْغَيْرَةَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ الَّتِي هِيَ لِحَيَاتِهِ وَصَلَاحِهِ كَالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ لِحَيَاةِ جَمِيعِ الْبَدَنِ ، فَالْغَيْرَةُ حَرَارَتُهُ وَنَارُهُ الَّتِي تُخْرِجُ مَا فِيهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، كَمَا يُخْرِجُ الْكِيرُ خُبْثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ ، وَأَشْرَفُ النَّاسِ وأجدّهم وَأَعْلَاهُمْ هِمَّةً أَشَدُّهُمْ غَيْرَةً عَلَى نَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - أَغْيَرَ الْخَلْقِ عَلَى الْأُمَّةِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ غَيْرَةً مِنْهُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي»

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْكُسُوفِ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أحد أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ» .

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: « لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ»:

في هذا الفصل ذكر رحمه الله تعالى أن من عقوبات المعاصي أنها تُذهب الغيرة ، الغيرة هذه مركوزة في الفطر جعلها الله سبحانه وتعالى في فِطر العباد ،والدين يمكنها ويقويها ، ويمكن لها في النفس والمعصية تُذهبها- معصية الله سبحانه وتعالى تذهب الغيرة -وغيرة المرء على شرفه وحريمه وأهله **هذه من سمات الخير** وأماراته وعلامات علو النفس وشرفها مثل ما قال الامام ابن القيم رحمه الله :" **وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس** فهذه الغيرة هي جزء من ديانة المرء وصلاحه واستقامة قلبه على طاعة الله سبحانه وتعالى فإذا انخرطت نفسه في المعاصي معاصي الله سبحانه وتعالى كانت تلك المعاصي سببًا لذهاب الغيرة عنه ولهذا يعني قد يصل الإنسان ولعياذ بالله بسبب المعاصي أن يرى أهله على مسلك قبيح مشين فلا يتحرك شيء في قلبه لا يتحرك شيء في قلبه لأن الغيرة التي في قلبه طافية ليس عنده غيرة أطفأ هذه الغيرة المعاصي التي انخرط فيها ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله :" **ومن عقوبات الذنوب أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته و صلاحه كالحرارة الغريزيّة لحياة جميع البدن** ، فالغيرة شأنها عظيم جدّا و نفعها كبير وقد قال عليه الصلاة و السّلام وهو أغير الخلق عليه الصّلاة و السّلام و أشدّ الخلق غيرة قال: { **أتعجبون من غيرة سعد ؟.يعني من شدّة غيرته .لأنا أغير منه و الله أغير منّي** } ، وقال في خطبة الكسوف : { **يا أمّة محمد ما أحد أغير من الله من أن يزني عبده أو تزني أمته**}، لأنّ خطبة الكسوف والكسوف إنّما حصل في حياته عليه الصّلاة والسّلام مرّة واحدة فخطب خطبة حذّر فيها من الكبائر لأنّ الله يقول :{ **وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** } فالكسوف آية من آيات الله يخوّف بها عباده ، فحدوث هذه الآية مقام من مقامات التّخويف و التّذكير و الإنذار وخاصّة من المعاصي الكبار ولهذا في خطبة الكسوف حذّر عليه الصّلاة والسّلام من **أربع ذنوب هي أكبر الذّنوب و أعظمها** ،* **حذّر من الشرك** بإخباره أنّه رأى عمر ابن لحي الذي جلب الشّرك يجرّ قُصبَه أي أمعاءه في النّار ،* **و حذّر من السّرقة** بذِكر الرّجل الذي معه المِحجن الذي كان يسرق الحاجّ ،* **و حذّر من القتل** بذكر قصّة المرأة التي رآها في النّار تعذّب في هرّة ، كل ذلك كان في صلاة أو خطبة الكسوف ، ***و حذّر من الزّنا** بقوله : { **يا أمّة محمد ما أحد أغير من الله من أن يزني عبده أو تزني أمته** } ، وطريقة التّحذير التي كانت في صلاة الكسوف كانت مختلفة عن طريقتها وصيغتها في خطبه الأخرى ومواعظه ،لأنّه عليه الصّلاة والسّلام كان يحذّر من هذه المعاصي بذكر ما رآه من المعذّبين

في النّار لأهل تلك المعاصي- و الرؤيا للنّار و المعذّبين -، عندما كان يصلّي بالنّاس رأى الجنّة و رأى النّار ، رأى الجنّة و نعيمها و رأى النّار ورأى بعض المعذّبين فيها ،رأى المرأة التي تعذَّب في هرّة حبستها لا هي أطعمتها و لا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض ، ورأى الذي كان يسرق الحاجّ ، ورأى عمر ابن لحي الذي جلب الشّرك إلى جزيرة العرب ، رأى ذلك كلّه عليه الصّلاة والسّلام بعينه وأخبر أصحابه صلى الله عليه و سلم بما رأى وهذا الإخبار كلّه في مقام التّحذير من هذه المعاصي والموبقات المهلكات ، **الحاصل أنّه** في تلك الخطبة أخبر عليه الصّلاة والسّلام عن غيرة الله وأنّه لا أحد أغير من الله سبحانه وتعالى من أن يزني عبده أو تزني أمته ،وكفى بهذا رادعاً عن هذه المعصية القبيحة . نعم

المتن : **وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرَ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ» .**

فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي أَصْلُهَا كَرَاهَةُ الْقَبَائِحِ وَبُغْضُهَا ، وَبَيْنَ مَحَبَّةِ الْعُذْرِ الَّذِي يُوجِبُ كَمَالَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ ، وَأنه سُبْحَانَهُ - مَعَ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ - يُحِبُّ أَنْ يَعْتَذِرَ إِلَيْهِ عَبْدُهُ ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ عَبِيدَهُ بِارْتِكَابِ مَا يَغَارُ مِنَ ارْتِكَابِهِ حَتَّى يَعْذُرَ إِلَيْهِمْ ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ إِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَهَذَا غَايَةُ الْمَجْدِ وَالْإِحْسَانِ ، وَنِهَايَةُ الْكَمَالِ.فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ تَشْتَدُّ غَيْرَتُهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ تَحْمِلُهُ شِدَّةُ الْغَيْرَةِ عَلَى سُرْعَةِ الْإِيقَاعِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ غَيْرِ إِعْذَارٍ مِنْهُ ، وَمِنْ غَيْرِ قَبُولٍ لِعُذْرِ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، بَلْ يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عُذْرٌ وَلَا تَدَعُهُ شِدَّةُ الْغَيْرَةِ أَنْ يَقْبَلَ عُذْرَهُ.

ولا تدعه شدة غيرته أنْ يقبل عذره(لأنه لا يتأمل) .نعم

، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَقْبَلُ الْمَعَاذِيرَ يَحْمِلُهُ عَلَى قَبُولِهَا قِلَّةُ الْغَيْرَةِ حَتَّى يَتَوَسَّعَ فِي طُرُقِ الْمَعَاذِيرِ ،:

بعض الناس على خط النقيض من هذا ، يقبل أي عذر لضعف الغيرة التي عنده ، والآخر شدة الغيرة تحمله على عدم قبول أي عذر ولو كان العذر صحيحاً .والآخر ضعف الغيرة عنده تجعله أدنى عذر يسمعه ولو كان من أوهى ما يكون يقبله ، فهذان على خطي نقيض **والحق قوامٌ بين ذلك** ، نعم .

، وَيَرَى عُذْرًا مَا لَيْسَ بِعُذْرٍ ، حَتَّى يَعْتَذِرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْقَدَرِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا غَيْرُ مَمْدُوحٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ :

كل منهما يعني الأول الذي من شدة غيرته لا يقبل عذر أصلًا. والآخر الذي لضعف غيرته يقبل أي عذر كان ، ولو كان من أوْهى ما يكون .

كل منهما غير ممدوح على الإطلاق ، والممدوح هو الذي مع شدة الغيْرة يقبل العذر الصحيح.لأن بعض الناس مع شدة الغيرة لا يقبل العذر أصلاً حتى وإن كان صحيحاً لأنه لا يتأمل هل ثمة عذر أو لا ؟ لا يتأمل في ذلك .

وهذا الحديث العظيم الذي ذُكر في غيرة الله جل وعلا وأنه لا أحد أغير منه ، وإنه من أجل ذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن .ذكر فيه أنه لا أحد أحب إليه العذر من الله ، مع هذه الشدة في الغيرة ، وأنه لا أحد أشد منه سبحانه وتعالى فهو أيضاُ **لا أحد أحب إليه العذر من الله سبحانه وتعالى**.من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ،نعم .

- قال رحمه الله : وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ ، وَمِنْهَا مَا يَبْغَضُهَا اللَّهُ ، فَالَّتِي يَبْغَضُهَا اللَّهُ الْغَيْرَةُ مِنْ غَيْرِ رِيبَةٍ» وَذَكَرَ الْحَدِيثِ.
وَإِنَّمَا الْمَمْدُوحُ اقْتِرَانُ الْغَيْرَةِ بِالْعُذْرِ ، فَيَغَارُ فِي مَحِلِّ الْغَيْرَةِ ، وَيَعْذُرُ فِي محل الْعُذْرِ ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ الْمَمْدُوحُ حَقًّا..

الشيخ : نعم ، وهما اللذان جمعا بينهما في الحديث ، جُمع بينهما في الحديث :لا أشد غيرة من الله لا أحد أغير من الله ولا أحد أحب إليه العذر من الله . **فالممدوح اقتران الغيرة بالعذر ، فيغار في محل الغيرة ويعذر في موضع العذر ، نعم .**

قال :وَلَمَّا جَمَعَ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ كُلَّهَا كَانَ أَحَقَّ بِالْمَدْحِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ أَنْ يَمْدَحَهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ ، بَلْ هُوَ كَمَا مَدَحَ نَفْسَهُ وَأَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ ، فَالْغَيُورُ قَدْ وَافَقَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَمَنْ وَافَقَ اللَّهَ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ قَادَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْهِ بِزِمَامِهِا ، وَأَدْخَلَتْهُ عَلَى رَبِّهِ ، وَأَدْنَتْهُ مِنْهُ ، وَقَرَّبَتْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَصَيَّرَتْهُ مَحْبُوبًا إليه ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ ، عَلِيمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ ، قَوِيٌّ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، حَيِي يُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ ، جَمِيلٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجَمَالِ ، وِتْرٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْوَتْرِ.

نعم ، يقول رحمة اللّه عليه: إن العبد إذا وافق ربّه سبحانه في صفة من صفاته ، يعني مثلاً اتصف بالكرم ، اتصف بالغيرة ، اتصف بالرّحمة ، اتصف بالإحسان ، اتصف بالبذل والإنفاق والإحسان ،

إذا وافق ربّه في صفة من صفاته كان أقرب للّه ونيل رحمته سبحانه وتعالى ، وعندما يُقال وافق في صفة من صفاته ، أي على القاعدة المتكررة في هذا الباب : أن الصّفة المُضافة إلى العبد تكون بحسب ما يليق بالعبد ، والصِّفة المضافة إلى الرّب تكون بحسب ما يليق بالرّب ، ليس كمثله شيء ، ولهذا القاعدة المتكررة عند أهل العلم ، أن ما يلزم الصّفة باعتبار إضافتها إلى الله من كمال لا يلزم الصّفة نفسها عندما تضاف إلى العبد وكذلك العكس ، ما يلزم الصّفة باعتبار إضافتها إلى العبد من نقص ، لا يلزم الصّفة باعتبار إضافتها إلى الله ، لأن الإضافة تقتضي التّخصيص **بمعنى أن** : ما يضاف إلى اللّه سبحانه وتعالى يخصّه ويليق بجلاله وكماله وما يُضاف إلى العبد يخصّه ويليق بضعفه ونقصه ، **فإذا قيل وافق الصفة يُقصد بالموافقة أنها في العبد باعتبار ما يليق بالعبد وفي الرّب باعتبار ما يليق بالرّب سبحانه وتعالى من كمال وأنه ليس كمثله شيء.**

قال رحمه الله وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلّا أَنَّهَا تُوجِبُ لِصَاحِبِهَا ضِدَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّصَافِ بِهَا لَكَفَى بِهَا عُقُوبَةً ، فَإِنَّ الْخَطْرَةَ تَنْقَلِبُ وَسْوَسَةً ، وَالْوَسْوَسَةُ تَصِيرُ إِرَادَةً ، وَالْإِرَادَةُ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً ، ثُمَّ تَصِيرُ فِعْلًا ، ثُمَّ تَصِيرُ صِفَةً لَازِمَةً وَهَيْئَةً ثَابِتَةً رَاسِخَةً ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ الْخُرُوجُ مِنْهَا كَمَا يَتَعَذَّرُ الْخُرُوجُ مِنْ صِفَاتِهِ الْقَائِمَةِ بِهِ.

هذا تنبيه مهم جدا يعني: **لا يستهين المرء بالبدايات ، لأن البدايات توصل إلى النهايات. فالخطرة التي تَرِد على القلب ، ينبغي على العبد أن لا يسترسل معها** ، والمراد بالخطرة: التي تشتمل على باب من أبواب الإثم ، باب من أبواب المعصية ، لا يسترسل معها- بل يحاول أن يطردها من نفسه و لا يلقيها- لأن الخطرة إن بقيت تحولت إلى وسوسة تتكرر على النفس ، والوسوسة تتحول إلى إرادة ، فإذا تحولت إلى إرادة ، تتحول الإرادة إلى عزيمة ، فإذا أصبحت عزيمة تصير فعلاً ، **والأفعال المحرّمة هذه بداياتها:** خطرة ثم وسوسة ثم إرادة ثم عزيمة ثم فعل ، إذًا لا يستهين المرء بالبدايات ، لا يستهين بها ، يطردها عن نفسه لأنه إن أبقاها في نفسه تحوّلت تحوّلات إلى أن تُصبح فعلا. ثم لا يبقى الأمر عند هذا الحدّ ، إذا صارت فِعلا ، قد تتحول مع تكرار الفعل إلى صفة لازمة وهيئة ثابتة في الإنسان والعياذ باللّه **وحينئذ يتعذر الخروج منها.** نعم

قال: **وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ كُلّمَا اشْتَدَّتْ مُلَابَسَتُهُ لِلذّنُوبِ أَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْغَيْرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ ، وَقَدْ تَضْعُفُ فِي الْقَلْبِ جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ لَا مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِذَا وَصَلَ**

إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْهَلَاكِ. وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى عَدَمِ الِاسْتِقْبَاحِ ، بَلْ يُحَسِّنُ الْفَوَاحِشَ وَالظُّلْمَ لِغَيْرِهِ ،

هذا هو كما سبق مراحل وخطوات في الشر يخطوها المرء بدايتها خطره ثم ،وسوسة ، ثم إرادة ثم عزيمة ثم فعل ثم يصبح صفة لازمة ، ثم يتحول إذا كانت صفة لازمة إلى المجاهرة بالمعصية والافتخار بها والدعوة إليها والحث عليها وترغيب الناس فيها ، وإذا رآها تُفعل يستمتع ويرى هذا من المُتعة ،كل هذا لأن هذه الذنوب عندما جاءت البدايات إلى أن تمكنت فصارت ذنبًا ومعصية تطفيء هذه الغيرة من القلب فيتحول المرء والعياذ بالله إلى هذا التحول المُهلك.

قال وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى عَدَمِ الِاسْتِقْبَاحِ ، بَلْ يُحَسِّنُ الْفَوَاحِشَ وَالظُّلْمَ لِغَيْرِهِ ، وَيُزَيِّنُهُ لَهُ ، وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ ، وَيَسْعَى لَهُ فِي تَحْصِيلِهِ ، وَلِهَذَا كَانَ الدَّيُّوثُ أَخْبَثَ خَلْقِ اللَّهِ ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ مُحَلِّلُ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ لِغَيْرِهِ وَمُزَيِّنُهُ لَهُ ، فَانْظُرْ مَا الَّذِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ قِلَّةُ الْغَيْرَةِ.

وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ الْغَيْرَةُ ، وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ ، فَالْغَيْرَةُ تَحْمِي الْقَلْبَ فَتَحْمِي لَهُ الْجَوَارِحَ ، فَتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ ، وَعَدَمُ الْغَيْرَةِ تُمِيتُ الْقَلْبَ ، فَتَمُوتُ لَهُ الْجَوَارِحُ ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ دَفْعٌ الْبَتَّةَ.

وَمَثَلُ الْغَيْرَةِ فِي الْقَلْبِ مَثَلُ الْقُوَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْقُوَّةُ وَجَدَ الدَّاءُ الْمَحَلَّ قَابِلًا ، وَلَمْ يَجِدْ دَافِعًا ، فَتَمَكَّنَ ، فَكَانَ الْهَلَاكُ ، وَمِثْلُهَا مِثْلُ صَيَاصِيِّ الْجَامُوسِ- اي القرون- الَّتِي تَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِذَا تَكَسَّرَتْ طَمِعَ فِيهَا عَدُوُّهُ.

نعم ، قول ابن القيم رحمه الله في ذكر هذين المثلين للغيرة ؛يعني وجود الغيرة في العبد فيقول: **مثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه** وهي تسمى في زماننا هذا" المناعة "،هذه المناعة قوة جعلها الله سبحانه وتعالى في البدن ،تدفع المرض ،وتقاوم المرض ، تدفعه قبل أن يقع ،وتدفعه بعد وقوعه ،بأن تطرده من البدن فهذه المناعة قوة جعلها الله سبحانه وتعالى: في بدن العبد فإذا ذهبت هذه المناعة ، وجد الداء المحل قابلاً ،**فالغيرة إذا طفئت وجد الداء- داء المعصية- وجد المحل قابلا** ، لأنه المكان منطفئة فيها الغيرة ولهذا انطفاء الغيرة. مجلبة لأدواء الذنوب ، والمعاصي ليس على العاصي نفسه بل حتى على حريمه وأهله لا يغار عليهم ولا يؤثِّر فيه أن يرى الخبث يوجد في أهله أو في بيته. فالشاهد أن الغيرة شأنها عظيم جدًا وهي أصل

الدين كما قال -رحمه الله- ومن لا غيرة له ، لا دين له ، فالغيرة تحمي القلب ،فتحمي له الجوارح ،فتدفع السوء والفواحش ،وعدم الغيرة تميت القلب ،نعم .

قال -رحمه الله- [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُذْهِبُ الْحَيَاءَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الْخَيْرِ أَجْمَعِهِ.وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» .وَقَالَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»

وَفِيهِ تَفْسِيرَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْمَعْنَى مَنْ لَمْ يَسْتَحِ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مَا شَاءَ مِنَ الْقَبَائِحِ ، إِذِ الْحَامِلُ عَلَى تَرْكِهَا الْحَيَاءُ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَيَاءٌ يَرْدَعُهُ عَنِ الْقَبَائِحِ ، فَإِنَّهُ يُوَاقِعُهَا ، وَهَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْفِعْلَ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ فَافْعَلْهُ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُهُ هُوَ مَا يُسْتَحَى مِنْهُ مِنَ اللَّهِ ، وَهَذَا تَفْسِيرُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ هَانِئٍ.

فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ تَهْدِيدًا ، كَقَوْلِهِ: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [سُورَةُ فُصِّلَتْ: ٤٠] .

وَعَلَى الثَّانِي: يَكُونُ إِذْنًا وَإِبَاحَةً.

، نعم .هنا يبين الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى - أنّ من عقوبات الذنوب ذهاب الحياء ، والحياء كما اخبر نبينا -عليه الصلاة والسلام -:"خير كله "وهو خُلق يقوم في قلب العبد ،يحمله علي فعل الجميل ،وترك القبيح ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، وجود الحياء في العبد ، لا يأتي إلا بخير للعبد ، فالحياء خير كله وإذا نُزع الحياء عن العبد ، كان ذلك مجلبة للشرور ،وقد قال -عليه الصلاة والسلام-:" إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت "،قيل في المعنى" إذا لم تستحي "هذا جاء على وجه التهديد والوعيد ، "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت "يعني من لا حياء له ،يفعل من الذنوب ما شاء ولا يبالي ، لأن ما عنده حياء ، منزوع الحياء ،وهذا في مقام التهديد ،مثل قول الله سبحانه وتعالى{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} " هذا تهديد ، لمن يُلحد في آيات الله - سبحانه وتعالى -" إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ " اعملوا ما شئتم "هذا تهديد لهم ، ليس أمراً لهم بأن يفعلوا ما شاءوا ، إنّما تهديد لهم ،الله مطلع عليكم بصير بكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، فقوله هنا من لا

حياء له "**إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت** "هذا تهديد ، يعني منزوع الحياء ،يصنع ما شاء ، وهذا تهديد له في عواقب انتزاع الحياء منه الوخيمة أنَّهُ يرتكب الذنوب الكثيرة ، والمعاصي المتنوعة ، وقيل في المعنى ، أنَّ المراد بقوله :"**إذا لم تستحي** "يعني إذا كان الأمر ليس مما يُستحيَى منه افعله ،افعل ما شئت من الأمور ، فقوله" افعل ما شئت" إذا لم تستحي ، يعني إذن بالفعل ، إذا كان الأمر لا يُستحيى منه ، ففعل ما شئت من أمور ما دام أنه ليس من الأمر الذي يستحيى منه ، أي من الله -سبحانه وتعالى -يعني ليس فيه معصية لله ، افعل ما شئت من الأمور المباحة التي أباحها الله- سبحانه وتعالى -فإن قيل...

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى حَمْلِهِ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ ؟

قُلْتُ: لَا ، وَلَا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَحْمِلُ الْمُشْتَرَكَ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِيهِ ، لِمَا بَيْنَ الْإِبَاحَةِ وَالتَّهْدِيدِ مِنَ الْمُنَافَاةِ ، وَلَكِنَّ اعْتِبَارَ أَحَدِ الْمَعْنَيَيْنِ يُوجِبُ اعْتِبَارَ الْآخَرِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ تُضْعِفُ الْحَيَاءَ مِنَ الْعَبْدِ ، حَتَّى رُبَّمَا انْسَلَخَ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا لَا يَتَأَثَّرُ بِعِلْمِ النَّاسِ بِسُوءِ حَالِهِ وَلَا بِاطِّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْ حَالِهِ وَقُبْحِ مَا يَفْعَلُ ،

الحديث لا يُحمل على المعنيين ، لأن أحدهما تهديد منع ،والآخر إباحة فلا يحمل على المعنيين ، لكن اعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر ، إذا اعتبرنا أن قوله" **إذا لم تستحي ففعل ما شئت** " تهديد لمن يفعل ما شاء من المعاصي والذنوب ووعيد له ، فإن هذا المعنى فيه اعتبار لمعنى آخر ، وإن لم يكن الحديث دليلاً عليه الحديث لا يدل على المعنيين معاً لكن فيه اعتبار لمعنى آخر إذا كان الأمر لا يستحيى منه لا يضر الإنسان أن يفعله لا يشمله التهديد لا يشمله هذا التهديد هذا مراده بقوله ولكن اعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر ، نعم

قال **وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ تُضْعِفُ الْحَيَاءَ مِنَ الْعَبْدِ ، حَتَّى رُبَّمَا انْسَلَخَ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا لَا يَتَأَثَّرُ بِعِلْمِ النَّاسِ بِسُوءِ حَالِهِ وَلَا بِاطِّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ**

نعم لأنه انسلخ من الحياء فالذنوب تُضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ من الحياء كلية .

، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْ حَالِهِ وَقُبْحِ مَا يَفْعَلُ ، وَالْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ انْسِلَاخُهُ مِنَ الْحَيَاءِ ، وَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ لَمْ يَبْقَ فِي صَلَاحِهِ مَطْمَعٌ.

هذا الذي يذكر ابن القيم رحمه الله ربما منزوع الحياء في الزمن الأول إذا لقي اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو عشرة يحدثهم بأعماله القبيحة لكن في زماننا تحول الأمر تحول آخر عند منزوعي الحياء والعياذ بالله تحول تحول آخر ليس مجرد حديث عن نفسه يتحدث مع اثنين أو ثلاثة أو أربعة كما كان في الزمان الأول الآن تحول تحول آخر يصور نفسه على حالات قبيحة شنيعة ويرسلها عبر الأجهزة يراها من يراها ، يراها من يراها في صورة شنيعة من نزع الحياء لم تكن موجودة في أي زمان سابق في صورة من نزع الحياء وشناعة انتزاع الحياء لم تكن موجودة في أي زمان سابق قديماً كان منزوع الحياء يقابل من يقابل من بعض الناس ويقول فعلت كذا أو فعلت كذا ويصف لهم ما فعل أما الآن يصور فعله القبيح الشنيع ويضع في الجهاز ويراه من يراه من العالمين ويراه من يراه من العالمين هذا الصورة من انتزاع الحياء هي أشنع ما وجد في التاريخ من انتزاع الحياء والعياذ بالله نعم.

قال وَإِذَا رَأَى إِبْلِيسُ طَلْعَةَ وَجْهِهِ ... حَيَّا وَقَالَ: فَدَيْتُ مَنْ لَا يُفْلِحُ.

نعم إبليس يفرح بهؤلاء لأنهم تحولوا إلى جنود له كان من قبل يدعوهم إلى خطواته فخطوا ما يدعوهم إليه إلى أن أصبح إبليس إذا رآهم استبشر وحيا وفرح بهم لأنهم أصبحوا من جنوده نعم.

قال: وَالْحَيَاءُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَالْغَيْثُ يُسَمَّى حَيَا - بِالْقَصْرِ - لِأَنَّ بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَالدَّوَابِّ ، وَكَذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْحَيَاءِ حَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ فَهُوَ مَيِّتٌ فِي الدُّنْيَا شَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الذُّنُوبِ وَبَيْنَ قِلَّةِ الْحَيَاءِ وَعَدَمِ الْغَيْرَةِ تَلَازُمٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الْآخَرَ وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا ، وَمَنِ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ، اسْتَحَى اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ لَمْ يَسْتَحِ اللَّهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

نعم وهذا الجانب من الحياء هو أعظمه وأجلّه ، وهو الحياء من الله رب العالمين سبحانه وتعالى. الحياء من الله وقد قال عليه الصلاة والسلام :(**استحيوا من الله حق الحياء**) . فالاستحياء من الله هو أعظم الحياء وإذا وجد في العبد كان من أعظم ما يكون حجزًا له عن كل ما يسخط الله لأنه كلما حملته أو دعته نفسه إلى معصية لله سبحانه وتعالى منعه حياؤه من الله ، يذكر رؤية الله له واطلاعه عليه ، وعلمه بحاله فيستحي من الله سبحانه وتعالى ، ولهذا من توفيق الله للعبد الذي أكرمه الله بامتلاء قلبه بالحياء من الله سبحانه وتعالى أن لا يكون الله عنده أهون الناظرين إليه ، فشدة حيائه منه جل وعلا تجعل الله عنده أعظم الناظرين إليه . فكلما حدثته نفسه بذنب او

معصية استحيا من الله أن يفعله ، متذكرا أن ربه سبحانه وتعالى يراه و مطلع عليه ، وأنه جل وعلا لا تخفى عليه من العباد خافية ..

ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين فيما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى نفسنا طرفة عين وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمورنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات اللهم آتِ نفوسنا تقواها ، زكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ،اللهم إنَّا نسألك الهدى والتقى ، والعفة والغنى ، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، اللهم إقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ،ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا ، وإبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ،

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ... اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه

جزاكم الله خيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجميعين ، أما بعد ، فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه **الداء والدواء**

قال : [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ وَلَا بُدَّ، شَاءَ أَمْ أَبَى، وَلَوْ تَمَكَّنَ وَقَارُ اللَّهِ وَعَظَمَتُهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ لَمَا تَجَرَّأَ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَرُبَّمَا اغْتَرَّ الْمُغْتَرُّ، وَقَالَ: إِنَّمَا يَحْمِلُنِي عَلَى الْمَعَاصِي حُسْنُ الرَّجَاءِ، وَطَمَعِي فِي عَفْوِهِ، لَا ضَعْفُ عَظَمَتِهِ فِي قَلْبِي، وَهَذَا مِنْ مُغَالَطَةِ النَّفْسِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَقْتَضِي تَعْظِيمَ حُرُمَاتِهِ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُتَجَرِّئُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ أَوْ يُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ وَيُجِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ؟ هَذَا مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ، وَأَبْيَنِ الْبَاطِلِ، وَكَفَى بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ.

الحمد لله رب العالمين, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين..أما بعد:

فهذا أثر آخر **من آثار الذنوب وعواقبها الوخيمة** أنها تضعف في قلب المرء تعظيم الله سبحانه وتعالى، ومعلوم أن القلب كلما عُمِرَ بتعظيم الله عز وجل كان ذلك أدعى لاستقامته على طاعة الله، بل إن استقامة المرء على طاعة الله عز وجل بحسب ما قام في قلبه من التعظيم لله جل وعلا فإذا اختلّ هذا التعظيم لله اختل العمل، ولهذا ينبغي على العبد المؤمن أن ينظر إلى الأمور الجالبة إلى قلبه تعظيم ربه سبحانه وتعالى فيعتني بها ليُعمر قلبه بالتعظيم لله عز وجل وأن ينظر أيضًا في الأسباب المُضعِفة لتعظيم الرب سبحانه وتعالى في القلب فيجتنبها ويحذر منها ومن أشد ما يكون في ذلك الذنب بعد الذنب، والمعصية بعد المعصية فإن النفس إذا انهمكت في الذنوب ضعف فيها، بل ربما ذهب ما في القلب من تعظيم لله جل وعلا، قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣-١٤]، اقرأ ما بعدها هذه كلها من الجوالب للتعظيم لله سبحانه وتعالى، **التفكر** في آياته العظيمة الدالة على عظمته وفي أسمائه العظيمة الدالة على عظمته سبحانه وتعالى،

لكنَّ العبد إذا انغمس في الذنوب ذهب عن قلبه هذا التعظيم، قد قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] أي ما عظموه سبحانه وتعالى حق تعظيمه ، فمن أنفع ما يكون للقلوب أن تكون معظمة لله ، ومن أضر ما يكون على القلوب أن يذهب عنها هذا التعظيم لله سبحانه و تعالى ، والذنوب ذات خطورة عظيمة على قلب العبد في إضعاف هذا التعظيم لله سبحانه **والمطلوب** من العبد الناصح لنفسه أن يحافظ على هذا التعظيم لله في قلبه وأن يعمل على زيادته لا على إنقاصه وإضعافه.نعم

قال وَمِنْ بَعْضِ عُقُوبَةِ هَذَا: أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَهَابَتَهُ مِنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ، كَمَا هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَاسْتَخَفَّ بِهِ، فَعَلَى قَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ يُحِبُّهُ النَّاسُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ يَخَافُهُ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِهِ لِلَّهِ وَحُرُمَاتِهِ يُعَظِّمُهُ النَّاسُ حرُمَاتِهِ، وَكَيْفَ يَنْتَهِكُ عَبْدٌ حُرُمَاتِ اللَّهِ، وَيَطْمَعُ أَنْ لَا يَنْتَهِكَ النَّاسُ حُرُمَاتِهِ أَمْ كَيْفَ يَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّ اللَّهِ وَلَا يُهَوِّنُهُ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَخِفُّ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَلَا يَسْتَخِفُّ بِهِ الْخَلْقُ؟

وَقَدْ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى هَذَا فِي كِتَابِهِ عِنْدَ ذِكْرِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ، وَأَنَّهُ أَرْكَسَ أَرْبَابَهَا بِمَا كَسَبُوا، وَغَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَطَبَعَ عَلَيْهَا بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ نَسِيَهُمْ كَمَا نَسُوهُ، وَأَهَانَهُمْ كَمَا أَهَانُوا دِينَهُ، وَضَيَّعَهُمْ كَمَا ضَيَّعُوا أَمْرَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ سُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهُ: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 18] فَإِنَّهُمْ لَمَّا هَانَ عَلَيْهِمُ السُّجُودُ لَهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ وَلَمْ يَفْعَلُوهُ أَهَانَهُمُ اللَّهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ مُكْرِمٍ بَعْدَ أَنْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ ذَا يُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهُ اللَّهُ؟ أَوْ يُهِنْ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ؟

*هذه أيضًا من عقوبات الذنوب ، من العقوبات التي تجرها الذنوب على العاصي أن يرفع الله جل وعلا مهابة الناس منه؛ لأن الإيمان الصحيح القويم يكسو المؤمن هيبة ومكانة في القلوب ومحبة مثل ما تقدم معنا في الحديث: ((إن الله إذا أحب عبده نادى جِبْرِيل، إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جِبْرِيل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يُجعل له القبول في الأرض)). وهذا المعنى مقرر في القرآن الكريم قول الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[مريم: ٩٦] أي : مودة ومحبة. **يجعل**: هذا تفضُّل ومن من الله وهو بيد الله سبحانه وتعالى؛ لأن قلوب العباد بيده يجعلها محبة لما شاء ومبغضة لما شاء .

الأمر أمره, والخلق خلقه سبحانه وتعالى؛ ولهذا **من العقوبات التي يبوء بها العاصي** هوانه عند الله سبحانه وتعالى, ولما استهان بطاعة الله- جل وعلا -و امتثال أمره, واجتناب نهيه, عوقب عقوبة من جنس عمله فأذهب الله هيبته ومكانته التي كانت في قلوب الناس، فهذه من العقوبات المعجلة في

هذه الحياة الدنيا وهي ماضية على قاعدة الشريعة في باب الجزاء وأنه من جنس العمل. فإذا كان استهانة وهوان أمر الشرع عند المرء يهينه الله.

إذا كان نسيانًا يجازيه الله سبحانه وتعالى " نسوا الله فنسيهم " إذا كان تضييعًا يضيع أمره, ويكون أمره فُرطاً لأنه ضيع أمر الله سبحانه وتعالى, وهذا الهوان إذا حصل للعبد لا يجد من يُكرمه إذا أهانه الله " من يُهِن الله فماله من مكرم " وهذه الإهانة ذكرها الله سبحانه وتعالى في سياق سجود الكائنات كلها لله سبحانه وتعالى, لا يخرج عن هذا السجود إلا (الشُذّاذ) من الناس الذين انحرفوا عن صراط الله المستقيم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴾ [الحج : ١٨]

فهؤلاء الذين خرجوا عن ما عليه الكون كله الكون كله يسجد لله الكون كله يسجد السماء تسجد الأرض تسجد الشمس تسجد القمر يسجد الأشجار تسجد الجبال تسجد كثير من الناس الذين هم عباد الله الصالحون يسجدون لله لا يخرج عن هذا السجود- سجود الكائنات لله سبحانه وتعالى- إلا من انحرف عن صراط الله سبحانه وتعالى المستقيم فيلقى عقوبة على هذا الانحراف والخروج عن صراط الله المستقيم أن يهينه الله {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}

قال رحمه الله : [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُنْسِي اللَّهَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، وَتَرْكَهُ وَتَخْلِيَتَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ، وهذا أهلك الْهَلَاكُ الَّذِي لَا يُرْجَى مَعَهُ نَجَاةٌ، قَالَ اللَّهُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ - وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [سُورَةُ الْحَشْرِ: 18 - 19] .

قال: ومن عقوباتها: أي الذنوب, أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه أي وترك الله لعبده ,وهذا العطف من عطف التفسير؛ لأن المراد بالنسيان هنا الترك أما النسيان الذي هو ذهاب العلم وضعف المعرفة- أو عدم ذكر الشيء- هذا الله منزه عنه سبحانه وتعالى, هذا نقص منزه عنه جل وعلا " وما كان ربك نسيا " ولهذا لا تنافي بين قوله " وما كان ربك نسيا " وقوله " نسوا الله فنسيهم " لأن النسيان المنفي غير المثبت المنفي هذا نقص لا يليق بالله سبحانه وتعالى " وما كان ربك نسيا " أما النسيان في قوله " نسوا الله " يعني تَرَكُوا طاعة الله وضيعوها فتركهم وضيعهم سبحانه وتعالى عقوبة

لهم من جنس عملهم مثل قوله " فلما زَاغُوا أَزَاغَ الله قلوبهم " عقوبة لهم من جنس عملهم وهذا له نظائر كثيرة جدًا أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى بعضها .

قال : فَأَمَرَ بِتَقْوَاهُ وَنَهَى أَنْ يَتَشَبَّهَ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَنْ نَسِيَهُ بِتَرْكِ تَقْوَاهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَاقَبَ مَنْ تَرَكَ التَّقْوَى بِأَنْ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ، أَيْ أَنْسَاهُ مَصَالِحَهَا، وَمَا يُنْجِيهَا مِنْ عَذَابِهِ،

وَمَا يُوجِبُ لَهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَكَمَالَ لَذَّتِهَا وَسُرُورِهَا وَنَعِيمِهَا، فَأَنْسَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ جَزَاءً لِمَا نَسِيَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَخَوْفِهِ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، فَتَرَى الْعَاصِيَ مُهْمِلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ مُضَيِّعًا لَهَا، قَدْ أَغْفَلَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، قَدِ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَقَدْ فَرَّطَ فِي سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ سَحَابَةُ صَيْفٍ، أَوْ خَيَالُ طَيْفٍ كَمَا قِيلَ:

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ.

نعم ,لما أمرهم سبحانه وتعالى بتقواه ،إمتثالًا لأمره سبحانه وانتهاء عن نهيه؛ لأن تقوى الله أن يجعل العبد بينه وبين ما يخشاه من سخط الله وعقوبته وقاية تقيه ، وذلك إنما يكون بفعل ما أمر ، وترك ما نهى عنه وزجر .فلما قابلوا هذا الأمر منه سبحانه وتعالى لهم بتقواه ، بالترك وعدم الفعل ، عاقبهم الله سبحانه وتعالى بعقوبة هي من جنس عملهم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: 19] هذه عقوبة هي من جنس عملهم (نسوا الله) أي : نسوا تعظيمه ،ونسوا تقواه،ونسوا إمتثال أوامره ، وإجتناب نواهيه .فعاقبهم بأنْ أنساهم أنفسهم ،فيصبح المرء ماضياً في هذه الحياة وهو بعيد كل البعد عن مصالح نفسه؛لأن أموره بتضييعه أمر الله كلها أصبحت فُرطا .(وكان أمره فرطا) أي ضائعًا ، ولا تجتمع نور العبد إلا بلزوم طاعة الله ،ولهذا في الدعاء المأثور في صحيح مسلم :"اللهم أصلح لي ديني الذي هو ماذا ؟ -عصمة أمري .

ما يكون للأمر عصمة و سلامة وإلتئام إلا بطاعة الله ولزوم دينه، فإذا ضيّع دين الله (كان أمره فرطا) , ثم تلك اللذة التي شغلته عن تحقيق تقوى الله ، هي لذة زائلة فانية ، ليست باقية ،**وهذا من أعظم الحرمان** أن يؤثر لذة تذهب في لحظة يسيرة على لذة باقية في الدار الآخرة ،فهذا من أعظم الحرمان ،أن يؤثر لذة فانية تبقى عواقبها الوخيمة على الملتذ في دنياه وأخراه ، وأيضاً يضيّع اللذة العظيمة التي أعدها الله في الدار الآخرة لأوليائه المقربين وعباده المؤمنين .

وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللَّهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ وَالْهَوَانِ وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ، فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى أَوْ مِنْهُ كُلُّ الْعِوَضِ:

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ ... وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعْتَ مِنْ عِوَضِ

الشيخ : عندك وبيعُها كذا ؟- الطالب: وبيعُها ذلك بالغبن.

الشيخ : **إما أن تكون: وبيعه ذلك أو بيعها:**-**وبيعه ذلك بالغبن والهوان وأبخس الأثمان**,أو **وبيعها بالغبن والهوان بيعها أي النفس**

((الشرح)):

هذا أعظم الخسران أن يستبدل الذي أدنى بالذي هو خير فيحرم نفسه أشد الحرمان بل الأدنى الذي استبدله بالذي هو خير هو في الحقيقة ضياع لحياته وهلاك لها وإيقاع لها في المضرة العظيمة التي تلحقها في دنياه وأخراه وأما اللذة التي فُتن بها فهي لذة فانية منقضبة كما قال القائل :

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها * من الحرام ويبقى الخزي والعارُ**

وتبقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير في لذة من بعدها النارُ**

وهذا البيت عظيم جدًا جدير بأن يُتأمل قول الشاعر:

من كل شيءٍ إذا ضيعتهُ عِوض وما من الله إن ضيعته عِوضُ.

كل شيء إذا ضيعته له عوض لكن الدين لا عوض له، تقوى الله لا عوض لها ،طاعة الله لا عوض لها.لكل شيء ذهب عن الإنسان أو لم يحصله الإنسان عوض، في تقوى الله خلفٌ من كل شيء،وليس من تقوى الله خلف، **في تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف**،إذا ذهبت التقوى ما يعوضها أي شيء، ولو أعطي المرء الدنيا كلها، بكل زخرفها ، إن ضاعت التقوى من العبد وحرم التقوى لو أعطي الدنيا بحذافيرها لا تعوضه ما فقده من تقوى الله سبحانه وتعالى،لكن إن وجِدَ عنده تقوى الله عز وجل ففيها عوض عن كل شيء عن جميع المألوفات، أو المحبوبات أو المبتغيات فالتقوى فيها عوض وفيها خلف عن كل شيء أما إذا ضاعت تقوى الله سبحانه وتعالى فإنه ليس لها عوض وليس لها خلف.

قال رحمه الله : فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَوِّضُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا سِوَاهُ وَلَا يُعَوِّضُ مِنْهُ شَيْءٌ

*وهذا أيضا كلام عظيم بمعنى ما سبق ،الله سبحانه وتعالى يعوض كل ما سواه، ولهذا الذي يترك شيئاً من مبتغياته الدنيوية لأجل الله، أي لما في ذلك الأمر من مخالفة أو حتى شُبهة فيتركه لأجل الله يعوضه الله، ولهذا جاء في الحديث قال عليه الصلاة والسلام:[من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه] العوض بيده سبحانه وتعالى, والفضل بيده جل وعلا, لكن الذي يضيع دين الله سبحانه وتعالى ، هذا الضياع لدين الله ليس منه عوض، ولا يعوضه شيء ولو حصَّل الدنيا لا تعوضه ما ضيعه من تقوى الله سبحانه وتعالى.

قال وَيُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ.

يعني سبحانه وتعالى عن كل شيء ولا يغني عنه شيء؛ لأن العبد لا غنى له عن الله طرفة عين﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[فاطر:١٥-١٦]

وَيُجِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُجِيرُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيَمْنَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٌ، كَيْفَ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟ وَكَيْفَ يَنْسَى ذِكْرَهُ وَيُضَيِّعُ أَمْرَهُ حَتَّى يُنْسِيَهُ نَفْسَهُ، فَيَخْسَرُهَا وَيَظْلِمُهَا أَعْظَمَ الظُّلْمِ؟ فَمَا ظَلَمَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَلَكِنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَمَا ظَلَمَهُ رَبُّهُ وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[البقرة: 57] ما ظلم ربه ولكن ظلم نفسه وجنى على نفسه وأضر بها وأحل بها الخزي والعار وأحلها محال العقوبات والعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله : فصل: [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ وَتَمْنَعُهُ مِنْ ثَوَابِ الْمُحْسِنِينَ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ مَنَعَهُ مِنِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ إِلَّا لِاسْتِيلَاءِ ذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ، وَذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَةِ الْمَعْصِيَةِ، فَضْلًا عَنْ مُوَاقَعَتِهَا، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ، فَاتَهُ صُحْبَةُ رُفْقَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَعَيْشُهُمُ الْهَنِيءُ، وَنَعِيمُهُمُ التَّامُّ،

فإذا خرج من دائرة الإحسان فاته صحبة رفقة الخاصة: يعني رفقة الرفقاء والأصحاب وعيشهم الهنيء, اللهمَّ اهدنا فيمن هديت,إذا خرج عن هذه الدائرة خرج عن صحبة هؤلاء ورفقة هؤلاء< وحسن أولئك رفيقا > -نعم .

قال فَإِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا أَقَرَّهُ فِي دَائِرَةِ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ عَصَاهُ بِالْمَعَاصِي الَّتِي تُخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ إِلَيْهِ فِيهَا النَّاسُ أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ.

*هذا أيضاً **من العقوبات من عقوبات المعاصي** أنها: تخرج العبد من دائرة الإحسان, ثم أيضا تصل به إلا أن تخرجه من دائرة الإيمان؛ لأن الحديث، حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن مراتب الدين كانت ثلاثة: **الإسلام، والإيمان، والإحسان.**

وفي حديث جبريل المشهور بُيّنت كل مرتبة فهذه مراتب ثلاث للدين، ومثل ما أشار ابن القيم في كلامه هي بمثابة الدوائر,أحد السلف أراد أن يوضح هذه المراتب فوضع ثلاث دوائر دائرة داخل دائرة فجعل الدائرة الصغيرة التي في الداخل هي الإحسان ثم الأوسع منها الإيمان ثم الأوسع منها الإسلام, فالعبد إذا دخل في الدين يكون ماذا؟ -مسلماً لا يصبح محسناً مباشرة -يكون مسلماً -فإذا تمكّن الإيمان من قلبه انتقل إلى الدائرة الأخرى وهي مرتبة الإيمان, كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا ﴾ أي لم تصلوا إلى هذه المرتبة ﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[الحجرات: ١٤]. إذا دخل الإيمان في القلوب وتمكن ارتقوا إلى دائرة الإيمان فإذا جَدُّوا في العبادة إتقانا وإحسانا وتتميما وتكميلا فعبدوا الله كأنهم يرون الله سبحانه وتعالى انتقلوا إلى الدائرة الأعلى وهي دائرة الإحسان ,فما الذي يحدث في المعصية؟- إن كان المرء محسنا فدخل في المعاصي أخرجته من دائرة الإحسان ورفقة المحسنين ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: ٦٩] أي يخرج من ذلك ويصبح ليس من المحسنين ولا من هذه الرفقة التي هي صفوة الخلق لا يكون منهم, وإذا تمادى في المعاصي ودخل في عظائم الذنوب وكبائر الآثام خرج من دائرة الإيمان وخروجه من دائرة الإيمان لا يعني خروجه من الملة بل هناك دائرة تحيطه قبل الكفر وهي دائرة الإسلام لكن ليس وراء الإسلام إلا الكفر, فإذا فعل ما يكون به خروجه من الإسلام انتقل من الملة.

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْعَاصِي يَفُوتُهُ ثَوَابُ الْمُؤْمِنِينَ]

وَمَنْ فَاتَهُ رُفْقَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَحُسْنُ دِفَاعِ اللَّهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَفَاتَهُ كُلُّ خَيْرٍ رَتَّبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ نَحْوُ مِائَةِ خَصْلَةٍ، كُلُّ خَصْلَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

هذا أيضًا فصل عظيم يبين فيه رحمة الله عليه أن من فاته رفقة المؤمنين وحُسن دفاع الله عنهم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الحج: ٣٨] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ,﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[غافر: ٥١], فمن فاته رُفقة المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[الحج:٣٨] فاته كل خير فهم القوم لا يشقى بهم جليس ورفقتهم هي الغنيمة فمن خرج عن رفقتهم فاته الخير, ولهذا يحتاج العبد إلى ماذا؟ أن يصبر نفسه على رفقتهم ويلزمها بها بهذه الرفقة وإن تفلتت يلزمها ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف: ٢٨],هذا الضياع يترك رفقة الأخيار الصالحين الذين رفقتهم تسوقه إلى كل خير وإلى كل مقام علي ويذهب بنفسه يطيع من كان أمره فُرطا من أُغفل قلبه عن ذكر الله منهمكاً في الضياع واللهو والباطل - فهذا هو الهلاك- ولهذا من فاته رُفقة الأخيار ما الذي يحدث له؟- تلقّفهُ الأشرار,وأصبح رفيقًا لهم بدل أن يكونَ رفيقًا للأخيار في الدُنيا ويُحشر معهم يوم القيامة أبى لنفسِهِ إلا أن تكون رفيقةً للأشرار وتُحشر معهم يوم القيامة وهذا من أعظم الجناية على النفس والظُلم لها.

ابن القيم هُنا ذكر فائدة جدير بطالب العلم أن يُقيدها وأن يُعمِلها ،يقول ابن القيم رحمه الله **عن** فوائد الإيمان وهي نحو مئة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها ,يقصد رحمه الله أن الإيمان له فوائد ، فوائد كثيرة، وآثار وثِمار مثل ما قال الله سبحانه وتعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾[إبراهيم: ٢٤- ٢٥]- ثمار كثيرة جدا وجنا لذيذ في الدنيا والآخرة وأنواع من الفوائد والثمار يجنيها المؤمن في دنياه وأُخراه وهي كثيرة جدا ، فيقول الإمام ابن القيم رحمه الله وهو -أي هذه الفوائد-نحو مئة خصلة كل خصلة منها خير من الدنيا وما فيها ،ومن يتتبع ابن القيم لما يقول نحو مئة خصلة- قال هذا عن تتبع- ولو كان في الكتاب سعة لبسط أكثر من الإشارة التي أشار- رحمه الله تعالى-، ففوائد الإيمان وثماره التي دل عليها القرآن والسنة كثيرة جداً، أشار إلى ما يقرُب من عشر فوائد تقريباً اكتفى بها وذكر أن نحو من مئة. وأحسن من رأيته كتب في هذه الفوائد **الإمام ابن سعدي** رحمه الله في كتابه: التوضيح

والبيان لشجرة الإيمان؛ لأن هذا الكتاب هو كتاب عظيم جدا قسمه إلى ثلاثة أقسام ، قسمٌ ذكر فيها حقيقة الإيمان، وقسمٌ ذكر فيه الأمور التي يُستمد منها الإيمان، وقسمٌ وهو الثالث ذكر فيه فوائد الإيمان وثماره، وعدَّ رحمه الله فوائد عظيمة جدًا للإيمان،

ومن فائدة معرفة العبد بفوائد الإيمان: أنها تزيده حرصًا على الإيمان، ونصحًا لنفسه على الثبات على الإيمان؛ حتى يظفر بهذه الفوائد ويكون من أهلها، وهي فوائد عظيمة كبيرة يجنيها العبد ثمرةً لإيمانه في دنياه وأُخراه.نعم

فَمِنْهَا: الْأَجْرُ الْعَظِيمُ: {وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [سورَةُ النِّسَاءِ: 146] .

وَمِنْهَا: الدَّفْعُ عَنْهُمْ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورَةُ الْحَجِّ: 38] .:

وَمِنْهَا: اسْتِغْفَارُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ لَهُمْ: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [سورَةُ غَافِرٍ: 7] .

وَمِنْهَا: مُوَالَاةُ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَا يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورَةُ الْبَقَرَةِ: 257] .

وَمِنْهَا: أَمْرُهُ مَلَائِكَتَهُ بِتَثْبِيتِهِمْ: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [سورَةُ الْأَنْفَالِ: 12] .

وَمِنْهَا: أَنَّ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّزْقَ الْكَرِيمَ. { لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}

الشيخ:*"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال]هذه ثمرة من ثمار الإيمان العظيمة، الدرجات العالية والمغفرة والرزق الكريم.

قال وَمِنْهَا: الْعِزَّةُ: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [سورَةُ الْمُنَافِقُونَ: 8] .

وَمِنْهَا: مَعِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ: {وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورَةُ الْأَنْفَالِ: 19] .

نعم. والمعية هنا خاصة لأن المعية نوعان: عامة وخاصة.

العامة :كما جاء في قوله سبحانه وتعالى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} وقال تعالى { إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} هذه معية عامة بالإطلاع والعلم والإحاطة.

وأما الخاصة: مثل ما جاء في هذه الآية { وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} ،{ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } ،{ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } ،{ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ } هذه خاصة, إنما هي لأولياء الله، وهي تقتضي الحفظ والتأييد والمعونة والتوفيق والتسديد -نعم-

قال وَمِنْهَا: الرِّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}

[سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: 11] .

وَمِنْهَا: إِعْطَاؤُهُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِعْطَاؤُهُمْ نُورًا يَمْشُونَ بِهِ وَمَغْفِرَةُ ذُنُوبِهِمْ.

: في إعطائهم كفلين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } في آخر سورة الحديد .نعم

وَمِنْهَا: الْوُدُّ الَّذِي يَجْعَلُهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ وَيُحَبِّبُهُمْ إِلَى مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾

وأيضا الحديث الذي مر معنا قريبا، هو بمعنى الآية { إنّ الله إذا أحب عبده نادى جبريل إني أحب فلانا فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلان فيحبوه ثم يجعل له القبول في الأرض} نعم.

وَمِنْهَا: أَمَانُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ يَوْمَ يَشْتَدُّ الْخَوْفُ: {فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

[سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 48] .

وَمِنْهَا: أَنَّهُمُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى صِرَاطِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

نعم. منها أنّهم المنعم عليهم {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)} فالمنعم عليهم **هم** أهل الإيمان ،**من فوائد الإيمان**:- أن يكون

العبد من هؤلاء {(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)} فيكون معهم ،يكون من هذه الزُمرة و في هذه الرفقة العظيمة ، قال :الذين أمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى صراطهم في كل يوم و ليلة سبع عشرة مرة ،أُمرنا: أي فرضاً, أوجب الله علينا ذلك- أن نسأله طريقهم- أي في قوله سبحانه و تعالى في سورة الفاتحة : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } كثير من العوام يقرؤون الفاتحة ولا يستشعرون أنّ هذا دعاء,ولهذا من نصائح **الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله** الثمينة قال: **ينبغي أن يُنبّه العوام أن هذا دعاء لأن كثير من العوام يقرأها مجرد قراءة لا يستشعر أنه يدعو الله وهذا دعاء بل هو أعظم الدعاء لأن الله لم يفرض علينا دعاءاً ندعوه به لتكرر الأيام بهذا العدد إلا هذا الدعاء -هذا أعظم الدعاء وأجله**- أن تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ "فأوجبه الله على العباد سبع عشرة مرة بعدد الركعات المفروضة بعدد الركعات التى افترضها على العباد في الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء سبعة عشر ركعة لكل ركعة- لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب- لا بد أن تقرأ في كل ركعة فهذا الدعاء العظيم يسأله المؤمن, بل أُمِرَ المؤمن أن يسأله ربه في كل يوم وليلة **سبع عشرة مرة** " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ "فالإيمان يكون من هؤلاء الذين أمر الله عزوجل العباد أن يسألوا الله كل يوم سؤالا متكررا أن يجعله وأن يهديه صراطهم وسبيلهم .نعم

قال وَمِنْهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا هُوَ هُدًى لَهُمْ وَشِفَاءٌ: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [سُورَةُ فُصِّلَتْ: 44] .

وهذه أيضاً من ثمار الإيمان أن القرآن إنما هو هدىً وشفاء لهم أي لأهل الإيمان قال تعالى" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ "," إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ "," فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ "فالقرآن شفاء لهؤلاء, وأما غير المؤمنين والذين لايؤمنون في آذانهم وقر, وهو عليهم عمى, أولئك ينادون من مكان بعيد - نعم

قال وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِيمَانَ سَبَبٌ جَالِبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ الْإِيمَانُ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ.

نعم - هذا تلخيص بعد أن أشار إلى بعض فوائد الإيمان وثماره العظيمة ,نبّه إلى أن الإيمان سبب جالب لكل خير, وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان-

قال وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ.

فالإيمان مجلبة لكل خير وضده مجلبة لكل شر أو كذلك وتضييعه مجلبة لكل شر-

فَكَيْفَ يَهُونُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْتَكِبَ شَيْئًا يُخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ؟، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؟!، وَلَكِنْ لَا يَخْرُجُ مِنْ دَائِرَةِ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ.

نعم,**ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين** **لأنها ثلاث دوائر** :**الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام** ,فإذا خرج من الإحسان كان في دائرة الإيمان وإذا خرج من دائرة الإيمان كما جاء في الحديث:" **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن, ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ,ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن, ولا ينتهب نهبة يرفع الناس فيه إليها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**" فإذاخرج من هذه الدائرة دائرة الإيمان صار في دائرة الإسلام، ولهذا قال الشيخ : **ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين**؛ لأن هذه معاصي، وليست كفر ناقل من الملة، فهو وإن خرج من دائرة الإيمان، لا يكون بذلك كافراً ، كما هي عقيدة الخوارج في العصاة يكفرونهم- **هذا ضلال**- يخرج نعم من دائرة الإسلام ،لكنه يكون في دائرة الإسلام، عموم المسلمين، إلا إذا وقع في كفر ناقل من الملة، غير المعاصي، المعاصي لا يكفر بها المرء، لكن إذا وقع فيما هو كفر ناقل من الملة، حينئذٍ يخرج من دائرة الإسلام.

قال فَإِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى الذُّنُوبِ وَأَصَرَّ عَلَيْهَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَرِينَ عَلَى قَلْبِهِ، فَيُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ.

نعم ،ولهذا تقدم معنا أن المعاصي بريد الكفر والشرك، إذا استمر فيها يُخشى أن تُفضي به إلى الكفر و الشرك بالله، نعم .

وَمِنْ هَاهُنَا اشْتَدَّ خَوْفُ السَّلَفِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْتُمْ تَخَافُونَ الذُّنُوبَ، وَأَنَا أَخَافُ الْكُفْرَ.

نعم . يعني السلف آتاهم الله -عز وجل -الكمال، فهم مع شدة صلاحهم واستقامتهم ورعايتهم لطاعة الله، وبعدهم عن المعاصي والذنوب ،كانوا يخافون ، وهذا الخوف هو من كمال إيمانهم ،عبد الله ابن أبي مُليكة يقول: **أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا، كلهم يخاف النفاق على نفسه**، والمؤمن مأمور أن يتعوذ بالله من الكفر ،وأن يتعوذ بالله من النفاق ،ومن الدعوات المأثورة في الصباح ثلاثاً وفي المساء ثلاثاً: " **اللهم إني أعوذ بك من الكفر، ومن الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت**" ثلاثاً في

الصباح وثلاثاً في المساء، هذا ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام , فالمؤمن يتعوذ بالله،ولو لم يأتِ في الخوف من الشرك والكفر،إلا ما جاء في الدعاء، دعاء خليل الرحمن قال: "واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام " الذي حطّم الأصنام بيده ،وكسرها بيده، يدعو الله وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ " ,ولهذا الخوف من الشرك،هذا أمر مطلوب، أن يكون الإنسان خائفاً على نفسه من الشرك، لأن إذا وجِد في القلب الخوف من الشرك، حمله ذلك علي كثرة التعوذ بالله من الشرك، وهذا مطلوب من العبد، أن يكون ملتجأً إلى الله، كثير الالتجاء إلى الله أن يعيذه من الشرك،

وحمله أيضاً على إغلاق المنافذ، وسد الوسائل،المفضية إلى الشرك،والذرائع المؤدية إليه،وهذا مطلوب من العبد، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم- لما حرم الشرك،أغلق جميع المنافذ،وسد جميع الوسائل،التي تفضي إلى الشرك،فكما أن العبد مطلوب منه أن يجتنب الشرك،ويبعد عنه،فإنه مطلوب منه في الوقت نفسه، أن يبتعد عن كل وسيلة، تفضي به إلى الشرك بالله - سبحانه وتعالى -

نسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا أجمعين، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين،اللهم اقسم لنا من خشيتك،ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك،ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا، ما أحييتنا،واجعله الوارث منا،واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا،ولا تسلط علينا من لا يرحمنا،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ،أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلى وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد واله وصحبه .

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العلامة ابن القيّم الجوزيّة رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه" الداء والدّواء":

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُضْعِفُ الْقَلْبَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، أَوْ تَعُوقُهُ أَوْ تُوقِفُهُ وَتَقْطَعُهُ عَنِ السَّيْرِ، فَلَا تَدَعُهُ يَخْطُو إِلَى اللَّهِ خُطْوَةً، هَذَا إِنْ لَمْ تَرُدَّهُ عَنْ وجهه إِلَى وَرَائِهِ، فَالذَّنْبُ يَحْجِبُ الْوَاصِلَ، وَيَقْطَعُ السَّائِرَ، وَيُنَكِّسُ الطَّالِبَ، وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بِقُوَّتِهِ، فَإِذَا مَرِضَ بِالذُّنُوبِ ضَعُفَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُسَيِّرُهُ، فَإِنْ زَالَتْ بِالْكُلِّيَّةِ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ انْقِطَاعًا يصعب تَدَارُكُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.فَالذَّنْبُ إِمَّا أن يُمِيتَ الْقَلْبَ، أَوْ يُمْرِضَهُ مَرَضًا مُخَوِّفًا، أَوْ يُضْعِفُ قُوَّتَهُ وَلَا بُدَّ حَتَّى يَنْتَهِيَ ضَعْفُهُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وَهِيَ: « [الْهَمُّ، وَالْحَزَنُ، وَالْعَجْزُ، وَالْكَسَلُ، وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ، وَضَلَعُ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ] » وَكُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قَرِينَانِ.

فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْوَارِدَ عَلَى الْقَلْبِ إِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ يَتَوَقَّعُهُ أَحْدَثَ الْهَمَّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مَاضٍ قَدْ وَقَعَ أَحْدَثَ الْحَزَنَ.

وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ تَخَلُّفَ الْعَبْدِ عَنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، إِنْ كَانَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ فَهُوَ الْعَجْزُ، وَإِنْ كَانَ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ فَهُوَ الْكَسَلُ.

وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ عَدَمَ النَّفْعِ مِنْهُ إِنْ كَانَ بِبَدَنِهِ فَهُوَ الْجُبْنُ، وَإِنْ كَانَ بِمَالِهِ فَهُوَ الْبُخْلُ.

وَضَلَعُ الدَّيْنِ وَقَهْرُ الرِّجَالِ قَرِينَانِ: فَإِنَّ اسْتِعْلَاءَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ بِحَقٍّ فَهُوَ مِنْ ضَلَعِ الدَّيْنِ، وَإِنْ كَانَ بِبَاطِلٍ فَهُوَ مِنْ قَهْرِ الرِّجَالِ.

وَالْمَقْصُود أَنَّ الذُّنُوبَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِهَذِهِ الأشياء الثَّمَانِيَةِ، كَمَا أَنَّهَا مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِجَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِزَوَالِ نِعَمِ اللَّهِ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ وفجأة نِقْمَتِهِ وَ جَمِيعَ سُخْطِهِ.

فهذه عقوبة أخرى من العقوبات التي تترتّب على المعاصي و الذّنوب ، أنّ المعاصي تُضعف القلب و تُوهّيه بدل أن يكون قلبا قويا متينا عامرا بالخير وإرادة الخير فإنّ ذلك بالمعاصي يضعف ، و ربّما بالمعاصي و اشتدادها على المرء ربما ذهبت عنه قوّته بالكليّة ، و لهذا فإنّ في ترك المعاصي حفظا للقلب و حفظا لقوته و إبقاءً عليه ،و على الضدّ من ذلك طاعة الله عزّ و جل و الحفاظ على مراضيه سبحانه و تعالى قوّة

للقلب و ثبات على الحق والإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- ذكر هذا الأثر قال : إن المعاصي من عقوبتها أنها تضعف القلب في سيره إلى الله والدار الآخرة :-

سيره إلى الله: باعتبار أن الله هو المقصود المعبود الملتجأ إليه -تبارك وتعالى- بالعبادة

والدار الآخرة: باعتبار أنها دار المعاد ودار الجزاء على الأعمال .

ولهذا كثيرا ما يقرن بين هذين الإيمانين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة سواء في باب الترغيب والأعمال الصالحات أو الترهيب من الأعمال السيئة فالله عز وجل لأنه المقصود المعبود الملتجأ إليه المتقرب إليه بالعمل، والدار الآخرة باعتبار أنها دار الجزاء على العمل وفيها المعاد,(لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوابِالْحُسْنَى)

فهي إما أن تضعف القلب في سيره فيكون ضعيفا أو تعوقه أو توقفه حتى يتعطل عن السير ولاحظ أمرا هنا لابد من التنبه له:أن سير القلب هو الأساس لسير البدن -سير القلب إلى الله والدار الآخرة هو الأساس لسير البدن- فكلما قوي القلب قوي السير وكلما ضعف القلب ضعف السير, فالعبرة بقوة السير وضعفه إلى الله والدار الآخرة بحسب قوة القلب, ولهذا أحيانا يكون البدن في أحسن ما يكون من القوة والنشاط وينادى المرء إلى فريضة الله حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يكون فيه قوة للذهاب إلى الصلاة مع أنه قوي البدن لكنه يجد عجزا وضعفا وكسلا فلا ينهض وبالمقابل تجد آخر قوي القلب وبدنه ضعيف جدا في أشد ما يكون لكبر سنه فتراه يتحامل على نفسه متكئ على عصاه متحملا الأمراض التي معه وشدة السير عليه إلى أن يصل إلى بيت الله, فهذا قوي القلب وإن كان ضعيف البدن والآخر قوي البدن وهو ضعيف القلب, فأصبح المؤثر في السير إلى الله تبارك وتعالي هو قوة القلب فما الذي يضعف هذه القوة التي في القلب هذا الذي ينبه عليه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو أن المعاصي تلو المعاصي تجعل القلب ضعيفا تجعل القلب معوّقا ولهذا الإعاقة الحقيقية إعاقة القلب .كثير من الناس إذا رأى من هو فاقد لبعض أطرافه أو معتلا في بعض أطرافه فلا يستطيع أن يمشي إلا على كرسي أو على نحو ذلك يعطف عليه لما يرى فيه من هذا النقص, وقد يكون هذا الذي يعطف على ذاك أشد منه إعاقة من جهة إعاقة القلب ,فأولى به أن يعطف على نفسه وأن يرحم نفسه وأن يعمل على تقوية قلبه حتى يكون قلبا مطيعا لله، فيتحرك بدنه في طاعة الله -سبحانه وتعالى- ولهذا الإعاقة الحقيقية هي إعاقة القلب وليست إعاقة البدن، لأن القلب هو المحرك للبدن. هذه الإعاقة التى تحصل والضعف الذي يحصل للقلب مثلما أشار ابن القيم هو يمر بمراحل، يعني يبدأ بالضعف إلى أن يصل

إلى أن يُعيق المرء عن الخير، إلى أن يصل إلى أن يقف بالمرء عن الخير، إلى أن يصل إلى مرحلة أخرى- الخير هنا فيتجه القلب إلى هنا -معطيا الخير كله ظهره، فهذه كلها آثار للمعاصي، تأثيرها في القلب .

قال : فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم تردَّه عن وجهته إلى ورائه فالذنب يحجب الواصل ويقطع السائر ويُنكس الطالب والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإن زالت أي القوة بالكلية انقطع عن الله انقطاعا يصعب أو يبعد تداركه

هنا أشار ابن القيم إلى لطيفة مفيدة جدا ثبت عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- التعوذ من ثمانية أمور جمعها في حديث واحد : الهم والحَزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وقهر الرجل.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : الذنوب لا تزال بالعبد تضعفه حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاذ منها النبي - عليه الصلاة والسلام - : بمعنى أن يصاب بها كلها بهذه الثمانية وهي: أمور يستعاذ بالله -سبحانه وتعالى- منها .

الاثنان الأولان: الهم والحَزن، الهم والحَزن وكل منهما ألم وشدة وكربة يجدها المرء في قلبه, وهذا يُتعوذ بالله -سبحانه وتعالى- منه ,هذه الشدة التي يجدها في القلب إن كانت تتعلق بأمور مستقبلية، ففكَّر فيها فجلبت لقلبه هما، جلبت لقلبه ألما، فهذا الهم إذا كان يتعلق بالمستقبل ,وإذا كان يتعلق بشيء ماضي تفكر فيه فتألم هذا يُسمى الحزن .وإذا كان بشيء يتعلق بشيء حاضر هذا يسمى غم، وكلها آلام تصيب القلب ,فالذنوب جلَّابة للهم، و جلَّابة للغم، و جلَّابة للحزن، و جلَّابة لكل بلاء، كما سيأتي معنا عن علي - رضي الله عنه - « ما نزل بلاء إلا بذنب »

والاثنان بعدهما: العجز والكسل، العجز والكسل كلاهما تخلف عن فعل الخير، وهذا التخلف عن فعل الخير إن كان عائدا إلى عدم القدرة فهذا العجز، وإن كان عائدا إلى وجود القدرة مع عدم القيام بها فهذا هو الكسل, الكسول عنده قدرة ليس عاجزا لكن كسله حال بينه وبين القيام بالخير

وبعدهما: الجبن والبخل وهما قرينان وكلاهما يتعلق بعدم النفع نفع الآخرين فإن كان عدم النفع متعلق بالبدن فهذا جبن, جبان لا ينفع الناس ببدنه وان كان متعلق بالمال والعطاء فهذا البخل بخيل لا ينفع الناس بماله وكل منهما يتعوذ بالله سبحانه وتعالى منه

ثم بعدهما ضلع الدَّين وضلع الدَّين يعني ثقله على المدين و ما يجد في قلبه من الرهق والثقل والكرب بسببه ضلع الدين و قهر الرجال أي تسلط الرجال عليه وهذا أيضا عائد إلى استعلاء الغير عليه فإن كان استعلاء الغير عليه مطالبة بحق لهم فهذا قهر الدّين هم يطالبون بحق شيء لهم ربما يقاضونه ربما يتسلطون عليه يشتد وقعهم عليه كلامهم, يطالبون بحقوقهم وإن كان بغير حق فهذا تسلط الرجال الذي هو قهر الرجال.

فهذه الثمانية جاء التعوذ بالله سبحانه وتعالى منها والقلب بالذنوب قد يفضي بصاحبه إلى هذه الثمانية والى ما هو أشد منها -مثل ما نبه ابن القيم بالإشارة إلى دعاءين آخرين في باب التعوذ: التعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

فالذنوب جلابة لهذا كله وأيضا زوال النعمة وتحوّل العافية والجلب لجميع السخط هذه كلها من آثار الذنوب وعواقبها والعبد مطلوب منه أن يستعيذ بالله من هذه الأشياء وفي الوقت نفسه أن يبتعد عن الأسباب الجالبة لها وأعظم ذلك الذنوب والمعاصي .

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ،ولا رفع بلاء إلا بتوبة, كما قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ بلاء إِلَّا بِتَوْبَةٍ.وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [سُورَةُ الشُّورَى: 30] .وَقَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: 53] .فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعَمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَهُ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سَخَطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ عَلَيْهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.فَإِنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَالذُّلَّ بِالْعِزِّ.

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [سُورَةُ الرَّعْدِ: 11] .

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أُحِبُّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أَكْرَهُ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يُحِبُّ إِلَى مَا يَكْرَهُ، وَلَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أَكْرَهُ، ثم يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أُحِبُّ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ» .

وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ المعاصي تُزِيلُ النِّعَمْ
وَحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ...... فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمْ
وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ..فَظُلْمُ الْعِبَادِ شَدِيدُ الْوَخَمْ
وَسَافِرْ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى ... لِتَبْصُرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمْ
فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ بَعْدَهُمْ ... شُهُودٌ عَلَيْهِمْ وَلَا تُتَّهَمْ
وَمَا كَانَ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ أَضَرَّ.. مِنَ الظُّلْمِ وَهُوَ الَّذِي قَدْ قَصَمْ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ جِنَانٍ وَمِنْ ... قُصُورٍ وَأُخْرَى عَلَيْهِمْ أَطَمْ
صَلَوْا بِالْجَحِيمِ وَفَاتَ النَّعِيمُ.. وَكَانَ الَّذِي نَالَهُمْ كَالْحُلُمْ

صَلوا يعني احترقوا.ذكر هنا ابن القيم - رحمه الله تعالى- عقوبة أخرى من عقوبات الذنوب وهي أنها تحل بالعباد النقم فهي جلابة للنقم وأيضا تزيل النعم وتحل النقم لمَّا غيروا طاعة الله بالمعصية غُيِّر عليهم بالنقم عقوبة لهم, وما نزل بلاء إلا بذنب كما قال علي رضي الله عنه: وهذا شاهده في القرآن مثل الآية التي (أورد) رحمه الله { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } (٣٠)سورة الشورى ، كذلك قوله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ} (٤٠)سورة العنكبوت ، كذلك قوله تعالى: { مما خطيئاتهم } (٢٥)سورة نوح ، أي بسبب خطيئاتهم فالخطيئة والمعصية جلابة للنقم ومزيله للنعم ولهذا من أعظم ما تحفظ نعم الله عز وجل أن يتقى الله في نعمه ولا تستخدم في مساخطه ، فإذا كان العبد مستعملا لها في مراضيه جل وعلا مجانبا ما يسخط الله عز وجل ، كان هذا حافظا للنعم؛ ولهذا قالوا عن الشكر الحافظ الجالب؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة ، والمعاصي على الضد من ذلك ، المعاصي مزيلة للنعم سبب لزوال النعم ، وسبب لحلول النقم وهذه من العقوبات المعجلة ، وهو كما أشار ابن القيم رحمه الله {جزآءوفاقا}(٢٦)سورة النبا ، لما غيروا غُيِّر عليهم.

قال رحمه الله تعالى: من يغيِّر طاعة الله بالمعصية وشكره بالكفر، وأسباب رضاه بأسباب سخطه غُيِّر عليه {جزآءوفاقا}، {وما ربك بظلام للعبيد} (٤٦)سورة فصلت ، والله تعالى يقول : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }(١١)سورة الرعد , ولهذا في القحط الذي يصيب العباد ، وقلة الأمطار ، وجفاف الأرض ، وتضرر الماشية ، وتضرر الزروع ، يُدعى العباد إلى التوبة والاستغفار ، والإكثار من الاستغفار من الذنوب ، فهذا الاستغفار جلاب للنعم والخيرات ، إذا استغفر العباد من ذنوبهم وتابوا إلى ربهم ، هذا جلاب للخير { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا } (١٠-١٢)سورة نوح، { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٩٦)سورة الأعراف ، هذا أيضا شاهد لما ذكره ابن القيم رحمه الله

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُلْقِي الرُّعْبَ وَالْخَوْفَ فِي الْقُلُوبِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: مَا يُلْقِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ فِي قَلْبِ الْعَاصِي، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا خَائِفًا مَرْعُوبًا. فَإِنَّ الطَّاعَةَ حِصْنُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الذي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ مِنْ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُ أَحَاطَتْ بِهِ الْمَخَاوِفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ انْقَلَبَتِ الْمَخَاوِفُ فِي حَقِّهِ أَمَانًا، وَمَنْ عَصَاهُ انْقَلَبَتْ مَآمِنُهُ مَخَاوِفَ، فَلَا تَجِدُ الْعَاصِيَ إِلَّا وَقَلْبُهُ كَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاحَيْ طَائِرٍ، إِنْ حَرَّكَتِ الرِّيحُ الْبَابَ قَالَ: جَاءَ الطَّلَبُ، وَإِنْ سَمِعَ وَقْعَ قَدَمٍ خَافَ أَنْ يَكُونَ نَذِيرًا بِالْعَطَبِ، يَحْسَبُ أَنَّ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِ، وَكُلَّ مَكْرُوهٍ قَاصِداً إِلَيْهِ، فَمَنْ خَافَ اللَّهَ آمَنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ:

لقد قَضَى اللَّهُ بَيْنَ الناس مُذْ خُلِقُوا ... أَنَّ الْمَخَاوِفَ وَالْإِجْرَامَ فِي قَرَنِ

هذا أيضا من عقوبات المعاصي ما يلقيه الله - سبحانه وتعالى- في قلب العاصي من الرعب والخوف بحسب معاصيه، وكما أن طاعة الله والخوف من الله والمراقبة لله - مثل ما تقدم - هي قوة للقلب ودخول في الأمن؛ في الطمأنينة، وهذه من آثار الإيمان؛ الأمن والطمأنينة هي من آثار الإيمان، قال الله – سبحانه وتعالى-: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}[النور:55]، هذا في العمل والطاعة. وقال -تعالى-: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}[الأنعام:82].

فالإيمان والطاعة ثمرتها الأمن:الأمن من عقوبة الله في الدنيا والآخرة.

والمعصية ثمرتها الخوف، فيصبح في قلبه خوف يلقيه الله في قلب العاصي ورعب، ولهذا يصبح العاصي يخاف من أي شيء، من كان على معصية يخاف من أي شيء، من خاف الله أخاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء، مثل ما قال ابن القيم: فمن خاف الله آمنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

قال: حتى إن العاصي يصبح حال قلبه كأنه بين جناحي طائر، تأمل في الطائر خاصة إذا كان قريب من الناس وهو يلقُط الحبّ تجده رأسه ما يستقر، ينظر هنا وينظر هنا، ثم يأخذ حبة واحدة، ثم

ينظر وينظر وينظر ، ثم حبة واحدة، في خوف شديد، فالعاصي مثله، العاصي قلبه في رعب. ولهذا مثل ما قال ابن القيم - رحمه الله - : إن حركت الريح الباب قال جاء الطلب، يحسبون كل صيحة عليهم، أي حركة يخاف، هذا الخوف من أثر المعاصي، والطمأنينة والأمن من أثر الطاعة- طاعة الله سبحانه وتعالى-، فالإيمان أمن والمعصية خوف،

لاحظ شُرع لنا في مطلع كل شهر إذا هلّ الهلال و رأينا الهلال أن نقول :"اللّهم أهله علينا بالأمن و الايمان " قرينان الأمن و الايمان , إذا وجد هذا وجد الآخر , وإذا ارتفع هذا ارتفع الآخر فهما قرينان " اللّهم أهله علينا بالأمن و الايمان , والسلامة و الإسلام , ربّي و ربّك الله "

لاحظ قول البيت الذي أورده قال :أن المخاوف و الإجرام في قرنِ :متى وجد الإجرام وجدت ماذا؟ - المخاوف؛ لأنّها مقرونة بها ,وإذا كانت المخاوف و الإجرام في قرن فإن الطاعة و الأمن ماذا؟- في قرن , إذا وجدت الطاعة وجد الأمن –نعم-

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُوقِعُ الْوَحْشَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الْقَلْبِ فَيَجِدُ الْمُذْنِبُ نَفْسَهُ مُسْتَوْحِشًا، قَدْ وَقَعَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَبَيْنَه وبين الْخَلْقِ, وَبَيْنَه وبينَ نَفْسِهِ، وَكُلَّمَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ اشْتَدَّتِ الْوَحْشَةُ، وَأَمَرُّ الْعَيْشِ عَيْشُ الْمُسْتَوْحِشِينَ الْخَائِفِينَ، وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عَيْشُ الْمُسْتَأْنِسِينَ، فَلَوْ فكر الْعَاقِلُ وَوَازَنَ بين لَذَّةَ الْمَعْصِيَةِ وَمَا تُوقِعُهُ فيه مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ، لَعَلِمَ سُوءَ حَالِهِ، وَعَظِيمَ غَبْنِهِ، إِذْ بَاعَ أُنْسَ الطَّاعَةِ وَأَمْنَهَا وَحَلَاوَتَهَا بِوَحْشَةِ الْمَعْصِيَةِ وَمَا تُوجِبُهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالضَّرَرِ الدَّاعِي لَهُ.كَمَا قِيلَ:

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ ... فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ

وسر الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الطَّاعَةَ تُوجِبُ الْقُرْبَ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، فَكُلَّمَا اشْتَدَّ الْقُرْبُ قَوِيَ الْأُنْسُ، وَالْمَعْصِيَةُ تُوجِبُ الْبُعْدَ مِنَ الرَّبِّ، وَكُلَّمَا ازداد الْبُعْدُ قَوِيَتِ الْوَحْشَةُ.

وَلِهَذَا يَجِدُ الْعَبْدُ وَحْشَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ لِلْبُعْدِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَانَ مُلَابِسًا لَهُ، قَرِيبًا مِنْهُ، وَيَجِدُ أُنْسًا وقرباً بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنْهُ.

وَالْوَحْشَةُ سَبَبُهَا الْحِجَابُ، وَكُلَّمَا غَلُظَ الْحِجَابُ زَادَتِ الْوَحْشَةُ، فَالْغَفْلَةُ تُوجِبُ الْوَحْشَةَ، وَأَشَدُّ مِنْهَا وَحْشَةُ الْمَعْصِيَةِ، وَأَشَدُّ مِنْهَا وَحْشَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَلَا تَجِدُ أَحَدًا مُلَابِسًا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَيَعْلُوهُ مِنَ الْوَحْشَةِ بِحَسْبِ مَا لَابَسَهُ مِنْهُ، فَتَعْلُو الْوَحْشَةُ وَجْهَهُ وَقَلْبَهُ فَيَسْتَوْحِشُ وَيُسْتَوْحَشُ مِنْهُ.

هذا الأثر الذي ذكره ابن القيم – رحمه الله تعالى – سبق أن ذكره, تقدم معنا ذكره؛ لأنّ من عواقب الذنوب: وحشة يجدها العاصي بينه و بين الله, ثم ذكر بعد ذلك مباشرة أن من آثار المعاصي وحشة يجدها بينه و بين النّاس هذا سبق أن مرّ معنا, لكن أعاده ابن القيم -رحمه الله تعالى- هنا بمزيد من التوضيح و التقرير و إلا يعني الأمر قد تقدم ذكره عند الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى- و ذكر هنا فائدة في المسألة: أنّ سِرّ المسألة يعني سِرّ هذه الوحشة التي تكون في قلب العاصي : أنّ الطاعة توجب القرب من الله و كلما وُجد القرب منه – سبحانه و تعالى- عظم في قلب العبد الأنس و الراحة و الطمأنينة و الأمن كل ذلك بحسب حظه من القرب من ربه - سبحانه و تعالى-

والمعصية توجب البعد من الربّ , وكلّما قوي البعد من الربّ بعد العبد عن الراحة والأنس و الطمأنينة إلى أضدادها , إلى الخوف والقلق والرّعب ونحو ذلك , كلّما قرب من ربه طاعة وذلا وخضوعا أمن وحصّل الأمن و كلما بعد عن ربه حصّل من الخوف بحسب بعده عن ربه سبحانه وتعالى.

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُمْرِضُ الْقُلُوبَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ إِلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولًا لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ، فَإِنَّ تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ فِي الْقُلُوبِ كَتَأْثِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَدَاؤُهَا، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا.

وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونُ صَحِيحَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاؤُهَا، فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِهَا، وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا، وَشِفَاؤُهَا مُخَالَفَتُهُ، فَإِنِ اسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتَلَ أَوْ كَادَ.

وَكَمَا أَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتِ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، فَكَذَا يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ، لَا يُشْبِهُ نَعِيمُ أَهْلِهَا نَعِيمًا الْبَتَّةَ، بَلِ التَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ، كَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبُهُ هَذَا وَهَذَا.

وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [سُورَةُ الِانْفِطَارِ: 13 - 14] مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ بَلْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ هم كَذَلِكَ - أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ الْبَرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ - فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟ وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللَّهِ، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُذِّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصُلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُذِّبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الْمُعَارَضَاتِ، فَإِذَا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ: فَعَذَابٌ يُقَارِنُهُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجُو عَوْدَةً وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضِدِّهِ، وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ، وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تُقَطِّعُ الْأَكْبَادَ. فَالْهَمُّ وَالْغَمُّ والحسرة و الْحُزْنُ تَعْمَلُ فِي نُفُوسِهِمْ نَظِيرَ مَا تعملُ الْهَوَامُّ وَالدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النُّفُوسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، حَتَّى يَرُدَّهَا اللَّهُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ هُوَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ نَعِيمِ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبُهُ طَرَبًا وَفَرَحًا وَأُنْسًا بِرَبِّهِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَيْهِ، وَارْتِيَاحًا بِحُبِّهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِذِكْرِهِ؟ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ نَزْعِهِ: وَاطَرَبَاهُ.

ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب

وَيَقُولُ الْآخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِيهَا، وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا.

وَيَقُولُ الْآخَرُ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

وَيَقُولُ الْآخَرُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

فَيَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ الْغَالِي بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ، وَغُبِنَ كُلَّ الْغَبْنِ فِي هَذَا الْعَقْدِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَبَنَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ خِبْرَةٌ بِقِيمَةِ السِّلْعَةِ فَسَلِ الْمُقَوِّمِينَ، فَيَا عَجَبًا مِنْ بِضَاعَةٍ مَعَكَ اللَّهُ مُشْتَرِيهَا وَثَمَنُهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، وَالسَّفِيرُ الَّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ وَضَمِنَ الثَّمَنَ عَنِ الْمُشْتَرِي هُوَ الرَّسُولُ - صلى الله عليه وسلم -، وَقَدْ بِعْتَهَا بِغَايَةِ الْهَوَانِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلُ عَبْدٍ بِنَفْسِهِ ... فَمَنْ ذَا لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُكْرِمُ

يقول الله تعالى : {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 18] .

هذا أيضا أمر آخر من عقوبات الذنوب وما تجره على العاصي: أنّها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، ويعتل القلب ويمرض بسبب هذه المعاصي؛ ثمّ إذا اعتل القلب ومرِض فارقته اللّذة، وهنا ننتبه إلى معنى عظيم يقرره ابن القيم -رحمه الله تعالى-: أن اللّذّة الحقيقيّة إنما هي في طاعة الله كثير من الناس يغتر بلذّة المعصية التي يسوقه إليها بريقها ولمعانها وجنوح القلب إليها، وإلا فاللّذّة الحقيقية (لذّة الطّاعة) ولا تقارن بأيّ لذة أخرى، ولهذا أهل طاعة الله سبحانه وتعالى في لذّة لم يذقها ولا قاربوها العصاة، ولا يجدون في معاصيهم - مهما كانت- ما يداني ويقارب اللّذة التي يجدها المطيع في طاعته لربه.ولهذا فإن المطيع لله في نعيم وسعادة ولذّة حتى وإن كان في قلّة ذات يد وفي ضعف في البدن.. في وهاء في القوى.. يجد سعادة، يجد لذة لا يجدها أصلا العاصي، العاصي يجد لذة مؤقتة

زائلة فانية أما المطيع فلذته باقية معه في قومته ورقدته ينام قرير العين وينهض سعيدا متقلبا في نعم الله جل وعلا.
ولهذا قال الله سبحانه: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ "

قال ابن القيم: لا تظنّ أنّ هذا النّعيم في الدّار الآخرة فقط؛ لا؛ الأبرار في نعيم في دورهم الثلاثة: في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة.

" وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ" ليسوا في جحيم فقط في الدار الآخرة بل في الدنيا والبرزخ والدار الآخرة.وشرح هذا ابن القيم - رحمه الله تعالى- شرح الجحيم الذي يمرّ به هؤلاء في دورهم الثّلاثة، ولهذا النّعيم الحقيقي إنما هو في طاعة الله سبحانه وتعالى.أتذكر أنني مرة زُرتُ أحد العُبّاد الصُلحاء أحسبه كذلك والله حسيبه - قد تُوفي رحمه الله- وهذالكلام قديم.زُرته في بيته وهو بين أربعة جدران من أربع سنوات ما يخرج.و يُذكر عنه أنه يُعاني من أمراض عديدة،فسألته عن حاله، قلت: كيف أنت يا أبا فلان؟

قال لي بالحرف الواحد: والله إنني في سعادة ما أظن أحد في المملكة مثلها، وهو بين أربعة جدران وعلى سرير المرض.وفي معاناة من مرض، خذ شاهدا أقوى من هذا وأعجب : الإمام بن سعدي رحمه الله تعالى، رسالته التي نفع الله سبحانه وتعالى بها خلقا والتي أسماها "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة "كيف تسعد ؟ كيف تظفر بالحياة السعيدة ؟ هذه الرسالة، من أوّلها لآخرها كتبها على سرير المرض وهو فيه ألم شديد في رأسه، حتى إن الطبيب كما حدّثني ابنه بذلك، كان منعه من القراءة والكتابة؛ لأن رأسه ما يتحمّل من شدّة الألم ومع هذا الألم يكتب "الوسائل المفيدة للحياة السعيدة" وأحد العلماء قد أحسن يصف هذا الكتاب بأنه مستشفى الأمراض النفسية، فعلا تقرأ هذا الكتاب هو مستشفى، وكثير ممن وفقه الله وقرأ الكتاب بطمأنينة زالت عنه أوهام وأسقام ووساوس وظنون و تفتحت له أبواب في السعادة.فالسعادة وقرّة العين إنما هي في طاعة الله سبحانه وتعالى كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧],قال جلّ وعلا:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] أي يسعد ، ضمن الله لمن اتبع هداه أن يسعد وأن تتحقق سعادته وألا يصيبه الشقاء

﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ [طه: ٢],القرآن كتاب السعادة، إذا أردت السعادة اطلبها في القرآن، هو كتاب السعادة ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] فاللّذة الحقيقية والسعادة الحقيقية إنما هي في طاعة الله سبحانه وتعالى، أمّا لذّة المعاصي فهي لذّة فانية محفوفة بمنغصات ومن بعد ذلك جلّابة للعقوبات،

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها .. من الحرام ويبقى الخزي والعار

و تبقى عواقب سوء من مغبتها .. لا خير في لذة من بعدها النار

هي لذّة فانية وسريعا ما تنقضي، وعواقبها على صاحبها في الدنيا و الآخرة شديدة .

نسأل الله عز وجل أن يصلحنا أجمعين وأن يهدينا إليه صراطا مستقيما وأن يغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله أوله وآخره، علانيته وسرّه وأن يغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا وما أسررنا وما أعلنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، نسأله جلّ في علاه أن يتقبّل توبتنا وأن يغسل حوبتنا وأن يثبّت حجّتنا وأن يهدي قلوبنا وأن يسلل سخيمة صدورنا. اللهم آت نفوسنا تقواها زكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد و آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُعْمِي الْبَصِيرَةَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ، وَتَطْمِسُ نُورَهُ، وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ، وَتَحْجُبُ مَوَادَّ الْهِدَايَةِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ لَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ وَرَأَى تِلْكَ الْمَخَايِلَ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ.وَلَا يَزَالُ هَذَا النُّورُ يَضْعُفُ وَيَضْمَحِلُّ، وَظَلَامُ الْمَعْصِيَةِ يَقْوَى حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ فِي مِثْلِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَكَمْ مِنْ مُهْلِكٍ يَسْقُطُ فِيهِ وَلَا يُبْصِرُ، كَأَعْمَى خَرَجَ بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقٍ ذَاتِ مَهَالِكَ وَمَعَاطِبَ، فَيَا عِزَّةَ السَّلَامَةِ وَيَا سُرْعَةَ الْعَطَبِ، ثُمَّ تَقْوَى تِلْكَ الظُّلُمَاتُ، وَتَفِيضُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْجَوَارِحِ، فَيَغْشَى الْوَجْهَ مِنْهَا سَوَادٌ، بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَتَزَايُدِهَا، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ ظَهَرَتْ فِي الْبَرْزَخِ، فَامْتَلَأَ الْقَبْرُ ظُلْمَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مُمْتَلِئَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» .

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْمَعَادِ، وَحُشِرَ الْعِبَادُ، عَلَتِ الظُّلْمَةُ الْوُجُوهَ عُلُوًّا ظَاهِرًا يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، حَتَّى يَصِيرَ الْوَجْهُ أَسْوَدَ مِثْلَ الْحُمَمَةِ، فَيَالَهَا مِنْ عُقُوبَةٍ لَا تُوَازَنُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَكَيْفَ بِقِسْطِ الْعَبْدِ الْمُنَغَّصِ الْمُنَكَّدِ الْمُتْعَبِ فِي زَمَنٍ إِنَّمَا هُوَ سَاعَةٌ مِنْ حُلْمٍ ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

،الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد،

فلا يزال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يواصل بيان عقوبات الذنوب وعواقبها الوخيمة تحذيرا منها وبيانا لخطورتها وسوء مغبتها على العاصي في دنياه وأخراه،وهذه الذنوب، أو هذه العقوبات التي ذكر رحمه الله تعالى وقوف المسلم عليها ومعرفته بها نافع له غاية النفع في حياته، لأنها تعطيه حيطةً وحذرا وإدراكا لخطورة الذنوب وعواقبها ومضارها العظيمة على العاصي في الدنيا والآخرة ولو وقف كثير من العصاة على هذه العواقب وأدركوا خطورة الذنوب لكانت أعظم رادع لهم ولهذا يؤتى من يؤتى من عدم البصيرة والدراية بالعواقب الوخيمة التي تترتب على الذنوب في الدنيا والآخرة والإمام ابن القيم رحمه الله تعالى نصح في عده للعقوبات نصحا عظيما وهذا الفصل أو الفصول الواسعة التي يذكرها رحمه الله تعالى في عقوبات الذنوب، والتي جمعها رحمه الله تعالى

لا تكاد تجدها مجموعة هذا الجمع في كتاب آخر، وهذا من توفيق الله تعالى عز وجل لهذا الإمام الناصح رحمه الله وغفر له.

ذكر هنا من عواقب الذنوب أنها تعمي بصيرة القلب كما قال الله سبحانه{فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)} [الحج/٤٦].فالمعصية لها مضرة عظيمة جدا على القلب من جهة أنها تعمي البصيرة التي في القلب، وإذا عميت بصيرة القلب أظلم، وكانت ظلمة تكسوه وتغطيه، وإذا كان القلب على هذا الوصف فإنه لا يهتدي سبيلا، بل يظل متخبطا في الظلمات، التي هي ظلمات من فوقها ظلمات، وكلما أكثر من الذنوب تراكمت هذه الظلمة على قلبه.

-قال رحمه الله تعالى :في بيان أثر انطماس نور القلب وما يترتب على ذلك، قال: وتسد طرق العلم؛ لأن العلم نور والمعاصي ظلمة تحجب عن القلب هذا النور ولهذا إن أراد لنفسه العلم فليتب من الذنوب، هذه بداية تحصيله للعلم حتى يكون قلبه مستعدا مهيأ لتلقي العلم؛ لأنه إن بقي على ذنوبه ومعاصيه فإن ظلمة التي تغشى القلب تحول بينه وبين العلم وتحصيله، تسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية.

قال رحمه الله تعالى: ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل بسبب المعاصي والذنوب، وظلام المعاصي يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم

وقلبٌ هذه صفته عياذًا بالله سبحانه وتعالى من ذلك أظلم وغشته الظلمة وغطته من كل جهة شأنه يكون كما قال: فكم من مهلك يسقط فيه ولا يبصره ومثله كمثل رجل أعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب، كيف يكون حاله؟- طريق فيه أشواك، وفيه حفر، وفيه هوام، وفيه...إلخ.

هو لا يرى طريقه فالظلمة التي تغطي قلب العاصي بسبب استغراق نفسه في الذنوب والمعاصي تجعله يقع في أنواع من المهالك والمعاطب وهو لا يشعر بسبب هذه الظلمة التي تكسو قلبه وتغطيه.

يقول-رحمه الله- : ثم هذه الظلمة التي تكون في القلب بسبب المعاصي تفيض من القلب إلى الجوارح فيغشى منها الوجه سواد، فيَسْوَدّ تكسوه ظلمة هي ناشئة ونابعة من ظلمة قلبه، ولا ينتهي حد هذه الظلمة في حياته الدنيا، بل تنتقل معه إلى قبرِهِ، وتنتقل معه يوم القيامة في حشره، وتكون ملازمة له،

وأورد -رحمه الله- الحديث، وهو في صحيح مسلم ، أن النبي- ﷺ -قال:" إن هذه القبور ،ممتلئة على أهلها ظلمة، وإن الله منورها بصلاتي عليهم" وهذا الحديث جاء في صحيح مسلم زيادة، في الحديث

المعروف -قصة المرأة- التي كانت تقم المسجد، وماتت ليلا ودفنت، صُلي عليها ودفنت، وما أخبروا النبي-عليه الصلاة والسلام-ثم لمّا سأل عنها وافتقدها، قالوا إنهم صلوا عليها، ولَم يؤذنوه بذلك ليلاً، فذهب إلى قبرها وصلى عليها، - عليه الصلاة والسلام- ثم قال :-وهذه زيادة انفرد بها مسلم عن البخاري- ، ثم قال-عليه الصلاة والسلام-"إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة، وإن الله منورها بصلاتي عليهم" يعني ما يكون منه -عليه الصلاة والسلام- من صلاة عليهم، ودعاء لهم،في صلاته عليهم- صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-

ومن أهل العلم، من ذهب إلى أن هذه الزيادة، في هذا الحديث والتي انفرد بها مسلم عن البخاري، لا تثبت مرفوعةً إلى النبي-عليه الصلاة والسلام- وإنما هي مدرجة، في الحديث، وهي من مراسيل ثابت، ولهذا ذهب الحافظ ابن حجر-رحمه الله-وغيره من أهل العلم، ومنهم من أهل العلم من قوّى ثبوتها، مرفوعة إلى النبي- صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-قال: "فإذا كان يوم المعاد، وحشر العباد، علت الوجوه علوًا ظاهرًا، يراه كل أحد"، "علت- أي الظلمة- على الوجوه، علوًا ظاهرًا ، يراه كل أحد" حتى يصير الوجه أسود مثل الحَمَمَة- أي قطعة الفحم السوداء- من شدة الظلمة والسواد الذي يكسو وجهه،

وقد استمعنا اليوم في صلاة الفجر، إليّ قول الله-سبحانه وتعالى- :﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فهذا السواد الذي يكون في الوجه، مثل ما قال ابن القيم"يعلو الوجه ويكسوه، ويكون ظاهرا يراه كل أحد" الحاصل أن هذا من أخطار الذنوب وعواقبها العظيمة الوخيمة على العاصي،أنها تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره،نعم.

الْمَعَاصِي تُصَغِّرُ النَّفْسَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُصَغِّرُ النَّفْسَ، وَتَقْمَعُهَا، وَتُدَسِّيهَا، وَتُحَقِّرُهَا، حَتَّى تَكُونَ أَصْغَرَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَحْقَرَهُ، كَمَا أَنَّ الطَّاعَةَ تُنَمِّيهَا وَتُزَكِّيهَا وَتُكَبِّرُهَا، قَالَ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا - وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [سُورَةُ الشَّمْسِ: ٩ - ١٠] ، وَالْمَعْنَى قَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَبَّرَهَا وَأَعْلَاهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَظْهَرَهَا، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَخْفَاهَا وَحَقَّرَهَا وَصَغَّرَهَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ.وَأَصْلُ التَّدْسِيَةِ: الْإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ} [سُورَةُ النَّحْلِ: ٥٩] .

فَالْعَاصِي يَدُسُّ نَفْسَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَيُخْفِي مَكَانَهَا، يَتَوَارَى مِنَ الْخَلْقِ مِنْ سُوءِ مَا يَأْتِي بِهِ، وَقَدِ انْقَمَعَ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَانْقَمَعَ عِنْدَ اللَّهِ، وَانْقَمَعَ عِنْدَ الْخَلْقِ، فَالطَّاعَةُ وَالْبِرُّ تُكَبِّرُ النَّفْسَ وَتُعِزُّهَا وَتُعْلِيهَا، حَتَّى تَصِيرَ أَشْرَفَ شَيْءٍ وَأَكْبَرَهُ، وَأَزْكَاهُ وَأَعْلَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ أَذَلُّ شَيْءٍ وَأَحْقَرُهُ وَأَصْغَرُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَبِهَذَا الذُّلِّ حَصَلَ لَهَا هَذَا الْعِزُّ وَالشَّرَفُ وَالنُّمُوُّ، فَمَا أَصْغَرَ النُّفُوسَ مِثْلُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمَا كَبَّرَهَا وَشَرَّفَهَا وَرَفَعَهَا مِثْلُ طَاعَةِ اللَّهِ.

وهذه أيضا من العقوبات المترتبة على الذنوب والمعاصي: أنّها تُصغِّر النفس وتقمعها وتدسِّيها وتخفيها وتذلها وتحقِّرها.. فهذه من عواقب المعاصي والذنوب؛ لأن النّفس شريفة وعالية ورفيعة فإذا أخذ المرء -والعياذ بالله- يتعاطى الذنوب والمعاصي والآثام، فإنّه بهذه المعاصي يُدسِّي نفسه ويُحقّرها.

وكما قال الإمام ابن القيّم -رحمه الله تعالى- : أصل التدسية: الإخفاء؛ فهو يخفي نفسه بدل أن تكون شريفة رفيعة عالية: يُخفيها ويغمرها ويُحقِّرها ويهينها بهذه المعاصي التي يرتكبها وعلى الضد من ذلك الطاعة عز وشرف ورفعة ولا تزال هذه الرِّفعة تزداد مع ازدياد الطاعات ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[المجادلة: ١١] فلا يزال في علو ولا يزال في رفعة مادام مع طاعة الله -سبحانه وتعالى-.

و إذا كان المرء والعياذ بالله مع المعاصي والذنوب؛ فهو لا يزال يحقّر نفسه ويهينها ويُذلها؛ بدل أن يكون لها الأسماء العالية الشريفة الرفيعة الفاضلة يتحوّل إلى أسماء الفسوق ويحوِّل الأسماء لنفسه بدل أسماء الرفعة والعلو: المؤمن المطيع القانت المخبت التائب المستغفر الذاكر ... إلى آخره. هذه الأسماء الشريفة يتحول إلى الأسماء الدنيئة " بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ "،فهذا التحقير للنّفس والتدسية لها يزداد مع زيادة الذنوب والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[الشمس: - ١- ٩]. قد أفلح من زكاها أي من زكّى نفسه.أفلح: أي تحقّق فلاحه؛ و(الفلاح) أجمع كلمة تعني حيازة الخير في الدنيا والآخرة..

الفلاح: هذه الكلمة هي أجمع كلمة في حيازة الخير في الدنيا والآخرة.. فمن زكّى نفسه أفلح!

زكاها: أي بطاعة الله والبعد عن معاصيه؛ لأن تزكية النفس تكون بهذا وهذا.

التزكية :تخلية، وتحلية: تخلية للنفس من الرذائل وتحلية لها بالكمالات والفضائل.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[أي دسّى نفسه وحقرها وأهانها وطمرها وغمرها بالمعاصي؛ فتصبح نفسا مهينة حقيرة حقّرها وأهانها بالذنوب والمعاصي التّي يرتكبها.

يقول ابن القيم هنا كلام حقيقة جميل وعظيم جدًا، يقول: فالطاعة والبر تكبِّر النفس وتعزها وتعليها حتى تصير أشرف شيء وأكبره وأزكاه وأعلاه.لكن مع هذا الكبَر والعلو والزكاء.. مع ذلك فهي أذلّ شيء وأحقره وأصغره لله؛ في خضوعها لله وانكسارها بين يديه ورؤيتها للتقصير في جنب الله.وحقه سبحانه وتعالى ، وأنه ما عبد الله حق عبادته،فهو لا يزال نفسه تكبر علوا في طاعته لله وهو في نفسه يرى نفسه من أعظم النفوس تقصيرا في جنب الله ، وتفريطا وظلما لنفسه ،لا يزال في طاعة،ورفعة وعلو، وهو لا يزال يرى نفسه ظالما

لنفسه،مقصرا في حق ربه سبحانه وتعالى،وهذه هي صفة المؤمنين الكُمَّل ، المؤمنون الكُمَّل جمعوا بين: الإحسان في العمل،والشفقة والمخافة، ورؤية التقصير. بخلاف غيرهم عندهم تقصير في العمل وتفريط في الطاعة، وإعجاب و زُهُوّ وغرور بالنفس ، يكون مغترا بنفسه معجبا بها وهي نفس حقيرة،دسَّاها بالذنوب و غمرها بالتفريط في طاعة الرب سبحانه وتعالى .

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي فِي سِجْنِ الشَّيْطَانِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّ الْعَاصِيَ دَائِمًا فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ، وَسِجْنِ شَهَوَاتِهِ، وَقُيُودِ هَوَاهُ، فَهُوَ أَسِيرٌ مَسْجُونٌ مُقَيَّدٌ، وَلَا أَسِيرَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ أَسِيرٍ أَسَرَهُ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَلَا سِجْنَ أَضْيَقُ مِنْ سِجْنِ الْهَوَى، وَلَا قَيْدَ أَصْعَبُ مِنْ قَيْدِ الشَّهْوَةِ، فَكَيْفَ يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ قَلْبٌ مَأْسُورٌ مَسْجُونٌ مُقَيَّدٌ؟ وَكَيْفَ يَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً؟

وَإِذَا قُيِّدَ الْقَلْبُ طَرَقَتْهُ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِحَسَبِ قُيُودِهِ، وَمَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الطَّائِرِ، كُلَّمَا عَلَا بَعُدَ عَنِ الْآفَاتِ، وَكُلَّمَا نَزَلَ اسْتَوْحَشَتْهُ الْآفَاتُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الشَّيْطَانُ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ» .

وَكَمَا أَنَّ الشَّاةَ الَّتِي لَا حَافِظَ لَهَا وَهِيَ بَيْنَ الذِّئَابِ سَرِيعَةُ الْعَطَبِ، فَكَذَا الْعَبْدُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَافِظٌ مِنَ اللَّهِ فَذِئْبُهُ مُفْتَرِسُهُ وَلَا بُدَّ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَافِظٌ مِنَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى، فَهِيَ وِقَايَةٌ وَجُنَّةٌ، حَصِينَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِئْبِهِ، كَمَا هِيَ وِقَايَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الشَّاةُ أَقْرَبَ مِنَ الرَّاعِي كَانَتْ أَسْلَمَ مِنَ الذِّئْبِ، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ عَنِ الرَّاعِي كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْهَلَاكِ، فَأَسْلَمُ مَا تَكُونُ الشَّاةُ إِذَا قَرُبَتْ مِنَ الرَّاعِي، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْغَنَمِ، وَهِيَ أَبْعَدُ مِنَ الرَّاعِي.

وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ كَانَتِ الْآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ اللَّهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ.

وَالْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ مَرَاتِبُ، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، فَالْغَفْلَةُ تُبْعِدُ الْقَلْبَ عَنِ اللَّهِ، وَبُعْدُ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْغَفْلَةِ، وَبُعْدُ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْمَعْصِيَةِ، وَبُعْدُ النِّفَاقِ وَالشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ

وهذا أيضا فصل عظيم في بيان عقوبات الذنوب وعواقبها الوخيمة على العاصي، أن العاصي يصبح دائمًا في أسر شيطانه،وسجن شهوته،وقيود هواه،مكبل بهذه القيود التي تكاثرت عليه، واشتد أمرها عليه، بسبب المعاصي التي مالت إليها نفسه؛ لأن ميل العبد إلى المعاصي هو بعد عن الله سبحانه وتعالى،وكل ما كان هذا البعد عن

الله كان أبعد عن الحفظ،حفظ الله له،وإذا كان بعيدا عن هذا الحفظ -حفظ الله سبحانه وتعالى- له تسلطت عليه الشياطين وتسلط عليه الأهواء وتسلطت عليه الشهوات وأصبح مقيّدا بهذه القيود، أسيرا لها. قال : ولا أسيرا أسوأ حالا من أسيرٍ أسره أعدى عدوٍ له وهو الشيطان الرجيم ولا سجن أضيق من سجن الهوى ولا قيد أصعب من قيد الشهوات.

وصدق رحمه الله، ليس هناك سجن أضيق من سجن الهوى.

الشّخص الذي طغى عليه الهوى و مَلأ نفسه، يَحْجُبُهُ عن الحق و يحول بينه وبين الهدى وكلما جاء داعي الحق، حال هواه بينه وبين هدى الله ، هوى نفسه بينه وبين هدى الله سبحانه وتعالى.

ولا قيد أصعب من قيد الشهوات، الشهوة هذه قيد خطير وبعض العصاة، قد يدرك في فترة من فترات عصيانه مضرّة المعصية عليه وخاصّة المضرّة الدّنيوية لأشياء يشاهدها في صحته، في عافيته، في أحواله، في أموره، فيشاهد هو بنفسه مضارا للمعصية، ومع ذلك قيد الشّهوة يجعله مع هذه المشاهدة التي يراها، يستمرّ في معاصيه؛ لأنّ القيد كلّما اشتد كلّما يكون المرء، والعياذ بالله، متماديا في المعاصي والذّنوب.

يقول ابن القيم رحمه الله: فكيف يسير إلى الله والدّار الآخرة قلبٌ مأسورٌ مسجونٌ مقيد ؟

كيف يكون السِّير إذا كان أَسِير الشّيطان وفي سجن الشهوة و في قيد الهوى؟ كيف يسير إلى الله قلبٌ هذه حاله ؟

ثمّ ضرب مثلاً جميلاً والأمثلة نافعة ومفيدة في التّوضيح وتجلية في الأمور وبيانها، يقول :" ومثل القلب مثل الطائر، كلّما عَلَا، بَعُدَ عن الآفات وكلّما نزل، احتوشته الآفات.

كلَّما عَلَا، علوه بُعد ورِفعة وبُعد عن الآفات، و كلما نزل احتوشته الآفات.

ثم ذكر أيضًا مثلا آخر للتوضيح: قال: وفي الحديث :" الشيطان ذئب الإنسان" وفي الحديث الآخر قال عليه الصّلاة والسّلام:" إنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، وهذا ذكره عليه الصّلاة والسّلام في حالِ رجل كان بعيدا عن موطن ومكان تعليمه وبيانه عليه الصلاة والسلام، فقال: إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فالحاصل أنّ العبد كلما كان في كنف الطاعة والعبادة والقرب من الله سبحانه وتعالى، كان أسلم له من هذا العدوّ وأنجى له من شروره و كيده ومكره، وكلما غفل وابتعد تسلط عليه هذا العدو.

اقرأ في هذا قول الله سبحانه وتعالى :" وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا"

كلّما كان الإنسان في كنف العبادة كان ذلك أبعد له وأسلم من كيد الشيطان ومكره وصدِّه عن هدى الله وكلما كان أيضا محافظا على الذِكر لله كلما كان في حصنٍ حصين وحرزٍ مكين يحمي العبد من الشيطان الرجيم.

والإمام ابن القيم رحمه الله ضرب مثلا آخر في أحد كتبه ، لا أذكره الآن لا أذكر الكتاب ، عجيبًا للغاية في تصوير حال العبد مع الشيطان .قال :كمثل رجل معه قطعة لحم ومن حوله كلب جائع يطوف به من جهاته كلها . ماذا ينتظر هذا الكلب الجائع؟

- ينتظر أدنى غفلة تكون من المرء فيخطف هذه اللحمة واللحمة في هذا المثل الذي ضربه هي بمثابة الدين، والكلب بمثابة الشيطان﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٧] يأتيه من كل جهاته لخطف هذا الدين منه .ولهذا يحتاج العبد إلى أن يعمق نفسه في الدين حفاظا عليه وتمسكا به ورعاية له .ففي هذا السلامة من الشيطان وكيده أعاذنا الله سبحانه وتعالى منه .

وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ كَانَتِ الْآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ اللَّهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ.وَالْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ مَرَاتِبُ، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، فَالْغَفْلَةُ تُبْعِدُ الْقَلْبَ عَنِ اللَّهِ، وَبُعْدُ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْغَفْلَةِ، وَبُعْدُ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْمَعْصِيَةِ، وَبُعْدُ النِّفَاقِ وَالشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ

القلب كلما كان أبعد من الله ، كانت الآفات إليه أسرع .والقلوب متفاوتة في بعدها عن الله ، بحسب العمل الذي بَعُد به المرء عن الله سبحانه وتعالى . فهناك بُعد سببه الغفلة ، وهناك بُعد سببه المعصية ، وهناك بُعد سببه البدعة ، وهناك بُعد سببه الشرك والكفر والنفاق .وهذه ليست على درجة واحدة كلها تؤدي إلى بُعد عن الله لكن هذا البعد متفاوت بحسب ما كان من المرء وأشد ما يكون البُعد عن الله بالكفر والشرك ثم يليه البدعة ، ثم المعصية ولهذا كانت البدع أحب إلى الشيطان من المعصية والكفر أحب إليه منها؛ لأن هي مراتب بعضها أشد من بعض .

فكلما كان القلب أبعد عن الله كانت الآفات إليه أسرع وكلما قرب من الله بعدت عنه الآفات؛ لأنه يكون بقربه من الله في حصن حصين . ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[الحجر: ٤٢].

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُسْقِطُ الْكَرَامَةَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ، فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَطْوَعُهُمْ لَهُ، وَعَلَى قَدْرِ طَاعَةِ الْعَبْدِ تَكُونُ لَهُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ، فَإِذَا عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ، فَأَسْقَطَهُ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ الْخَلْقِ وَهَانَ عَلَيْهِمْ عَامَلُوهُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، فَعَاشَ بَيْنَهُمْ أَسْوَأَ عَيْشٍ خَامِلَ الذِّكْرِ،سَاقِطَ الْقَدْرِ، زَرِيَّ الْحَالِ، لَا حُرْمَةَ لَهُ وَلَا فَرَحَ لَهُ وَلَا سُرُورَ، فَإِنَّ خُمُولَ الذِّكْرِ وَسُقُوطَ الْقَدْرِ وَالْجَاهِ مَعَهُ كُلُّ غَمٍّ وَهَمٍّ وَحَزَنٍ، وَلَا سُرُورَ مَعَهُ وَلَا فَرَحَ، وَأَيْنَ هَذَا الْأَلَمُ مِنْ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ لَوْلَا سُكْرُ الشَّهْوَةِ؟

وَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ: أَنْ يَرْفَعَ لَهُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ، وَيُعْلِي قَدْرَهُ، وَلِهَذَا خَصَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ - إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} [سُورَةُ ص ٤٥: - ٤٦] .

أَيْ: خَصَصْنَاهُمْ بِخَصِيصَةٍ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي يُذْكَرُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَهُوَ لِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي سَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٨٤] .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ بَنِيهِ: {وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} [سُورَةُ مَرْيَمَ: ٥٠] .

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ - صلى الله عليه وسلم : {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [سُورَةُ الشَّرْحِ: ٤] .

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مِيرَاثِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ.

مثلما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] يعني أبتر الذكر بل لا يذكر إلا بالقبيح بخلاف أهل طاعة الله سبحانه وتعالى. هذا أيضا من العقوبات عقوبات المعاصي سقوط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله سبحانه وتعالى وعند خلقه؛ لأن الطاعة تزيد من كرامة العبد عند الله " إن أكرمكم عند الله اتقاكم " فكرامة العبد عند الله تزيد بحسب تقواه وطاعته لربه ومولاه كل ما ازداد طاعة لله زادت كرامته ومنزلته ومكانته عند الله سبحانه وتعالى (وعلاقته بطاعته لربه).

وإذا دسَّ نفسه وحقرها ودنسها بالذنوب سقط من هذا القدر وسقط من هذه المكانة؛ لأنه حقر نفسه بالمعاصي. وإذا سقط جاهه ومنزلته وكرامته عند الله سبحانه وتعالى سقطت أيضا عند الخلق كما هو الشاهد في الحديث الذي مر معنا: ((إذا ابغض الله العبد نادى جبريل إني ابغض فلانا فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء إن الله يبغض فلانا فابغضوه ثم يجعل له البغضاء في الأرض)).فإذا سقط مكانه ومنزلته عند الله سبحانه وتعالي أيضا تسقط مكانته عند خلقه والأكرم عند الله الأتقى والأقرب منه الأطوع له سبحانه وتعالى ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)).

وفي الحديث قال:((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وما تقرب إلي عبدي شبرًا إلا تقربت منه ذراعًا،،)) ، كلما كان أعظم تقرب إلى الله سبحانه وتعالى كلما كان اقرب إلى الله فبالطاعة يزداد القرب وبالمعصية يبعد عن الله ويسقط مكانه، وقدره بسبب هذه المعاصي.

وقول المصنف رحمه الله: فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه أي من عين الله وهذه العبارة أيضا مرت معنا عند المصنف في موطن مضى.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن صحة استعمال مثل هذه العبارة فقال ما ملخصه: هذه العبارة يريد العرب بها أن الإنسان قلَّ شأنه وأمره عند الله هذا مراد العرب بها يعني مستعملة لهذا الغرض.

ولهذا هناك عند العرب كلمات وتستعمل عندهم وظاهرها غير مراد لا يقصدونه يعني مثلا ويأتي أيضا في بعض الأحاديث: " فاظفر بذات الدين تربت يداك " تربت يداك يعني من الفقر -لامست التراب من شدة الفقر- لا يقصدون الدعاء عليه بذلك ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: " ثكلتك أمك "

ما يقصدون الدعاء بذلك فاستعمال العرب لهذه الكلمة سقط من عين الله، أي قل شأنه ومكانته هذا هو المراد بهذه الكلمة.

يقول الشيخ عقب ذلك : وإذا عُرف المراد ولم يكن فيه التباس بأي حال من الأحوال فلا بأس بالتعبير به ،

وإذا وقفنا على استعمال لمثل هذا اللفظ عند أئمة كبار فلا نحمله إلا على المحمل المعروف عند العرب في استعمال هذه الكلمة فلا يكون في الأمر التباس حينئذ أو اشتباه.

[فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ مَجْلَبَةٌ لِلذَّمِّ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ، وَتَكْسُوهُ أَسْمَاءَ الذَّمِّ وَالصَّغَارِ، فَتَسْلُبُهُ اسْمَ الْمُؤْمِنِ، وَالْبَرِّ، وَالْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي، وَالْمُطِيعِ، وَالْمُنِيبِ، وَالْوَلِيِّ، وَالْوَرِعِ، وَالصَّالِحِ، وَالْعَابِدِ، وَالْخَائِفِ، وَالْأَوَّابِ، وَالطَّيِّبِ، وَالْمَرْضِيِّ وَنَحْوِهَا.

وَتَكْسُوهُ اسْمَ الْفَاجِرِ، وَالْعَاصِي، وَالْمُخَالِفِ، وَالْمُسِيءِ، وَالْمُفْسِدِ، وَالْخَبِيثِ، وَالْمَسْخُوطِ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقِ، وَالْقَاتِلِ، وَالْكَاذِبِ، وَالْخَائِنِ، وَاللُّوطِيِّ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ، وَالْغَادِرِ وَأَمْثَالِهَا.

فَهَذِهِ أَسْمَاءُ الْفُسُوقِ وَ {بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} [سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: ١١] الَّذِي يُوجِبُ غَضَبَ الدَّيَّانِ، وَدُخُولَ النِّيرَانِ، وَعَيْشَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

وَتِلْكَ أَسْمَاءٌ تُوجِبُ رِضَاءَ الرَّحْمَنِ، وَدُخُولَ الْجِنَانِ، وَتُوجِبُ شَرَفَ الْمُسَمَّى بِهَا عَلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْإِنْسَانِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُقُوبَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا اسْتِحْقَاقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَمُوجِبَاتِهَا لَكَانَ فِي الْعَقْلِ نَاهٍ عَنْهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ثَوَابِ الطَّاعَةِ إِلَّا الْفَوْزُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَمُوجِبَاتِهَا لَكَانَ فِي الْعَقْلِ آمِرٌ بِهَا، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدَ، وَلَا مُبْعِدَ لِمَنْ قَرَّبَ، {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [سُورَةُ الْحَجِّ: ١٨]

وهذه كذلك من عقوبات الذنوب أنها تسلب صاحبها أسماء الشرف: المؤمن، المطيع ، الصالح ، القانت ، المنيب، التائب، إلى غير ذلك من أسماء الشرف العظيمة. وتكسوه أسماء الفسوق: الفاجر، الزاني ، العاصي، السارق، الخبيث، إلى غير ذلك من الأسماء التي هي من جنايات معصيته لَم تصبح هذه أسماء له وصفات له إلا بسبب معاصيه . "يداك أوكتا وفوك نفخ".

هي لم تصبح أسماء له وصفات له إلا بجنايته هو الذي جنا على نفسه فجر . ولا يقول أنا لا أقبل هذه الأوصاف ولا أرضاها هو الذي جعلها صفات لنفسه وكسا نفسه هذه الصفات، وليس المعنى هنا أن من عُلم عنه شي من هذه المعاصي ينادى بها وإنما أصبحت هذه صفة له بدل أن كانت صفاته صفات الشرف أصبحت هذه صفات له ، بدل أن كان له أسماء الشرف: المؤمن ،البر، المحسن، المتقي، المطيع، المنيب، الولي ، الورع ، الصالح ،العابد ، الخائف، القانت تكسوه أسماء: الفاجر ، و العاصي ، والمخالف ، والمسيء ، والمفسد، والخبيث ، والمسخوط، تتحول حاله إلى هذه الأسماء والله تعالى يقول: ﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [الحجرات: ١١]

أسماء الطاعة إذا كان من أهلها أوجبت له رضا الله والفوز بثوابه، وأسماء الفسوق إذا كان من أهلها، أوجبت له سخط الله سبحانه وتعالى .وهذا كما تقدم من التدسئة للنفس والتحقير لها والإهانة ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج: ١٨].

نسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، وأن يردنا إليه ردا جميلا ، وأن ينفعنا أجمعين بما علمنا ، وأن يزيدنا علما وهدى وتوفيقا ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

[فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ تُؤَثِّرُ فِي الْعَقْلِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِالْخَاصَّةِ فِي نُقْصَانِ الْعَقْلِ، فَلَا تَجِدُ عَاقِلَيْنِ أَحَدُهُمَا مُطِيعٌ لِلَّهِ وَالْآخَرُ عَاصٍ، إِلَّا وَعَقْلُ الْمُطِيعِ مِنْهُمَا أَوْفَرُ وَأَكْمَلُ، وَفِكْرُهُ أَصَحُّ، وَرَأْيُهُ أَسَدُّ، وَالصَّوَابُ قَرِينُهُ.

وَلِهَذَا نَجِدُ خِطَابَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، كَقَوْلِهِ: {وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 197] ، وَقَوْلِهِ: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 100] ، وَقَوْلِهِ: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 269] ، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَكَيْفَ يَكُونُ عَاقِلًا وَافِرَ الْعَقْلِ مَنْ يَعْصِي مَنْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَفِي دَارِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ فَيَعْصِيهِ وَهُوَ بِعَيْنِهِ غَيْرُ مُتَوَارٍ عَنْهُ، وَيَسْتَعِينُ بِنِعَمِهِ عَلَى مَسَاخِطِهِ، وَيَسْتَدْعِي كُلَّ وَقْتٍ غَضَبَهُ عَلَيْهِ، وَلَعْنَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ مِنْ قُرْبِهِ، وَطَرْدَهُ عَنْ بَابِهِ، وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ، وَخِذْلَانَهُ لَهُ، وَالتَّخْلِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَعَدُوِّهِ، وَسُقُوطَهُ مِنْ عَيْنِهِ، وَحِرْمَانَهُ رُوحَ رِضَاهُ وَحُبِّهِ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِقُرْبِهِ، وَالْفَوْزَ بِجِوَارِهِ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فِي زُمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ، إِلَى أَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ أَهْلَ الطَّاعَةِ، وَأَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ عُقُوبَةِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ.

فَأَيُّ عَقْلٍ لِمَنْ آثَرَ لَذَّةَ سَاعَةٍ أَوْ يَوْمٍ أَوْ دَهْرٍ، ثُمَّ تَنْقَضِي كَأَنَّهَا حُلْمٌ لَمْ يَكُنْ، عَلَى هَذَا النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ؟ بَلْ هُوَ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَوْلَا الْعَقْلُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمَجَانِينِ، بَلْ قَدْ تَكُونُ الْمَجَانِينُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ وَأَسْلَمَ عَاقِبَةً، فَهَذَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين... اللهم إنّا نسألك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا ، أن تجعل هذا الذي نتعلمه من عواقب الذنوب معونة لنا على الخلاص منها، واجعله حجة لنا يا ربنا لا علينا ، وأجعله لنا من العِلم النافع الذي نرتفع به ، وننتفع يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا رب العالمين, أما بعد...

فلا يزال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- يذكر من عواقب الذنوب وأضرارها الوخيمة على العاصي، ما هو معونة على العبد على الحذر من الذنوب ومجانبتها، والحذر من الوقوع فيها لِعظم مضارها على العصاة في الدنيا والآخرة وأن هذه المعاصي لا تجلب للناس خيرًا بل تجلب لهم أنواع المضار ، وأنواع العقوبات، والعواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة.

وكما عرفنا الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فصّل في هذه العواقب والعقوبات تفصيلاً واسعاً ، نُصحاً منه- رحمه الله تعالى- وتحذيراً من الذنوب وأخطارِها وأضرارها وعواقبها الوخيمة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا البيان الذي يسّره لهذا الإمام-رحمه الله- في كتابه "الداء والدواء" معونة لكثير من الناس على التوبة الصادقة النصوح إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم قرءوا في هذا الكتاب ما يحرك القلوب تحريكا عظيما للحذر من الذنوب واتقائها؛ لأن النفس كلما عظُم إدراكها بأخطار الذنوب وأضرارها كلما كان ذلك معونة على الفكاك منها والخلاص من الوقوع فيها.

قال-رحمه الله تعالى- في عدّه لعواقب الذنوب، ومن عقوباتها أنها تؤثر بالخاصة في نقص العقل، تؤثر تأثيراً في العقل بنقصه، وهذا التأثير على العقل بالنقص والضعف يكون بحسب تمادي العبد في الذنب والمعصية، وتنوع وقوعه فيها فإنه كلما ازدادت المعاصي كلما كان ذاك من أسباب ضعف عقله، بل ربما تلف العقل وضياعه؛ لأن المعاصي إذا وقع فيها المرء ملأت فكره بسموم مهلكة، ومضرة، وكانت كما مر معنا في الحديث كل معصية تتسبب في نكتةٍ سوداء على قلبه إلى أن يصل بازدياده من الذنوب إلى درجة الرّان، التي هي تغطية على القلب,وإذا كان في ازدياد من الذنوب كان في ازدياد من نقص عقله وضعف فكره، ورأيه، وفهمه،

وقد أشار ابن القيم-رحمه الله تعالى- أنك لا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله والآخر عاصٍ لله سبحانه وتعالى، إلا والأول أوفر عقلاً من الآخر، بل هنا أيضاً ملحظ مهم جداً أن الأول الذي هو المطيع لله - سبحانه وتعالى- رب العالمين جلّ وعلا يُسدده في عقله وفهمه ونظره وتأمّله في الأمور مثل ما جاء في الحديث القدسي العظيم: (لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها).

فالازدياد من الطاعة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى هو وفور في العقل والفهم؛ لأن العبد لا يزال يحظى مع الطاعة بتسديد الله له، وتوفيقه، والعبد أيضا في طاعته لله لا يزال مستعين بربه، طالبا هدايته وتوفيقه، لما قال علي -رضي الله عنه- للنبي ﷺ علمني دعاء أدعو الله به، قال: قل: اللهم اهدني وسددني.

فالحاصل أن: المطيع لله مؤيد بتأييد الله، ومسدد بمعونة وتوفيق من الله سبحانه وتعالى فيما يأتي ويذر، أضف إلى ذلك أن المطيع لله سبحانه وتعالى إذا إلتبست عليه الأمور وضاق عليه الفهم لها ولا يدري هل الخير له في الإقدام أو الإحجام فإنه يستخيرُ الله سبحانه وتعالى، بعلمه ويستقدره بقدرته ويسأله من فضله ويفوض أمره إلى الله –سبحانه و تعالى –فما أعظم وفور العقل لطاعة الله وما أحرى المطيع بالتسديد والتوفيق والتأييد من الله –سبحانه وتعالى- في أموره كلها.

- أما المعاصي –والعياذ بالله- فإنّها لا تجلب للعبد إلا العواقب الوخيمة, ومن ذلكم ضياع عقله, ولهذا هو مع المعاصي أقرب منه إلى الطيش, والاندفاع والتهوّر, والعجلة, وعدم المبالاة, وعدم النظر في العواقب, هذه كلها أمور تحتفّ بالمعصية بل تجلبها المعصية بخلاف الطاعة التي تولّد عقلا و أناة ورفقا و نظرا في العواقب و تأنّياً في الأمور وسؤالا لله واستخارة له إلى غير ذلك الآثار التي تجلبها الطاعات, ففرقٌ بين المطيع لله –سبحانه وتعالى –والعاصي مثل ما قال ابن القيم : " فإن المطيع أوفر، و أكمل، وفكره أصح، ورأيه أسد، والصواب قرينه، ثم تحدث –رحمه الله- عن العاصي ،

فقال : " كيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم أنه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوارٍ عنه "

ولهذا مما يؤثَر أن أحد الأشخاص جاء إلى أحد أئمة السلف ونفسه متحركة في معصية من المعاصي يريد أن يفعلها.

فقال له ذلك العالِم : افعل هذه المعصية افعلها لا حرج عليك لكن لا تستعمل في هذه المعصية أي نعمة من نعم الله عليك , لا تستعمل أي نعمة ما يليق بك أن تعصي الله وأنت تستعمل نعم الله, فلا تستعمل أي نعمة من نعم الله.

قال له: كل ما بي من الله

قال له: إذن أمر آخر, افعلها لكن اذهب في مكان لا يراك الله فيه

قال: كيف يكون هذا ؟ أين ما أكون يراني الله !

هذا المعنى هو الذي يذكره ابن القيم –رحمه الله –؛ لأن هذا فعلا لمَّا يستحضره المرء يكون معه على معونة على الخلاص من المعاصي، كيف يكون عاقل؟ و هو يعصي الله –سبحانه وتعالى- بنعم الله عليه, مستعملاً نعم الله في مساخط الله, هذا ليس من العقل ولا من الحكمة فيقول:" كيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره وهو يعلم أنه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوارٍ عنه ويستعين بنعمه عن مساخطه ويستدعي كل وقت غضبه عليه ولعنته له " أين العقل ممن كانت هذه حالهم؟, فالعاقل يتفكّر في هذه الأمور, و هذه النعم و هذه الآلاء والعطايا, ويتفكر أيضا من جهة أخرى في اطلاع الله عليه ورؤيته –سبحانه وتعالى-له, فكل ذلك يردعه عن المعاصي, وهذا من العقل,

أما الآخر فقد دس نفسه ومن ذلك التدسئة للعقل بدل ما يكون عقلا وافرا يصبح عقلا مطموراً مغموراً بالأهواء وتتبع الملاذ والشهوات التي هي مضرة على العاصي في دنياه وأخراه ،

يقول –رحمه الله- أيضا في هذا البيان: " فأي عقل لمن آثر لذة ساعة أو يوم أو دهر ثم تنقضي كأنها حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم" أي النعيم المعجل في الدنيا والنعيم المؤجل في الدار الآخرة ،

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ *هذا في الدنيا

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧]،* هذا في الدار الآخرة، نعم.

قال رحمه الله: وَأَمَّا تَأْثِيرُهَا فِي نُقْصَانِ الْعَقْلِ الْمَعِيشِي، فَلَوْلَا الِاشْتِرَاكُ فِي هَذَا النُّقْصَانِ، لَظَهَرَ لِمُطِيعِنَا نُقْصَانُ عَقْلِ عَاصِينَا، وَلَكِنَّ الْجَائِحَةَ عَامَّةٌ، وَالْجُنُونَ فُنُونٌ.

وَيَا عَجَبًا لَوْ صَحَّتِ الْعُقُولُ لَعَلِمَتْ أَنَّ طَرِيقَ تَحْصِيلِ اللَّذَّةِ وَالْفَرْحَةِ وَالسُّرُورِ وَطِيبِ الْعَيْشِ، إِنَّمَا هُوَ فِي رِضَاءِ مَنِ النَّعِيمُ كُلُّهُ فِي رِضَاهُ، وَالْأَلَمُ وَالْعَذَابُ كُلُّهُ فِي سُخْطِهِ وَغَضَبِهِ، فَفِي رِضَاهُ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَسُرُورُ النُّفُوسِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَطِيبُ الْحَيَاةِ، وَلَذَّةُ الْعَيْشِ، وَأَطْيَبُ النَّعِيمِ، مِمَّا لَوْ وُزِنَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا لَمْ يَفِ بِهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ نَصِيبٍ لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عِوَضًا مِنْهُ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ يَتَنَعَّمُ بِنَصِيبِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَعْظَمَ مِنْ تَنَعُّمِ الْمُتْرَفِينَ فِيهَا، وَلَا يَشُوبُ تَنَعُّمَهُ بِذَلِكَ الْحَظِّ الْيَسِيرِ مَا يَشُوبُ تَنَعُّمَ الْمُتْرَفِينَ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ الْمُعَارِضَاتِ، بَلْ قَدْ حَصَلَ لَهُ عَلَى النَّعِيمَيْنِ وَهُوَ يَنْتَظِرُ نَعِيمَيْنِ آخَرَيْنِ أَعْظَمَ مِنْهُمَا، وَمَا يَحْصُلُ لَهُ من خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَامِ، فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 104] .

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَنْقَصَ عَقْلَ مَنْ بَاعَ الدُّرَّ بِالْبَعْرِ، وَالْمِسْكَ بِالرَّجِيعِ، وَمُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بِمُرَافَقَةِ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

قوله رحمه الله تعالى : وأما تأثيرها في نقصان العقل المعيشي ...إلى آخره .

هنا ينُبّه ابن القيم أو يجيب على إشكال ربما يأتي في هذا السياق إلى الأذهان قد يقول قائل: إذا كنا نتحدث عن العقل ، وَالذكاء، وَالفطنة قد نرى عصاة وَمفرطين حتى في فرائض الإسلام وَواجبات الدين قد نرى من ذلك ونرى عندهم علماً وَدراية وَذكاء في أمور الدنيا وَمصالحها وَطريقة الأرباح وَطريقة التحصيل إلى غير ذلك.

فيقول ابن القيم رحمه الله تعالى: أن هذا الأمر ليس هو المقياس في هذا الأمر قد قال الله سبحانه وتعالى عن الكفار: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الروم :٦-٧

وصفهم أولاً بعدم العلم ،وعدم الفهم ، وعدم الدراية ،ثم قال: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) هذا العلم بظاهر من الحياة الدنيا ليس مقياساً ؛ولا ميزاناً، وإنما الميزان للعقل هو فيما يتعلق بحياة المرء الحقيقية التي بها رفعته وعلوه في دنياه وأُخراه،

أما أن يكون الشخص في ذكاء في أمور الدنيا ثم الغاية التي خُلق لأجلها وأُوجدت لتحقيقها لا يعرف عنها شيء! لا يعلم عنها شيء! والدار الآخرة والثواب والعقاب لا يعلم عنه شيء !ولا يتفكر في هذا الأمر! هذا لا عقل له ؛ لأن العقل هو من وُفِّق صاحبه للدراية بالشيء الذي خُلق له.

خُلق له هذا الإنسان ؛وخُلق هذا العقل ؛وخُلق هذا القلب لأجله؛ وهو طاعة الله سبحانه وتعالى. فالحياة الحقيقية لا تكون إلا بهذا، وأما بدونه فإن الحياة حياةٌ بهيمية﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. نعم

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ]

وَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِذَا وَقَعَتِ الْقَطِيعَةُ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَاتَّصَلَتْ بِهِ أَسْبَابُ الشَّرِّ، فَأَيُّ فَلَاحٍ، وَأَيُّ رَجَاءٍ، وَأَيُّ عَيْشٍ لِمَنِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلِيِّهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي لَا غِنَى له عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ عَنْهُ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ أَسْبَابُ الشَّرِّ، وَوَصَلَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ: فَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ وَتَخَلَّى عَنْهُ وَلِيُّهُ؟ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا فِي هَذَا الِانْقِطَاعِ وَالِاتِّصَالِ مِنْ أَنْوَاعِ الْآلَامِ وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

الانقطاع أي عن الله ، والاتصال أي بالشيطان وما يكون مُبعداً له عن الله؛ لأن قبله قال : انقطع عن الله ووصل ما بينه وبين أعدى عدوٍّ له . هناك انقطاع وهناك اتصال .الانقطاع عن الله والاتصال بأعدى عدو له ، الذي هو الشيطان . نعم .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: رَأَيْتُ الْعَبْدَ مُلْقًى بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ، وَإِنْ تَوَلَّاهُ اللَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ،

- قال تعالى : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا"

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [سُورَةُ الْكَهْفِ: 50] .

يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ: أَنَا أَكْرَمْتُ أَبَاكُمْ، وَرَفَعْتُ قَدْرَهُ، وَفَضَّلْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَأَمَرْتُ مَلَائِكَتِي كُلَّهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، تَكْرِيمًا لَهُ وَتَشْرِيفًا، فَأَطَاعُونِي، وَأَبَى عَدُوِّي وَعَدُوُّهُ، فَعَصَى أَمْرِي، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِي، فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِكُمْ بَعْدَهَا أَنْ تَتَّخِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي، فَتُطِيعُونَهُ فِي مَعْصِيَتِي، وَتُوَالُونَهُ فِي خِلَافِ مَرْضَاتِي وَهُوَ أَعْدَى عَدُوٍّ لَكُمْ؟ فَوَالَيْتُمْ عَدُوِّي وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِمُعَادَاتِهِ، وَمَنْ وَآلَى أَعْدَاءَ الْمَلِكِ، كَانَ هُوَ وَأَعْدَاؤُهُ عِنْدَهُ سَوَاءً، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالطَّاعَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِمُعَادَاةِ أَعْدَاءِ الْمُطَاعِ وَمُوَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَمَّا أَنْ تُوَالِيَ أَعْدَاءَ الْمَلِكِ ثُمَّ تَدَّعِي أَنَّكَ مُوَالٍ لَهُ، فَهَذَا مُحَالٌ.

هَذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ عَدُوُّ الْمَلِكِ عَدُوًّا لَكُمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَدُوَّكُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي بَيْنَ الشَّاةِ وَالذِّئْبِ؟

قال الشيخ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)

فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُوَالِيَ عَدُوَّهُ وعَدُوَّ وَلِيِّهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي لَا مَوْلَى لَهُ سِوَاهُ، وَنَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى قُبْحِ هَذِهِ الْمُوَالَاةِ بِقَوْلِهِ: {وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ} [سُورَةُ الْكَهْفِ: 50] ، كَمَا نَبَّهَ عَلَى قُبْحِهَا بِقَوْلِهِ: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} [سُورَةُ الْكَهْفِ: 50] ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ عَدَاوَتَهُ لِرَبِّهِ وَعَدَاوَتَهُ لَنَا، كُلٌّ مِنْهُمَا سَبَبٌ يَدْعُو إِلَى مُعَادَاتِهِ، فَمَا هَذِهِ الْمُوَالَاةُ؟ وَمَا هَذَا الِاسْتِبْدَالُ؟ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا.

وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ هَذَا الْخِطَابِ نَوْعٌ مِنَ الْعِتَابِ لَطِيفٌ عَجِيبٌ وَهُوَ أَنِّي عَادَيْتُ إِبْلِيسَ إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لِأَبِيكُمْ آدَمَ مَعَ مَلَائِكَتِي فَكَانَتْ مُعَادَاتُهُ لِأَجْلِكُمْ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ هَذِهِ الْمُعَادَاةِ أَنْ عَقَدْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَقْدَ الْمُصَالَحَةِ

نعم، بئس للظالمين بدلا مثل ما قال في الأولى- رحمه الله-.

هذا أيضا من العواقب الوخيمة للذنوب والأضرار التي تترتب عليها، أنها توجب القطيعة بين العبد وبين الله.

الصلة التي بين العبد وبين الله والتي تكون بالطاعة هي حفظ للعبد وفلاح وسعادة ورفعة في الدنيا والآخرة وفوز بالدرجات العُلى وآثارها وثمارها على العبد لا حصر لها ولا عدّ في دنياه وأخراه.

فإذا دخل العبد في المعاصي أوجبت قطيعة وبعدا بينه وبين الله سبحانه وتعالى؛ لأن الطاعة كما أنها تُقرّب إلى الله وتعلو بها منزلة العبد عنده جلّ في علاه، فإن المعصية تبعده عن الله وتقطعه عن الله، توجب بينه وبين ربّه قطيعة تقطعه عن الله سبحانه وتعالى، فإذا وجدت هذه القطيعة صار نهبةً للشيطان، وأصبح جندا من جنود الشيطان، يقذفه في أودية الهلاك والبوار في الدنيا والآخرة.

أما ما دام مطيعا لله عز وجلّ فهو في حصنٍ حصين، وحرزٍ متين يقيه من الشيطان كما قال الله سبحانه وتعالى: " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ "، " وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً " وقال تعالى: " وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ"

المؤمن هو في حصن من الشيطان وحرز يقيه منه بإذن الله سبحانه وتعالى، فإذا دخل في المعاصي يكون بذلك سلّط الشيطان على نفسه، وفتح الباب لهذا العدو، فتحه على نفسه، وجعل للشيطان نافذة يدخل من خلالها على العبد، أما ما دام محصّنا بطاعة الله وذكره فالشيطان لا طريق له عليه، فالحاصل أن المعصية توجب انقطاعاً واتصالاً، انقطاعاً عن الله سبحانه وتعالى واتصالاً بالشيطان؛ لأن متى حصل أو وُجِد الانقطاع عن الله سبحانه وتعالى وُجِدَ الآخَر، الذي هو اتصال الشيطان به وتسلطه عليه.

ثم يقف هنا ابن القيم وقفة عظيمة موقظة ، يقول من هو هذا الشيطان الذي يُسلّم العاصي نفسه له ويصبح طوعه وطوع وساوسه وما يلقيه في فكر العاصي من أمورٍ وأعمال. يقول من هو هذا الشيطان، فيورد قول الله تعالى : "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا."كيف يليق بإنسان عاقل يترك طاعة سيّده ومولاه والمتفضّل عليه والمُنعِم عليه سبحانه وتعالى، و يسلّم نفسه للشيطان.فيكون مطيعا لشيطان منقادا لأوامر الشيطان والشيطان عدوٍ للإنسان وعداوته للإنسان قديمة ويتربص بهذا الإنسان الدوائر ويحيك له الخطط التي يهلكه بها ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيدِيهِم وَمِن خَلفِهِم وَعَن أَيمانِهِم وَعَن شَمائِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكثَرَهُم شاكِرينَ﴾ [الأعراف: 17]

يعمل عمله بنشاط ودأب حتى لا يصبح هذا الإنسان شاكرا مطيعا لله سبحانه وتعالى فكيف يقطع المرء بالمعاصي نفسه عن الله ويُسلمها للشيطان { بئس لظالمين بدلا} يختار طاعة عدوه وعدو أبيه آدم وعدو المؤمنين ويترك طاعة رب العالمين سبحانه وتعالى ,فهذه من العواقب الوخيمة التي يجرها العاصي على نفسه وليتضح الأمر أكثر يؤتى

هنا بسؤال يقال: العاصي بعصيانه ومعاصيه التي يرتكبها مطيع لمن ؟ - مطيع للشيطان ليست هذه من طاعة الله هذه اسمها معصية لله , فهذا العاصي عندما يعصي يقع في المعاصي هو بهذا العصيان مطيع لمن؟

هذه طاعة الشيطان ,الشيطان هو الذي يدعو للمعاصي بل لا يكتفي بالمعاصي لا يزال بالعبد حتى يدخله في الكفر بالله ما تكفيه المعصية ولا تكفيه ثنتين من المعاصي ولا الثلاث ولا... بل يريد منه أن يغرق نفسه في المعاصي ويهلكه بها إلى أن يدخله في الكفر بالله سبحانه وتعالى. نعم

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تَمْحَقُ الْبَرَكَةَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ تبارك وتَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الْأَعْرَافِ: 96] .

وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا - لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [الْجِنِّ: 16 - 17] .

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

قال رحمه الله: فصل: ومن عقوباتها: أي المعاصي والذنوب أنها : تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة : إذن المعاصي محقة للبركات تمحق أنواع البركات تمحق بركة العمر وسيأتي لابن القيم توضيح عجيب جداً عظيم ونافع للغاية كيف تكون المعصية محقة لبركة المرء حتى لو بلغ من العمر مئة سنة كيف تكون محقة للبركة في عمره وتكون محقة للبركة في علمه إن كان عنده علم , ومن أعظم المحق :-

في البركة في العلم عدم الانتفاع به لأن مقصود العلم العمل فإذا كان يعلم ولا يعمل هذا محق في البركة؛ لأن الذي لأجله كان العلم ودُعي إلى العلم لم يعمل به فهذا محق للبركة في العمر والعلم.

وفي الرزق أيضا يكون ما عنده من رزق ومن مال حتى , وإن كثر مال لا بركة فيه، مُحقت بركته وتسببت هذه المعاصي محق البركة، و(آخر) يكون قليل ذات اليد فيما عنده من قليل يُبارَك له فيه -في هذا القليل- بركة لا يجدها ذاك الذي بيده الكثير والكثير من المال.

فالحاصل أن المعاصي ممحقة للبركة:

من ذلك بركة الطاعة؛ لأن إذا دخل العبد في المعاصي قلّت الطاعة، وضعفت عنده، وقل اهتمامه بها، ولهذا يتحدث بعض العصاة عن نفسه أنه قلَّ مثلا اهتمامه بالصلاة، وقل مثلا اهتمامه بقراءة القرآن، يتحدث عن أمور كثيرة من هذا القبيل، وما علم أنها من المعاصي التي هي ممحقة للبركة في أنواع من الأمور منها الطاعة التي كان عليها.

قال: (بالجملة تمحق بركة الدين والدنيا)، تمحق بركة الدين التي هي الطاعة والعلم النافع، والدنيا التي هي الرزق ونحو ذلك، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصا الله،

وما مُحقت البركة من الأرض إلا بالمعاصي مثلما قال الله تعالى: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) [الأعراف: 96]، مثلها قول الله -سبحانه وتعالى- في سورة المائدة: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)) [آل عمران: 65-66]، فكذلك قوله: ((وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا)) [الجن: 16]

فالطاعة لله -سبحانه وتعالى- جلّابة للنعم، والمعصية جلّابة للنقم ماحقة للبركة.

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ» .

هذا الحديث ذكره -رحمه الله تعالى- هنا لأن فيه مسألة مهمة جدا في هذا الباب، خاصة مسألة الرزق، أحيانا بل كثيرا ما يكون عند كثير من الناس نفْسُ طلبِ الرزق بابٌ من أبواب المعاصي،

وحدِّث عن هذا الباب كثرةُ ما يقع الناس في المعاصي والمخالفات الشرعية في هذا الباب، باب طلب الرزق وكسب المال، فيدخل مثلا في تجارة محرمة أو بيع أشياء محرمة، أو يدخل في الربا، وما أكثر وقوع الناس في هذه الأزمنة في الربا، وخاصة أن المرابين أصبحوا يحتالون على الناس بحيل، ويوقعونهم من خلالها في الربا استغلالا لحاجة الضعفاء والفقراء والمحتاجين، وأيضا قل مثل هذا في الغش في البيع، والكذب في البيع، وأشياء كثيرة من هذا القبيل يمارسها كثير الناس من أجل طلب المال وتحصيل الرزق، فيكون نفس طلب المال عصيان مخالفات لأمر الله سبحانه وتعال فتمحق البركة يجهد نفسه في تحصيل هذا المال بالربا بالكذب

بالغش إلى آخره بعد هذا التعب وهذه المعاناة وهذا الكذب وهذا الغش يبقى هذا المال محوق البركة؛ لأن المعصية تمحق البركة وقليل يكفي المرء ويغنيه على طاعة من الله خير له من كثير ممحوق البركة يبوء بعاقبته وعواقبه الوخيمة.

تأمل هذا الحديث العظيم الذي أورده رحمه الله أن النبي ﷺ قال : ((إن روح القدس نفث في روعي...) تنزّل على النبي ﷺ بالوحي بالنفث في روعه, ((أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها)) هذه قاعدة مهمة جدا يجب على كل إنسان وخاصة من يشتغل في الكسب والتجارة وتحصيل المال أن يضعها نصب عينيه أنه لن يموت حتى يستكمل رزقه الذي كتبه الله له ليس هناك حاجة إلى غش وكذب وربا والى آخره رزقك لن تموت حتى تستكمله فلا تُدخل في ذمتك حرام.

لا تدخل في ذمتك معاصي لله اتقي الله ولهذا يقول- انتبه-: ((لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا الطلب .)) أجملوا في طلب الرزق .اطلبوا الرزق الجميل الطيب الحسن الذي لا غش فيه لا كذب لا ربا لا حرام أجملوا في الطلب تخيروا من الرزق أطيبه وأحسنه وأبركه وانفعه أجملوا في الطلب .

فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته فلا يدخل الإنسان في حرام وفي معاصي وآثام لله سبحانه وتعالى وإن الله جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحُزن في الشك والسُخط.

فالحاصل أن هذه مشكلة في كثير من الناس إذا دخل في تحصيل الرزق يُمتحن امتحانا عظيما وتأتيه أيضا فتن, قد يصادف مثلا عمليات تسمى عمليات مربحة أرباحا عالية لا بد معها من قليل من الكذب فيبقى في صراع مع نفسه هل يبقى محافظا على الصدق ، على الأمانة على هذه المعاني العظيمة أو يتخلى عنها من اجل المال.كثير من الناس يسقط في هذا الامتحان ولهذا هناك حديث صحيح ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام يُنصح كل تاجر وكل من يشتغل بالتجارة أن يجعله نصب عينيه .

وهو قوله عليه الصلاة والسلام: ((أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا)).

أربع يعني قواعد، أصول، ثوابت مهمة إذا كانت فيك لا تبالي حينئذ أي شي يفوتك من الدنيا لا تحزن ولا تأسى عليه.((أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا صدق حديث، وحفظ أمانة ، وطيب طُعمة، وحُسن خليقة.)) هذه الأربع اجعلها أساسيات والله هذا كلام مهم من الناصح الأمين عليه الصلاة والسلام أربع تكون أساسيات للتاجر المسلم ما يتعداها أبدا مهما كانت الأمور , يقول له عليه الصلاة والسلام لا عليك هذا ضمان لا عليك ما فاتك من الدنيا أنت رابح مادمت متمسك بهذه الأمور الأربع

(صدق الحديث وحفظ الأمانة وطيب طُعمة وحسن خليقة) لأن هذه الأربع تحديدا هي موضع امتحان للتاجر دائما يمتحن في هذه الأمور فعليه أن يجعل هذه الأمور الأربعة أساسيات ما يفرط فيها ولا يتنازل عنها لو قيل له تربح الملايين خير له هذه الأربع من الملايين وأي خير في ملايين تضيع معه هذه القيم العظيمة والأخلاق الجميلة ؟ أي قيمة للملايين أن يخرج المرء من الصدق ويدخل في حيز الكذابين أي قيمة للملايين أن يخرج المرء من الأمانة ويدخل في حيز الخونة والخائنين ؟ أي قيمة للملايين إذا كان الخلق يفسد ويضيع ويمشي بلا خُلق ؟ أي قيمة للملايين إذا كان يدخل في جوفه الطعام الحرام ؟

قال: " وطيب طعمة " أو يدخل في جوف أولاده وأهله الحرام ؟ أي قيمة لهذه الملايين

وكما جاء في الحديث : (كل جسد قام على السحت فالنار أولى به)

هذه الخصال الأربع ينبغي أن يحافظ عليها كل من يدخل في التجارة ويعتبرها أساسيات ولا يساوم عليها لا بد أن تحفظ هذه لابد أن يعتني بها,وكل ما يدخل في أي مشروع أو عمل تجاري فعلا سيجد أنه يساوم على هذه الأمور الأربعة: صدق الحديث وحفظ الأمانة وطيب الطعمة وحسن الخليقة .

قال رحمه الله: وَقَدْ تَقَدَّمَ الْأَثَرُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ: «أَنَا اللَّهُ، إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهًى، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تُدْرِكُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ» .

وَلَيْسَتْ سَعَةُ الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ بِكَثْرَتِهِ، وَلَا طُولُ الْعُمُرِ بِكَثْرَةِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَلَكِنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ وَطُولَ الْعُمُرِ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ..

هذا تأصيل مهم جدا يغيب عن كثير من الأذهان, يقول: " ليست سعة الرزق والعمل بكثرته ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه " :فهذه مسألة مهمة يُغفل عنها يعني قد يظن الظان أن البركة في الرزق كثرة الرزق وكثرة المال.

(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) ,قال الله :(كلا) ليس كل من وسع الله عليه في المال وكثر المال في يده هذا من إكرام الله له بل قد يكون المال الكثير الوافر في يد شخص مهان عند الله ليس بمكرم عند الله سبحانه وتعالى, والدنيا يعطاها الكافر والمؤمن والعاصي والمطيع (كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ) لكن من أعطي الدنيا من الكفار

والعصاة ما أعطيه من الدنيا ليس فيه بركة -على المعنى الذي يقرره ويوضحه ابن القيم رحمه الله تعالى وينبغي التفطن له وسيأتي تفصيل له عجيب وعظيم ونافع للغاية- .

قال وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ عُمْرَ الْعَبْدِ هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ، بَلْ حَيَاةُ الْبَهَائِمِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ،

وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ تَعوض عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ مِمَّا فِي الدُّنْيَا، بَلْ لَيْسَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ الْعَبْدَ عِوَضٌ، وَإِذَا فَاتَهُ اللَّهُ لَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ شَيْءٌ الْبَتَّةَ.

وَكَيْفَ يُعَوِّضُ الْفَقِيرُ بِالذَّاتِ عَنِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ، وَالْعَاجِزُ بِالذَّاتِ عَنِ الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، وَالْمَيِّتُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَمَنْ لَا وُجُودَ لَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ الْبَتَّةَ عَمَّنْ غِنَاهُ وَحَيَاتُهُ وَكَمَالُهُ وَوُجُودُهُ وَرَحْمَتُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ؟ وَكَيْفَ يُعَوِّضُ مَنْ لَا يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَمَّنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ سَبَبًا لِمَحْقِ بَرَكَةِ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ بِهَا وَبِأَصْحَابِهَا، فَسُلْطَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَوَالَتُهُ عَلَى هَذَا الدِّيوَانِ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَّصِلُ بِهِ الشَّيْطَانُ وَيُقَارِنُهُ، فَبَرَكَتُهُ مَمْحُوقَةٌ، وَلِهَذَا شُرِعَ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللُّبْسِ وَالرُّكُوبِ وَالْجِمَاعِ لِمَا فِي مُقَارَنَةِ اسْمِ اللَّهِ مِنَ الْبَرَكَةِ، وَذِكْرُ اسْمِهِ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ فَتَحْصُلُ الْبَرَكَةُ وَلَا مُعَارِضَ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَكُونُ لِلَّهِ...

*لأنه إن لم يفعل هذا شاركهُ الشيطان وقارنهُ فتمحق البركة، ولهذا البيت نفسهُ بيت الإنسان وطعام الإنسان وشرابه وفراشه كل هذه الأشياء إذا كانت مصحوبة بالطاعة والذكر لله سبحانه وتعالى اكتنفتها البركة، وإذا فُتِح الباب للشيطان شارك فمحقت البركة ,ولهذا قال ابن القيم: ولهذا شُرِعَ ذكر اسم الله عند الأكل والشرب واللباس والركوب والجماع- لما فيه مقارنة اسم الله من البركة- لكن إذا تُرِك ذلك انفتح الباب للشيطان ,مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ } ,بعض المفسرين قال : إن عبادي-أي الذين يذكرون الله- ليس لك عليهم سلطان ، لأن ذكر الله حرز إذا وصل الإنسان باب بيته وفتح الباب قال: بسم الله لم يجد مجالا الشيطان ليدخل ،وإذا ترك التسمية كأنه قد أذِنَ للشيطان بالدخول وإذا وُضِع الطعام فسمَّى كان ذلك حيلولةً بين الشيطان وبين أن يمد

يده إلى الطعام ، فإذا تُركت التسمية كأنه قد أُذن له أن يشارك في هذا الطعام { وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } . نعم

، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَكُونُ لِلَّهِ فَبَرَكَتُهُ مَنْزُوعَةٌ، فَإِنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي يُبَارِكُ وَحْدَهُ، وَالْبَرَكَةُ كُلُّهَا مِنْهُ، وَكُلُّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مُبَارَكٌ، فَكَلَامُهُ مُبَارَكٌ، وَرَسُولُهُ مُبَارَكٌ، وَعَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ النَّافِعُ لِخَلْقِهِ مُبَارَكٌ،

نعم "وعبدهُ المؤمن النافع لخلقه مبارك" { وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ }، والبركة لا تكون في أي شيء إلا بجعل الله ،جعل الله سبحانه وتعالى للبركة فيه ،نعم.

وَبَيْتُهُ الْحَرَامُ مُبَارَكٌ، وَكِنَانَتُهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَهِيَ الشَّامُ أَرْضُ الْبَرَكَةِ، وَصَفَهَا بِالْبَرَكَةِ فِي سِتِّ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَلَا مُبَارِكَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ، وَلَا مُبَارَكَ إِلَّا مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، أَعْنِي إِلَى أُلُوهِيَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ، وَإِلَّا فَالْكَوْنُ كُلُّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَخَلْقِهِ، وَكُلُّ مَا بَاعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ فَلَا بَرَكَةَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَكُلُّ مَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَفِيهِ مِنَ الْبَرَكَةِ عَلَى حَسَبِ قُرْبِهِ مِنْهُ.

نعم قال -رحمه الله- : فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن مبارك، وبيته الحرام مبارك " أيضا يُضاف للمناسبة التي نحن الآن فيها، وهي أن شهر رمضان مبارك، ولهذا جاء في الحديث عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- أنه قال : « قد أتاكم رمضان شهر مبارك، تُصفد فيه أو تغل فيه الشياطين وتفتَّح فيه أبواب الجنة وتغلَّق أبواب النار وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم »

فرمضان مبارك، والبركة التي في رمضان تبدأ معه مباشرة من أول دخوله إلى آخر لحظة فيه كله بركه هذا الشهر, ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الآخر : «إذا كان أول ليلة» انتبه لكلمة: أول « إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب وغُلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وصُفدت الشياطين ومردة الجن وينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ولله عُتقاء من النار وذلك كل ليلة» هذه البركات لما ذكرها بدأها بقول إذا كان أول ليلة من رمضان، فبركة رمضان تبدأ من أول دخوله وهي بركة في الوقت، وبركة في العمل، وبركة في الثواب، ومضاعفة الأجور﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر - 39:10]

وشهر رمضان كما في الحديث الآخر شهر الصبر، والصابر يُوفى أجره بغير حساب ,فرمضان فيه بركة عجيبة ولهذا من أكرمه الله -سبحانه وتعالى- وأدرك رمضان وهو بالصحة والعافية والأمن والإيمان عليه أن يُري ربه من نفسه خيرا ليغنم من بركاته رمضان وخيراته العظام. نعم

«قال -رحمه الله- : وَضِدُّ الْبَرَكَةِ اللَّعْنَةُ؛ فَأَرْضٌ لَعَنَهَا اللَّهُ أَوْ شَخْصٌ لَعَنَهُ اللَّهُ أَوْ عَمَلٌ لَعَنَهُ اللَّهُ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ،

ولهذا أيضا المعاصي فيها لعن تجد كثير من لعن من فعل كذا لعن من فعل كذا وسيأتي أو لعله مرّ عندنا المعاصي توجب اللعن، أظن مر معنا ذكر أمثلة كثيرة جدا ابن القيم من القرآن ومن السنة، كيف أن المعاصي مجلبة للعلن، وهذا اللعن ذهاب للبركة. نعم

قال وَكُلَّمَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ وَارْتَبَطَ بِهِ وَكَانَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ فَلَا بَرَكَةَ فِيهِ الْبَتَّةَ.

وَقَدْ لَعَنَ عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ وَجَعَلَهُ أَبْعَدَ خَلْقِهِ مِنْهُ، فَكُلُّ مَا كَانَ جِهَتَهُ فَلَهُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ وَاتِّصَالِهِ بِهِ، فَمِنْ هَاهُنَا كَانَ لِلْمَعَاصِي أَعْظَمُ تَأْثِيرٍ فِي مَحْقِ بَرَكَةِ الْعُمُرِ وَالرِّزْقِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَكُلُّ وَقْتٍ عُصِيَ اللَّهُ فِيهِ، أَوْ مَالٍ عُصِيَ اللَّهُ بِهِ، أَوْ بَدَنٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ فَهُوَ عَلَى صَاحِبِهِ لَيْسَ لَهُ. فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمْرِهِ وَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَجَاهِهِ وَعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ إِلَّا مَا أَطَاعَ اللَّهَ بِهِ.وَلِهَذَا مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ نَحْوَهَا، وَيَكُونُ عُمْرُهُ لَا يَبْلُغُ عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا، كَمَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَمْلِكُ الْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَيَكُونُ مَالُهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَبْلُغُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَوْ نَحْوَهَا، وَهَكَذَا الْجَاهُ وَالْعِلْمُ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ» .

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ» فَهَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْبَرَكَةُ خَاصَّةً، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وعليه التكلان.

ذكر هنا أن ضد البركة اللعنة واللعنة في الأرض أو الشخص أو العمل ذهاب للخير والبركة وكل ما اتصل بذلك وارتبط به كان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة.

وهذا المقام الذي يذكر رحمه الله تعالى يحذر فيه العباد من الشيطان أشد التحذير؛ لأن الشيطان أعاذنا الله - عز وجل- أجمعين منه وأهلينا وذرياتنا والمسلمين- ملعون مطرود من رحمة الله ,فكل من اتصل بهذا الشيطان طاعة له أصابه من هذه اللعنة نصيب مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ١١٧- ١١٨]

سآخذ نصيب من العباد :هذا النصيب الذي يأخذه من العباد يصيبهم من اللعنة ويكون لهم حظٌ من اللعنة بحسب طاعتهم لهذا الملعون المطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى,إذن طاعة الشيطان تجر للإنسان اللعنة- لعنة الله -وتذهب عنه البركة, فطاعة الشيطان لا بركة فيها بل هي موجبة لذهاب البركة وموجبة لحلول اللعنة.

ثم يؤكد رحمه الله تعالى ما بدأ به فيقول: فمن هنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر، والرزق والعلم، والعمل.

وهذا كله عودًا فيما بدأ به في هذا الفصل قال: وكل وقت عصيتَ الله فيه أو مال عُصي الله فيه أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو على صاحبه فليس له من عمره وماله وقوتِه وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله (فيه).

وهذا توضيح لمعنى البركة في المال والعلم والعمل والرزق وغير ذلك ليس للمرءِ من ذلك إلا ما أطاع الله (فيه)

أما ما لم يُطع الله سبحانه وتعالى فيه فهو ليس له بل عليه, مثل ما جاء في الحديث: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما ولاه)

قال : " ولهذا فمن الناس " تأمل هذه الفائدة من يعيش في هذه الدار مئة سنة يعني يكون مُعمّر أو نحوها ويكون عمره أي الحقيقي عشر سنين قد يكون عمره الحقيقي عشر سنين, أحياناً يكون عمره مئة سنة ولا عمر له حقيقي أصلاً يخرج من الدنيا ما له عمر حقيقي فيها عمره مئة سنه مائة وعشرون سنة وليس له عمر حقيقي, أذكُر من الأشياء التي فعلا شدتني في القراءة في السيرة في غزوة الأحزاب لما وضع الخندق تقدم عدد من المشركين خمسة أو ستة معهم خيول وجاءوا إلى منطقة المسافة ليست بعيدة فقفزوا إلى جهة المسلمين وطلبوا المبارزة أحد هؤلاء "عمر بن عبد وَد" - إن كنت ما نسيت الاسم - قال ابن كثير في الفصول كان عمره (إذاك..) مائة وعشرين سنة عمره مائة وعشرين سنة وعلى الخيل ويقفز ويطلب المبارزة وهو في هذا العمر هذه قوة، لكن بالكفر كل هذا العمر وكل هذه القوة وكل هذه الصحة كلها ليست عمر حقيقي، وقتله علي ابن أبي طالب في ذلك الموقف ,فهذا العمر الذي بهذه القوة، وهذه الصحة وهذه أيضا الشجاعة والإقدام ليس عمراً حقيقيا ,فالعمر الحقيقي ما كان طاعة لله هذا العمر الحقيقي، أما ما ليس بطاعة لله فهذا ليس عمر حقيقي فالعمر الحقيقي ما كان طاعة لله فحظ الإنسان من العمر حقيقة هو بحسب حظه

من طاعة لله -سبحانه وتعالى- فيه ,ولهذا بعض الموفقين من عباد الله، الله يكتب لنا أجمعين التوفيق والفضل، لا ينتهي عمره بموته بل يبقى له عمراً ثانياً بعد الموت تُكتب له فيه أعمال صالحة كثيرة لا تزال كل يوم تكتب له كما قال الله في سورة يس: ﴿إِنّا نَحنُ نُحيِي المَوتى وَنَكتُبُ ما قَدَّموا وَآثارَهُم﴾

أي ونكتب أثارهم، من هذه الآثار التي تُكتب للعبد المؤمن بعد موته مثل ما يوضح ذلك الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»

نعم نكتفي بهذا, ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا، وأن يبارك لنا فيما علمنا وأن يجعله حجة لنا لا علينا بمنه وكرمه ,

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك ,اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه ,جزاكم الله خيرا

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الداء والدواء : «[فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ]
وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السِفلَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُهَيَّئًا لِأَنْ يَكُونَ مِنَ الْعِلْيَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ قِسْمَيْنِ: عِلْيَةً، وَسِفَلَةً، وَجَعَلَ عِلِّيِّينَ مُسْتَقَرَّ الْعِلْيَةِ، وَأَسْفَلَ سَافِلِينَ مُسْتَقَرَّ السِفلَةِ، وَجَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ الْأَعْلَيْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ الْأَسْفَلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا جَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ أَهْوَنَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ الْعِزَّةَ لِهَؤُلَاءِ، وَالذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ لِهَؤُلَاءِ، كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»

فَكُلَّمَا عَمِلَ الْعَبْدُ مَعْصِيَةً نَزَلَ إِلَى أَسْفَل، دَرَجَةٍ، وَلَا يَزَالُ فِي نُزُولٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ، وَكُلَّمَا عَمِلَ طَاعَةً ارْتَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، وَلَا يَزَالُ فِي ارْتِفَاعٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَعْلَيْنَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين- اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد ..

فهذا أمر آخر وعقوبة أخرى من عقوبات الذنوب وعواقبها الوخيمة أنها تجعل صاحبها من السِّفلة، لأن الخلق قسمان : عليةٌ وسفلة

- **والعلو لا يُنال إلا بالطاعة،**
- **وترك الطاعة , والدخول في المعاصي سُفول وانحطاط**

والعبد كلما كان عظيم العناية بطاعة الله -سبحانه وتعالى- كان ذلك عُلوًّا لدرجاته ورفعة لمنازله

﴿ يَرفَعِ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَالَّذينَ أوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ ﴾ [المجادلة :11]

فإذا كان في طاعات وعبادات وتقربات إلى الله -سبحانه وتعالى- فهو لا يزال في علو وارتفاع ,وإذا كان على العكس من ذلك مع المعاصي مُنشغلا بها، مُنهمكا في تعاطيها، فإنه لا يزال في سُفول

فالطاعة تجعل المرء من العِلية، عِلية الناس خيرهم، والمعصية تجعل المرء من السفلة أهل الانحطاط والسفول ,وهذا التقسيم يأتي كثير في النصوص، تقسيم الناس إلى هذين القسمين إما علية أو سِفلة، أو خِيار وشرار أو نحو ذلك ,

وهذه الخيرية والعلو إنما تنال بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، والشر والسفول إنما يُحصّل ويُنال بالمعاصي، والله -تعالى- يقول ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلوا ﴾

أهل الطاعة درجات إلى علو وارتفاع، وأهل المعاصي درجات إلى السفول والانحطاط ,وهذه الدرجات بحسب الأعمال إن كانت طاعات وقربات علت بصاحبها وارتفعت، وإن كانت معاصي

سفلت بصاحِبها ونزلت إلى الانحطاط والهلاك.

قال رحمه الله :وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ الصُّعُودُ مِنْ وَجْهٍ، وَالنُّزُولُ مِنْ وَجْهٍ، وَأَيُّهُمَا كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَيْسَ مَنْ صَعِدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ وَنَزَلَ دَرَجَةً وَاحِدَةً، كَمَنْ كَانَ بِالْعَكْسِ.

المرء في الحياة على هذه الحال التي أشار إليها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى قد يجتمع له الأمران الصعود والسفول، اجتمع له في اليوم الواحد وفي الوقت الواحد صعودٌ وسُفول فإذا مضى في الطاعة سالِكًا سبيلها ، منشغلا بها ، فهذِهِ درجات وعلو منازل فإن كان في أثناء انشغالِهِ بالطاعة زلت به القدم في معصية فهذا نزول، فقد يكون مثل ما أشار ابن القيم صعد مئة درجة أو أكثر ، ثم تقع منه معصية في أثناء سيره في الطاعة ,يعني مثلا شخص ماضٍ في خير وعبادة وصلاة وحلقة علم وهو في الطريق يتحدث مع زميله فاغتاب شخصًا أو سخِرَ من شخصٍ أو غير ذلِك,(فهو)الشيء الذي هوَ ماضٍ فيه علوٌ ورِفعه وهذا الذي بدر منه أثناء طريقه وأثناء سيرِهِ نُزول فقد يجتمع هذا وهذا بِحسب أعمال المرء

فكلما كان ماضيًا في الطاعات مجاهِدًا نفسه عليها هذا علوٌ ورِفعه في منازلِهِ ودرجاته والناصح من عباد الله لنفسِهِ يحرص على سلامة العمل وأن يكونَ دوما في صعود وإذا بدر منه ما يكون به

نزولهُ فإنهُ يبادر إلى التوبة إلى الله سبحانه والاستغفار ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى ليبقى له صعودُهُ وليبقى له علوُهُ ورفعته عند الله سبحانه وتعالى.

وَلَكِنْ يَعْرِضُ هَاهُنَا لِلنُّفُوسِ غَلَطٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَنْزِلُ نُزُولًا بَعِيدًا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَفِي صُعُودُهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ بِهَذَا النُّزُولِ الْوَاحِدِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» .

هنا أمر مهم وعظيم جدًا يُنبه عليه الإمامُ ابن القيم رحمه الله تعالى وهوَ أن العبد ينبغي أن يكون عنده فقهٌ في الصعود والنزول، أن يكون عنده فقهٌ في الصعود الذي هو علوٌ له ورِفعه والنزول الذي هوَ سفولٌ وانحطاط، ينبغي أن يكون عنده فقهٌ في هذا الباب وأن يكون على حذرٍ شديد من الأمور التي يكون بها نزولهُ وسفولهُ وانحطاطهُ لأن النزول قد يكون درجة وقد يكون درجتين وقد يكون ثلاث درجات وقد يكون النزول بكلمة واحده نُزولا إلى أبعد مابين المشرق والمغرب، وهذا خطير جدًا ، هذا في غاية الخطورة على المرء قد يقولُ كلمةً لا يلقي لها بالا يهوي وهذا الهويْ نزول وانحطاط يهوي بها أبعد مابين المشرق والمغرب، ولهذا يجب على العبد أن يكون فقيها في هذا الأمر ، في الصعود والنزول ، العلو والسفول . وأن يكون حريصا على ما به علوُّه ورفعته عند الله حذرًا أشد الحذر مما يكون به سفوله . وانحطاطه وهويُّه ,فهذا في غاية الخطورة ونبينا عليه الصلاة والسلام نصح لأمته في هذا عظيم النصح ، ومن هذا هذا الحديث العظيم الذي في الصحيح .يقول عليه الصلاة والسلام : ((إن العبد ليتكلم بالكلمة الواحدة - ما قال الكلمة ؛ قال الكلمة الواحدة - لا يُلقِي لها بالا ، يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)).

فقضية الصعود والنزول العلو والسفول ، هذه قضية مهمة جدا ، يجب أن تفقه في هذا الباب . فالطاعات كلها علو ,والمعاصي كلها سفول والطاعات في العلو الذي ينال بها ، يتفاوت بحسب الطاعة ويتفاوت بحسب حال المطيع وأعظم ما يكون به علو المرء فرائض الإسلام وواجبات الدين .كما جاء في الحديث القدسي : ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) ، إلى تمام الحديث .

ففرائض الإسلام وواجبات الدين ، هي أعظم ما يكون به العلو . ولهذا يجب أن نعلم في مسألة العلو و الارتفاع ، أن أعظم ما يكون به علو المرء عند الله سبحانه وتعالى بعد التوحيد الذي هو أساس الدين: الصلاة المكتوبة ، أو الصلوات الخمس التي كتبها الله سبحانه وتعالى على عباده .فإن هذه الصلاة مقامٌ في هذه الدنيا عظيم بين يدي الله جل وعلا هو من أعظم مقامات علو العبد عند الله سبحانه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

فالمحافظة على هذه الصلوات في أوقاتها ، في بيوت الله ، كما أمر الله ، مع العناية بأركانها وواجباتها و شروطها ، هذا من أعظم ما ينال به العبد علو الدرجات ورفيع الرتب بل, إن في الصلاة أمر عجب في هذا الباب- باب العلو والنزول - أما في باب العلو فالصلاة معونة للعبد على كل ما فيه علوه كما قال الله تعالى: " اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ " الصلاة معونة على كل ما فيه علوه علو للعبد و الصلاة فتح لأبواب الرحمة والتوفيق والسداد والمعونة على كل خير هذا من جهة.

الجهة الأخرى: جهة السفول الصلاة من أعظم الروادع التي تردع العبد وتكفه عما فيه سفوله كلما كان أعظم عناية بهذه الصلاة خشوعًا وإتمامًا لأركانها وواجباتها وشروطها كلما كان أعظم كفًّا له عما فيه سفوله كما قال الله سبحانه وتعالى: " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " الفحشاء والمنكر سفول والصلاة تنهى عنه ولهذا في باب العلو والسفول ينبغي أن ينتبه لهذا الأمر وأن يكون العبد على فقه عظيم في هذا الباب ما يكون به علو الدرجات ورفعة المنازل وأيضا من الفقه في هذا الباب أن يحرص العبد على التفقه فيما يترتب عليه مضاعفة الأجر لأن مضاعفة الأجر على العمل هذا من أسباب مزيد العلو والارتفاع ,وهناك أسباب إذا حصلت من العبد ضاعفت أجره في عمله حتى إن العمل ليتضاعف أضعاف كثيرة بحسب أمور تقارن العمل وهذه مسألة مهمة جدا في باب العلو ومن أحسن من رأيته جمع فيها وأفاد وحرر وأجاد الإمام عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى -في رسالة له لطيفة جاءت ضمن فتاويه وطبعت صغيرة مفردة بعنوان الأسباب المعينة على مضاعفة الأجور وهي رسالة عظيمة جداً حري بكل مسلم أن يقف عليها وفي هذا المكان من فضل الله سبحانه وتعالى عقدنا مجالس عديدة قرأنا فيها هذه الرسالة العظيمة وجرى أيضاً التعليق عليها بما يسره الله تبارك وتعالى لكنني أشير إلى أهمية هذه الرسالة وعظيم حاجة العبد إليها في هذا الباب باب العلو في الدرجات ورفعة المنازل وهو باب من الأبواب المهمة التي ينبغي على العبد أن يكون على عناية عظيمة بها وفي مقابل ذلك النزول والانحطاط والسفول هذا باب خطير جداً وهو من مضار وعواقب الذنوب فيجب على العبد أن يكون على فقه في هذا الباب وأعظم ما يكون به النزول

والسفول كبائر الذنوب وعظائم الآثام وهي أخطر ما يكون على المرء في حياته ولهذا ينبغي على الناصح لنفسه أن يقرأ في الكبائر حتى يحذر منها ومن أحسن ما كتب فيها كتاب الكبائر للإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-يقرأ في الكبائر ويكون على حذر وحيطة منها لأن الكبائر هي أعظم ما يكون في سفول المرء وانحطاطه أعاذنا الله أجمعين.

فَأَيُّ صُعُودٍ يُوَازِي هَذِهِ النَّزْلَةَ؟ وَالنُّزُولُ أَمْرٌ لَازِمٌ لِلْإِنْسَانِ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى غَفْلَةٍ، فَهَذَا مَتَى اسْتَيْقَظَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَادَ إِلَى دَرَجَتِهِ، أَوْ إِلَى أَرْفَعَ مِنْهَا بِحَسَبِ يَقَظَتِهِ.

النزول مثل ما أشار رحمه الله النزول يتفاوت لكن هذه النزلة التي أشير إليها في الحديث هذه نزلة خطيرة جداً حيث قال عليه الصلاة والسلام: " يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب" المسافة بين المشرق والمغرب ليست قليلة فهذه المسافة بعيدة جداً في النزول.

النزول متفاوت قد يكون نزول المرء درجة قد يكون نزول المرء درجتين وقد يكون نزول المرء أبعد ما بين المشرق والمغرب فهذا باب أيضاً يُنتبه له ومما يوضح ذلك أن في الأحاديث بل في غيرما حديث يذكر عليه الصلاة والسلام التفاوت بين الكبائر " ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر " فالكبائر متفاوتة إذا كانت الكبائر متفاوتة فإنها أيضا متفاوتة فيما يترتب عليها،من نزول وسفول.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مُبَاحٍ لَا يَنْوِي بِهِ الِاسْتِعَانَةَ عَلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا مَتَى رَجَعَ إِلَى الطَّاعَةِ فَقَدْ يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَقَدْ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَرْتَفِعُ عَنْهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَعُودُ أَعْلَى هِمَّةً مِمَّا كَانَ، وَقَدْ يَكُونُ أَضْعَفَ هِمَّةً، وَقَدْ تَعُودُ هِمَّتُهُ كَمَا كَانَتْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، إِمَّا صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، فَهَذَا يَحْتَاجُ فِي عَوْدِهِ إِلَى دَرَجَتِهِ إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَإِنَابَةٍ صَادِقَةٍ.

هذه الآن ثلاثة أنواع من النزول أشار إليها -رحمه الله تعالى..

النوع الأول : يكون نزول إلى غفلة، فهذا متى استيقظ من غفلته عاد إلى درجته، أو إلى أرفع منها بحسب اليقظة والانتباه، فهذا نوع.

النوع الثاني: قد يكون نزوله إلى مباح، يعني كان مشتغلاً برغائب و مثلاً سنن و بمستحبات مع عنايته بالفرائض العظيمة والواجبات ثم يترك هذه الرغائب فينشغل بأمور مباحة -ليست محرمة-، إذا انشغل بالأمور المباحة وترك تلك السنن والرغائب والمستحبات أي شيء يحصل ؟ أيبقى على الدرجة التي كان عليها أو أنه ينزل بحسب انصرافه وانشغاله إلى المباح،هو لم يأثم! هو لم يأثم بإنشغاله بهذا المباح، لكن درجته هل بقيت ؟ -لن تبقى؛ نزلت بحسب ما انشغل به من المباح.

قال : (ومنهم من يكون نزوله إلى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة) هذه أيضا مسألة مهمة جداً، المباح الذي يشتغل به المرء، إن اشتغل به المرء اشتغالاً يقصد به أن يكون معونة له على الطاعة والازدياد منها، فإن هذا المباح يتحول إلى عبادة، ولهذا حتى نوم المرء قد يكون عبادة بحسب نية المرء، وأيضاً انشغاله بأمور مباحة، من طعام أو شراب أو غير ذلك، قد يكون عبادة بحسب نية العبد [ولكل امرئ ما نوى] لكن إذا كان اشتغالاً بالمباح اشتغالاً مجرداً، انشغالاً به؛ فهو -كما ذكر ابن القيم- (منهم من يكون نزوله إلى مباح لا ينوي به الاستعانة على الطاعة) فهذا متى رجع إلى الطاعة فقد يعود إلى درجته وقد لا يصل إليها، وقد يرتفع عنها، فإنه قد يعود أعلى همة مما كان، وقد يكون أضعف، ما يدري ما الذي يحصل به عندما ينشغل بالمباح، قد ينشغل بالمباح وينهمك فيبقى على هذا النزول [الذي] صار إليه وقد ينتبه فيرجع إلى الصعود ولكن بأقل مما كان عليه أولًا وقد يكون بهمة أعلى يتأسف على حاله وعلى .. فيعود بهمة أعلى فقد يرتفع درجات أعلى مما كان عليه سابقاً.

فالحاصل أن هذه المسألة حقيقة مهمة جدًا أن يتفقه فيها العبد و أن يتبصر وأن يزن نفسه وأعماله و حاله في ضوء هذا النزول و الارتفاع .

والحالة الثالثة: من يكون نزوله إلى معصية إما صغيرة أو كبيرة فالانحطاط الذي يحصل بسبب المعصية هذا قد يحتاج في عوده إلى توبة نصوح وإنابة صادقة.

ثم ذكر خلافًا مفيدًا في هذه المسألة هل إذا كان نزوله إلى معصية ثم تاب منها هل يصعد إلى درجته الأولى كما كان أو لا يصعد إليها ويكون دونها فهذه مسألة ذكر فيها خلافًا بين أهل العلم وذكر فيها أيضًا فوائد مهمة .

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ يَعُودُ بَعْدَ التَّوْبَةِ إِلَى دَرَجَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَمْحُو أَثَرَ الذَّنْبِ، وَتَجْعَلُ وَجُودَهُ كَعَدَمِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، أَوْ لَا يَعُودُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَأْثِيرُهَا فِي إِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ، وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الَّتِي فَاتَتْهُ فَإِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا.

قَالُوا: وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ: أَنَّهُ كَانَ مُسْتَعِدًّا بِاشْتِغَالِهِ بِالطَّاعَةِ فِي الزَّمَنِ الَّذِي عَصَى فِيهِ لِصُعُودٍ آخَرَ وَارْتِقَاءٍ بجملة أَعْمَالِهِ السَّالِفَةِ، بِمَنْزِلَةِ كَسْبِ الرَّجُلِ كُلَّ يَوْمٍ بِجُمْلَةِ مَالِهِ الَّذِي يَمْلِكُهُ، وَكُلَّمَا تَضَاعَفَ الْمَالُ تَضَاعَفَ الرِّبْحُ، فَقَدْ رَاحَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ ارْتِفَاعٌ وَرِبْحٌ بجملة أَعْمَالِهِ، فَإِذَا اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ اسْتَأْنَفَ صُعُودًا مِنْ نُزُولٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ صَاعِدًا مِنْ علو، وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ عَظِيمٌ.

قَالُوا: وَمَثَلُ ذَلِكَ مثل رَجُلَانِ يَرْتَقِيَانِ فِي سُلَّمَيْنِ لَا نِهَايَةَ لَهُمَا، وَهُمَا سَوَاءٌ، فَنَزَلَ أَحَدُهُمَا إِلَى أَسْفَلَ، وَلَوْ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الصُّعُودَ، فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَنْزِلْ يَعْلُو عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ.

هذا التقرير الذي أشار إليه هو قول من قال: أنه إذا نزل بسبب معصية أو ارتكاب كبيرة ثم تاب منها توبة نصوحًا إلى الله سبحانه وتعالى لا يعلو إلى الدرجة نفسها التي كان عليها وضربوا على ذلك مثالًا: لو أن رجلان يصعدان في سلم صعودًا متوازيًا ومتساويًا ثم أحدهما نزل درجات ولو واحدة والآخر بقي على صعوده لم يفعل مثل صاحبه معصية ينزل بها بقي على الصعود وهذا فعل معصية ثم تاب منها بتوبته يبدأ الصعود لكن لا يكون على درجة الذي استمر صاعدًا لا يكون على درجة الذي استمر في صعود بل يكون نازلًا عنه بدرجة أو بدرجتين أو نحو ذلك فهذا قول من يقول أنه قد لا يعود إلى درجته نعم .

وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا مَقْبُولًا فَقَالَ:التَّحْقِيقُ أَنَّ مِنَ التَّائِبِينَ مَنْ يَعُودُ إِلَى أَرْفَعَ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ إِلَى مِثْلِ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

شيخ الإسلام ابن تيمية في تحقيقه لهذه المسألة رحمه الله تعالى قال : أن التحقيق في ذلك أنه قد يعود إلى أرفع من درجته بل سبحان الله أحيانًا بعض الذنوب التي يقع فيها العبد ثم يعظم بعد الذنب ندامته على وقوعه في الذنب وألم قلبه الشديد على هذه المعصية التي فرطت منه فلا يزال في ندم وألم وهذا الذنب ماثلًا بين عينيه متألما من وقوعه فيه مُكثرًا من التوبة، والاستغفار، والإنابة إلى الله، والإلحاح على الله -سبحانه وتعالى- بالدعاء،والاستكثار من الأعمال الصالحة إلى غير ذلك. فيكون ذنبه الذي فرط منه سبب لرفعته وعلو منازله؛ عندما يلحقه بعد الذنب الندم الشديد والألم

العظيم وصدق التوبة إلى الله وكثرة الدعاء والإلحاح على الله سبحانه وتعالى؛ فقد يكون علواً من هذه الجهة وقد يعلو علوًا أعلى من درجته التي كان عليها.وقد يصل إلى درجته أو مثلها وقد يكون أنزل منها. هذا بحسب ماذا؟

- بحسب المجاهدة للنفس؛ فمرد الأمر -كما حقّق شيخ الإسلام رحمه الله تعالى- مرد الأمر إلى المجاهدة، والله سبحانه وتعالى يقول: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ " بحسب المجاهدة وقوتها يكون العلو أو ضعفه أو عدمه".

قُلْتُ: وَهَذَا بِحَسْبِ قُوَّةِ التَّوْبَةِ وَكَمَالِهَا، وَمَا أَحْدَثَتْهُ الْمَعْصِيَةُ لِلْعَبْدِ مِنَ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنَابَةِ، وَالْحَذَرِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، فَقَدْ تَقْوَى هَذِهِ الْأُمُورُ، حَتَّى يَعُودَ التَّائِبُ إِلَى أَرْفَعَ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَيَصِيرَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، فَهَذَا قَدْ تَكُونُ الْخَطِيئَةُ فِي حَقِّهِ رَحْمَةً، فَإِنَّهَا نَفَتْ عَنْهُ دَاءَ الْعُجْبِ، وَخَلَّصَتْهُ مِنْ ثِقَتِهِ بِنَفْسِهِ وَإِدْلَالِهِ بِأَعْمَالِهِ، وَوَضَعَتْ خَدَّ ضَرَاعَتِهِ وَذُلَّهُ وَانْكِسَارَهُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَعَرَّفَتْهُ قَدْرَهُ، وَأَشْهَدَتْهُ فَقْرَهُ وَضَرُورَتَهُ إِلَى حِفْظِ مَوْلَاهُ لَهُ، وَإِلَى عَفْوِهِ عَنْهُ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُ، وَأَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ صَوْلَةَ الطَّاعَةِ، وَكَسَرَتْ أَنْفَهُ مِنْ أَنْ يَشْمَخَ بِهَا أَوْ يَتَكَبَّرَ بِهَا، أَوْ يَرَى نَفْسَهُ بِهَا خَيْرًا مِنْ غَيْرِهِ، وَأَوْقَفَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مَوْقِفَ الْخَطَّائِينَ الْمُذْنِبِينَ، نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، مُسْتَحِيياً مِنْهُ خَائِفًا وَجِلًا، مُحْتَقِرًا لِطَاعَتِهِ مُسْتَعْظِمًا لِمَعْصِيَتِهِ، عَرَفَ نَفْسَهُ بِالنَّقْصِ وَالذَّمِّ. وَرَبُّهُ مُتَفَرِّدٌ بِالْكَمَالِ وَالْحَمْدِ وَالْوَفَاءِ كَمَا قِيلَ:

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْحَمْدِ.. وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

فَأَيُّ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ دُونَهَا وَلَمْ يَرَهَا أَهْلًا لها، وَأَيُّ نِقْمَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَأَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا، وَرَأَى أن مَوْلَاهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِذْ لَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ وَلَا شَطْرِهِ، وَلَا أَدْنَى جُزْءٍ مِنْهُ.

فَإِنَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لَا تَحْمِلُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، فَضْلًا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ، فَإِنَّ الذَّنْبَ وَإِنْ صَغُرَ، فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ، الْكَبِيرِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَكْبَرُ مِنْهُ، الْجَلِيلِ الَّذِي لَا أَجَلَّ مِنْهُ وَلَا أَجْمَلَ، الْمُنْعِمِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ دَقِيقِهَا وجليلها - مِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ وَأَفْظَعِهَا وَأَشْنَعِهَا، فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَجِلَّاءِ وَسَادَاتِ النَّاسِ بِمِثْلِ ذَلِكَ يَسْتَقْبِحُهُ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٌ أو كَافِرٌ. وَأَرْذَلُ النَّاسِ وَأَسْقَطُهُمْ مُرُوءَةً مَنْ قَابَلَهُمْ بِالرَّذَائِلِ، فَكَيْفَ بِعَظِيمِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَلِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَلَوْلَا أَنَّ رَحْمَتَهُ غلبت غَضَبَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ سَبَقَتْ عُقُوبَتَهُ، وَإِلَّا لَتَدَكْدَكَتِ الْأَرْضُ بِمَنْ قَابَلَهُ بِمَا لَا

يَلِيقُ مُقَابَلَتُهُ بِهِ، وَلَوْلَا حِلْمُهُ وَمَغْفِرَتُهُ لَزُلْزِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ مَعَاصِي الْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [سُورَةُ فَاطِرٍ: 41] .

فَتَأَمَّلْ خَتْمَ هَذِهِ الْآيَةِ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُمَا: " الْحَلِيمُ، وَالْغَفُورُ "كَيْفَ تَجِدُ تَحْتَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا حِلْمُهُ عَنِ الْجُنَاةِ وَمَغْفِرَتُهُ لِلْعُصَاةِ لَمَا اسْتَقَرَّتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ بَعْضِ كُفْرِ عِبَادِهِ أَنَّهُ: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا} [سُورَةُ مَرْيَمَ: 90] .وَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ارْتَكَبَاهُ وَخَالَفَا فِيهِ نَهْيَهُ، وَلَعَنَ إِبْلِيسَ وَطَرَدَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ارْتَكَبَهُ وَخَالَفَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْحَمْقَى كَمَا قِيلَ:

نَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَنَرْتَجِي ... دَرَجَ الْجِنَانِ لِذِي النَّعِيمِ الْخَالِدِ

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنْ ... مَلَكُوتِهِ الْأَعْلَى بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَكُونُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ وَأَرْفَعَ دَرَجَةً، وَقَدْ تُضْعِفُ الْخَطِيئَةُ هِمَّتَهُ وَتُوهِنُ عَزْمَهُ، وَتُمْرِضُ قَلْبَهُ، فَلَا يَقْوَى دَوَاءُ التَّوْبَةِ عَلَى إِعَادَتِهِ إِلَى الصِّحَّةِ الْأُولَى، فَلَا يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَقَدْ يَزُولُ الْمَرَضُ بِحَيْثُ تَعُودُ الصِّحَّةُ كَمَا كَانَتْ وَيَعُودُ إِلَى مِثْلِ عَمَلِهِ، فَيَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

هَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كَانَ نُزُولُهُ إِلَى أَمْرٍ يَقْدَحُ فِي أَصْلِ إِيمَانِهِ، مِثْلِ الشُّكُوكِ وَالرِّيَبِ وَالنِّفَاقِ، فَذَاكَ نُزُولٌ لَا يُرْجَى لِصَاحِبِهِ صُعُودٌ إِلَّا بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ من رأسه.

هنا لما ذكر الخلاف في هذه المسألة، وذكر التحقيق الجميل لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فيها وأنه قد يعود بالتوبة إلى حال أعظم وقد يرجع إلى الرتبة نفسها، وقد ينزل إلى، أو قد لا يرجع إلا إلى رتبة دون هذه الرتبة، فأخذ ابن القيم -رحمه الله- يوضح ما يؤيد به كلام شيخ الإسلام وتحقيقه لهذه المسألة من حيث أن بعض الذنوب والمعاصي قد تعلو بها درجة العبد إلى درجة أعلى من الدرجة التي كان عليها قبل المعصية وذلك بما يعقب الذنب من الألم والندم وصدق التوبة والإلحاح على الله سبحانه وتعالى. بالدعاء ومثول هذا الذنب بين ناظريه ، فيرى نفسه على إثر هذا الذنب من الخاطئين المقصرين في جنب الله .ولا يزال يتدارك نفسه بالطاعات والعبادات والاجتهاد إلى الله بحسن التقرب والندم الشديد على ما بدر منه من تقصير .فقد تكون هذه المعصية في حقه -كما عبر ابن القيم رحمة فقد تكون في حقه- رحمة من جهة ما تبعها من آثار عظيمة علت بها درجاته وارتفعت بها منازله .

ومن آثارها العظيمة عليه أنها أشهدته قدر نفسه وهذا أيضاً باب حقيقة مهم جداً ، ينبه عليه ابن القيم رحمه الله أحياناً يكون المرء على غير استقامة ، ثم يفتح له أبواب في الاستقامة وطاعة الله ، والتعبد والتقرب والمجاهدة للنفس . ربما يكون له شيء من قيام الليل مثلاً ، ربما يكون له أيضا حظ من العلم وملازمة حلق العلم ، ويرى نفسه في اجتهاد عظيم ، فقد يصيبه في مثل هذه الحال عُجب بنفسه ، ورؤية لها واحتقار للآخرين وهذا يحصل والعجب آفة خطيرة جداً ,

قال الناظم :

والعُجب فاحذره إن العجب مجترفٌ .. أعمال صاحبه في سيله العرم .

خطير جداً العجب . عندما يرى نفسه نفساً مطيعة ، نفسا مكملة خيراً من الآخرين ، يزدري الآخرين ويحتقرهم وينتقصهم فيصاب بعجب و زهو ورؤية للنفس .وهذه مهلكة فقد تحصل له معصية فيتألم قلبه منها ، لكن يكون من فوائدها عليه أنها تذهب عن نفسه ذاك العجب الذي كان يراه في نفسه والرؤية التي كان يراها لنفسه .

فإذا وُفق لمثل هذا المعنى صار الذنب عليه رحمة ، وكانت حاله بعد المعصية خيراً من حاله قبلها .

لأنه قبل المعصية كان يرى نفسه ، معجباً بها، فجاءت هذه المعصية وما تبعها من ندم صادق وتوبة صادقة إلى الله سبحانه وتعالى فكسرت كما عبر ابن القيم رحمه الله صولة الطاعة .الطاعة التي أقبل عليها ثم ترتب على إقباله عليها عجب بنفسه ورؤية وصولة للطاعة في قلبه .

فمثل هذه المعصية قد تكسر هذه الصولة التي يجدها في نفسه فيعود نظره إلى نفسه نظر ماذا؟ نظر المخطئ المقصر في حق الله وكل ما كان العبد ينظر إلى نفسه هذه النظرة نظرة المخطئ المقصر المفرط ، فإن هذا باب رفعة له . وكل ما كان يرى نفسه مكملاً متمماً إيمانه ، فهذا والعياذ بالله خطر عليه .ولهذا من أخطر المذاهب على الأمة ؛ مذاهب المرجئة :الذين يقولون أهل الإيمان في الإيمان سواء . هذا من أخطر ما يكون على الناس في أديانهم وعباداتهم وتقرباتهم وطاعاتهم لله سبحانه وتعالى؛ لأنها تجعل العاصي والمطيع رتبتهم واحدة !

آحاد الناس ، وأفراد الناس ، حتى الفساق إيمانه وإيمان الصديق سواء ، وإيمان جبريل سواء والعياذ بالله .! هذه مهلكة ، هذه عقيدة مهلكة جداً لصاحبها ومن يعتقدها ويدين بها.

فالحاصل أن الذنب مضرته عظيمة بينما المرجئة الذين أشرنا إليهم يقولون : " لا يضر مع الإيمان ذنب" , فالذنب مضرته عظيمة جداً و خطيرة على العبد, لكن إن كان مطيعاً فبدر منه ذنب فآلمه وقوعه في هذا الذنب و كثر ندمه و توبته و إقباله على الله –سبحانه و تعالى- و أصبح ينظر إلى نفسه نظر الخاطئ المقصر فهذا يكون عائدته عائدة هذا الذنب و ما تبعه عليه عائدة حميدة جداً, و عظيمة لأن هذا الذنب أوقفه بين يدي ربه موقف الخاطئين المذنبين, قبل ذلك كان موقفه بين يدي ربه ماذا ؟ - يرى نفسه من المطيعين المُكَّملين, لكنه بعد هذا الذنب الذي كسر فيه هذه الصولة أصبح ينظر إلى نفسه نظر الخاطئين المذنبين ناكس الرأس بين يدي ربه مستحيياً منه- من خالقه-, محتقراً لطاعته مستعظماً لمعصيته, وما دام العبد على هذه الحال فهذا الصعود والعلو مادام على هذه الحال يحتقر طاعته لا يراها شيء مهما قدم من طاعة لا يزال يرى نفسه مقصراً في طاعة الله ومعظماً المعصية و التفريط الذي كان منه فإن كان كذلك لا يزال هذا علواً له و رفعة منازل عند الله –تبارك و تعالى- قد عرف نفسه بالنقص و الذنب و ربه متفرد بالكمال و الحمد و الوفاء ,
من الآثار المترتبة على ذلك انتبه إلى كلامه فكلامه عظيم و أرى أنه لا يكفي هذا الكلام الذي ذكره مجرد هذه القراءة العابرة بل يحتاج من طالب العلم أن يتأمل في هذا الكلام مرات و مرات حتى تستقر هذه المعاني العظيمة في قلبه .

يقول –رحمه الله: " فأي نعمة " يعني بعد ذلك " أي نعمة وصلت من الله إليه استكثرها على نفسه " هذا من الأشياء التي تترتب عليه قد يكون وقت الطاعة التي كان عليها و معجباً بنفسه إذا وصلت إليه نعمة بسبب العجب الذي كان عليه في نفسه ماذا يقع في نفسه ؟ نعم أي شيء يقع في نفسه ؟- أنه مستحق وأنه أهل لذلك ,نعم و أنا العبد المطيع ,أنا هذا من إكرام الله لي و أنا أستحق ذلك و أنا أهل لذلك فيمضي في هذا العجب الذي هو مبتلى به, لكن إذا حصل الأمر الأول الذي هو حصول ذنب يكسر هذه الصولة التي في نفسه فحينئذ من الآثار أيضاً الطيبة التي تترتب على ذلك أنه :

إذا وصلت إليه نعمة استكثرها على نفسه و رأى نفسه دونها و أي نقمة أو بلية وصلت إليه رأى نفسه أهلاً لما هو أكبر منها و يقول ولكن هذا من لطف الله أنا أستحق أكثر من هذا, لأنه لا يزال يرى نفسه مقصر, بينما الذي ينظر إلى نفسه نظر العجب فأي عقوبة أو مصيبة تحل به يتسخط و يبدأ يتحدث عن نفسه أنا الذي كذا و أنا الذي كذا و كيف أصاب بكذا و يعترض على أقدار الله سبحانه و تعالى ويتسخط و هذا باب إثم عظيم جداً فالحاصل أن المعصية التي يقع فيها مثل هذا و يترتب عليها من صدق التوبة و صدق الإنابة و الندم تكسر هذه النفس التي هي مصابة بالعجب و يرى نفسه معجباً

بها فتكسر فيه ذلك ,هل هذا الكلام ترغيباً للمطيع أن يكسر نفسه بمعصية ؟! - لا والله ليس هذا ,ومن فهم ذلك فقد أساء الفهم وأبعد النجعة,بل هذا تحقيقٌ لهذه المسألة.

أما المطيع فقد يكرمه الله سبحانه وتعالى بطاعة وثباتٍ في عبادة الله وإحسانٍ في التقرب إلى الله مع مجاهدة للنفس ويكون فيه من التواضع والذل والانكسار وعدم رؤية النفس أعظم من حال هؤلاء الذين كسرتهم هذه المعصية, فعاد الأمر إلى قوة المجاهدة وحسن التقرب وإلا فإن النبي ﷺ قال لأبي بكرٍ صدّيق الأمة -وهو من هو- لما طلب من النبي ﷺ أن يعلمه دعاء يدعو الله به في صلاته وبيته قال: قل " اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً .."

أنت وأنت تسمع تعليم النبي ﷺ لأبي بكرٍ تذكَّر من هو أبو بكر الذي قال له النبي ﷺ قل:" اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً " من هو هذا ؟! - أبو بكر رضي الله عنه هو أفضل الناس في كل الأمم بعد النبيين ، هذه منزلته رضي الله عنه وأرضاه,ولما طلب من النبي ﷺ أن يعلمه دعاءً يدعو الله به قال: قل: " اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم "

وبالمناسبة هذا الدعاء لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- شرح نفيس عليه ومفيد جداً موجود ضمن مجموع فتاواه رحمه الله تعالى,ثم نبّه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نهاية حديثه حول هذه المسألة قال: أن هذا النزول إذا كان إلى معصية,هذا الحديث في هذه المسألة إذا كان النزول إلى معصية,فإن كان نزوله إلى أمرٍ يقدح في أصل إيمانه فهذه مسألة مختلفة, إذا كان نزوله إلى أمرٍ يقدح في أصل إيمانه :يعني أوقعه في الكفر في الشرك بالله سبحانه وتعالى ,في النفاق الأكبر, إذا كان نزوله من هذا القبيل فذاك نزول لا يُرجى لصاحبه صعودٌ إلا بتجديد إسلامه يعني بالدخول في الدين من جديد: لأنه بذلك النزول خرج من الدين

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول العلامة ابن القيم الجوزية - رحمه الله - وغفر له ولشيخنا وللمسلمين في كتابه الداء والدواء، قال:

فصل: [فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُجَرِّئُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْدَاءَهُ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُجَرِّئُ عَلَى الْعَبْدِ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَتَجْتَرِئُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينَ بِالْأَذَى وَالْإِغْوَاءِ وَالْوَسْوَسَةِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّحْزِينِ، وَإِنْسَائِهِ مَا بِهِ مَصْلَحَتُهُ فِي ذِكْرِهِ، وَمَضَرَّتُهُ فِي نِسْيَانِهِ، فَتَجْتَرِئُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ حَتَّى تَؤُزَّهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَزًّا.

وَتُجْتَرِئُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ آذاه فِي غَيْبَتِهِ وَحُضُورِهِ، وَيَتجرئُ عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَخَدَمُهُ وَأَوْلَادُهُ وَجِيرَانُهُ حَتَّى الْحَيَوَانُ الْبَهِيمُ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنِّي لَأَعْصِي اللَّهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَابَّتِي.

وَكَذَلِكَ يَتجرئُ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي إِنْ عَدَلُوا فِيهَا أَقَامُوا عَلَيْهِ حُدُودَ اللَّهِ، وَتَجْرِئُ عَلَيْهِ نَفْسه فَتَتَأَسَّدُ عَلَيْهِ وَتَصْعُبُ عَلَيْهِ، فَلَوْ أَرَادَهَا لِخَيْرٍ لَمْ تُطَاوِعْهُ وَلَمْ تَنْقَدْ لَهُ، وَتَسُوقُهُ إِلَى مَا فِيهِ هَلَاكُهُ، شَاءَ أَمْ أَبِي.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ حِصْنُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ، فَإِذَا فَارَقَ الْحِصْنَ اجْتَرَأَ عَلَيْهِ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ وَغَيْرُهُمْ، وَعَلَى حَسَبِ اجْتِرَائِهِ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ يَكُونُ اجْتِرَاءُ هَذِهِ الْآفَاتِ وَالنُّفُوسِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَرُدُّ عَنْهُ. فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ وَالصَّدَقَةَ وَإِرْشَادَ الْجَاهِلِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ - وِقَايَةٌ تَرُدُّ عَنِ الْعَبْدِ، بِمَنْزِلَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا سَقَطَتِ الْقُوَّةُ غَلَبَ وَارِدُ الْمَرَضِ فَكَانَ الْهَلَاكُ، فَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ شَيْءٍ يَرُدُّ عَنْهُ، فَإِنَّ مُوجِبَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ تَتَدَافَعُ وَيَكُونُ الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكُلَّمَا قَوِيَ جَانِبُ الْحَسَنَاتِ كَانَ الرَّدُّ أَقْوَى كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَبِحَسَبِ قُوَّةِ الْإِيمَانِ يَكُونُ الدَّفْعُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين... أما بعد ,

فهذه من العواقب التي تترتب على الذنوب والآثار الوخيمة التي تجرها على فاعِلها، أنها تجرّئ عليه ما لم يكن عليه قدرة على العبد أثناء طاعته، فتجرئ عليه الشياطين، وتجرئ عليه الإنس، وتجرئ عليه الفُسَّاق، بل تجرئ عليه حتى أهله وولده وخدمه؛ لأن الطاعة حصن للمؤمن، ولو لم يكن فيها إلا قول الله -سبحانه وتعالى- : ((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ)) [الحج: 38].

فالمطيع لله عز وجل في أمان الله وحفظ الله ورعاية الله وتأييد الله سبحانه وتعالى والله جلا وعلا هو الذي يتولاه, وهو يتولى الصالحين وهو الذي يدافع عنه. وهو الذي ينجيه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨]

فالمؤمن في أمان الله وحفظ الله ورعاية الله وإذا تخلى المؤمن عن طاعة الله سبحانه وتعالى يكون بهذا التخلي عن الطاعة والوقوع في المعصية خرج من هذا الحصن ويكون خروجه من هذا الحصن بحسب حاله مع المعاصي, فكلما كان أكثر توغلاً في المعاصي والذنوب كان ذلك أبعد عن هذا الحِصن الحصين الذي يكرم الله سبحانه وتعالى به عباده , فالمعصية تجرئ الشيطان على العبد ويفتح بالمعصية على نفسه للشيطان باباً فيؤزّه إلى المعاصي أزّاً,

ولهذا فإن خطورة وضع المرء قدمه في طريق المعصية أمر خطير جداً؛ لأن هذا الوضع للقدم في طريق المعصية يُجرئ عليه الشيطان ,فيؤزه الشيطان للمعاصي أزا, ويدفعه إليها دفعاً لكنه إذا كان في كنف الطاعة وأمان العبادة فليس للشيطان عليه سبيل , وليس له عليه طريق لأنه في حصن الطاعة وحصن الذكر لله سبحانه وتعالى, كما قال الله جلا وعلا : إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ "؛ لأن المطيع لله سبحانه وتعالى الذاكر له جل في علاه في حصن حصين وحرز متين يقيه من الشيطان ويحميه منه فلا يتجرأ عليه كتجرئه على غيره.

ولهذا فإن من العواقب الوخيمة التي تترتب على المعاصي والذنوب أنها تجرئ هذه المخلوقات على هذا العبد بل تجرئ عليه نفسه ،

وهذا أمر أيضاً عظيم نبّه عليه المصنف؛ لأن كما نعلم النفس لها ثلاثة أحوال:

- إما أن تكون نفساً مطمئنة ولا تطمئن ولا تنال هذه الطمأنينة إلا بالطاعة والتزكية للنفس " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ " هذا الذي تطمئن به القلوب.
- أو أن تكون نفساً لوامة لصاحبها
- أو أن تكون نفساً أمارة بالسوء

هذا الذي يصفه ابن القيم هنا تجرئ نفسه عليه فتتجرأ نفسه عليه ويصعب عليه حجزها ومنعها وردها بل تنفلت وبدلاً أن تكون نفسه مقُودة تصبح قائدة تسوقه إلى المعاطب والمهالك فتتجرأ عليه نفسه ويصعب عليه زمها؛ لأن النفس لا يمكن أن تُزم إلا بالطاعة ولا يمكن أن تكون سلسة القياد للمرء إلا بطاعة الله إذا ألزمها بالطاعة وأطرها عليها أطراً، فإذا دخل في طريق المعصية جرأ نفسه عليه وانفلتت منه فلا تزال تأخذه من معصيةٍ إلى أخرى ومن هوى إلى آخر ومن مهلكةٍ إلى مهلكة . - فهذه من العواقب الوخيمة التي تترتب على الذنوب - بل تجرئ عليه أهله وولده حتى دابته ,كل هذا من العواقب والآثار التي تترتب على المعاصي والذنوب.

أما طاعة الله سبحانه وتعالى فكما قال المصنف رحمه الله:" حصن الرب الذي من دخله كان من الآمنين"

فالطاعة أمان وحصن للمُطيع إذا دخل في الطاعة دخل في الأمان " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ " وقال تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ " فالدخول في الطاعة دخول في الأمن ودخول في حصن حصين وعلى الضد من ذلك الدخول في المعصية دخول في الهلكة وتوريط للنفس بما فيه عطبها وهلاكها. نعم

هنا أيضاً (أمر أو ملمح) وإن كان سبق الإشارة إليه لكنه غاية في الفائدة يقول- رحمه الله- : "فإن ذكر الله وطاعته، والصدقة، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وقاية ترد عن العبد بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه، وهي التي تسمى في زماننا المناعة ،

المناعة التي جعلها الله- سبحانه وتعالى - في جسم الإنسان تقيه من الأمراض بإذن الله-سبحانه وتعالى - وإذا أصابه المرض فإنّ هذه المناعة تدفعه، تدفع المرض وتقاومه ، تقاومه قبل أن يصيب المرء وأيضاً تقاومه بعد أن يصيب المرء.

فجعل الله - سبحانه وتعالى - في الإنسان هذه المناعة التي تقاوم الأمراض بعض الناس قد يصاب بنقص في هذه المناعة؛ ولهذا أدنى شيء يؤثر عليه في صحته وأحياناً يفقد المناعة ,

فالطاعة بهذه المثابة بمنزلة القوة يعني المناعة التي ترد المرض وتقاومه فإذا سقطت القوة غلب وارد المرض يعني إذا سقطت المناعة غلب وارد المرض فكان الهلاك ،

إذن فلا بد للعبد من شيء يرد عنه فهذه الأشياء التي ذكرت: الذكر، والعبادة، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هذه كلها أشياء ترد عن العبد ولو تلاحظ في نصيحة لقمان الحكيم لابنه في جملة نصائحه ووصاياه له، قال :" يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، إنَّ ذلك من عزم الأمور".. هذه الأشياء التي يتربى عليها الابن وينشأ إضافة لما فيها من قوة إيمان له وزيادة في الأجور فإنها تحقق هذا المعنى الذي يشير إليه ابن القيم - رحمه الله تعالى – وهي أنها ترد عنه.

قال له : " وأمُر بالمعروف وانه عن المنكر "

إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لو لم يكن في هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أنه يرد عن نفسه دعاة الشر مثل ما قيل قديماً: " إذا لم تدعُ تُدعى " إذا لم تدع إلى الخير أصبحت هدفاً لدعاة الشر فإذا أصبح الإنسان يدعُ إلى الخير لو لم يكن في ذلك إلا أنه يرد عن نفسه بهذه الدعوة،

فالحاصل أن : الطاعات أمان للعبد وحصن له فإذا دخل في المعاصي خرج من هذا الأمان وأصبح نُهبة لأهل الشر يجترئون عليه ويتسلطون عليه ويجدون في معصيته لله نافذة يدخلون من خلالها عليه؛ ليزداد في المعاصي والذنوب. نعم

فصل ومن عقوباتها[أنها تُضْعِفُ الْعَبْدَ أَمَامَ نَفْسِهِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَخُونُ الْعَبْدَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ أَعْرَفُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَأَقْوَاهُمْ وَأَكْيَسُهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَاسْتَعْمَلَهَا فِيمَا يَنْفَعُهُ وَكَفَّهَا عَمَّا يَضُرُّهُ، وَفِي ذَلِكَ تَفَاوَتَتْ مَعَارِفُ النَّاسِ وَهِمَمُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ، فَأَعْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ عَارِفًا بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَأَرْشَدُهُمْ مَنْ آثَرَ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ، كَمَا أَنَّ أَسْفَهَهُمْ مَنْ عَكَسَ الْأَمْرَ.

وَالْمَعَاصِي تَخُونُ الْعَبْدَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَى نَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْعِلْمِ، وَإِيثَارِ الْحَظِّ الْأَشْرَفِ الْعَالِي الدَّائِمِ عَلَى الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْأَدْنَى الْمُنْقَطِعِ، فَتَحْجُبُهُ الذُّنُوبُ عَنْ كَمَالِ هَذَا الْعِلْمِ، وَعَنْ الِاشْتِغَالِ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَأَنْفَعُ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ.

فَإِذَا وَقَعَ فِي مَكْرُوهٍ وَاحْتَاجَ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُ، خَانَهُ قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ وَجَوَارِحُهُ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ مَعَهُ سَيْفٌ قَدْ غَشِيَهُ الصَّدَأُ وَلَزِمَ قِرَابَهُ، بِحَيْثُ لَا يَنْجَذِبُ مَعَ صَاحِبِهِ إِذَا جَذَبَهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَدُوٌّ يُرِيدُ قَتْلَهُ، فَوَضَعَ يَدِهِ عَلَى قَائِمِ سَيْفِهِ وَاجْتَهَدَ لِيُخْرِجَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ، فَدَهَمَهُ الْعَدُوُّ وَظَفِرَ بِهِ.

كَذَلِكَ الْقَلْبُ يَصْدَأُ بِالذُّنُوبِ وَيَصِيرُ مُثْخَنًا بِالْمَرَضِ، فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ لَمْ يَجِدْ مَعَهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَالْعَبْدُ إِنَّمَا يُحَارِبُ وَيُصَاوِلُ وَيُقْدِمُ بِقَلْبِهِ، وَالْجَوَارِحُ تَبَعٌ لِلْقَلْبِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ مَلِكِهَا قُوَّةٌ يَدْفَعُ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِهَا عند عدم ملكها؟

وَكَذَلِكَ النَّفْسُ فَإِنَّهَا تَخْبُثُ بِالشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي وَتَضْعُفُ، أَعْنِي النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَمَّارَةُ تَقْوَى وَتَتَأَسَّدُ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ هَذِهِ ضَعُفَتْ تِلْكَ، فَيَبْقَى الْحُكْمُ وَالتَّصَرُّفُ لِلْأَمَّارَةِ.

وَرُبَّمَا مَاتَتْ نَفْسُهُ الْمُطْمَئِنَّةُ مَوْتًا لَا يُرْتَجَى مَعَهُ حَيَاةٌ فهذا ميت في البرزخ غير حي في الآخرة حياة يَنْتَفِعُ بِهَا، بَلْ حَيَاتُهُ حَيَاةٌ يُدْرِكُ بِهَا الْآلَامَ فَقَطْ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَقَعَ فِي شِدَّةٍ أَوْ كُرْبَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ خَانَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لَهُ، فَلَا يَنْجَذِبُ قَلْبُهُ لِلتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلا الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يُطَاوِعُهُ لِسَانُهُ لِذِكْرِهِ، وَإِنْ ذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَيَنْحَبِسُ الْقَلْبُ عَنِ اللِّسَانِ بِحَيْثُ يُؤَثِّرُ الذِّكْرَ، وَلَا يَنْحَبِسُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى الْمَذْكُورِ، بَلْ إِنْ ذَكَرَ أَوْ دَعَا ذَكَرَ بِقَلْبٍ لَاهٍ سَاهٍ غَافِلٍ، وَلَوْ أَرَادَ مِنْ جَوَارِحِهِ أَنْ تُعِينَهُ بِطَاعَةٍ تَدْفَعُ عَنْهُ لَمْ تَنْقَدْ لَهُ وَلَمْ تُطَاوِعْهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ أَثَرُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي كَمَنْ لَهُ جُنْدٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ الْأَعْدَاءَ، فَأَهْمَلَ جُنْدَهُ، وَضَيَّعَهُمْ، وَأَضْعَفَهُمْ، وَقَطَعَ أَخْبَارَهُمْ، ثُمَّ أَرَادَ مِنْهُمْ عِنْدَ هُجُومِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَفْرِغُوا وُسْعَهُمْ فِي الدَّفْعِ عَنْهُ بِغَيْرِ قُوَّةٍ.

هذا أيضاً أثر آخر وعاقبة أخرى من عواقب الذنوب وأضرارها على العُصاة، أنها كما ذكر -رحمه الله- :

تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه, وهذا الأثر عائد إلى حال النفس، فإن النفس بحسب ما عوّدها عليه صاحبها، فإن عوّدها على طاعة الله -سبحانه وتعالى- فإنه إذا احتاج إليها عند اشتداد الأمور كانت حاضرة، وقريبة لما جعل الله -سبحانه وتعالى- فيها من الإيمان والإقبال على الله -سبحانه وتعالى- والذكر له -جل في علاه-، فلا يكون فيها إلا ذلك .

ولهذا في الشدائد تفزع لما كان مُستقِرًا فيها من طاعة وإقبال على الله، وذكر لله، وتوكل عليه، وحُسن التجاء إليه -سبحانه وتعالى- بخلاف النفس العاصية التي أُنهكت بالمعاصي، فإنها في الشدائد والكُرب تخون العبد، ويُلازمها ضعفها، وتعلقها بما كانت مُتعلقة به من معاصي، وأهواء شغلت القلب وأرهقته .

ولهذا كما سيأتي عند المصنف -رحمه الله تعالى- وهو أشد ما يكون في هذا الباب عند الاحتضار: الشخص الذي شغل وقته باللهو والباطل والمعازف وغير ذلك تخونه نفسه عند الاحتضار، ولو أراد أن يفزع عند الاحتضار إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله لتكون خاتمة كلامه، لخانته في هذه الشدة ،

ولهذا بعض هؤلاء يُلقن لا إله إلا الله عند موته فلا يتلقن ولا يقبل، بل بعضهم تخرج روحه وهو يُردد بعض اللهو الذي ملأ قلبه به في حياته، فتخونه نفسه في مثل هذه الشدائد , بعضهم يموت وهو يُردد بيت من شعر اللهو والباطل الذي فُتن به وكثر من ترداده بخلاف المُطيع ,

المُطيع : قلبه أصلاً كان مُنشغلاً بذكر الله، فيُختم له بهذا الذي كان قلبه مُنشغلاً به ,إن كان مُنشغلاً بصلاة، وذكر، وطاعة، وآذان، ودعاء فهذا الذي يكون معه في مثل هذه الشدائد ،

أما الآخر الذي وقع في المعصية: فإن نفسه تخونه في الشدائد لأنه أصلا لم يُعَوّدِ نفسه على الذكر، وعلى الطاعة

أما من عود نفسه على الطاعة وتعلق قلبه بها فإنه في مثل هذه الأحوال ليس في قلبه أصلاً إلا هذا ولم ينشغل قلبه إلا بهذا.

والقصص في هذا وسيأتي عند المصنّف إشارة إلى بعض القصص التي فيها عبرة وعظة، القصص في هذا كثير ،ومما سمعته وجميل ذكره: أحد الصّالحين من كبار السنّ له اشتغال في الطاعة والعبادة والآذان وتعلق قلبه بذلك دخل في آخر عمره كما يحدثني بذلك أحد أبنائه في غيبوبة استمرت شهوراً، يقول ابنه دخلت يوماً للمستشفى لزيارة والدي والجلوس معه فقال له الطبيب: والدك عنده اليوم شيء من الصحو إن كان أردت أن تكلّمه، يقول فذهبت فرحاً وهو منقطع في غيبوبة عن الدنيا ثلاثة شهور أو أكثر، فأخذت أناديه فكأنه استيقظ من نوم، فقال لي : أذّن؟ ثم دخل يقول في الغيبوبة إلى أن مات.

ثلاث شهور في غيبوبة ولما استيقظ استيقاظ يسير، قال أذّن، ما كان في قلبه إلا هذا، فالقلب بحسب ما يُشغَل به، إن شُغِلَ باللّهو والباطل في مثل هذه الشدائد لا يحضُر إلا هذا الذي قلبه كان منشغلا به، وإن كان منشغلا بذكر الله وطاعته لا يكون في الشدائد إلا هذا الذي كان مشتغلا به.

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى أنّ: قلبه يخونه أشدّ ما يكون وبخاصة عند الاحتضار. نعم

قال رحمه الله: هَذَا، وَثَمَّ أَمْرٌ أَخْوَفُ مِنْ ذَلِكَ وَأَدْهَى مِنْهُ وَأَمَرُّ، وَهُوَ أَنْ يَخُونَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَالِانْتِقَالِ إِلَى اللَّهِ ، فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ، كَمَا شَاهَدَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحْتَضَرِينَ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: آهْ آهْ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: شَاهْ رُخْ، غَلَبْتُكَ. ثُمَّ قَضَى.

هذا شاه ورخ، هذه أحجار الشطرنج، كان منشغل بالشطرنج ويلعب به ومستغرقا أوقاته، فلما دُعِيَ للنطق بالشهادتين، ما نطق بها عند الاحتضار، و إنما أخذ يردّد هذه التي كانت شاغلة قلبه ومالئة فؤاده وقلبه لاهٍ بها.

قال وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ... كيف الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ

ثُمَّ قَضَى.

وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: تَاتِنَا تنتْنا. حَتَّى مات

ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله: فمتنا على حبّ الإله وماتوا على تنتنا تنتنا، تنتنا هذه أصوات الموسيقى والمعازف.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ وَلَمْ أَدَعْ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا؟ ثُمَّ مات وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي، وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي صَلَّيْتُ لِلَّهِ صَلَاةً؟ وَلَمْ يَقُلْهَا.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: أنا كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ ولم يقولها. وَقَضَى.

وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا ولِسَانِي يُمْسِكُ عَنْهَا.

وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَ بَعْضَ الشَّحَّاذِينَ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: لِلَّهِ، فِلْسٌ لِلَّهِ. حَتَّى قَضَى.

يعني قضى وهو يتسول؛ لأنه أَلِف ذلك، وأمضى حياته في التسول . نعم

وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ التُّجَّارِ عَنْ قَرَابَةٍ لَهُ أَنَّهُ احْتُضِرَ وَهُوَ عِنْدَهُ، وَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ الْقِطْعَةُ رَخِيصَةٌ، هَذَا مُشْتَرٍ جَيِّدٌ، هَذِهِ كَذَا. حَتَّى قَضَى.

الحاصل أن ما ذكره -رحمه الله- من أمثلة هذا كله توضيح لبيان أن النفس بحسب ما تألف وتُعوّد عليه؛ فإنها في الشدائد لا يحضر فيها إلا الشيء الذي أَلِفته وعُوِدت عليه. نعم

قال وَسُبْحَانَ اللَّهِ! كَمْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ هَذَا عِبَرًا؟ وَالَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْمُحْتَضِرِينَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ.

الآن الخرف الذي يصيب بعض الكبار قبل الموت، إذا كان الخرف لصاحب طاعة فإن خرفه في الطاعة نفسها، يتكلم بأمور هي من طاعة الله ويُرددها ويكررها وهي من طاعة الله سبحانه وتعالى. وإذا كان من العصاة فإن خرفه يكون في العصيان الذي كان عليه، ويذكر في خرفه كلامًا لا يليق. ولهذا بعض الناس لا يُمكِّن الزائرين من زيارة والده أو قريبه؛ لأنهم يسمعون منه هذا الكلام يسمعون منه كلامًا فاحشًا كلامًا بذيئًا كلامًا سيئًا؛ لأنه كان هذا أُلفُه والشيء الذي اعتاد عليه. فالحاصل أن الأمر بحسب ما اعتادت النّفس عليه من طاعة أو معصية.نعم

قال فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالِ حُضُورِ ذِهْنِهِ وَقُوَّتِهِ وَكَمَالِ إِدْرَاكِهِ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَاسْتَعْمَلَهُ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَدْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَعَطَّلَ لِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِهِ عِنْدَ سُقُوطِ قُوَاهُ وَاشْتِغَالِ قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ أَلَمِ النَّزْعِ؟

وَقد جَمَعَ الشَّيْطَانُ لَهُ كُلَّ قُوَّتِهِ وَهِمَّتِهِ، وَحَشَدَ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِيَنَالَ مِنْهُ فُرْصَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ آخِرُ الْعَمَلِ

هذه فائدة مهمة في هذا الباب، يقول: إذا كان الشيطان قد تمكّن منه في حال قوته وشبابه ونشاطه تمكّن منه وأصبح يقوده إلى المعاصي ويصرفه عن الطاعات وأصبح مطيعا للشيطان والشيطان متمكّن منه.

إذا كان ذلك الشأن في حال قوته ونشاطه -قد تمكّن منه الشيطان- فلأن يكون الشيطان أعظم تمكّنًا عندما يكون في حال ضعفه ومرضه واشتداد الألم عليه؛ لأنه تمكّن منه في حال القوة والنشاط ففي حال الضعف الأمر يكون أشد وعلى الشيطان أيسر من حال قوّة المرء واجتماع قواه وحواسه. نعم

، فَأَقْوَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَضْعَفُ مَا يَكُونُ هُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ

الشيطان أقوى ما يكون عليه في ذلك الوقت؛ لأن الشيطان لحظات الموت تُعتبر لحظات مهمة بالنسبة للشيطان، تعتبر لحظات مهمة جداً وحاسمة ويحرص على المرء أشد ما يكون عند الموت، يصرفه عن لا إله إلا الله، يصرفه عن التوحيد يُشغله -مثلًا- بالتسخط والجزع والاعتراض على قدر الله سبحانه وتعالى إذا كان في آلام أو في أمراض، بدل أن يقول حسبي الله أو إنا لله وإنا إليه راجعون أو يارب يارب.. يشغله بالتسخط والاعتراض على قدر الله، وأموراً يُريد الشيطان بل يحرص أشد الحرص على أن تكون هي الخاتمة له في خروجه من هذه الدنيا فلحظات الموت تُعتبر لحظات مُهمة للشيطان يكون في أحرص ما يكون فيها على العبد ,فإذا كان العبد في نشاطه مكّن الشيطان من نفسه (فـ لأن) يكون الشيطان في ضعفه أشد تمكناً منه من باب أولى. نعم

قال ، فَمَنْ تُرَى يَسْلَمُ عَلَى ذَلِكَ؟ فَهُنَاكَ {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: 27] .

فَكَيْفَ يُوَفَّقُ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. فَبَعِيدٌ مَنْ قَلْبُهُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، غَافِلٌ عَنْهُ مُتَعَبِّدٌ لِهَوَاهُ أَسِيرٌ لِشَهَوَاتِهِ، وَلِسَانُهُ يَابِسٌ مِنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحُهُ مُعَطَّلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ مُشْتَغِلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ – بعيد عن هذا أَنْ يُوَفَّقَ لِلْخَاتِمَةِ بِالْحُسْنَى.

وَلَقَدْ قَطَعَ خَوْفُ الْخَاتِمَةِ ظُهُورَ الْمُتَّقِينَ، وَكَأَنَّ الْمُسِيئِينَ الظَّالِمِينَ قَدْ أَخَذُوا تَوْقِيعًا بِالْأَمَانِ {أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ - سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ} [سُورَةُ الْقَلَمِ: 39 - 40]

يقول لما ذكر الخاتمة وعِظم شأنها يقول: أمر الخاتمة قطع الخوف الذي يتعلق بالخاتمة قلوب وقطع ظهور المتقين وأزعج قلوبهم , وذلك أن المُتقي المُطيع لله -سبحانه وتعالى- جمع الله له بين إحسان في العمل ومخافة, ولهذا يَشتد خوف الصالحين في أمر الخاتمة، ويكثر إلحاحهم على الله -سبحانه وتعالى- أن يُحسن لهم الخاتمة أسأل الله أن يُحسن ختامنا أجمعين .

ولهذا جاء في الحديث : ((إنَّ أحدَكم ليَعمَلُ بِعَملِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى ما يَكونُ بَينَه وبَينَها إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكِتابُ فيَعمَلُ بِعَملِ أهلِ النَّارِ فيَدخُلُها)).

فالسوابق والخواتيم هذه مثل ما ذكر الإمام ابن القيم قطعت ظهور المتقين، واشتد انزعاج قلبهم وخوفهم، ولهذا يكثر لجوءهم إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يحسن لهم الختام، وأن يجعل عاقبة أمرهم رشدا، وأن يجعل الحياة زيادة لهم في كل خير، والموت راحة لهم من كل شر، ويكثر إلتجاءهم إلى الله أن يثبتهم، وأن لا يزيغ قلوبهم، وأن يهديهم، يكثر إلحاحهم على الله لما قام في قلبهم من الخوف وانزعاج القلب .

بينما الظالمين العصاة لا يفكر في أمر الخاتمة ولا تشغل باله، وكأنه مثل ما قال ابن القيم: أخذ توقيعا بالأمان بالخاتمة الجيدة الحسنة، أصلا لم تشغل باله ولا يفكر بها كأن عنده ختم أمان بالخاتمة الحسنة .

أما المطيع فعنده خوف وهذا الخوف يبعث نفسه على المجاهدة على الثبات على الطاعة، ويُحرك قلبه إقبالاً على الله ولجوءً إليه - سبحانه وتعالى- وإلحاحًا عليه بالدعاء أن يثبته وأن لا يزيغ قلبه. نعم

قال رحمه الله كَمَا قِيلَ:

يَا آمِنًا مِنْ قَبِيحِ الْفِعْلِ مِنْهُ أَهَلْ ... أَتَاكَ تَوْقِيعُ أَمْنٍ أَنْتَ تَمْلِكُهُ

جَمَعْتَ شَيْئَيْنِ أَمْنًا وَاتِّبَاعَ هَوًى ... هَذَا وَإِحْدَاهُمَا فِي الْمَرْءِ تُهْلِكُهُ

جمعت شيئين أمنًا وإتباع هوى..الحسن البصري رحمه الله يقول : إن المحسن جمع بين إحسان ومخافة, والمنافق أو الفاجر جمع بين إساءة وأمن مثل ما قال الناظم هنا:

جمعت شيئين أمنًا وإتباع هوى ,- إساءة وأمن -

قال : وَالْمُحْسِنُونَ عَلَى دَرْبِ الْمَخَاوِفِ قَدْ ... سَارُوا وَذَلِكَ دَرْبٌ لَسْتَ تَسْلُكُهُ

المحسنون على درب المخاوف هم في إحسان في العمل وفي خوف من أن يرد العمل." {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} خوف من الأمر الذي يتعلق بالخواتيم خوف على قلوبهم أن تزيغ " ربنا لا تُزِغ قلوبنا"

فعلى درب الخوف فهم محسنون خائفون مثل ما عبر الناظم:

والمحسنون على درب المخاوف

(فهم في إحسان في العمل وفي الوقت نفسه خوف- قلوبهم وجلة -) نعم

فَرَّطْتَ فِي الزَّرْعِ وَقْتَ الْبَذْرِ مِنْ سَفَهٍ ... فَكَيْفَ عِنْدَ حَصَادِ النَّاسِ تُدْرِكُهُ

هَذَا وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فيكَ زُهْدُكَ فِي ... دَارِ الْبَقَاءِ بِعَيْشٍ سَوْفَ تَتْرُكُهُ

مَنِ السَّفِيهُ إِذًا بِاللَّهِ أَنْتَ أَمِ..... الْمَغْبُونُ فِي الْبَيْعِ غَبْنًا سَوْفَ يُدْرِكُهُ

المَغبون في البيع يتألم من هذا الغبن الذي يحصل له في البيع الذي هو تجارة الدنيا, لكن أشد منه الذي يكون غبنه في ضياع دينه ، وخسران ما به نجاته وفلاحه وسعادته يوم يلقى الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم ، أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زَكَّاهَا أنت وليها ومولاها ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا أخرتنا التي فيها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر. اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها وأنت خير من زَكَّاهَا .أنت وليها ومولاها .اللهم إنا نسألك الثبات فالأمر ،والعزيمة على الرشد ، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك قلباً سليمًا ولساناً صادقاً ، ونسألك من خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب, اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد انه لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلِ وسلم على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمد وآله وصحبه .

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد :

يقول العلامة ابن القيم الجوزية -رحمه الله وغفر له- ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُعْمِي الْقَلْبَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا تُعْمِي الْقَلْبَ، فَإِنْ لَمْ تُعْمِهِ أَضْعَفَتْ بَصِيرَتَهُ وَلَابُدَّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ أَنَّهَا تُضْعِفُهُ وَلَابُدَّ، فَإِذَا عَمِيَ الْقَلْبُ وَضَعُفَ، فَاتَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْهُدَى وَقُوَّتِهِ عَلَى تَنْفِيذِهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ، بِحَسَبِ ضَعْفِ بَصِيرَتِهِ وَقُوَّتِهِ.

فَإِنَّ الْكَمَالَ الْإِنْسَانِيَّ مَدَارُهُ عَلَى أَصْلَيْنِ: مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِيثَارِهِ عَلَيْهِ.

وَمَا تَفَاوَتَتْ مَنَازِلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِقَدْرِ تَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ أَثْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} [سُورَةُ ص: ٤٥] .

فَالْأَيْدِي: الْقُوَّةُ فِي تَنْفِيذِ الْحَقِّ، وَالْأَبْصَارُ: الْبَصَائِرُ فِي الدِّينِ، فَوَصَفَهُمْ بِكَمَالِ إِدْرَاكِ الْحَقِّ وَكَمَالِ تَنْفِيذِهِ، وَانْقَسَمَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد ...

فهذا أمر آخر من عواقب الذنوب ومضارها على العصاة، أنها تُعمي القلب ،فإن الطاعة، طاعة الله -عز وجل- كما أنها نور للقلب وضياء له، فإن المعاصي على الضد من ذلك ظلمة للقلب وعمى له، فهي

تُعمي القلب ،والقلب له بصيرة، والبصيرة بالمعصية يُصيبها العمى:﴿ إِنَّهَا لا تَعمَى الأَبصارُ وَلَكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدورِ﴾ [الحج - ٢٢:٤٦]

فيعمي بصيرة القلب المعاصي؛ لأن المعصية لا تزال تُحدث في القلب نُكتًا حتى يصاب القلب بالعمى، فإن لم تعمِ المعصية بصيرة القلب أضعفت هذه البصيرة

فالحاصل أن المعصية لها مضرة على البصيرة التي في القلب عظيمة جدا، فهي أول ما تبدأ تضعف هذه البصيرة شيئا فشيئا إلى أن يصل الأمر بالمرء بأنه ربما تعمى بصيرته بسبب هذه المعاصي .

قال ابن القيم -رحمه الله- : وقد تبين أنها تضعف القلب

فالمعصية تجمع للقلب بين هذين الأمرين:-

- ضعف بصيرة القلب أو العمى هذه واحدة، وهذه مضرتها على الإنسان من جمة عدم الاهتداء إلى الحق، وعدم معرفته؛ لأن العمى الذي أصيب القلب يترتب عليه عدم الاهتداء إلى الطريق،

وعدم التمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ولا يميز بين هدى وضلال بسبب ما في قلبه من عمى

- وضعف القوة التي تكون في القلب يترتب عليها فتور الهمة وانتقاض العزيمة فلا يستطيع أن ينهض لفعل خير؛ لأن القوة التي في القلب والتي بها ينهض إلى فعل الخيرات أضعفتها المعاصي إن لم تكن أتلفتها

وترقّـــــي العبد في دروب الخير وأبواب الكمال يحتاج منه إلى أمرين -ذكرهما رحمه الله -هنا وعبر عنهما في أحد كتبه بتعبير آخر جميل جدا قال: يحتاج إلى

- همة عالية ترقّيه، - وعلم نافع يهديه.

يحتاج إلى هذين الأصلين والذين عليهما مدار الكمال الإنساني معرفة الحق من الباطل هذا العلم الذي يهديه، وإيثاره عليه أي الهمة التي ترقّيه.- إيثار الحق على الباطل بأن- :يفعل الحق ويترك الباطل ويقبل على الحق وينصرف عن الباطل.

وذكر رحمه الله تعالى أن تفاوت العباد وتفاوت منازلهم في الفضل بحسب هذين الأمرين المتعلقين بالقلب وهذا أيضا يوضح لنا معنى الحديث عندما قال النبي ﷺ : ((ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))

فصلاح القلب يكون بصلاح العلم في القلب وصلاح الهمة فإذا توافر في القلب هذان الأمران صلحت الجوارح كلها لصلاح القلب واستقامته

والقلب- لا يصلح إلا بهذا- لا يصلح إلا بعلم نافع يهدي صاحبه إلى الحق وبهمة عالية ترقِّيه في أبواب البر والخير؛ لأنه إن لم يكن عنده هذه الهمة فقد يدرك الحق ويدرك الفضل؛ ولكنه لا ينهض لفعله

ولهذا جاء في الدعاء العظيم المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد؛ لأن أحيانا يكون المرء يدرك الرشد ويعرف أن هذا هو الرشد لكن لا يكون عنده عزيمة ولا يكون عنده همة لأن يفعل ذلك فضعف هذه الهمة هي من أسباب المعاصي فترك المعاصي نور للقلب وضياء من جهة ومن جهة أخرى قوة ومتانة للقلب

قال رحمه الله: وهما اللذان أثنى الله سبحانه على أنبيائه بهما في قوله: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾[ص: ٤٥]

أثنى عليهم بهذين الأمرين بأنهم أصحاب الأيدي والأيد هنا القوة ومنه قوله تعالى:

" أيدتك بروح القدس" أي قويتك ،الأيد: القوة والتأييد التقوية فهم أولو الأيد أي أولو القوة

وأولو الإبصار: أي المعرفة بالحق والهدى ونور القلوب،

فجمع الله سبحانه وتعالى لهم في هذين الأمرين- وهما يتعلقان بالقلب والبدن تبع.. - أن الإبصار :التي هي نور القلب والبصيرة وضياءه والأيد :القوة والهمة العالية والعزيمة الرفيعة التي تحمل المرء على فعل الخيرات

ثم ذكر رحمه الله أن الناس ينقسمون في هذا المقام في(معرفة الحق من الباطل،وإيثار الحق) أو بعبارة أخرى (القوة والبصيرة)أو بعبارة ثالثة(العلم الذي يهدي والهمة التي ترقِّي الناس في هذا) على أربعة أقسام.

وَانْقَسَمَ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ،

- فَهَؤُلَاءِ أَشْرَفُ الْأَقْسَامِ مِنَ الْخَلْقِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

هذا القسم الأول:اكتفى بما سبق من بيان القسم الأول هم من جمع الله سبحانه تعالى لهم بين هذين الوصفين العظيمين وهم القدوات وهم الأئمة؛ لأن أئمة الحق والهدى والإمامة في الدين لا تكون إلا بهذا ،وهذا بأن يكون عند الشخص علم نافع يهديه الطريق وأن تكون عنده قوة وهمة عالية ترقيه في فعل الخيرات

الْقِسْمُ الثَّانِي: عَكْسُ هَؤُلَاءِ، مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي الدِّينِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَنْفِيذِ الْحَقِّ، وَهُمْ أَكْثَرُ هَذَا الْخَلْقِ، وَهُمُ الَّذِينَ رُؤْيَتُهُمْ قَذَى الْعُيُونِ وَحُمَّى الْأَرْوَاحِ وَسَقَمُ الْقُلُوبِ، يُضَيِّقُونَ الدِّيَارَ وَيُغْلُونَ الْأَسْعَارَ، وَلَا يُسْتَفَادُ مِنْ صُحْبَتِهِمْ إِلَّا الْعَارُ وَالشَّنَارُ.

هذا القسم الثاني الفاقد للصفتين معا:-

- فلا عنده علم الذي هو البصيرة يهديه للحق- فهو جاهل لا بصيرة عنده ولا تتشوف نفسه أصلا لعلم تهتدي به- فهي باقية على ظلمة القلب وعدم البصيرة
- ولا أيضا عنده قوة في قلبه تهديه أو ترقِّيه في أبواب الخير

(فليس عنده قوه ولا أيضا عنده بصيرة)، قال: وهم أكثر هذا الخلق لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]

فأكثر الخلق منعدم في قلبه الأمرين معا(منعدم البصيرة ومنعدم القوة)

ولما ذكر رحمه الله أن هذا القسم يترتب على وجودهم أمور وأنهم كذا وأنهم كذا وأنهم يغلون الأسعار قد تستوقف هذه العبارة الشخص والأمر كما ذكر رحمه الله تعالى لان كما ان طاعة الله سبحانه وتعالى هي أعظم أسباب البركات التي في الأرض

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الأعراف: ٩٦]

كما أن الطاعة هذا شأنها فإن المعاصي شأنها على الضد من ذلك،المعاصي شؤم على الناس،و شؤم على الأرض وعلى البلاد وعلى العباد ومضارها عليهم في جميع الجوانب حتى في معيشتهم مضرة عظيمة.

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِالْحَقِّ وَمَعْرِفَةٌ بِهِ، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ لَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى تَنْفِيذِهِ وَلَا الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَهَذَا حَالُ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ

هذا القسم الثالث من له بصيرة بالحق ومعرفة به لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه لا قوة له في قوته ضعف

أما إذا كانت القوة منعدمة فما يقال عن هذا القسم مؤمن ضعيف لأنه ليست المسألة ضعف، وإنما هي انعدام وهذه مصيبة إذا كان العبد عنده علم لكنه معطل للعمل به فمثل هذا يكون علمه حجة عليه ووبال عليه لان مقصود العلم العمل والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بما يتعلمه المرء

وأما إذا كان الأمر ضعف في القوة فلا يكون عنده نشاط لبعض الأعمال فهذا مؤمن ضعيف ما لم يؤد به هذا الضعف إلى ترك ما يكون بترك الكفر بالله سبحانه وتعالى فان المسالة حينئذ تتغير فهو إذا كان عنده ضعف في قوته فهو مؤمن ضعيف والمؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف

وفي تتمة الحديث قال عليه الصلاة والسلام: " في كلٍّ خير " مادام إن الإيمان موجود فالخير موجود.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: مَنْ لَهُ قُوَّةٌ وَهِمَّةٌ وَعَزِيمَةٌ، لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ، لَا يَكَادُ يُمَيِّزُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، بَلْ يَحْسَبُ كُلَّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً وَكُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً، يَحْسَبُ الْوَرَمَ شَحْمًا وَالدَّوَاءَ النَّافِعَ سُمًّا.

هذا القسم الرابع من الأقسام من له قوة وهمة وعزيمة لكن ضعيف البصيرة في الدين وهذا حال كثير من أصحاب البدع والأهواء التي ما انزل الله سبحانه وتعالى بها من سلطان.

ترى فيه جلدا وصبرا وقوة في الإتيان بهذه البدع والمحافظة عليها والنبي ﷺ يقول: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)) فالمصيبة عظيمة عندما تكون عنده همة عالية وقوية لكن على غير هدى وعلى غير بصيرة فإنه حينئذ يتقرب إلى الله بأعمال كثيرة وبهمة عالية وبنشاط متواصل لكن في غير شرع وبغير ما انزل الله سبحانه وتعالى ويكون ذلك موجبا لرد عمله لان من شرط قبول العمل ان يكون موافقا للهدي كما في الحديث الذي مر: ((من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد))

فإذا لم يكن عنده بصيرة وفي الوقت نفسه عنده همة عالية للعمل تكون أعماله التي هي عن غير بصيرة تكون أعماله على غير الهدى فلا تكن مقبولة ولهذا يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: " من عبد الله بغير علم

كان ما يفسد أكثر مما يصلح " ؛ لأن السلامة من الفساد والخلل والانحراف في العمل لا يمكن أن يتحقق إلا بالعلم النافع المتلقى عن الرسول الكريم ﷺ .

وَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَلَا هُوَ مَوْضِعٌ لَهَا سِوَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [سُورَةُ السَّجْدَةِ: ٢٤] .

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين؛ لأن الإمامة في الدين تعني استقامة المرء هو في نفسه على الحق بمعرفته أولا بالحق والهدى وبقوته على العمل به ،فإذا اجتمع فيه(البصيرة والقوة) - البصيرة بالحق- والقوة على العمل بالحق ،صار حينئذ إماما في الدين، وقدوة للآخرين ولا يصل هو في نفسه إلى هذه المرتبة الإمامة في الدين حتى يأتم هو بمن قبله من المتقين، فلا يكون إماما للمتقين بعده حتى يكون هو مُؤتما بالمتقين قبله وإئتمامه بالمتقين قبله يحتاج منه إلى أمرين:

- يحتاج منه إلى علم وبصيرة بسبيل المتقين،
- ويحتاج منه إلى قوة ليفعل وفق هذا العلم الذي هُدي إليه وعرفه، وأصبح عنده بصيرة فيه.

«قال : فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ نَالُوا الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَثْنَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْخَاسِرِينَ، وَأَقْسَمَ بِالْعَصْرِ - الَّذِي هُوَ زَمَنُ سَعْيِ الْخَاسِرِينَ وَالرَّابِحِينَ - عَلَى أَنَّ مَنْ عَدَاهُمْ فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَقَالَ تَعَالَى {وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [الْعَصْرِ: ١ - ٣] .

وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، حَتَّى يُوصِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ وَيُرْشِدَهُ إِلَيْهِ وَيَحُضَّهُ عَلَيْهِ.

وَإِذَا كَانَ مَنْ عَدَا هَؤُلَاءِ فَهُوَ خَاسِرٌ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ فَلَا يُدْرِكُ الْحَقَّ كَمَا يَنْبَغِي، وَتَضْعُفُ قُوَّتُهُ وَعَزِيمَتُهُ فَلَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ

يقول - رحمه الله- : المعاصي تُعمي بصيرة القلب فلا يُدرك الحق كما ينبغي، وهذا ذهاب لليقين؛ لأن الإمامة في الدين تكون بالصبر، واليقين، فإذا جاءت المعاصي وتوالت على العبد فإنها حينئذ تُعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي وهذا ذهاب لليقين وتُضعف قوته وعزيمته فلا يصبر عليه فيترتب على فعل المعاصي ذهاب اليقين، وذهاب الصبر اللذين بهما الإمامة في الدين.

، بَلْ قَدْ يَتَوَارَدُ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى يَنْعَكِسَ إِدْرَاكُهُ كَمَا يَنْعَكِسُ سَيْرُهُ، فَيُدْرِكُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، فَيَنْتَكِسُ فِي سَيْرِهِ وَيَرْجِعُ عَنْ سَفَرِهِ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، إِلَى سَفَرِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّ النُّفُوسِ الْمُبْطِلَةِ الَّتِي رَضِيَتْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّتْ بِهَا، وَغَفَلَتْ عَنِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَتَرَكَتْ الِاسْتِعْدَادَ لِلِقَائِهِ،

لا يقف الأمر في مضرة الذنوب على العاصي مع التمادي في فعلها إلى مجرد الضعف -ضعف القوة وضعف البصيرة -بل مع التمادي في الذنوب والمعاصي قد تُغير اتجاهه من سلوك طريق الحق إلى إعطاء طريق الحق ظهره والاتجاه في الطريق المعاكس وهذه مصيبة عظيمة أن يعرض عن الحق تمامًا،ولا يرفع به رأسا؛ فهذه مصيبة عظيمة جدًا وهي من مضار الذنوب؛ لأن الشيطان لا يزال يتدرج في المرء عبر خطوات إلى أن يصل معه إلى الانتكاس والارتكاس -عياذا بالله-.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُقُوبَةِ الذُّنُوبِ إِلَّا هَذِهِ وَحْدَهَا لَكَانَتْ دَاعِيَةً إِلَى تَرْكِهَا وَالْبُعْدِ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

عدّد -رحمه الله- فيما مرّ معنا وما سيأتي أيضًا عقوبات كثيرة للذنوب كل واحدة منها كافية في الردع والزجر عنها،وهذه العقوبة التي فصّل هُنا يقول: ولو لم يكن في عقوبات الذنوب إلا هذه لكفى رادعًا في المرء أن يكفّ نفسه عن الذنوب حتى لا تعمى بصيرته، وحتى لا تضعف قوته؛ لأن الذنوب تُعطّل هذا وهذا.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ الطَّاعَةَ تُنَوِّرُ الْقَلْبَ وَتَجْلُوهُ وَتَصْقُلُهُ، وَتُقَوِّيهِ وَتُثَبِّتُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَالْمِرْآةِ الْمَجْلُوَّةِ فِي جَلَائِهَا وَصَفَائِهَا فَيَمْتَلِئَ نُورًا، فَإِذَا دَنَا الشَّيْطَانُ مِنْهُ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ مَا يُصِيبُ مُسْتَرِقَ السَّمْعِ مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ، فَالشَّيْطَانُ يَفْرَقُ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ أَشَدَّ مِنْ فَرَقِ الذِّئْبِ مِنَ الْأَسَدِ، حَتَّى إِنَّ صَاحِبَهُ لَيَصْرَعُ الشَّيْطَانَ فَيَخِرُّ صَرِيعًا، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا شَأْنُهُ؟ فَيُقَالُ: أَصَابَهُ إِنْسِيٌّ، وَبِهِ نَظْرَةٌ مِنَ الْإِنْسِ:

فَيَا نَظْرَةً مِنْ قَلْبِ حُرٍّ مُنَوَّرٍ ... يَكَادُ لَهَا الشَّيْطَانُ بِالنُّورِ يُحْرَقُ

أَفَيَسْتَوِي هَذَا الْقَلْبُ وَقَلْبٌ مُظْلِمَةٌ أَرْجَاؤُهُ، مُخْتَلِفَةٌ أَهْوَاؤُهُ، قَدِ اتَّخَذَهُ الشَّيْطَانُ وَطَنَهُ وَأَعَدَّهُ مَسْكَنَهُ، إِذَا تَصَبَّحَ بِطَلْعَتِهِ حَيَّاهُ، وَقَالَ: فَدَيْتُ مَنْ قَرِينٍ لَا يُفْلِحُ فِي دُنْيَاهُ وَلَا فِي أُخْرَاهُ؟

قَرِينُكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْحَشْرِ بَعْدَهَا ... فَأَنْتَ قَرِينٌ لِي بِكُلِّ مَكَانِ

فَإِنْ كُنْتَ فِي دَارِ الشَّقَاءِ فَإِنَّنِي ... وَأَنْتَ جَمِيعًا فِي شَقًا وَهَوَانِ

الآن لما ذكر الأمر في مضرة الذنوب، هذه المضرة العظيمة على القلب من جهة أنها تُعمي البصيرة وتُضعف القوة قال: شتان بين قلب عميت بصيرته بالذنوب وضعفت قوته بسببها، وقلب تنوّر بطاعة الله واستضاء بحسن التقرب إلى الله -جل وعلا- فإن الطاعة تنوّر القلب وتجلوه، وتصقله وتقويه وتشدّه، إذا كانت المعاصي تلك مضارها على القلب فإن الطاعات منافعها على القلب عظيمة، قوةً وضياءً ونورًا.

ولهذا تأمل -على سبيل المثال- قول النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الصلاة لما ذُكرت عنده يومًا، قال: ((من حافظ عليها كانت له نورًا، وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يُحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة)).فالطاعة -عمومًا- نور للمطيع وضياء.

وكان -عليه الصلاة والسلام- إذا خرج للصلاة قال: ((اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا ...)) إلى آخره؛ لأنه متجه إلى الصلاة التي هي النور؛ فناسب سؤال الله هذا السؤال المفصّل عن النور، أن يرزقه النور في قلبه وفي كل أجزائه لأنه متّجه للصلاة التي هي نور ،

فالطاعة تكسو القلب نورا، وتزيده قوة،والمعاصي تهد القلب هدًّا وتضعفه إضعافاً شديدًا وتطمس البصيرة التي في القلب فشتان بين قلب أضاء بنور الإيمان والطاعة وكان عالي الهمة قوي العزيمة وبين قلباً على الضد من ذلك .

الأول: الشيطان لا طريقة له عليه بل إن الشيطان يفرق منه ويفر؛ لما جعل الله سبحانه وتعالى فيه من قوة الإيمان، وقوة الذكر، وقوة الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى.

والآخر: يجد الشيطان في قلبه موطنا له ومسكنا فيعشعش في قلبه ويبيض ويفرّخ فيصبح قلبه مأوى للشياطين ومسكن لها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ - وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ - حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ - وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٣٦ - ٣٩] .

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ عَشِيَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَهُوَ كِتَابُهُ الَّذِي أَنْزَلَه عَلَى رَسُولِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَعَمِيَ عَنْهُ، وَعَشَتْ بَصِيرَتُهُ عَنْ فَهْمِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَمَعْرِفَةِ مُرَادِ اللَّهِ مِنْهُ - قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ شَيْطَانًا عُقُوبَةً لَهُ بِإِعْرَاضِهِ عَنْ كِتَابِهِ، فَهُوَ قَرِينُهُ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ فِي الْإِقَامَةِ وَلَا فِي الْمَسِيرِ، وَمَوْلَاهُ وَعَشِيرُهُ الَّذِي هُوَ بِئْسَ الْمَوْلَى وَبِئْسَ الْعَشِيرُ.

رَضِيعَا لِبَانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَقَاسَمَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى وقد أورد هذه الآية العظيمة: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) } قال: ذِكر الرحمن: القرآن ، والقرآن أمنة للمرء وسلامة من الضلال،

كل ما كان العبد قريب من هذا القرآن العظيم تدبراً له ، واهتداءً بهداياته: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]

فالقرآن أمنة لصاحبه ولهذا يحتاج المسلم أن يكون قريب من القرآن ذا عناية بكتابه سبحانه وتعالى يقرأ ويجعل له ورداً يومياً من كتاب الله ، ويتأمل في معانيه، ويجاهد نفسه على العمل بما فيه ، فأنه إذا كان كذلك كانت هذه العناية بالقرآن أمنة له من الانتكاس، ونجاة له من الشيطان

ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾[المؤمنون: ٦٦ – ٦٨]

أي لو تدبروا القول الذي هو القرآن لسلموا من هذا النكوص على الأعقاب

فتدبُّر القول الذي هو القرآن أمنة من الانتكاس ونجاة للعبد وسلامة بإذن الله سبحانه وتعالى من الشيطان

لكن إن أعرض وعمي مثل ما في الآية: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ }} إن أعرض عن ذكر الرحمن وعمي عنه وغشيت بصيرته عن فهمه ولم يقبل عليه تدبرا واهتداءً بهداياته يكون حينئذ قلبه مرتعا للشيطان.﴿ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]

عقوبة له بسبب إعراضه عن كتاب الله تُقيض له شيطانه هذه عقوبة له بسبب إعراضه عن كتاب الله

فمن الفوائد العظيمة من هذه الآية الكريمة: أن ذكر الله عموما وبخاصة القرآن الكريم حصنٌ حصين وحرزٌ متين للعبد يقيه بإذن الله سبحانه وتعالى ويصونه ويحفظه من الشيطان الرجيم

قال: قُيض له شيطانا عقوبة له بإعراضه عن كتابه فهو قرينه الذي لا يفارقه ، نقيض له شيطانه فهو له قرين -أي لا يفارقه الشيطان معه في سفره في حَلّه في ترحاله ،في دخوله في خروجه في ركوبه، إن ركب دابته ركب معه وإن دخل بيته دخل معه،وإن أكل طعامه أكل معه ، ويشاركه في ماله وأهله وولده، مثل ما قال الله : ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٤]

قال أهل العلم -إن عبادي-: أي الذاكرين الله ،ومن أعظم الذكر لله العناية بالقرآن ، ما هي أول آية استمعنا إليها اليوم في صلاة الفجر بعد الفاتحة أول آية في سورة الأنبياء:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠] ،

هذا البيت أورده رحمه الله:

رضيعي لبانٍ يعني: لبن –رضيعي لبانٍ ثدي أم تقاسما

يعني يصبح والشيطان كأنهما رضيعي لبان أي رضعا من ثدي واحد وتقاسما بسبب هذه الرضاعة التي كانت لهما من هذا الثدي أن يكونا على تواصل دائم لا يتفرقان أبدا

بأسْحَم دَاجٍ :يعني اقسموا في الليل المظلم-قيل هذا المعنى بأسْحَم دَاجٍ

وقيل المراد بأسْحَم الداج: أي حلمة الثدي السوداء وقيل غير ذلك

عوضُ : أي أبدا ، اقسموا أنهم أبدا لا يتفرقون في أي حال من الأحوال يعني تصبح حاله وحال الشيطان بهذه الصفة.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَصُدُّ قَرِينَهُ وَوَلِيَّهُ عَنْ سَبِيلِهِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ، وَيَحْسَبُ هَذَا الضَّالُّ الْمَصْدُودُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ هُدًى، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَرِينَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: {يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} كُنْتَ لِي فِي الدُّنْيَا، أَضْلَلْتَنِي عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي، وَصَدَدْتَنِي عَنِ الْحَقِّ وَأَغْوَيْتَنِي حَتَّى هَلَكْتُ، وَبِئْسَ الْقَرِينُ أَنْتَ لِي الْيَوْمَ.

وَلَمَّا كَانَ الْمُصَابُ إِذَا شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي مُصِيبَتِهِ، حَصَلَ لَهُ بِالتَّأَسِّي نَوْعُ تَخْفِيفٍ وَتَسْلِيَةٍ، أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ وَغَيْرُ حَاصِلٍ فِي حَقِّ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْعَذَابِ، وَأَنَّ الْقَرِينَ لَا يَجِدُ رَاحَةً وَلَا أَدْنَى فَرَحٍ بِعَذَابِ قَرِينِهِ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا إِذَا عَمَّتْ صَارَتْ مَسْلَاةً، كَمَا قَالَتِ الْخَنْسَاءُ فِي أَخِيهَا صَخْرٍ:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

فَمَنَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الرَّاحَةِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ: {وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٣٩]

هذا معنى يوضحه ابن القيم رحمه الله مستفاد من هذه الآية قوله: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩]

يشير رحمه الله إلى أن الدنيا إذا اشترك الناس في المصيبة فالمصيبة تهون لمَّا شخص يكون مريض بمرض معين ثم تُذكر له بعض الأمراض الموجودة الأشد من مرضه تجد أن مرضه يهون عنده وتخف وطأته على نفسه لمَّا امرأة مثلا يموت لها طفل ثم ترى جارتها مات لها طفلان تهون عندها المصيبة.

فالمصائب التي تعم وتشترك وطأتها تهون في النفوس بسبب ذلك ولهذا الخنساء لما فقدت أخاها قالت:

ولـولا كثرة البـاكين حولـي... على إخـوانـهم لقتـلت نفسي- ما أتحمل ،لكن هذا يسليني- تقصد هذا المعنى.

وهذا فعلا هذا المعنى متقرر أن المصائب العامة تخفف الوطأة، هنا المصيبة عليهم في دخول النار عامة يدخلون جميعا ،فهل دخولهم الأتباع والمتبوعين إلى أخره هل هذا يحدث لهم هذه التسلية التي تحصل في الدنيا بسبب المصائب العامة. قال : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٩]

حتى هذا المعنى لن يحصل في تسلية لهم فلا تسلو النفس بان يكون التابع يرى المتبوع معه في النار لا يحدث هذا تسلية له؛ لأن النار و عذابها لا يجدون فيه أصلا شيء من تسلية النفوس أو راحتها بل ليس فيها إلا الألم الدائم والعذاب المستمر.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، اللهم آتي نفوسنا تقواها وزكاها أنت خير من زَكَّاهَا أنت وليها ومولاها ، اللهم إننا نسأل الهدى ،والتقى والعفة ،والغنى ، اللهم اغفر لنا ذنبنا كله دقه وجله أوله ،وآخره وعلانيته، وسره ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به ، علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا وقوتنا ما أحييتنا وجعله الوارث منا وجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ،ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ، سبحانك اللهم وبحمدك، اشهد انه لا إله إلا أنت أستغفرك وتب إليك ، اللهم صلي وسلم على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمد وآله وصحبه .

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد ,

فيقول العلامة ابن القيم الجوزية -رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين -قال في كتابة الداء والدواء.

فصل وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَمُدُّ بِهِ عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَجَيْشٌ يُقَوِّيهِ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ابْتَلَى هَذَا الْإِنْسَانَ بِعَدُوٍّ لَا يُفَارِقُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا يَنَامُ مِنْهُ وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ، يَرَاهُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ، يَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي مُعَادَاتِهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَا يَدَعُ أَمْرًا يَكِيدُهُ بِهِ يَقْدِرُ عَلَى إِيصَالِهِ إِلَيْهِ إِلَّا أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِبَنِي جِنْسِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، فَقَدْ نَصَبَ لَهُ الْحَبَائِلَ، وَبَغَى لَهُ الْغَوَائِلَ، وَمَدَّ حَوْلَهُ الْأَشْرَاكَ، وَنَصَبَ لَهُ الْفِخَاخَ وَالشِّبَاكَ، وَقَالَ لِأَعْوَانِهِ: دُونَكُمْ عَدُوَّكُمْ وَعَدُوَّ أَبِيكُمْ لَا يَفُوتُكُمْ وَلَا يَكُونُ حَظُّهُ الْجَنَّةَ وَحَظُّكُمُ النَّارَ، وَنَصِيبُهُ الرَّحْمَةَ وَنَصِيبُكُمُ اللَّعْنَةَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَا جَرَى عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْإِبْعَادِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِسَبَبِهِ وَمِنْ أَجْلِهِ، فَابْذُلُوا جُهْدَكُمْ أَنْ يَكُونُوا شُرَكَاءَنَا فِي هَذِهِ الْبَلِيَّةِ، إِذْ قَدْ فَاتَنَا شَرِكَةُ صَالِحِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ. وَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ عَدُوِّنَا وَأَمَرَنَا أَنْ نَأْخُذَ لَهُ أُهْبَتَهُ وَنُعِدَّ لَهُ عُدَّتَهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ..أما بعد ,

فلا يزال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- يعدد العواقب الوخيمة والمضار العظيمة كالتي تترتب على الذنوب والمعاصي فذكر هنا في هذا الفصل أن من عواقب الذنوب أن المذنب يجعل من ذنوبه مددا لشيطان عليه ومدخلا ومعونة يمد بالذنوب عدوه الشيطان ولهذا تعد المعاصي والميل لها من الأبواب التي تنفذ منها الشياطين حتى تؤز فاعل المعصية إلى فعلها أزا،

أما العبد الصادق مع الله العظيم الالتجاء إلى الله المتحصن بذكر الله ودعائه جلّ في علاه فإن الشيطان ليس له عليه سبيل ولا يجد منفذا ﴿إِنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ وَكَفى بِرَبِّكَ وَكيلًا﴾

[الإسراء :65]

ولهذا فإن المسلم كلما كان أعظم عناية بالذكر والعبادة والطاعة والاستغفار واللجوء إلى الله كلما كان ذلك حصانة لنفسه ووقاية من الشيطان الرجيم،

وإذا دخل في الذنوب كأنه بدخوله في الذنوب قد أمد الشيطان بالمدد الذي يعين به الشيطان على نفسه ويسلط الشيطان به على نفسه ويجرئ الشيطان على نفسه فهذا من عواقب الذنوب العظيمة أنها مدد من العاصي يمد به الشيطان ويجرئ الشيطان على نفسه،

ثم سيفصل ابن القيم - رحمه الله تعالى- في عداوة الشيطان للإنسان القديمة العظيمة المستمرة

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ "هذه العداوة عداوة قديمة ومتجددة ومستمرة وهي في غاية الخطورة على الإنسان؛ لأن الشيطان لا يزال يحيك الخطط والسبل والمصائد التي يحرف بها هذا الإنسان عن صراط الله المستقيم ويضم بها هذا الإنسان إلى حزبه حزب النار وبئس القرار.

وإذا فعل العبد المعاصي يكون بذلك سلط هذا الشيطان على نفسه وأمده بمدد بمعونة منه على نفسه.

قال: وَلَمَّا عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ آدَمَ وَبَنِيهِ قَدْ بُلُوا بِهَذَا الْعَدُوِّ وَأَنَّهُ قَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ أَمَدَّهُمْ بِعَسَاكِرَ وَجُنْدٍ يَلْقَوْنَهُمْ بِهَا، وَأَمَدَّ عَدُوَّهُمْ أَيْضًا بِجُنْدٍ وَعَسَاكِرَ يَلْقَاهُمْ بِهَا،

الآن يصور وسترى الآن كلام عظيم جدا يصور الحال التي بين ابن آدم وبين الشيطان كأنها معركة وهي معركة قائمة, والله سبحانه وتعالى وصف الشيطان بأنه عدو ,وأمر العبد بمجاهدة هذا العدو ولهذا من أعظم الجهاد جهاد الشيطان بالعمل على السلامة من مصائده وكيده وشروره والتحصن منه وسد الثغور والمنافذ التي يدخل منها الشيطان وإغلاقها ،

فالذي بين ابن آدم والشيطان حرب مستمرة والعدواة عداوة الشيطان لابن آدم عداوة قديمة ومتجدرة ومستمرة ولا يتوقف, ويأتي هذا الإنسان من كل جهاته ." ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) ،

فالآن سيعرض ابن القيم رحمه الله تعالى هذه الحرب والعداوة بين ابن آدم والشيطان وما الذي يعمله الشيطان في هذه الحرب وما هي الخطط التي يحيكها وبالمقابل ما الذي ينبغي على ابن آدم أن يفعله لينجو ويسلم ،

قال :" وَأَقَامَ سُوقَ الْجِهَادِ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ الَّتِي هِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ كَنَفَسٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْفَاسِهَا،

يقول: إن هذا الجهاد والمعركة التي مع الشيطان ليست معركة في يوم من أيام الإنسان أو شهر من شهوره أو سنة من سنوات عمره بل هو جهاد العمر فمطلوب من العبد هذه المجاهدة مجاهدة الشيطان إلى أن تخرج روح هذا الإنسان سليما معافى من هذا الشيطان فهو جهاد مع هذا الشيطان مستمر؛ لأن عداوة الشيطان مستمرة ولا تتوقف مع كل إنسان إلا إذا مات وإلا هي غير متوقفة .

قال : وَاشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ عَلَيْهِ فِي أَشْرَفِ كُتُبِهِ، وَهِيَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِهَذِهِ الصَّفْقَةِ الَّتِي مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهَا فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمُشْتَرِي مَنْ هُوَ؟ وَإِلَى الثَّمَنِ الْمَبْذُولِ فِي هَذِهِ السِّلْعَةِ، وَإِلَى مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ هَذَا الْعَقْدُ، فَأَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّ تِجَارَةٍ أَرْبَحُ مِنْهُ؟

قال فلينظر إلى المشتري من هو { إنّ الله اشترى } المشتري الله سبحانه وتعالى ، والثمن المبذول الجنّة عرضها السّماوات والأرض ومن جرى على يده هذا العقد الرسول عليه الصلاة والسلام المبلّغ لدين الله و شرعه صلوات الله و سلامه عليه ، فأيّ فوز أعظم من هذا ؟ وأي تجارة أربح من هذه التجارة ؟

قال : ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ - وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الصَّفِّ: 10 - 13] .

قبل هذه التجارة والصفقة الرابحة وما ذكره الله سبحانه وتعالى من الربح والغنيمة العظيمة لمن دخل في هذا البيع وفي هذه التجارة الرابحة وكان من أهلها ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية التي تلي هذه الآية صفات هؤلاء الرابحين قال جلّ و علا : {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } فهذه صفات هؤلاء الذين فازوا بهذه التجارة وغنموا هذا الربح العظيم وكانوا أهلا لهذه البشارة وهذا الفوز .

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ - وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ الصَّفِّ: 10 - 13] .

وَلَمْ يُسَلِّطْ سُبْحَانَهُ هَذَا الْعَدُوَّ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ أَحَبُّ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ، إِلَّا لِأَنَّ الْجِهَادَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَأَهْلَهُ أَرْفَعُ الْخَلْقِ عِنْدَهُ دَرَجَاتٍ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً.

هذا الجهاد الذي هو جهاد الشيطان جهاد حبيب إلى الله سبحانه وتعالى وعظيم شأنه عنده جلّ في علاه ويرفع به العبد درجات؛ لأنّ هذا الشيطان تسلّط على هذا الإنسان؛ ليجعله بعيدا عن الله محروما من ثواب الله مستوجبا لسخط الله وعقابه ودخول النّار هذا الذي يريده هذا الشيطان فعداوته للإنسان أشدّ عداوة وأشنع وأضرّ عداوة على الإنسان ولهذا جهاد الشيطان من أعظم الجهاد ولا يمكن أن يستقيم للمرء طاعة وعبادة وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى إلا بهذا الجهاد لأنه إن لم يجاهد هذا العدوّ فسدت حاله،

إذا لم يجاهد الإنسان هذا العدو الجهاد المستمر تفسد حاله؛ لأنّ عدوّا يراك ولا تراه ويأتيك من كلّ جهاتك ولا يفتر ولا ينفلي ولا يملّ من الصدّ والكيد والمكر بهذا الإنسان هذا لا شكّ إنه يتطلب جهاد عظيم جدّا لهذا العدو وهذا الجهاد شأنه عظيم عند الله سبحانه وتعالى .

فهو جهاد حبيب إلى الله جلّ وعلا، وثواب أهله عند الله عظيم.

قال، فَعَقَدَ سُبْحَانَهُ لِوَاءَ هَذِهِ الْحَرْبِ لِخُلَاصَةِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي مَحَلُّ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَعُبُودِيَّتِهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، فَوَلَّاهُ أَمْرَ هَذِهِ الْحَرْبِ،

الحرب التي بين الشيطان والإنسان كلها متركزة على قلب الإنسان، وتسلط الشيطان كله متركز على قلب الإنسان؛ لأن الشيطان يعلم أن هذا القلب إذا فسد فسد هذا الإنسان، وإذا انحرف هذا القلب انحرف الإنسان، وإذا مرض هذا القلب مرض الإنسان,

الشيطان يعرف ذلك، ولهذا العداوة التي بين الإنسان والشيطان متركزة على القلب، فالشيطان يتسلط على قلب الإنسان بالوساوس والشكوك والهمز والنفخ والنفث، سلط على قلب الإنسان وأيضاً

يدرس قلب الإنسان إلى أي شيء يميل، وما هي وجهة هذا القلب حتى يعيّن السبيل الذي يحرفه إليها من خلال ما يكون في الإنسان من ميل، فكل ما يحيكه هذا الشيطان كله متعلق بهذا القلب، والنجاة في هذه الحرب مع الشيطان أن يحرص المرء على صيانة قلبه، وسلامته من همز الشيطان ونفخه ونفثه.

- قال: وَأَيَّدَهُ بِجُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يُفَارِقُونَهُ {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }[سُورَةُ الرَّعْدِ: 11] .يَعْقُبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كُلَّمَا ذَهَبَ بَدَلٌ جَاءَ بَدَلٌ آخَرُ يُثَبِّتُونَهُ وَيَأْمُرُونَهُ بِالْخَيْرِ.

(كلما ذهب بدل جاء بدل آخر، هذا معنى معقبات يعني يتعاقبون).

وَيَحُضُّونَهُ عَلَيْهِ، وَيَعِدُونَهُ بِكَرَامَةِ اللَّهِ وَيُصَبِّرُونَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ صَبْرُ سَاعَةٍ وَقَدِ اسْتَرَحْتَ رَاحَةَ الْأَبَدِ

-ولهذا الشيطان له لمّة للقلب، وهي إلى شر، وللمَلِك لمّة، ولمته إلى الخير.

ثُمَّ أَمَدَّهُ سُبْحَانَهُ بِجُنْدٍ آخَرَ مِنْ وَحْيِهِ وَكَلَامِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولَهُ - ﷺ - وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ، فَازْدَادَ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِ، وَمَدَدًا إِلَى مَدَدِهِ، وأعوان إلى أعوانه , وَعُدَّةً إِلَى عُدَّتِهِ

-هذا جند يؤيد الله سبحانه وتعالى به عبده المؤمن وينصره به، ولهذا كل ما كان عظيم التمسك بهذا السلاح والعناية به كان أنجى له من هذا العدو، والمراد بالسلاح الوحي المبين، القرءان والسنة والاهتداء بهدي الله ولزوم شرعه وطاعته جلّ في علاه، هذا كله جند ينصر الله سبحانه وتعالى به عبده المؤمن على هذا العدو.

، وَأَمَدَّهُ مَعَ ذَلِكَ بِالْعَقْلِ وَزِيرًا لَهُ وَمُدَبِّرًا، وَبِالْمَعْرِفَةِ مُشِيرَةً عَلَيْهِ نَاصِحَةً لَهُ، وَبِالْإِيمَانِ مُثَبِّتًا لَهُ وَمُؤَيِّدًا وَنَاصِرًا، وَبِالْيَقِينِ كَاشِفًا لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يُعَايِنُ مَا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ، فَالْعَقْلُ يُدَبِّرُ أَمْرَ جَيْشِهِ، وَالْمَعْرِفَةُ تَصْنَعُ لَهُ أُمُورَ الْحَرْبِ وَأَسْبَابَهَا وَمَوَاضِعَهَا اللَّائِقَةَ بِهَا، وَالْإِيمَانُ يُثَبِّتُهُ وَيُقَوِّيهِ وَيُصَبِّرُهُ، وَالْيَقِينُ يُقْدِمُ بِهِ وَيَحْمِلُ بِهِ الْحَمَلَاتِ الصَّادِقَةَ.

ثُمَّ أَمَدَّ سُبْحَانَهُ الْقَائِمَ بِهَذِهِ الْحَرْبِ بِالْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَجَعَلَ الْعَيْنَ طَلِيعَتَهُ، وَالْأُذُنَ صَاحِبَ خَبَرِهِ، وَاللِّسَانَ تُرْجُمَانَهُ، وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ أَعْوَانَهُ، وَأَقَامَ مَلَائِكَتَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَيَسْأَلُونَ لَهُ أَنْ يَقِيَهُ السَّيِّئَاتِ وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّاتِ، وَتَوَلَّى سُبْحَانَهُ الدَّفْعَ وَالدِّفَاعَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ وَقَالَ: هَؤُلَاءِ حِزْبِي،

وَحِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الْمُجَادَلَةِ: 22] .

*اللهم اجعلنا منهم يا حي يا قيوم.. اللهم اجعلنا منهم، اللهم تفضّل علينا واجعلنا منهم، من حزبك وأوليائك يا حي يا قيوم.

، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الْمُجَادَلَةِ: 22] .
وَهَؤُلَاءِ جُنْدِي {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: 173]

تأمل هذا الكلام؛ هذا كلام عظيم جدًا أن العبد كلما كان على الإيمان والطاعة واللزوم لوحي الله والعناية بشرعه والمحافظة على طاعة الله - سبحانه وتعالى- فإن له من المدد والتأييد والمعونة ما يكون بإذن الله -سبحانه وتعالى- واقيا له من الشيطان، والله عز وجل هيأ له أنواع من المدد التي يوقى بها ويُحمى، أعظم ذلك ما أشار إليه المصنف -رحمه الله تعالى-، ألا وهو دفاع الله سبحانه وتعالى عن الذين آمنوا " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴿الحج: ٣٨﴾"

وأيضًا المدد الذي أشار إليه أن الله أقام ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]

فهذه دعوات قائمة مستمرة من ملائكة الله حملة عرش الرحمن وهي دعوات مستجابات لهذا الإنسان بأن يقيه الله السيئات وأن يغفر له الذنوب، هذا كله مدد وعناية العبد بالقرآن وما يترتب على هذه العناية من وجود اليقين والإيمان والثقة بالله والتوكل على الله سبحانه وتعالى، هذا كله مدد.

وَعَلَّمَ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ هَذِهِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ، فَجَمَعَهَا لَهُمْ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 200] .

هذه (الجهاد) قائمة على أربعة أمور حتى ينتصر العبد على هذا العدو، قائمة على أربعة أمور: - الصبر، والمصابرة، والمرابطة، والتقوى. كل هذا سيوضحه ابن القيم رحمه الله تعالى.

وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ هَذَا الْجِهَادِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، فَلَا يَتِمُّ الصَّبْرُ إِلَّا بِمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ مُقَاوَمَتُهُ وَمُنَازَلَتُهُ، فَإِذَا صَابَرَ عَدُوَّهُ احْتَاجَ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ وَهِيَ الْمُرَابَطَةُ، وَهِيَ لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتُهُ لِئَلَّا يَدْخُلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، وَلُزُومُ ثَغْرِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَاللِّسَانِ وَالْبَطْنِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ، فَهَذِهِ الثُّغُورُ يَدْخُلُ مِنْهَا الْعَدُوُّ فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ وَيُفْسِدُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَالْمُرَابَطَةُ لُزُومُ هَذِهِ الثُّغُورِ، وَلَا يُخَلِّي مَكَانَهَا فَيُصَادِفُ الْعَدُوُّ الثَّغْرَ خَالِيًا فَيَدْخُلَ مِنْهُ.

هنا الآن هذه الحرب التي مع الشيطان تحتاج إلى هذه الأمور الأربعة : الصبر، والمصابرة، والمرابطة، والتقوى- تقوى الله -عز وجل-، وأعظم ما يتركز الأمر على ثغر القلب؛ لأنه هو الأساس، والشيطان -كما تقدم معنا- حربه متركزة على القلب، والقلب عنده هو المقصود الأساس في هذه الحرب؛ لكن عنده منافذ، وهي ثغور أيضًا ينبغي أن يحصنها العبد وإلا دخل الشيطان من خلالها، التي هي: ثغر العين، وثغر الأذن، واللسان، والبطن، واليد، والرجل، وهذه المنافذ كل منفذ منها للشيطان عليه -من خلال هذه المنافذ- خِطط وسبل، وكل هذا سيعرضه ابن القيم -رحمه الله-.

وللشيطان فيه وصايا متنوعة لجنوده كيف يدخلون على هذا الإنسان ويصلون إلى قلبه من خلال عينه، من خلال أذنه، من خلال فرجه، كيف يصلون إليه ؟!

فيحتاج لصيانة القلب -الذي هو الأساس- أن يصون هذه المنافذ، وأن يكون له عناية بها، لا يجعل للشيطان عليه طريق من أي منفذ من هذه المنافذ.

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ أَخْلَوُا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ، فَكَانَ مَا كَانَ.

هذا شاهد يذكره ابن القيم، أن العبد مهما كان أمره من الديانة، والصلاح، والتقوى، لابد أن يرعى هذه المنافذ، ولا يخليها للعدو، لا يجعل للشيطان عليها طريق.

ليتضح الأمر أكثر: إذا كان الإنسان صالح القلب، واطمأن هكذا لصلاح قلبه وإيمانه، فلم يبالِ بالنظر المحرم، لم يبالِ بالنظر المحرم فأتاح لنفسه النظر المحرم، خاصة الآن الأجهزة الحديثة تعتبر معونة للشيطان عظيمة جدًا في الوصول إلى قلوب الناس، فوصل فعلًا إلى كثير من القلوب من خلال السمع، والنظر، فإذا كان صالح القلب، وأتاح لنفسه النظر المحرم، والسماع المحرم فإنه يُعد بهذا الصنيع انهزم أمام هذا

العدو، وفتح له المنفذ الذي يصل إليه من خلاله إلى قلبه؛ فيُفسد قلبه ويُمرضه، فتحتاج هذه الحرب مع الشيطان إلى صيانة هذه المنافذ ورعايتها، والعناية العظيمة بها؛ لئلا يدخل الشيطان عليه من أيٍ من هذه المنافذ.

وَجِمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ وَعَمُودُهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ هُوَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى،

جماع هذه الثلاثة يقصد الصبر، والمصابرة، والمرابطة . -هذه الثلاثة جماعها التقوى-

، فَلَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ وَلَا الْمُصَابَرَةُ وَلَا الْمُرَابَطَةُ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَلَا تَقُومُ التَّقْوَى إِلَّا عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ.

لا تقوم التقوى إلا على ساق الصبر؛ لأن الصبر لابد منه حتى يكون العبد من المتقين، فمن لا صبر له لا تقوى عنده؛ لأن التقوى تحتاج إلى صبر.

الْتِقَاءُ الْجَيْشَيْنِ فَانْظُرِ الْآنَ فِيكَ إِلَى الْتِقَاءِ الْجَيْشَيْنِ ،

الآن يبدأ -رحمه الله- كلامه عظيم وعجيب، الآن يبدأ يصور هذه الحرب ويصور ماذا يقول الشيطان وإلى أي شيء يدعو جنوده وماذا يوصيهم ، كل منفذ من هذه المنافذ ماذا يوصي الشيطان جنوده اتجاه ذلك المنفذ وكيف يدخلون على هذا الإنسان .

فَانْظُرِ الْآنَ فِيكَ إِلَى الْتِقَاءِ الْجَيْشَيْنِ، وَاصْطِدَامِ الْعَسْكَرَيْنِ وَكَيْفَ تُدَالُ مَرَّةً، وَيُدَالُ عَلَيْكَ أُخْرَى؟ أَقْبَلَ مَلِكُ الْكَفَرَةِ بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ ،

الآن بدأت الحرب يصورها رحمه الله تعالى بين الشيطان وبين الانسان .

"فوجد القلب في حصنه جالساً على كرسي مملكته أمره نافذٌ في أعوانه "

(أمره نافذ في أعوانه): قلب الانسان أمره نافذ في جوارحه كلها؛ لأن الجوارح: اليد, والسمع, والبصر, والقدم كلها تبع لمراد القلب لا يمكن أن تتخلف عن مراد القلب، فالقلب بالنسبة للبدن كالملك مع جنده؛ الجوارح هي تبع للقلب.

فالشيطان نظر إلى هذا القلب (قلب الإنسان) ووجد أن أمره نافذٌ في جوارح الإنسان ، فجعل همه وموطن تركيزه على هذا القلب (قلب الإنسان).

" وجنده قد حفوا به يقاتلون عنه ويدافعون عن حوزته ، فلم يمكنه الهجوم إلا بمخامرة بعض أمرائه وجنده عليه "

الآن اصبح القلب والجوارح متحصنة من هذا العدو ، فمن أجل أن يصل إلى القلب لابد من مخامرة بعض الجند التي هي السمع أو البصر أو اليد أو القدم أو الفرج

لابد من مخامرة يعني: مخادعة هذه الجوارح ومخاتلتها حتى تضعف فلا تصبح جهةً حصينةً ، فإذا أصبحت ليست جهة حصينة استطاع الشيطان أن يصل إلى القلب وهو البغية المرادة .

" فسأل من أخص الجند به وأقربهم منه منزلةً ؟ فقيل له : هي النفس . فقال لأعوانه : ادخلوا عليها من مرادها "

انظروا إلى ماذا تميل النفس ، ولهذا الشيطان كما قال بعض السلف: يُشام النفوس ينظر إلى ماذا تميل ماذا ترغب ..

ولهذا أحياناً عندما يشام النفس يعني يجدها ميّالة إلى الطاعة فيأتيها إلى هذا الجانب الذي تميل إليه ؛ يجعلها تتشدد في الطاعة حتى تقع في الغلو الذي لا يقبله الله ، يشغلها بالغلو والتنطع الذي لا يقبله الله وليس من دين الله ؛ فيأتيه من هذا الجانب ، إذا كان يجدها ميّالةً إلى الكسل أضعف فيها حب الطاعة والميل إلى العبادة ، وإذا وجدها ميالة إلى الملاذ والشهوات حبّب إليها الفواحش وجعلها ميالة إليها وهكذا يُشام النفس ثم من خلال ميولاتها يجر الانسان إلى الخروج عن شرع الله .

"وانظروا إلى مواقع محبتها وما هو محبوبها ، فعِدوها به ، و منّوها إيّاه ، وانقشوا صورة المحبوب فيها في يقظتها ومنامها ، فإذا اطمأنت إليه وسكنت عنده ، فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة و خطاطيفها ، ثم جرّوها بها إليكم ، فإذا خامرت على القلب فصارت معكم عليه ملكتم ثغور العين والأذن واللسان والفم واليد والرجل ، فرابطوا على هذه الثغور كل المرابطة "

هذه الآن خطة الحرب لهذا العدو مع هذا الإنسان قائمة على دراسة هذا الإنسان ,ومعرفة ميولاته ثم البدء بالنزال معه حتى يصل الشيطان والعياذ بالله إلى البغية وهي إبعاد هذا الإنسان عن دين الله جل وعلا.

"قال : فمتى دخلتم منها إلى القلب فهو قتيل أو أسير "

إذا وصلتم إلى القلب من خلال هذه المنافذ -انتهت الحرب -أصبح هذا القلب قتيل أو أسير لكم وفزتم بهذه الحرب وهذا السجال وأصبح النصر لكم على هذا الإنسان.

، أَوْ جَرِيحٌ مُثْخَنٌ بِالْجِرَاحَاتِ، وَلَا تُخَلُّوا هَذِهِ الثُّغُورَ، وَلَا تُمَكِّنُوا سَرِيَّةً تَدْخُلُ فِيهَا إِلَى الْقَلْبِ فَتُخْرِجَكُمْ مِنْهَا

احرصوا على أن تبعدوا هذا الذي أثخن بالجراحات واستوليتم على قلبه أن لا يصل إليه هدى أو يصل إليه حق ولهذا من الخطط في هذا الحرب أن الشيطان يبعد عن من كان كذلك عن مجالس الهدى وعن سماع الهدى وعن مصاحبة أهل الحق والهدى ويبغضهم إليه ويظهرهم عنده بالصورة الشنيعة البشعة البغيضة إلى غير ذلك؛ لأنه يغلق بهذا المنافذ التي من خلالها يصل الهدى إلى قلبه.

"وإن غلبتم فاجتهدوا في إضعاف السرية ووهنها"

إذا ما استطعتم الصد للسرية التي يصل من خلالها الهدى إلى هذا القلب فحاولوا على أقل شيء أن تضعفوها وتضعفوا النفع الذي يصل منها إلى قلبه.

حَتَّى لَا تَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ وَصَلَتْ ضَعِيفَةً لَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا.

إن ما استطعتم الرد فحاولوا على الأقل أن تضعفوا هذه السرية حتى تصل إلى القلب ضعيفة فلا تكون محققة البغية في هذا.

نظرة الْعَيْنِ: فَإِذَا اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ الثُّغُورِ فَامْنَعُوا ثَغْرَ الْعَيْنِ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ اعْتِبَارًا،

الآن بدأ يفصل في كل ثغر من هذه الثغور ثغر العين ثغر الأذن كل ثغر يعني ماذا يخطط الشيطان اتجاه كل ثغر من هذه الثغور.

بَلِ اجْعَلُوا نَظَرَهُ تَفَرُّجًا وَاسْتِحْسَانًا وَتَلَهِّيًا، فَإِنِ اسْتَرَقَ نَظَرَهُ عِبْرَةً فَأَفْسِدُوهَا عَلَيْهِ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ وَالشَّهْوَةِ،

هو يتدرج من خلال ثغر العين يتدرج مع الإنسان أولا بالنظرة العابرة يقول أفسدوها عليه بنظرة الغفلة والإستحسان للشهوة قد تكون نظرة عابرة ليس فيها ميل لشهوة أو ميل لحرام لكن يقفز الشيطان حينئذ من خلال هذه النظرة فيحولها من نظرة عابرة إلى شهوة إلى حرام ويدخل حينئذ من هذا المنفذ.

، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ وَأَعْلَقُ بِنَفْسِهِ وَأَخَفُّ عَلَيْهِ، وَدُونَكُمْ ثَغْرَ الْعَيْنِ، فَإِنَّ مِنْهُ تَنَالُونَ بُغْيَتَكُمْ، فَإِنِّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي آدَمَ بِشَيْءٍ مِثْلِ النَّظَرِ

يقول ما أفسدت بني آدم بشيء مثل النظر يعني النظر مدخل من أقوى المداخل التي يدخل منها الشيطان على قلب الإنسان.

، فَإِنِّي أَبْذُرُ بِهِ فِي الْقَلْبِ بَذْرَ الشَّهْوَةِ، ثُمَّ أَسْقِيهِ بِمَاءِ الْأُمْنِيَّةِ، ثُمَّ لَا أَزَالُ أَعِدُهُ وَأُمَنِّيهِ حَتَّى أُقَوِّيَ عَزِيمَتَهُ وَأَقُودَهُ بِزِمَامِ الشَّهْوَةِ إِلَى الِانْخِلَاعِ مِنَ الْعِصْمَةِ، فَلَا تُهْمِلُوا أَمْرَ هَذَا الثَّغْرِ

لا تهملوا أمر هذا الثغر الذي هو العين وتابعوا هذا الإنسان وإذا حصل النظرة العابرة لا توقفوها عند هذا الحد حولوها إلى نظرة شهوة ثم تقودونه من خلالها إلى الخروج من العصمة التي هي الطاعة طاعة الله جل وعلا

قال وأفسدوه بحسب استطاعتكم ، وهون عليه أمره، وقولوا له ما مقدار نظرة تدعوك الى تسبيح الخالق .
وَأَفْسِدُوهُ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِكُمْ، وَهَوِّنُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ،

بالبداية قولوا له مثل هذا المعنى حتى يهون عليه أمر النظرة ولهذا دخل الشيطان فعلاً على بعض الناس بأن يجعله ينظر إلى مثلا محاسن المرأة أو نحو ذلك ينظر إليها وهو في نفسه يقول حتى أسبح من خلقها، وأعظم من خلق هذا الجمال وهذا الحسن يأتيه من هذا المدخل ودخل علي بعض الصالحين من خلال ذلك ثم يحول ذلك الى الفساد العظيم والشر الكبير.

قال: وَقُولُوا لَهُ: مِقْدَارُ نَظْرَةٍ تَدْعُوكَ إِلَى تَسْبِيحِ الْخَالِقِ وَالتَّأَمُّلِ لِبَدِيعِ صَنِيعِهِ، وَحُسْنِ هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي إِنَّمَا خُلِقَتْ لِيَسْتَدِلَّ بِهَا النَّاظِرُ عَلَيْهِ.

يقول له الشيطان أنت انظر حتى تقول تبارك الله أحسن الخالقين ، وتنظر الى جمال الخلق وعظمة خلق الله سبحانه وتعالى فتعظم الله ويدخل في هذا المعنى وله من وراء ذلك أمر آخر .

قال ما خلق الله لك العينين سدى، وما خلق هذه الصورة ليحجبها عن النظر ،

ما خلق الله لك العين هذه سدى خلقها حتى تنظر في مخلوقات الله العظيمة لا لتحجب عن نفسك هذا النظر، هذا النظر يوصلك الى تعظيم من خلق هذه المخلوقات فيدخل عليه من هذا .

، وَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ قَلِيلَ الْعِلْمِ فَاسِدَ الْعَقْلِ، فَقُولُوا لَهُ: هَذِهِ الصُّورَةُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَقِّ وَمَجْلًى مِنْ مَجَالِيهِ،

هذا دخل مدخل آخر هذا دخل من خلاله على الطرقية وأصحاب الباطل والتصوف, دخل عليهم حتى أوقعهم من خلاله في الإلحاد والعياذ بالله .

فادعوه الى القول بالاتحاد،

الاتحاد الذي هو عقيدة من أفسد العقائد وهي أن الخالق متحد في المخلوق تعالى الله عما يقولون سبحان الله عما يصفون.

فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَالْقَوْلُ بِالْحُلُولِ الْعَامِّ أَوِ الْخَاصِّ، وَلَا تَقْنَعُوا مِنْهُ بِدُونِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ بِهِ مِنْ إِخْوَانِ النَّصَارَى، فَمُرُوهُ حِينَئِذٍ بِالْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَاصْطَادُوا عَلَيْهِ وَبِهِ الْجُهَّالَ،

اذا وصلتم هذا الشخص اذا وصلتم الى إيقاعه في هذا الإلحاد وأصبح على هذه العقيدة انتقلوا به الى الزهد -الزهد في الدنيا والتقشف- لماذا؛ لأنه يصبح مصيدة للشيطان بعد ان يصل به الشيطان إلى هذه المرحلة من الإلحاد والانحراف يدعوه الى الزهد والتقشف والتبدل الي غير ذلك حتى يؤثر في تقشفه وتزهده في الناس من أجل يوصلهم من خلاله إلى الإلحاد الذي وصل إليه .

قال: فهذا من أقرب خلفائي وأكبر جندي بل أنا من جنده وأعوانه

يقول الشيطان إذا أوصلتم شخص إلى هذه المرحلة استطعتم أن توصلوا شخصا إلى هذه المرحلة فهذا يعتبر من أكبر خلفائي وأكبر جندي بل أنا أصبح من جنده وأعوانه.

ولهذا والعياذ بالله أساطين هؤلاء الملاحدة وكبار هؤلاء كم أفسدوا في العوام والجهال وإلى خطورة هذا الأمر أشار النبي ﷺ بقوله : ((إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين))؛ لأن الشيطان لا يزال يستخرج من هذا الانسان جنودا يصبحون أئمة ضلال إذا تخرج على يديه هؤلاء الأئمة أئمة الضلال كفوه المؤنة وأفسد من خلالهم خلقا .ولهذا خطر هؤلاء أئمة الضلال على الإنسان هو أشد الخطر والعياذ بالله قال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين).

(فَصْلٌ ثَغْرُ الْأُذُنِ)

ثُمَّ امْنَعُوا ثَغْرَ الْأُذُنِ أَنْ يُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكُمُ الْأَمْرَ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا تُدْخِلُوا مِنْهُ إِلَّا الْبَاطِلَ، فَإِنَّهُ خَفِيفٌ عَلَى النَّفْسِ تَسْتَحْلِيهِ وَتَسْتَحْسِنُهُ، تَخَيَّرُوا لَهُ أَعْذَبَ الْأَلْفَاظِ وَأَسْحَرَهَا لِلْأَلْبَابِ، وَامْزِجُوهُ بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ مَزْجًا.

وَأَلْقُوا الْكَلِمَةَ فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ إِصْغَاءً إِلَيْهَا فَزُجُّوهُ بِأَخَوَاتِهَا، وَكُلَّمَا صَادَفْتُمْ مِنْهُ اسْتِحْسَانَ شَيْءٍ فَالْهَجُوا لَهُ بِذِكْرِهِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ كَلَامِ رَسُولِهِ - ﷺ - أَوْ كَلَامِ النُّصَحَاءِ،

هذا تسلط الآن الشيطان والعياذ بالله على ثغر الأذن .كيف يفسد على الإنسان الأذن؟- بأن يحبب له سماع الحرام ويزين سماع الباطل ، والكلمات الباطلة المحرمة ، يجعل هذا الإنسان يستعذبها ويستحليها ويستمتع بسماعها .والشيطان لا يزال يرغبه في سماعها .وكلما زاد هذا السماع لهذا الباطل وهذا الحرام ، زاد البعد عن ذكر الله و سماع القرآن وسماع أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

كلما زادت عناية الإنسان بهذا السماع المحرم ، أبعده عن سماع الحق والهدى .

واقرأ في أول سورة لقمان ما يوضح لك ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما ذكر القرآن العظيم ووحي الله جل وعلا الكريم وما فيه من الهدى والسعادة والفلاح بقوله: ﷻ : (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، قال: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ..) فهذا اللهو هو الذي يبعد عن القرآن .

والشيطان يتسلط على الإنسان؛ ليبعده عن القرآن من خلال هذا اللهو لهو الحديث فيتسلط عليه .

وكلما مكّن لهو الحديث من سمع الإنسان وحبب إلى الإنسان سمعه بالمقابل يبغّض إليها سماع الهدى والوحي كلام الله ، وكلام رسوله.

قال: فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ وَدَخَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَالْعِظَةِ بِهِ

احرصوا أشد الحرص ألا يسمع شيء من الوحي لا يسمع لا القرآن ولا الحديث ولا كلام النصحاء, احرصوا على ذلك, لكن لو غلبتم وسمع شيئا من الكلام ودخل من أذنه شيء من هذا الكلام انتقلوا إلى مرحلة أخرى احرصوا ألا يفهمه وأن تشغلوه عن فهمه.

إِمَّا بِإِدْخَالِ ضِدِّهِ عَلَيْهِ، وَإِمَّا بِتَهْوِيلِ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ حِيلَ بَيْنَ النُّفُوسِ وَبَيْنَهُ فَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَيْهِ .

يعني بعض هؤلاء قد يصل إلى أذنه الحق ، ويسمع وربما أيضا يعجبه .يأتيه الشيطان ويقول : أينك وهذا؟

هذا ليس لك ، هذا لأناس آخرين ، أما أنت لست مهيأ لهذا .وهذا أمر كبير وعظيم وأنت لا تصلح له لا تصلح لهذا ولست مهيأ فيبقيه على ضلاله وإعراضه.

وَهُوَ حِمْلٌ يَثْقُلُ عَلَيْهَا لَا تَسْتَقِلُّ بِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِمَّا بِإِرْخَاصِهِ عَلَى النُّفُوسِ، وَأَنَّ الِاشْتِغَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِمَا هُوَ أَعْلَى عِنْدَ النَّاسِ، وَأَعَزُّ عَلَيْهِمْ، وَأَغْرَبُ عِنْدَهُمْ، وَزُبُونُهُ الْقَابِلُونَ لَهُ أَكْثَرُ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَهُوَ مَهْجُورٌ، وَقَائِلُهُ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِلْعَدَاوَةِ، وَالرَّابِحُ بَيْنَ النَّاسِ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،

لما يأتي الإنسان إلى مجتمع تغلب عليه المعاصي ثم يوفق أحد هؤلاء الى الطاعة والعبادة يتسلط عليه الشيطان ويقول إذا دخلت في هذه أصبحت أنت محجورا وأصبحت منبوذا وأصبح ليس لك شأن ويبغض إليه الدخول في الديانة والطاعة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى من هذه الجهة .

فَتُدْخِلُونَ الْبَاطِلَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَقْبَلُهُ وَيَخِفُّ عَلَيْهِ، وَتُخْرِجُونَ لَهُ الْحَقَّ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَكْرَهُهُ وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ.

هذه قاعدة عامة وضعها الشيطان لهم لجنوده في طريقة التعامل مع الإنسان .

قال : فتدخلون الباطل عليه في كل قالب يقبله ويخف عليه وتخرجون له الحق في كل قالب يكرهه ويثقل عليه فحببوا إلى نفسه المعصية وثقلوا على قلبه الطاعة.

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، كَيْفَ يُخْرِجُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَالَبِ كَثْرَةِ الْفُضُولِ

حتى إن بعضهم إذا سمع شخصًا يدعو إلى معروف أو ينهى عن منكر قال له :قال ﷺ : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)).كم يُذكر هذا الحديث في مقام رد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر !!

ولهذا يقول : وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، كَيْفَ يُخْرِجُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَالَبِ كَثْرَةِ الْفُضُولِ :يعني هذا من الفضول ؛ مما لا يعنيك .

والمراد بقول النبي ﷺ : ما لا يعنيك أي بأصل الشرع ودلالة الشرع لا بهوى النفس وميولاتها .

قال : ، وَتَتَبُّعِ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَالتَّعَرُّضِ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ، وَإِلْقَاءِ الْفِتَنِ بَيْنَ النَّاسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيُخْرِجُونَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ وَوَصْفَ الرَّبِّ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ - ﷺ - فِي قَالَبِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ، وَيُسَمُّونَ عُلُوَّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ وَمُبَايَنَتَهُ لِمَخْلُوقَاتِهِ، تَحَيُّزًا، وَيُسَمُّونَ نُزُولَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَقَوْلَهُ: مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، تَحَرُّكًا وَانْتِقَالًا، وَيُسَمُّونَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ أَعْضَاءً وَجَوَارِحَ، وَيُسَمُّونَ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ حَوَادِثَ، وَمَا يَقُومُ مِنْ صِفَاتِهِ أَعْرَاضًا، ثُمَّ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى نَفْيِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ.

إذن هذه الكلمات مثل التجسيم والحركة والانتقال والأعضاء والجوارح والحوادث والأعراض .

هذه كلها كلمات محدثة أراد بها من أحدثها أن يصل بالإنسان إلى تعطيل صفات الله وجحدها والتكذيب بها.

فهي من مداخل الشيطان التي يفسد بها على الناس عقيدتهم ومعرفتهم بربهم سبحانه وتعالى .

- قال : وَيُوهِمُونَ الْأَغْمَارَ وَضُعَفَاءَ الْبَصَائِرِ، أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ - ﷺ - تَسْتَلْزِمُ هَذِهِ الْأُمُورَ، وَيُخْرِجُونَ هَذَا التَّعْطِيلَ فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ ضُعَفَاءُ الْعُقُولِ يَقْبَلُونَ الشَّيْءَ بِلَفْظٍ وَيَرُدُّونَهُ بِعَيْنِهِ بِلَفْظٍ آخَرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 112] فَسَمَّاهُ زُخْرُفًا، وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُزَخْرِفُهُ وَيُزَيِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَيُلْقِيهِ إِلَى سَمْعِ الْمَغْرُورِ فَيَغْتَرُّ بِهِ.

ولهذا الأغمار والجهال كثيراً ما أُفسدت أحوالهم بزخرف القول, زخرف القول يعني تزيين القول وتحسينه وإدخال الباطل من خلال هذا القول المزخرف المزين .

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ لَزِمَ ثَغْرَ الْأُذُنِ، أَنْ يُدْخِلَ فِيهَا مَا يَضُرُّ الْعَبْدَ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَيَمْنَعَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَا يَنْفَعُهُ، وَإِنْ دَخَلَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ أَفْسَدَهُ عَلَيْهِ.

هذا فيما يتعلق بثغر الأذن وقبله ما يتعلق بثغر العين, ثم انتقل في فصل جديد إلى ما يتعلق بثغر اللسان .

نكتفي بهذا. ونسأل الله العظيم أن يعيذنا وذرياتنا وأهلينا والمسلمين من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه. وأن يصلح لنا أجمعين ديننا الذي هو عصمة أمرنا. وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ,ويصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ,ويجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.

اضغط على الرابط للاشتراك*👇

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.. أما بعد،

فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين قال في كتابه الداء والدواء :

فصلٌ : [فَصْلٌ ثَغْرُ اللِّسَانِ]

ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا عَلَى ثَغْرِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ الثَّغْرُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ قُبَالَةُ الْمَلِكِ، فَأَجْرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَامْنَعُوهُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنْفَعُهُ: مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِغْفَارِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، وَنَصِيحَةِ عِبَادِهِ، وَالتَّكَلُّمِ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَيَكُونُ لَكُمْ فِي هَذَا الثَّغْرِ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ، لَا تُبَالُونَ بِأَيِّهِمَا ظَفِرْتُمْ:

أَحَدُهُمَا: التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّمَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَمِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكُمْ وَأَعْوَانِكُمْ.

الثَّانِي: السُّكُوتُ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ السَّاكِتَ عَنِ الْحَقِّ أَخٌ لَكُمْ أَخْرَسُ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَخٌ نَاطِقٌ، وَرُبَّمَا كَانَ الْأَخُ الثَّانِي أَنْفَعَ أَخَوَيْكُمْ لَكُمْ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ: الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، وَالسَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ؟

فَالرِّبَاطَ الرِّبَاطَ عَلَى هَذَا الثَّغْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ أَوْ يُمْسِكَ عَنْ بَاطِلٍ، وَزَيِّنُوا لَهُ التَّكَلُّمَ بِالْبَاطِلِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَخَوِّفُوهُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْحَقِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ.

وَاعْلَمُوا يَا بَنِيَّ أَنَّ ثَغْرَ اللِّسَانِ هُوَ الَّذِي أُهْلِكُ مِنْهُ بَنِي آدَمَ، وَأَكُبُّهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، فَكَمْ لِي مِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَجَرِيحٍ أَخَذْتُهُ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ وعلى أله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين..أما بعد ،

فلا نزال في فصل من فصول هذا الكتاب الداء والدواء في بيان عقوبة من عقوبات الذنوب ألا وهي أن: من عقوباتها أن العاصي يفتح بعصيانه للشيطان طريقا عليه ويكون بالمعصية قد أمد الشيطان

وفتح له بابا يدخل منه وينفذ إلى الإنسان؛ لأن العبد مادام على الطاعة والقرب من الله سبحانه وتعالى فهو من عباد الله وعباد الله ليس للشيطان عليهم سبيل، فإذا دخل في المعصية فتح السبيل للشيطان على نفسه، وجعل من المعصية مددا للشيطان عليه؛ ليدفعه من خلال ذلك إلى ما فيه هلاكه في دنياه وأخراه ،

ثم من خلال ذلك أخذ يبين الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الحرب التي لا تتوقف بين الإنسان والشيطان، والشيطان كما أخبر الله سبحانه وتعالى عدو لهذا الإنسان وأمر جل وعلا عباده بأن يتخذوا هذا الشيطان عدوا وأن يحذروا من كيده وخطواته وأن يستعيذوا بالله تبارك وتعالى منه ، وأن يجانبوا الأسباب والوسائل التي هي من طرق الشيطان وسبله التي يحرف بها الإنسان عن صراط الله تبارك وتعالى المستقيم

وأخذ يُبين -رحمه الله تعالى- أن تركيز الشيطان في هذه الحرب أصالة على القلب؛ لأن القلب هو الأساس وهو بالنسبة للأعضاء كالملك مع جنوده

مثلما يُروي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال : " القلب ملك والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طاب الجند وإن خاب الملك خاب الجند "

وأقوى بيانا في هذا الأمر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب. »

فتركيز الشيطان أعاذنا الله -عز وجل- وذرياتنا وأهلينا والمسلمين من شره وكيده، تركيزه على القلب أصالة، ثم له ثغور ينفذ منها إلى القلب

يحتاج العبد مع صيانته لقلبه أن يحفظ هذه الثغور وأن يصونها وهي: السمع، والبصر، واللسان، واليد، والقدم، والفرج هذه كلها ثُغور، وهي في الوقت منافذ للشيطان ربما نفذ منها إلى قلب الإنسان إذا لم يصُنها صاحبها بطاعة الله -سبحانه وتعالى-

ثم بين ابن القيم -رحمه الله- كيف هذا الدخول الذي يكون من الشيطان من خلال هذه الثغور

ووصلنا إلى هذا الفصل الذي فيه حثه لأتباعه على القيام على ثغر اللسان، وأنه الثغر الأعظم، وهو قِبالة الملك، الملك القلب وهو المقصود أصالة

لكن اللسان جارحة خطيرة جدا تلي القلب في الخطورة، ولهذا قيل(المرء بأصغريه) والمراد بالأصغرين أي القلب واللسان، فهاتان الجارحتان لهما تأثير عظيم جدا على الجوارح كلها

أما القلب فقد سمعنا قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ألا إن في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.»

وأما اللسان فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : «إذا أصبح ابن آدم فإن الجوارح كلها تكفر اللسان، تقول اتقي الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا »

فاللسان غاية في الخطورة، ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام- في وصيته لمعاذ قال : «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »

فاللسان خطورته عظيمة، ولهذا الشيطان يلزم هذا الثغر، ويُوصي جنوده وأتباعه أن يُركزوا على هذا اللسان إما ليجعلوا صاحب اللسان متكلم بالباطل فيكون حينئذ شيطان ناطق، أو يجعلوه ساكتا عن الحق فيكون شيطانا أخرس -وهذه بغية الشيطان- في أن لا يكون هذا اللسان على خير لا في ذكر الله، ولا في قراءة القرآن، ولا في تعلم العلم، ولا في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، ولا في غير ذلك من أبواب الخير

إذا كان الله سبحانه وتعالى يقول لعباده : { اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } فالشيطان لا يريد أن يكون اللسان على هذا القول السديد، بل يريد هذا اللسان أن ينشغل بالسيئ والقبيح من القول

ولهذا يحرّك الإنسان ليتكلّم بالباطل فإن لم يتكلم بالباطل نزل معه إلى الرتبة التي دونها وهو أن يسكت عن الحق وكل من هذين محقق طلبة الشيطان فيه

قال : { وَأُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظُوهَا: لِيَنْطِقْ أَحَدُكُمْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ مِنَ الْإِنْسِ بِالْكَلِمَةِ، وَيَكُونُ الْآخَرُ عَلَى لِسَانِ السَّامِعِ فَيَنْطِقُ بِاسْتِحْسَانِهَا وَتَعْظِيمِهَا وَالتَّعَجُّبِ مِنْهَا وَيَطْلُبُ مِنْ أَخِيهِ إِعَادَتَهَا، وَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَى الْإِنْسِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ

يقول : هذه خطة الآن يرسمها الشيطان لأتباعه حتى تتحرك الألسن في المجالس بالباطل والحرام والفاسد من القول ، يقول الشيطان موصيا أتباعه يقول : لينطق أحدكم على لسان أخيه من الإنس بالكلمة ويكون الآخر يعني الشيطان الآخر على لسان السامع فمهمة الأول تحريك لسان الأول بالباطل ومهمة الثاني تعظيم هذا الباطل ثم يدرج الباطل بين النّاس واحد ينطق به بوحي من الشيطان { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } فينطق بالباطل بوحي من الشيطان والآخر يؤيد هذا القول الباطل في المجلس ثم تتلقفه النّاس ويتلقفه الحاضرون في هذا المجلس ثم يتناقل هذا الباطل على ألسنة النّاس

مثلا إن كان غيبة لشخص أو طعنا في عرض شخص أول ما يبدأ الشيطان هذا الأمر بأن يُنطق شخصا به ينطقه مثلا بطعن في عرض شخص ثم يحرك آخر يعظم هذا الكلام ويتعجب منه ثم يتناقلونه النّاس ويتحدّثون به ومطية الجميع قيل كذا وسمعنا كذا ونحو ذلك يتناقلون الباطل وهذا كله من مبتغى الشيطان ومراده في هذا الإنسان

أَمَا سَمِعْتُمْ قَسَمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لِرَبِّهِمْ حَيْثُ قُلْتُ: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ - ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ ١٦ - ١٧] .

أَوَمَا تَرَوْنِي قَدْ قَعَدْتُ لِابْنِ آدَمَ بِطُرُقِهِ كُلِّهَا، فَلَا يَفُوتُنِي مِنْ طَرِيقٍ إِلَّا قَعَدْتُ لَهُ بِطَرِيقِ غَيْرِهِ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْهُ حَاجَتِي أَوْ بَعْضَهَا؟ وَقَدْ حَذَّرَهُمْ ذَلِكَ رَسُولُهُمْ - صلى الله عليه وسلم - وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطُرُقِهِ كُلِّهَا، وَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟ فَخَالَفَهُ

وَأَسْلَمَ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟ فَخَالَفَهُ وَهَاجَرَ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَتُجَاهِدُ فَتُقْتَلَ فَيُقَسَّمَ الْمَالُ وَتُنْكَحَ الزَّوْجَةُ؟»

وهذا مما يذكره الشيطان- الذي هو إبليس -لجنوده وأتباعه أنه يذكرهم دائما بالقسم الذي أقسمه في أن يغوي بني آدم أجمعين ويصدهم عن صراط الله المستقيم، وأن يأتيهم من جهاتهم كلها وأن يقعد لهم في كل طريق "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"، وجاء في الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام: ((إن الشيطان قاعد لابن أدم بأطرقه)) :أي ما من طريق يسير إليه أو يتجه إليه أو يسير فيه العبد إلا والشيطان قاعد فيه-قاعد له يرصده- فإذا كان طريق طاعة وعبادة حرص على أن يثنيه عن هذه العبادة وإن كان طريق معصية حرص على أن يدفعه إليها وان يؤزه إليها أزا.

قال :فَهَكَذَا فَاقْعُدُوا لَهُمْ بِكُلِّ طُرُقِ الْخَيْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَتَصَدَّقَ فَاقْعُدُوا لَهُ عَلَى طَرِيقِ الصَّدَقَةِ، وَقُولُوا لَهُ فِي نَفْسِهِ: أَتُخْرِجُ الْمَالَ فَتَبْقَى مِثْلَ هَذَا السَّائِلِ وَتَصِيرَ بِمَنْزِلَتِهِ أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ؟ أَوَمَا سَمِعْتُمْ مَا أَلْقَيْتُ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ سَأَلَهُ آخَرُ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، قَالَ: هِيَ أَمْوَالُنَا إِذَا أَعْطَيْنَاكُمُوهَا صِرْنَا مِثْلَكُمْ.

وَاقْعُدُوا لَهُ بِطَرِيقِ الْحَجِّ، فَقُولُوا: طَرِيقُهُ مَخُوفَةٌ مُشِقَّةٌ، يَتَعَرَّضُ سَالِكُهَا لِتَلَفِ النَّفْسِ وَالْمَالِ

طريق الحج أو كذلك العمرة لثنيه عنها وعدم قيامه بها، لكن من عزموا على الحج أولا يحرص على أن ثنيه عن الحج كما أشار ابن القيم هنا لكن من عزموا على الحج فأيضًا لا يتركهم الشيطان في طريق الحج؛ لان هذا داخل في عموم قوله تعالى: لأقعدن لهم صراطك المستقيم

بعض المفسرين قال: طريقهم إلى مكة ،فهذا من القعود قعود الشيطان لهذا الإنسان في طريقه المستقيم فإذا كان ذاهبا إلى مكة لم يتركه،ولهذا يروى عن مجاهد من أئمة التابعين رحمه الله قال :ما خرجت رفقة للحج إلا وأرسل معهم الشيطان مثل عددهم كل حملة حجاج بحملة شياطين أرسل معهم مثل عددهم

هذه الحملة من الشياطين مهمتها إفساد هذا الحج على هذا الحاج وشغله بأمور وأعمال تفسد عليه حجه فلا يحصل من حجه إلا التعب فيوقعه في أمور إما الرياء أو السمعة أو البدع والضلالات أو المخالفات والمحرمات أو غير ذلك إلى أن يصل إلى إبطال حجه أو ما هو دون ذلك أن ينقص ثواب هذا الحاج ويضعف من قوته فالعبد في كل طريق

ولهذا حتى المسجد ليس فقط الحج المسجد الذي فيه فريضة الله التي هي أعظم من الحج أُمرنا إذا دخلنا مع باب المسجد أن نتعوذ بالله من الشيطان "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم"؛ لأن الشيطان يحرص على أن يفسد على الإنسان صلاته وهناك شياطين متخصصين في أمر الصلاة ومهمتهم إفسادها على العبد فهذا كله يجعل العبد في حيطة عظيمة على نفسه؛ لأن هذا العدو يراك ولا تراه. وقاعدٌ لك في كل طريق، وحربه معك شرسة جداً، حريصٌ على إهلاكك بكل طريق، وبكل سبيل، ومع هذا كله تطمئن تمام الطمأنينة، أنك إذا اعتصمت بالله، وصدقت في لجوئك إلى الله، واستعذت من هذا الشيطان

فإن امرأ ً هذا شأنه كيد الشيطان معه يكون ضعيف، بل لا يكون له تأثير لأن عباد الله محفوظون بحفظ الله- سبحانه وتعالى -{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا} [الإسراء : ٦٥]

قال: وَهَكَذَا فَاقْعُدُوا لَهُ عَلَى سَائِرِ طُرُقِ الْخَيْرِ بِالتَّنْفِيرِ عَنْهَا وَذِكْرِ صُعُوبَتِهَا وَآفَاتِهَا

إذا أراد مثلاً أن يطلب العلم، جاءه الشيطان وقال لا هذه طريق شاقة، وممكن تجلس عشرين سنة وما تفهم شيء ولا تحفظ فيثنيه عن الجلوس،ويمنعه من الجلوس، ويحرمه منه بأن يظهر له أنها طريق شاقة،وطريق صعبة، ولا تحصل فيها فائدة، بمثل هذا يثنيه عن هذا الطريق، ولا يزال مع العبد كلما أراد طريقا من طرق الخير، ثقلها على نفسه.

ثُمَّ اقْعُدُوا لَهُمْ عَلَى طُرُقِ الْمَعَاصِي فَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، وَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلُوا أَكْثَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلَى ذَلِكَ النِّسَاءَ، فَمِنْ أَبْوَابِهِنَّ فَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، فَنِعْمَ الْعَوْنُ هُنَّ لَكُمْ.

له مع المعاصي شأن آخر، إذا وضع المرء قدمه في طريق المعاصي، فخطة الشيطان أخرى ، مختلفة عن الأولى، وهي أنه يزين له المعصية، ويحسنها، ويجملها، ويفتح له أبواباً في سلوكها، ويكون معيناً له على فعلها بذكر الطرق، أو السبل، أو الحيل، أو غير ذلك.

قال: [فَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، وَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلُوا أَكْثَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلَى ذَلِكَ النِّسَاءَ، فَمِنْ أَبْوَابِهِنَّ فَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، فَنِعْمَ الْعَوْنُ هُنَّ لَكُمْ.

ولهذا قال-عليه الصلاة والسلام-:{إذا خرجت المرأة، استشرفها الشيطان} لأن كثير من المصائب، والفساد، والانحراف الذي يدخل من خلاله الشيطان على الإنسان، من جهة النساء، وأعظم الفتن فتنة النساء، ولهذا لا يزال الشيطان بالمرأة أن تخرج متبرجة، متعطرة، متجملة، متزينة؛ لأنها إذا خرجت بهذه الصفة، أصبحت سلاحاً لشيطان، في تحقيق أهدافه، ومهماته في إفساد بني آدم، وإيقاع الشر والفساد ، ولهذا كثيراً ما يوصي إبليس أتباعه، في الإغواء والصد عن سبيل الله، أن يستغلوا المرأة، وأن تتجمّل ، وأن تتزين، وأن تظهر مفاتنها، ومحاسنها، وجمالها، وأن تتعطر، فإذا خرجت بهذه الصفة، أصبحت سلاحاً لهذا الشيطان، لإيقاع الفساد العريض ، والشر المستطير في المجتمعات.

قال: ثُمَّ الْزَمُوا ثَغْرَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَامْنَعُوهَا أَنْ تَبْطِشَ بِمَا يَضُرُّكُمْ وَتَمْشِي فِيهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَرَ أَعْوَانِكُمْ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ الثُّغُورِ مُصَالَحَةُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، فَأَعِينُوهَا وَاسْتَعِينُوا بِهَا، وَأَمِدُّوهَا وَاسْتَمِدُّوا مِنْهَا، وَكُونُوا مَعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ

يقول : بعد أن انتهى من الكلام عن ثغر اللسان،انتقل إلى ثغر اليدين والرجلين قال: فامنعوها أن تبطش بما يضركم، و تمشي فيه :أي فيما يضركم، بأن تكون هدف الشيطان أن تكون اليد ممتدة إلى الحرام، وأن تكون القدم ماشية إلى الحرام، لا يريد أن تمشي القدم إلى خير، ولا أن تمتد اليد إلى خير. لكن يقول: إذا أردتم ذلك فاعقدوا مصالحة مع النفس الأمارة بالسوء.

وهذه صفة من صفات النفس أو حال من أحوال النفس البشرية؛ لأنها إما:

١- أن تكون أمَّارة بالسوء.

٢- أو تكون لوَّامة.

٣- أو تكون مطمئنة.

إما أن تكون نفسا أمَّارة بالسوء، وإما أن تكون لوَّامة، وإما أن تكون مطمئنة.

ونقف هنا في سؤال عارض ثم نواصل: اليوم في صلاة الفجر سمعنا أي صفة من هذه الصفات الثلاث؟ اليوم في صلاة الفجر أي صفة للنفس من هذه الصفات الثلاث؟ - النفس اللوَّامة.

قال: وَكُونُوا مَعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، فَاجْتَهِدُوا فِي كَسْرِهَا وَإِبْطَالِ قُوَاهَا، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِقَطْعِ مَوَادِّهَا عَنْهَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ مَوَادُّهَا وَقَوِيَتْ مَوَادُّ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَانْطَاعَتْ لَكُمْ أَعْوَانُهَا، فَاسْتَنْزِلُوا الْقَلْبَ مِنْ حِصْنِهِ، وَاعْزِلُوهُ عَنْ مَمْلَكَتِهِ،

إذا استولى وصارت بيده هذه النفس النفس اللوامة، حينئذ يستنزل القلب من مملكته؛ لأنه حينئذ يفسد هذا القلب، ويصبح بيد الشيطان والعياذ بالله.

وَوَلُّوا مَكَانَهُ النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ، فَإِنَّهَا لَا تَأْمُرُ إِلَّا بِمَا تَهْوَوْنَهُ وَتُحِبُّونَهُ، وَلَا تَجِيئُكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَهُ الْبَتَّةَ،

بدل أن كان رجلا له قلب بصير، ومن خلاله يرتب أموره، ويسعى في مصالحه، ويتدبر في العواقب، ويكون هو القائد للنفس، يتحول هذا القلب من قائد إلى الخير إلى مَقُودٍ إلى الشر والعياذ بالله.

مَعَ أَنَّهَا لَا تُخَالِفُكُمْ فِي شَيْءٍ تُشِيرُونَ بِهِ عَلَيْهَا، بَلْ إِذَا أَشَرْتُمْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ بَادَرَتْ إِلَى فِعْلِهِ، فَإِنْ أَحْسَسْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ مُنَازَعَةً إِلَى مَمْلَكَتِهِ، وَأَرَدْتُمُ الْأَمْنَ مِنْ ذَلِكَ، فَاعْقِدُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ عَقْدَ النِّكَاحِ، فَزَيِّنُوهَا وَجَمِّلُوهَا، وَأَرُوهَا إِيَّاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةِ عَرُوسٍ تُوجَدُ، وَقُولُوا لَهُ ذُقْ طَعْمَ هَذَا الْوِصَالِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَذِهِ الْعَرُوسِ كَمَا ذُقْتَ طَعْمَ الْحَرْبِ، وَبَاشَرْتَ مَرَارَةَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، ثُمَّ وَازِنْ بَيْنَ

لَذَّةِ هَذِهِ الْمُسالمة، وَمَرَارَةِ تِلْكَ الْمُحَارَبَةِ، فَدَعِ الْحَرْبَ تَضَعُ أَوْزَارَهَا، فَلَيْسَتْ بِيَوْمٍ وَتَنْقَضِي، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْبٌ مُتَّصِلٌ بِالْمَوْتِ، وَقُوَاكَ تَضْعُفُ عَنْ حَرْبٍ دَائِمٍ.

يعني إذا عطب القلب أصبح تسييره للنفس الأمارة هي التي تسوقه في دورب الشر وسبل الهلكة.

قال: وَاسْتَعِينُوا يَا بَنِيَّ بِجُنْدَيْنِ عَظِيمَيْنِ لَنْ تُغْلَبُوا مَعَهُمَا:
أَحَدُهُمَا: جُنْدُ الْغَفْلَةِ، فَأَغْفِلُوا قُلُوبَ بَنِي آدَمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ شَيْءٌ أَبْلَغَ فِي تَحْصِيلِ غَرَضِكُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى تَمَكَّنْتُمْ مِنْهُ وَمِنْ إِغْوَائِهِ.

هذه الغفلة جند من جنود إبليس، ويشجع أعوانه من الشياطين على أن يُشغلوا القلوب بالغفلة، وأن تكون قلوبا غافلة، والله -سبحانه وتعالى- يقول: {وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ}، والغفلة ذهابها عن العبد بالذكر ذكر الله -سبحانه وتعالى-

فالقلوب إما قلب ذاكر أو قلب غافل، فيحرص الشيطان على جعل قلب المرء قلبا غافلا لتُصبح هذه الغفلة مَددا وجُندا له.

«قال : والثَّانِي: جُنْدُ الشَّهَوَاتِ، فَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَصُولُوا عَلَيْهِمْ بِهَذَيْنِ الْعَسْكَرَيْنِ، »

بهذين العسكرين: عسكر الغفلة، وعسكر الشهوات ، والشهوات منفذ خطير جدا، إذا فتح الإنسان لنفسه باب الشهوات المُحرمة فإنه فتح على نفسه للشيطان أوسع الأبواب للدخول عليه على نفسه والتسلط عليه ،فإذا دخل في باب الشهوة فتح للشيطان على نفسه باب من أوسع الأبواب ليدخل عليه ويُوقعه في الفساد العظيم والشر المستطير، نعم

« قال : فَلَيْسَ لَكُمْ فِي (من) بَنِي آدَمَ أَبْلَغُ مِنْهُمَا، وَاسْتَعِينُوا عَلَى الْغَفْلَةِ بِالشَّهَوَاتِ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ بِالْغَفْلَةِ، »

لأن كل واحد منهما تُحرك الأخرى، الغفلة تجلب الشهوة والشهوة تجلب الغفلة

« وَاقْرِنُوا بَيْنَ الْغَافِلِينَ،

اقرنوا بين الغافلين، إذا وقع الإنسان في الغفلة لا يبقى وحده ضموه إلى جند الغافلين حتى يتعاونون على الغفلة والبقاء على الغفلة.

« ثُمَّ اسْتَعِينُوا بِهِمَا عَلَى الذَّاكِرِ

هذه خطوة أخرى، يعني ضموا هذا الغافل إلى الغافلين، ثم هؤلاء الغافلين استعينوا بهم على الذاكر حتى يأخذوه معهم إلى طريق الغفلة.

« وَلَا يَغْلِبُ وَاحِدٌ خَمْسَةً، فَإِنَّ مَعَ الْغَافِلَيْنِ شَيْطَانَيْنِ صَارُوا أَرْبَعَةً، وَشَيْطَانُ الذَّاكِرِ مَعَهُمْ،.»

لكن الله -سبحانه وتعالى- معه بلجوئه إلى الله، واعتصامه بالله: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِراطٍ مّسْتَقِيمٍ} ، لكن عليه أن يعرف أنها حرب قائمة، فله قرين وهذا الذي يشير إليه ابن القيم قرين ملازم له ،ثم هذا الغافل الذي يقابله إذا قابله شخصان من أهل الغفلة وأرادا هذان الشخصان صرفه إلى سبيل الغفلة كم عدد المتعاونين على إيقاعه في الغفلة حينئذ ؟ نعم؟ كم عددهم إذا كان قابله شخصان من أهل الغفلة وأرادا أخذه إلى طريق الغفلة حينئذ كم يكون الذين أردوا منه غفلة؟

- خمسة: القرين الذي معه، وهذان الشخصان وكل واحد منهم معه قرين فهؤلاء خمسة وهو واحد، فلكن إذا اعتصم بالله والتجأ إليه وأعرض عن سبيل الجاهلين حُفظ بحفظ الله -سبحانه وتعالى- حفظنا الله أجمعين وأهلينا وذرياتنا.

« وَإِذَا رَأَيْتُمْ جَمَاعَةً مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا يَضُرُّكُمْ - مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ

نعم هذه المجالس مجالس الخير أيضا الشيطان له فيها شأن، مجالس الخير، مجالس العلم، مجالس التعليم، مجالس اليقظة يقظة القلوب والتذكير بالله -سبحانه وتعالى- أيضا للشياطين فيها أمر.

«قال: وَإِذَا رَأَيْتُمْ جَمَاعَةً مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا يَضُرُّكُمْ - مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمُذَاكَرَةِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَدِينِهِ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى تَفْرِيقِهِمْ - فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِبَنِي جِنْسِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ الْبَطَّالِينَ، فَقَرِّبُوهُمْ مِنْهُمْ، وَشَوِّشُوا عَلَيْهِمْ بِهِمْ

إذا ما استطاع ثنيهم عن العلم دسّ فيهم من بني جنسهم من يشوش عليهم ويكدر عليهم صفو طلب العلم والاستمرار في التعلم فيندس معهم من الإنس بدفع من الشيطان حتى يثنيهم عن هذا العلم ويُفرق جمعهم في طلب العلم،أو يفرق بعضهم عن الطلب وتحصيل العلم حتى يبقى الإنسان محرومًا من العلم والانتفاع والفقه في دين الله- سبحانه وتعالى-

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَعِدُّوا لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَادْخُلُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَابِ إِرَادَتِهِ وَشَهْوَتِهِ،

نعم ولهذا قالوا السلف قديمًا: إن الشيطان يُشام قلوب بني آدم فينظر ما هي ميولات هذا القلب وماذا يريد وما هي شهواته ، فيدخل على كل إنسان من الجهة التي تميل نفسه إليها

فَسَاعِدُوهُ عَلَيْهَا، وَكُونُوا لَهُ أَعْوَانًا عَلَى تَحْصِيلِهَا، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَصْبِرُوا لَكُمْ وَيُصَابِرُوكُمْ وَيُرَابِطُوا عَلَيْكُمُ الثُّغُورَ، فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا عَلَيْهِمْ بِالثُّغُورِ،

مثل ما قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ٢٠٠

إذا كان الله أمرهم بذلك يقول الشيطان لأتباعه: وأنا كذلك آمركم بالصبر والمصابرة والمرابطة حتى تصلوا إلى ما أريد من إغواء بني آدم .

، فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا عَلَيْهِمْ بِالثُّغُورِ، وَانْتَهِزُوا فُرَصَكُمْ فِيهِمْ عِنْدَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ، فَلَا تَصْطَادُوا بَنِي آدَمَ فِي أَعْظَمَ مِنْ هَذَيْنِ الْمَوْطِنَيْنِ.

وهنا سيدخل ابن القيم في بيان:أن من أعظم دخول الشيطان على الإنسان حالتين يكون عليهما الإنسان:-

- الشهوة وثوران الشهوة في نفسه المحرمة

- أو الغضب فهذان من المداخل العظيمة للشيطان على الإنسان
يستغل وجود شهوة محرمة في نفسه أو غضب فيدخل من هذا أو هذا .

وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِ أَغْلَبَ وَسُلْطَانُ غَضَبِهِ ضَعِيفٌ مَقْهُورٌ، فَخُذُوا عَلَيْهِ طَرِيقَ الشَّهْوَةِ، وَدَعُوا طَرِيقَ الْغَضَبِ،

يعني انظروا أي الأمرين أغلب عنده الشهوة أو الغضب؟! ، فإذا تبين أحدهما أنه أمكن عنده فلازموا هذا الطريق.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الْغَضَبِ عَلَيْهِ أَغْلَبَ، فَلَا تُخْلُوا طَرِيقَ الشَّهْوَةِ قَلْبَهُ، وَلَا تُعَطِّلُوا ثَغْرَهَا، فَإِنْ من لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، فَإِنَّهُ بالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَمْلِكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهْوَةِ، فَزَوِّجُوا بَيْنَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ

امزجوا بينهما :اجمعوا بين الشهوة والغضب

، وَامْزِجُوا أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، وَادْعُوهُ إِلَى الشَّهْوَةِ مِنْ بَابِ الْغَضَبِ، وَإِلَى الْغَضَبِ مِنْ طَرِيقِ الشَّهْوَةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ سِلَاحٌ أَبْلَغُ مِنْ هَذَيْنِ السِّلَاحَيْنِ

ليس لكم في بني آدم سلاح أبلغ من هذين السلاحين: الغضب و الشهوة ،لهذا يجب على الإنسان أن يكون في حيطة عظيمة جدًا

والرجل الذي غضب في مجلس النبي عليه الصلاة والسلام واحمرت أوداجه قال النبي عليه الصلاة والسلام: إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ولهذا فإن الشيطان في لحظة الغضب دخوله على الإنسان دخول قوي جدًا، دخول قوي شديد في لحظة الغضب ،ولحظة الغضب هي لحظة يسيرة جدا لا تبلغ دقيقة لا تصل إلى دقيقة، لكن في هذه اللحظة التي أقل من دقيقة كم وكم حصل من الشرور العظيمة في العالم ! وفي البيوت وفي المجتمعات وفي

الأسواق وفي لقاءات الناس! ؛ لأن الشيطان لحظة الغضب يهجم هجوما قويا، ويطلب من الإنسان أشد القرارات ، ولهذا كم من حوادث القتل حصلت في الفترة التي أقل من دقيقة ؟!

وكم من الاعتداءات ضربا أو شتما أو سبا حتى قول الكفر -من سب دينٍ والعياذ بالله من هذا القبيل- في هذه الفترة التي أقل من دقيقة؟!

وكم أيضا من تفكك في البيوت وحالات طلاق وتفرق بين الأزواج وبين الأبناء والآباء وبين المتجاورين؟!

تنشب عداوة بين جارين يصل إليها الشيطان في هذه الفترة التي أقل من دقيقة ،يغضب أحدهما فيدخل عليه الشيطان في هذه اللحظة فيجعله يقول كلمة قاسية فيفترق الجاران افتراقا دائمًا ،

فالحاصل أن الغضب مدخل قوي جدا من مداخل الشيطان ولهذا يُنصح الإنسان في لحظة الغضب مباشرة أن يستعيذ بالله حتى لا يدخل الشيطان، يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم،

وأيضا يُنصح بأمرين جاءت بهما السنة، أن يسكت لحظة الغضب فقط يتعوذ ويسكت يتعوذ من الشيطان ويسكت حتى تطفأ جمرة الغضب

والأمر الثاني :أن لا يفعل شيء، إن كان قائمًا يجلس وان كان جالسا يضطجع ؛ حتى تهدأ نفسه إذا هدأت حينئذ يحسن أن يقول الخير.

وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُ أَبَوَيْهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِالشَّهْوَةِ، وَإِنَّمَا أَلْقَيْتُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ بِالْغَضَبِ، فَبِهِ قَطَّعْتُ أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكْتُ دِمَاءَهُمْ، وَبِهِ قَتَلَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ أَخَاهُ.
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَالشَّهْوَةَ تَثُورُ مِنْ قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُمَكِّنُوا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ مِنْ قُرْبَانِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ عَنْهُمْ نَارَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ مِنِ احْمِرَارِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِذَلِكَ فَلْيَتَوَضَّأْ» .وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ»

الذي ثبت هو التعوذ، وأما الوضوء عند الغضب فهذا جاء في حديث لكن في إسناده كلام

، وَقَدْ أَوْصَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَعِينُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ،

الله عز وجل أوصى عبادة أن يستعينوا عليهم يعني الشياطين بالصبر والصلاة، وفي الصبر والصلاة حرز بإذن الله ووقاية من الشيطان

قال: وَقَدْ أَوْصَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَعِينُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَأَنْسُوهُمْ إِيَّاهُ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ، وَأَبْلَغُ أَسْلِحَتِكُمْ فِيهِمْ وَأَنْكَاهَا: الْغَفْلَةُ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى. وَأَعْظَمُ أَسْلِحَتِهِمْ فِيكُمْ وَأَمْنَعُ حُصُونِهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مُخَالِفًا لِهَوَاهُ فَاهْرَبُوا مِنْ ظِلِّهِ وَلَا تَدْنُوا مِنْهُ

لأنه في حصن حصين وحرز مكين فلا سبيل للشيطان الرجيم عليه.
انتهى الآن من ذكر هذه الحرب ووصفها وأنبه الآن لما يذكر أن إبليس أوصى بكذا أو أوصى بكذا لا يقصد ابن القيم ذات العبارات والألفاظ وأنه تحدَّث بهذه الألفاظ ولكن يقصد -رحمه الله تعالى- المعنى وهذا المعنى يعرف من خلال التأثيرات تأثيرات الشيطان على الإنسان والمداخل وهذه تعرف بسبر أحوال الناس من أهل البصيرة أهل العلم، سبر أحوال الناس ومعرفتها إضافة إلى الشواهد التي في النصوص نصوص الكتاب والسنة.

قال :« وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ سِلَاحٌ وَمَدَدٌ يَمُدُّ بِهَا الْعَبْدُ أَعْدَاءَهُ وَيُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ»

هذا عود إلى بدء، عود إلى ما بدأ به هذا الفصل وأن المعاصي من عقوباتها أنها مدد يُمِده المرء من نفسه للشيطان ليكون سلاحا لعدوه يُهلكه به.

« ، فَيُقَاتِلُونَ بِسِلَاحِهِ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ.

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ الْعَبْدَ يَسْعَى بِجُهْدِهِ فِي هَوَانِ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكْرِمٌ وَيَجْتَهِدُ فِي حِرْمَانِهَا أَعْلَى حُظُوظِهَا وَأَشْرَفَهَا وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى فِي حَظِّهَا، وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا وَتَصْغِيرِهَا وَتَدْنِيسِهَا، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعْلِيهَا وَيَرْفَعُهَا وَيُكَبِّرُهَا.

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: أَلَا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكْرِمٌ، وَمُذِلٌّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُعِزٌّ، وَمُصَغِّرٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكَبِّرٌ، وَمُضِيعٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ لِحِفْظِهَا،(أو لحقها).»

لحفظها أو لحقِّها ، هذه كلمة عظيمة ولعل من يتيسر له منكم يبحث عن القائل لهذه الكلمة من أئمة السلف -رحمهم الله تعالى-، وهي كلمة عظيمة جدا في بيان حال كثير من الناس أنه يُهين نفسه من حيث يظن أنه يُكرمها، ويُذلها من حيث يظن أنه يُعزها، ويُصغرها من حيث يظن أنه يُكبرها، ويُضيعها من حيث يظن أنه يَحفظها ،(وهذا من أعظم الكيد) كيد الشيطان لهذا الإنسان أن يُوقعه في الشر ويُوهمه أنه على هدى، وأنه على خير، وأن سبيله هي سبيل الخير.

«وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ عَلَى نَفْسِهِ، يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَدُوُّهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ »

يُسلم نفسه للشيطان هذا العدو ويكون هو الذي جنا على نفسه بأن أسلم نفسه للشيطان يبلغ منها بفعله ما لم يبلغ منه عدوه بإذلال نفسه، وإهانة نفسه، وتصغير نفسه،فهذه مبتغيات الشيطان منه ، لكنه يهلك نفسه هو بنفسه في إيقاعه في هذه الأمور .

ونسأل الله أن يحفظنا أجمعين في أنفسنا وأهلينا وذرياتنا، وأن يُعيذنا أجمعين من الشيطان الرجيم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ،اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..أما بعد ؛

فيقول العلامة / ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء قال :

[فَصْلٌ الْمَعْصِيَةُ تُنْسِي الْعَبْدَ نَفْسَهُ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُنْسِي الْعَبْدَ نَفْسَهُ، وَإِذَا نَسِيَ نَفْسَهُ أَهْمَلَهَا وَأَفْسَدَهَا وَأَهْلَكَهَا، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَنْسَى الْعَبْدُ نَفْسَهُ؟ وَإِذَا نَسِيَ نَفْسَهُ فَأَيُّ شَيْءٍ يَذْكُرُ؟ وَمَا مَعْنَى نِسْيَانِهِ نَفْسَهُ؟

قِيلَ: نَعَمْ يَنْسَى نَفْسَهُ أَعْظَمَ نِسْيَانٍ، قوله تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [سُورَةُ الْحَشْرِ: 19] .

فَلَمَّا نَسُوا رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ نَسِيَهُمْ وَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [سُورَةُ التَّوْبَةِ: 67] .

فَعَاقَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ نَسِيَهُ عُقُوبَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَسِيَهُ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ.

وَنِسْيَانُهُ سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ: إِهْمَالُهُ، وَتَرْكُهُ، وَتَخَلِّيهِ عَنْهُ، وَإِضَاعَتُهُ، فَالْهَلَاكُ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْيَدِ لِلْفَمِ، وَأَمَّا إِنْسَاؤُهُ نَفْسَهُ، فَهُوَ: إِنْسَاؤُهُ لِحُظُوظِهَا الْعَالِيَةِ، وَأَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا، وَصَلَاحِهَا، وَمَا تَكْمُلُ بِهِ بِنَسْيِهِ ذَلِكَ كُلِّهِ جَمِيعِهِ فَلَا يَخْطُرُهُ بِبَالِهِ، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى ذِكْرِهِ، وَلَا يَصْرِفُ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ فَيَرْغَبُ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَمُرُّ بِبَالِهِ حَتَّى يَقْصِدَهُ وَيُؤْثِرَهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين .اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، أما بعد,

فهذا فصل يبين فيه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عاقبة أخرى من عواقب الذنوب وأضرارها الوخيمة على العصاة : وهي أنها تُنسي العبد نفسه فلا يقوم بمصالحها وما تكون به نجاتها وسعادتها و فلاحها . فتصبح نفسه حينئذ نفسًا ضائعة صار أمرها فرطا وحياتها ضياعا .(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) فمن نسي نفسه يترتب على نسيانه لنفسه أن يصبح أمره فرطا .

وأما إذا أطاع ربه واستقام على أمره سبحانه وتعالى فإن هذا ينتظم صلاح أمره ، والتئام شأنه .

ولهذا جاء في الدعاء المأثور : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ,فالدين عصمة للأمر ، وضياع الدين انفراط للأمر .

الحاصل أن من عواقب الذنوب أنها تُنسي العبد نفسه .

قال : وإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها: بمعنى أن نفسه تصبح نفسًا منتقلة من فساد إلى فساد آخر ومن ضياع إلى ضياع آخر؛ لأنها نفس مهملة مضيَّعة غير معتنىً بها؛ وهذا من عواقب الذنوب وأضرارها الوخيمة.

وذكر -رحمه الله تعالى- أن العبد إذا نسي ربه بإهمال الطاعة والوقوع في المعصية؛ يترتب على ذلك عاقبتين:
الأولى: أن الله سبحانه وتعالى يُنسِيه نفسه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾﴿الحشر: ١٩﴾

والعاقبة الثانية: أن الله -سبحانه وتعالى- يعاقبه بنسيانه لربه أن ينساه الله ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾﴿التوبة: ٦٧﴾

وقوله: "فَنَسِيَهُمْ": هذا النسيان المضاف إلى الله -سبحانه وتعالى- ليس هو النسيان المنفي في قوله - سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤؛

لأن النسيان المثبت هنا: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) هذه عقوبة لهؤلاء بأن الله ينساهم، والنسيان من معانيه (التّرك) وهو المراد هنا: "نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ"

ولهذا قال ابن القيم في بيان المعنى: ونسيانه -سبحانه للعبد- إهماله وتركه وتخليته عنه وإضاعته؛ فلا يُصبح في حفظ الله ولا في كنفه ولا رعايته سبحانه وتعالى، بل يصبح نُهبة للشياطين، ولهذا قال: فالهلاك أدنى إليه من اليد للفم.

و أما إنساؤه نفسه، فهو إنساؤه لحظوظها العالية، لا يصبح المرء مهتما بحظوظ نفسه العالية الشريفة التي فيها سعادته وفلاحه وفوزه في الدنيا والآخرة، ولا يصبح عنده بُعد نظر، ولا تأمل في العواقب ,بل همّته دنيئة وأهواءه منحطة ومبتغياته كلها في سفول وضعة.

قال رحمه الله :(وَأَيْضًا فَيُنْسِيهِ عُيُوبَ نَفْسِهِ وَنَقْصَهَا وَآفَاتِهَا، فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ إِزَالَتُهَا و إصلاحها

هذه مصيبة وهذه من العواقب ينسيه عيوب نفسه، ولهذا يقع في عيوب تلو عيوب ولا يشعر وأصلا لا يفكر في النظر في عيوب النفس؛ لأن النظر في عيوب النّفس هذا باب من أبواب المحاسبة إذا أخذ المرء ينظر في عيوب نفسه وأخطائه وتقصيره يفتح على نفسه باب لمحاسبة نفسه كيف أنها وقعت في هذه العيوب؟!

ومن عواقب الذنوب: أنه يترتب عليها نسيان المرء لعيوب نفسه؛ ولهذا بعض الناس يتحدث عن عيوب الآخرين ويذم -مثلا- الآخرين وينتقص الآخرين، وفيه عيوب عظيمة.

مثلا: يكون متهاوناً في الصلاة التي أعظم فرائض الإسلام وأهمها بعد التوحيد تجده مثلا ينام عن صلاة الفجر ثم إذا أصبح في الضحى قال: فلان فيه، أو أخذ يذم وينتقد ويذكر عيوبا وهو نفسه مضيّع أو مفرط لهذه الفريضة من فرائض الإسلام، أو يكون يغشى بعض الكبائر وبعض العظائم، عظائم الذنوب فينسى الخلل الذي فيه، والنقص الذي فيه وينتقد الآخرين,يرى القذاة في عين أخيه

ولا يرى الجذع في نفسه، فيه عيوب كبار لا يراها، ويرى أشياء دقيقة ويسيرة في الآخرين، هذه من العواقب من عواقب الذنوب وأضرارها العظيمة.

«قال : وَأَيْضًا فَيُنْسِيهِ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلَامَهَا، فَلَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ مُدَاوَاتُهَا، وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَئُولُ بِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ، فَهُوَ مَرِيضٌ مُثْخَنٌ بِالْمَرَضِ، وَمَرَضُهُ مُتَرَامٍ بِهِ إِلَى التَّلَفِ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَرَضِهِ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ مُدَاوَاتُهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.»

هذه من عقوبات الذنوب: أنها تُنسِي المرء أمراضه، وخاصة أمراض القلب وأدواء القلب

فقد يكون القلب ينطوي على أمراض كثيرة، فلا يفكر أن ينظر ويتأمل في أحوال قلبه، والعمل على تزكيته وتنقيته من هذه الأمراض لأن المعاصي أوبقته

وكان من عواقب إهلاك الذنوب له أنها تُنسيه هذا الجانب العظيم وتُغفله عن إصلاح قلبه،

« فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا، وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا، وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَصَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ؟

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ حَقِيقَةً وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَبَاعُوهَا رَخِيصَةً بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعَ الْغَبْنِ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ لَهُمْ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيَظْهَرُ هَذَا كُلَّ الظُّهُورِ يَوْمَ التَّغَابُنِ، يَوْمَ يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ أَنَّهُ غُبِنَ فِي الْعَقْدِ الَّذِي عَقَدَهُ لِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالتِّجَارَةِ الَّتِي اتَّجَرَ فِيهَا لِمَعَادِهِ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَتَّجِرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِآخِرَتِهِ.»

وهذا النوع من التجارة الذي يتحدث عنه هو التجارة الرابحة والغنيمة الواضحة﴿ هَل أَدُلُّكُم عَلى تِجارَةٍ تُنجيكُم مِن عَذابٍ أَليمٍ﴾ [الصف - 61:10]

فهذه التجارة العظيمة الرابحة الغانمة كثير من الناس يُغلب عليها، ويُغبن فيها، ويكون فيها خاسرا, بل كثير من الناس يُضحي بهذه التجارة الرابحة العظيمة التي تُنجي صاحبها من العذاب الأليم، يُضحي بها

في سبيل نيل شيء من تجارة الدنيا ,ولهذا كم أمور الدين العظيمة تُضيع من أجل أن يُحّصل الإنسان شيء من مُتعِ الدنيا، أو من المال في هذه الحياة الدنيا ,

ولهذا ينبغي أن يُعرف في هذا الباب قاعدة مهمة جدا، وهي أن الدين هو رأس المال، إذا دخل الإنسان في أي تجارة من التجارات -يجب عليه أن يعتبر أن الدين هو رأس المال -فإذا كانت هناك أرباحاً على حساب رأس المال الحقيقي وهو الدين فلا خير فيها، وهي محوقة البركة حتى لو كانت أموالاً كثيرة طائلة، فإنها أموال لا بركة فيها : أي بركة في مال يُحّصله المرء على حساب رأس ماله الحقيقي الذي هو دينه وطاعته لربه -سبحانه وتعالى-

وبالمقابل فإن من يحافظ على رأس المال ولو فاته شيء من أمور الدنيا هو الرابح حقيقة، وله نصيب وافر من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه)).

«فَالْخَاسِرُونَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرِّبْحِ وَالْكَسْبِ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَحَظَّهُمْ فِيهَا وَلَذَّاتِهِمْ، بِالْآخِرَةِ وَحَظِّهِمْ فِيهَا، فَأَذْهَبُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَاسْتَمْتَعُوا بِهَا، وَرَضُوا بِهَا، وَاطْمَأَنُّوا إِلَيْهَا، وَكَانَ سَعْيُهُمْ لِتَحْصِيلِهَا، فَبَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَاتَّجَرُوا وَبَاعُوا آجِلًا بِعَاجِلٍ، وَنَسِيئَةً بِنَقْدٍ، وَغَائِبًا بِنَاجِزٍ، وَقَالُوا: هَذَا هُوَ الْحَزْمُ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ..
فَكَيْفَ أَبِيعُ حَاضِرًا نَقْدًا مُشَاهَدًا فِي هَذِهِ الدَّارِ بِغَائِبٍ نَسِيئَةً فِي دَارٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ؟ وَيَنْضَمُّ إِلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْإِيمَانِ وَقُوَّةُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَمَحَبَّةُ الْعَاجِلَةِ وَالتَّشَبُّهُ بِبَنِي الْجِنْسِ»

هذه مصيبة كثير من الناس؛ لأن التجارة الدنيوية إذا لم تُضبط بضوابط الشرع، وتكون خطوات التاجر فيها مضبوطة بضوابط الشرع تكون فتنة، وباب هلكة على المرء؛ لأنها ستدخله في أعمال محرمة، وصفات ذميمة، وأخلاق مشينة، وتدخله في تهاون في فرائض وواجبات، وتعدٍ لحدود شرع الله -سبحانه وتعالى-، إذا لم تكن مضبوطة بضوابط الشرع هذه حالها ,ثم يُصبح المرء إلى هذه الحال التي أشار إليها ابن القيم -رحمه الله تعالى- يَعتبر أن فعله هذا هو الحزم، يحصل شيئا حاضرا، ولا يفكر في الموعود به في الدار الآخرة، والثواب العظيم الذي أعده الله حتى، وإن خسره يقول هذا شيء حاضر وهذا ربح حاضر يقع في يدي الآن لا أفوته في شيء أوعد به في دار أخرى غير هذه

الدار ,وهذا من الضياع -والعياذ بالله- والحرمان العظيم والخسران المبين، وهذا الخسران يتبين تبينا واضحا ظاهرا في يوم التغابن.

« فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ الْخَاسِرَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي أَهْلِهَا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 86] »

ولهذا يجب على المرء أن يحذر أشد الحذر من هذه الصفة الذميمة، ولا أن يكن له منها ولا نصيب قليل الذي هو اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، حتى النصيب القليل يحذر أن يشتري شيئا من الدنيا أو يُحّصل شيئا من الدنيا على حساب الآخرة، وضياع حظه فيها

«، وَقَالَ فِيهِمْ: {فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 16] »

هذا النوع من التجارة تجارة خاسرة ليست برابحة، خاسرة الخسران المبين ,ولا يكون المرء رابحا في تجارته إلا بطاعته لربه -سبحانه وتعالى-

« قال : ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ظَهَرَ لَهُمُ الْغَبْنُ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ، فَتَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا النُّفُوسُ حَسَرَاتٍ.»

يوم التغابن هذا اسم من أسماء اليوم الآخر واليوم الآخر له أسماء كثيرة، وكثرة أسماء اليوم الآخر من كثرة صفاته وأحواله ,ولهذا كل اسم من أسماء اليوم الآخر الواردة في الكتاب والسنة وهي كثيرة يدل على صفة لذلك اليوم، أو حال من أحوال ذلك اليوم ,فلما كان في اليوم الآخر يحصل الغُبن لهؤلاء حيث يدركون الخسران العظيم الذي نالوه وحصلوه بسبب تضيييعهم لدينهم، كان من أسماء ذلك اليوم "يوم التغابن" :لما يحصل فيه من هذا الغبن العظيم لهؤلاء .

قال : وَأَمَّا الرَّابِحُونَ فَإِنَّهُمْ بَاعُوا فَانِيًا بِبَاقٍ، وَخَسِيسًا بِنَفِيسٍ، وَحَقِيرًا بِعَظِيمٍ، وَقَالُوا: مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، حَتَّى نَبِيعَ حَظَّنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِهَا؟.

هؤلاء هم الأكياس وخيار الناس ,وأفضلهم الذين عرفوا ووازنوا بين الأمور ، وسعوْا فيما فيه رفعتهم وصلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، فكانوا هم الرابحين حقا .

فَكَيْفَ بما يَنَالُ الْعَبْدُ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ، لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ أَلْبَتَّةَ

اضرب مثالًا يوضح القِصر هذا الذي يشير له ابن القيم رحمه الله :-

لو قُدر أنّ رجلا سافر في تجارة محرمة، وفيها ربح دنيوي كبير جدا ونسبة الربح عالية -لكنها محرمة- إما ربا أو غش أو خداع أو غير ذلك.., ثم حصَّل تلك الأموال الطائلة وأودعها في حسابه ورجع إلى بلده ثم قُدر عليه ومات في الطريق, أي خسران هذا؟حتى المال هذا الذي حصَّله الطائل ربما لا يستمتع به! فيصبح لورثته غُنم هذا المال وعليه الغرم ,يحاسب عليه ويعاقبه الله عليه، وهو أصلا ما استمتع به، ولا انتفع به..,ولهذا من النافع جدا في مثل هذه التجارات أن يجعل الإنسان الموت ولقاء الله بين عينيه، حتى يحسب حسابا لأعماله وبيعه وتجاراته في صفائها ونقائها وسلامتها .

قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} [سُورَةُ يُونُسَ: 45] .
وَقَالَ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا - فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا - إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا - إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا - كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: 42 - 46] .
وَقَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ} [سُورَةُ الْأَحْقَافِ: 35] .
وَقَالَ تَعَالَى: {كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ - قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ - قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ: 112 - 114] .وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا - يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا - نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} [سُورَةُ طه: 102 - 104] . فَهَذِهِ حَقِيقَةُ الدُّنْيَا عِنْدَ مُوَافَاةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

يقول ابن القيم رحمه الله: هذه حقيقة الدنيا عند موافاة يوم القيامة ,يعني تظهر هذه الحقيقة في الدار الآخرة لكن في الدنيا ما الذي يظهر في الغالب لكثير من الناس؟يعيش في ماذا ؟ -في طول الأمل .

قد تكون منيته غدا ومفارقته لهذه الحياة غدا، وعنده من طول الأمل أربعين سنة خمسين سنة ستين سنة، ومنيته غدا ،ولهذا طول الأمل يورث الحرص على الدنيا والتكالب عليها وإذا صار مع طول الأمل خلل في السلوك كم هي الجناية التي يجنيها المرء على نفسه حينئذ ؟!

وقول النبي عليه الصلاة والسلام لابن عمر رضي الله عنه : "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ،

هذا معالجة لهذه المسألة التي هي طول الأمل فيصلح دينه وليس معنى ذلك أنه يُغفل ما يكون به قوام عيشه وصلاح أمره في دنياه.

قال: فَلَمَّا عَلِمُوا قِلَّةَ لُبْثِهِمْ فِيهَا، وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ، هِيَ دَارُ الْحَيَوَانِ وَدَارُ الْبَقَاءِ - رَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ بَيْعَ دَارِ الْبَقَاءِ بِدَارِ الْفَنَاءِ، فَاتَّجَرُوا تِجَارَةَ الْأَكْيَاسِ، وَلَمْ يَغْتَرُّوا بِتِجَارَةِ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ، فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابُنِ رِبْحُ تِجَارَتِهِمْ وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْهُ، وَكُلُّ أَحَدٍ فِي هَذِهِ الدار بَائِعٌ مُشْتَرٍ مُتَّجِرٌ، وَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا.

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سُورَةُ التَّوْبَةِ: 111] .

فَهَذَا أَوَّلُ نَقْدٍ مِنْ ثَمَنِ هَذِهِ التِّجَارَةِ، فَتَاجِرُوا أَيُّهَا الْمُفْلِسُونَ، وَيَا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الثَّمَنِ،ها هُنَا ثَمَنٌ آخَرُ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ التِّجَارَةِ فَأَعْطِ هَذَا الثَّمَنَ:

{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ التَّوْبَةِ: 112] .

هذه الآية جاءت في سورة التوبة تلي الآية المتقدمة التي فيها هذا العقد العظيم،﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَموالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ [التوبة :111]

فمن الثمن لهذه الجنة وتحصيل هذه التجارة الرابحة هذه الأعمال التي ذكرت في هذه الآية الكريمة﴿التّائِبونَ العابِدونَ الحامِدونَ السّائِحونَ ﴾

وفي معنى السائحين أقوال أظهرها أي: الصائمين

﴿ الرّاكِعونَ السّاجِدونَ الآمِرونَ بِالمَعروفِ وَالنّاهونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحافِظونَ لِحُدودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ﴾[التوبة: 112]

قوله: { وَبَشِّرِ المُؤمِنين } في خاتمة(هذه) السياق فيه أن الايمان تدخل فيه هذه الأعمال وتدخل في مسماه فهي من جملة أعمال الايمان فالإيمان ليس مجرد عقيدة في القلب بل الإيمان توبة وحمد وعبادة وركوع وسجود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ..كل هذا من أعمال الايمان.

"قال - رحمه الله - قال الله : ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا هَل أَدُلُّكُم عَلى تِجارَةٍ تُنجيكُم مِن عَذابٍ أَليمٍ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سُورَةُ الصَّفِّ: 10 - 11] .وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ تُنْسِي الْعَبْدَ حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، وَتَشْغَلُهُ بِأسباب التِّجَارَةِ الْخَاسِرَةِ، وَكَفَى بِذَلِكَ عُقُوبَةً، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

[فَصْلٌ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ الْحَاضِرَةَ، وَتَقْطَعُ النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ، فَتُزِيلُ الْحَاصِلَ، وَتَقْطَعُ الْوَاصِلَ، فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ مَفْقُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ

يقول - رحمه الله تعالى - من عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة, فالنعم الحاضرة أي: الموجودة عند الإنسان تزيلها الذنوب وتذهبها والنعم الواصلة التي هي في طريقها إلى العبد واصلة إليه فالذنوب تحول بينه وبين وصول هذا الخير له. وعلى الضد من ذلك الطاعة والشكر لله سبحانه وتعالى يسمى الحافظ، الجالب؛ لأنه يحفظ الموجود ويجلب المفقود

والمعاصي على العكس من ذلك.. مثل ما ذكر ابن القيم رحمه الله تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل يعني الموجود عند العبد وتمنع الواصل الذي هو في طريقه إلى العبد فإن نعم الله

ما حُفِظ موجودها بمثل طاعته ولا استُجلِب مفقودها بمثل طاعته فإن ما عنده لا ينال إلا بطاعته: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الأعراف: ٩٦]

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَآفَةً، سَبَبًا يَجْلِبُهُ، وَآفَةً تُبْطِلُهُ، فَجَعَلَ أَسْبَابَ نِعَمِهِ الْجَالِبَةِ لَهَا طَاعَتَهُ، وَآفَاتِهَا الْمَانِعَةَ مِنْهَا مَعْصِيَتَهُ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ حِفْظَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَلْهَمَهُ رِعَايَتَهَا بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَإِذَا أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ خَذَلَهُ حَتَّى عَصَاهُ بِهَا.

هذه قاعدة في الباب أن الله عز وجل جعل لكل شيء سببا وآفة سببا أي لتحصيله وآفة الحرمان منه وخسرانه وسبب الخيرات: طاعة الله سبحانه وتعالى, وسبب الحرمان وزوال الخيرات وذهاب البركة: المعاصي والذنوب

وَمِنَ الْعَجَبِ عِلْمُ الْعَبْدِ بِذَلِكَ مُشَاهَدَةً فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَسَمَاعًا لِمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ أُزِيلَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَنْهُ بِمَعَاصِيهِ،.

نعم ,حتى مع وجود العلم بهذا والوقوف عليه في الأدلة وسماع المواعظ والتذكير وأيضا أخبار المهلَكين بسبب المعاصي والذنوب يكون على علم بها والوعيد المترتب عليها ثم مع ذلك كله تغلبه نفسه -والعياذ بالله- فيقع في ما وقع فيه هؤلاء.

قال: وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَثْنًى مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، أَوْ مَخْصُوصٌ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ،

كأنه مستثنى من هذه الجملة :يعني العقوبات التي أصابت أولئك بسبب هذه الذنوب كأن عنده أمان بالسلامة منها وأنه لن يصيبه ما أصابهم والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[هود: ٨٣]

قال: وكأن هذا أمر جار على الناس لا عليه

سبحان الله بعض الناس يسمع بعض المواعظ الزاجرة فلا يظن أنها تعنيه ويظن أنها لغيره أما

هو لا تعنيه ولهذا يقرأ مثلا الآيات في القرآن أو يسمع الأحاديث وفيها أمور تعنيه هو في مخالفات هو واقع فيها فيقرأها وكأنها لا تعنيه وكأن الأمر لا يخصه أو يقصده.

وواصل إلى الخلق لا إليه

واصل إلى الخلق لا إليه أما هو معافى من ذلك ولا يعنيه ذلك

فَأَيُّ جَهْلٍ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّ ظُلْمٍ لِلنَّفْسِ فَوْقَ هَذَا؟ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وتوفيقا وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

يقول العلامة ابن القيم الجوزية -رحمه الله- وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء

« وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُبَاعِدُ عَنِ الْعَبْدِ وَلِيَّهُ وَأَنْفَعَ الْخَلْقِ لَهُ وَأَنْصَحَهُمْ لَهُ، وَمَنْ سَعَادَتُهُ فِي قُرْبِهِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، وَتُدْنِي مِنْهُ عَدُوَّهُ وَأَغَشَّ الْخَلْقِ لَهُ، وَأَعْظَمَهُمْ

ضَرَرًا لَهُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَصَى اللَّهَ تَبَاعَدَ مِنْهُ الْمَلَكُ بِقَدْرِ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ، حَتَّى إِنَّهُ يَتَبَاعَدُ مِنْهُ بِالْكِذْبَةِ الْوَاحِدَةِ مَسَافَةً بَعِيدَةً.

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ مِنْهُ الْمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتْنِ رِيحِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا تَبَاعُدَ الْمَلَكِ مِنْهُ مِنْ كِذْبَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَاذَا يَكُونُ مِقْدَارُ بُعْدِهِ مِنْهُ مِمَّا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَفْحَشُ مِنْهُ؟

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا رُكِبَ الذَّكَرُ عَجَّتِ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ وَهَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى رَبِّهَا، وَشَكَتْ إِلَيْهِ عَظِيمَ مَا رَأَتْ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ ابْتَدَرَهُ الْمَلَكُ وَالشَّيْطَانُ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَحَمِدَهُ وَهَلَّلَهُ، طُرِدَ الشَّيْطَانُ وَتَوَلَّاهُ الْمَلَكُ، وَإِنِ افْتَتَحَ بِغَيْرِ ذَلِكَ ذَهَبَ الْمَلَكُ عَنْهُ وَتَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد :

فيذكر هنا الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- عُقوبة أخرى من عواقب الذنوب وعقوباتها، ألا وهي أنها تُبعد الملائكة وتُقرب الشياطين ,فالمعاصي جلابة للشياطين ومُبعدة للملائكة، وقُرب الشياطين من المرء شر عليه، وشر على المكان الذي هو فيه، وشر على بيته

ولهذا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر في أحاديث عن أعمال وأمور أنها إذا وجدت أتت بالشياطين واستدعت حضور الشياطين في المكان : « إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة » هذا عمل يبعد الملائكة وإبعاد الملائكة يعني تقريب الشياطين، «إن الشياطين لا تدخل بيتا تُقرأ فيه سورة البقرة)(أو تفر من بيت تقرأ فيه سورة البقرة» فهذا يبعد الشياطين ويقرب الملائكة

وهذه مسألة مُهمة في حياة المرء يجب عليه:

- أن يكون على الأعمال التي تُبعده عن أهل الشر وأعظمهم الشياطين، وتُدنيه من أهل الخير وأعظمهم الملائكة ,وهذا باب في الفقه عظيم ينبه عليه ابن القيم -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل ,وكل من الملائكة والشياطين لا يراهم المرء لكن السنة عن نبينا عليه الصلاة والسلام دلت على مراعاة هذا الأمر,
- وأن يحرص على ألا يأتي بعملٍ يبعد الملائكة أو يؤذي الملائكة أو يجعل الملائكة تبتعد من مكانه؛ لأن بعد الملائكة عن مكانه هذا من أسباب حلول الشر والبلاء وأيضًا أن يحذر من الأسباب والأعمال التي تُدني الشياطين منه فإن دنو الشياطين منه يعني حلول الشر والبلاء

والمعاصي لها خطورة عظيمة جدا في هذا الباب فهي تبعد الملائكة وتقرب الشياطين, وقرب الشياطين من المرءِ التوغل في الشر؛ لأن هذه الصحبة للشياطين بسبب المعاصي تعني زيادة الشر؛ لأن الشياطين لا تعين من يصحبها إلا إلى شرٍ وفساد ولهذا لا خير في أعمالٍ تُدني الشياطين من العبد وتبعد عنه ملائكة الرحمن.

وَلَا يَزَالُ الْمَلَكُ يَقْرُبُ مِنَ الْعَبْدِ حَتَّى يَصِيرَ الْحُكْمُ وَالطَّاعَةُ وَالْغَلَبَةُ لَهُ، فَتَتَوَلَّاهُ الْمَلَائِكَةُ فِي حَيَاتِهِ وَعِنْدَ مَوْتِهِ وَعِنْدَ بَعْثِهِ

هذه من بركة قرب الملائكة بالطاعة -طاعة الله سبحانه وتعالى- فهذه لها بركة وهي :إن الملائكة تتولاه في حياته وعند موته وقريبة منه بالبشارة بالخير والرفعة عند الله سبحانه وتعالى تتولاه الملائكة وتكون قريبة منه ,وهذا من ثمار طاعة الرحمن سبحانه وتعالى؛ لأن الطاعة تجعل للمطيع مودةً في قلوب الصالحين وأهل الخير ومن أعظم ذلك المودة التي يجعلها الله له في قلوب الملائكة فتحبه

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا} [مريم : 96]

هذه المودة التي يجعلها الله له تتناول حتى الملائكة كما يبين ذلك الحديث قال عليه الصلاة والسلام : ((إذا أحب الله العبد نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فتحبه الملائكة ثم يجعل له القبول في الأرض)) , فالطاعة من ثمارها محبة الملائكة للمطيع والمعصية على العكس من ذلك من ثمارها محبة الشياطين للعاصي ودنوها منه.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)} [فصلت : 30-31].

وَإِذَا تَوَلَّاهُ الْمَلَكُ تَوَلَّاهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ وَأَنْفَعُهُمْ وَأَبَرُّهُمْ، فَثَبَّتَهُ وَعَلَّمَهُ، وَقَوَّى جَنَانَهُ، وَأَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى::{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال : 12] فَيَقُولُ الْمَلَكُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ وَأَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ

لا تخف ولا تحزن وأبشر بالذي يسرك: هذا دلّت عليه الآية المتقدمة التي ذكر المصنف { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } فصلت :٣٠,أي أن هذا التنزل للملائكة من ثمار استقامتهم على طاعة الله " تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ":.تتنزل عليهم بهذه الخيرات، بهذه البركات، بهذه البشائر العظيمات .

وَيُثَبِّتُهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْقَبْرِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ.
فَلَيْسَ أَحَدٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ مِنْ صُحْبَةِ الْمَلَكِ لَهُ، وَهُوَ وَلِيُّهُ فِي يَقَظَتِهِ وَمَنَامِهِ، وَحَيَاتِهِ وَعِنْدَ مَوْتِهِ وَفِي قَبْرِهِ، وَمُؤْنِسُهُ فِي وَحْشَتِهِ، وَصَاحِبُهُ فِي خَلْوَتِهِ، وَمُحَدِّثُهُ فِي سِرِّهِ، وَيُحَارِبُ عَنْهُ عَدُوَّهُ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيُعِينُهُ عَلَيْهِ

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

، وَيَعِدُهُ بِالْخَيْرِ وَيُبَشِّرُهُ بِهِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْحَقِّ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ الَّذِي يُرْوَى مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا: «إِنَّ لِلْمَلَكِ بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّةً، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ الْمَلَكِ: إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْوَعْدِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ: إِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ» .

يقول رحمه الله تعالى: " فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملائكة له هذه الصحبة لا يفرط فيها العاقل بل يحرص على حفظها والمحافظة عليها والعمل على أسباب تميتها وبقائها هذا عين العقل: صحبة لا يفرط فيها لا يفرط في صحبة الملائكة عاقل بل صحبتهم غنيمة والطاعات عموما تُفضي إلى تحقق هذه الصحبة لملائكة الرحمن ,-لا يفرط في صحبتهم- بل يحافظ ويحرص عليها والعمل على أسباب تميتها وبقائها، لأن صحبتهم غنيمة والطاعات عموماً تفضي إلى صحبة الملائكة،

وإذا ابتعد المرء عن الطاعة ودخل في المعصية خرج من هذه الصحبة ودخل في صحبة الشيطان، وأصبح أصحابه الشياطين هم الذين يتولونه و هم الذين يحركونه ويؤزونه إلى المعاصي أزاً

وفي الأثر الذي ذكر رحمه الله: أن للمَلَك لمة وللشيطان لمة

أي لمة للقلب: وهي الخطرة التي تكون في القلب، فلمة الملک إيعاد بالخيــر وتصديق بالوعد، ولمـة الشيطان إيعاد بالشـــر وتكذيب بالحق،

وهذا يوضح أن صحبة الملائكة خير كلها وصحبة الشياطين شر كلها وموجبات صحبة الملائكة طاعة الله وموجبات صحبة الشياطين معصية الله سبحانه وتعالى.

وَإِذَا اشْتَدَّ قُرْبُ الْمَلَكِ مِنَ الْعَبْدِ تَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ، وَأَلْقَى عَلَى لِسَانِهِ الْقَوْلَ السَّدِيدَ، وَإِذَا بَعُدَ مِنْهُ وَقَرُبَ الشَّيْطَانُ، تَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفُحْشِ، حَتَّى يُرَى الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ الْمَلَكُ وَالرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ الشَّيْطَانُ وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ» - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ الصَّالِحَةَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَيَقُولُ: مَا أَلْقَاهُ عَلَى لِسَانِكَ إِلَّا الْمَلَكُ، وَيَسْمَعُ ضِدَّهَا فَيَقُولُ: مَا أَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ. فَالْمَلَكُ يُلْقِي بِالْقَلْبِ الْحَقَّ وَيُلْقِيهِ عَلَى اللِّسَانِ، وَالشَّيْطَانُ يُلْقِي الْبَاطِلَ فِي الْقَلْبِ وَيُجْرِيهِ عَلَى اللِّسَانِ.

ولهذا أُمر العبـد عند اشتداد غضبه وحصول الغضب أن يتعوذ بالله من الشيطان لماذا؟ - لأن الشيطان يحضر ساعة الغضب، وينتهزها فرصة، ليلقـي على لسانه من الكلام ما يترتب عليه الفساد العظيم والشر الكبير ، من الكلام القبيح والألفاظ البذيئة والجرأة الخطيرة في الأقوال السيئة القبيحة؛ لأن الشيطان يحضر فإذا استعاذ بالله .من الشيطان ذهب ولم يكن له أي فرصة ليلقي على لسان المستعيذ بالله من الشيطان الرجيم أي كلام من مثل هذا

فالشيطان يحضر في مثل هذا ويلقي على لسان المتحدث ولهذا قد يتحدث الإنسان في بعض لحظاته على لسان الشيطان بما يمليه عليه الشيطان ويخطره في قلبه من السوء والقبح والفساد وهذا كله من عواقب المعاصي الوخيمة وأضرارها على العبد

قال: فمن عقوبة المعاصي أنها تبعد من العبد وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته وموالاته -يعني الملائكة- وتدني منه عدوه الذي شقاؤه وهلاكه وفساده في قربه وموالاته - وهم الشياطين-

حَتَّى إِنَّ الْمَلَكَ لَيُنَافِحُ عَنِ الْعَبْدِ، وَيَرُدُّ عَنْهُ إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِ السَّفِيهُ وَسَبَّهُ، كَمَا اخْتَصَمَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلَانِ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَسُبُّ الْآخَرَ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَرُدُّ بِهَا عَلَى صَاحِبِهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ قُمْتَ، فَقَالَ: «كَانَ الْمَلَكُ يُنَافِحُ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ» .

وَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ أَمَّنَ الْمَلَكُ عَلَى دُعَائِهِ، وَقَالَ: «وَلَكَ بِمِثْلٍ» .

وَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ أَمَّنَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى دُعَائِهِ.

وَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ الْمُوَحِّدُ الْمُتَّبِعُ لِسَبِيلِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - اسْتَغْفَرَ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ.

وَإِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَلَى وُضُوءٍ بَاتَ فِي شِعَارِ مَلَكٍ.وكلما استيقظ من الليل استغفر له

فَمَلَكُ الْمُؤْمِنِ يَرُدُّ عَنْهُ وَيُحَارِبُ وَيُدَافِعُ عَنْهُ، وَيُعَلِّمُهُ وَيُثَبِّتُهُ وَيُشَجِّعُهُ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُسِيءَ جِوَارَهُ وَيُبَالِغَ فِي أَذَاهُ وَطَرْدِهِ عَنْهُ وَإِبْعَادِهِ

إذا دخل في المعاصي وصحبة العصاة ومجالس المعصية وأولع بهذا الأمر حصل منه هذا الذي يحذر منه ابن القيم رحمه الله بقوله :فلا يليق به أن يسيء جواره وأن يبالغ في أذاه وطرده عنه وإبعاده لا يليق به؛ لأن صحبة هؤلاء غنيمة فإذا دخل في طريق المعصية وصحبة العصاة والفساق وأهل الفجور فمعنى ذلك أنه: جنى على نفسه بإبعاد هؤلاء الملائكة عنه.

، فَإِنَّهُ ضَيْفُهُ وَجَارُهُ. وَإِذَا كَانَ إِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَمُوجِبَاتِهِ

كما قال عليه الصلاة والسلام: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكرم ضيفه – حتى يكرم جاره)) هذا الجار من الآدميين فكيف بهؤلاء الملائكة الكرام الأطهار البررة

، فَمَا الظَّنُّ بِإِكْرَامِ أَكْرَمِ الْأَضْيَافِ، وَخَيْرِ الْجِيرَانِ وَأَبَرِّهِمْ؟ - يقصد الملائكة-

وَإِذَا آذَى الْعَبْدُ الْمَلَكَ بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ دَعَا عَلَيْهِ رَبَّهُ، وَقَالَ: لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كَمَا يَدْعُو لَهُ إِذَا أَكْرَمَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ.

قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -: إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ.

من لا يُفارقكم يقصد الملائكة. وهؤلاء ينبغي أن يُكرِمَ المرء هذِهِ الصحبة من الملائكةِ له والمرافقة من الملائكةِ له،

وَلَا أَلْأَمَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ، وَلَا يُجِلُّهُ وَلَا يُوَقِّرُهُ، وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ - كِرَامًا كَاتِبِينَ - يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [سُورَةُ الِانْفِطَارِ: 10 - 12] أَيِ اسْتَحْيُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْحَافِظِينَ الْكِرَامِ وَأَكْرِمُوهُمْ، وَأَجِلُّوهُمْ أَنْ يَرَوْا مِنْكُمْ مَا تَسْتَحْيُونَ أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ، وَالْمَلَائِكَةُ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ، وَإِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ يَتَأَذَّى مِمَّنْ يَفْجُرُ وَيَعْصِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنْ كَانَ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِأَذَى الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قوله عليه الصلاة والسلام : والملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم هذا نعرف قصة إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر وأنه يتعلق بمن أكل ثومًا أو بصَلا؛ لأن هذا يؤذي المصلين والذي يؤذي المصلين يؤذي الملائكة، فلما قال عليه الصلاة والسلام "إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم" هذا يقتضي أن يتجنب الأمر الذي يؤذي الملائكة ، بل أن يحرص على الأمور التي تقربهم

فهذه قاعدة بل فائدة عظيمة تستفاد من هذا الحديث: أن العبد ينبغي أن يحرص على الأمور التي تقرب الملائكة وتدنيهم منه فإن قربهم منه ودنوهم منه وهذه غنيمة عظيمة للعبد وأن يحرص في الوقت نفسه على البعد عن الأعمال التي تؤذي الملائكة ،

فإيذاء هؤلاء الكرام البررة عمل لا يليق بالرجل الشهم الكريم الفاضل الخَيّر -لا يليق به أن يأتي بعمل يؤذي الملائكة -والملائكة كما أخبر نبينا عليه الصلاة والسلام تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ،

وأجدها مناسبة ذكر هذا الحديث- (أن بعض الصائمين عسى الله عز وجل للجميع التوفيق والقبول والبركة بعضهم يجعل مما يمسك عليه أو من آخر ما يمسك عليه في السحور شُرب الدُخان ثم يدخل المصلى أو المسجد وهو شرب هذا الدخان قبل قليل وربما أن بعضهم على مقربة من باب المسجد الذي يصليه يطفئ هذا الدخان ثم يدخل بهذه الرائحة الكريهة فيؤذي المصلين ويؤذي الملائكة

والدخان له رائحة كريهة مؤذية أشد الأذى والمدخن لكونه يتعاطاه لا يشعر بهذا ويظن أنها رائحة يعني عادية جدا لكن الواقع أنها تؤذي الإنسان أشد الأذى وتتعبه حتى في صلاته فلا يستطيع أن يخشع ولا يستطيع أن يطمئن وإذا اشتدت الرائحة حتى بعض المصلين يفكر أن يترك الصلاة وينتقل إلى مكان آخر حتى يسلم من هذا الأذى فكيف يرضى هذا المبتلى بالدخان أن يصل إلى هذه المرحلة الشديدة في إيذاء المصلين وإيذاء الملائكة -ملائكة الرحمن- فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم والذي ينبغي على المدخن هو أن يستغل شهر الصيام لترك الدخان كلية وأن يستفيد من شهر الصيام العظيم المبارك ليترك هذا الدخان الذي لا خير فيه ولا منفعة بل هو مضرة بحتة وشر بحت ولا نفع فيه أبدا

فشهر الصيام فرصة له أن يترك هذا الدخان فإن لم يستطع تركه فليتجنب هذا الأذى العظيم لإخوانه المصلين بحيث لا يقرب هذا الدخان الوقت الذي يقبل فيه أو يدنو فيه وقت الصلاة.

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْمَعَاصِي مَجْلَبَةُ الْهَلَاكِ]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْتَجْلِبُ مَوَادَّ هَلَاكِ الْعَبْدِ مِنْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، فَإِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَمْرَاضٌ، مَتَى اسْتَحْكَمَتْ قَتَلَتْ وَلَابُدَّ، وَكَمَا أَنَّ الْبَدَنَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا إِلَّا بِغِذَاءٍ يَحْفَظُ قُوَّتَهُ، وَاسْتِفْرَاغٍ يَسْتَفْرِغُ الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ وَالْأَخْلَاطَ الرَّدِيَّةَ، الَّتِي مَتَى غَلَبَتْ أَفْسَدَتْهُ، وَحِمْيَةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا مِمَّا يُؤْذِيهِ وَيَخْشَى ضَرَرَهُ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا تَتِمُّ حَيَاتُهُ إِلَّا بِغِذَاءٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، تَحْفَظُ قُوَّتَهُ، وَاسْتِفْرَاغٍ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، تَسْتَفْرِغُ الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ وَالْأَخْلَاطَ الرَّدِيَّةَ مِنْهُ، وَحِمْيَةٍ تُوجِبُ لَهُ حِفْظَ الصِّحَّةِ وَتَجَنُّبَ مَا يُضَادُّهَا، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ مَا يُضَادُّ الصِّحَّةَ.

وَالتَّقْوَى: اسْمٌ مُتَنَاوِلٌ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَمَا فَاتَ مِنْهَا فَاتَ مِنَ التَّقْوَى بِقَدَرِهِ.

يقول: ومن عقوبات الذنوب أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فإن الذنوب هي أمراض متى استحكمت قتلت ولابد ,وكما أن البدن لا يكون صحيحا إلا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاق الرديئة وحمية يمتنع بها عما يؤذيه

هذا يقول أمر نعهده بل كثير من الناس يعتني به عناية دقيقة: مسألة الطعام والغذاء يعتني به عناية دقيقة:

- من جهة الغذاء الصحيح الذي يكون به صحة البدن وسلامته وقوته,
- ومن جهة استفراغ المواد الفاسدة ,والأخلاط إذا وجدت فيأخذ من الأدوية أو الأشربة أو نحو ذلك الذي يخرج عنه الأخلاط الفاسدة التي بقاءها بقاء مضرة على البدن,

والأمر الثالث: الحمية التي هي منع النفس من المؤذي أو الشيء الذي يخشى ضرره وتجد في كثير من الناس من يعتني بهذا الأمر عناية كبيرة جدا ويتفقه فيه ويسأل عن تفاصيله وفي كثير من مجالس الناس يتحدثون عن الحمية وما الذي يُنصح بأن يُتقى من الطعام وإذا حدث أحدهم أن الطعام الفلاني أو الشراب الفلاني فيه فوائد كذا وكذا وكذا للبدن أقبلوا عليه وتنافسوا على شربه أو أكله ,وإذا حدثوا عن نوع من الطعام أن فيه من المضرة كذا وكذا اتقوه و تجنبوه فهو حديث يهم الناس هذا التعامل مع الطعام بهذه الصفة ولا حرج في ذلك أن يوجد من المرء مثله أو أعظم منه فيما يتعلق بأمر الدين أولى وأجدر فتجد الإنسان يأخذ بحمية أحيانا تكون شديدة عليه اتقاء لبعض الأمراض

فيحتمي من بعض الأطعمة خوف مضرتها ولا يحتمي من المعاصي والذنوب خوف معرتها مع إن الاحتماء من المعاصي والذنوب أعظم المعاصي تفضي بالمرء إلى النار وهذه مضرة عظيمة شديدة على بدن المرء لا يحتملها وأما الأطعمة فإن مضرتها على البدن وهذا مطلوب الحمية منه وهذا مطلوب لكن أمر الدين أعظم وشأنه أجل.

قال : وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا فَالذُّنُوبُ مُضَادَّةٌ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَإِنَّهَا تَسْتَجْلِبُ الْمَوَادَّ الْمُؤْذِيَةَ وَتُوجِبُ التَّخْلِيطِ الْمُضَادَّ لِلْحِمْيَةِ، وَتَمْنَعُ الِاسْتِفْرَاغَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

هو رحمه الله قال قبل ذلك : فكذلك القلب لا تتم حياته إلا بغذاء من الايمان والعمل الصالح: تحفظ قوته هذا الأمر الأول,

والثاني: استفراغ بالتوبة النصوح تُستفرغ بها المواد الفاسدة والأخلاق الرديئة منه

والأمر الثالث: حمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم يتناول ذلك كله, يقول رحمه الله : المعاصي والذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة .

قال : فَانْظُرْ إِلَى بَدَنٍ عَلِيلٍ قَدْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْهِ الْأَخْلَاطُ وَمَوَادُّ الْمَرَضِ، وَهُوَ لَا يَسْتَفْرِغُهَا، وَلَا يَحْتَمِي لَهَا، كَيْفَ تَكُونُ صِحَّتُهُ وَبَقَاؤُهُ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

جِسْمُكَ بِالْحِمْيَةِ حَصَّنْتَهُ ... مَخَافَةً مِنْ أَلَمٍ طَارِي

وَكَانَ أَوْلَى بِكَ أَنْ تحتمي ... مِنَ الْمَعَاصِي خَشْيَةَ الْبَارِي

هذان البيتان عظيمان في هذا المعنى الجليل الذي دل عليه وهو يصور واقع كثير من الناس

يقول : جسمك بالحميّة حصنته: حصنت جسمك بالحميّة عن بعض الأطعمة, بعض الأشربة, بعض الأمور حفاظًا على الصحة, وبقاء الجسم سليمًا ,جسمك بالحميّة حصنته مخافة من ألم طارئ تخشى من مرض يطرأ عليك بسبب عدم العناية بهذه الحمية وهذا النوع من الحمية يحافظ عليه كثير من الناس حفظًا لصحته.

قال: وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي خشية الباري: تجنب المعاصي حمية واتقاء لسخط الباري سبحانه وتعالى أولى من الحمية من بعض الأطعمة ,وحمية الإنسان لنفسه من بعض الأطعمة الذي يخشى مضرتها عليه لا شيء في ذلك, لكن الحمية من المعاصي أولى فإذا كان يريد لجسمه الخير فمن الخير له ألا يعصي الله؛ لأن هذا مضرة على الجسم وموجب للعقوبة .

قال: فَمَنْ حَفِظَ الْقُوَّةَ بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَاسْتَعْمَلَ الْحِمْيَةَ بِاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَاسْتَفْرَغَ التَّخْلِيطَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

هذه خلاصة عظيمة جدًا قال : فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر امتثال الأوامر حفظ للقوة, ولهذا في الحديث(: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) وهذه القوة هي بالطاعة -طاعة لله -وامتثال أمره سبحانه وتعالى .

واستعمال الحمية باجتناب النواهي: أي البعد عن كل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه

واستفراغ التخليط بالتوبة النصوح؛ لأن التوبة تجب وتمحو بإذن الله سبحانه وتعالى

فهذا فيه استفراغ التخليط الذي قد يكون وقع فيه الإنسان قد قال : عليه الصلاة والسلام : "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "

قال : فمن كان كذلك لم يدع للخير مطلبًا ولا من الشر مهربًا والله المستعان

وبهذا يكون أنهى رحمه الله عد الأنواع التي أخذ يعدها رحمه الله والعواقب التي تترتب على الذنوب لكنه انتقل إلى فصل آخر من جنس هذا في التحذير من الذنوب وبيان مضارها على العبد من جهة ذكر العقوبات التي جاءت في الشريعة والعقوبات زواجر وروادع عن المعاصي والذنوب .

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .اللهم إقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا وأجعله الوارث منا وأجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . اللهم صل وسلم على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

جزاكم الله خيرًا

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فيقول بن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء

قال: [فَصْلٌ الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى الْمَعَاصِي]

فَإِنْ لَمْ تَرْدَعْكَ هَذِهِ الْعُقُوبَاتُ، وَلَمْ تَجِدْ لَهَا تَأْثِيرًا فِي قَلْبِكَ، فَأَحْضِرْهُ الْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَى الْجَرَائِمِ، كَمَا قَطَعَ الْيَدَ فِي سَرِقَةِ ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَقَطَعَ الْيَدَ وَالرِّجْلَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى مَعْصُومِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ، وَشَقَّ الْجِلْدَ بِالسَّوْطِ عَلَى كَلِمَةٍ قَذَفَ بِهَا الْمُحْصَنُ، أَوْ قَطْرَةِ خَمْرٍ يُدْخِلُهَا جَوْفَهُ، وَقَتَلَ بِالْحِجَارَةِ أَشْنَعَ قِتْلَةٍ فِي إِيلَاجِ الْحَشَفَةِ فِي فَرْجٍ حَرَامٍ، وَخَفَّفَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ عَمَّنْ لَمْ تَتِمَّ عَلَيْهِ نِعْمَةُ الْإِحْصَانِ بِمِائَةِ جَلْدَةٍ، وَيُنْفَى سَنَةً عَنْ وَطَنِهِ وَبَلَدِهِ إِلَى بَلَدِ الْغُرْبَةِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ رَأْسِ الْعَبْدِ وَبَدَنِهِ إِذَا وَقَعَ عَلَى ذَاتِ رَحِمٍ مِنْهُ، أَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، أَوْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ كُفْرٍ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ وَطِئَ ذَكَرًا مِثْلَهُ وَقَتْلِ الْمَفْعُولِ بِهِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ أَتَى بَهِيمَةً وَقَتْلِ الْبَهِيمَةِ مَعَهُ، وَعَزَمَ عَلَى تَحْرِيقِ بُيُوتِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي رَتَّبَهَا اللَّهُ عَلَى الْجَرَائِمِ، وَجَعَلَهَا بِحِكْمَتِهِ عَلَى حَسَبِ الدَّوَاعِي إِلَى تِلْكَ الْجَرَائِمِ، وَحَسَبِ الْوَازِعِ عَنْهَا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم صلِ وسلم على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ,اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. أما بعد ,

فلما أنهى المصنف رحمه الله تعالى عده لعقوبات الذنوب ,وأطال في عدها في فصول كثيرة وقد بلغت العقوبات التي ذكر رحمه الله تعالى ما يقرب من الخمسين عقوبة وعاقبة من عواقب الذنوب, ومضارها الوخيمة, وكل واحد من تلك العقوبات بحد ذاته كافي في ردع المرء عن اقتراف الذنوب وغشيانها ,فكيف بها وهي بهذه الكثرة؟! وبهذا العدد ؟! ولهذا فإن قراءة هذه العقوبات والتأمل فيها يعد من أعظم الروادع ,وأكبر الزواجر التي توقف الإنسان وتحجزه بإذن الله -سبحانه وتعالى- عن فعل الذنوب واقترافها .

لما أنهى -رحمه الله تعالى- عد ذلك عقد فصلًا جديدًا لبيان نوع آخر من الزواجر عن الذنوب :وهي الحدود -الحدود الشرعية المترتبة على عدد من المعاصي والجرائم والذنوب -وهذه الحدود الشرعية كما أنها جوابر في حق من اقترفها فإنها زواجر وروادع تردع الآخرين إذا تَذكروا أن هذا العمل يوجب في الشريعة تلك العقوبة , و حدّه في الشريعة يبلغ هذا الأمر من قطع ليد سارق أو جلد لشارب خمر أو رجم لزانٍ محصن أو جلد له مع التغريب إذا لم يكن محصنا ..إلى غير ذلك من الحدود و العقوبات الشرعيّة التي فيها أعظم ردع عن اقتراف هذه الذنوب, ولهذا لما ذكر الله -سبحانه و تعالى- قتل القاتل قال : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } لأنّ هذا يردع و يحفظ للإنسان نفسه من أن يُعتدى عليه في دمه ,و قل مثل ذلك في بقيّة الحدود الشرعيّة فإن فيها أعظم زاجر ، و لهذا قال ابن القيّم رحمه الله تعالى هنا : فإن لم تردعك هذه العقوبات :أي تخوّفك وهذا يقوله -رحمه الله تعالى- من باب التنويع في البيان و إلا مامن شك أن العقوبات التي تقدّمت كل واحد منها يخوّف المرء أشدّ التخويف و يحذّره منها أشدّ التحذير, فكيف بها مجتمعة تقرب من الخمسين عقوبة ؟، فأراد أن ينتقل إلى نوع آخر فقال : فإن لم تردعك هذه العقوبات: أي تخوّفك هذه العقوبات ولم تجد لها تأثيرا في قلبك هذا الذي لا يجد في هذه العقوبات كلها تأثيرا في قلبه ، قلبه في مرض شديد وفي بصيرته في عمى و إلاّ هذه العقوبات لا ريب أنها موقظات و تؤثر في القلب تأثيرا بالغا عظيما فمن لم يصل إلى قلبه تأثير لها وهو يقف عليها عقوبة تلوى الأخرى فهذا في قلبه مرض شديد وفي بصيرته عمى وهو على خطر ومثل هذا النوع قد لا يردعه إلا سطوة الحدود فتكفه عن بعض الجرائم لا يردعه منها خوف العقوبات على تلك الذنوب و إنما يردعه عنها الحدود ولهذا جاء في الأثر { إنّ الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن } يعني يوجد صنف من الناس إنما يؤثر فيه و يردعه مثل هذه الحدود ، فلا يكف مثلا عن السرقة خوفا من الله سبحانه تعالى والعقوبة التي هي يوم القيامة و القصاص الذي يوم القيامة ، و إنما يكف عن السرقة خوفا أن يُضبط و تُقطع يده ..وهكذا في المعاصي الأخرى ، فهذه الحدود الشرعيّة فيها زجر هذا من جهة ، من جهة أخرى أنّ المرء إذا تأمل في هذه العقوبات و قوّتها في حقّ من ارتكب تلك الأعمال يدرك أن الشريعة إنما جعلت هذه الحدود بهذه القوّة لأنّ هذه الأعمال حقيقة بمثل هذه العقوبات و الله سبحانه و تعالى حكيم عليم خبير جلّ وعلا مما يدل على أنّ هذه المعاصي أو الجرائم التي أوجبت هذه العقوبات عظائم وأمور كبار وأمرها خطير وضررها على المجتمعات عظيم جدا مما جعلها تستوجب مثل هذه العقوبات التي حُدت عقوبةً لهذه الأعمال في الشريعة -نعم.

قال رحمه الله: وَجَعَلَهَا بِحِكْمَتِهِ عَلَى حَسَبِ الدَّوَاعِي إِلَى تِلْكَ الْجَرَائِمِ، وَحَسَبِ الْوَازِعِ عَنْهَا.

فَمَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهُ طَبعِيًّا وَمَا لَيْسَ فِي الطِّبَاعِ دَاعٍ إِلَيْهِ اكْتُفِيَ بِالتَّحْرِيمِ مَعَ التَّعْزِيرِ، وَلَمْ يُرَتِّبْ عَلَيْهِ حَدًّا، كَأَكْلِ الرَّجِيعِ، وَشُرْبِ الدَّمِ، وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ.

وَمَا كَانَ فِي الطِّبَاعِ دَاعٍ إِلَيْهِ رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِقَدْرِ مَفْسَدَتِهِ، وَبِقَدْرِ دَاعِي الطَّبْعِ إِلَيْهِ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ دَاعِي الطِّبَاعِ إِلَى الزِّنَا مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي كَانَتْ عُقُوبَتُهُ الْعُظْمَى مِنْ أَشْنَعِ الْقِتْلَاتِ وَأَعْظَمِهَا، وَعُقُوبَتُهُ السَّهْلَةُ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْجَلْدِ مَعَ زِيَادَةِ التَّغْرِيبِ.

وَلَمَّا كَانَتْ جَرِيمَةُ اللِّوَاطِ فِيهَا الْأَمْرَانِ، كَانَ حَدُّهُ الْقَتْلُ بِكُلِّ حَالٍ، وَلَمَّا كَانَ دَاعِي السَّرِقَةِ قَوِيًّا وَمَفْسَدَتُهَا كَذَلِكَ، قَطَعَ فِيهَا الْيَدَ.

وَتَأَمَّلْ حِكْمَتَهُ فِي إِفْسَادِ الْعُضْوِ الَّذِي بَاشَرَ بِهِ الْجِنَايَةَ، كَمَا أَفْسَدَ عَلَى قَاطِعِ الطَّرِيقِ يَدَهُ وَرِجْلَهُ اللَّتَيْنِ هُمَا آلَةُ قَطْعِهِ، وَلَمْ يُفْسِدْ عَلَى الْقَاذِفِ لِسَانَهُ الَّذِي جَنَى بِهِ، إِذْ مَفْسَدَتُهُ تَزِيدُ عَلَى مَفْسَدَةِ الْجِنَايَةِ وَلَا يَبْلُغُهَا، فَاكْتَفَى مِنْ ذَلِكَ بِإِيلَامِ جَمِيعِ بَدَنِهِ بِالْجَلْدِ.

مراده- ابن القيم رحمه الله تعالى- بهذا البيان أن يوضح أن: هذه الحدود الشرعية لهذه الجرائم كل حد منها فيه حكمة عظيمة وإنما حُدّ من عليم خبير -سبحانه وتعالى - فكل حد من هذه الحدود على جريمة من هذه الجرائم هو بحسب حجم هذا الأمر من حيث الوازع وأيضا من حيث الطبع هل في الطبع داعٍ إليه أو لا ! ,ولهذا تنوعت العقوبات ولم تأتِ على مقدار واحد وإنما تنوعت بحسب الذنوب وحجمها والداعي إليها فتنوعت تنوعا واضحا فيها فكل ذنب منها له عقوبة تخصه تتناسب مع حجمه- نعم.

قال : قال رحمه الله: فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَّا أَفْسَدَ عَلَى الزَّانِي فَرْجَهُ الَّذِي بَاشَرَ بِهِ الْمَعْصِيَةَ.قِيلَ: لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مَفْسَدَةَ ذَلِكَ تَزِيدُ عَلَى مَفْسَدَةِ الْجِنَايَةِ، إِذْ فِيهِ قَطْعُ النَّسْلِ وَتَعْرِيضُهُ لِلْهَلَاكِ.

الثَّانِي: أَنَّ الْفَرْجَ عُضْوٌ مَسْتُورٌ، لَا يَحْصُلُ بِقَطْعِهِ مَقْصُودُ الْحَدِّ مِنَ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْجُنَاةِ، بِخِلَافِ قَطْعِ الْيَدِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ إِذَا قَطَعَ يَدَهُ أَبْقَى لَهُ يَدًا أُخْرَى تُعَوِّضُ عَنْهَا، بِخِلَافِ الْفَرْجِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ لَذَّةَ الزِّنَا عَمَّتْ جَمِيعَ الْبَدَنِ، فَكَانَ الْأَحْسَنُ أَنْ تَعُمَّ الْعُقُوبَةُ جَمِيعَ الْبَدَنِ، وَذَلِكَ أَوْلَى مِنْ تَخْصِيصِهَا بِبُضْعَةٍ مِنْهُ. .

يعني هذا فقط ذكره رحمه الله تعالى كمثال، لأن هذه العقوبات فيها حكمة بالغة عظيمة، وأن كل حدّ من هذه الحدود مناسب لما حُدَّ له ولما جُعِل عقوبة له، فأتى بهذا المثال للتوضيح، يقول مثلا إن قال قائل: اليد عندما سرقت قُطِعَت، فلماذا لم يكن الفرج مثلها إذا زنا يُقطع، لماذا لا يوحّد هذا الأمر؟ فبَيَّنَ أن الشريعة في مثل هذه الحدود لها حِكَم عظيمة و بالتأمّل قد يظهر بعضها وقد لا يظهر، لكن الأمر قطعا لله سبحانه وتعالى فيه حكمة، فهنا أشار إلى بعض الوجوه -رحمه الله تعالى- في الجواب على ذلك، ذكر:

الأوّل: منها أن مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجناية، إذ أن في القطع تعطيل للنّسل من جهة، و تعريض للمرء للهلاك -بخلاف قطع اليد- لا يحصل فيها هذا الأمر.

الثاني: أن الفرج عضو مستور، لا يحصل بقطعه محصول الحدّ من الردع والزجر ,وهذا يوضح لنا ما سبق الإشارة إليه، أن هذه الحدود زواجر وروادع, وفيها أعظم ردع للناس عن مثل هذه الأعمال، فالفرج عضو مستور بخلاف قطع اليد.

الثالث: أنه إذا قطع يده، أبقى له يداً أخرى يحصل بها تحقيق منافعه أو مصالحه.

الرابع: أن لذّة الزنا عمّت جميع البدن، فكان الأحسن أن تعمّ العقوبة جميع البدن ولا تجعل في جزء معيّن منه.

فَعُقُوبَاتُ الشَّارِعِ جَاءَتْ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَأَوْفَقِهَا لِلْعَقْلِ، وَأَقْوَمِهَا بِالْمَصْلَحَةِ.

هذه خلاصة هذا الموضوع أن هذه العقوبات جاءت على أتم وجه وأوفقها للعقل وأقومها بالمصلحة وهي كلّها حدود حدّها الحكيم الخبير -سبحانه وتعالى-.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الذُّنُوبَ إِنَّمَا تَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ أَوِ الْقَدَرِيَّةُ أَوْ يَجْمَعُهَا اللَّهُ لِلْعَبْدِ، وَقَدْ يَرْفَعُهَا عَمَّنْ تَابَ وَأَحْسَنَ

الذنوب إنّما تترتب عليها" العقوبات الشرعية" التي ذكرها الآن قبل قليل، وهي الحدود التي حُدّت في الشريعة لجملة من الجرائم والذنوب.

"والعقوبات القدرية" أي ما يُحِلّه الله سبحانه وتعالى على العصاة من عقوبة، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب،*" فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ"* ، *" مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا "* :.

قال رحمه الله:[فَصْلٌ عُقُوبَاتُ الذُّنُوبِ شَرْعِيَّةٌ وَقَدَرِيَّةٌ]
وَعُقُوبَاتُ الذُّنُوبِ نَوْعَانِ: شَرْعِيَّةٌ، وَقَدَرِيَّةٌ، فَإِذَا أُقِيمَتِ الشَّرْعِيَّةُ رُفِعَتِ الْعُقُوبَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَخَفَّفَتْهَا، وَلَا يَكَادُ الرَّبُّ تَعَالَى يَجْمَعُ عَلَى الْعَبْدِ بَيْنَ الْعُقُوبَتَيْنِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَفِ أَحَدُهُمَا بِرَفْعِ مُوجَبِ الذَّنْبِ، وَلَمْ يَكْفِ فِي زَوَالِ دَائِهِ، وَإِذَا عُطِّلَتِ الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ اسْتَحَالَتْ قَدَرِيَّةً، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ دُونَهَا، وَلَكِنَّهَا تَعُمُّ، وَالشَّرْعِيَّةُ تَخُصُّ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُعَاقِبُ شَرْعًا إِلَّا مَنْ بَاشَرَ الْجِنَايَةَ أَوْ تَسَبَّبَ إِلَيْهَا.

يقول رحمه الله :العقوبات الشرعية إذا عُطّلت استحالت عقوبات قدرية، وهذا يُوضح لنا أن إقامة الحدود فيه حِفظ للمجتمع من العقوبة، لأن هذه الذنوب لها عُقوبات فإذا أُقيمت الحدود كانت هي العقوبة على هذا الذنب ,لكن إن عُطلت الحدود فهذا يعني خُطورة الأمر على المجتمع الذي عُطلت فيه الحدود من حلول عُقوبة الله -سبحانه وتعالى- في القدرية ولا تجتمع العقوبتان إلا إذا لم تفي أحدهما برفع الجناية، أو المعصية، أو الجرم المُرتكب

وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ الْقَدَرِيَّةُ فَإِنَّهَا تَقَعُ عَامَّةً وَخَاصَّةً، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا خَفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ ضَرَّتِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ، وَإِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فَتَرَكُوا إِنْكَارَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ.»

: نعم يعني العقوبات القدرية تختلف عن العقوبة الشرعية، الشرعية إنما تُوقع فقط في من ارتكب المعصية- في من ارتكب الذنب -

لكن العقوبة القدرية إذا نزلت تكون عامة، ثم من بعد ذلك يُبعث الناس على حسب نياتهم، لكن العقوبة تكون عامة

أما العقوبة الشرعية فإنما تُوقع فقط في من ارتكب الذنب ,وهذا أيضا يُوضح أن هذا مسؤولية المجتمع كله، حِفظًا للمجتمع من العقوبات العامة أن يبقى المجتمع متناصحا فيه الأمر بالمعروف، وفيه النهي عن المنكر، وفيه الدعوة إلى الخير، وأيضا فيه الدعاء الصادق واللجوء الصادق إلى الله أن يُصلح أحوال الناس، وأن يرد ضالهم إلى الحق ردا جميلا، نعم

قال:وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْعُقُوبَةَ الشَّرْعِيَّةَ: شَرَعَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ مَفْسَدَةِ الذَّنْبِ وَتَقَاضِي الطَّبْعِ لَهَا، وَجَعَلَهَا سُبْحَانَهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: الْقَتْلَ وَالْقَطْعَ وَالْجَلْدَ، وَجَعَلَ الْقَتْلَ بِإِزَاءِ الْكُفْرِ وَمَا يَلِيهِ وَيَقْرُبُ مِنْهُ، وَهُوَ الزِّنَا وَاللِّوَاطُ، فَإِنَّ هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَنْسَابَ وَنَوْعَ الْإِنْسَانِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَا أَعْلَمُ بَعْدَ الْقَتْلِ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنَ الزِّنَا، وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا» {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [سُورَةُ الْفُرْقَانِ 68] .«

نعم أعظم الذنوب على الإطلاق وأشدها هذه الذنوب الثلاثة التي اجتمعت في هذه الآيات الكريمة من سورة الفرقان، ﴿وَالَّذِينَ لا يدعونَ مَعَ اللهِ إلها آخَرَ وَلا يقتلونَ النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلّا بِالحَقِّ وَلا يَزنونَ ﴾[الفرقان -:68]، فهذه الذنوب الثلاثة هي أعظم الذنوب

وأعظم الذنوب على الإطلاق الشرك بالله -سبحانه وتعالى- فإنه أعظم ذنب عُصي الله به -جل وعلا-، وهو الذنب الذي لا يُغفر لصاحبه إن مات عليه، كما قال الله -جل وعلا- : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ ﴾ ,ولهذا من مات على الشرك والكفر بالله -عز وجل- لا مطمع له يوم القيامة إطلاقا في مغفرة الله، وعفوه، ورحمته بل ليس له إلا النار

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٦ – ٣٧]

- ثـم يلي هذا الذنب في الغلظ والعِظم القتل (قتل النفس) المعصومة المحرمة، فهذا أعظم الذنوب بعد الشـرك , والقتل سواء كان قتلا من المرء لنفسه وهو ما يسمى بالانتحار أو كان قتلا لغيره هذا أو هذا هو أعظم الذنوب بعد الشرك والكفر بالله- القتل- ، سواء أن يقتل المرء نفسه أو أن يقتل غيره فنفسه معصومة لا يحل له أن يباشر قتلها بهذا الذي يسمى الانتحار على أي صفة كانت ،ونفوس الآخرين محرمة معصومة لا يحل له قتلها فإن فعل ذلك فقد ارتكب أعظم ذنب عصى الله -سبحانه وتعالى- به بعد الكفر والشرك بالله -سبحانه وتعالى- ، وبعده يأتي الزنا, والزنا جرم خطير وموبقة عظيمة وفساده عريض وإذا كان في الشرك فساد الأديان فالزنا فيه فساد الأنساب وضياعها وهذا من أعظم ما يكون ضررا على الناس, ولهذا جريمة الزنا من أعظم الجرائم وأشنعها وهي تلي في غلظها الشرك والقتل, ولهذا جاءت هذه المعاصي والجرائم على حسب غلظها وعظمها ،الشرك ثم القتل ثم الزنا ثم السرقة التي هي اعتداء على الأموال أموال الناس فهذه الأربع هي أعظم الذنوب وقد جمع نبينا عليه الصلاة والسلام هذه الأربع في خطبة الوداع في خطابته التي هي خطابة مودع فقد صح عنه أنه قال - في خطبه- في حجة الوداع :((ألا إنما هنَّ أربع: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا)) فذكر هذه الأربع،

وقوله (ألا إنما هُن أربع): أي الذنوب العظام الكبار التي هي أعظم الذنوب وأخطرها أربعة ذنوب, وخصها وحدها بالذكر لعظم خطرها وشدة ضررها, وأنها من أعظم الموبقات وأضرها على الناس, وأن المسلم يجب أن يكون على حذر شديد منها وحذّر أيضا منها في خطبة الوداع بصيغة أخرى في خطبة أخرى قال عليه الصلاة والسلام «إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم»

قوله (إن دماءكم) هذا يقابله في الحديث. (لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)

وقوله :- أعراضكم – يقابله في الحديث :لا تزنوا .

وقوله:- أموالكم -يقابلها في الحديث : لا تسرقوا .

فتنوع تحذيره عليه الصلاة والسلام من هذه الذنوب .وهذه العظائم ، لعظم خطرها وشدة مضرتها .

والذنوب متفاوتة ، وليست على قدر واحد في غلظها وعظمها .فمنها كبائر ومنها صغائر .

والكبائر أيضا ليست على مستوى واحد .فهناك ما يوصف بأنه أكبر الكبائر .

- والصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين أشد الحرص على التفقه في هذا الباب ، وكانوا يسألون عن الكبائر وعن أكبر الكبائر . وجاء عنهم في هذا الباب أحاديث في سؤال النبي عليه الصلاة والسلام .وهذا يؤكد لنا أن هذا باب عظيم من الفقه ينبغي أن يعتني به المسلم * أن يتفقه في الكبائر معرفةً بها :
  - من أجل الحذر -هو في نفسه أن يحذر منها-
  - ومن أجل أيضا أن يحذر الآخرين من أهل وولد وقريب وجار و زميل ، وغير ذلك ...

وهذا من التناصح الذي تتحقق به مصلحة الأمة ، وتتحقق به خيرية الأمة .(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) .ولا يمكن أن يكون هذا الأمر وهذا النهي إلا بالفقه في دين الله سبحانه وتعالى والبصيرة ؛ نعم .

قال رحمه الله : وَالنَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَعْلَاهُ لِيُطَابِقَ جَوَابُهُ سُؤَالَ السَّائِلِ، فَإِنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ، فَأَجَابَهُ بِمَا تَضَمَّنَ ذِكْرَ أَعْظَمِ أَنْوَاعِهَا، وَمَا هُوَ أَعْظَمُ كُلِّ نَوْعٍ.

فَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ لِلَّهِ نِدًّا.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ: أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ خَشْيَةَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الزِّنَا: أَنْ يَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِهِ، فَإِنَّ مَفْسَدَةَ الزِّنَا تَتَضَاعَفُ بِتَضَاعُفِ مَا انْتَهَكَهُ مِنَ الْحَقِّ.

فَالزِّنَا بِالْمَرْأَةِ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ أَعْظَمُ إِثْمًا وَعُقُوبَةً مِنَ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، إِذْ فِيهِ انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الزَّوْجِ، وَإِفْسَادُ فِرَاشِهِ وَتَعْلِيقُ نَسَبٍ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ أَذَاهُ، فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْمًا وَجُرْمًا مِنَ الزِّنَا بِغَيْرِ ذَاتِ الْبَعْلِ.فَالزِّنَا بِمِائَةِ امْرَأَةٍ لَا زَوْجَ لَهَا أَيْسَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الزِّنَا بِامْرَأَةِ الْجَارِ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا جَارًا لَهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُوءُ الْجِوَارِ، وَأَذَى جَارِهِ بِأَعْلَى أَنْوَاعِ الْأَذَى وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَوَائِقِ.

: نعم ، لما أورد ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم - حديث عبد الله بن مسعود - أن الرسول صلى الله عليه وسلم سُئل :أي الذنب أعظم ؟ * هذا السؤال كما قدمت يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على التفقه في هذا الباب ، ومعرفة الذنوب وتفاوتها ، وأيها أعظم جرما و أكبرها

خطورة .لأن هذه المعرفة لها ثمرة عظيمة على العبد من جهة اتقاء هذه الذنوب والبعد عنها ، ومن جهة أيضا تحذير الآخرين .ونصحهم في البعد عنها ، فكان الصحابة رضي الله عنهم

"كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على هذا الفقه ولهذا ينصح المسلم خاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه الدواعي ، دواعي المعاصي و المغريات للوقوع فيها من خلال وسائل كثيرة وبرامج كثيرة ومجالات متعددة فتحت على الناس ، تُهيج في النفوس المعاصي . فأصبح الناس مع هذه الفتن بحاجة ماسة إلى هذا الفقه ، ولهذا أنصح كثيرا باقتناء وقراءة" كتاب الكبائر" للذهبي رحمه الله ، وأنصح بأن يهديه رب الأسرة لأهله و أولاده وأن يستحثهم على قراءته .

لأن قراءة الشاب لهذا الكتاب في مقتبل عمره يعطيه بإذن الله حصانة من المعاصي ، لأن البصيرة والعلم نور المرء حواجز له بإذن الله سبحانه وتعالى . لأنه من خلال هذا الكتاب سيعرف هذه الكبائر ويعرف عقوبتها في الشرع ويعرف غلظها ويعرف بعض ما ورد فيها من الأحاديث ، مما سيكون بإذن الله سبحانه وتعالى معونة له عن الكف عنها والحذر من الوقوع فيها .

أقول لما أورد بن القيم رحمه الله تعالى هذا الحديث وأن النبي ﷺ سُئِل أي الذنب أعظم قال :" أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قال ثم أي قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك ، قال ثم أي قال : أن تزني بحليلة جارك " أي زوجة جارك .

يقول بن القيم لما سئل النبي ﷺ هذا السؤال ،أي الذنب أعظم؟ أجاب صلوات الله وسلامه عليه بما تضمن ذكر أعظمها نوعا ، لأن هذه المعاصي هي في نفسها أيضا متفاوتة .

فالقتل كله جريمة, لكن من أشنع القتل أن يقتل المرء ولده فلذة كبده خشية أن يطعم معه، خشية الإملاق فيقتل ولده خشية ذلك . والخشية التي كانت عندهم من جهتين :

- من جهة ترجع إلى نفس الشخص الذي يقتل ولده أن لا يكفيه الطعام وأن يزاحمه هذا الولد في طعامه ،
- ومن جهة الولد أنه قد لا يتمكن من أن يفِ بما يحتاج إليه من طعام ويكون سببا لمزيد الفقر عليه .

والله عز وجل تكفل بالأرزاق سبحانه وتعالى وقال عز وجل في هذا الأمر الذي كان عليه أهل الجاهلية :" ولا تَقْتُلُوا أَولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ " .

يفعلون ذلك خشية الإملاق الذي هو الفقر وهذا من جهلهم لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بالأرزاق ما من دابة إلا على الله رزقها فهذا يدل على التفاوت.

أيضا فيما يتعلق بالزنى الزنى كله عظيم لكن بعضه أشد من بعض ، لهذا قال ﷺ في جوابه لهذا السؤال أن يزني بحليلة جاره والجار الأصل أن يكون أمنة لجاره وأن يأمن جاره بوائقه وأن .

فصل : [فَصْلٌ الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى الْمَعَاصِي]

فَإِنْ لَمْ تَرْدَعْكَ هَذِهِ الْعُقُوبَاتُ، وَلَمْ تَجِدْ لَهَا تَأْثِيرًا فِي قَلْبِكَ

يكون جهة صيانة لا جهة أذى ومضرة عليه، هذا الأصل في الجيرة والجوار قد قال عليه الصلاة والسلام : (لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه)، وأعظم البوائق هذا العدوان والعياذ بالله فالزنا بقريبة الدار أشد من الزنا ببعيدة الدار، هُوَ كله زنا لكن لهذا السبب لما للجار من حق عظيم وأنه جهةٌ آمنه وفيه صيانه لجاره و أن يأمن جاره بوائقه، فإذا استغل هذه الجيره والعياذ بالله لإفساد فراش جاره فهذا من أعظم الذنوب وأغلظها، قال رحمه الله : فإن مفسدة الزنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق، فالزنا بالمرأة التي لها زوج أعظم لأن هذا فيه إفساد لفراشه وقد يلحق بنسبه ماليس منه، فهذا من الأذى العظيم فهو أعظم إثما وجرما من الزنا بغير ذات البعل ، كذلك الزنا بإمراة الجار.

إذا كان كما تقدم الزنا بذات البعل بهذا الغلظ، فإذا كان بعلها جاره فالأمر أشد أيضا, ولهذا الزنا يتفاوت غلظه بحسب الأحوال التي تقارفه، فإذا كان زنا بغير ذات بعل فهذا فيه غلظ من جهة إفساده فراش الزوج وإذا كان البعل جاراً له فهذا تضييع لحقوق الجار، إذا كان الزنا وقع من رجل مسن فأمره أيضا أشد وإذا كان وقع في شهر فاضل فأمره أشد، إذا وقع في مكان فاضل فأمره أشد ،وهكذا يتفاوت جرمه بحسب الأحوال المحتفة به أو المتعلقة به، نعم

قال رحمه الله : وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» وَلَا بَائِقَةَ أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا بِامْرَأَةِ الْجَارِ.

فَإِنْ كَانَ الْجَارُ أَخًا لَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْ أَقَارِبِهِ انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، فَيَتَضَاعَفُ الْإِثْمُ لَهُ، فَإِنْ كَانَ الْجَارُ غَائِبًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَالصَّلَاةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ تَضَاعَفَ لَهُ الْإِثْمُ، حَتَّى إِنَّ الزَّانِيَ بِامْرَأَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوقَفُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ.

قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: فَمَا ظَنُّكُمْ؟ أَيْ مَا ظَنُّكُمْ أَنَّهُ يَتْرُكُ لَهُ حَسَنَاتٍ، قَدْ حُكِّمَ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ؟ عَلَى شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، حَيْثُ لَا يَتْرُكُ الْأَبُ لِابْنِهِ وَلَا الصَّدِيقُ لِصَدِيقِهِ حَقًّا يَجِبُ عَلَيْهِ، فَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ رَحِمًا مِنْهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةُ رَحِمِهَا، فَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ الزَّانِي مُحْصَنًا كَانَ الْإِثْمُ أَعْظَمَ، فَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَانَ أَعْظَمَ إِثْمًا، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، فَإِنِ اقْتَرَنَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ أَوْ بَلَدٍ حَرَامٍ أَوْ وَقْتٍ مُعَظَّمٍ عِنْدَ اللَّهِ، كَأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَأَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ، تَضَاعَفَ الْإِثْمُ. وَعَلَى هَذَا فَاعْتَبِرْ مَفَاسِدَ الذُّنُوبِ وَتَضَاعُفَ دَرَجَاتِهَا فِي الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

نعم يعني قصد ابن القيم بقوله" اعتبر! " أنه هذا باب جدير أن يتفقه المرء فيه والأصل في ذلك ما كان عليه الصحابة- أي الذنب أعظم ؟- فالمعرفه في الذنوب وعظمها وتفاوتها حتي الذنب الواحد- التفاوت الذي يتعلق بهذا الذنب الفقه فيه- مهم للغاية لان هذا من النصح بدين الله وبيان الحق والهدى لهم ,وحتى يدرك غلظ الذنوب وعظمها وتفاوتها في الغلظ بحسب مايتعلق بها أو يحتف بها من أمور فهذا باب مهم ينبغي أن يعتبر والمتفقه فيه .

قال رحمه الله [فَصْلٌ الْقَطْعُ لِإِفْسَادِ الْأَمْوَالِ]وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْقَطْعَ بِإِزَاءِ إِفْسَادِ الْأَمْوَالِ فإن السارق لَا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ الْأَمْوَالَ فِي الِاخْتِفَاءِ، وَيُنَقِّبُ الدُّورَ، وَيَتَسَوَّرُ مِنْ غَيْرِ الْأَبْوَابِ، فَهُوَ كَالسِّنَّوْرِ وَالْحَيَّةِ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ مَفْسَدَةُ سَرِقَتِهِ إِلَى الْقَتْلِ، وَلَا تَنْدَفِعُ بِالْجَلْدِ، فَأَحْسَنُ مَا دُفِعَتْ بِهِ مَفْسَدَتُهُ إِبَانَةُ الْعُضْوِ الَّذِي يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَى الْجِنَايَةِ

نعم إبانة العضو الذي يتسلط به على الجناية الذي هو "قطع اليد" فالسارق لم تكن عقوبته القتل لأنه لا يبلغ ذلك ولا أيضا الجلد فالجلد لا يفِ بذلك ,وإنما كان عقوبته قطع العضو الذي تسلط بهذه الجناية وهو قطع يده .

قال: وَجُعِلَ الْجَلْدُ بِإِزَاءِ إِفْسَادِ الْعُقُولِ وَتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ بِالْقَذْفِ.

فَدَارَتْ عُقُوبَاتُهُ سُبْحَانَهُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، كَمَا دَارَتِ الْكَفَّارَاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: الْعِتْقِ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَالْإِطْعَامِ، وَالصِّيَامِ.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذُّنُوبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

قِسْمًا فِيهِ الْحَدُّ، فَهَذَا لَمْ يَشْرَعْ فِيهِ كَفَّارَةً اكْتِفَاءً بِالْحَدِّ.

نعم- لَمْ يَشْرَعْ فِيهِ كَفَّارَةً اكْتِفَاءً بِالْحَدِّ : يعني كفارة من صيام أو إطعام أو نحو ذلك..

وَقِسْمًا لَمْ يُرَتِّبْ عَلَيْهِ حَدًّا، فَشَرَعَ فِيهِ الْكَفَّارَةَ، كَالْوَطْءِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ، وَالظِّهَارِ، وَقَتْلِ الْخَطَأِ، وَالْحِنْثِ فِي الْيَمِينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَقِسْمًا لَمْ يُرَتِّبْ عَلَيْهِ حَدًّا وَلَا كَفَّارَةً، وَهُوَ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهُ طَبِيعِيًّا، كَأَكْلِ الْعَذِرَةِ، وَشُرْبِ الْبَوْلِ وَالدَّمِ

نعم يعني هذا الوازع عنه طبيعي يعني قائم في نفوس الناس فالنفره من ذالك والكراهيه ولاتقبل فهذا الوازع والرادع عن هذه الأمور وازع طبيعي

قال: وَالثَّانِي: مَا كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ أَدْنَى مِنْ مَفْسَدَةِ مَا رُتِّبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، كَالنَّظَرِ وَالْقُبْلَةِ وَاللَّمْسِ وَالْمُحَادَثَةِ، وَسَرِقَةِ فِلْسٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَشَرَعَ الْكَفَّارَاتِ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: مَا كَانَ مُبَاحَ الْأَصْلِ، ثُمَّ عَرَضَ تَحْرِيمُهُ فَبَاشَرَهُ فِي الْحَالَةِ الَّتِي عَرَضَ فِيهَا التَّحْرِيمُ، كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصِّيَامِ، وَطَرْدُهُ: الْوَطْءُ فِي الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، بِخِلَافِ الْوَطْءِ فِي الدُّبُرِ، وَلِهَذَا كَانَ إِلْحَاقُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ لَهُ بِالْوَطْءِ فِي الْحَيْضِ لَا يَصِحُّ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاحُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّلَوُّطِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مَا عُقِدَ لِلَّهِ مِنْ نَذْرٍ أَوْ بِاللَّهِ مِنْ يَمِينٍ، أَوْ حَرَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَرَادَ حِلَّهُ، فَشَرَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِلَّهُ بِالْكَفَّارَةِ وَسَمَّاهَا تَحِلَّةً، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْكَفَّارَةُ مَاحِيَةً لِهَتْكِ حُرْمَةِ الِاسْمِ بِالْحِنْثِ، كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، " فَإِنَّ الْحِنْثَ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا، وَقَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ حِلٌّ لِمَا عَقَدَهُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: مَا تَكُونُ فِيهِ جَابِرَةً لِمَا فَاتَ، كَكَفَّارَةِ قَتْلِ الْخَطَإِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِثْمٌ، وَكَفَّارَةِ قَتْلِ الصَّيْدِ خَطَأً، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْجَوَابِرِ، وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنْ بَابِ الزَّوَاجِرِ، وَالنَّوْعُ الْوَسَطُ مِنْ بَابِ التَّحِلَّةِ لِمَا مِنْهُ الْعَقْدُ. لَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالتَّعْزِيرُ

لَا يَجْتَمِعِ الْحَدُّ وَالتَّعْزِيرُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ إِنْ كَانَ فِيهَا حَدٌّ اكْتُفِيَ بِهِ وَإِلَّا اكْتُفِيَ بِالتَّعْزِيرِ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالْكَفَّارَةُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ فِيهَا حَدٌّ فَلَا كَفَّارَةَ فِيهَا، وَمَا فِيهِ كَفَّارَةٌ فَلَا حَدَّ فِيهِ، وَهَلْ يَجْتَمِعُ التَّعْزِيرُ وَالْكَفَّارَةُ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي لَا حَدَّ فِيهَا؟

فِيهِ وَجْهَانِ: وَهَذَا كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصِّيَامِ، وَوَطْءِ الْحَائِضِ، وَإِذَا أَوْجَبْنَا فِيهِ الْكَفَّارَةَ، فَقِيلَ: يَجِبُ فِيهِ التَّعْزِيرُ لِمَا انْتَهَكَ مِنَ الْحُرْمَةِ بِرُكُوبِ الْجِنَايَةِ، وَقِيلَ: لَا تَعْزِيرَ فِي ذَلِكَ، اكْتِفَاءً بِالْكَفَّارَةِ لِأَنَّهَا جَابِرَةٌ وَمَاحِيَةٌ.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علما وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.اللهم اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها, اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا, اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

[فَصْلٌ الْعُقُوبَاتُ الْقَدَرِيَّةُ]

[الْعُقُوبَاتُ الْقَدَرِيَّةُ عَلَى الْقُلُوبِ]

وَأَمَّا الْعُقُوبَاتُ الْقَدَرِيَّةُ فَهِيَ نَوْعَانِ: نَوْعٌ عَلَى الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، وَنَوْعٌ عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ.

وَالَّتِي عَلَى الْقُلُوبِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: آلَامٌ وُجُودِيَّةٌ يُضْرَبُ بِهَا الْقَلْبُ.

وَالثَّانِي: قَطْعُ الْمَوَادِّ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ عَنْهُ.

وَإِذَا قُطِعَتْ عَنْهُ حَصَلَ لَهُ أَضْدَادُهَا، وَعُقُوبَةُ الْقُلُوبِ أَشَدُّ الْعُقُوبَتَيْنِ، وَهِيَ أَصْلُ عُقُوبَةِ الْأَبْدَانِ.

وَهَذِهِ الْعُقُوبَةُ تَقْوَى وَتَتَزَايَدُ، حَتَّى تَسْرِيَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْبَدَنِ، كَمَا يَسْرِي أَلَمُ الْبَدَنِ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِذَا فَارَقَتِ النَّفْسُ الْبَدَنَ صَارَ الْحُكْمُ مُتَعَلِّقًا بِهَا, فَظَهَرَتْ عُقُوبَةُ الْقَلْبِ حِينَئِذٍ، وَصَارَتْ عَلَانِيَةً ظَاهِرَةً، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَنِسْبَتُهُ إِلَى الْبَرْزَخِ كَنِسْبَةِ عَذَابِ الْأَبْدَانِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ.

بسم الله الرحمن الرحيم ,الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمد عبده ورسوله- صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين-،اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ,وأصلح لنا شأننا كله ,ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين,

أما بعد :

فإن المصنف- رحمه الله تعالى- ذكر في الفصل الذي قبل الفصل السابق أن العقوبات نوعان: شرعية وقدرية، وفصّل الشرعية في الفصل ما قبل السابق وفي الفصل السابق وشرع في هذا الفصل والذي بعده في بيان العقوبة القدرية..

والمراد بالعقوبة القدرية: ما يقدره الله -سبحانه وتعالى- من عقوبة يحلها بالعاصي وينزلها عليه عقوبة له على عصيانه, ومراد المصنف -رحمه الله تعالى - بذلك أن يتنبه العاصي مثلما سبق أن أشار فيما يتعلق بالعقوبات الشرعية أن يُخطِرها في نفسه وأن يستحضرها لتكون رادعا، ومثل ذلك أيضا العقوبات

القدرية يقدرها ويخوف نفسه بها أن تحل عليه عقوبة الله أن ينزل به سخط الله، أن تحل به نقمة الله-سبحانه وتعالى-، أن يُبتلى بقدَر عقوبة له على هذه المعصية فيُخطر هذا الأمر على باله ليكون رادعا له عن ارتكاب المعصية

قال رحمه الله تعالى: وأما العقوبة القدرية فهي نوعان: - نوع على القلوب والنفوس

- ونوع على الأبدان والأموال

ما يتعلق بالأبدان والأموال يأتي في الفصل القادم لكن الذي يتعلق بالقلوب

ذكر أيضا أنه نوعان:-

- أحدهما: آلام وُجودية يُضرب بها القلب، -وهذه عقوبة- يُضرب بها القلب: أي تحل بالقلب, آلام وُجودية: أي آلام يجدها في قلبه من هموم متوالية، وغموم متتالية، ومخاوف يجد خوفا بدون مُوجد في أوهام، أو اضطرابات في قلبه أو نحو ذلك ..-تكون عقوبة له على معاصيه - و يكون الذي جر هذه الآلام والأوجاع إلى قلبه المعاصي التي كان يرتكبها ويقترفها، ويكون هذا عقوبة له على ما كان من عصيان لله -سبحانه وتعالى-
- والنوع الثاني:- وهو أشد من الأول- قطع المواد التي به حياته وصلاحه عنه، لأن هذا الذي يُشير إليه -رحمه الله تعالى- يُفضي إليه تراكمات الذنوب، وسبق أن مر معنا حديث نبينا -عليه الصلاة والسلام- أن العبد إذا أذنب الذنب نُكت في قلبه نكتة سوداء، وإذا زاد زادت النكت على قلبه حتى تغطي قلبه قال «وذلك الران» ثم تلى : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين - 83:14] . ومعنى ران: أي غطى على قلوبهم،

فيُصبح القلب مُغلف بغشاوة سوداء مظلمة ,وتكون هذه الغشاوة حجابا له عن الخير والهدى لأن على قلبه غلاف، وقلبُه أغلف بسبب تراكمات الذنوب والمعاصي، فتكون له هذه العقوبة التي ذكر -رحمه الله- وهي قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه، تُقطع عنه هذه المواد" فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ ,وإذا قطعت عنه حصل له أضدادها، -إذا قطعت عنه مواد الهداية ومواد الخير- حصلت له أضدادها، فيصبح- والعياذ بالله- لا يزداد مع مر الأيام إلا شرا وسوءً، وتزايدًا في مساخط الله -سبحانه وتعالى-، وموجبات غضبه -جل في علاه-

وعقوبة القلوب أشد العقوبتين: يعني أشد من عقوبة الأبدان وهي أصل عقوبة الأبدان، لأن القلب: هو الأساس بالنسبة إلى البدن في الخير والشر، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»

فالقلب أساس للبدن في صلاحه أو فساده، وقل أيضا- وهذا ما نبه عليه ابن القيم هنا - : أساس أيضا للبدن في تنعمه أو في عقوبته، أساس للبدن في التنعم أو الإنعام أو في العقوبة للبدن ، فالقلب أساس ، وأيضا يتبع ذلك ما أشار إليه -رحمه الله تعالى- من العقوبة التي في القبر وهي تكون عليهما معا -على الروح وعلى البدن -.

[فَصْلٌ الْعُقُوبَاتُ الْقَدَرِيَّةُ عَلَى الْأَبْدَانِ]

وَالَّتِي عَلَى الْأَبْدَانِ أَيْضًا نَوْعَانِ:

-نَوْعٌ فِي الدُّنْيَا. - وَنَوْعٌ فِي الْآخِرَةِ.

وَشِدَّتُهَا وَدَوَامُهَا بِحَسَبِ مَفَاسِدِ مَا رُتِّبَتْ عَلَيْهِ فِي الشِّدَّةِ وَالْخِفَّةِ، فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ أَصْلًا إِلَّا الذُّنُوبَ وَعُقُوبَاتِهَا، فَالشَّرُّ اسْمٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، وَهُمَا الْأَصْلَانِ اللَّذَانِ كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَسْتَعِيذُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَتِهِ بِقَوْلِهِ: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» . وَسَيِّئَاتُ الْأَعْمَالِ مِنْ شُرُورِ النَّفْسِ، فَعَادَ الشَّرُّ كُلُّهُ إِلَى شَرِّ النَّفْسِ، فَإِنَّ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ مِنْ فُرُوعِهِ وَثَمَرَاتِهِ.

: قال رحمه الله تعالى : و التي على البدن يعني العقوبة التي على البدن ، أيضا نوعان :

- نوع في الدنيا , - و نوع في الآخرة

و شدّتها: أي هذه العقوبة و دوامها بحسب مفاسد ما رتّبت عليه في الشدّة و الخفّة ، فليس في الدنيا و الآخرة شرّ أصلا إلا الذنوب و عقوباتها كما قال الله -سبحانه و تعالى- : { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ } و قال جل و علا : { مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا }

مما خطيئاتهم : أي بسبب خطيئاتهم ، و لهذا يقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : { ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلابتوبة } ، فليس في الدنيا و الآخرة شرّ أصلا إلاّ الذنوب و عقوباتها ، فالذّنوب شرّ و عقوبات الذّنوب شرّ و الذي يجلب عقوبات الذنوب هي الذّنوب ،فليس في الدنيا و الآخرة شر أصلا

إلاّ الذنوب و عقوبات الذنوب ، فالذّنوب شرّ و عقوبات الذّنوب شرّ و الذي يجلب عقوبات الذّنوب هي الذّنوب نفسها فالشرّ اسم لذلك كله أي : اسم للذنوب و اسم لعقوبات الذنوب فإذا الذّنوب شرّ هي في نفسها و شرّ فيما تستجلبه على فاعلها من عقوبات في دنياه و أخراه ، قال: و أصله من شرّ النّفس و سيّئات الأعمال ، و أصله : يعني الذي يولّد هذه المعاصي و الذّنوب شرّ النّفس وسيّئات الأعمال وهما الأصلان اللّذان كان النبي صلى الله عليه و سلم يستعيذ منهما في خطبته بقوله : ونعوذ بك من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالنا ،

قال : و سيّئات الأعمال من شرور النّفس: لأنّ النفس إذا كانت ذات شرّ ولّدت سيّئات الأعمال كما أنّ النفس إذا كانت ذات خير ولّدت صالح الأعمال ، وهذا نظير ما جاء في الحديث الذي قال فيه عليه الصلاة و السّلام {ألَا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلحَتْ صلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدَت فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ}، و لهذا جاء في الدعاء الذي علّمه النبي ﷺ أبا بكر الصديق أن يقوله إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أوى إلى فراشه، علّمه أن يقول: < اللّهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءً أو أجره إلى مسلم > في هذا الحديث -كما ذكر ابن القيم -رحمه الله- في بعض كتبه- : ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أصل الشر ونتيجة الشر.

أما أصل الشر فأمران: شر النفس، وشر الشيطان

هذان هما مصدر تولّد الشرور في الإنسان من هاتين الجهتين:

- من النفس الأمارة بالشر والسوء،
- ومن الشيطان الداعي إلى الشر والسوء،

* نعوذ بالله من شر الشيطان وشركه.

فالتعوذ من النفس تعوذ من منبع الشر، والتعوذ من الشيطان تعوذ من منبع أيضا للشر.

وإذا عمل هذا المنبع عمله -أعني النفس والشيطان- تولّد من ذلك نتيجتان:

- الأولى، أن يقترف سوءً على نفسه، وهذا يتناول تركه للطاعات والفرائض وفعله للمعاصي والآثام،

- أو يجره إلى مسلم يعني بالأذى الذي يوصله للآخرين، أو بدعوتهم إلى الشر، لأن من كان في شر هو في نفسه لايفتأ من أن تدعو غيره إلى هذا الشر الذي هو فيه فكل ذلك يتولد من هذين المنبعين: شر الشيطان وشر النفس؛

ولهذا يحتاج المسلم إلى استعاذة مستمرة، كل يوم يستعيذ بالله من شر نفسه؛ لأن النفس إذا حملت الشر أودت بصاحبها في المهالك والمعاطب. فيحتاج إلى أن يتعوّذ بالله كل يوم من شر نفسه، وأن يتقي شر نفسه وأن يحذر من شرها، وإذا دعته نفسه إلى أمر فيه سخط الله وغضبه لايطيعها، بل يزجرها بتقوى الله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ [الحشر : (18)]

فيزجرها بذلك ويخوفها بعقوبة الله سبحانه وتعالى فيكون هو القائد لنفسه لا أن يجعل نفسه الأمارة بالسوء هي التي تقوده إلى المهالك.

فإذن الشرور تنبع من النفس والشيطان أيضا مصدر (يذكي) في النفس الشر حتى تكون نفسا تحمل الخبث، نفسا تحمل الشر -والعياذ بالله- .فإذا كانت بهذه الصفة تولّد عن ذلك سيئات الأعمال، لأن النفس التي هذه صفتها لاتولد إلا سيئات الأعمال، لا تولد أعمالا صالحة وإنما تولد أعمالا سيئة.

ولهذا كم يحتاج فعلا العبد إلى أن يستعيذ بالله -سبحانه وتعالى- من شر نفسه وشر الشيطان وشركه.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» هَلْ مَعْنَاهُ: السَّيِّئُ مِنْ أَعْمَالِنَا، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ النَّوْعِ إِلَى جِنْسِهِ، أَوْ تَكُونُ " مِنْ " بَيَانِيَّةً؟ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مِنْ عُقُوبَاتِهَا الَّتِي تَسُوءُ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَمِنْ عُقُوبَاتِ أَعْمَالِنَا الَّتِي تَسُوءُنَا، وَيُرَجِّحُ هَذَا الْقَوْلَ: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ تَكُونُ قَدْ تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الشَّرِّ، فَإِنَّ شُرُورَ الْأَنْفُسِ تَسْتَلْزِمُ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ، وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ الْعُقُوبَاتِ السَّيِّئَةَ، فَنَبَّهَ بِشُرُورِ الْأَنْفُسِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ مِنْ قُبْحِ الْأَعْمَالِ، وَاكْتَفَى بِذِكْرِهَا مِنْهُ، أَوْ هِيَ أَصْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ غَايَةَ الشَّرِّ وَمُنْتَهَاهُ، فَهُوَ السَّيِّئَاتُ الَّتِي تَسُوءُ الْعَبْدَ مِنْ عَمَلِهِ، مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالْآلَامِ، فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الِاسْتِعَاذَةُ أَصْلَ الشَّرِّ وَفُرُوعَهُ وَغَايَتَهُ وَمُقْتَضَاهُ.

هذا التعوذ الذي ثبت عن نبيّنا –عليه الصلاة والسلام- في خطبته "نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالنا " يتناول كما بيّن ابن القيم –رحمه الله تعالى- أمورا ثلاثة كلها يشملها هذا التعوذ, عندما يقول المتعوذ :"نعوذ بالله من شرور " - فإنّ هذا يتناول أمورا ثلاثة كل واحد منها ينبني على الذي قبله :

الأمر الأول: من هذه الأمور الثلاثة : شر النفس, فيتعوذ بالله –سبحانه و تعالى- منه لأنّ النفس إذا كانت بهذه الصفة ولدت شرورا , وأنتجت فسادا عظيما , وأهلكت صاحبها , هذا الأمر الأول

الأمر الثاني : التعوذ من الأعمال السيّئة ,

والأعمال السيّئة في الجملة :

- إما ترك واجب
- أو فعل محرم

فهذه الأعمال السيئة هي متفرعة عن ماذا؟ متفرعة عن شرّ النفس , النفس عندما تكون بهذه الصفة تحمل الشر فإنها تولد العمل السيّئ

الأمر الثالث: العقوبة التي تترتب على العمل السيئ, فهذا أيضا التعوذ يشمل ذلك

"وسيئات أعمالنا " أي ما يسوؤنا بسبب أعمالنا السيّئة من عقوبات , فأصبح كما بين ابن القيم –رحمه الله تعالى- يتضمن هذا الدعاء :

1. -أصل الشر الذي هو : النفس الأمارة بالسوء
2. -و فرعه الذي هو:الأعمال السيئة
3. -و غايته و مقتضاه التي هي : العقوبة التي هي من أسباب الشرّ و موجباته

فهذا تعوذ عظيم جدا و نظيره ما أشرت إليه, ويُنصح كل مسلم بالمواظبة عليه, كل صباح و كل مساء و عندما يأوي إلى فراشه, الدعاء الذي علمه النبي- ﷺ - صديق الأمة "اللّهم فاطر السماوات و الأرض عالم الغيب و الشهادة ربّ كل شيء و مليكه, أشهد أن لا إله إلا أنت, أعوذ بك من شر نفسي و شر الشيطان و شركه "

و تروى أيضا "من شر الشيطان و شرَكه" , "شرَكه " أي مصائب التي يضعها الشيطان

"و شركِه" أي ما يدعو إليه من الشرك

"وأن أقترف على نفسي سوءً أو أجره إلى مسلم"

فتعوّذ من أربعة أمور من مصدري الشر ونتيجتيه من مصدري الشر النفس الأمارة والشيطان ونتيجتيه أن يقترف على نفسه سوءً أو يجره على الآخرين ,فهذا الدعاء جدير بكل مسلم أن يواظب عليه في الصباح وفي المساء وعند النوم كما علم النبي ﷺ أبا بكر أن يدعو به –نعم.

وَمِنْ دُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُمْ: {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ} [سُورَةُ غَافِرٍ: 9] . فَهَذَا يَتَضَمَّنُ طَلَبَ وِقَايَتِهِمْ مِنْ:سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ. - وَعُقُوبَاتِهَا الَّتِي تَسُوءُ صَاحِبَهَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَتَى وَقَاهُمْ عَمَلَ السَّيِّئِ وَقَاهُمْ جَزَاءَ السَّيِّئِ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: {وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ} أَظْهَرَ فِي عُقُوبَاتِ الْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبِ وِقَايَتُهَا يَوْمَئِذٍ.

نعم- ذكر هنا دعاء الملائكة للمؤمنين :﴿الَّذينَ يَحمِلونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيُؤمِنونَ بِهِ وَيَستَغفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحمَةً وَعِلمًا فَاغفِر لِلَّذينَ تابوا وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ وَقِهِم عَذابَ الجَحيمِ﴾ [غافر: 7]..إلى آخر هذه الدعوات

منها :﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئِذٍ فَقَد رَحِمتَهُ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ﴾ [غافر: 9]

هذه دعوات من الملائكة ,والملائكة جنس آخر غير جنس البشر الملائكة خلقوا من نور والبشر خلقوا من طين فهم جنس آخر وهذا يوضح لك أن رابطة الإيمان هي أوثق الروابط على الإطلاق ولايوجد أصلا في الروابط مهما قويت أقوى من رابطة الايمان ولهذا مع اختلاف الجنس هم خلقوا من نور وابن آدم خلق من جنس آخر ليست القضية الآن قبيلة وقبيلة وبلد وبلد ولون ولون التي ينبني عليها عند الناس تعصبات كثيرة وأشياء ما أنزل الله بها سلطان لا هم جنس آخر مختلف خلقوا من نور وابن آدم خلق من طين لكن رابطة الايمان ولدت هذه المحبة العظيمة والدعاء الدائم المستمر للمؤمنين بهذه الدعوات العظيمة الذين ﴿الَّذينَ يَحمِلونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيُؤمِنونَ بِهِ وَيَستَغفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا﴾ [غافر: 7]

إذا الرابطة هي ماذا الايمان التي هي أوثق الروابط هذا الايمان الذي عند الملائكة وعند صالح البشر ولد في الملائكة دعاءً مستمرا ومحبة عظيمة للمؤمنين بهذه الدعوات العظيمة والتي يبين هنا ابن القيم - رحمه الله- طرفا من هذه الدعوات وهو قول الملائكة في دعائهم للمؤمنين ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئِذٍ فَقَد رَحِمتَهُ وَذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظيمُ﴾ [غافر: 9]

يقول ابن القيم قول الملائكة { وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ } يتناول أمرين :

- يتناول إبعادهم , ووقايتهم من الذنوب,
- ويتناول أيضا وقايتهم من عقوبات الذنوب

والوقاية من عقوبات الذنوب مترتب على الوقاية من الذنوب، قال فهذا يتضمن طلب وقايته من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها، لأن العقوبات التي على الأعمال السيئة هي من سيئات الأعمال لأنها تولّدت عنها، ووُجِدت بسببها.قال فإنه سبحانه متى وقاهم عمل السيئ، وقاهم جزاء السيئ.

قال: فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ سَأَلُوهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَهَذَا هُوَ وِقَايَةُ الْعُقُوبَاتِ السَّيِّئَةِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّيِّئَةِ الَّتِي سَأَلُوا وِقَايَتَهَا، الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ، يَكُونُ الَّذِي سَأَلَهُ الْمَلَائِكَةُ نَظِيرَ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -.

وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: " يَوْمَئِذٍ " فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ وِقَايَةُ شُرُورِ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَهِيَ سَيِّئَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا.

هذا الآن إيراد، أورده على ما سبق. هو رحمه الله يقرر أن المراد بقول الملائكة "وقهم السيئات " يتناول أمرين، يقرر أن هذا يتناول أمرين:

- يتناول الوقاية من الذنوب.

- ويتناول الوقاية من عقوبات الذنوب.

هذا الذي يقرره، كما سبق إيضاحه لذلك. فقال: إن قيل قد ذكرت عقوبات الذنوب بعدهم "وقهم عذاب الجحيم"، هذه عقوبات الذنوب، فيكون قول الملائكة" وقهم السيئات" أي الذنوب ولا يتناول العقوبة لأنّ العقوبة ذُكِرت، فالجواب على ذلك.

قِيلَ: وِقَايَةُ السَّيِّئَاتِ نَوْعَانِ.

أَحَدُهُمَا: وِقَايَةُ فِعْلِهَا بِالتَّوْفِيقِ فَلَا تَصْدُرُ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: وِقَايَةُ جَزَائِهَا بِالْمَغْفِرَةِ، فَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا، فَتَضَمَّنَتِ الْآيَةُ سُؤَالَ الْأَمْرَيْنِ، وَالظَّرْفُ تَقْيِيدٌ لِلْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ لَا لِلْجُمْلَةِ الطَّلَبِيَّةِ.

يقول رحمه الله: قيل وقاية السيئات نوعان:

أحدهما وقاية فعلها بالتوفيق، فلا تصدر منه - " قهم السيئات" -أي قهم من فعل السيئات، جنبهم السيئات، أعذهم من فعل السيئات.

والمعنى الثاني: وقاية جزائها بالمغفرة، يعني من وقع في السيئة وفقه للتوبة منها واغفر له هذا الذنب الذي وقع فيه فلا يعاقب عليها.

فتضمنت الآية سؤال الأمرين.

وَتَأَمَّلْ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ مَدْحِهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اسْتِغْفَارِهِمْ تَوَسُّلَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِسَعَةِ عِلْمِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، فَسَعَةُ عِلْمِهِ تَتَضَمَّنُ عِلْمَهُ بِذُنُوبِهِمْ وَأَسْبَابِهَا وَضَعْفِهِمْ عَنِ الْعِصْمَةِ، وَاسْتِيلَاءِ عَدُوِّهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَهَوَاهُمْ وَطِبَاعِهِمْ وَمَا زُيِّنَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَعِلْمَهُ بِهِمْ إِذْ أَنْشَأَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ هُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَعِلْمَهُ السَّابِقَ بِأَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْصُوهُ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَعَةِ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.

وَسَعَةُ رَحْمَتِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَهْلَكُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَإِنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ لَا يُخْرِجُ عَنْ دَائِرَةِ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْأَشْقِيَاءَ، وَلَا أَشْقَى مِمَّنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَغْفِرَ لِلتَّائِبِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا سَبِيلَهُ، وَهُوَ صِرَاطُهُ الْمُوَصِّلُ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَطَاعَتُهُ، فَتَابُوا مِمَّا يَكْرَهُ، وَاتَّبَعُوا السَّبِيلَ الَّتِي يُحِبُّهَا، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُصُولِهِمْ وَفُرُوعِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَإِنَّهُ وَعَدَهُمْ بِهَا بِأَسْبَابٍ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا: دُعَاءُ مَلَائِكَتِهِ لَهُمْ أَنْ يُدْخِلَهُمْ إِيَّاهَا بِرَحْمَتِهِ الَّتِي مِنْهَا أَنْ وَفَّقَهُمْ لِأَعْمَالِهِمْ وَأَقَامَ مَلَائِكَتَهُ يَدْعُونَ لَهُمْ بِهَا.

وإقامة الملائكة يدعون بها للمؤمنين، هذه من نعمة الله العظيمة على المؤمنين، أن قيّض هؤلاء الملائكة أن يدعو هذه الدعوات المستجابات،بإلحاح ومداومة واستمرار يدعون الله -سبحان وتعالى- للمؤمنين، فدخول الجنة، والنجاة من النار، هو بأسباب هيأها الله -سبحانه وتعالى -من جملة هذه الأسباب ما

هيأه الله -سبحانه وتعالى- ويسره من هذه الدعوات العظيمة، التي تدعو بها الملائكة للمؤمنين،وأمر هذه الدعوات ليس بالهين، أمر هذه الدعوات التي يسرها الله،و قيض الملائكة للمداومة عليها، هذه أمر ليس بالهين، وهي دعوات عظيمة، أشار ابن القيم -رحمه الله تعالى -إلى مضامينها العظيمة، وتوسلات الملائكة العظيمة،ومنشأ هذه الدعوة، وهو الايمان الذي في الملائكة، وهي دعوات لأهل الايمان، من صالح البشر بما فيه فلاحهم ،سعادتهم، ورفعتهم، ونجاتهم من سخط الله- سبحانه وتعالى -وفوزهم بجنات النعيم

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ مَلَائِكَتِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا عَقِيبَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ: {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سُورَةُ غَافِرٍ: 8] .أَيْ مَصْدَرُ ذَلِكَ وَسَبَبُهُ وَغَايَتُهُ صَادِرٌ عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِكَ وَكَمَالِ عِلْمِكَ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ كَمَالُ الْقُدْرَةِ، وَالْحِكْمَةَ كَمَالُ الْعِلْمِ، وَبِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ يَقْضِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا شَاءَ، وَيَأْمُرُ وَيَنْهَى وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مَصْدَرُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

وفي هذا الباب قاعدة عند أهل العلم أن الآيات التي تختم بأسماء حسنى لله، لما ختم بها من أسماء الله تعلق بالمعنى الذي ذُكر في الآية، وابن القيم- رحمه الله تعالى- نبّه على ذلك ،وأن هذا الإنعام،والإكرام،والفوز برضوان الله،والنجاة من سخطه،مصدر ذلك هو سببه،وغايته،صادر عن كمال قدرةالله،وكمال علمه -سبحانه وتعالى -ولهذا خُتمت الآية " إنك أنت العزيز الحكيم "فإن العزةكمال القدرة،والحكمة كمال العلم، بوضع الأمور مواضعها،

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عُقُوبَاتِ السَّيِّئَاتِ تَتَنَوَّعُ إِلَى عُقُوبَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَعُقُوبَاتٍ قَدَرِيَّةٍ، وَهِيَ إِمَّا فِي الْقَلْبِ، وَإِمَّا فِي الْبَدَنِ، وَإِمَّا فِيهِمَا، وَعُقُوبَاتٍ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَعُقُوبَاتٍ يَوْمَ عَوْدِ الْأَجْسَادِ، فَالذَّنْبُ لَا يَخْلُو مِنْ عُقُوبَةٍ أَلْبَتَّةَ، وَلَكِنْ لِجَهْلِ الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ وَالْمُخَدَّرِ وَالنَّائِمِ الَّذِي لَا يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ، فَتَرَتُّبُ الْعُقُوبَاتِ عَلَى الذُّنُوبِ كَتَرَتُّبِ الْإِحْرَاقِ عَلَى النَّارِ، وَالْكَسْرِ عَلَى الِانْكِسَارِ، وَالْغَرَقِ عَلَى الْمَاءِ، وَفَسَادِ الْبَدَنِ عَلَى السُّمُومِ، وَالْأَمْرَاضِ عَلَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لَهَا،

أن الذنوب جالبة للعقوبة، والعقوبة مترتبة على الذنوب ولابد ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو فيه من العقوبة مثله كمثل الذي يأكل أطعمة فيها مضرة لصحته وإهلاك له ، لكنها تعجبه وتستهويها نفسه فيأكل منها بشره مرة تلو الأخرى والمرض لا يزال يسري ببدنه إلى أن يفتك به المرض فيهلكه تماما

فالمعاصي هكذا لكن لا يشعر العاصي لعظيم جهله فيمضي في الذنوب ويتمادى فيها.

وَقَدْ تُقَارِنُ الْمَضَرَّةُ الذَّنْبَ وَقَدْ تَتَأَخَّرُ عَنْهُ،

المضرة التي تترتب على الذنب قد تقارن الذنب تقع معه أو قريبا منه وأحيانا تتأخر ربما تتأخر وقتا طويلا

إِمَّا يَسِيرًا وَإِمَّا مُدَّةً، كَمَا يَتَأَخَّرُ الْمَرَضُ عَنْ سَبَبِهِ أَنْ يُقَارِنَهُ

هذا الذي هو المرض بالأسباب التي يتولد منها المرض قد يتولد المرض سريعا وقد يتأخر، قد يأكل الإنسان بعض الأطعمة الضارة فلا تضره في الحال، لكن تظهر مضرتها بعد حين، قد تكون بعد سنوات طويلة، والذنوب كذلك قد تظهر مضرتها في الحين وقد تتأخر، فلا تظهر إلا بعد حين بعد وقتٍ طويل

قال ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ الْغَلَطُ لِلْعَبْدِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَلَا يَرَى أَثَرَهُ عَقِبَهُ

لا يرى العقوبة تحل به مباشرة يرى أنه فعل الذنب ثم فعله ثانية ثم فعله رابعة,وما رأى ذنبا فيرى من خلال ذلك أنه ليس هناك عقوبة، لو كانت هناك عقوبة لنزلت، فيكون ذلك سببه والعياذ بالله لتماديه في الذنب،

، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا

ولا يدري أنه يعمل عمله الذنب يعمل عمله في حلول العقوبة على التدريج شيئا فشيئا,وإلا العقوبة آتية وحالّة بالعبد

، كَمَا تَعْمَلُ السُّمُومُ وَالْأَشْيَاءُ

الضَّارَّةُ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ،

السموم والأشياء الضارة عندما يتناولها الإنسان في بدنه قد تهلكه فورا وقد يكون إهلاكها له بعد مدة تبقى تسري في البدن وتتضاعف إلى أن تهلك المرء.

فَإِنْ تَدَارَكَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِالْأَدْوِيَةِ وَالِاسْتِفْرَاغِ وَالْحِمْيَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى الْهَلَاكِ، هَذَا إِذَا كَانَ ذَنْبًا وَاحِدًا لَمْ يَتَدَارَكْهُ بِمَا يُزِيلُ أَثَرَهُ، فَكَيْفَ بِالذَّنْبِ عَلَى الذَّنْبِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُلَّ سَاعَةٍ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

كيف إذا كان الأمر ذنوب تتراكم على العبد ويدخل من ذنب إلى آخر ثم لا يرى عقوبة حلت به مباشرة فيتمادى في الذنوب حتى تكون هذه الذنوب موجبة لعطبه وهلكته في دنياه وأخراه.

كل ذلك ولا يزال أيضا الكلام موصولا فيما سيأتي كل ذلك تنبيه وإيقاظ من الإمام ابن القيم هذا الإمام الناصح -رحمه الله تعالى- للعبد أن يحذر من الذنوب لأنها خطر عظيم عليه وسبحان الله وهذا مر معنا قريبا كثير من الناس له عناية بحفظ بدنه يعتني بهذا الجانب عناية دقيقة ولهذا يكون هناك أطعمة شهية ولذيذة وطيبة ونفسه تحبها فلا يأكلها ويراها أمامه لا يأكلها يريد حمية لبدنه يريد سلامة لصحته فيكون أمامه الطعام الشهي فلا يمد يده إليه وهو يعلم أنه لو أكله ما ضره ولا ظهرت عليه مضرة لكنه يعلم أنه لو داوم عليه وأكثر منه يظهر في بدنه بعد حين إما ترهلا في البدن أو أمراض يجلبها للبدن أو غير ذلك فتجده يتقي الطيبات من الأطعمة خوف مضرتها لكنه في الوقت نفسه لا يتقي الذنوب خوف معرتها ,ومر معنا في هذا بيتين نقلها ابن القيم -رحمه الله تعالى- قال فيهما :

جسمك بالحمية حصنته مخافة من ألم طاري
وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي خشية النار

أنا في نسختي (الباري)وفي النسخ التي عندكم أو أكثر النسخ (النار) وهو صواب وهو الذي يوافق ما جاء من إيراد لهذين البيتين من المصادر الأخرى التي نقلت هذين البيتين والمعنى أيضا مستقيم (خشية الباري)ولكن البيت أصله هكذا من خشية النار يعني عقوبة البدن إذا كان هو يجنب بدنه مضار الأطعمة فليجنب أيضا بدنه مضرة دخول النار يوم القيامة لأن الذنوب تجر البدن إلى النار فالحكمة ومقتضى العقل السليم كما أنه يحتمي من الأطعمة خوف مضرتها أن يحتمي من ماذا ؟

من الذنوب خوف عقوبتها.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظنا بحفظه وأن يتغمدنا أجمعين برحمته وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ونسأله جل وعلا أن يعيذنا أجمعين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يعيذنا أجمعين من شر أنفسنا وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوء أو أن نجره إلى مسلم,ونسأله جل وعلا أن يصلح لنا أجمعين ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من

كل شر, ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار, اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا, اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك, اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه .

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسْمِ الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد : فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء

[فَصْلٌ بَعْضُ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي]

فَاسْتَحْضِرْ بَعْضَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي رَتَّبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الذُّنُوبِ وَجَوِّزْ وَصُولَ بَعْضِهَا إِلَيْكَ

وَاجْعَلْ ذَلِكَ دَاعِيًا لِلنَّفْسِ إِلَى هِجْرَانِهَا، وَأَنَا أَسُوقُ لَكَ مِنْهَا طَرَفًا يَكْفِي الْعَاقِلَ مَعَ التَّصْدِيقِ بِبَعْضِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم , الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله- صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين-،اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ,وأصلح لنا شأننا كله , ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين,أما بعد :

فلا يزال هذا الإمام الناصح العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى- يُواصل بيان عواقب الذنوب، وأضرارها العظيمة المتنوعة ،وفي أثناء قراءاتنا لهذه العقوبات نظنُ أن الأمر تمّ بيانًا ، ثم يُجدد -رحمه الله تعالى- النُصح والبيان بعقد فصل تلوَ الآخر مُنوعاً في بيان عقوبات الذنوب بنفسٍ طويل، وبيانٍ واسع نُصحاً منه -رحمه الله تعالى- للعِباد، وتحذيراً من عواقب الذنوب ومغبّاتها ،

والعاقل الناصح لنفسه ينبغي عليه أن ينظر طويلاً، وأن يتأمل في عواقب الذنوب، لتكون هذه المعرفة منه بعواقب الذنوب معونةً له على الكفِّ عنها، والبُعدِ عنها، والحذر من الوقوعِ فيها ،

ولهذا تأمل كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله- هنا في هذا الفصل الجديد والذي سيذكُر فيه أنواعاً أخرى من عواقب الذنوب يقول :

فاستحضر أي أيها الناصح لنفسه بعض العقوبات التي رتبها الله -سبحانه وتعالى- على الذنوب، وجوّز وصول بعضها إليك :

أي إن وقعت في هذه الذنوب وتماديت فيها جوِّز وصول بعضها إليك، واجعل ذلك داعياً للنفس إلى هجرانها،وهذا من نصحه -رحمه الله-، وهو أيضاً بيانٌ للغرض الذي من أجله أخذ يُعدد هذه العواقب للذنوب، أن يتأمل الناصح في هذه العواقب وأن يُجّوز وصول بعضها إليه إن كان وقع في هذه الذنوب ،

قال : وأنا أسوق لك منها طرفاً يكفي العاقل مع التصديق ببعضه : يعني يكفي العاقل رادعاً وزاجراً وكافًّا له عن فعل الذنوب والوقوع فيها ،ونسأل الله -عز وجل- أن يجعل قراءتنا لهذا الكلام للإمام ابن القيم من العلم النافع، وأن ينفعنا بذلك، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يُعيننا على رُشد أنفسنا وصلاحها. نعم

[الْخَتْمُ عَلَى الْقَلْبِ]

قال : وَمِنْهَا: الْخَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْغِشَاوَةُ عَلَى الْأَبْصَارِ، وَالْإِقْفَالُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَجَعْلُ الْأَكِنَّةِ عَلَيْهَا وَالرَّيْنُ عَلَيْهَا وَالطَّبْعُ وَتَقْلِيبُ الْأَفْئِدَةِ وَالْأَبْصَارِ، وَالْحَيْلُولَةُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَإِغْفَالُ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ الرَّبِّ، وَإِنْسَاءُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَتَرْكُ إِرَادَةِ اللَّهِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ، وَجَعْلُ الصَّدْرِ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ، وَصَرْفُ الْقُلُوبِ عَنِ الْحَقِّ، وَزِيَادَتُهَا مَرَضًا عَلَى مَرَضِهَا، وَإِرْكَاسُهَا وَنَكْسُهَا بِحَيْثُ تَبْقَى مَنْكُوسَةً، كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ:- قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ: فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، - وَقَلْبٌ أَغْلَفُ: فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ، - وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ: فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ، - وَقَلْبٌ تَمُدُّهُ مَادَّتَانِ: مَادَّةُ الْإِيمَانِ وَمَادَّةُ نِفَاقٍ، وَهُوَ لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا.

نعم،قال فمنها أي من عواقب الذنوب وعقوباتها هذه الأمور العديدة التي ذكر, وهي ليست عقوبة واحدة التي عدَّ هنا, إنما عقوبات متنوعة وكلها جاء ذكرها في كتاب الله -سبحانه وتعالى-

* مثل الختم على القلب والأسماع والغشاوة على الأبصار والإقفال على القلوب وجعل الأكِنّة عليها والرين عليها والطبع إلى آخر ما ذكر - رحمه الله تعالى- ..

هذه كلها من عواقب الذنوب وأضرارها على القلوب وحاصل هذه العقوبات أنها تحجب صاحبها عن الخير وتغلق عليه منافذ الخير فيبقى مغلقاً عليه في شرٍ وفسادٍ وانحلال وليس هناك منافذ لأن القلب طُبع عليه وغطى عليه الران فلم يكن فيه منفذ وعليه الغشاوة والختم على قلبه والحيلولة بينه وبين الايمان والأمر العظيم أيضاً الذي أشار إليه رحمه الله بقوله:

وترك إرادة الله تطهير قلبه { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ } إلى غير ذلك من الأنواع التي تترتب على تمادي الإنسان في عصيان الله -سبحانه وتعالى- والوصول إلى هذه النتيجة يبيّنها جلياً الحديث الذي مر معنا ذكره الإمام ابن القيم في موطن سابق وهو قول النبي ﷺ: " إذا أذنب العبد ذنباً نُكت في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب ونزع واستغفر صُقل وكلما زاد زادت النكت حتى يكون الران " ثم تلا قول الله تعالى:{كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : 14]

أي غطى على قلوبهم ما كانوا يرتكبون من المعاصي والآثام. نعم

قال : وَمِنْهَا: التَّثْبِيطُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالْإِقْعَادُ عَنْهَا.

نعم ، وهذه من المضار العظيمة للذنوب: أنها مثبط عن طاعة الله وتثني صاحبها عن الخير ؛لأن المعصية لا تولِّد طاعة وإنما تولد مثلها؛ فكما أن الحسنة تنادي أختها وتدعو إليها فإن السيئة كذلك تنادي أختها وتدعو إليها؛ فالسيئة لا تولد حسنةً وإنما تولد سيئات, فإذا وضع المرء قدمه في طريق المعاصي والسيئات كان من العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك أنها تثبطه عن طاعة الله وهذه نتيجة طبيعية في ترتبها على الذنب نتيجة تلقائية للذنب أنه يُبعد عن الطاعة ويُدني من المعاصي الأخرى. نعم

قال : وَمِنْهَا: جَعْلُ الْقَلْبِ أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ الْحَقَّ، أَبْكَمَ لَا يَنْطِقُ بِهِ، أَعْمَى لَا يَرَاهُ، فَتَصِيرُ النِّسْبَةُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ غَيْرُهُ، كَالنِّسْبَةِ بَيْنَ أُذُنِ الْأَصَمِّ وَالْأَصْوَاتِ، وَعَيْنِ الْأَعْمَى وَالْأَلْوَانِ، وَلِسَانِ الْأَخْرَسِ وَالْكَلَامِ، وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْعَمَى وَالصَّمَمَ وَالْبَكَمَ لِلْقَلْبِ بِالذَّاتِ: والْحَقِيقَةُ، وَلِلْجَوَارِحِ بِالْعَرَضِ وَالتَّبَعِيَّةِ {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 46].

وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الْعَمَى الْحِسِّيِّ عَنِ الْبَصَرِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} [سُورَةُ النُّورِ: 61].
وَقَالَ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى - أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [سُورَةُ عَبَسَ: 1 - 2].
وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أن الْعَمَى التَّامُّ فِي الْحَقِيقَةِ: عَمَى الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ عَمَى الْبَصَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالأَعْمَى، حَتَّى إِنَّهُ يَصِحُّ نَفْيُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» وَقَوْلِهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ» وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ.
وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي جَعْلَ الْقَلْبِ أَعْمَى أَصَمَّ أَبْكَمَ.

نعم ، هذه أيضاً من العقوبات التي تترتب على الذنوب فيما يتعلق بالقلب والمضرة العظيمة التي يجرها الذنب أو الذنوب على القلب أنها قد توصل القلب إلى هذه المرحلة أن يكون القلب أعمى أصم أبكم وتكون حال القلب في عدم انتفاعه من الحق والهُدى والخير الذي لا صلاح للقلب إلا به كحال الأصم مع الأصوات والأعمى مع المرئيات فكما أن الأعمى لا يراها والأصم لا يسمع الأصوات فهذا لا ينتفع بالخير ولا يهتدي إلى الحق لما في

قلبه من العمى والصمم والبعد عن الحق والهدى وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج ٤٦]

وبيَّن ابن القيم رحمه الله تعالى أن العمى الحقيقي والصمم الحقيقي والبكم الحقيقي هو ما يكون في القلب والذي في الجوارح تبع وهذا الذي ذكر رحمه الله واضحٌ الدليل عليه في الآية الكريمة: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج ٤٦] ،أي العمى الحقيقي إنما يكون في القلب الذي هو عمى البصيرة وانطماس البصيرة قال رحمه الله : وإنما المراد أن العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى إن عمى البصر بالنسبة إليه كالأعمى حتى إنه يصح نفيُهُ بالنسبة إلى كماله وقوته ومثَّل بالحديث: ((ليس الشديد بالصُّرعة))،

الصُّرعة الذي يصرع الرجال هذا شديد, لكن يقول عليه الصلاة والسلام: ((ليس الشديد بالصُّرعة)) يعني كمال الشِدّة في هذا المقام ليس بأن يكون المرء صُرعة يصرع الرجال وإنما كمال الشدة أن يملك المرء نفسه عند الغضب .

[خَسْفُ الْقَلْبِ]

قال : وَمِنْهَا: الْخَسْفُ بِالْقَلْبِ كَمَا يُخْسَفُ بِالْمَكَانِ وَمَا فِيهِ، فَيُخْسَفُ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ، وَعَلَامَةُ الْخَسْفِ بِهِ أَنَّهُ لَا يَزَالُ جَوَّالًا حَوْلَ السُّفْلِيَّاتِ وَالْقَاذُورَاتِ وَالرَّذَائِلِ، كَمَا أَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي رَفَعَهُ اللَّهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ لَا يَزَالُ جَوَّالًا حَوْلَ البرِ والخيرِ ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق .) (1)

قال : وَمِنْهَا: الْبُعْدُ عَنِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَمَعَالِي الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَّالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ.

(1) تم التعديل على المتن كما قال الشيخ حفظه الله .

قال -رحمه الله- ومنها: أي عواقب الذنوب -الخسف بالقلب أن يُخسف بقلب العاصي المذنب وذكر -رحمه الله تعالى- علامة يُعرف من خلالها بهذا الخسف الذي حصل للقلب وأن القلب قد خُسِفَ به علامة ذلك أن يصبح القلب لا هِمّة لـه إلا في الدنيئات والخسيسات والحقيرات من الأمور والسيئات من الأعمال فيُصبح القلب جوالاً حول هذه الأشياء هي همته وطِلبته وبُغيتهُ لا يُفكر إلا فيها ولا ينشغل إذا كان القلب بهذه الصِفة فهي علامة على أنه قلب قد خُسف به.

وإذا كان هناك قلوب قد خُسف بها فإن على الضد من ذلك هناك قلوب عليَّة رفيعة شريفة عالية ،

وعلامة القلب العلي الرفيع أن يكون جوالاً حول البر والخير والأعمال الصالحة لا هِمّة له إلا ذلك يخرج من بِر إلى بِر آخر ومن طاعة إلى أخرى حتى إنه من علوه تتزاحم عليه الأعمال حتى قيل في بعض السلف أنه لو كان ملك الموت عند بابه ما كان عنده زيادة عمل لامتلاء وقته بالأعمال الصالحة والبر والخير ،

فهذه قلوب عليَّة وعلامتها أنها جوالة حول البر والخير والأعمال الصالحة هذه همتها وهناك قلوب والعياذ بالله مخسوف بها هذا القلب الذي مخسوف به علامته أنه جوال حول الخسائس ولا يُفكر إلا بها ونفسه لا تتحدث إلا بها ولا يخرج من بيته إلا من أجلها لأن قلبه مخسوف به وهذه علامته،علامته أنه جوال حول الخسائس والأمور الحقيرات الأمور الدنيئات.

وقال بعض السلف: إن هذه القلوب جوَّالة فمنها ما يجول حول العرش ومنها ما يجول حول الحُش: يعني الأشياء السافلة والأشياء الدنيئة والأشياء الحقيرة .

فقلوب جوَّالة أي عالية رفيعة تدور حول العرش طلبًا لمرضاة رب العرش -سبحانه وتعالى- لرفعتها وعلوها وقلوب دنيئة وقلوب خسيسة ومتردية وهالكة ،

وبمناسبة مجيء لفظة جوَّالة يقول أحد السلف : جوَّالة حول العرش والأخرى جوَّالة حول الحُش قل مثل هذا في استعمالات الناس الآن للجوال منهم من يُخرج جواله من جيبه وهمته للأشياء الخسيسة الحقيرة يبحث عنها ويتتبعها في مواقعها ويخرج من موقع إلى آخر لا همة له في هذا الجوال إلا الخسيس الحقير الدنيء الأعمال السيئة القبيحة التي لا تجلب لقلبه إلا المرض وزيادة الأذى لقلبه والضرر له فيُخرج جواله ولا همة له أصلاً إلا أن يبحث عن هذه الأشياء وينقِّب عنها ويدخل من مكان إلى آخر نظراً في الخسائس،والجوالات في المواقع التي يوصل إليها من خلال الجوالات مليئة بالخسائس والأمور الحقيرة التي يجب على المسلم أن يربأ بنفسه عنها.

قد هيؤوك لأمر لو فطِنت له ***.فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهملِ

هذه أمور لأهل الخساسة والدناءة والضياع فالمؤمن يربأ بنفسه أن يكون جوالاً في جواله مع هذه الخسائس والأمور الحقيرة الدنيئة،

وأما أصحاب القلوب العلية الرفيعة فإنه لا يُفكر أصلاً أن يصل إلى شيء من خلال هذه الجوالات إلى شيء من هذه المضار .حتى إن بعض الصالحين في زماننا أصلاً لم يقبل الجوال حفظاً لقلبه وبعضهم لم يقبل الجوالات التي تُسمى الذكية خوفاً مما فيها من عدم الزكاء والخير وما فيها من المضار المتنوعة مع الخير الذي فيها، لكنه حفظاً لقلبه وصيانة له تركها مع عدم البأس في استعمالها فيما ينفع لكنه ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس ورعاية لقلبه وصيانة له. نعم

[مَسْخُ الْقَلْبِ]

قال : وَمِنْهَا: مَسْخُ الْقَلْبِ، فَيُمْسَخُ كَمَا تُمْسَخُ الصُّورَةُ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبِ الْحَيَوَانِ الَّذِي شَابَهَهُ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَعْمَالِهِ وَطَبِيعَتِهِ، فَمِنَ الْقُلُوبِ مَا يُمْسَخُ عَلَى خُلُقِ خِنْزِيرٍ لِشِدَّةِ شَبَهِ صَاحِبِهِ بِهِ، وَمِنْهَا مَا يُمْسَخُ عَلَى خُلُقِ قَلْبِ كَلْبٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا تَأْوِيلُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 38] .

قَالَ: مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ الْكِلَابِ وَأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ وَأَخْلَاقِ الْحَمِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَطَوَّسُ فِي ثِيَابِهِ كَمَا يَتَطَوَّسُ الطَّاوُوسُ فِي رِيشِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ بَلِيدًا كَالْحِمَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ كَالدِّيكِ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ كَالْحَمَامِ، وَمِنْهُمُ الْحَقُودُ كَالْجَمَلِ، وَمِنْهُمُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْغَنَمِ، وَمِنْهُمْ أَشْبَاهُ الذِئاب ،وَمِنْهُمْ أَشْبَاهُ الثَّعَالِبِ الَّتِي تَرُوغُ كَرَوَغَانِهَا، وَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْجَهْلِ وَالْغَيِّ بِالْحُمُرِ تَارَةً، وَبِالْكَلْبِ تَارَةً، وَبِالْأَنْعَامِ تَارَةً، وَتَقْوَى هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ بَاطِنًا حَتَّى تَظْهَرَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ظُهُورًا خَفِيًّا، يَرَاهُ الْمُتَفَرِّسُونَ، وَتَظْهَرَ فِي الْأَعْمَالِ ظُهُورًا يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا يَزَالُ يَقْوَى حَتَّى تُسْتَشْنَعَ الصُّورَةُ، وتَنْقَلِبُ لَهُ الصُّورَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمَسْخُ التَّامُّ، فَيَقْلِبُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الصُّورَةَ الظَّاهِرَةَ عَلَى صُورَةِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ، كَمَا فَعَلَ بِالْيَهُودِ وَأَشْبَاهِهِمْ، وَيُفْعَلُ بِقَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَمْسَخُهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! كَمْ مِنْ قَلْبٍ مَنْكُوسٍ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ؟ وَقَلْبٍ مَمْسُوخٍ وَقَلْبٍ مَخْسُوفٍ بِهِ؟ وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَمَغْرُورٍ بِسِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ وَمُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ؟ وَكُلُّ هَذِهِ عُقُوبَاتٌ وَإِهَانَاتٌ يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهَا كَرَامَةٌ.

نسأل الله أن يحفظ قلوبنا أجمعين اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ،قال رحمه الله تعالى: ومنها مسخ القلب هذه أيضاً من العقوبات التي تتولد عن الذنوب: أنها قد تصل بصاحب

الذنب إلى أن يُمسخ قلبه والمسخ-كما أوضح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى- يكون على أنواع وهذا التنوع في المسخ الذي يصل إليه القلب:

- قال تارة يُمسخ على خنزير أو يمسخ على كلب أو على سباع أو على غيرها.. هذا التنوع في المسخ الذي يكون للقلب هو راجع إلى نوع الذنب, فكل ذنب أو كل جنس من الذنوب يولد نوعاً من المسخ فالفواحش والزنى وهذه الذنوب والتمادي فيها يورث مسخاً للقلب كحال الخنزير- والعياذ بالله- وقل مثل ذلك في الذنوب الأخرى فالسرقة مثلاً أو الجشع والغل والحسد وغير ذلك ..فهذه تولد في القلب مسخاً حتى إن الإنسان يُصبح في وقت ما فيه شبه بواحد من هذه الحيوانات.
ولهذا قال المصنِف:إن الله -سبحانه وتعالى- شبه في القرآن بعض الناس تارة بالكلب وبالحمار وببهيمة الأنعام قال بل هم أشد, فالحاصل أن الذنوب تولد في الإنسان مسخاً بأن يمسخ قلبه على قلب خنزير لشدة شبه صاحبه ومنهم من يمسخ على خُلق كلب أو حمار أو حية أو عقرب وهكذا, وكذا بحسب الذنوب التي يفعلها, ولهذا يأتي على ألسِنة بعض الناس تشبيه بعض العصاة بما يرونه من صفات ظاهرة عليه بنوع من الحيوانات التي هو يُشبهها بأفعاله هذه.

قال ابن القيم: وهذا تأويل سفيان بن عيينة لقول الله -سبحانه وتعالى- :﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾ [الأنعام: 38]

أي هذه الأخلاق والأعمال والصفات الموجودة في الحيوانات وفي السباع والبهائم والطير إلى آخر ذلك؛ في البشر مثلهم، من هو شبيه بهم في تلك الصفات، وكل ذلك متولد من المعاصي والذنوب.
وسبحان الله؛ جاءت الأعمال الصالحة تربي المرء على أن يرفع نفسه، وأن ينأى بها عن التشبه بالحيوان، والاتصاف بصفاته.

ولهذا انظر كم في الصلاة؛ هذه العبادة العظيمة الشريفة المتكررة فرضاً ونفلًا؛ كم فيها من التربية على الرفعة بالنفس والعلو بها، ولهذا تجد في الأحاديث النهي عن نَقْرٍ كنقر الغراب، وبروك كبروك البعير، وإقعاء كإقعاء الكلب، وافتراش كافتراش السبع، إلى غير ذلك؛ لأن هذه الصلاة تربي المرء تربية عظيمة على الرِفعة بنفسه والبعد بها عن الصفات الذميمة، ومن ذلك التشبه بهذه الحيوانات.

قال : وَمِنْهَا: مَكْرُ اللَّهِ بِالْمَاكِرِ، وَمُخَادَعَتُهُ لِلْمُخَادِعِ، وَاسْتِهْزَاؤُهُ بِالْمُسْتَهْزِئِ، وَإِزَاغَتُهُ لِقَلْبِ الزَّائِغِ عَنِ الْحَقِّ.

نعم وهذا الجزاء من جنس العلم ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

[نَكْسُ الْقَلْبِ]

قال : وَمِنْهَا: نَكْسُ الْقَلْبِ حَتَّى يَرَى الْبَاطِلَ حَقًّا وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَيُفْسِدُ وَيَرَى أَنَّهُ يُصْلِحُ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَيَشْتَرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى الْهُدَى، وَيَتَّبِعُ هَوَاهُ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُطِيعٌ لِمَوْلَاهُ. وَكُلُّ هَذَا مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْقَلْوبِ.

نعم ، هذه من عقوبات الذنوب الجارية على القلوب: أنها تؤدي بالقلب إلى أن يكون منكوساً وعلامة كون القلب منكوساً ما ذكره ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن يرى الأمور على غير حقيقتها؛ يرى المعروف منكراً،والمنكر معروفاً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، والسُّنة بدعة، والبدعة سنة، وهكذا..

هذا قلب منكوس، لأنه أصبح بسبب انتكاس قلبه يرى الأمور على غير حقيقتها، ورؤيته للأمور على غير حقيقتها من هذا التنكس الذي عليه قلبه. نعم

[حَجْبُ الْقَلْبِ عَنِ الرَّبِّ]

قال : وَمِنْهَا: حِجَابُ الْقَلْبِ عَنِ الرَّبِّ فِي الدُّنْيَا، وَالْحِجَابُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: 14 - 15] .

فَمَنَعَتْهُمُ الذُّنُوبُ أَنْ يَقْطَعُوا الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ، فَيَصِلُوا إِلَيْهَا فَيَرَوْا مَا يُصْلِحُهَا وَيُزَكِّيهَا، وَمَا يُفْسِدُهَا وَيُشْقِيهَا، وَأَنْ يَقْطَعُوا الْمَسَافَةَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، فَتَصِلَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ فَتَفُوزَ بِقُرْبِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَتَقَرَّ بِهِ عَيْنًا وَتَطِيبَ بِهِ نَفْسًا، بَلْ كَانَتِ الذُّنُوبُ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قلوبهم وحِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

نعم ، هذه أيضًا من العقوبات أو عواقب الذنوب؛ أنها تحجب القلب عن الرب في الدنيا؛ فتحول بينه وبين ما يقرّبه من الله ويدنيه منه جلّ في علاه؛ هذا في الدنيا.

وتحجبه عن الرب في الدار الآخرة، دار الكرامة والرضوان والفوز برؤية الرب العظيم سبحانه وتعالى، ولهذا قال الله -سبحانه- "كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ" [المطففين: (15)]

وهذا الحجاب الذي في الدّار الآخرة -عن ربهم- هو أثر لحجاب -أيضًا- في الدّنيا؛ فقلبه في الدنيا حُجِب عن الله بالتراكمات التي عليها القلب من المعاصي والبعد عن الله سبحانه وتعالى، والإعراض عنه، إلى أن وصل إلى هذا الحد الذي هو حجب القلب عن الله -سبحانه وتعالى- وعمّا يقرّب منه -عز وجل- فيُثمر هذا الحجاب الدّنيوي حجابًا في الآخرة "كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ" [المطففين: (15)].

وهذا الحجب الذي في الآخرة سببه: سخط الله عليهم، ولهذا قال الشافعي -رحمه الله- في هذه الآية: (إذا كان هؤلاء حُجبوا في السَّخط [بسبب سخط الله عليهم]؛ فإن المؤمنين يرونه في الرِّضا[أي رضا الله -سبحانه وتعالى- عنهم]) ولا يُمكن يُسوّى بين المؤمن وغيره بالحجاب.

ولهذا جاء في الحديث في صحيح مسلم قال -عليه الصلاة والسلام-: <إذا دخل أهل الجنّة الجنّة؛ قال الله: هل تُريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تدخلنا الجنّة وتُنجّنا من النّار وتُبيّض وجوهنا؟! قال: فيُكشفُ الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النّظر إلى الله -عزّ وجل->

قال : وَمِنْهَا: الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرْزَخِ، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [سُورَةُ طه: 124] .
وَفُسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ، وَالْآيَةُ تَتَنَاوَلُ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، فَإِنَّ عُمُومَهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ رَتَّبَ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَالْمُعْرِضُ عَنْهُ لَهُ مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ بِحَسَبِ إِعْرَاضِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ فِي الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، فَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَحْشَةِ وَالذُّلِّ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ الْقُلُوبَ، وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَالْعَذَابِ الْحَاضِرِ مَا فِيهِ، وَإِنَّمَا يُوَارِيهِ عَنْهُ سُكْرُ الشَّهَوَاتِ وَالْعِشْقِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ سُكْرُ الْخَمْرِ،

نعم ، يعني حتى وإن كان لا يشرب الخمر لكن فيه نوع من السكر آخر الذي هو سُكر الشهوات.

فَسُكْرُ هَذِهِ الْأُمُورِ أَعْظَمُ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ يُفِيقُ صَاحِبُهُ وَيَصْحُو،

نعم، صاحب الخمر يُفيق ويصحو، أما سُكر الشهوات فلا إفاقة فيها ولا صحو. نعم

وَسُكْرُ الْهَوَى وَحُبِّ الدُّنْيَا لَا يَصْحُو صَاحِبُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ، فَالْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ لَازِمَةٌ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي دُنْيَاهُ وَفِي الْبَرْزَخِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ، وَلَا تَقَرُّ

الْعَيْنُ، وَلَا يَهْدَأُ الْقَلْبُ، وَلَا تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إِلَّا بِإِلَهِهَا وَمَعْبُودِهَا الَّذِي هُوَ حَقٌّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سُورَةُ النَّحْلِ: 97] .

فَضَمِنَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَبِالْحُسْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُمْ أَطْيَبُ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدَّارَيْنِ.

نعم ، قال ومنها -عقوبات الذنوب- المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة مثل ما قال الله عز وجل : " وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ "

وهم كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى: في جحيم في دورهم الثلاثة في الدنيا والبرزخ والدار الآخرة..

ومما يدل على هذا المعنى قول الله سبحانه وتعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا "

هذه المعيشة الموصوفة بهذه الصفة بعض السلف قال: أي في القبر معيشة ضنكا أي في قبره

قال ابن القيم: معنى الآية أعم من ذلك فإنها كما تتناول القبر فإنها تتناول أيضاً الحياة الدنيا فهو في عيش ضنك حتى وإن كان مترفاً حتى وإن كان منعماً،

الضنك الذي في قلبه :حجبه عنه سُكر الشهوات والافتتان بالملذات فحجبه عن ذلك ,وإلا فإن الله -سبحانه وتعالى- أبى أن تكون الحياة الطيبة إلا في طاعته كما في الآية التي ساق آخراً وهي قول الله سبحانه وتعالى:" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً" هذا في الدنيا

" وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" هذا في الدار الآخرة، نعم

قال : وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} [سُورَةُ النَّحْلِ: 30] .

نعم ، الجزاء من جنس العمل {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} ، فالحسنة تولِّد الحسنى " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ "والسيئة تولِّد أيضاً من جنسها " ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ"..

قال : وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [سُورَةُ هُودٍ: 3] .

فَفَازَ الْمُتَّقُونَ الْمُحْسِنُونَ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحَصَلُوا عَلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدَّارَيْنِ، فَإِنَّ طِيبَ النَّفْسِ، وَسُرُورَ الْقَلْبِ، وَفَرَحَهُ وَلَذَّتَهُ وَابْتِهَاجَهُ وَطُمَأْنِينَتَهُ وَانْشِرَاحَهُ وَنُورَهُ وَسَعَتَهُ وَعَافِيَتَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ - هُوَ النَّعِيمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَا نِسْبَةَ لِنَعِيمِ الْبَدَنِ إِلَيْهِ.

نعم ، هذا كلام مهم جداً ينبغي أن يُفطن له ويتنبه!..

مدار السعادة وحقيقة السعادة هي هذه مدارها على راحة القلب وطمأنينته ولذته بطاعة ربه -سبحانه وتعالى- هذا هو مدار السعادة الحقيقية .. السعادة الحقيقية تدور على راحة القلب ,والقلب لا راحة له ولا قرار إلا بطاعة مَن خُلِق هذا القلب لأجله وهو الله-سبحانه و تعالى- ليكون قلباً مطيعاً خاضعاً لله – سبحانه و تعالى-

قال رحمه الله : فَقَدْ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَّذَّةَ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ.

نعم ، اللذة المراد بها لذة الطاعة وقُرة العين بالتقرب إلى الله —سبحانه و تعالى-

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً هِيَ فِي الدُّنْيَا كَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ تِلْكَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ، وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى هَذِهِ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ» وَقَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» .

نعم ، وقوله -عليه الصلاة والسلام- : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا .وما رياض الجنة قال حلق الذكر " أي مجالس العلم التي يبين فيها دين الله ويُعرّف العباد فيها بالله وعظمته وجلاله ويوعظ العباد فيها ويُذكّرون ويقربون من الله- سبحانه و تعالى-, هذه رياض للجنة واقتباساً من هذا المعنى الذي في الحديث جعل عدد من أهل العلم أسماء مصنفاتهم تحمل هذا العنوان يعني تجد في تصانيف أهل العلم رياض الصالحين , الرياض الناظرة , الروض المربع , بستان العارفين إلى غير ذلك , هذا كله أخذ من المعنى الذي

دل عليه هذا الحديث وأيضاً دل عليه قول النبي – صلى الله عليه وسلم - :" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة"

قال : وَلَا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [سُورَةُ الِانْفِطَارِ: 13 - 14] مُخْتَصٌّ بِيَوْمِ الْمَعَادِ فَقَطْ، بَلْ هَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثِ.

نعم ، النعيم في قوله "إن الأبرار لفي نعيم " أي في الدور الثلاث: الدنيا والبرزخ ويوم القيامة "والفجار لفي جحيم " أي في دورهم الثلاثة : في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة. نعم

قال : وَأَيُّ لَذَّةٍ وَنَعِيمٍ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ بِرِّ الْقَلْبِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَمَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ، وَالْعَمَلِ عَلَى مُوَافَقَتِهِ؟ وَهَلِ الْعَيْشُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَيْشُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ؟

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ - إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: 83 - 84] .

وَقَالَ حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ - إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: 88 - 89] .

وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ :الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ وَالْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالشُّحِّ وَالْكِبْرِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّئَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ عَنِ اللَّهِ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ، وَمِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَهُ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ تُزَاحِمُ مُرَادَهُ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عَنِ اللَّهِ، فَهَذَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَفِي جَنَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَفِي جَنَّةٍ يَوْمَ الْمَعَادِ.

نعم ، هذا كلام عظيم جداً في بيان القلب السليم: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ - إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} " بما تكون سلامة القلب؟

بيّن –رحمه الله- أن القلب لا يكون سليماً إلا إذا سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر هذه أدواء متفاوتة تذهب عن القلب سلامته بحسب حظه من هذه الأدواء ,فحتى يكون سليماً لابد أن يكون بعيداً عن هذه الأدواء متنزهاً عنها متطهراً من الاتصاف بها .

يقول رحمه الله : سليم القلب الذي سلم من كل آفة تُبعده من الله ثم وضح ذلك :

من كل شُبهة تعارض خبره؛ لأن قد يقع في قلوب بعض الناس شُبهات تجعله يتوقف أو يتردد في قبول بعض الأخبار التي جاءت عن الله أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذا يتنافى مع سلامة القلب لأن القلب السليم يتلقى كل ما جاء عن الله بالقبول .

فإذا كان في قلبه شبهة يعارض بها خبر الله ويتوقف بسببها عن قبول ما جاء عن الله أو عن رسوله عليه الصلاة والسلام ، فهذا راجع إلى خلل في قلبه وعدم سلامة فيه .

كذلك يقول: ومن كل شهوة تُعارض أمره : لأن الشهوات تعارض الأمر, ولهذا كم من إنسان يُعطل أوامر الله سبحانه وتعالى بسبب الشهوات وتتبُعِها، فلا يكون سليماً إلا بالسلامة من هذا أيضاً .

وسلم من كل إرادة تزاحم مراده : وهذا فيه توحيد المُراد بأن تكون أعماله كلها لله ولا يبغي بها إلا وجه الله سبحانه وتعالى مخلصاً له .

وسلِم من كل قاطع يقطع عن الله :والقواطع التي تعوق القلب في سيره عن الله كثيرة .فالسلامة أيضاً تقتضي الحذر من هذه القواطع ،

قال : وَلَا تَتِمُّ لَهُ سَلَامَتُهُ مُطْلَقًا حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ شِرْكٍ يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ، وَبِدْعَةٍ تُخَالِفُ السُّنَّةَ، وَشَهْوَةٍ تُخَالِفُ الْأَمْرَ، وَغَفْلَةٍ تُنَاقِضُ الذِّكْرَ، وَهَوًى يُنَاقِضُ التَّجْرِيدَ وَالْإِخْلَاصَ.

وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللَّهِ،

نعم ، هذه الخمسة حجب عن الله ، الخمسة هي: الشرك والبدعة والشهوة والغفلة والهوى.

هذه الخمسة حجب عن الله ولا يكون القلب سليمًا حتى يسلم من هذه الخمسة.

قال : وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ أَفْرَادًا لَا تَنْحَصِرُ.وَلِذَلِكَ اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعَبْدِ بَلْ ضَرُورَتُهُ، إلى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

نعم ، الآن ابن القيم رحمه الله بعد أن حذّر وشدّد في التحذير وهذه الأمور خطيرة على القلب ومن يقرؤها يخاف أن يكون قلبه مصاباً بها أو أن يبتلى بها .

والأمر خطير ليس بالهين فلما وضح هذا الأمر نصح- رحمه الله- وهذا من جميل نصحه وتمام بيانه أن نفزع إلى الله سبحانه وتعالى وأن نلجأ إليه بالدعاء فأكد -رحمه الله- على الحاجة العظيمة بل الضرورة المُلحة على العناية بهذا الدعاء: (اهدنا الصراط المستقيم)

هذا الدعاء يتميز عن غيره من الدعوات أن الله سبحانه وتعالى افترضه على العباد وأوجبه عليهم وجوبًا متكررًا كل يوم وليلة بتكرر الركعات المفروضة سبع عشرة ركعة في اليوم والليلة،فهذه الدعوة ينبغي أن يحرص عليها المسلم والعلماء رحمهم الله يقولون ينبغي أن ينبه العوام على أن هذا دعاء؛ لأن كثيراً يقرأ الفاتحة ولا يتنبه أن قوله: اهدنا الصراط المستقيم- دعاء بل هو أعظم الدعاء وأجله وأرفعه شأناً.

وابن القيم رحمه الله سيوضح الآن إيضاحاً مُهماً ينفعك الله -سبحانه وتعالى- به إذا فهمته في كل مرة تقول: اهدنا الصراط المستقيم؛ لأنك من خلال ما سيأتي من كلام وبيان لابن القيم سيوضح لك مدى حاجتك إلى هذا الدعاء وشدة ضرورتك إلى هذا الدعاء العظيم.

قال : فَإِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ يَتَضَمَّنُ: عُلُومًا، وَإِرَادَةً، وَأَعْمَالًا، وَتُرُوكًا ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً تَجْرِي عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَتَفَاصِيلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَدْ يَعْلَمُهَا الْعَبْدُ وَقَدْ لَا يَعْلَمُهَا، وَقَدْ يَكُونُ مَا لَا يَعْلَمُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَمَا يَعْلَمُهُ قَدْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ، وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَدْ تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَقَدْ لَا تُرِيدُهُ كَسَلًا وَتَهَاوُنًا، وَلِقِيَامِ مَانِعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا تُرِيدُهُ قَدْ يَفْعَلُهُ وَقَدْ لَا يَفْعَلُهُ، وَمَا يَفْعَلُهُ قَدْ يَقُومُ فِيهِ بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ وَقَدْ لَا يَقُومُ، وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ قَدْ يَقُومُ فِيهِ بِكَمَالِ الْمُتَابَعَةِ وَقَدْ لَا يَقُومُ، وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِالْمُتَابَعَةِ قَدْ يَثْبُتُ عَلَيْهِ وَقَدْ يُصْرَفُ قَلْبُهُ عَنْهُ، وَهَذَا كُلُّهُ وَاقِعٌ سَارٍ فِي الْقلب، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ.

نعم ، هذا كله يقول واقع فكل هذا يفيد حاجة المرء الشديدة الملحة إلى أن يعتني بهذا الدعاء (اهدنا الصراط المستقيم) ؛لأن الصراط المستقيم علوم وإرادات وأعمال وتروك؛ لأن الصراط المستقيم أعمال يعملها السالك على الصراط وأيضاً تروك أشياء يتركها ويتجنبها فإذا قصّر في فعل الواجبات هذا من إخلاله بالسير في هذا الصراط وإن ارتكب بعض المنهيات هذا أيضاً من إخلاله بهذا الصراط،

فإذاً الصراط المستقيم هو علوم وإرادات وأعمال وتروك يحتاج أن يعتني بها العبد عناية عظيمة جداً ثم العلم بالحق إذا وجد هل وجوده يعني وجود العمل به؟ وجود العلم بالحق هل يعني وجود العمل به؟ -قد يوجد العلم ولا يوجد العمل، فإذاً من سؤال الله الهداية في الصراط أن يهديك للعمل بالعلم الذي تعمل به،أيضاً

هذا العلم الذي يتعلمه المرء ثم نفسه تريده قد تريد ولا تقدر عليه وتكون عاجزة فهو بحاجة إلى معونة الله (اهدنا الصراط المستقيم) تتناول معونة الله لك على فعل ما أمر الله -سبحانه وتعالى- به،

أيضاً لو أن الإنسان علم وعمل هل عمله يقع على الإخلاص أو يصيب النية ما يصيبها؟

في علمه نفسه وفي عمله أيضاً والنية يطرأ عليها ما يطرأ فمن سؤالك الله سبحانه وتعالى الهداية للصراط المستقيم أن يُصلح نيتك وأن تكون أعمالك لله خالصة ثم إذا عمل وصلحت النية هل يكون العمل على الاتباع أو يكون فيه خلل أيضاً من هذا الجانب،

فإذاً الهداية إلى الصراط المستقيم تتناول هذا كله فما أحوج العبد إلى هذه الدعوة والعناية بها .

قال : وَلَيْسَ فِي طِبَاعِ الْعَبْدِ الْهِدَايَةُ إِلَى ذَلِكَ، بَلْ مَتَى وُكِلَ إِلَى طِبَاعِهِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ،

نعم ، ليس له إلا أن يهديه الله فالهداية بيده ولكن الله يهدي من يشاء هدانا الله أجمعين إليه صراطاً مستقيماً.

وَهَذَا هُوَ الْإِرْكَاسُ الَّذِي أَرْكَسَ اللَّهُ بِهِ الْمُنَافِقِينَ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَعَادَهُمْ إِلَى طِبَاعِهِمْ وَمَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَجَعْلِهِ الْهِدَايَةَ حَيْثُ تَصْلُحُ، وَيَصْرِفُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِعَدَمِ صَلَاحِيَةِ الْمَحَلِّ، وَذَلِكَ مُوجِبُ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوصِلُهُمْ إِلَيْهِ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

نعم ، لعدم صلاحية المحل مثل ما قال الله :"فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"

وَنَصَبَ لِعِبَادِهِ مِنْ أَمْرِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا دَعَاهُمْ جَمِيعًا إِلَيْهِ حُجَّةً مِنْهُ وَعَدْلًا، وَهَدَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ إِلَى سُلُوكِهِ نِعْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهَذَا الْعَدْلِ وَهَذَا الْفَضْلِ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ لِقَائِهِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، ثُمَّ صَرَفَ عَنْهُ مَنْ صَرَفَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ أَقَامَهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا،

نعم يعني هذا أيضاً فائدة عظيمة تتعلق بـ «اهدنا الصراط المستقيم » ،الصراط المستقيم هو الذي قال الله عنه " وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ " . فإذا كان نصب للعباد هذا الصراط المستقيم وأمروا باتباعه وسلوكه وألا يخرجوا عن هذا الصراط فإنه كذلك ينصب يوم القيامة على متن جهنم صراط لا سبيل إلى الجنة إلا بالمرور عليه والمشي من فوقه كما قال الله تعالى :" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ثم نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا "

فبحسب حظ العباد من السير على الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا يكون حظهم من السير على الصراط الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يتفاوتون في المرور على الصراط بحسب سيرهم في الأعمال بهذه الحياة الدنيا فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كأجاويد الخيل ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يمر جرياً ومنهم من يمر مشياً ومنهم من يمر زحفاً ،هذا التفاوت في المرور راجع إلى ماذا إلى تفاوتهم في السير على الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا.

قال وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نُورًا ظَاهِرًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ فِي ظُلْمَةِ الْحَشْرِ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ نُورَهُمْ حَتَّى قَطَعُوهُ كَمَا حَفِظَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ حَتَّى لَقُوهُ، وَأَطْفَأَ نُورَ الْمُنَافِقِينَ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ، كَمَا أَطْفَأَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

نعم ، لأن كما جاء في الحديث هناك ظلمة قبل الصراط وفي تلك الظلمة يكون قسم الأنوار والأنوار تقسم على العباد في تلك الظلمة على قدر أعمالهم ، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل ومنهم من يُعطى نوره كما جاء في الحديث على قدر إبهامه يضيء تارة ويطفأ أخرى فإذا أضاء مشى تقدم وإذا طفأ قام وهذا عمله ضعيف جدًا وطاعاته ضعيفة جدًا ، والآخر الذي مثل الجبل هذا طاعاته في هذه الحياة الدنيا عظيمة وأعماله مثل الجبال قوة وأيضاً حاله مع الإيمان . مثل ما قال الإمام أحمد رحمه الله لما سُئل أيزيد الإيمان وينقص قال نعم يزيد حتى يكون أمثال الجبال وينقص حتى لا يبقى منه شيء فمن الناس من إيمانه مثل الجبل فيعطى نوره يوم القيامة مثل الجبل ومنهم من إيمانه ضعيف وقليل فيعطى من النور على قدر إيمانه .

قال : وَأَقَامَ أَعْمَالَ الْعُصَاةِ بِجَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبَ وَحَسَكًا تَخْطِفُهُمْ كَمَا خَطَفَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ قُوَّةَ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتَهُمْ عَلَيه على قَدْرِ قُوَّةِ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتِهِمْ إليه فِي الدُّنْيَا، وَنَصَبَ لِلْمُؤْمِنِينَ حَوْضًا يَشْرَبُونَ مِنْهُ بِإِزَاءِ شُرْبِهِمْ مِنْ شَرْعِهِ فِي الدُّنْيَا، وَحَرَمَ مِنَ الشُّرْبِ مِنْهُ هُنَاكَ مَنْ حُرِمَ الشُّرْبَ مِنْ شَرْعِهِ وَدِينِهِ هَاهُنَا.

نعم ، سبحان الله كلها مترتبة على الطاعة فالسير على الصراط الذي ينصب على متن جهنم هو بحسب السير على الصراط المستقيم في هذه الحياة الدنيا ثم الحوض المورود نسأل الله أن يكرمنا أجمعين بالشرب منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا راجع إلى شرب المرء وارتوائه من السنّة والهدي هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يقال له في من يذادون عن الحوض إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فَإذًا حظ الإنسان من النهل والشرب بحسب حظه وارتوائه من الهدي هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

فَانْظُرْ إِلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ، وَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الدَّارَيْنِ، تَعْلَمْ حِينَئِذٍ عِلْمًا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَعُنْوَانُهَا وَأُنْمُوذَجُهَا، وَأَنَّ مَنَازِلَ النَّاسِ فِيهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عَلَى حَسَبِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَضِدِّهِمَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ - الْخُرُوجُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال : فَانْظُرْ إِلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ، وتأمل ...

نعم قال فانظر إلى الآخرة كأنها رأي عين لأن الأمور التي في الآخرة هي بحسب هذه الأشياء الموجودة في الدنيا .

وَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الدَّارَيْنِ، تَعْلَمْ حِينَئِذٍ عِلْمًا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ وَعُنْوَانُهَا وَأُنْمُوذَجُهَا، وَأَنَّ مَنَازِلَ النَّاسِ فِيهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عَلَى حَسَبِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَضِدِّهِمَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

فَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ - الْخُرُوجُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهدينا إليه جميعًا صراطًا مستقيمًا اللهم اهدنا صراطك المستقيم اللهم اهدنا صراطك المستقيم اللهم اهدنا صراطك المستقيم ربنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لَّدُنك رحمة إنك أنت الوهاب اللهم إنَّا نعوذ بك أن نَضل أو نُضل أو نَزل أو نُزل أو نَظلم أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل علينا يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكَّاهَا أنت وليها

ومولاها اللهم إنَّا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى اللهم اهدنا في من هديت اللهم أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلِ وسلم على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اضغط على الرابط للاشتراك 👇

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين, أما بعد:
فيقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا والمسلمين في كتابه الداء والدواء

قال:[فَصْلٌ أَصْلُ الذُّنُوبِ]

وَلَمَّا كَانَتِ الذُّنُوبُ مُتَفَاوِتَةً فِي دَرَجَاتِهَا وَمَفَاسِدِهَا تَفَاوَتَتْ عُقُوبَاتُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِحَسَبِ تَفَاوُتِهَا.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ فِيهَا بِعَوْنِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ فَصْلًا وَجِيزًا جَامِعًا، فَنَقُولُ:

أَصْلُهَا نَوْعَانِ: تَرْكُ مَأْمُورٍ، وَفِعْلُ مَحْظُورٍ، وَهُمَا الذَّنْبَانِ اللَّذَانِ ابْتَلَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِمَا أَبَوَيِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَكِلَاهُمَا يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ مَحِلِّهِ إِلَى ظَاهِرٍ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَبَاطِنٍ فِي الْقُلُوبِ.

وَبِاعْتِبَارِ مُتَعَلَّقِهِ إِلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ خَلْقِهِ.

وَإِنْ كَانَ كُلُّ حَقٍّ لِخَلْقِهِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِحَقِّهِ، لَكِنْ سُمِّيَ حَقًّا لِلْخَلْقِ لِأَنَّهُ يَجِبُ بِمُطَالَبَتِهِمْ وَيَسْقُطُ بِإِسْقَاطِهِمْ.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أما بعد:

هذا فصلٌ يذكر فيه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى تقسيمات للذنوب باعتبارات أشار إليها- رحمه الله تعالى -ومعرفة المرء بهذه التقسيمات للذنوب تزيده بصيرة بها وحيطة من الوقوع فيها فذكر

أولا -رحمه الله تعالى- أن الذنوب من حيث الجملة متفاوتة تفاوتا عظيما ومتباينة تباينا كبيرا ,فهناك كبائر وهناك أكبر الكبائر وهناك ذنوب صغائر فهي ليست على حد سواء وهذا تقسيم معروف لكن هناك تقسيمات للذنوب باعتبارات ذكر منها -رحمه الله- أن الذنوب تنقسم إلى قسمين :

(- ترك مأمور . - أو فعل محظور) هذا قسم وهذا قسم لأن طاعة الله -سبحانه وتعالى- أفعال وتروك , الله عز وجل أمرنا بأوامر وأوجب علينا فعلها ونهانا عن نواهي وأوجب علينا تركها والبعد

عنها فالذنوب بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين:

- ترك المأمور أي الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى ،

- وفعل المحظور أي الذي نهى الله سبحانه عنه وحرمه على عباده سبحانه وتعالى أن يقترفوه

وهما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبوي الجن والإنس:

أما أبو الإنس :وهو آدم عليه صلوات الله وسلامه فإن الله- سبحانه وتعالى- ابتلاه بترك المحظور الذي هو الأكل من الشجرة حظر عليه ومنعه ونهاه أن يأكل الشجرة عيّن شجرةً ونهاه عن قربانها والأكل منها فوسوس إليه الشيطان وقال: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ودلاهما بغرور حتى ذاقا الشجرة التي نهاهما الله -سبحانه وتعالى- عن قُربانها والأكل منها ,فكانت المعصية والذنب الذي وقع فيه آدم - عليه السلام- هو ارتكاب لمحظور، فعل لأمر حظر الله -سبحانه وتعالى- عليه أن يفعله، نهاه عنه ,

وأما أبو الجن: وهو إبليس فإن الذنب الذي وقع فيه هو الامتناع من فعل المأمور، فأمره الله -سبحانه وتعالى- بالسجود لآدم فأبي وامتنع واستكبر وقال أنا خير منه، فلم يستجب لأمر الله -سبحانه وتعالى- فيما أمره -جل وعلا- به ,

وقد ذكر أهل العلم أن هذا الذنب الذي هو ترك المأمور أشد من الذنب الأول الذي هو فعل المنهي، وذكروا في ذلك وُجوها في أن ترك المأمور به أعظم من فعل ما نَهى الله -سبحانه وتعالى- عنه

فهناك فرائض افترضها الله -سبحانه وتعالى -على عباده، فرض عليهم إقامة الصلاة، وافترض عليهم إيتاء الزكاة، وفرائض أخرى افترضها -سبحانه وتعالى- عليهم فترك ما أمر الله -سبحانه وتعالى- به أشد من ارتكاب ما نهى -جل وعلا- عنه

قال -رحمه الله تعالى- وتنقسم أيضا الذنوب إلى ظاهرة وباطنة، وهذا التقسيم للذنوب ظاهرة وباطنة يقع على النوعين المتقدمين الذين هما فعل المنهى وترك المأمور به ,فكل من هذين الذنبين منهما ما هو ظاهر، ومنهما ما هو باطن ,

فإذن الذنوب منها :

- ذنوب ظاهرة فتفعلها الجوارح وتظهر وتُرى

- وهناك ذنوب باطنة لا تُرى وإنما هي في القلب لا يراها ولا يطلع عليها إلا علام الغيوب -سبحانه وتعالى-

وتنقسم تقسيمًا آخر باعتبار المُتعلق إلى قسمين : ذنوب مُتعلقة بحقوق الرب -سبحانه وتعالى-، وذنوب مُتعلقة بحقوق العباد فهي بهذا الاعتبار أيضا تنقسم إلى قسمين.

ثُمَّ هَذِهِ الذُّنُوبُ تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: مَلَكِيَّةٍ، وَشَيْطَانِيَّةٍ، وَسَبُعِيَّةٍ، وَبَهِيمِيَّةٍ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ.

فَالذُّنُوبُ الْمَلَكِيَّةُ : أَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالْعَظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْقَهْرِ، وَالْعُلُوِّ، وَاسْتِعْبَادِ الْخَلْقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا شِرْكٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ نَوْعَانِ:

- شِرْكٌ بِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَجَعْلُ آلِهَةٍ أُخْرَى مَعَهُ،

- وَشِرْكٌ بِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَهَذَا الثَّانِي قَدْ لَا يُوجِبُ دُخُولَ النَّارِ، وَإِنْ أَحْبَطَ الْعَمَلَ الَّذِي أَشْرَكَ فِيهِ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ نَازَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نِدًّا، وَهَذَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ.

فَصْلٌ الذُّنُوبُ الشَّيْطَانِيَّةُ :وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ: فَالتَّشَبُّهُ بِالشَّيْطَانِ فِي الْحَسَدِ، وَالْبَغْيِ وَالْغِشِّ وَالْغِلِّ وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ، وَالْأَمْرِ بِمَعَاصِي اللَّهِ وَتَحْسِينِهَا، وَالنَّهْيِ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَهْجِينِهَا، وَالِابْتِدَاعِ فِي دِينِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ.

وَهَذَا النَّوْعُ يَلِي النَّوْعَ الْأَوَّلَ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ دُونَهُ.

وَأَمَّا السَّبُعِيَّةُ: فَذُنُوبُ الْعُدْوَانِ وَالْغَضَبِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْعَاجِزِينَ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَنْوَاعُ أَذَى النَّوْعِ الإنسانيّ وَالْجَرَاءَةِ عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَأَمَّا الذُّنُوبُ الْبَهِيمِيَّةُ: فَمِثْلُ الشَّرَهِ وَالْحِرْصِ عَلَى قَضَاءِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَمِنْهَا يَتَوَلَّدُ الزِّنَا وَالسَّرِقَةُ وَأَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَالْبُخْلُ، وَالشُّحُّ، وَالْجُبْنُ، وَالْهَلَعُ، والجزع وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَكْثَرُ ذُنُوبِ الْخَلْقِ لِعَجْزِهِمْ عَنِ الذُّنُوبِ السَّبُعِيَّةِ وَالْمَلَكِيَّةِ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ إِلَى سَائِرِ الْأَقْسَامِ، فَهُوَ يَجُرُّهُمْ إِلَيْهَا بِالزِّمَامِ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى الذُّنُوبِ السَّبُعِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى الشَّيْطَانِيَّةِ، ثُمَّ مُنَازَعَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالشِّرْكِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا حَقَّ التَّأَمُّلِ، تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الذُّنُوبَ دِهْلِيزُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ وَمُنَازَعَةِ اللَّهِ رُبُوبِيَّتَهُ.

ذكر هنا -رحمه الله -تقسيما عجيبا للذنوب، وأشار -رحمه الله تعالى- أن ذنوب العباد لا تخرج عن نوع من هذه الأنواع الأربعة والأقسام الأربعة التي ذكرها رحمه تعالى.

والقسم الأوّل: من هذه الذنوب، تعلّقها بجانب التشبّه بالربّ- سبحانه وتعالى- بالاتصاف بالصّفات التي لا تليق إلا بجلال الربّ وعظيم شأنه - سبحانه وتعالى-، فهذا نوع من الذنوب كما قال -رحمه الله -في بيانه أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الرّبوبيّة كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلوّ واستعباد الخلق ونحو ذلك، فهذه الذّنوب فيها منازعة للربّ -سبحانه وتعالى- ما هو خاص به, وهذه من أعظم الموبقات وأشدّ المهلكات لصاحبها ولهذا جاء في الحديث القدسي أن الله -سبحانه وتعالى -قال: "العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذّبته" فهذا نوع من الذّنوب العظمة والكبرياء و العلوّ واستعباد الخلق والقهر ونحو ذلك هذا نوع من الذّنوب.

قال ويدخل في هذا الشّرك بالله -سبحانه وتعالى -والشّرك هو من الباب نفسه لأن الشّرك فيه إعطاء للمخلوق من الصّفات أو الخصائص ما لا يليق إلا بالله وما لا يستحقه إلا الله-سبحانه وتعالى-، ولهذا قال رحمه الله: وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته وجعل آلهة أخرى معه , - وشرك به في معاملته

أي أن هذا الشـــرك نوعان: شرك علمي و شرك عملي
شرك يتعلق بالجانب العلمي :وهو الشرك في الأسماء والصفات والشرك في الربوبية
وشرك عملي: وهو الشرك الذي يتعلق بتوحيد العبادة وإخلاص الدين لله

فمن أعطى غير الله من الخصائص والصفات مالا يليق إلا بالله فهذا من الشرك ومن صرف لغير الله من الحقوق والعبادات ما هو حق الله سبحانه وتعالى فهذا شــرك واتخاذ للأنداد مع الله سبحانه وتعالى

قال: وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار وإن أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره :

الثاني: (الذي يتعلق في المعاملة) إذا أدى العبادة وفيها رياء أو سمعة فهذه العبادة التي فيها الرياء وفيها السمعة تبطل هي في نفسها لكن لا يبطل بها الدين كله وإنما يبطل الدين كله بالرياء الخالص الذي هو رياء المنافقين ((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ)) هذا رياء خالص رياء في أصل الدين يظهر الإيمان ويبطن الكفر، فهذا النوع من الرياء الذي هو النفاق الأكبر هذا مبطل للعمل كله

أما يسير الرياء الذي هو ما عبر عنه -رحمه الله- في المعاملة إذا كان في العمل رياء أو سمعة أو نحو ذلك فإن الرياء يكون مبطلا للعمل الذي قارفه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه جل في علاه.

قال: وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب؛ لأنه يتعلق بالأصل أصل الدين وأساسه توحيد الرب وإخلاص الدين له وإفراده -سبحانه وتعالى- بحقوقه وخصائصه جل في علاه وألا يتخذ معه الشركاء والأنداد.

قال: ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وأمره وهذا من أعظم الموبقات كما قال الله سبحانه وتعالى : " وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ " فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله -سبحانه وتعالى- في ربوبيته وملكه وجعل له ندا وهذا أعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل؛ لأن الشرك مبطلٌ للعمل كله، " وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ "

فإذا وُجد الشرك لم ينفع معه عمل وإن كثر العمل؛ لأن الشرك يفسد الأعمال ويبطلها.

النوع الثاني من الذنوب:

الذنوب التي فيها تشبه بالشيطان في صفاته وأعماله ومن ذلكم الحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والأمر بالمعاصي وتحسينها والنهي عن الطاعات وتهجينها أي تبغيضها للناس والابتداع في الدين

والدعوة الى البدع والضلالات.هذا النوع من الذنوب فيه تشبه بالشيطان؛ لأن جميع ما ذكر هنا كله من عمل الشيطان ,

ومن صفات الشيطان فالشيطان من صفاته: الحسد والبغي والغش والدعوة إلى الضلال والتثبيط عن طاعة الله سبحانه وتعالى والتحريض على المعاصي والذنوب فمن وقع في شيء من هذه الذنوب فقد وقع في مشابهة للشيطان في صفاته.

قال: وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة وإن كانت مفسدته دونه

ثم ذكر النوع الثالث وهو الذنوب التي فيها تشبّه المرء بالوحوش والسباع التي من صفاتها العدوان ومن صفاتها الغضب من صفاتها سفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين هذه ذنوب فيها تشبه بالسباع, ولهذا بعض الناس عندما يكون شرس في تعامله وشديد الأذى يصفه بعض الناس بأنه وحش لما يرون فيه من صفات الوحوش؛ لأن هذا نوع من التشبه بالوحوش

فإذا كانت صفات الإنسان العدوان والغضب و سفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين هذا كله تشبه بالسباع ولهذا المكان الذي تثور فيه الفتنة وتسود فيه الفوضى ويصبح السائد فيه السلب والنهب والقتل والعدوان وتصبح حال الناس في ذلك المكان بهذه الصفة توصف تلك الحال بشريعة ماذا التعبير السائد الآن؟ -الغاب يقصدون شريعة الغاب أي الطريقة التي توجد في الغابات مع الوحوش والسباع هذه طريقتها العدوان والغضب والبطش وسفك الدماء فمن تحولت صفاتهم إلى هذه الصفة صاروا متشبهين بالوحوش والسباع الضارية المعتدية

قال: ويتولد منه أنواع أذى النوع الإنساني والجرأة على الظلم والعدوان كل ذلك من الذنوب السبُعية الذي بها تشبه بالسباع

ثم النوع الرابع من هذه الأقسام :

التشبه بالبهائم وذلك عندما يكون الإنسان ليس هم إلا شهوته وبطنه شره في الأَكل والشرب وتتبع للشهوات والملذات والحرص على قضاء الشهوة شهوة البطن وشهوة الفرج ومن هذا يتولد الزنا والسرقة وأكل أموال اليتامى والبخل والشح والجبن والهلع والجزع وغير ذلك ,هذا النوع من الذنوب ذنوب بهيمية حال الإنسان فيها أن فيه شبه من بهيمة الأنعام ،

قال الشيخ -رحمه الله-: وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق هو من هذا القسم (الذي هو الذنوب البهيمية) أكثرهم –ذنوبه- من هذا القبيل تشبه ببهيمية الأنعام لا هم له إلا شهوة الفرج وشهوة البطن وقضاء الوطر,وتحصيل الشهوة والملذّة التي يريدها هذه حياته وهذه بغيته، فهذه أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب التي هي أعظم التي تتعلق بالتشبه بالسّباع أو التّشبه بصفات الربّ -سبحانه وتعالى-

قال: ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام؛ لأنّ الذنوب يولّد بعضها بعضا فهو يجرهم إليها بالزمام فيدخلون منه -أي هذا النوع- إلى الذّنوب السّبعيّة ثم إلى الشيطانيّة ثمّ إلى منازعة الرّبوبيّة والشرك في الوحدانيّة ثم خلص -رحمه الله- إلى فائدة وسبق أن أشار إليها قال: ومن تأمّل هذا حقّ التّأمل تبيّن له أنّ الذنوب دهليز الشرك والكفر ومنازعة الربوبيّة :يعني بريد، دهليز الكفر: أي بريد و طريق موصل إلى الكفر .

[فَصْلٌ الذُّنُوبُ كَبَائِرُ وَصَغَائِرُ]وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ وَالْأَئِمَّةِ، عَلَى أَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 31] .

وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [سُورَةُ النَّجْمِ: 32] .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ» .

في هذا الفصل يُبيّن -رحمه الله- تقسيم آخر للذنوب : وهو أنّ الذنوب تنقسم إلى كبائر , وصغائر

والقرآن دل على ذلك مثل قول الله سبحانه وتعالى : {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ } فقول الله عز وجل " كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ " يدلّ على أنّ هناك قسم آخر وهو :صغائر نُهي عنها - لكنها صغائر دون هذه الكبائر- { {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } } أي الذنوب الصّغيرة- صغائر الذنوب- ، { وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا} } والمُدخل الكريم هو الجنّة والفوز برضوان الله -سبحانه وتعالى- ، وقال الله -عزّ وجل-: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } فذكر كبائر الإثم فالإثم منه كبائر ومنه ما دون ذلك ، كذلك الحديث الذي أشار إليه و الشاهد منه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم { إذا اجتنبت الكبائر } فهذا دليل على أنّ الذنوب منها

صغائر وكبائر و قد يستفاد هذا من قول الله سبحانه وتعالى : { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (}

وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ الْمُكَفِّرَةُ لَهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

إِحْدَاهَا: أَنْ تَقْصُرَ عَنْ تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ لِضَعْفِهَا وَضَعْفِ الْإِخْلَاصِ فِيهَا وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ الضَّعِيفِ الَّذِي يَنْقُصُ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدَّاءِ كَمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً.

الثَّانِيَةُ: أَنْ تُقَاوِمَ الصَّغَائِرَ وَلَا تَرْتَقِيَ إِلَى تَكْفِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ تَقْوَى عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ وَتَبْقَى فِيهَا قُوَّةٌ تُكَفِّرُ بِهَا بَعْضَ الْكَبَائِرِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا فَإِنَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ إِشْكَالَاتٍ كَثِيرَةً.

هنا ذكر -رحمه الله تعالى- فائدة ثمينة في الفقه في قول النبي ﷺ "... مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر" أي أن الكبائر لابد فيها من توبة منها إلى الله - سبحانه وتعالى- فإذا اجتنبت الكبائر وحُوفِظَ على الفرائض حصل من الأمرين تكفير السيئات,فالصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان هذه طاعات كبار هي من أعظم الطاعات الدينية والواجبات الدينية ,وهي أيضا من أعظم المكفرات للذنوب لكن تحتاج إلى معونة في تكفيرها لصغائر الذنوب باجتناب الكبائر

ولهذا ذكر النبي ﷺ هذا القيد قال: (إذا اجتنبت الكبائر)

ذكر الإمام ابن القيم- رحمه الله-: أن هذه الأعمال التي هي الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان هذه الأعمال لها ثلاث درجات أي في التكفير الذي ذكر في الحديث "مكفرات"

الدرجة الأولى : أن تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الإخلاص فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء الضعيف الذي ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية فقد تقع هذه الصلوات ضعيفة وقد يقع أيضا الصيام ضعيفاً, فيكون حدُّهُ أنه أسقطَ به الفرض عن نفسه, لكن الأمور العظيمة التي تترتب على هذه الأعمال لا تتحقق له لضعف العمل , فيكون هذا العمل بمنزلة الدواء الضعيف الذي يشرب منه المريض فلا يفيد المريض لضعفه ولا ينتفع به المريض لضعف هذا الدواء

وهذا يستفاد منه فائدة : أن قوة العمل إخلاصاً وإتباعا "إخلاصا للمعبود وإتباعا للرسول عليه الصلاة والسلام" أقوى في تحقق أثر العمل والمنافع العظيمة المترتبة عليه , ومن ذلكم جاء في هذا الحديث الذي هو التكفير للسيئات ،

الدرجة الثانية: أن تقاوم الصغائر يعني أن تكون فيها قوه أقوى من درجة التي قبلها ، -الأول ضعيف- لكن هنا فيها شيء من القوة ، في هذه الأعمال شيء من القوة فتنهض لتكفير الصغائر ولا ترتقي إلى شيء من الكبائر ،

ثم الدرجة الثالثة: أن تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر من قوة إخلاص العبد فيها وقوة متابعته للرسول -عليه الصلاة والسلام- قد تهض لتكفير بعض الكبائر .

والأصل في الكبيرة أنها لابد فيها من توبة إلى الله -سبحانه وتعالى-، لكن كما أشار ابن القيم قد تنهض بعض هذه الأعمال لقوة الإخلاص، وقوة الاتباع فيكون فيها تكفير لبعض كبائر الذنوب

«قال رحمه الله : وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ، قلنا : بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقوقُ الْوالِدَيْنِ وشهادة الزّورِ)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ سُئِلَ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تدعُ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَصْدِيقَهَا: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [سُورَةُ الْفُرْقَانِ: 68] .»

هذه الأحاديث الثلاثة ذكرها -رحمه الله تعالى- دليلا على التقسيم الذي ذكره، وهو أن الذنوب صغائر وكبائر ,فهذه الأحاديث كلها يُخبر فيها -عليه الصلاة والسلام- بذنوب كبيرة كبائر، وهناك أيضا أكبر الكبائر، فهذه الأحاديث تدل على ما ذكره -رحمه الله تعالى- من أن الذنوب منقسمة إلى: كبائر وصغائر،

بدليل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاءت عنه أحاديث عديدة يصف فيها بعض الذنوب بأنها كبائر ,فإذن هناك ذنوب لا تصل إلى هذا الوصف فهي صغائر، فالذنوب منقسمة إلى كبائر وصغائر

«قال : وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْكَبَائِرِ: هَلْ لَهَا عَدَدٌ يَحْصُرُهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.
ثُمَّ الَّذِينَ قَالُوا بِحَصْرِهَا اخْتَلَفُوا فِي عَدَدِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ أَرْبَعٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: هِيَ سَبْعٌ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: هِيَ تِسْعَةٌ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَقَالَ آخَرُ: هِيَ سَبْعُونَ.»

هنا ذكر -رحمه الله تعالى- خلافا بين أهل العلم هل لها عدد يحصرها؟ فذكر أن لأهل العلم في ذلك قولين :

الأول : أنه ليس هناك لها عدد يحصرها.

والثاني : أن لها عددا يحصرها.

ومن قال بذلك اختلف في هذا العدد، فمنهم من قال أربع ومنهم من قال سبع، ومنهم من قال تسع، ومن قال إحدى عشرة، ومنهم من قال سبعون ،

قد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي إلى السبعين أقرب.

ولهذا عدد من أهل العلم الذين جمعوا في الكبائر أوصلوها إلى هذا العدد جمعوا سبعين كبيرة, ولم يأتِ في النصوص حصر لها بعدد, لكن يأتي في بعض النصوص ذكر لكبائر عظيمة تجمع في حديث واحد وهذا لا يعني حصر الكبائر في ذلك العدد مثلا ((اجتنبو السبع الموبقات..)) هذا لا يعني أن الموبقات إنما هي هذه السبع فقط لكنه جمع هذه السبع عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الواحد

والدليل على أن الموبقات ليست منحصرة في هذا العدد أن هناك كبائر ذكرت أيضا في أحاديث أخرى وذكر أنها موبقات وأنها كبائر مهلكات بل جاء في بعض الأحاديث أمور لم تذكر في هذا الحديث وصفها النبي صلى الله عليه وسلم أنها أكبر الكبائر مثل عقوق الوالدين ومثل شهادة الزور.

فالحاصل أن الكبائر لم يأتِ حصرها في عدد معين لكن الذي يحتاج إليه المسلم في هذا الباب أن يعرف الضابط الذي يميز فيه بين الكبيرة والصغيرة والعدد لم يأتِ ما يدل على حصر الكبائر في عدد معين ,لكن يحتاج المسلم إلى الضابط الذي يميز فيه بين الكبيرة والصغيرة بما تعرف الكبيرة

- وإذا جاء في النص وصف العمل بأنه كبيرة فهذا واضح في تعيين هذه الأعمال أنها من الكبائر

- وإذا جاء في النص اللعن للفاعل أو ذكر غضب الله سبحانه وتعالى أو دخول النار أو عدم دخول الجنة فمثل هذا الوعيد أمارة على أن هذا العمل من كبائر الذنوب

- وإذا جاء أيضا نفي الايمان ما يقال فيه: " لا يؤمن من فعل كذا " لا ينفى الإيمان إلا فيما هو كبير

فهذا مفيد ومهم في هذا الباب أن يعرف المرء علامة الكبيرة أو بما يعرف العمل أنه من كبائر الذنوب أو ليس منها.

" وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ: جَمَعْتُهَا مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَوَجَدْتُهَا: أَرْبَعَةٌ فِي الْقَلْبِ، وَهِيَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

وَأَرْبَعَةٌ فِي اللِّسَانِ، وَهِيَ: شَهَادَةُ الزُّورِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَالسِّحْرُ.

وَثَلَاثٌ فِي الْبَطْنِ: شُرْبُ الْخَمْرِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا.

وَاثْنَتَانِ فِي الْفَرْجِ، وَهُمَا: الزِّنَا، وَاللِّوَاطُ.

وَاثْنَتَانِ فِي الْيَدَيْنِ، وَهُمَا: الْقَتْلُ، وَالسَّرِقَةُ.

وَوَاحِدَةٌ فِي الرِّجْلَيْنِ، وَهِيَ: الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ.

وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْجَسَدِ، وَهُوَ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ."

هذا الكلام لأبي طالب المكي فيه جمع لطيف للكبائر لكنه ليس حاصرا للكبائر, فهناك كبائر تتعلق بالقلب لم تذكر , كبائر تتعلق باللسان مثل الغيبة والنميمة ونحو ذلك.. لم تذكر , هناك كبائر تتعلق بالجوارح , فهذا ليس حاصراً لكنه جمع لطيف وتقسيم جميل للكبائر يزيد في بيانها وإيضاحها وأن منها ما يتعلق بالقلب ومنها ما يتعلق باللسان ومنها ما يتعلق بالجوارح منها ما يتعلق بالفرج

قال: وَالَّذِينَ لَمْ يَحْصُرُوهَا بِعَدَدٍ، مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: كُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ - صلى الله عليه وسلم - فَهُوَ صَغِيرَةٌ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: مَا اقْتَرَنَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ وَعِيدٌ مِنْ لَعْنٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ عُقُوبَةٍ فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَمَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ صَغِيرَةٌ.

وَقِيلَ: كُلُّ مَا تَرَتَّبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فِي الدُّنْيَا أَوْ وَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَمَا لَمْ يُرَتَّبْ عَلَيْهِ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَهُوَ صَغِيرَةٌ.

وَقِيلَ: كُلُّ مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ عَلَى تَحْرِيمِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَمَا كَانَ تَحْرِيمُهُ فِي شَرِيعَةٍ دُونَ شَرِيعَةٍ فَهُوَ صَغِيرَةٌ.

وَقِيلَ: كُلُّ مَا لَعَنَ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ فَاعِلَهُ فَهُوَ كَبِيرَةٌ.

وَقِيلَ: كُلُّ مَا ذُكِرَ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 31] .

ذكر هنا أقوال لأهل العلم بما تُعرف الكبيرة..

قال: والذين لم يحصروها بعدد منهم من اتجه إلى ذكر الصفات التي تعرف بها الكبيرة وهذا حقيقة هو المهم في هذا الباب, المهم في هذا الباب :أن يعرف المرء العلامة إذا كان جاء في القرآن قول الله: { {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } } مر معنا بالحديث (ما اجتنبت الكبائر) .

أذن لابد أن يعرف المرء الكبائر ومطلوب منه أن يجتنب الكبائر والصغائر لكن مقام الكبائر أشد وأمرها أعظم وأكبر وحتى يتقيها لابد أن يعرفها, لابد أن يعرف علاماتها وبما تُعرف الكبيرة

وذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى-أقوالا لكن الأصح والصواب من ذلك أن: الكبيرة هي ما جاء فيه لعن أو غضب أو دخول النار ، أو عدم دخول الجنة ، أو نفي الإيمان ، أو نُصّ على أنه كبيرة

فهذه علامات إذا وجدت في معصية من المعاصي ، فهي أمارة على إنها من كبائر الذنوب ، فاللعن لا يكون إلا على كبيرة ، ونفي دخول الجنة لا يكون إلا على كبيرة ، وإيجاد دخول النار وترتيب دخول النار على ذنب هذا دليل على أنه من كبائر الذنوب ، نفي الإيمان عن فاعل أمر ما يدل على أن هذا الأمر من كبائر الذنوب ، فهذه علامات إذا وجدت فهي أمارة على أن الأمر من كبائر الذنوب ..

الَّذِينَ لَمْ يُقَسِّمُوهَا إِلَى كَبَائِرَ

وَالَّذِينَ لَمْ يُقَسِّمُوهَا إِلَى كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ، قَالُوا: الذُّنُوبُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، كَبَائِرُ، فَالنَّظَرُ إِلَى مَنْ عَصَى أَمْرَهُ وَانْتَهَكَ مَحَارِمَهُ، يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الذُّنُوبُ كُلُّهَا كَبَائِرَ، وَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ فِي هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ.

قَالُوا: وَيُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا يَتَأَثَّرُ بِهَا، فَلَا يَكُونُ بَعْضُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَكْبَرَ مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُجَرَّدُ مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ ذَنْبٍ وَذَنْبٍ.

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَفْسَدَةَ الذُّنُوبِ إِنَّمَا هِيَ تَابِعَةٌ لِلْجَرَاءَةِ وَالتَّوَثُّبِ عَلَى حَقِّ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَلِهَذَا لَوْ شَرِبَ رَجُلٌ خَمْرًا، أَوْ وَطِئَ فَرْجًا حَرَامًا، وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ، لَكَانَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْجَهْلِ وَبَيْنَ مَفْسَدَةِ ارْتِكَابِ الْحَرَامِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ، لَكَانَ آتِيًا بِإِحْدَى الْمَفْسَدَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ دُونَ الْأَوَّلِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَفْسَدَةَ الذَّنْبِ تَابِعَةٌ لِلْجَرَاءَةِ وَالتَّوَثُّبِ.

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِهَانَةَ

نعم - هذا يؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله سبحانه وتعالى؛ لأن ابن القيم يورد هذا ثم يعقد فصل مطولاً في الجواب على ذلك..

نسال الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً ، وأن يصلح لنا شأننا كله وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ،

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك ، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وآله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،وصلى الله- وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين- أما بعد

فيقول العلامة ابن القيم الجوزية- رحمه الله وغفر له -ولشيخنا والمسلمين في كتابه[الداء والدواء]

قال رحمه الله: الَّذِينَ لَمْ يُقَسِّمُوهَا إِلَى كَبَائِرَ

وَالَّذِينَ لَمْ يُقَسِّمُوهَا إِلَى كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ، قَالُوا: الذُّنُوبُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَرَاءَةِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، كَبَائِرُ، فَالنَّظَرُ إِلَى مَنْ عَصَى أَمْرَهُ وَانْتَهَكَ مَحَارِمَهُ، يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الذُّنُوبُ كُلُّهَا كَبَائِرَ، وَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ فِي هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ.

قَالُوا: وَيُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ وَلَا يَتَأَثَّرُ بِهَا، فَلَا يَكُونُ بَعْضُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَكْبَرَ مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُجَرَّدُ مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ ذَنْبٍ وَذَنْبٍ.

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ مَفْسَدَةَ الذُّنُوبِ إِنَّمَا هِيَ تَابِعَةٌ لِلْجَرَاءَةِ وَالتَّوَثُّبِ عَلَى حَقِّ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا لَوْ شَرِبَ رَجُلٌ خَمْرًا، أَوْ وَطِئَ فَرْجًا حَرَامًا، وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ، لَكَانَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْجَهْلِ وَبَيْنَ مَفْسَدَةِ ارْتِكَابِ الْحَرَامِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ، لَكَانَ آتِيًا بِإِحْدَى الْمَفْسَدَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ دُونَ الْأَوَّلِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَفْسَدَةَ الذَّنْبِ تَابِعَةٌ لِلْجَرَاءَةِ وَالتَّوَثُّبِ.

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِهَانَةَ بِأَمْرِ الْمُطَاعِ وَنَهْيِهِ وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ، وَهَذَا لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ ذَنْبٍ وَذَنْبٍ.

قَالُوا: فَلَا يَنْظُرُ الْعَبْدُ إِلَى كِبَرِ الذَّنْبِ وَصِغَرِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قَدْرِ مَنْ عَصَاهُ وَعَظَمَتِهِ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا لَا يَفْتَرِقُ فِيهِ الْحَالُ بَيْنَ مَعْصِيَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، فَإِنَّ مَلِكًا مُطَاعًا عَظِيمًا لَوْ أَمَرَ أَحَدَ مَمْلُوكَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ فِي مُهِمٍّ لَهُ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ، وَأَمَرَ آخَرَ أَنْ يَذْهَبَ فِي شُغْلٍ لَهُ إِلَى جَانِبِ الدَّارِ، فَعَصَيَاهُ وَخَالَفَا أَمْرَهُ، لَكَانَا فِي مَقْتِهِ وَالسُّقُوطِ مِنْ عَيْنِهِ سَوَاءً.

قَالُوا: وَلِهَذَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ مِنْ مَكَّةَ وَتَرَكَ الْجُمُعَةَ وَهُوَ جَارُ الْمَسْجِدِ، أَقْبَحَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَعْصِيَةِ مَنْ تَرَكَ مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، وَالْوَاجِبُ عَلَى هَذَا أَكْثَرُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى هَذَا، وَلَوْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مِائَتَا دِرْهَمٍ

وَمَنَعَ زَكَاتَهَا، وَمَعَ آخَرَ مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ فَمَنَعَ مِنْ زَكَاتِهَا؛ لَاسْتَوَيَا فِي مَنْعِ مَا وَجَبَ عَلَى كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَلَا يَبْعُدُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْعُقُوبَةِ، إِذَا كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا مُصِرًّا عَلَى مَنْعِ زَكَاةِ مَالِهِ، قَلِيلًا كَانَ الْمَالُ أَوْ كَثِيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين - اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.. أما بعد ,

فهذا إيراد أورده ابن القيم -رحمه الله تعالى- للذين لا يقسمون الذنوب إلى كبائر وصغائر وإنما يجعلونها كلها كبائر باعتبار أنها كلها معاصي في حق الله سبحانه وتعالى فعِظمها من جهة عظم شأن من عصوه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه -جل في علاه- , وذكر تقرير هؤلاء لِما ذهبوا إليه من عدم تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر وأنها كلها كبائر , لكن ما ذُكر مُخالف لصريح الأدلة الواضحة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر ؛ وهي أدلة واضحة في كتاب الله وسنة نبيه - صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-

وتقدم عند المصنف- رحمه الله تعالى- عدداً من هذه الأدلة أدلة كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم -

لما أورد المصنف رحمه الله تعالى هذا الايراد أتبعه بما يكون به كشف الغطاء وتحقيق الأمر في هذه المسألة وهو أن الذنوب كبائر وصغائر ..ورتب هذا التقرير على أصول عظيمة مهمة في هذا الباب يأتي بيانها عند المصنف رحمه الله تعالى-

«قال -رحمه الله- : [فَصْلٌ الْحَقُّ فِي الْمَسْأَلَةِ الْحَقُّ فِي الْمَسْأَلَةِ]

وَكَشْفُ الْغِطَاءِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيُعْرَفَ وَيُعْبَدَ ،وَيُوَحَّدَ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالطَّاعَةُ كُلُّهَا لَهُ، وَالدَّعْوَةُ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: 56] .

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [سُورَةُ الْحِجْرِ: 85] .

وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطَّلَاقِ: 12] .

وَقَالَ تَعَالَى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 97] .

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْقَصْدَ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: أَنْ يُعْرَفَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ، وَأَنْ يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الْحَدِيدِ: 25] .

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَمِنْ أعظم الْقِسْطِ التَّوْحِيدُ، بل هُوَ رَأْسُ الْعَدْلِ وَقِوَامُهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَالشِّرْكُ أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ فَهُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَتَفَاوُتُهَا فِي دَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ مُنَافَاتِهَا لَهُ، وَمَا كَانَ أَشَدَّ مُوَافَقَةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ فَهُوَ أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ وَأَفْرَضُ الطَّاعَاتِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْأَصْلَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، وَاعْتَبِرْ به تَفَاصِيلَهُ تَعْرِفْ بِهِ حِكْمَةَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَأَعْلَمِ الْعَالِمِينَ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَتَفَاوُتَ مَرَاتِبِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي.»

هنا ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى -أصلاً عظيماً نافعاً جداً في هذه المسألة وهي تفاوت الذنوب وأنها كبائر وصغائر وأن أيضاً في الكبائر ما هو أكبر الكبائر وأعظمها

قال رحمه الله تعالى: أن هذا لابد فيه من فهم ومعرفة مقصود الخلق الذي من أجله أنزل الله- سبحانه وتعالى- الكتب و أرسل الرّسل كما قال جلّ وعلا :{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } هذا المقصود للخلق هو عبادة الله وتوحيده ومعرفته سبحانه وتعالى وتعظيمه جلّ في علاه

فالله خلق الخلق ليعبدوه وليعرفوه أمران هما مقصود الخلق خلقهم ليعبدوه كما قال وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } وليعرفوه كما قال سبحانه : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) . }

خلق لتعلموا والأولى خلق لتعبدوا فكلا الأمرين مقصود للخلق العلم والعمل ، العلم بالله وبعظمته وجلاله وأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى والعمل بإفراده بالعبادة وإخلاص الدين له جلّ وعلا هكذا قول الله جلّ وعلا { (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ }، ثم

قال: { ذلك لتعلموا } يعني هذا الخلق والجعل والإيجاد { ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم } { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } فهذا الخلق وهذا الإيجاد مقصوده العلم والعمل:

- العلم بالله وبعظمته الخالق الربّ العظيم وبأسمائه و صفاته جلّ في علاه
- والعمل بالتّقرب إليه وإفراده -سبحانه وتعالى -

وإذا علم ذلك يتبيّن من خلال ذلك أن أعظم الأمور وأجلّها على الإطلاق توحيد الله وإفراده بالعبادة أعظم الأمور القيام بالغاية التي خلق المرء لأجلها ,وأوجد لتحقيقها هذا أعظم الأمور وأشنع الأمور وأظلم الظلم المناقضة لهذا المقصود -مقصود الخلق بالكفر والشرك- ولهذا كان أكبر الكبائر: الشرك بالله وأظلم الظلم الشرك بالله, فالظلم دركات متفاوتة أشدّها الشرك بالله سبحانه وتعالى { والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }

فأظلم الظلم الذي هو مناقضة مقصود الخلق الذي هو العلم بالله سبحانه و تعالى وبعظمته جلّ وعلا وإفراده وحده بالعبادة ولهذا يقول : فما كان أشدّ منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر ، كل ما كان منافياً لهذا المقصود الذي هو توحيد الله بنوعيه التوحيد العلمي والتوحيد العملي فما كان أشدّ منافاة لهذا المقصود الذي هو مقصود الخلق فهو أكبر الكبائر ومعنى ذلك أنّ الأمر واضح أنّ الذنوب متفاوتة ليست في درجة واحدة ,

- هناك كبائر إذا فعلها المرء خرج من الملة: الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الأكبر..

هذه إذا فعلها خرج من الملة خرج من ملة الإسلام لماذا؟ لأنها منافية تماماً لمقصود الخلق

- وهناك كبائر إذا فعلها أثر فعلها على إيمانه الواجب تأثيراً عظيماً وهي أيضاً متفاوتة وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن،ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) لأنها تتنافى مع كمال الإيمان الواجب,
- وهناك ذنوب هي صغائر دون هذه قد قال الله سبحانه وتعالى:* إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيما *

فالحاصل أن الأمر في شأن الذنوب أنها متفاوتة قال: "وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له" أي لهذا المقصود الذي هو مقصود الخلق ، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الفرائض ثم حث رحمه الله على اعتبار هذا الأصل وفهمه وبناء هذه المسألة عليه.

قال: فَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ مُنَافِيًا بِالذَّاتِ لِهَذَا الْمَقْصُودِ كَانَ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَبَاحَ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ عَبِيدًا لَهُمْ لَمَّا تَرَكُوا الْقِيَامَ بِعُبُودِيَّتِهِ، وَأَبَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا أَوْ يَقْبَلَ فِيهِ شَفَاعَةً أَوْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ دَعْوَةً، أَوْ يُقِيلَ لَهُ عَثْرَةً، فَإِنَّ الْمُشْرِكَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ، حَيْثُ جَعَلَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نِدًّا، وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَهْلِ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ غَايَةُ الظُّلْمِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْمُشْرِكُ لَمْ يَظْلِمْ رَبَّهُ وَإِنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهُ.

نعم , فما ظلمونا وإنما ظلم نفسه

قال رحمه الله : [فَصْلٌ شِرْكُ الْوَسَاطَةِ]

وَوَقَعَتْ مَسْأَلَةٌ وَهِيَ: أَنَّ الْمُشْرِكَ إِنَّمَا قَصْدُهُ تَعْظِيمُ جَنَابِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ لَا يَنْبَغِي الدُّخُولُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ كَحَالِ الْمُلُوكِ، فَالْمُشْرِكُ لَمْ يَقْصِدْ الِاسْتِهَانَةَ بِجَنَابِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ هَذِهِ الْوَسَائِطَ لِتُقَرِّبَنِي إِلَيْهِ وَتَدُلَّنِي وَتُدْخِلَنِي عَلَيْهِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ وَهَذِهِ وَسَائِلُ وَشُفَعَاءُ، فَلِمَ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مُوجِبًا لِسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُخَلِّدًا فِي النَّارِ، وَمُوجِبًا لِسَفْكِ دِمَاءِ أَصْحَابِهِ، وَاسْتِبَاحَةِ حَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟

هذا الإيراد الذي ذكره هو من أعظم أسباب الوقوع في الشرك والكفر بالله سبحانه وتعالى في قديم الزمان وحديثه؛ لأن الشيطان دخل على الناس من هذا المدخل وأنهم دعاهم إلى اتخاذ الوسطاء والشفعاء الذين لهم مكانة عند الله سبحانه وتعالى ليقربوهم من الله لعظيم مكانتهم عند الله فصرفوا لهم من الحقوق والواجبات ما ليس إلا لله زعماً منهم أنهم يفعلون ذلك من أجل أن يقربهم هؤلاء إلى الله..قال الله سبحانه وتعالى:

"وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ"

وقال تعالى عن المشركين :"مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"

" أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " فهذا الاتخاذ للأولياء والأنداد اتُّخذ بزعم هؤلاء وإيحاء من الشيطان الرجيم أن ذلك من أجل أن تقرِّب هذه الأنداد المتَّخَذة متَّخذيها من الله سبحانه وتعالى زلفى أي درجة ومكانة فهذا مدخل من مداخل الشَّيطان وقال لهم أنَّكم بهذا العمل تعظّمون الله وأوقعهم في هذا الأمر من جهة القياس الفاسد الذي هو من أفسد القياس قياس

الله تبارك وتعالى تنزه بملوك الأرض, قالوا كما أن ملوك الأرض لا يدخل عليهم إلا من خلال الشفعاء وأهل الجاه والمكانة عندهم فكذلك الله ، تعالى الله عما يقولون لا يمكن أن تدخلوا عليه إلا من خلال هؤلاء فصرفوا لهؤلاء حقوق الله من الذلّ والخشوع والدّعاء والرّجاء والإلحاح والاستغاثة فعبدوهم مع الله واتّخذوهم أنداد من دون الله -سبحانه وتعالى- فمن هذه الجهة أوقعهم الشيطان في الشرك بحجة ماذا؟ - أنهم يعظّمون الله

ولأجل هذا قال بعض السّلف ولعله عبد الله بن المبارك قال :" وهل هلك من هلك إلاّ من جهة التعظيم " - يعني التعظيم الباطل, التعظيم الذي لا يكون على بصيرة حتى قال عبد الله بن المبارك في كلمته هذه: قال بعضهم، الله أعظم من أن نعبده" يعني مقامه أعظم من ذلك انظروا كيف يتلاعب الشيطان بهم ويدخلهم في الباطل من خلال الأمور التي هي أعظم ما يكون في الذلّ لله

إذا كان الله- سبحانه وتعالى- هو العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، فالعبودية له، الذلّ له، الخضوع له- سبحانه وتعالى-. أمّا أن يقلب الأمر فيقال العظيم لا تكون العبودية له هو أعظم من ذلك هذا غاية السفه والضلال- والعياذ بالله-

الحاصل أن هذا من أعظم مداخل الشيطان على هؤلاء وهذه المسألة يجد فيها طالب العلم تفصيلاً نافعاً مفيداً للغاية في كتاب المصنّف -رحمه الله- الآخر "إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان" فإنه فصّل فيه تفصيلاً واسعاً جدّا كيف دخل على أقوام وخلق من الناس بأن أوقعهم في الشرك من خلال هذه المداخل.

قال رحمه الله : وَتَرَتَّبَ عَلَى هَذَا سُؤَالٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِالشُّفَعَاءِ وَالْوَسَائِطِ

هذا السؤال الفاسد مبني على الأوّل مبني على الفهم السيئ المتقدم الذي هو من أعظم أسباب وقوع الشّرك.

، فَيَكُونَ تَحْرِيمُ هَذَا إِنَّمَا اسْتُفِيدَ مِنَ الشَّرْعِ، أَمْ ذَلِكَ قَبِيحٌ فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ، يَمْتَنِعُ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ شَرِيعَةٌ؟ بَلْ جَاءَتِ الشَّرَائِعُ بِتَقْرِيرِ مَا فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ مِنْ قُبْحِهِ الَّذِي هُوَ أَقْبَحُ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ؟ وَمَا السر في كَوْنِهِ لَا يَغْفِرُهُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الذُّنُوبِ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 48]

فَتَأَمَّلْ هَذَا السُّؤَالَ، وَاجْمَعْ قَلْبَكَ وَذِهْنَكَ عَلَى جَوَابِهِ وَلَا تَسْتَهْوِنْهُ، فَإِنَّ بِهِ يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُوَحِّدِينَ، وَالْعَالِمِينَ بِاللَّهِ وَالْجَاهِلِينَ بِهِ، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

فَنَقُولُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالتَّأْيِيدُ، وَمِنْهُ نَسْتَمِدُّ الْمَعُونَةَ وَالتَّسْدِيدَ، فَإِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ.

الشِّرْكُ شِرْكَانِ:

-شِرْكٌ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الْمَعْبُودِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

-وَشِرْكٌ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ.

وَالشِّرْكُ الْأَوَّلُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: شِرْكُ التَّعْطِيلِ: وَهُوَ أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، كَشِرْكِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَ: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: 23] .

وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِهَامَانَ: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ - أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [سُورَةُ غَافِرٍ: 36 - 37] فَالشِّرْكُ وَالتَّعْطِيلُ مُتَلَازِمَانِ: فَكُلُّ مُشْرِكٍ مُعَطِّلٌ وَكُلُّ مُعَطِّلٍ مُشْرِكٌ، لَكِنَّ الشِّرْكَ لَا يَسْتَلْزِمُ أَصْلَ التَّعْطِيلِ، بَلْ يَكُونُ الْمُشْرِكُ مُقِرًّا بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ مُعَطِّلٌ حَقَّ التَّوْحِيدِ.

وَأَصْلُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هُوَ التَّعْطِيلُ، **وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:**

-تَعْطِيلُ الْمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ.

-وَتَعْطِيلُ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ عَنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ، بِتَعْطِيلِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

-وَتَعْطِيلُ مُعَامَلَتِهِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ طَائِفَةِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَا ثَمَّ خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ وَلَا هَاهُنَا شَيْئَانِ، بَلِ الْحَقُّ الْمُنَزَّهُ هُوَ عَيْنُ الْخَلْقِ الْمُشَبَّهِ. وَمِنْهُ شِرْكُ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ وَأَبَدِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

مَعْدُومًا أَصْلًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَالْحَوَادِثُ بِأَسْرِهَا مُسْتَنِدَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى أَسْبَابٍ وَوَسَائِطَ اقْتَضَتْ إِيجَادَهَا، وَيُسَمُّونَهَا بِالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ. وَمِنْ هَذَا شِرْكُ مَنْ عَطَّلَ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَوْصَافَهُ وَأَفْعَالَهُ مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْقَرَامِطَةِ، فَلَمْ يُثْبِتُوا لَهُ اسْمًا وَلَا صِفَةً، بَلْ جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ أَكْمَلَ مِنْهُ، إِذْ كَمَالُ الذَّاتِ بِأَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا.

هنا شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في تفصيل نافع جداً في بيان الشرك الذي هو أظلم الظلم وأكبر الكبائر وأعظمها خطرًا ,وما من شك أن معرفة المسلم للشرك وأنواعه من أجل أن يتقيه وأن يحذر من الوقوع فيه في أي نوع من أنواعه من أهم المطالب فإن اتقاء الشيء واجتنابه فرعٌ عن العلم به إذ كيف يتقي من لا يدري ما يتقي؟ - كيف يتقي الشرك من لا يعرفه؟-

ولهـذا ينبغي على الإنسان أن يكون على معرفة بالشرك من أجل أن يتقي الشرك وأن يحذر من الوقوع فيه ,وبخاصة أن ثمة أئمة مضلين - دعاة للباطل والضلال- يزينون الباطل ,ودخلوا على كثير من العوام والجهال فلبّسوا عليهم دينهم, وأوقعوهم في صور من الشرك بالله -سبحانه وتعالى -وأوقعوهم أيضاً في صور من التعطيل لله - سبحانه وتعالى- مستغلين جهل العوام ,وعدم معرفتهم بالشرك وعدم معرفتهم بالتعطيل ,ولهذا كان من أوجب الواجبات وأهمها أن يكون المرء على معرفة بهذه الأمور من أجل أن يتقيها وأن يحذر من الوقوع فيها ولا يعني ذلك أن تكون المعرفة تفصيلية واسعة كما هو الشأن في مقام أهل العلم وإنما أن يكون عنده من المعرفة ما يتحقق بها اتقاء هذه الأمور واجتنابها حتى تستبين له سبيل الباطل فيكون على حذر منها: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)

أي من أجل أن تتقى وأن يحذر من الوقوع فيها إذ إن من لم تستبن له سبيلهم ربما وقع في ما وقعوا فيه أو في بعض ما وقعوا فيه .

قد كان حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- يقول: كان أصحاب رسول الله صلى الله وسلم عليه يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .

الحاصل أن المصنف- رحمه الله تعالى -شرع من هذا الموطن في بيان الشرك وأنواعه فذكر أولاً -رحمه الله- أن الشرك شركان إذا كان التوحيد توحيدان : - علمي وعملي

فضده الذي هو الشرك : شركان علمي وعملي

أشار -رحمه الله- إلى الشرك العلمي الذي يتعلق بجانب العلم بقوله: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ,هذا النوع يقال له: الشرك العلمي المتعلق بجانب العلم وعرفنا أن هذا الجانب الذي هو جانب العلم (مقصود للخلق) - غاية خُلِق الخلق لأجلها أن يعرفوا الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته وعظمته وجلاله, وأنه الفعّال لما يريد وأنه العليم بكل شيء وأنه القدير على كل شيء

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق: ١٢]

هذا مقصود للخلق فهذا المقصود للخلق نوع من التوحيد يقال له التوحيد العلمي ضده شرك في هذا الجانب جانب العلم فمثلاً في باب ربوبية الله -سبحانه وتعالى -من جحد شيئاً من خصائص الرب في ربوبيته أو من أضاف شيء من خصائص الرب في ربوبيته إلى غيره - سبحانه وتعالى- أو من جحد شيئًا من أسمائه وصفاته أو من شبّه الله - سبحانه وتعالى- بشيء من مخلوقاته هذا كله مناقض لهذا التوحيد منافٍ له قادح فيه.

فالتوحيد العلمي يضاده الشرك العلمي والشرك العلمي: هو الذي قال عنه المصنفون شرك (يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله) , إذ من توحيدنا لربنا سبحانه وتعالى أن نؤمن بأسمائه وأن نؤمن بصفاته وأن نؤمن بأفعاله وأن نثبت ذلك له- سبحانه وتعالى- على الوجه اللائق بجلاله وكماله وعظمته - سبحانه وتعالى- فما كان على خلاف ذلك فهو مناقض لهذا التوحيد قادح فيه مُبطل له

والنوع الثاني من الشرك يتعلق (بالجانب العملي) الذي دل عليه قول الله سبحانه وتعالى وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " فالله خلق الخلق ليعرفوه, وخلقهم ليعبدوه

الأول علمي والثاني عملي

فالنوع الثاني من أنواع الشرك (الشرك الذي يتعلق بالجانب العملي)وهو الذي عبر عنه المصنف هنا بقوله :(وشرك في عبادته ومعاملته)

من يشرك في عبادة الله هل يلزم من وجود هذا الشرك فيه أن يكون جاحدًا للنوع الأول من الشرك ؟ - لا يلزم.. قد يكون يعرف أن الخالق الله الرازق الله المدبر الله يعرف ذلك لكنه دخلت عليه شبهة الضلال التي مر معنا مثال عليها فوقع في الشرك بالله سبحانه وتعالى مع علمه بتفرد الله بالخلق والرزق " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ "

" وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ "

يقرون بذلك " قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ - سَيَقُولُونَ لِلَّهِ *

" قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سيقولون لله"**

قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ " يقرون بهذا النوع الذي هو العلمي يقرون به؛ لكنهم اتخذوا مع الله الأنداد والشركاء من أجل أن تقربهم إلى الله -سبحانه وتعالى-

ولهذا ينبغي أن نعلم أن التوحيد العلمي يستلزم العملي :بمعنى أن من عرف تفرد الله بالخلق والرزق والإيجاد والإنعام والتدبير لا شريك له في شيء من ذلك يجب أن يفرده بالعبادة وأن نعلم أيضًا أن التوحيد العملي متضمن للتوحيد العلمي بمعنى أن من وحد الله وأفرده بالعبادة وأخلص الدين له فهذا فرع عن معرفته بالله - سبحانه وتعالى-،فرع عن معرفته بالله وعظمته وأسمائه وأنه المستحق لأنْ يُعبد فأفرده جل وعلا بالعبادة .

يقول المصنف عن النوع الثاني قال: وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

النوع الثاني الذي هو العملي: قد يكون من يقع فيه يعرف بأن الله - سبحانه وتعالى -لا شريك له ولهذا المشرك الذي يعبد غير الله يعبد صنماً أو غير ذلك ... إذا سئل هل يقر بالله خالقاً رباً مُتصرفاً في هذا الكون يُقر بذلك لكنه اتخذ هذه الأنداد من أجل بزعمه أن تُقربه إلى هذا الرب العظيم المُتفرد بالخلق والرزق إلى آخره ,ولهذا ماذا كان يقول المشركون عبدة الأصنام في تلبيتهم كانوا يحجون البيت فماذا كانوا يقولون في تلبيتهم ؟

يقولون: " لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك"

أنت الملك وهذا لا يملك يُقرون بهذا، ولهذا الله -سبحانه وتعالى- قال﴿وَما يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ إِلّا وَهُم مُشرِكونَ﴾ [يوسف - 106]

ومعنى ﴿ وَما يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ ﴾، أي ماذا؟ رباً خالقاً رازقاً مُدبراً

﴿ إِلّا وَهُم مُشرِكونَ﴾، أي معه غيره في العبادة، ﴿ إِلّا وَهُم مُشرِكونَ﴾، أي معه غيره في العبادة باتخاذ الأنداد والشركاء مع الله -سبحانه وتعالى-

قال -رحمه الله- : والشرك الأول الذي هو الشرك العلمي المتعلق بجانب العلم نوعان :

أحدهما : شرك التعطيل، التعطيل ما هو ؟

التعطيل: هو الجَحد النفي، رب العالمين يُثبت لنفسه مثلاً أسماء وصفات وخصائص فالمعطل يجحدها فيه، ينفيها، لا يثبتها لله -سبحانه وتعالى-

فالتعطيل: النفي الترك، {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} أي متروكة، ويقولون جِيد معطل من الحُلي أي لا حُلي فيه، فالحاصل أن التعطيل هو الجحد النفي

فالشرك الأول الذي هو المتعلق بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، وإثباتها لله -عز وجل- نوعان :

أحدهما : شرك التعطيل :

قال : وهو أقبح أنواع الشرك، وهو أيضاً درجات كشرك فرعون إذ قال : ﴿وَما رَبُّ العالَمينَ﴾، هذا جحد هذا تعطيل، {وَما رَبُّ العالَمينَ﴾، جاحد ﴿وَجَحَدوا بِها وَاستَيقَنَتها أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل - 27:14] ,قال موسى لفرعون ﴿قالَ لَقَد عَلِمتَ ما أَنزَلَ هؤُلاءِ إِلّا رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرضِ بَصائِرَ ﴾ [الإسراء - 102]، يعني في قرارة نفسك تعلم، لكنه في ظاهر القول الذي يُظهره للناس جاحد مُعطل﴿وَجَحَدوا بِها وَاستَيقَنَتها أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا}، فهذا النوع من التعطيل تعطيل الجحد, ولهذا لما أخبر موسى فرعون ومن معه أن رب العالمين في السماء مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله طلب فرعون من وزيره هامان بزعمه أن يبني له صرحاً عالياً رفيعاً قال : { لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ موسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا } فيما يدعي بوجود الرب, وهذا يُسمى شرك التعطيل :الذي هو الجحد والنفي .

والشرك والتعطيل مُتلازمان، فكل مشرك مُعطل وكل مُعطل مشرك، أي كل من التعطيل والشرك مستلزم للآخر بمعنى أن: إذا وُجِد التعطيل وُجِد الشرك وإذا وُجد الشرك وُجِد التعطيل

قال: لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون مشرك مقرّ بالخالق سبحانه؛ فالشرك لا يستلزم أصل التعطيل: لأن من المشركين من يقر بأن الخالق هو الله الرازق هو الله الرب هو الله لا يعطل هذا مثل ماكان فرعون يعطل لا يعطل ذلك بل يقر بهذا لكنه يعبد مع الله غيره.

لكن هل هذا المشرك عنده تعطيل أو ليس عنده تعطيل؟ هو لا يجحد مثل ما قال ابن القيم -رحمه الله- لا يستلزم أصل التعطيل لكن هل عنده نوع تعطيل أو ليس عنده؟

- بلى، عنده نوع تعطيل، قال: (ولكنّه عطّل حقّ التوحيد)

فإذن المشرك معطّل؛ لأن حق الله - سبحانه وتعالى- أن يفرد وحده بالعبادة، أن يُخلص الدين له - سبحانه وتعالى- فإذا أتخذ معه الشريك فباتخاذ الشريك وُجد تعطيل هذا الحق لله -سبحانه وتعالى- عندما اتُخِذ مع الله -سبحانه وتعالى- الشركاء.

فإذن كل مشرك معطّل؛ إذا وُجِد الشرك لابد أن يكون هناك تعطيل وكل معطل أيضاً مشرك -كما سبق البيان.

قال: (وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل) : وهذا دخل منه المصنف -رحمه الله- لبيان أن التعطيل ثلاثة أنواع:

الأول: تعطيل المصنوع عن خالقه وصانعه؛ وهذا الذي هو عدم إثبات تفرد الله -سبحانه وتعالى, جل وعلا- بالخلق والرّزق والتدبير وإضافة شيء من ذلك لغير الله - سبحانه وتعالى -.

والثاني: تعطيل الصانع -سبحانه- عن كماله المقدّس بتعطيل أسمائه وصفاته وأوصافه وأفعاله فمن نفى شيئاً من خصائص الرب في ربوبيته، من نفى شيئاً من أسمائه، من نفى شيئاً من صفاته، من جحد شيئاً من أفعال الرب - سبحانه وتعالى- فهو معطّل جاحد؛ فهذا النوع تعطيل للرب عن كماله المقدس بجحد شيء من أسمائه أو شيء من صفاته، أو شيء من أفعاله - سبحانه وتعالى-.

الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد الذي هو إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة وإخلاص الدين له، وقد تقدّم معنا أن الذي يعبد مع الله غيره من يتخذ الأنداد والشركاء مع الله هو معطّل لأنه عطّل حق الله جل وعلا الذي هو وجوب إفراده بالعبادة حتى وإن كان يقر بربوبيته ويقر بأسمائه وصفاته هو معطل من هذه الجهة.

ثم ذكر شرك أهل وحدة الوجود، وهو من أقبح الشرك وأشنعه وأهل وحدة الوجود -تعالى الله سبحانه وتعالى عمّا يقولون, سبحان الله عمّا يصفون، يقولون: ما ثمّ خالق ومخلوق ولا هنا شيئان رب وعبد بل يقولون مثل ما عبر وهذا منقول عنهم -هذا اللفظ الذي ذكر هو منقول عنهم -في كتبهم بل الحق المنزه هو عين الخلق المشبه الخلق المنزه الذي هو الرب هو عين المشبه: أي الذي هو العبد فعندهم -تعالى عما يقولون- الرب عبدٌ والعبد رب, ما ثمّ شيئان فهذا من أعظم الإلحاد وأشنع الكفر ويترتب على هذا

من الفساد العريض والخلل في العبودية وفي السلوك وفي التقرب إلى الله- سبحانه وتعالى-وأيضًا في حقوق الله بجعْلها لغيره- سبحانه وتعالى-

ولهذا فإن أصحاب هذا القول من أضل الخلق وأفسدهم وأبعدهم عن الله وعن شرعه الحكيم وعن الحق الذي أرسل الله به رسله وأنزل به الله تعالى كتبه ,

- ومنه شرك الملاحدة القائلين بقِدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الانسان : 1]

هذا عندهم ليس كذلك فلم يكن هذا العالم معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها بالعقول والنفوس وهؤلاء الفلاسفة الضلال هذه عقيدتهم في هذا العالم وهذا يتضمن ما سبق تعطيل المصنوع عن صانعه والمخلوق عن خالقه -سبحانه وتعالى –

- ومن هذا شرك من عطّل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غُلاة الجهمية والقرامطة فلم يثبتوا له إسماً ولا صفة - تعالى الله سبحانه وتعالى عما يقولون- بل جعلوا المخلوق أكمل منه لأن عقيدة الجهمية في الله ,الجحد لأسمائه وصفاته .

وحاصل قول الجهمية أن ما يذكرونه صفة لله هو صفة العدم لأنهم يجحدون لا سميع ولا بصير ولا عليم إلى آخره يجحدون , أحد السلف أراد أن يضرب مثلاً يوضح فيه قبح عقيدة الجهمية قال:

مثلهم مثل رجل قال في دارنا نخلة قيل لها جذع؟ قال: لا،قيل لها عروق في الأرض؟ قال: لا،

قال لها جريد وغصون؟ قال: لا،ذكرت له صفات النخلة فكل ذلك ينفيها فقيل له ما في داركم نخلة هؤلاء الجهمية يقولون لنا رب ثم يجحدون كل صفاته ولهذا قال السلف رحمهم الله قديمًا:

والمعطل يعبد عدماً،

ولو قيل لقائل صف العدم بصفة بليغة؟ لم يجد أبلغ مما يصف به الجهمية ربهم -تعالى الله سبحانه وتعالى - لا يثبتون له اسماً ولا يثبتون له صفة وهذا من أعظم الجحد والتعطيل لصفات الرب - سبحانه وتعالى- بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها فإذا جُحدت الأسماء وجُحدت الصفات فهذا جحد للذات وتعطيل لها.

قال رحمه الله: فصلٌ النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر

هذا الفصل يؤجل وأنبه إلى أن الدرس الذي هو بعد الفجر اعتباراً من يوم غدٍ الأربعاء يتوقف من بعد الفجر وينتقل بإذن الله سبحانه وتعالى إلى ما قبل صلاة العشاء في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة تماماً وبهذه المناسبة أسأل الله الكريم بأسمائه وصفاته وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يغنمنا أجمعين العشر المباركات وأن يغنمنا ليلة القدر خيرها وبركتها,وأن يعيننا في هذه العشر المباركة وفي كل وقت على ذكره وشكره وحسن عبادته نسأل الله جلّ وعلا أن يصلح لنا أجمعين ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة لنا زيادة في كل خير والموت راحة لنا من كل شر,اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات, اللهم اقسم لنا من خشيتك مايحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا, اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منّا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وغفر له ولشيخنا ووالديه وللمسلمين

قال رحمه الله تعالى [فَصْلٌ شِرْكُ مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ]

النَّوْعُ الثَّانِي: شِرْكُ مَنْ جَعَلَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ، وَلَمْ يُعَطِّلْ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتَهُ، كَشِرْكِ النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوهُ ثالث ثَلَاثَةً، فَجَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهًا، وَأُمَّهُ إِلَهًا.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ الْمَجُوسِ الْقَائِلِينَ بِإِسْنَادِ حَوَادِثِ الْخَيْرِ إِلَى النُّورِ، وَحَوَادِثِ الشَّرِّ إِلَى الظُّلْمَةِ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ الْقَدَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْحَيَوَانَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ أَفْعَالَ نَفْسِهِ، وَأَنَّهَا تَحْدُثُ بِدُونِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَلِهَذَا كَانُوا أَشْبَاهَ الْمَجُوسِ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ - الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ {إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 258] .

فَهَذَا جَعَلَ نَفْسَهُ نِدًّا لِلَّهِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ بِزَعْمِهِ، كَمَا يُحْيِي اللَّهُ وَيُمِيتُ، فَأَلْزَمَهُ إِبْرَاهِيمُ أَنَّ طَرْدَ قَوْلِكَ أَنْ تَقْدِرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا اللَّهُ مِنْه، وَلَيْسَ هَذَا انْتِقَالًا كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَدَلِ بَلْ إِلْزَامًا عَلَى طَرْدِ الدَّلِيلِ إِنْ كَانَ حَقًّا.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُشْرِكُ بِالْكَوَاكِبِ الْعُلْوِيَّاتِ، وَيَجْعَلُهَا أَرْبَابًا مُدَبِّرَةً لِأَمْرِ هَذَا الْعَالَمِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مُشْرِكِي الصَّابِئَةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْ هَذَا شِرْكُ عُبَّادِ الشَّمْسِ وَعُبَّادِ النَّارِ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْبُودَهُ هُوَ الْإِلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْبَرُ الْآلِهَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَهٌ مِنْ جُمْلَةِ الْآلِهَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا خَصَّهُ بِعِبَادَتِهِ وَالتَّبَتُّلِ إِلَيْهِ وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَاعْتَنَى بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَعْبُودَهُ الْأَدْنَى يُقَرِّبُهُ إِلَى الْمَعْبُودِ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ، وَالْفَوْقَانِيَّ يُقَرِّبُهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، حَتَّى تُقَرِّبَهُ تِلْكَ الْآلِهَةُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَتَارَةً تَكْثُرُ الْوَسَائِطُ وَتَارَةً تَقِلُّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين, اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين..أما بعد:

فهذا بيان من الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى للنوع الثاني من أنواع الشرك وذكر رحمه الله هذا النوع من الشرك باتخاذ الآلهة مع الله سبحانه وتعالى وإن لم يعطل أسماء الله وصفاته وربوبيته قد يقع منه هذا الشرك مع عدم التعطيل لأسماء الله وصفاته وربوبيته قد يكون مثبتًا أن الله رب العالمين وخالقهم

قد يكون مثبتًا لأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى لكنه يقع في هذا الشرك باتخاذ الأنداد أو الوسائط التي بزعمه تقربه إلى الله سبحانه وتعالى أو باتخاذ الشركاء الذين يضيف لهم من الخصائص أو الصفات أو الحقوق ما ليس إلا لله -سبحانه وتعالى-

وذكر أمثلة على ذلك: كشرك النصارى الذين اتخذوا عيسى عليه السلام نبي الله وكليمه وأحد أولي العزم من رسله الكرام اتخذوه شريكًا مع الله وجعلوه إلها يصرفون له من الحقوق ما هو خاصٌ بالله جل وعلا.

من دعاء وعبادة وذبح واستغاثة وغير ذلك من العبادات التي هي حقوق الله سبحانه وتعالى التي لا يجوز صرفها لأحد كائناً من كان,كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام]

قال عز وجل في شأن النصارى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١]

فالنصارى اتخذوا عيسى عليه السلام إلها اتخذوه معبوداً فوقعوا في هذا الشرك وهو من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

كذلك شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور ,وحوادث الشر إلى الظُّلمة :

يقسمون الحوادث إلى قسمين : حوادث خير وحوادث شر فينسبون حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة وهذه النسبة للحوادث إلى هذا المخلوق هو من اتخاذ الأنداد واتخاذ الشركاء مع الله سبحانه وتعالى

كذلك القدرية(النفاة) الذين يقولون لا قدر ويجعلون الإنسان هو الخالق لفعل نفسه جعلوا الإنسان شريكاً مع الله ولهذا سُمُّوا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم فيهم شبه بالمجوس الذين جعلوا الخير خالقه النور والشر خالقه الظلمة فهؤلاء أشبههم من هذه الجهة؛ لأنهم يقولون الله هو الخالق للإنسان والإنسان هو الخالق لفعل نفسه فجعلوا الإنسان شريكاً مع الله سبحانه وتعالى في الخلق.

كذلك شرك النمرود الذي حاجّه إبراهيم عليه السلام :

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾[البقرة: ٢٥٨]

أضاف لنفسه من الخصائص ما ليس إلا لله -تبارك وتعالى- فألزمه إبراهيم عليه السلام طرداً لقوله(لقول هذا النمرود) يعني أنه يفعل ما يفعله الإله لما قال له إبراهيم : إن الله هو الذي يحيي ويميت قال: أنا أحيي وأميت, فطرداً لذلك وإلزاماً له بما يفحمه قال له:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾[البقرة: ٢٥٨]

مثل ما قال ابن القيم: ليس هذا انتقالاً وإنما هذا طرداً للزعم الذي يزعمه هو يزعم أن كل ما يفعله الإله هو يفعله فقال له إبراهيم : إن الله هو الذي يحيي ويميت قال: أنا أحيي وأميت - يموه بأفعال يزعم من خلالها أنه كذلك- فطرداً لزعمه هذا قال له إبراهيم:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾[البقرة: ٢٥٨]

ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلوية ويجعلها أرباباً مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة فهم من جهة يعتقدون ومن جهة أيضاً يعلقون عباداتهم وآمالهم بها فيصرفون لها من العبادات والحقوق ما ليس إلا لله- تبارك وتعالى-

قال :ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم:

الحاصل أن هذه كلها من هذا النوع من الشرك الذي هو اتخاذ الآلهة مع الله وهذا الاتخاذ للآلهة مع

الله -سبحانه وتعالى- إما بإعطائها من الحقوق ما ليس إلا لله أو إعطائها من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله, وذكر أمثلة على هذا وعلى هذا.

[فَصْلٌ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ]

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ، وَأَخَفُّ أَمْرًا، فَإِنَّهُ يَصْدُرُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَكِنْ لَا يُخْلصه اللَّهَ فِي مُعَامَلَتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، بَلْ يَعْمَلُ لِحَظِّ نَفْسِهِ تَارَةً، وَلِطَلَبِ الدُّنْيَا تَارَةً، وَلِطَلَبِ الرِّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْجَاهِ عِنْدَ الْخَلْقِ تَارَةً، فَلِلَّهِ مِنْ عَمَلِهِ وَسَعْيِهِ نَصِيبٌ، وَلِنَفْسِهِ وَحَظِّهِ وَهَوَاهُ نَصِيبٌ، وَلِلشَّيْطَانِ نَصِيبٌ، وَلِلْخَلْقِ نَصِيبٌ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، قَالُوا: كَيْفَ نَنْجُو مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ» .

فَالرِّيَاءُ كُلُّهُ شِرْكٌ،

قال رحمه الله تعالى: وأما الشرك في العبادة

العبادة: هي التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل والتقرّب والذل والخضوع وهي حق لله جلّ في علاه "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" [البينة : 6]

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : 56]

{ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء : 36]

العبادة حق لله تعالى، والشرك في العبادة -وهو الذي يتحدث عنه ابن القيم رحمه الله تعالى- على نوعين: شرك في أصل العبادة بصرفها لغير الله وجعل الأنداد فيها مع الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الشرك الأكبر,ولهذا سيأتي معنا أن هذا الشرك ينقسم إلى مغفور له وغير مغفور، وينقسم إلى كبير وصغير فالشرك في العبادة إذا كان في أصل العبادة بصرفها لغير الله بأن يدعو غير الله أو يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله أو يستغيث بغير الله أو نحو ذلك من العبادات يصرفها لغير الله؛ فهذا الشرك الأكبر

الناقل من الملة, "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" [الأنعام: 163]

أما إن لم يكن في أصلها، وإنما طرأ عليها في النيّة، فالعبادة في أصلها لله، لكنه مثلًا زيّنها رياءً أو سمعة، أو للدنيا، أو نحو ذلك؛ فهذا من الشرك الأصغر الذي لا يقدح في أصل الدين لكنه يقدح في كماله الواجب الذي يكون فاعله آثمًا به معرض للعقوبة الشديدة.فهذا النوع من الشرك ينطبق على يسير الرِّياء، أما الرِّياء الخالص فهذا أكبر، الذي هو رياء المنافقين "يُرَاءُونَ النَّاسَ" [النساء : 142]

رياء المنافقين في أصل الدين "وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" [البقرة :14] فهذا في أصل الدين، فهذا رياء أكبر ناقل من الملة.

أما يسير الرِّياء فإن الأمر فيه أيسر من ذلك وأخف، وهذا حال أكثر النّاس كما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- وقال: وهذا أسهل من الشرك الذي قبله وأخف أمراً منه، وإن كان ليس بيسير وليس بخفيف .لكن مقارنة للشرك الأكبر أو الشرك الذي هو في أصل الدين، لا شك أنه أخف منه وأيسر .

قال رحمه الله : (وهو الشرك الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه : <الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل>.

ولهذا؛ معالجة هذا الشرك الخفي الذي يتسرب إلى القلب تسربًا كثيراً ، يأتيه من جهات. يحتاج إلى معالجة شديدة مستمرة ،حتى قال بعض السلف : (ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي) ؛لأن النية لا يزال يأتيها أشياء تجعلها تتفلت,فيكون في أصل عمله متقرباً إلى الله ، لكن يهجم عليه أشياء طارئة تفسد عليه النية وتجعل نفسه تذهب إلى المراءاة أو إلى السمعة أو إرادة الدنيا بالعمل أو نحو ذلك .

وصف النبي عليه الصلاة والسلام هذا النوع من الشرك في شدة خفائه بأنه أخفى من دبيب النمل .

وحتى نستحضر هذا الخفاء الواحد منا وهو جالس لو مرت من جنبه نملة أيشعر بها؟ أيسمع لها دبيبًا ؟ أيحس بها ؟ - لا يحس بها إلا إن دقق بصره وإن كان ذا بصر جيد !

فحينئذ يراها ، وإلا تمر الواحدة والثنتان والثلاث وربما الفريق من النمل ما يشعر به .لم يقل عليه الصلاة والسلام مثل خفاء النمل .

قال : (أخفى من دبيب النمل).

فهو في خفاء شديد وهذا الوصف من نبينا عليه الصلاة والسلام يستوجب من الناصح لنفسه أن يشتد خوفه من هذا الشرك؛ لأن شيء بهذا الخفاء وهو في خطورة عظيمة على عمل المرء لابد أن يخاف منه الناصح ، ولهذا يقول عبد الله بن أبي مليكة :

(أدركت أكثر من ثلاثين صحابياً كلهم يخاف النفاق على نفسه)؛ لأن هذه أمور دائماً تهجم على الإنسان إن جاء يطلب العلم بدأت تهجم عليه ، وإن جاء يصلي بدأت تهجم عليه ، وإن أراد أن يتصدق بدأت تهجم عليه ، وإن أراد أن يتحدث ويعلم بدأت تهجم عليه !

في كل مقام تهجم عليه من أجل أن يُدخِل الناس في النية إن كانت صلاة زينها لأجلهم ، ربما مثلاً بعض السنن يكون مفرطاً فيها فإن كان حوله أحد ممن له شأن عنده أو مكانة أدى هذه السنن وحافظ عليها ، وأتى بها بشكل جيد وتام ، وهو لمَّا أتى بهذه السنن كان ينظر في ذهنه إلى هؤلاء .
إن كان في طلب للعلم قل مثلاً ذلك ، في تعليم للعلم في دعوة للخير ، في صدقة إلى غير ذلك دائماً تهجم هذه الأمور حتى تُخِلّ بنيّة الإنسان فتُبطل عمله , فإذن هو أمر خفي ليس بالهين ، أخفى من دبيب النمل !إذن يجب على كل واحد منا أن يشتد خوفه من هذا الشرك .

النبي عليه الصلاة والسلام سألوه : (كيف ننجوا منه ؟)هذا السؤال يدلكم على ماذا ؟لما قالوا كيف ننجوا منه,لما قال أخفى من دبيب النمل يدلكم على ماذا فيما يتعلق بالصحابة؟ وهم من هم رضي الله عنهم؟ ؟

- أنه وقع في نفوسهم خوف شديد منه (كيف ننجوا ؟) هذا الذي هو أخفى من دبيب النمل!

فوقع في نفوسهم خوف شديد من هذا الشرك وأخذوا يسألون كيف النجاة ؟ إذا كان بهذا الخفاء كيف ننجوا منه؟ فقال عليه الصلاة والسلام -أرشد إلى أن يقولوا هذا الدعاء- [اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم و أستغفرك لما لا أعلم] وهذا الدعاء ثابت وعظيم جداً وينبغي على المسلم أن يحافظ عليه وأن يعتني بهذا الدعاء عناية مستمرة ، يتعوذ بالله سبحانه وتعالى من الشرك (أن أشرك بك وأنا أعلم) : يعني أشرك وأنا على علم ، أو أشرك بلا علم (أن أشرك بك وأنا لا أعلم) هذا الذي يقول عنه (لا أعلم) هذا الذي يتسلل ويهجم على القلب ، وفجأة يجد الإنسان دخل في الرياء دخل في السمعة دخل في

أمور .. أمضى وقتًا في العبادة وهو ملتفت تلك الالتفاتة ، فيكثر من التعوذ بالله -سبحانه وتعالى- بهذا التعوذ العظيم.

قال المصنف : (فالرياء كله شرك) ، لكن الرياء الخالص هذا شرك أكبر ، ويسير الرياء شرك أصغر .

الرياء كله شرك ، لماذا ؟ لأن النية لم تصبح خالصة لله ، وُجد مزاحم أُدخل في النية ، وهو المخلوق الذي زُيّن له العمل ، وحُسن له العمل ، فهذا من عظيم نصح النبي عليه الصلاة والسلام لأمته في الحذر من الرياء، الحذر من السمعة وأن تُحفظ الأعمال والعبادات بأن تبقى خالصة لله ،لا يقصد بها إلا وجه الله؛ لأن الله- سبحانه وتعالى- لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه ، كما قال في الحديث القدسي: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)) لا يقبل من العمل إلا الخالص الصافي النقي الذي لم يرد به إلا وجه الله - سبحانه وتعالى -.

، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [سُورَةُ الْكَهْفِ: 110] .

أَيْ: كَمَا أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ، فَكَمَا تَفَرَّدَ بِالْإِلَهِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعُبُودِيَّةِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْخَالِي مِنَ الرِّيَاءِ الْمُقَيَّدُ بِالسُّنَّةِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا.

أورد رحمه الله هذه الآية العظيمة من آخر سورة الكهف ، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}. ذُكِر في هذه الآية العظيمة شرطا قبول العمل ، و هما الإخلاص للمعبود, والمتابعة للرسول ؛

المتابعة في قوله : { فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا } ، والإخلاص في قوله : { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } .

فالعبادة لا تكون مقبولة إلا بهذين : بالإخلاص فيها لله بأن لا يبتغى بها إلا وجه الله ، وبالاتباع للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فإن لم تكن موافقة لهديه رُدت على العامل ، كما قال عليه الصلاة والسلام ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) أي مردود على صاحبه غير مقبول منه .

قال المصنف رحمه الله : أي كما أنه إله واحد ، في أولها قال : { أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ } ، فكما أنه إله واحد ؛ فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده ، ولهذا قال في آخرها { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } ، كما أنه إله واحد الذي له الألوهية وهي صفات الكمال والجلال والعظمة التي استحق بها أن يؤله وأن يعبد وأن يخضع له ويذل لا شريك له في ذلك ,فكذلك يجب أن يفرد بالعبادة فلا يُجعل معه الشركاء والأنداد ولا يتخذ معه شريك فهو إله واحد.

الإله الواحد لا يُجعل معه شريك يصرف له من الحقوق ما ليست إلا لله سبحانه وتعالى فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية

هذا الكلام من ابن القيم رحمه الله يذكرنا بكلمة مرت معنا قريبًا لابن عباس رضي الله عنهما قال رضي الله عنه :" الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين" ومر معنا أيضًا قريبًا تفسيرًا لهذا الكلام كلام ابن عباس رضي الله عنهما للعلامة ابن سعدي في كتابه " فتح الملك العلام " فسر هذا الكلام تفسيرًا عظيمًا نافعًا جدًا؛ لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " الله هذا الاسم يدل على الألوهية والعبودية "قال: ذو الألوهية والعبودية

أما الألوهية : التي يدل عليها هذا الاسم فهي صفات الكمال صفات الألوهية من العظمة والجلال والكمال والكبرياء التي استحق بها أن يؤله وحده وأن يخضع له وحده وأن يذل له وحده

وأما العبودية: فهي أفعال العبد التي تقتضيها هذه الألوهية وهي أن يصرف العبادة كلها لله ولهذا ابن القيم هنا يقول فكما تفرد بالإلهية ما هي الإلهية هنا؟ فكما تفرد بالإلهية أي صفات الكمال والعظمة والجلال التي استحق بها أن يؤله فيجب أن يفرد بالعبادة التي هي أفعال العباد الذل الخضوع الانكسار والدعاء والرجاء وغير ذلك من العبادات .

قال رحمه الله : فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة الآية قال :" فليعمل عَمَلًا صَالِحًا "

قال ابن القيم مفسرًا الآية : فالعمل الصالح الخالي من الرياء الموافق للسنة إن لم يكن خالي من الرياء لم يكن صَالِحًا لما شابه من الشرك وإن لم يكن موافقًا للسنة لم يكن صَالِحًا لما شابه من ماذا ؟ من البدعة فهو لا يكون صَالِحًا إلا إذا سلم من الشرك والبدعة بأن يكون خالصًا صوابًا .

قال : وكان من دعاء عمر رضي الله عنه " اللهم اجعل عملي كله صَالِحًا واجعله لوجهك خالصًا "

فجمع في هذا الدعاء بين المتابعة والإخلاص " المتابعة" في اجعل عملي كله صَالِحًا "والإخلاص" في اجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا.

قال رحمه الله تعالى :" وَهَذَا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ يُبْطِلُ ثَوَابَ الْعَمَلِ، وَقَدْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْعَمَلُ وَاجِبًا، فَإِنَّهُ يُنْزِلُهُ مَنْزِلَةَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْهُ، فَيُعَاقَبُ عَلَى تَرْكِ الْأَمْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ عِبَادَةً خَالِصَةً، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} [الْبَيِّنَةِ: 5] .
فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ، بَلِ الَّذِي أَتَى بِهِ شَيْءٌ غَيْرُ الْمَأْمُورِ بِهِ، فَلَا يَصِحُّ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَقُولُ اللَّهُ: " «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ» ".

يقول رحمه الله وهذا الشرك الذي هو مثل الرياء والسمعة ونحو ذلك مما تحدث عنه قريبًا يقول هذا الشرك يبطل ثواب العمل. مثلاً: إن كان صلاة ودخلها الرياء أبطل ثوابها إن كان صدقة ودخله الرياء أبطل ثوابه إن كان طلب علم ودخله الرياء أبطل ثوابه وقل مثل ذلك في سائر الأعمال .

لكن هنا أمر :

إذا أبطل ثوابه هل يكون فقط يبطل ثواب العمل ولا يعاقب ؟

لأنه مرّ معنا في الحديث "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه ".أبطل ثوابه -تركته وشركه - يعني لا يثيبه عليه ، فلا يقبله منه ، فلا يثيبه عليه ، لأنه أشرك مع الله فيه غيره .فهذه الرياء و السمعة ونحو ذلك هذه تبطل ثواب العمل ، يصبح عمله لا ثواب عليه .صلاة ، صدقة ، طلب علم ، إلى غير ذلك لا يثاب عليه لأن الله لم يقبله منه مثلما في الحديث :تركته وشركه .

لكن هل يعاقب على ذلك أو لا يعاقب ؟

انتبه للفائدة التي سينبه عليها :قال :وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً . لماذا يعاقب عليه ؟

السؤال هنا :هل أدى الواجب ؟, الواجب الذي أوجبه الله عليه هل أداه ؟, الله عزوجل أمره بهذه العبادة خالصة ، فهل أداها لله خالصة ؟

إذا لم يؤدِّ الواجب فاستحق العقاب لأنه لم يؤدِّ ما أوجب الله عليه .

إن كان صلى رياء ، لا يثاب ويعاقب لأنه لم يؤدِّ هذه الصلاة ، لأن الله أوجبها عليه ماذا؟ -خالصة .

فإن كان أداها رياء لم يخلص فيها لله .فهو لا يثاب من جمة ؛ ومن جمة يعاقب ، لأنه لم يؤدِّ الواجب .

بالمناسبة مصيبة الناس في الزمان هذا ، في هذا الباب -باب الرياء - مصيبة عظيمة جداً .

في الجوالات الآن والصور التي في الجوالات .والله مصيبتهم عظيمة جداً .

ولا يزال الناس يرون مناظر تؤلم الغيورين الناصحين في واقع بعض الناس .

يحدثني أحد الأشخاص رأى في هذا المسجد شخصاً يمشي مع صاحبه ، وجلس صاحبه على هيئة التشهد والتقط له صاحبه صورة ثم قام ومشى .وهذه الصورة سيبعثها إلى عدد من الناس وهو في المسجد النبوي يصلي ،هذا أصلاً لم يصلِّ .

وأنا رأيت شخصاً في هذا المسجد قام من مكانه بعد الصلاة ، وأخذ مصحفاً كبيراً وفتحه ثم صوره صاحبه ثم ذهب من جمة وصوره من جمة أخرى ثم طبق المصحف وقام ، ما قرأ .

فتح المصحف ليؤخذ له صورة أنه في المسجد النبوي يقرأ القرآن .هذه والله مصيبة ، مصيبة عظيمة جداً .

أما الدعاء فهذا حدث ولا حرج من كثرته . تجد بعضهم يحسن نفسه ويهيئ من صورته ثم يرفع يديه ، وإذا صوروه أنزل يديه .يداه لما رفعتا لم ترفعا لدعاء الله ، وإنما رفعت ليؤخذ له صورة .

فهذه من المصائب المؤلمة العظيمة التي جرتها هذه الجوالات لكثير من الناس .

- إذا كان من صلى ودعا واعتمر ووقع في الرياء ، أفسد هذا الرياء عمله .فكيف بالذي أصلا لم يصلِّ ولم يقرأ القرآن ولم يدعُ وإنما ابتداءً فعل هذا الشيء ابتداءً أصلاً ليس لله ، وإنما ليؤخذ منه أوله مثل هذه الصور ؟ فهذه مصيبة والله عظيمة جداً ، واقع مؤلم في كثير من الجهال .

نسأل الله عزوجل أن يعافينا وجميع من هو مبتلى بمثل هذا .

قال : فإن الله سبحانه يقول قد يعاقب عليه إذا كان العمل واجب فإنه ينزله منزلة من لم يعمله .

لماذا ينزل منزلة من لم يعمل ؟

- لأنه أمر بهذا العمل خالصًا لله، فلم يؤده خالصا لله .والإخلاص هو شرط في القبول إذا كان من صلى بدون طهارة كأنه لم يُصلِ فمن لم يُصلِ بالإخلاص، الإخلاص أهم من الطهارة كأنه لم يُصلِ؛ لأنه ينزّل منزلة من لم يعمل فيُعاقب على ترك الأمر فإن الله -سبحانه- إنما أمر بعبادته خالصة قال -تعالى- : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥]

فمن لم يُخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به فلا يصح، ولا يقبل منه ويقول الله : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك به وأنا منه بريء »، أي أن الله لا يقبل منه عمله بل يرده عليه

«قال -رحمه الله تعالى- وَهَذَا الشِّرْكُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَغْفُورٍ وَغَيْرِ مَغْفُورٍ، وَأَكْبَرَ وَأَصْغَرَ، وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَأَكْبَرَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ مَغْفُورٌ »

يقول هذا الشرك الذي يتعلق في العبادة ينقسم إلى مغفور، وغير مغفور

ينقسم إلى غير مغفور :وهو الشرك الأكبر،

ومغفور أي ما دون ذلك،

يقصد -رحمه الله- ما دل عليه قول الله -تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦]فمن صرف العبادة نفسها لغير الله من دعاء، أو ذبح، أو نذر، أو غير ذلك فهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفر لكن إن كانت العبادة لله، ودخلها يسير رياء، أو يسير سمعة، أو نحو ذلك فإن هذا يُفسد العمل لكن لا يكون صاحبه مُنتقلاً به من الملة كما هو الشأن في الشرك الأكبر الذي لا مطمع لصاحبه في مغفرة الله إن مات على ذلك .

قال : وأكبر وأصغر ينقسم إلى أكبر وأصغر،

قال: والنوع الأول الذي هو الأكبر ينقسم إلى كبير وأكبر

فالشرك أيضاً مُتفاوت في كبره، الأكبر الناقل من الملة أيضاً هو مُتفاوت في كبره

وكلاهما الكبير والأكبر غير مغفور، كما قال الله -سبحانه وتعالى- : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦]

«قال : فَمِنْهُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ: أَنْ يُحِبَّ مَخْلُوقًا كَمَا يُحِبُّ اللَّهَ، فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي قَالَ سُبْحَانَهُ فِيهِ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 165] وَقَالَ أَصْحَابُ هَذَا الشِّرْكِ لِآلِهَتِهِمْ وَقَدْ جمعتهم الْجَحِيمُ: {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ - إِذْ نسويكم برب العالمين﴾} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: 97 - 98] .

ذكر -رحمه الله تعالى- أن من هذا الشرك الذي لا يُغفر، وسيذكر أمثلة لاحقة عديدة على هذا النوع، من هذا الشرك الذي لا يُغفر شرك المحبة والمحبة هي روح العبادة ولُبها,فهذه المحبة محبة الله التي هي روح العبادة من اتخذ نِدّاً مع الله يُحبه محبة مُساوية لمحبة الله، أو مُماثلة لمحبة الله، أو أعظم من محبة الله فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة وقد قال الله -سبحانه وتعالى- عن المشركين : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

يحبونهم أي الأنداد كحب الله أي كمحبتهم لله, وهذا فيه أن المشركين الذين حاربهم النبي -عليه الصلاة والسلام,وبُعث فيهم، كانوا يحبون الله، ولكنهم سوّوا غير الله بالله في المحبة، فجعلوا غير الله مساوياً لله في المحبة التي هي محبة العبودية، التي تقتضي الذل والخضوع، ليست المحبة هنا الطبيعية
وإنما المحبة هنا محبة العبودية التي هي حق لله وحده-سبحانه وتعالى-، وأمارة هذه المحبة أنها تقتضي الذل، والخضوع، والانكسار للمحبوب هذه خاصة بالله -سبحانه وتعالى-

فذكر عن المشركين أنهم اتخذوا أنداداً سوّوهم بالله في المحبة

(: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ }) أي محبة تساوي محبتهم لله

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) أي من حب المشركين لله؛ لأن حب المؤمنين لله حب خالص صافٍ لم يجعلوا مع الله فيه شريك.

وأما حب المشركين لله حتى وإن كان مثلاً قوياً فهو غير معتبر؛ لأنه أُشرك مع الله فيه غيره قال: ({وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}]

وهذه المحبة التي سوّى بها المشركون غير الله بالله يندمون عليها أشد الندامة يوم القيامة كما في الآية التي أورد المصنف يقولون وهم في النار (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

هل سوّوا الآلهة برب العالمين في الخلق الرزق الإحياء التدبير هذه الأشياء إذا سئلوا عنها قالوا: الله وحده لكنهم سوّوا هذه الأصنام مع الله في المحبة يحبونهم كحب الله, فيوم القيامة يندمون أشد الندامة ولا ينفعهم يومئذٍ هذا الندم يقولون: (تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي في المحبة وما تقتضيه المحبة من ذُل وخضوع وانكسار وغير ذلك من أنواع العبودية

قال رحمه الله تعالى: وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ مَا سَوَّوْهُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالْإِمَاتَةِ، وَالْإِحْيَاءِ، وَالْمُلْكِ، وَالْقُدْرَةِ،

الرِّزق هذا فعل الله, والرِّزق هو النعمة التي يمن بها على عبده ,وهنا يتحدث عن الأفعال الخلق الإماتة الإحياء الملك القدرة ,إذن الرَزق الذي هو فعل الله سبحانه وتعالى.

وَإِنَّمَا سَوَّوْهُمْ بِهِ فِي الْحُبِّ، وَالتَّأَلُّهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُمْ وَالتَّذَلُّلِ، وَهَذَا غَايَةُ الظُّلْمِ وَالْجَهْلِ ، فَكَيْفَ يُسَوَّى التُّرَابُ بِرَبِّ الْأَرْبَابِ، وَكَيْفَ يُسَوَّى الْعَبِيدُ بِمَالِكِ الرِّقَابِ، وَكَيْفَ يُسَوَّى الْفَقِيرُ بِالذَّاتِ الضَّعِيفُ بِالذَّاتِ الْعَاجِزُ بِالذَّاتِ الْمُحْتَاجُ بِالذَّاتِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ إِلَّا الْعَدَمُ، بِالْغَنِيِّ بِالذَّاتِ، الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، الَّذِي غِنَاهُ، وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَجُودُهُ، وَإِحْسَانُهُ، وَعِلْمُهُ، وَرَحْمَتُهُ، وَكَمَالُهُ الْمُطْلَقُ التَّامُّ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ ؟

المشركون لم يسووا هذه الأصنام والذي يندمون على هذه التسوية يوم القيامة لم يسووهم بالله في الخلق، والرِّزق، والإماتة، والتدبير، وغير ذلك..كل هذه الأشياء يقولون إن سئلوا عنها أنها لله ويفردون الله -سبحانه وتعالى- بها لكنهم سووا غير الله بالله في المحبة وما يتبعها من الخضوع والذل والتذلل ونحو ذلك.يقول-رحمه الله -:[كيف يسوى التراب برب الأرباب, كيف يسوى العبيد بمالك الرقاب] - كيف يسوى الفقير بالذات ، الضعيف بالذات ، العاجز بالذات، المحتاج بالذات ، الذي ليس

له من ذاته إلا العدم بالغني بالذات القادر , بالذات الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته -سبحانه وتعالى-

قال : فَأَيُّ ظُلْمٍ أَقْبَحُ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّ حُكْمٍ أَشَدُّ جَوْرًا مِنْهُ؟ حَيْثُ عَدَلَ مَنْ لَا عِدْلَ لَهُ بِخَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ - ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 1] .

فَعَدَلَ الْمُشْرِكُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، بِمَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، فَيَا لَكَ مِنْ عَدْلٍ تَضَمَّنَ أَكْبَرَ الظُّلْمِ وَأَقْبَحَهُ.

يقول رحمه الله: " فأي ظلم أقبح من هذا " الذي هو التسوية لغير الله بالله ، هذه التسوية هي أشد الظلم وأقبح الظلم كما في الآية الكريمة : " إن الشرك لظلم عظيم "," والكافرون هم الظالمون" فالشرك هو أقبح الظلم وأشد الظلم وأشنعه.

يقول رحمه الله : "حيث عَدَل من لا عِدْل له بخلقه "

عَدَل من لا عِدْل له أي الرب الذي لا ند له ولا مثال له ولا نظير له سبحانه وتعالى بخلقه، كما قال تعالى: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ "ثم مع هذه المخلوقات العظيمة الجليلة التي تفرد بها ثم مع ذلك كله (الذين كفروا بربهم يعدلون)

مع هذه العظمة وهذا الخلق وهذا الكمال وهذا الجلال مع ذلك كله(الذين كفروا بربهم يعدلون)

وهذا غاية السفه وأشنع الظلم يعدلون بالله: أي يسوون غير الله بالله فعدَل المشرك أي سوّى المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة ، في السموات ولا في الأرض ." قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ "

فيالك من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه ، العدل هنا التسوية المراد بالعدل هنا التسوية

" الذين كفروا بربهم يعدلون" أي يسوون غير الله - سبحانه وتعالى- بالله في حقوقه التي ليست إلا له جل في علاه.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وأن يصلح لنا شأننا كله إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ,اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد :

أشير في مقدمة درسنا هذا إلى فائدة لعل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا بها، ألا وهي : أن بعض أهل العلم فيما نقله الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالى- في كتابه لطائف المعارف، يرون أن ليلة الجمعة إذا وافقت ليلة من ليالي الوتر العشر الأواخر من رمضان فهو أحرى أن تكون ليلة القدر، لهذه الفضيلة العظيمة ألا وهي أن ليلة الجمعة هي خير ليالي الأسبوع ومثل هذا إذا سمعه المؤمن يبعث فيه نشاطاً لمزيد عناية بهذه الليلة لا أن يقتصر عليها ,ولهذا من الأخطاء أن ما يُذكر أحياناً من تواتر الرؤى على تعيين ليلة فينشط لها الناس ويكسلون عن غيرها هذا من الخطأ ..

ولهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- حث على تحري ليلة القدر في العشر الأواخر كلها، لكن مثل هذه الفائدة تزيد من نشاط المرء هو أصلاً على نشاط فتزيد من نشاطه ..نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يُغّنمنا أجمعين بركات ليلة القدر، وأن يعيننا فيها وفي كل ليلة ويوم على ذكره وشكره وحسن عبادته

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ,اللهم اغفر لشيخنا ووالديه وللمسلمين أجمعين ,قال الشيخ العلامة ابن القيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه الداء والدواء،

«قال -رحمه الله- : وَيَتْبَعُ هَذَا الشِّرْكَ الشِّرْكُ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْإِرَادَاتِ، وَالنِّيَّاتِ، فَالشِّرْكُ فِي الْأَفْعَالِ كَالسُّجُودِ لِغَيْرِهِ، وَالطَّوَافِ بِغَيْرِ بَيْتِهِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ عُبُودِيَّةً وَخُضُوعًا لِغَيْرِهِ، وَتَقْبِيلِ الْأَحْجَارِ غَيْرِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ الَّذِي هُوَ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَتَقْبِيلِ الْقُبُورِ وَاسْتِلَامِهَا، وَالسُّجُودِ لَهَا، وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مَنِ اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ يُصَلِّي لِلَّهِ فِيهَا، فَكَيْفَ بِمَنِ اتَّخَذَ الْقُبُورَ أَوْثَانًا يَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟»

هذا الفصل يذكر فيه -رحمه الله تعالى- أن من أنواع الشرك التي هي من الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام:

- منها ما يتعلق بالأفعال،
- ومنها ما يتعلق بالأقوال،
- ومنها ما يتعلق بالإرادات والنيات

وأيضاً الشرك الأصغر كما سيأتي الأمثلة على ذلك عند المصنف -رحمه الله تعالى-

قال : ويتبع هذا الشرك الشرك به -سبحانه- في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات
كل من هذه قد يقع من جهتها شرك، فقد يقع الشرك من جهة الأفعال وسيذكر على ذلك أمثلة ,وقد يقع من جهة الأقوال وسيذكر على ذلك أمثلة ,وقد يقع من جهة الإرادات والنيات وأيضاً سيذكر على ذلك أمثلة ..

ذكر -رحمه الله- من أمثلة الشرك في الأفعال : السجود لغير الله ، قد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨]

فالسجود عبادة لا تكون إلا لله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]. فهو عبادة لا تكون إلا لله -سبحانه وتعالى- وهي هيئة ذل وخضوع وانكسار وهي حالة يكون فيها العبد أقرب ما يكون من ربه, فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لما في هذه الهيئة من كمال الذل والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى.

ومن الشرك: الطواف بغير بيته..

الله جلّ وعلا شرع هذه العبادة حول بيته قال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ فهذه عبادة شرعها الله - سبحانه وتعالى - حول بيته العتيق ,

فكل طواف يكون في أي مكان حول أي شيء كان شجر أو قبر أو غير ذلك فهو من الشرك؛

لأن الطواف عبادة لا تكون إلا بالبيت العتيق:﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ لا تكون إلا في هذا الموطن,فمن جعلها في موطن آخر أيّاً كان شأنه ذلك الموطن حجر أو شجر أو قبر أو غير ذلك فإن هذا من الشرك بالله - سبحانه وتعالى -.

وكذلك حلق الرأس عبوديةً وخضوعًا لغيره والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾

وقد أثنى عليهم بهذا الوصف مما يدل على أنه من شعائر الحج ومن شعائر العمرة ,وقد عدّه أهل العلم من واجبات الحج وواجبات العمرة -حلق الرأس أو تقصيره- والحلق أكمل !

بل دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة, فالحلق أكمل من التقصير وكل منها عبادة لله,عندما يزيل الشعر الذي على رأسه حلقاً له أو تقصيراً متقرباً بهذا لله سبحانه وتعالى هذه عبودية . فمن جعل ناصيته أمام مخلوق من المخلوقات وحلق بين يديه رأسه أو قصَّر رأسه ذُلًّا لذلك المخلوق أو توبة بين يديه فهذا من الشرك.

ومثل هذا العمل يقع عند أصحاب الطرق الضالة حتى إن شيخ بعض الطرق يعيِّن سجادة ومقصًّا لهذا العمل من أراد أن يدخل الطريق أو يسلك مسلكهم يحلق رأسه بين يدي الشيخ !

فمثل هذا العمل الله عز وجل جعله من أعمال الحج وأعمال العمرة ومن واجبات الحج وواجبات العمرة فإذا صُرِف لغير الله- سبحانه وتعالى-كان ذلك من الشرك بالله جل وعلا والإمام ابن القيم -رحمه الله- له حول هذه المسألة كلام في كتابه "زاد المعاد" قال فيه :

حلق الرأس لغير الله سبحانه كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول أحدهم: أنا حلقتُ رأسي لفلان وأنت حلقته لفلان, وهذا بمنزلة أن يقول : سجدت لفلان، فإن حلق الرأس خضوع وعبودية وذل

ولهذا كان من تمام الحج حتى إنه عند الشافعي ركن من أركانه لا يتم إلا به, فإنه وضع النواصي بين يدي ربها خضوعاً لعظمته وتذللاً لعزته وهو من أبلغ أنواع العبودية.

ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه, فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين أساس مشيختهم على الشرك والبدعة فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم فزينوا لهم حلق رؤوسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا: هو وضع الرأس بين يدي الشيخ, ولعَمر الله إن السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه ,وزيّنوا لهم أن ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا بأسمائهم وهذا هو اتخاذهم أرباباً وآلهة من دون الله- سبحانه وتعالى-

قال رحمه الله تعالى: (وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض)

الحجر الأسود :هو المكان الوحيد في الدنيا كلها الذي يُشرع تقبيله تعبداً وتقرباً لله ,حتى إن جهات الكعبة المشرفة كلها ليس فيها ما يشرع أن يُقبّل حتى الركن اليماني لا يشرع أن يُقبّل,وجهات الكعبة كلها ليس فيها أي جهة يُشرع أن تُقبل, فلا يشرع أن يُقبل إلا الحجر الأسود فقط

وتقبيل الحجر الأسود هو تأسِّ واقتداء بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام ولهذا لما قبّل عمر رضي الله عنه الحجر الأسود قال : أما إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

فهو تأسِّ بالنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه قبّل الحجر الأسود ﷺ واستلم الركن اليماني

وليس في الدنيا مكان إطلاقاً يشرع أن يقبل إلا هذا الموطن الذي هو الحجر الأسود.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما التمسح بالقبر أي قبر كان وتقبيله وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هذا من الشرك!

ولهذا ابن القيم رحمه الله في عَدِّه هنا لأنواع الشرك عَدَّ منها : تقبيل الأحجار غير الحجر الأسود ، والحجر يُقبّل عبادة وطاعة لله واتِّباعاً لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال: ((وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها هذا كله من الشرك))

أن يقبل قبراً أو يستلم القبر ومعنى يستلم القبر: يضع يده على القبر ويمسح ، يمسح يده على القبر أو يمسح سارية أو يمسح باب مسجد أيًا كان , فهذا المسح أو التقبيل لا يشرع إلا في الحجر الأسود وإن لم يتمكن من تقبيله فيُمسح (يُستلم) وكذلك الركن اليماني يُستلم وما سوى ذلك لا يشرع في أي مكان في الدنيا.

قال: وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها أي أن كل ذلك من الشرك

يقول رحمه الله: وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلَّى لله فيها فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون الله

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد: يعني اتخذ قبور الأنبياء موطناً يتحرى فيه العبادة يصلي فيها لله ليس للقبر لعن من فعل ذلك لماذا لعن من فعل ذلك؟!

من صلى لله عند قبور الأنبياء أو عند قبور الصالحين لله خالصاً يبتغي بصلاته وجه الله لم يكن في قلبه إرادة شرك وإنما يريد وجه الله بذلك لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك؛ لأن هذا ذريعة للشرك.

قد يقع الشرك من هذا الشخص نفسه وقد يقع الشرك في أهله وذريته فيما بعد, وهذا من أعظم مداخل الشيطان التي دخل على الناس فيها فأوقعهم في عبادة غير الله- سبحانه وتعالى-

قال: قد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون الله ثم ساق أحاديث عديدة في هذا الباب..

قال رحمه الله تعالى :فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

وَفِي الصَّحِيحِ أيضاً عَنْهُ: «إِنَّ شِرَارَ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» .

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْهُ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» .

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَصَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم -: «لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» .

وَقَالَ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» .

وَقَالَ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

هذه جملة من الأحاديث أوردها -رحمه الله تعالى- في هذا الباب باب النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد, لو تأملت هذه الأحاديث تجد أن فيها اللعن لفاعل ذلك, واللعن: طرد وإبعاد من رحمة الله ,ولا يكون اللعن إلا في أمر عظيم ففيها لعن , وفيها إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل هذا الفعل وهذا الصنيع من شرار الخلق, وفيه إخباره عليه الصلاة والسلام أن أهل هذا الفعل قد اشتد غضب الله عليهم كما في الحديث الذي ذكره: ((اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))

ففيها لعن وفيها أنهم من شرار الخلق وفيها اشتداد غضب الله- سبحانه وتعالى -على أهل هذا العمل وفيه النهي المؤكد في الحديث الذي أورده رحمه الله: ((إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك))

انظر التأكيد قال: فلا تتخذوا ثم قال: فإني أنهاكم ..هذا كله تأكيد بالغ في النّهي ففي هذه الأحاديث نهي ، وفيها تأكيدٌ للنهي ، وفيها لعن ، وفيها أنهم من شرار الخلق ، وفيها اشتداد غضب الله سبحانه وتعالى على من يفعل ذلك فهذا يدل على أن الأمر خطير للغاية,

وهذا كله من تمام نصح النبي - صلى الله عليه وسلم بل إن بعض هذه الأحاديث سُمعت منه - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته بخمس وقبل وفاته بلحظات وهو يلعن قبل وفاته بلحظات يلعن من يفعل ذلك يحذّر مما صنعوا

وهذا الأمر فيه خطورة عظيمة جداً على أديان النّاس؛ ولهذا كان نبينا - صلى الله عليه وسلم - يحذّر منه أشدّ التحذير؛ لأنه من أعظم ذرائع الشرك وأشدّ أبوابه خطراً على النّاس,

والنبي صلى الله عليه وسلم لما دعا إلى التوحيد ونهى عن الشرك حَمى حِما التّوحيد وسدّ كل ذريعة تفضي إلى الشرك وهذا من كمال نصحه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

قال - رحمه الله تعالى - : فَهَذَا حَالُ مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ فِي مَسْجِدٍ عَلَى قَبْرٍ

في مسجد على قبر : أي مسجد بني على قبر, فإذا بني المسجد على القبر لم تصح الصلاة فيه , إذا بني المسجد على القبر فإنّ الصّلاة لا تصح فيه, والأمر ليس بهيّن الأمر فيه ماذا ؟ - فيه لعن وفيه اشتداد غضب وفيه أنّه من شرار الخلق وفيه نهي وفيه تأكيد للنهي. فالأمر ليس بالهيّن فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر أي مسجد بني على قبر .

، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ نَفْسِهِ؟

العجيب هنا في هذا المقام: أنّ بعض النّاس يترك هذه الأحاديث كلها الواضحة البينة الصريحة في هذا الباب ثمّ يذهب يحتج بالمتشابه يترك البيّن الواضح ويذهب يحتج بالمتشابه ، يترك أحاديث النبي و نصحه الذي قبيل وفاته بلحظات ، ثمّ يأتي يحتج بأمر لا حجّة له فيه أصلاً

فيقول هذا قبر النبي - عليه الصلاة والسلام - بُني عليه مسجده ! , فيترك هذه الأحاديث الصّريحة ويستدل بهذا الأمر وهو استدلال في غير محلّه؛ لأنّ إذا تأمّل المتأمل - النبي عليه الصّلاة والسّلام - لم يُدفن في المسجد ,وإنّما دُفن في حجرة عائشة وسبب دفنه في حجرة عائشة حديثٌ رواه أبو بكرٍ - رضي الله عنه - في تلك الحادثة, قال لهم : أنّه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنّ " الأنبياء يدفنوا حيث ماتوا "فمات في حجرة عائشة فدفن في الحجرة بالنص فدفن في حجرة عائشة ليس باجتهاد وإنما بنص عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نقله صدّيق الأمّة - رضي الله عنه - فدفن في حجرة عائشة ، وحجرة عائشة - رضي الله عنها - إلى جنبها الحجرات بيوتات النبي - عليه الصلاة والسّلام –

وبقيَ على هذه الحال المسجد وإلى جنبه البيت والنبي - صلى الله عليه وسلم - دفن في البيت بنص عنه ورد ، لم يدفن في المسجد والبيت خارج المسجد ، البيت كان - عليه الصّلاة والسّلام - أهله تحيض الواحدة فيه ويأتي أهله فيه ليس من المسجد ,المسجد لا تدخله الحائض وهذا بيت لأزواجه خارج المسجد ودفن فيه بالنّص وبقيَ مدفوناً (بقي) في هذا المكان في الحجرات ,لما حصلت التوسعة وأنكر ذلك بعض السلف في زمن بني أمية -حصلت التوسعة من جهة الشرق- أحيطت الحجرات بسور فبقيت الحجرات بما فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم تعتبر جهة منفصلة وهذا موضعها وهذا مكان النبي صلى الله عليه وسلم الذي دفن فيه بنص عنه صلوات الله وسلامه عليه, لكنها جهة منفصلة محاطة بجدر حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام قال : >

اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد > واستجاب الله دعاءه ، فلا أحد يصل إلى القبر ، محاط بجدر - وهي تعتبر جهة منفصلة - .

فمن يحتج به لا حجة له أصلاً في ذلك، ثم يقال له : كيف تترك هذه الأحاديث الواضحة هذا الذي يتعلق بقبر النبي صلى الله عليه وسلم هذه حادثة عين لها وضع خاص واضح وهو معروف عند أهل العلم

وأما أن يؤتى إلى مسجد قائم ثم يدفن فيه أحد المعظمين أو يؤتى إلى قبر لأحد المعظمين ويبنى فوقه مسجد, فهذا كله يتناوله تناولاً واضحاً هذه الأحاديث الصريحة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

فَهَذَا حَالُ مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ فِي مَسْجِدٍ عَلَى قَبْرٍ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ نَفْسِهِ؟

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» ، وَقَدْ حَمَى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - جَانِبَ التَّوْحِيدِ أَعْظَمَ حِمَايَةٍ، حَتَّى نَهَى عَنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَعِنْدَ غُرُوبِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى التَّشَبُّهِ بِعُبَّادِ الشَّمْسِ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهَا فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَنْ مَنَعَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَالصُّبْحِ؛ لِاتِّصَالِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ بِالْوَقْتَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْجُدُ الْمُشْرِكُونَ فِيهِمَا لِلشَّمْسِ.

وَأَمَّا السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ» .

وَ " لَا يَنْبَغِي " فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - لِلَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الِامْتِنَاعِ شَرْعًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا} [سُورَةُ مَرْيَمَ: 92] .وَقَوْلِهِ: {وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [سُورَةُ يس: 69] .

وَقَوْلِهِ: {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ - وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: 210 - 211] .

وَقَوْلِهِ: {مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [سُورَةُ الْفُرْقَانِ: 18]

[فَصْلٌ الشِّرْكُ فِي اللَّفْظِ]

وَمِنَ الشِّرْكِ بِهِ سُبْحَانَهُ الشِّرْكُ بِهِ فِي اللَّفْظِ، كَالْحَلِفِ بِغَيْرِهِ، كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ لِلْمَخْلُوقِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، كَمَا «ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ.»

هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، كَقَوْلِهِ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [سُورَةُ التَّكْوِيرِ: 28] .

فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، وَأَنَا فِي حَسْبِ اللَّهِ وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْكَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِكَ، وَاللَّهُ لِي فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ.

أَوْ يَقُولُ: وَاللَّهِ، وَحَيَاةِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا لِلَّهِ وَلِفُلَانٍ، وَأَنَا تَائِبٌ لِلَّهِ وَلِفُلَانٍ، أَوْ أَرْجُو اللَّهَ وَفُلَانًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ.فَوَازِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهُمَا أَفْحَشُ، يَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوَابِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ نِدًّا لِلَّهِ بِهَا، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ لَا يُدَانِي رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ - نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

هذا الفصل يذكر فيه -رحمه الله تعالى- ما يتعلق بالشرك في الألفاظ؛ لأنه مر معنا أن الشرك: منه ما يكون في الأفعال, ومنه ما يكون في الأقوال

فهذا الفصل عقده لبيان ما يتعلق بالشرك في الألفاظ.والألفاظ كثيراً ما يقع فيها أنواع من الشرك, وَمِمَّا ينبه عليه في هذا المقام أن بعض العوام إذا قال لفظاً فيه شرك ونبه عليه ووُضح له ما فيه من الشرك قال: قصدي لم يكن هذا- قصدي سليم وهذا لم أقصده-

يقال له: إن الشريعة كما أنها جاءت بإصلاح القصد جاءت أيضاً بإصلاح اللسان, ولا يكفي فقط صلاح القصد بل لابد أيضاً من صلاح اللسان وأن تكون ألفاظ المرء سليمة { اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا }.. أما أن يقول قولاً سيئاً ,أو قولاً فيه الشرك, ثم يقول أنا قصدي سليم ونيتي سليمة ولم أقصد هذا المعنى! الشريعة جاءت بإصلاح المقاصد وإصلاح الأعمال أيضاً وإصلاح الأقوال .

فهذا باب من أبواب الشرك الذي هو الألفاظ ويؤاخذ المرء عليه حتى وإن كان لم يقصد, لكن لو قصد حتى ولو لم يقل -الأمر يكون غاية في الخطورة -إذا قصد هذا المعنى التسوية تسوية غير الله بالله حتى وإن لم يتلفظ -مجرد ما يكون هذا القصد قائم في قلبه -هذا من الشرك العظيم -والعياذ بالله-

قال: ومن الشرك به سبحانه الشرك به في الألفاظ كالحلف بغير الله،كالحلف مثلاً بالكعبة أو بالأنبياء أو بالصالحين أو غير ذلك فهذا كله من الشرك

قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم من كان حالفاً فليحلف بالله)) قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)

فالحلف بغير الله- سبحانه وتعالى- من الشرك وهو من الشرك الأصغر لكن إن صحب ذلك تعظيم للمحلوف به كتعظيم الله أو أشد فهذا من الشرك الأكبر

وهذا قد يقع عند بعض أهل الضلال المُعظِمِين لبعض الأولياء المزعومين, قد يقع في قلبه تعظيم لذلك الولي مثل تعظيم الله أو أشد,وهذا لا يكون من الشرك الأصغر بل من الشرك الأكبر

ولهذا مما يذكر في هذا المقام قرأت بأحد الكتب أن شخصاً حُلِف بالله فحلف ثم حُلِف بأحد الأولياء المعظمين عندهم فحلف أيضاً فغضب أحد الحاضرين-أنا لما وصلت إلى هذه الجملة (فغضب أحد الحاضرين) ظننت غضب من أجل الشرك حلف بغير الله ثم أكملت الكلام فذهلت-

قال: فغضب أحد الحاضرين وقال تحلف بالولي الفلاني وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب !

لما حلف بالله - سبحانه وتعالى- ما حصل له هذا الغضب ولما حلف بالولي غضب وأورد هذا الكلام هذا شرك أكبر لا ريب هذا شرك أكبر -من الشرك الناقل من الملة –

لكن مجرد الحلف ومجيؤه على اللسان حلف بغير الله ومجيؤه على اللسان هذا من الشرك الأصغر الذي يسمى شرك الألفاظ:

مثاله: الحلف بغير الله بالكعبة أو بالنبي عليه الصلاة والسلام أو بالولي أو بالآباء أو بالأمهات أو غير ذلك..قال عليه الصلاة والسلام :"من حلف بغير الله فقد أشرك"

- ومن ذلك قول المخلوق للمخلوق: "ما شاء الله وشئت" هنا الواو تشكل خطورة في هذا الموطن؛ لأن الواو تفيد مطلق التسوية, فلما يقول:" ما شاء الله وشئت" سوّى بين مشيئة المخلوق ومشيئة الخالق جعل مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الخالق .

إذا قال: لم أقصد هذا يقال له: لو قصدت هذا حتى لو لم تتلفظ به لو قصدت هذا يعني اعتقدت أن مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الله فهذا شرك أكبر

لكنه مجرد مجيء هذا اللفظ على اللسان دون أن يقصد الحقيقة هذا من الشرك الأصغر الذي هو شرك الألفاظ- الشرك الذي يتعلق بلسان الإنسان ونطقه -

قال: أن يقول: "ما شاء الله وشئت" كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل "ما شاء الله وشئت" فقال:" أجعلتني لله نِداً قل: ما شاء الله وحده"

وجاء في بعض الأحاديث أنه نهى أن يقال:" ما شاء الله وشئت" قال: قولوا:" ما شاء الله ثم شئت"

فإن قال القائل:" ما شاء الله ثم شئت" لا حرج والأكمل أن يقول :" ما شاء الله وحده"

وإن قال :" ما شاء الله ثم شئت" لا حرج؛ لأن " ثم " العطف بها يفيد المهلة والتراخي لا يفيد التسوية مثل ما تفيده الواو.

يقول : هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة: العبد له مشيئة { (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) }
{ (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) }

العبد له مشيئة- مع أنه مثبتة له المشيئة لكن ما يجوز أن نأتي بهذا اللفظ :"ما شاء الله وشئت" -

فكيف إذا جيء بلفظ سُوّي فيه بين المخلوق والله في شيء أصلاً لا حظّ للعبد منه !

قال: هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله {(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) } فكيف بمن يقول:" أنا متوكل على الله وعليك " والتوكل لا يكون إلا على الله

{ {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} } فالتوكل لا يكون إلا على الله

أو قال :" أنا في حسبِ الله وحسبك" الحسب: الكفاية{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ } الحسب هو: الكفاية فالكافي هو الله

أو قال : "مالي إلا الله وأنت" "وهذا من الله ومنك" "وهذا من بركات الله وبركاتك" أو قال:" الله لي في السماء وأنت لي في الأرض" أو قال:" والله وحياة فلان" أو يقول نذرنا لله ولفلان" أو "أني تائب لله وفلان" أو أرجو الله وفلان" ونحو ذلك..فهذه من الألفاظ كلها أشنع من اللفظ الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه :" ما شاء الله وشئت"

ولو نظر الإنسان في واقع الناس ألفاظهم يجد أن هذه الألفاظ وقريباً منها ومثلها أو أشد منها موجودة في الألفاظ وكلها من الشرك التي يجب أن يصان اللسان عنها

قال: فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: " ما شاء الله وشئت" ثم انظر أيها أفحش

بتبيّن لك أن قائلها أولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة حيث قال له:" أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده".

قال رحمه الله تعالى: فَالسُّجُودُ، وَالْعِبَادَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّقْوَى، وَالْخَشْيَةُ، وَالْحَسْبُ، وَالتَّوْبَةُ، وَالنَّذْرُ، وَالْحَلِفُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَحَلْقُ الرَّأْسِ خُضُوعًا وَتَعَبُّدًا، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَالدُّعَاءُ، كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ حَقِّ اللَّهِ، لَا يَصْلُحُ وَلَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ: مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ.

وَالْحَسْبُ: بمعنى الكفاية..كما تقدم..

قال رحمه الله تعالى: فَالسُّجُودُ، وَالْعِبَادَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّقْوَى، وَالْخَشْيَةُ، وَالْحَسْبُ

والصواب: والتَحَسُّب [1]

لأن التَحَسُّب: هو التوكل، التَحَسُّب الذي هو فعل العبد هو التوكل، فالتَحَسُّب هو حسبنا الله ونعم الوكيل، أي اللجوء إلى الله الحسيب الكافي - سبحانه وتعالى- أن يكفي عبده ولهذا من يقول :حسبنا الله ونعم الوكيل يقال عنه ماذا؟! تَحَسَّب، فلان تَحَسَّب يعني يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فالتَحَسُّب توكل، والتوكل لا يكون إلا على الله -سبحانه وتعالى- ، التوكل لا يكون إلا على الله.(2)

نعم ..هذه كلها عبادات والعبادات كلها لله - سبحانه وتعالى- لا يُصرف منها شيئاً لغيره وقد قال الله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ },قال: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [الزمر : 3] ,قال:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : 56]. فالعبادة كلها لله لا يصرف منها لا قليل ولا كثير لغيره .

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ «أَنَّ رَجُلًا أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ» .

الشاهد من الحديث عرف الحق لأهله؛ لأن حق الله لله مثل ما قدم ذلك محض حق الله لا يصلح ولا ينبغي لسواه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " عرف الحق لأهله "فحق الله لله - سبحانه وتعالى -لا يُصرف منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلاً عمن هو دونهما, نعم.

قال رحمه الله تعالى: [فَصْلٌ الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ]

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ، وَنَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبِ الْجَزَاءِ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ لِلَّهِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ.

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 85] .

وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ.

قال: وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له :يعني هذا باب واسع وكبير ولا يختص بشيء معين أو بنوع من العبادة بل يكون في العبادات كلهاإن جئت للصلاة أو الحج أو العمرة

1 37

أو قراءة القرآن أو طلب العلم أو الذكر أو الصدقة أو إلى آخره فإن ما يتعلق بالإرادات يدخل في هذا كله ,ولهذا بعض العلماء فيما يتعلق بحديث "إنما الأعمال بالنيات" قال هذا الحديث يدخل في كل باب من أبواب العلم؛ لأن كل أبواب العلم مثلاً أبواب الصلاة أبواب الطهارة أبواب العمرة الحج الزكاة إلى غير ذلك كل باب من هذه الأبواب يحتاج إلى نية صالحة؛ لأن يدخل على الإنسان ماذا؟

-في كل من هذه الأشياء يدخل عليه إرادات ونيات غير صحيحة فيحتاج العبد إلى معالجة في كل عبادة في كل عمل في كل قربة لله سبحانه وتعالى يحتاج إلى أن يعالج هذه النية معالجة دائمة مستمرة وقلَّ من ينجو منه , وقد مر معنا قريباً أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن هذا الشرك الذي يتعلق بالإرادات والنيات قال: للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل قالوا كيف ننجوا من ذلك؟

الصحابة رضي الله عنهم قالوا كيف ننجوا من ذلك؟

ثم أرشدهم إلى ذلك الدعاء العظيم " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم "

قال: قلّ من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته فالعمل لا يُراد به إلا الله والدار الآخرة أي الثواب الذي في الآخرة كما قال الله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} [الإسراء : 19]

لا يكون السعي مشكوراً إلا إذا كان لله وأُريد به ثواب الآخرة وهو الإخلاص

قال: والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم

كما قال الله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة : 5] ,وقال جل وعلا: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر : 3]
والخالص: هو الصافي النقي.

الله لا يقبل صلاةً ولا صيامًا ولا ذكرًا ولا قراءة قرآن ولا غير ذلك من الأعمال إلا إذا كانت صافية نقية لم يرد بها إلا الله سبحانه وتعالى فإذا أدخل معه غيره فيها لم يقبل لا يقبل إلا الصافي

الخالص: هو الصافي النقي, وتأمل في المعنى اللغوي للخالص قول الله تعالى:{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ} [النحل : 66]

اللبن الذي يخرج من ضرع بهيمة الأنعام يخرج كما ذكر الله من بين فرث و دم لكن في غاية الصفاء لا ترى فيه نقطة دم ولا قطعة فرث صافٍ وصفه الله بقوله خالصًا يعني صافيا نقيا فهكذا العبادة يجب أن

تكون صافية نقية لا يُراد بها إلا الله سبحانه وتعالى وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام.

قال:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران : 85]

وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء؛ لأن إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء وقدوة الموحدين {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ } [الممتحنة : 4]

إبراهيم إمام الحنفاء وإمام الموحدين عليه السلام فمن يرغب عن ملته فقد سفه نفسه يعني حكم على نفسه بغاية السفه وتمامه.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا و لولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

اللهم آت نفوسنا تقواها زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم أعنا أجمعين على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ,اللهم اغفر لشيخنا ولوالديه والمسلمين أجمعين ,قال الشيخ العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- في كتابه الداء والدواء ,

قال رحمه الله :

[فَصْلٌ حَقِيقَةُ الشِّرْكِ]

إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ انْفَتَحَ لَكَ بَابُ الْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ الْمَذْكُورِ، فَنَقُولُ، وَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ نَسْتَمِدُّ الصَّوَابَ:

حَقِيقَةُ الشِّرْكِ: هُوَ التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، صلى الله عليه وسلم . فَعَكَسَ الْأَمْرَ مَنْ نَكَسَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَأَعْمَى عين بَصِيرَتَهُ وَأَرْكَسَهُ بلبس الأمرِ ، وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين - ,اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد :

فإن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- لما طرح الإيراد السابق في قول من لا يفرق بين الذنوب فلا يجعل فيها كبيرة وصغيرة لعظم من عُصي وجلالة شأنه -سبحانه وتعالى- ذكر مقدمات ليصل من خلالها أن :
الذنوب بلا ريب فيها كبائر، والكبائر فيها كبير وأكبر وليست متساوية ,

وأخذ -رحمه الله تعالى- يقرر المسألة من أصولها ويبين الأمر من أساسه انطلاقاً من الغاية التي خُلق الإنسان لأجلها وأوجد لتحقيقها، ألا وهي توحيد الله -سبحانه وتعالى- فما من ريب أن الإخلال بهذا المقصد الذي خلق العبد لأجله وأوجد لتحقيقه ليس كالإخلال بالأمور الأخرى، وإن كانت عظيمة كبيرة لكنها لا تقارن ,ولهذا عرفنا أن الشرك لكبره واختلافه عن كل الكبائر ذنب لا يغفره الله في حق من مات عليه، كما قال الله -سبحانه وتعالى- :{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ }

لما ذكر -رحمه الله- المقدمات التي مضت قال بها ينفتح لك باب الجواب عن السؤال المذكور ,ثم بين -رحمه الله- أن حقيقة الشرك :هو التشبيه (تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق)

حقيقة الشرك التشبيه قياس المخلوق بالخالق، أو العكس قياس الخالق بالمخلوق

ولهذا التشبيه نوعان : تشبيه للخالق بالمخلوق، وتشبيه للمخلوق بالخالق

قال : هذا هو حقيقة التشبيه، أي أنه نوعان تشبيه للخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق

أما تشبيه المخلوق بالخالق: فبأن يُعطى المخلوق من الصفات ما ليس إلا لله -سبحانه وتعالى-، فهذا تشبيه للمخلوق بالخالق .

وهذا من الشرك كما قال المصنف -رحمه الله- لأن الشرك تشبيه والتشبيه نوعان، وسيذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أمثلة على ذلك ,ثم يُبين -رحمه الله- أن معطلة الصفات الذين يجحدون صفات الله -سبحانه وتعالى- عكسوا الأمر وجعلوا التوحيد تشبيهاً، والتشبيه تعظيماً وطاعة، وهذا من قلب الحقائق والمفاهيم ,وهذا العكس لهذه الحقيقة راجع لارتكاس وانتكاس قلوبهم، ولهذا اختلت المفاهيم عندهم فجعلوا الإثبات الذي هو التوحيد لصفات الله -سبحانه وتعالى- تشبيهاً، جعلوه تشبيهاً ويصفون المُثبت للصفات بأنه مشبه,وجعلوا التشبيه تعظيماً وطاعة، لأنهم لما عكسوا الأمر وعطلوا صفات الله -سبحانه وتعالى- وقعوا في التشبيه، فيعدون هذا التشبيه الذي وقعوا فيه هو عين الطاعة، وهم لما جحدوا صفات الله وقعوا في أنواع من التشبيهات بحسب نوع تعطيلهم، إما التشبيه بالجمادات، أو التشبيه بالمعدومات، أو التشبيه بالممتنعات- حسب نوع تشبيه المعطل - هذا التشبيه الذي وقع فيه هؤلاء يسمونه طاعة، والإثبات الذي هو التوحيد يُسمونه تشبيهاً فعكسوا الأمور .

«قال -رحمه الله تعالى- : وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً فَالْمُشْرِكُ مُشَبِّهٌ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: التَّفَرُّدَ بِالْمِلْكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَعَلُّقَ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْخَالِقِ وَجَعَلَ مَا لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ – شَبِيهًا لِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، بَلْ إِذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ بَابَ رَحْمَتِهِ لَمْ يُمْسِكْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ أَمْسَكَهَا عَنْهُ لَمْ يُرْسِلْهَا إِلَيْهِ أَحَدٌ.»

يقول -رحمه الله- :المشرك أي الذي اتخذ مع الله الند والشريك، فعبد غير الله -سبحانه وتعالى- فهو بهذا العمل قد وقع في التشبيه؛ لأنه شبه المخلوق بالخالق عندما صرف شيئاً من حقوق الله -سبحانه وتعالى- للمخلوق جعل هذا المخلوق عِدلاً ومماثلاً للخالق فأعطاه من الحقوق ما لا يليق إلا بالخالق -سبحانه وتعالى- فالمشرك مُشبِّه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية،

قال : فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده،

وهذا الذي يذكر-رحمه الله-هو الذي سبق مر معنا في كلام ابن عباس-رضي الله عنهما- في معنى الله، قال: ((الله ذو الألوهية والعبودية عل خلقه أجمعين))

فالألوهية: تفرد الله-سبحانه وتعالى-بخصائصه، خصائص الكمال، والعظمة والجلال، تفرده بالملك، والعطاء، والمنع،والخفض، والرفع، وهذه الخصائص بها استحق أن يؤله، وأن يفرد بالعبادة.

ولهذا يقول-رحمه الله-: ((وذلك يوجب تعلق الدعاء، والخوف،والرجاء، والتوكل به وحده دونما سواه))؛ لأنه كما أنه تفرد بالكمال، فيجب أن يفرد بالذل،كما أنه تفرد بالكمال لا شريك له، فيجب أن يفرد بالذل والخضوع، فلا يجعل معه الند والشريك

قال: ((فمن علق ذلك بمخلوقٍ، فقد شبهه بالخالق))،شبه من بمن؟

يقول-رحمه الله: ((جعل من لا يملك، لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً، ولا نشوراً، فضلاً عن غيره، شبيهاً لمن له الأمر كله)) وهذا أقبح التشبيه.

أقبح التشبيه أن يشبه المخلوق النّاقص الضعيف الذي لا يملك لنفسه النفع والدّفع، لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره، فيشبهه بالرب العظيم، الذي بيده الأمر كله لا شريك له.

قال-رحمه الله-: فَمِنْ أَقْبَحِ التَّشْبِيهِ: تَشْبِيهُ هَذَا الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ بِالذَّاتِ بِالْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ.

نعم يعني هذا من أقبح التشبيه، أن يشبه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات، فقر المخلوق فقرٌ ذاتي إلى خالقه ومولاه من كل وجه، فلا غنى له عن ربه طرفة عين، وغنى الخالق -سبحانه وتعالى- غنى ذاتي من كل وجه،كما قال الله-سبحانه وتعالى-:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16)

ولهذا العباد لا يبلغوا نفعه-سبحانه-فينفعوه، ولا يبلغوا ضره فيضروه، كما قال -جلّ وعلا-في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، ولن تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي))

فغناه ذاتي-سبحانه -،والمخلوق فقره فقر ذاتي، فمن أقبح التشبيه، أن يشبه هذا الفقير بالذات، بالغني بالذات تعالى وتقدّس-سبحانه وتعالى-

قال-رحمه الله-:" وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا لَهُ وَحْدَهُ، وَالتَّعْظِيمُ وَالْإِجْلَالُ وَالْخَشْيَةُ وَالدُّعَاءُ وَالرَّجَاءُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّوَكُّلُ وَالِاسْتِعَانَةُ، وَغَايَةُ الذُّلِّ مَعَ غَايَةِ الْحُبِّ -كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ عَقْلًا وَشَرْعًا وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ، وَيُمنع عَقْلًا وَشَرْعًا وَفِطْرَةً أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ، فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بِمَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ له

وَلَا نِدَّ لَهُ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ وَأَبْطَلُهُ، وَلِشِدَّةِ قُبْحِهِ وَتَضَمُّنِهِ غَايَةَ الظُّلْمِ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، مَعَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.

من خصائص الألوهية، الكمال المطلق من جميع الوجوه، من خصائص الألوهية، الكمال المطلق، والتفرد بصفات الكمال، والجلال، والعظمة، لا شريك له -سبحانه وتعالى-في شيء منها، وهذا التفرد بالكمال، يوجب كما قال المصنف -رحمه الله- أن يُفرَد بالعبادة، أن يفرد بالذل، فالعبادة لا تكون إلا لمن له الكمال المطلق,

ولهذا لاحظ أعظم آية في القرآن آية الكرسي- آية التوحيد - أخلصت لبيان التوحيد، أولها : ذكر التوحيد: " الله لا إله إلا هو ": هذا هو التوحيد .
ثم أتبع في السورة ذكر براهين التوحيد,ما هي البراهين التي ذكرت؟

- تفرد الله بالكمال والجلال والعظمة هذا التفرد هو برهان على وجوب توحيد الله،

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥]

ذُكر في هذا السياق خمسة أسماء حسنى لله وأكثر من عشرين صفة له -سبحانه وتعالى-

هذا التفرد بالكمال والجلال والعظمة هو برهان أنه لا إله إلا هو ولا معبود بحق سواه -سبحانه وتعالى-

فإذن من خصائص الإلهية، الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له - سبحانه وتعالى-

ومثلها أيضاً آخر الحشر: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذا هو التوحيد ثم البراهين ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٢ – ٢٣]

هذه كلها براهين على توحيد الله وإخلاص الدين له وإبطال الشرك، كيف يُتخذ شريكاً مع من هذه صفاته وهذه عظمته وهذا جلاله وهذا كماله جل في علاه.

يقول رحمه الله " ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة " : كلام عظيم مع أنه كتب على نفسه الرحمة لكن هذا لما بلغ مبلغاً شنيعاً في الظلم الذي هو أشنع الظلم أخبر تعالى أنه لا يغفره ,ولهذا من يموت على الشرك بالله -والعياذ بالله - لا مطمع له إطلاقاً في رحمة الله مع أن الله كتب على نفسه الرحمة وأخبر أن رحمته سبقت غضبه لكن المشرك هذا لا حظ له من هذه الرحمة أصلاً مع أن

الرب كتب على نفسه الرحمة المشرك لا حظ له؛ لأن جرمه وظلمه أشد الجرم وأعظم الجرم كيف يقيس المخلوق الناقص بالرب العظيم ؟كيف يصرف حقوق الرب سبحانه وتعالى لحقوق مخلوق ناقص ؟!

قال رحمه الله تعالى : وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي قَامَتْ عَلَى سَاقَيْنِ لَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِهِمَا: غَايَةِ الْحُبِّ، مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ. هَذَا تَمَامُ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَفَاوُتُ مَنَازِلِ الْخَلْقِ فِيهَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ.
فَمَنْ أَعْطَى حُبَّهُ وَذُلَّهُ وَخُضُوعَهُ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ فِي خَالِصِ حَقِّهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَجِيءَ بِهِ شَرِيعَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَقُبْحُهُ مُسْتَقِرٌّ فِي كُلِّ فِطْرَةٍ وَعَقْلٍ، وَلَكِنْ غَيَّرَتِ الشَّيَاطِينُ فِطَرَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ وَعُقُولَهُمْ وَأَفْسَدَتْهَا عَلَيْهِمْ، وَاجْتَالَتْهُمْ عَنْهَا، وَمَضَى عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ بِمَا يُوَافِقُ فِطَرَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، فَازْدَادُوا بِذَلِكَ نُورًا عَلَى نُورٍ، {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النُّورِ: 35] .

قال رحمه الله : من خصائص الألوهية: العبودية ، كون الله عز وجل تفرد بالإلهية بالكمال بالعظمة :العبودية : أي أن يفرد بالعبادة، والخضوع ،

فالألوهية صفات الرب، والعبودية أفعال العبد التي تقتضيها هذه الصفات صفات الكمال لله- سبحانه وتعالى-

فمن خصائص الإلهية العبودية ، التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما ، غاية الحب مع غاية الذل ، غاية الحب لله-سبحانه وتعالى- مع غاية الذل له.

وهذه حقيقة العبادة: غاية الحب لله عز وجل مع غاية الذل له، وهذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

إذا كانت العبودية تقوم على هذين الساقين فالحب بدون ذل ليس عبودية ، والذل بدون الحب ليس عبودية ، لا تقوم العبودية إلا على هذين الساقين غاية الحب مع غاية الذل لله عز وجل

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه، فقد شبهه : أي من توجه إليه بهذا الحب وهذا الذل فقد شبهه بالله في خالص حقه -سبحانه وتعالى-

وهذا من المحال أن تأتي به شريعة من الشرائع، بل هذا من شريعة الشيطان ووحيه، { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } هذا من وحي الشيطان و من دين إبليس والعياذ بالله,

ولهذا جاء في الحديث وإليه أشار المصنف رحمه الله قال الله سبحانه تعالى:{خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم }

من سلمت له الفطرة وسلم من اجتيال الشياطين هذه نعمة عظيمة ، من هو هذا الذي يسلم ؟

قال -رحمه الله -من سبقت له من الله الحسنى، { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا _أي: النار_ مُبْعَدُونَ } فسبقت الحسنى أي ما كتبه الله، وقدَّره وقضاه،

إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض ، فمن سبقت له الحسنى من الله ، فإنه يسلم ويهيئ الله له من أسباب النجاة، كما قال المصنف (فأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب بما يوافق فطرهم وعقولهم ،فازدادوا بذلك نوراً على نور).

قال: إِذَا عُرِفَ هَذَا فَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ السُّجُودُ، فَمَنْ سَجَدَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ الْمَخْلُوقَ بِهِ.

يقول : إذا عرف هذا فمن خصائص الألوهية : السجود.. قبل قليل قال من خصائص الإلهية العبودية

وهنا أعاده لكن بتفصيل ذكر الأفراد قبل قليل ذكره بقوله: من خصائص الإلهية: العبودية ثم أعاد هنا بذكر أفراد العبادة حتى يوضح الأمر قال: فمن خصائص الإلهية :السجود .هذا من خصائص الإلهية :السجود ,فمن سجد لغير الله فقد شبه المخلوق به ، { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } فمن خصائص الإلهية السجود فمن سجد لغير الله فقد شبه هذا الذي سجد له بالله - سبحانه وتعالى -.

قال : وَمِنْهَا: التَّوَكُّلُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

من توكل على غيره فقد شبهه به؛ لأن التوكل عبودية لله وحده.

{ {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} } ,{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ },{ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ }

فالتوكل عبودية لا تكون إلا على الله- لا يتوكل إلا على الله-؛ لأنه هو وحده الذي بيده الأمر، مثل ما قال الله : {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ }، غير الله لا يُتوكل عليه، لأنه لا يخرج عن أقسام ثلاثة: إما حي سيموت، أو حي قد مات، أو جماد لا حياة له ,هذه الأصناف الثلاثة كلها ما يُتوكل عليها.
التوكل على الحي الذي لا يموت وهو الله -سبحانه وتعالى-

إذن من خصائص الإلهية: الحي الذي لا يموت هذه إلهية، من خصائص الإلهية أن التوكل عليه وحده- هذه من خصائص الإلهية-، ولهذا قال: توكل ثم ذكر من خصائص الإلهية قال: الحي الذي لا يموت

فإذن من كان هذا شأنه هو الذي يتوكل عليه، هو الله وحده ومن سوى الله -عز وجل- إما حي سيموت، أو حي قد مات، أو جماد لا حياة له، وكل هؤلاء لا يُتوكل على أحد منهم .

« وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ، فَمَنْ تَابَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.»

ومن تاب لغيره فقد شبهه به، وقد مر معنا الحديث الذي ساقه المصنف الرجل الذي قال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال -عليه الصلاة والسلام- : «عرف الحق لأهله» ؛لأن هذا حق الله المتفرد بالإلهية - سبحانه وتعالى- أن التوبة إليه {وَتُوبُوا} ماذا؟ {إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

« قال : وَمِنْهَا: الْحَلِفُ بِاسْمِهِ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لَهُ، فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ، هَذَا فِي جَانِبِ التَّشْبِيهِ.»

من حلف بغير الله فقد شبّه هذا المحلوف بالله - شبّه من حلف بغير الله تعظيماً وإجلالاً للمحلوف به- فقد شبّهه بالله -سبحانه وتعالى- ولهذا جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (هذا في جانب التشبيه)

هذا في جانب التشبيه الذي مضى جانب التشبيه، أي تشبيه المخلوق بالخالق هذه أمثلة عليه

وأما في جانب ماذا ؟

« وَأَمَّا فِي جَانِبِ التَّشَبُّهِ بِهِ

وأما في جانب التشبه به يعني تشبه المخلوق بصفات الخالق، أما الأول تشبيه المخلوق بالخالق باعطاؤه من خصائص أو من حقوق الخالق -سبحانه-

« وَأَمَّا فِي جَانِبِ التَّشَبُّهِ بِهِ فَمَنْ تَعَاظَمَ وَتَكَبَّرَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى إِطْرَائِهِ فِي الْمَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ وَالرَّجَاءِ، وَتَعْلِيقِ الْقَلْبِ بِهِ خَوْفًا وَرَجَاءً وَالْتِجَاءً وَاسْتِعَانَةً، فَقَدْ تَشَبَّهَ بِاللَّهِ وَنَازَعَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُهِينَهُ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَيُذِلَّهُ غَايَةَ الذُّلِّ، وَيَجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقِهِ.
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: " الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ ".»»

يقول أما في جانب التشبه به :يعني تشبُه المخلوق بالخالق (بأن يُضيف لنفسه من الصفات ما ليس إلا لله)، كأن يتعاظم، ويتكبر، ويدعو الناس إلى إطرائه والمغالاة فيه مدحاً، وتعظيماً، وخضوعاً، وتعليق القلب به خوفاً، ورجاءً، واستعانة، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته .

في ربوبيته: من جهة ما يُضيفه إلى نفسه من صفات الربوبية .

وإلهيته :ما يطلبه لنفسه من حقوق الله سبحانه وتعالى.

قال: وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان؛ لأن الجزاء من جنس العمل (جزاءً وفاقاً)

قال رحمه الله: وَإِذَا كَانَ الْمُصَوِّرُ الَّذِي يَصْنَعُ الصُّورَةَ بِيَدِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَشَبُّهِهِ بِاللَّهِ فِي مُجَرَّدِ الصنعة، فَمَا الظَّنُّ بِالتَّشَبُّهِ بِاللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؟

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» . وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً] » ، فَنَبَّهَ بِالذَّرَّةِ وَالشَّعِيرَةِ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَكْبَرُ.

هنا ذكر مثالاً يوضح ذلك يقول: إذا كانت النصوص جاءت بلعن المصور وأيضاً جاءت بأنه من الظلم " ومن أظلم " يعني: لا أشد ظلماً وجاء في النصوص أنه أشد الناس عذاباً المصورون, والمصور يضاهي خلق الله في مجرد الصنعة يرسم صورة أو يصنع صورة لذوات الأرواح فلما ضاهى الله عز وجل في مجرد الرسم وصنع الصورة فاستحق اللعن واشتداد غضب الله - سبحانه وتعالى- عليه والإخبار أنه لا أظلم منه لهذا الصنيع يضاهي خلق الله - سبحانه وتعالى - فكيف بمن أضاف لنفسه من خصائص الربوبية و الإلهية هذا أشنع وأعظم . فإذن إذا كان الوعيد جاء في حق المصور للمضاهاة بمجرد الصنعة فكيف بمن يدعي أصلاً لنفسه من الخصائص ما ليس إلا للرب من الحقوق ما ليس إلا لله - سبحانه وتعالى-

قال رحمه الله: وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي صَنْعَةِ صُورَةٍ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي خَوَاصِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ؟ كَذَلِكَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَلِكِ الأملاك، وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ، وَنَحْوِهِ.وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِشَاهِ شَاهْ - أَيْ مَلِكِ الْمُلُوكِ - لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ» وَفِي لَفْظٍ: «أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ» .
فَهَذَا مَقْتُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَاكِمُ الْحُكَّامِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْحُكَّامِ كُلِّهِمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، لَا غَيْرُهُ.

هذا مثال ثاني يبين فيه شناعة من يضيف لنفسه من خصائص الربوبية وحقوق الله- سبحانه وتعالى- كيف أن هذا العمل من أشنع الأمور,يقول: إذا كانت النصوص جاءت في تقبيح من تشبه بالله عز وجل في الاسم الذي لا ينبغي إلا لله وحده - سبحانه وتعالى- : كملك الأملاك وحاكم الحكام وهذا جاء فيه وعيد شديد كقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : " إن أخنع الأسماء عند الله عز وجل رجل يسمى بشاهِ شاه " شاهِ شاه : أي ملك الملوك ",ولعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكره بهذا اللفظ لكثرته عند الأعاجم، من الفرس و (أضرابهم؟....)، يسمون ملوكهم بهذا شاهِ شاه، فسماه وذكره باللفظ الذي ذكره عندهم بلهجتهم أو لغتهم،

وقال: (بشاهِ شاه) أي ملك الملوك، هذا التفسير، لا ملك إلا الله،

وفي الحديث الآخر قال - عليه الصلاة والسلام-: (أغيَظ رجل على الله يسمى بملك الأملاك) يعني اشتد غضب الله وغيظه -سبحانه وتعالى- على رجلٍ تسمى بملك الأملاك.

إذا كان من يتسمى باسم لا يليق إلا بالله هذا شأنه في النصوص فكيف بمن يدعي لنفسه صفات ليست إلا لله، وحقوق ليست إلا لله، فيضيف لنفسه من خصائص الربوبية، أو حقوق الله -سبحانه وتعالى- يضيفها إلى نفسه، إذا كان من تسمى بملك الأملاك استحق ذلك الوعيد والغضب، وأنه لا أخنع منه ولا أشنع منه، من كان كذلك فكيف بمن يضيف لنفسه أصلًا حقوق الله، أو صفات ليست إلا لله -سبحانه وتعالى-.

قال: فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له وحده، فهو سبحانه ملك الملوك وحده وهو حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم على الحكام كلهم ويقضي عليهم كلهم لا غيره هذا المقصد، فكيف بمن يضيف لنفسه من الخصائص أو الصفات ما ليس إلا لله -سبحانه وتعالى- لا شك أنه أشنع وأعظم.

ثم عقد - رحمه الله تعالى- فصلًا جديدًا مطولًا يبنيه أيضًا على ما سبق يبيّن فيه أن هذه الأشياء التي تقدمت راجعة لسوء ظن بالله -سبحانه وتعالى- فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس، فكل هذه الأمور من سوء الظن برب العالمين؛ ولهذا الكافر والمنافق والمشرك كلهم يظنون بالله ظن السوء.

وسيأتي تفصيل عظيم ونافع يتعلق بهذا الباب في الفصل القادم يتعلق بالظانين بالله ظن السوء .

وقبل أن نختم أنبه على أمرين قد سبقا:

الأول: مرت معنا كلمة في الدرس الماضي في أثناء كلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فيها ذكر عدة أمور منها الحَسْب.

فَالسُّجُودُ، وَالْعِبَادَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّقْوَى، وَالْخَشْيَةُ، وَالتَّحَسْبُ،

والصواب التَحَسُّب؛ لأن التَحَسُّب: هو التوكل، التَحَسُّب الذي هو فعل العبد هو التوكل، فالتَحَسُّب هو حسبنا الله ونعم الوكيل، أي اللجوء إلى الله الحسيب الكافي - سبحانه وتعالى- أن يكفي عبده ولهذا من يقول :حسبنا الله ونعم الوكيل يقال عنه ماذا ؟! تَحَسَّب، فلان تَحَسَّب يعني يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فالتَحَسُّب توكل، والتوكل لا يكون إلا على الله -سبحانه وتعالى- ، التوكل لا يكون إلا على الله.

الأمر الآخر: أشرت في درس سبق إلى أثر يتعلق بإجابة المضطر، أحد السلف عاد مريضًا فقال ادعُ الله لي، فقال ادعُ لنفسك (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) وذكرت لكم أن هذا الأثر لمطرف بن عبد الله، والصواب أنه لطاووس بن كيسان، فمن كتب مطرف يعدل فالصواب طاووس بن كيسان.

نسأل الله-عز وجل- أن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ،ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين, اللهم اغفر لشيخنا ووالديه وللمسلمين أجمعين , قال الشيخ العلامة ابن قيم الجوزية -رحمه الله- تعالى : - في كتابه الداء والدواء -

قال -رحمه الله- تعالى : فصلٌ

إذا تبين هذا فها هنا أصل عظيم يكشف سر المسألة وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس وظن به ما يناقض أسمائه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : 6]

وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : 23]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين , اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين , أما بعد :

فقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- ما يتعلق بالشرك وخطورته وأنه أكبر الكبائر , وأشار إلى أن الشرك:

- منه ما يكون في الأقوال
- ومنه ما يكون في الأفعال
- ومنه ما يكون في الإرادات والنيات

لما ذكر ذلك وبيّن خطورته وأنه أكبر الكبائر دخل منه إلى بيان أن أعظم الذنوب عند الله: - إساءة الظن به , - ومن يُشرك بالله أو كذلك يجحد أسمائه وصفاته جل في علاه أو غير ذلك من أنواع الكفر المتعلق بجناب الرب - سبحانه وتعالى - كل ذلك راجع إلى سوء الظن بالله -سبحانه وتعالى-

ولهذا فإنّ من يجحد شيئًا من أسماء الله فهذا من ظن السوء الذي ظنه برب العالمين كما قال المصنف - رحمه الله - فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس وظن به ما يناقض أسمائه وصفاته - سبحانه وتعالى- فرجع الشِرك وجحد الصفات وأنواع الكفر الأخرى رجعت إلى سوء الظن بالله

وهذا يستفاد منه: أنه لا يمكن أن يكون محسناً للظن بالله إلا بالتوحيد فإن خرج عن التوحيد خرج إلى سوء الظن بالله -سبحانه وتعالى-

قال : ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تبارك وتعالى:

﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : 6]

مثل هذا قول المصنف -رحمه الله-(في إغاثة اللهفان) فلم يجمع على أحدٍ من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده وهذا كلام عظيم جداً

فالمشرك أساء الظن بربه فاتخذ معه الأنداد ولو أحسنوا الظن به لوحدوه ولهذا لا يكون حُسن الظن إلا مع التوحيد، فإذا وجد الشرك وجد سوء الظن والله -سبحانه وتعالى- لم يتوعد على ذنب مثل ما توعد على سوء الظن بالله جل وعلا كما في هذه الآية :﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح : 6]

قال - رحمه الله- وقال تعالى لمن أنكر صفةً من صفاته :﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت : 23]

قبلها قال جل وعلا : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿22﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ [فصلت: 22 - 23]

هنا تأمل معي هؤلاء الذين قال الله عنهم: ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أرداكم﴾ هل جحدوا صفة العلم لله كلها، هل جحدوها هل هم لا يثبتون العلم كله؟
- قال: ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا ﴾

فهذا يفيد أنهم يثبتون العلم وأن الله يعلم لكنهم يعتقدون أن بعض الأمور الخفية والأشياء التي تقع خُفيةً أو نحو ذلك أن الله لا يعلمها - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-

فهذا ظنهم بالله في صفة واحدة فقط في صفة واحدة قالوا إن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون في صفة واحدة قالوا هذه المقولة فماذا ترتب عليها:

قال : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴿23﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت : 23 - 24]

هذا يستفاد منه: خطورة الغلط في أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته ولو في صفة واحدة والغلط الذي يكون في الصفات يكون من جهتين إما من جهة نفي ما أثبته الله مثل هذه الصورة التي بين أيدينا

" نفي ما أثبته الله " : الله عز وجل أثبت لنفسه العلم الكامل فهؤلاء نفوا أن يكون الله يعلم كثيراً مما يعملون نفوا ذلك!

فالخطأ في الأسماء والصفات :

- إما بنفي ما أثبته الله لنفسه كما في هذه الصورة

-أو بإثبات ما نفاه الله عن نفسه ،

وكل منهما غاية في الخطورة

ومثال الثاني: قول الله -سبحانه وتعالى- في أواخر سورة مريم :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿88﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿89﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿90﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿91﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: 88 - 92]

فانظر هذه الأمور التي تترتب على هذه المقولة، ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ هذا فيه ماذا؟ ما نوع الغلط ؟

- إثبات ما نفاه الله- والذي عندنا في هذه الآية نفي ما أثبته الله- فكل من هذين الغلطين هما من أشنع ما يكون أن يُثبت ما نفاه الله أو ينفي ما أثبتهُ الله، وهو من أخطر ما يكون ، وكلاهما من سوء الظن برب العالمين وما تهدد الله أحداً على ذنب مثل ما تهدد الذي يُسيء الظن بالله.

➢ والقاعدة في أسماء الله وصفاته : (إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل) على حد قول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]

وقَالَ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: {إذ قال لأبيه وقومه مَاذَا تَعْبُدُونَ - أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ - فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصَّافَّاتِ: 85 - 87] .أَيْ فَمَا ظَنُّكُمْ أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِهِ إِذَا لَقِيتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ وَمَاذَا ظَنَنْتُمْ بِهِ حتى عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

وَمَا ظَنَنْتُمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ مِنَ النَّقْصِ حَتَّى أَحْوَجَكُمْ ذَلِكَ إِلَى عُبُودِيَّةِ غَيْرِهِ؟ فَلَوْ ظَنَنْتُمْ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلِّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَالْعَالِمُ بِتَفَاصِيلِ الْأُمُورِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْكَافِي لَهُمْ وَحْدَهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعِينٍ، وَالرَّحْمَنُ بِذَاتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ فِي رَحْمَتِهِ إِلَى مَنْ يَسْتَعْطِفُهُ، وَهَذَا بِخِلَافِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّؤَسَاءِ، فَإِنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يُعَرِّفُهُمْ أَحْوَالَ

الرَّعِيَّةِ وَحَوَائِجَهُمْ، وَإلى من يُعِينُهُمْ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَإِلَى مَنْ يَسْتَرْحِمُهُمْ وَيَسْتَعْطِفُهُمْ بِالشَّفَاعَةِ، فَاحْتَاجُوا إِلَى الْوَسَائِطِ ضَرُورَةً، لِحَاجَتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَعَجْزِهِمْ وَقُصُورِ عِلْمِهِمْ.

فَأَمَّا الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْغَنِيُّ بذاته عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، العالم بكل شيء، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَإِدْخَالُ الْوَسَائِطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ تَنَقُّصٌ بِحَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَظَنٌّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَهَذَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَشْرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَيَمْتَنِعُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ، وَقُبْحُهُ مُسْتَقِرٌّ فِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ فَوْقَ كُلِّ قَبِيحٍ.

هنا أورد -رحمه الله تعالى- قول إبراهيم فيما ذكره الله -سبحانه وتعالى- لأبيه وقومه :

﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿85﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿86﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: 85 - 87]

ذكر معاني كلها تحتملها هذه المقولة لإبراهيم: ﴿ مَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

فذكر من ذلك : ما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟

﴿ مَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: ما ظنكم أن يجازيكم به رب العالمين إذا لقيتموه يوم القيامة وقد جعلتم معه الشركاء والأنداد ؟

وقد توعد الله -سبحانه وتعالى- كل مشرك إن لقيه على الشرك ألا يغفر له، وأن يعذبه بالنار خالداً فيها أبد الآباد . هذا معنى1 .

الآخر2 :وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره ؟

ما هذا الظن الذي ظننتموه السيئ بربكم حتى ألجأكم هذا الظن إلى أن تجعلوا معه غيره آلهةً تعبدونها مع الله -سبحانه وتعالى- .

المعنى الثالث3 :وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره؟

وهذا أيضاً فيه تبيين منه -رحمه الله تعالى- أن من يشرك بالله فهذا من جهله بأسماء الله وصفاته وظنه السيئ بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته؛ لأن أسماء الله تُثبِت ألوهية الله وأنه الإله الحق المبين .

وإذا ثبتت هذه الألوهية بأسماء الله- تبارك وتعالى- وصفاته فإن الواجب أن يفرد هذا الإله المتصف بالكمال والعظمة والجلال أن يفرد وحده -سبحانه وتعالى-، دون أن يُتخذ معه الأنداد والشركاء .

ولهذا فصّل ابن القيم –رحمه الله– أن هؤلاء لو ظنوا بالله -سبحانه وتعالى- ما هو أهله من المعرفة بعظمته، وجلاله، وكماله، وكمال أسمائه وصفاته، وعظمة نُعُوته -جل وعلا-، لو عرفوا ذلك حق المعرفة لما اتخذوا مع الله -سبحانه وتعالى- الأنداد والشُركاء

لكن كل ذلك راجع إلى سوء ظنهم بالله، وسوء ظنهم بأسمائه وصفاته -جل في علاه-،

« قال –رحمه الله- تعالى- : وَيُوَضِّحُ هَذَا: أَنَّ الْعَابِدَ مُعَظِّمٌ لِمَعْبُودِهِ، مُتَأَلِّهٌ خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ كَمَالَ التَّعْظِيمِ وَالْجَلَالِ وَالتَّأَلُّهِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَهَذَا خَالِصُ حَقِّهِ، فَمِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ أَنْ يُعْطِيَ حَقَّهُ لِغَيْرِهِ، أَوْ يُشْرك بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِيهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الَّذِي جعل شَرِيكَهُ فِي حَقِّهِ هُوَ عَبْدُهُ وَمَمْلُوكُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ } [سُورَةُ الرُّومِ: 28] . أَيْ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ مَمْلُوكُهُ شَرِيكَهُ فِي رِزْقِهِ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِي مِنْ عَبَادِي شُرَكَاءَ فِيمَا أَنَا مُنْفَرِدٌ بِهِ ؟ وَهُوَ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي لَا تَنْبَغِي لِغَيْرِي، وَلَا تَصلُحُ لِسِوَايَ.»

يعني مثل ما قال -رحمه الله- العابد مُعّظم لمعبوده، العابد من اتخذ معبوداً من دون الله هو مُعظّم لمعبوده ذليلٌ له، خاضع,وهذا الخضوع والذل والانكسار لا ينبغي إلا لله، وهو حق الله -سبحانه وتعالى- لا ينبغي إلا له، فصرفه لغيره ظلم هو أشد الظلم وأشنعه، لأنه لا يستحق كمال التعظيم، والإجلال، والتأله، والخضوع، والذل إلا الله، وهذا خالص حقه -سبحانه وتعالى- فصرف ذلك لغيره هو من أقبح الظلم وأشنعه ،

قال : فمن أقبح الظلم أن يُعطى حقه لغيره، أو أن يُشرك معه غيره فيه، هذا أو هذا، أن يُعطى لغيره أو أن يُشرك بينه وبين غيره فيه،

قال : ولاسيما إذا كان الذي جُعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، إذا كان الذي جُعل شريكاً له هو العبد والمملوك والله -سبحانه وتعالى- ضرب مثلاً وله المثل الأعلى -سبحانه وتعالى-، ضرب مثلاً قال : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَثَلًا مِن أَنفُسِكُم﴾، تعتبرون به وتتعظون به في هذا الباب ،

﴿ هَل لَكُم مِن ما مَلَكَت أَيمانُكُم مِن شُرَكاءَ في ما رَزَقناكُم فَأَنتُم فيهِ سَواءٌ تَخافونَهُم كَخيفَتِكُم أَنفُسَكُم كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعقِلونَ﴾ [الروم: 28]

أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه الرقيق الذي عنده شريكاً له في ماله، هو وإياه سواء في المال، يدهم على المال واحدة، وتصرفهم في المال واحد هل يرضى المالك أن يكون مملوكه الرقيق الذي عنده شريكه في ماله، يُسويه معه في المال يتصرف في المال ؟

لو تصرف بجزء يسير من المال بدون إذنه لغضب عليه أشد الغضب، فضلاً عن أن يجعله شريكاً في المال ويكون هو وإياه فيه سواء إذا كنتم تأنفون من ذلك فكيف تجعلون مع الله شريكاً له من عباده ،مماليكه ، مخلوقاته تجعلونها شركاء مع الله ولا يرضىٰ أحدكم أن يكون مملوكه شريكاً له في ماله، يأنف من ذلك:﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم: 22] فهذا مما يبين قبح الشرك وشدة فساده .

ثمّ قَالَ -رحمه الله- تعالى: فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَمَا قَدَرَنِي حَقَّ قَدْرِي، وَلَا عَظَّمَنِي حَقَّ تَعْظِيمِي، وَلَا أَفْرَدَنِي بِمَا أَنَا مُفْرَدٌ بِهِ وَحْدِي دُونَ خَلْقِي، فَمَا قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ - مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [سُورَةُ الْحَجِّ: 73 - 74] .

فَمَا قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، مِمَّنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ أَضْعَفِ حيوانٍ وَأَصْغَرِهِ، وَإِنْ سَلَبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اسْتِنْقَاذِهِ مِنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ -سبحانه وتعالى- عَمَّا يُشْرِكُونَ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: 67] فَمَا قَدَرَ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ وَعَظَمَتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ. بَلْ هُوَ أَعْجَزُ شَيْءٍ وَأَضْعَفُهُ، فَمَا قَدَرَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ الضَّعِيفَ الذَّلِيلَ.

وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ إِلَى خَلْقِهِ رَسُولًا، وَلَا أَنْزَلَ كِتَابًا، بَلْ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ، مِنْ إِهْمَالِ خَلْقِهِ وَتَضْيِيعِهِمْ وَتَرْكِهِمْ سُدًى، وَخَلَقَهُمْ بَاطِلًا عَبَثًا، وَلَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَفَى حَقَائِقَ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، فَنَفَى سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَإِرَادَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ وَعُلُوَّهُ فَوْقَ خَلْقِهِ، وَكَلَامَهُ وَتَكْلِيمَهُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ بِمَا يُرِيد، أَوْ نَفَى عُمُومَ قُدْرَتِهِ وَتَعَلُّقَهَا بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ مِنْ طَاعَتِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، فَأَخْرَجَهَا عَنْ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمْ يَخْلُقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشَاءُونَ بِدُونِ مَشِيئَةِ الرَّبِّ، فَيَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَيَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ. تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ أَشْبَاهِ الْمَجُوسِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

هذا تفصيل توسّع فيه ابن القيم فيما قرّر -رحمه الله- لأنواع كلها داخلة تحت هذا الأمر- الذي هو سوء الظن بالله- وأن فاعلها ما قدر الرب العظيم حق قدره, ولا عظَّمه -سبحانه وتعالىٰ- حق تعظيمه كما قال الله عز وجل: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴿14﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[نوح: 13 - 14] الآيات..

لا ترجون لله وَقَارا: أي لا تعظمونه التعظيم اللائق بجلاله وكماله مع تفرده سبحانه بالخلق والإنعام والإمداد والإعداد وأنواع النعم جل في علاه.

فذكر -رحمه الله- أموراً كثيرة من وقع فيها أو شيء منها ,فإنه لم يقدر ربّه حقّ قدره ومعنى لم يقدر ربه حق قدره: أي لم يعظمه التعظيم اللائق بجلاله؛ بل خرج عن التعظيم إلىٰ سوء الظن بالرب العظيم جل

في علاه, فمن ذلك اتخاذ الأنداد والشركاء يُدعوْن ويُستغاث بهم ويُصرف لهم من الحقوق ما ليس إلاّ لله قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ لَن يَخلُقوا ذُبابًا وَلَوِ اجتَمَعوا لَهُ وَإِن يَسلُبهُمُ الذُّبابُ شَيئًا لا يَستَنقِذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطلوبُ﴿73﴾ ما قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ ﴾[الحج:73 - 74]

يعني من كانوا كذلك ما عظموا ربهم حق تعظيمه، أين التعظيم لله وهم يجعلون معه شريكاً لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفعاً فضلاً من أن يملك شيئاً من ذلك لغيره،

ويكفي في هوان حال هؤلاء أن هذا الذي يدعونه لن يخْلُق ذباباً ولو اجتمعوا على خلق ذباب

﴿ وَإِن يَسلُبهُمُ الذُّبابُ شَيئًا لا يَستَنقِذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَالمَطلوب﴾

ضعُف الطالب أي: الداعي والمطلوب المدعو من دون الله ،

فهذا في غاية الضعف وهذا في غاية الضعف، هذا لا يملك لنفسه وهذا لا يملك لنفسه لا دفعاً ولا منعاً، والملك كله لله، والخلق كلهم طوع تصريفه، وتدبيره، وتسخيره -جل في علاه-

﴿ وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ﴾، من يتخذ مع الله المعبودات مُعرضاً عن عظمة الله وجلاله،

تأمل هذا المعنى في قوله : ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ وَالأَرضُ جَميعًا قَبضَتُهُ يَومَ القِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطوِيّاتٌ بِيَمينِهِ سُبحانَهُ وَتَعالَى عَمّا يُشرِكونَ ﴾﴿الزمر: 67﴾

الذي يلجأ إلى تراب، أو قبر، أو شجر، أو حجر هل قدر هذا الرب العظيم الذي:

﴿ الأَرضُ جَميعًا قَبضَتُهُ يَومَ القِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطوِيّاتٌ بِيَمينِهِ﴾، هل قدره حق قدره عندما جعل معه نداً من خلقه !؟

الند ما هو؟ حفنة من تراب، أو حجراً من الأحجار، أو شجرة من الأشجار، أو ضريحاً من الأضرحة أو قل ما شئت من هذه الأشياء يجعلها شريكاً للرب العظيم الذي:﴿ الأَرضُ جَميعًا قَبضَتُهُ يَومَ القِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطوِيّاتٌ بِيَمينِه﴾

- كذلك ما قدر الرب العظيم حق قدره من جحد أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل الوحي، وهذا يترتب عليه أن الله قد ترك الخلق هملاً وسُدّ وأوجدهم عبثاً، وهذا يُنزه عنه الرب العظيم، فمن قال ذلك ما قدر الله -سبحانه وتعالى- حق قدره: ﴿ وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ إِذ قالوا ما أَنزَلَ اللَّهُ عَلى بَشَرٍ مِن شَيءٍ﴾[الأنعام: 91] فمن قال ذلك ما عظم الله حق تعظيمه بل اللائق بحكمة العظيم، وجلال الخالق وكماله أن لا يترك هؤلاء الخلق سُدّ بل يأمرهم، وينهاهم، ويبعث إليهم

رسله، ويُنزل عليهم وحيه هذا الذي يليق بكماله فمن نفى ذلك فإنه ما عظم الرب العظيم –سبحانه وتعالى– حق تعظيمه !

- كذلك من نفى حقائق الأسماء الحسنى والصفات العُلى كما هي طريقة المعطلة بأنواعهم ممن ينفون أسماء الله وصفاته ويجحدونها ولا يثبتونها لله، ينفون السمع، ينفون البصر، ينفون اليد إلى غير ذلك.. من صفات الله الثابتة له في كتابه وفي سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فإن من نفى الصفات لم يقدر ربه حق قدره،

ومر معنا في من نفى شيئاً مما يتعلق بصفة العلم ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرداكُمْ﴾ هذا ما قدر الله –سبحانه وتعالى– حق قدره .

- كذلك نُفاة المشيئة، وعموم قدرة الله، وتعلقها بأفعال العباد كما هو قول القدرية النفاة، فإن هؤلاء أيضاً ما قدروا الله -سبحانه وتعالى- حق قدره.

قال -رحمه الله- تعالى: وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يُعَاقِبُ عَبْدَهُ عَلَى مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ، وَلَا لَهُ عَلَيْهِ قُدْرَةٌ، وَلَا تَأْثِيرٌ لَهُ فِيهِ أَلْبَتَّةَ. بَلْ هُوَ نَفْسُ فِعْلِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، فَيُعَاقِبُ عَبْدَهُ عَلَى فِعْلِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي جَبَرَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ. وَجَبْرُهُ عَلَى الْفِعْلِ أَعْظَمُ مِنْ إِكْرَاهِ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَقِرِّ فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ أَنَّ السَّيِّدَ لَوْ أَكْرَهَ عَبْدَهُ عَلَى فِعْلٍ، أَوْ أَلْجَأَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ لَكَانَ قَبِيحًا، فَأَعْدَلُ الْعَادِلِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ كَيْفَ يُجْبِرُ الْعَبْدَ عَلَى فِعْلٍ لَا يَكُونُ لِلْعَبْدِ فِيهِ صُنْعٌ وَلَا تَأْثِيرٌ، وَلَا هُوَ وَاقِعٌ بِإِرَادَتِهِ، وَلَا هُوَ فِعْلُهُ أَلْبَتَّةَ، ثُمَّ يُعَاقِبُ عَلَيْهِ عُقُوبَةَ الْأَبَدِ؟ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِ أشباه الْمَجُوسِ. وَالطَّائِفَتَانِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

هنا يشير إلى قول القدرية المُجبرة الذين يقولون: إن العبد لا مشيئة له ، وأنه مجبر على فعل نفسه ، وأنه كالورقة في مهب الريح, فأهل هذا القول الذين هم القدرية المجبرة، ما قدروا الله -سبحانه وتعالى- حق قدره ، فقالوا على زعمهم إن الله جبر العبد على فعل نفسه ثم يعاقبه عليه ...

يقول ابن القيم -رحمه الله- : أن السيد لو أكره عبده على فعل أو ألجأه إليه ثم عاقبه لكان هذا نقصاً وقدحاً فيه، فكيف يجعلون مثل ذلك أو أشد من ذلك صفة لله،

وهؤلاء قولهم شر من القدرية النفاة الذين قال عنهم السلف: إنهم مجوس هذه الأمة ،

> وكلا القولين شر، وكلا أهل هذين القولين ما قدروا الله -سبحانه وتعالى- الرب العظيم حق قدره جل في علاه <

والحق وسط بين هاتين الضلالتين كما قال الله سبحانه:﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير: 28]

هذا رد على المجبرة ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: 29] رد على القدرية النُفاة..

*قال -رحمه الله- تعالى: وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ لَمْ يَصُنه عَنْ بِئْرٍ وَلَا حُشٍّ، وَلَا مَكَانٍ يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ بَلْ جَعَلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وصَانَهُ عَنْ عَرْشِهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [سُورَةُ فَاطِرٍ: 10] .

وَتَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ، وَتَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} [سُورَةُ السَّجْدَةِ: 5] .

فَصَانَهُ عَنِ اسْتِوَائِهِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَأْنَفُ الْإِنْسَانُ، بَلْ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ.

هنا يبيّن أن القائلين - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - : إن الله في كل مكان ، أن هؤلاء أيضاً ما قدروا الله -سبحانه وتعالى- حق قدره جل في علاه ،

جعلوه في كل مكان لم يصونوه عن الأماكن النتنة والأماكن القذرة والأماكن القبيحة ، ما صانوه عن ذلك ، صانوه عن استوائه على العرش الذي أثبته لنفسه وجحدوا ذلك ، ولم يصونوه عن الأماكن القبيحة الأماكن السيئة؛ لأنهم إذا قالوا الله في كل مكان يشمل السيئ وغير السيئ ، فما صانوه ولا نزهوا ربهم وما قدروا ربهم -سبحانه وتعالى- حق قدره جل في علاه ولهذا من لا يثبت علو الله العلو اللائق بجلال الله وكماله وعظمته ما قدر الرب العظيم حق قدره .

قال -رحمه الله تعالى- " وَمَا قَدَرَه حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ مَحَبَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَمَقْتِهِ، وَلَا مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ حِكْمَتِهِ الَّتِي هِيَ الْغَايَاتُ الْمَحْمُودَةُ الْمَقْصُودَةُ بِفِعْلِهِ، وَلَا مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ فِعْلِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ فِعْلًا اخْتِيَارِيًّا يَقُومُ بِهِ، بَلْ أَفْعَالُهُ مَفْعُولَاتٌ مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ، فَنَفَى حَقِيقَةَ مَجِيئِهِ وَإِتْيَانِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكْلِيمِهِ مُوسَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ، وَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ بِنَفْسِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ، الَّتِي نَفَوْهَا وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ بِنَفْيِهَا قد قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

أيضاً هؤلاء الذين نفوا صفات الله - سبحانه وتعالى- الفعلية مثل الاستواء والمجيء والرضا والغضب والرأفة والرحمة وغير ذلك من صفاته الفعلية الاختيارية من جحدها أو جحد شيئاً منها ونفاها فإنه ما قدر الله - سبحانه وتعالى- العظيم حق قدره.

➢ قال وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ جَعَلَ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، أَوْ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ يَحِلُّ فِي جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، أَوْ جَعَلَهُ عَيْنَ هَذَا الْوُجُودِ.

➢ وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ رَفَعَ أَعْدَاءَ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَعْلَى ذِكْرَهُمْ، وَجَعَلَ فِيهِمُ الْمُلْكَ وَالْخِلَافَةَ وَالْعِزَّ، وَوَضَعَ أَوْلِيَاءَ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَهَانَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الذُّلَّ أَيْنَمَا ثُقِفُوا، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْقَدْحِ فِي الرَّبِّ. تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الرَّافِضَةِ عُلُوًّا كَبِيرًا.
وَهَذَا الْقَوْلُ مُشْتَقٌّ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنَّهُ أَرْسَلَ مَلِكًا ظَالِمًا، فَادَّعَى النُّبُوَّةَ لِنَفْسِهِ، وَكَذَبَ عَلَى اللَّهِ، وَمَكَثَ زَمَانًا طَوِيلًا يَكْذِبُ عَلَيه كُلَّ وَقْتٍ، وَيَقُولُ: قَالَ كَذَا، وَأَمَرَ بِكَذَا، وَنَهَى عَنْ كَذَا، وَيَنْسَخُ شَرَائِعَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَيَسْتَبِيحُ دِمَاءَ أَتْبَاعِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَحَرِيمَهُمْ، وَيَقُولُ: اللَّهُ أَبَاحَ لِي ذَلِكَ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُظْهِرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ، وَيُعْلِيهِ، وَيُعِزُّهُ، وَيُجِيبُ دَعَوَاتِهِ، وَيُمَكِّنُهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، وَيُقِيمُ الْأَدِلَّةَ عَلَى صِدْقِهِ، وَلَا يُعَادِيهِ أَحَدٌ إِلَّا ظَفِرَ بِهِ، فَيُصَدِّقه بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَتَقْرِيرِهِ، وَيُحْدِثُ أَدِلَّةَ تَصْدِيقِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا يَتَضَمَّنُ أَعْظَمَ الْقَدْحِ وَالطَّعْنِ فِي الرَّبِّ -سبحانه وتعالى-، وَعِلْمِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ. تَعَالَى الله عَنْ قَوْلِ الْجَاحِدِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

هنا يذكر - رحمه الله- تعالى قولين متشابهين متماثلين كلاهما صادر ممن لم يقدر الله - سبحانه وتعالى- حق قدره،

القول الأول : يتعلق بالروافض حيث يقول -رحمه الله-: وكذلك لم يقدره حق قدره من قال إنه رفع أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته أي وأعداء أهل بيته وأعلى ذكرهم من هم هؤلاء الأعداء؟ من هم؟الصحابة وعلى رأس هؤلاء أبو بكر وعمر بزعم أولئك ,فلم يقدر الله حق قدره من قال إنه رفع أعداء رسول الله وأهل بيته وأعلى ذكرهم وجعل فيهم الملك ، والخلافة ، والعز ، ووضع أولياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وأهل بيته وأهانهم وأذلهم ، وضرب عليهم الذلة أينما ثقفوا.

وهذا يتضمن غاية القدح في جناب الربوبية، تعالى الله عن قول الرافضة علواً كبيراً.

يقول قول هؤلاء مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين ، أنه أرسل ملِكاً ظالماً فادعى النبوة لنفسه هذا قولهم في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وكذب على الله ومكث زمناً طويلاً يكذب على الله بزعمهم. قال الله ، وأمر الله ، ونهى الله ، وهو لم يوحي إليه بشيء بزعم هؤلاء ،وينسخ شرائع الأنبياء قبله ويستبيح دماء أتباعهم، ويقول الله أباح لي ذلك ، وهو مع هذا الرب يظهره، ويؤيده ويعليه ، ويعزه ، ولا يعاديه أحد إلا أذله الله ، ودينه لا يزال في ظهور هل يقول هذا من قدر الله حقه قدره؟

وقد قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24]،

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿44﴾لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿45﴾ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿47﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[الحاقة: 44-47]

فيقول هذا القول الأول مشتق من الثاني بينهما شبه واضح .

قال: فوازن بين قول هؤلاء وبين قول إخوانهم من الرافضة تجد القولين:

رَضِيعَيْ لِبَانِ ثَدْيِ أُمٍّ تَقَاسَمَا ***بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفَرَّقُ

عَوضُ : أي أبداً بمعنى أبداً , عَوض لا نتفرق: أي أبداً لا نتفرق،
يعني : قول الفريقين الشأن فيه كما قال الشاعر:

رَضِيعَيْ لِبَانِ أُمّ تَقَاسَمَا

يعني حلفا وهما رضيعا لبان واحد ألا يتفرقا أبداً فهؤلاء هذا شأنهم وهما رضيعي لبان واحد وهو لبان الهوى والضلال والباطل.

قال -رحمه الله- :

➢ وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ قَالَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعَذِّبَ أَوْلِيَاءَهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيُدْخِلَهُمْ دَارَ الْجَحِيمِ، وَيُنَعِّمَ أَعْدَاءَهُ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيُدْخِلَهُمْ دَارَ النَّعِيمِ، وَأَنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا الْخَبَرُ الْمَحْضُ جَاءَ عَنْهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَمَعْنَاهُ لِلْخَبَرِ لَا لِمُخَالَفَةِ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى مَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَجَعَلَ الْحُكْمَ بِهِ مِنْ أَسْوَإِ الْأَحْكَامِ.

قَالَ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ - أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} [سُورَةُ ص: 27 - 28] .

وَقَالَ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ - وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: 21 - 22] .

وَقَالَ: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ - مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [سُورَةُ الْقَلَمِ: 35 - 36]

➢ وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يُحْيِي الْمَوْتَى، وَلَا يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَلَا يَجْمَعُ خَلْقَهُ لِيَوْمٍ يُجَازِي فِيهِ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ حَقَّهُ مِنْ ظَالِمِهِ، وَيُكْرِمُ الْمُتَحَمِّلِينَ لِلْمَشَاقِّ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ أَجْلِهِ وَفِي مَرْضَاتِهِ بِأَفْضَلِ كَرَامَتِهِ، وَيُبَيِّنُ لِخَلْقِهِ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ.

➢ وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَعَصَاهُ، وَنَهْيُهُ فَارْتَكَبَهُ، وَحَقُّهُ فَضَيَّعَهُ، وَذِكْرُهُ فَأَهْمَلَهُ، وَغَفَلَ قَلْبُهُ عَنْهُ، وَكَانَ هَوَاهُ آثَرَ عِنْدَهُ مِنْ طَلَبِ رِضَاهُ، وَطَاعَةُ الْمَخْلُوقِ أَهَمَّ مِنْ طَاعَتِهِ، فَلِلَّهِ الْفَضْلَةُ مِنْ قَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، هَوَاهُ الْمُقَدَّمُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْمُهِمُّ عِنْدَهُ، يَسْتَخِفُّ بِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَيَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ، وَيَخْشَى النَّاسَ وَلَا يَخْشَى اللَّهَ، وَيُعَامِلُ الْخَلْقَ بِأَفْضَلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

هذا بدءٌ من قوله: وكذلك لم يقدره حقّ قدره من هان عليه أمره إلى آخره .،هذا يؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله -سبحانه وتعالىٰ ...

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً ، وأن يصلح لنا شأننا كله وألاّ يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك غفور رحيم ،

سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صَلِّ على عبدك وَرَسُولِكَ نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه ..

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم اغفر لشيخنا ووالديه وللمسلمين أجمعين ..قال المصنف رحمه الله تعالى في كتابه الداء والدواء :

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَعَصَاهُ، وَنَهْيُهُ فَارْتَكَبَهُ، وَحَقُّهُ فَضَيَّعَهُ، وَذِكْرُهُ فَأَهْمَلَهُ، وَغَفَلَ قَلْبُهُ عَنْهُ، وَكَانَ هَوَاهُ آثَرَ عِنْدَهُ مِنْ طَلَبِ رِضَاهُ، وَطَاعَةُ ذلك أَهَمَّ عنده مِنْ طَاعَتِهِ، فَلِلَّهِ الْفَضْلَةُ مِنْ قَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، وهَوَاهُ الْمُقَدَّمُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْمُهِمُّ عِنْدَهُ، يَسْتَخِفُّ بِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ وهو في قبضته وناصيته بيده ويُعظِّم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَيَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ، وَيَخْشَى النَّاسَ وَلَا يَخْشَى اللَّهَ، وَيُعَامِلُ الْخَلْقَ بِأَفْضَلِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَامَلَ اللَّهَ عَامَلَهُ بِأَهْوَنِ مَا عِنْدَهُ وَأَحْقَرِهِ، وَإِنْ قَامَ فِي خِدْمَةِ مَنْ يُحِبُّهُ مِنَ الْبَشَرِ قَامَ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَبَذْلِ النَّصِيحَةِ، وَقَدْ فرّغ لَهُ قَلْبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَصَالِحِهِ، حَتَّى إِذَا قَامَ فِي حَقِّ رَبِّهِ - إِنْ سَاعَدَهُ الْقَدَرُ - قَامَ قِيَامًا لَا يَرْضَاهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ، وَبَذَلَ لَهُ مِنْ مَالِهِ مَا يَسْتَحِي أَنْ يُوَاجِهَ بِهِ مَخْلُوقًا لِمِثْلِهِ، فَهَلْ قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد:

فلا يزال المصنف الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- يذكر صوراً من أمور وأعمال إذا فُعلت فإن فاعلها ما قدر الرب العظيم -سبحانه وتعالى- حق قدره ، ولا عظّم الله -سبحانه وتعالى- حق تعظيمه,

والرب -عز وجل - معظَّم ، حقه على عباده أن يعظموه -عز وجل -، وأن يوقروه وأن يقدروه جل وعلا حق قدره ، " مالكم لا ترجون لله وقاراً " أي عظمةً..

ما قدروا الله حق قدره: أي ما عظموه حق تعظيمه.

فحق الرب -سبحانه وتعالى- على العباد أن يعظموه جلّ وعلا, والمصنف -رحمه الله تعالى - يذكر صوراً وأعمالاً متنوعات فاعلها ما قدر الرب الكريم -سبحانه وتعالى- حق قدره

ذكر من ذلك: أن من هان عليه أمر الله -عز وجل - التي هي فرائض الدين وواجباته العظيمة, فعصى الله فلم يفعل ما أمره الله -سبحانه وتعالى- به ,وهان عليه أيضاً نهيه ما نهى الله عنه وحرّمه على عباده من كبائر الذنوب والآثام فارتكبها, وهان عليه حقه -سبحانه وتعالى- أن يُطاع فلا يُعصى, وأن يُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا

يُكفر فضيعه, وهان عليه ذكره -سبحانه وتعالى- فأهمله :أي صار من الغافلين
فهذه الحال أيضاً هي من نقص التعظيم لله لأنه لو عظم الله -عز وجل - لأطاع أمره وتجنب ما نهى عنه -سبحانه وتعالى- وأدى حقه سبحانه واعتنى بذكره- لم يكن من الغافلين- فإذا كان على الضد من ذلك فهذا من نقص وضعف تعظيم الله والوقار لله -سبحانه وتعالى- في قلبه.

قال:فأهمله وغفل قلبه عنه وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعة المخلوق أهم من طاعته

وهذا كله من ضعف التعظيم لله ومن ضعف الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- أن يكون المرء بهذه الحال هواه آثر عنده من طاعة ربه وطاعة المخلوق أهم عنده من طاعة الرب العظيم -سبحانه وتعالى-

ولهذا يذكر ابن القيم -رحمه الله- أن من علامة مَن هذه حاله:أنه يستخف بنظر الله إليه بل يجعل نظر الله -عز وجل - إليه هو أهون نظر الناظرين إليه ,فيستخفي من الناس ولا يستخفي من الله -سبحانه وتعالى- ويستحيي من الناس ولا يستحيي من الله -سبحانه وتعالى-

قال:يستخف بنظر الله إليه وإطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ويُعظم نظر المخلوق إليه وإطلاعه عليه بكل قلبه وجوارحه .هل من كانت هذه حاله عظم ربه حق تعظيمه؟!- أن يكون نظر المخلوق عنده أعظم من نظر الله إليه - ويكون نظر الله -عز وجل - إليه هو أهون نظر الناظرين إليه ؟!
- هذا ما عظم ربه -سبحانه وتعالى- حق تعظيمه .

ثم إذا جاء إلى جانب المعاملة يعامل المخلوق ومن يحب بأفضل ما تكون من معاملة؛ وإن عامل الله عامله بأهون ما عنده ,ولهذا الأعمال التي للمخلوقين يتقنها تماماً ويؤديها بوفاء وإذا جاء مثلاً إلى الصلاة نقرها سريعًا وأخلّ بشروطها أخل بأوقاتها، ... وأعمال للمخلوقين ما يخل بها مثل إخلاله بهذه الصلاة التي هي فريضة الله -سبحانه وتعالى- على عباده .هل من كان كذلك عظّم ربه-سبحانه وتعالى- جل في علاه حق تعظيمه؟!

قال: وإن قام في خدمة من يحبه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصح وقد أفرغ له قلبه وجوارحه.

وقدمه على كثير من مصالحه، حتى إذا قام في حق ربه إن ساعده القدر قام قياماً لا يرضاه الله عنه، ..يعني ضعفه وتقصيره يتهاون في الوقت، يتهاون في الشروط، يتهاون في الأركان، يتهاون في الواجبات، فمن كان كذلك ما عظم الله –سبحانه وتعالى– حق تعظيمه .

- ولهذا ينبغي أن نعلم أن تعظيم الطاعات الدينية والفرائض التي افترضها الله -سبحانه وتعالى- على عباده هو من تعظيم الله الذي فرض هذه الفرائض وأوجب هذه الواجبات,

وأيضاً تعظيم الحرمات باجتنابها واتقائها كل ذلك من تعظيم الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج - 22:32]، أي من تحقيق التقوى لله -سبحانه وتعالى-

« قال -رحمه الله تعالى- : وَهَلْ قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ شَارَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ فِي مَحْضِ حَقِّهِ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالطَّاعَةِ وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ؟ فَلَوْ جَعَلَ لَهُ مِنْ أَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ شَرِيكًا فِي ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ جَرَاءَةً وَتَوَثُّبًا عَلَى مَحْضِ حَقِّهِ وَاسْتِهَانَةً بِهِ وَتَشْرِيكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، فِيما لَا يَنْبَغِي وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا شَرَّكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَهْوَنِهِمْ عَلَيْهِ، وَأَمْقَتِهِمْ عِنْدَهُ، وَهُوَ عَدُوُّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟ فَإِنَّهُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ - وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [سُورَةُ يس: 60 - 61] . »

هنا يذكر أيضاً صورة أخرى من صور عدم قدْر الله -سبحانه وتعالى- حق قدره، ألا وهي طاعة الشيطان فيما يدعو إليه من الهوى، والضلال، والباطل، والعصيان لله -سبحانه وتعالى-

فلو أن إنساناً شَرَّك في الذل، والخضوع، والطاعة بين الله وبين أحب عباده إليه -سبحانه وتعالى- لكان مُرتكِباً أمراً عظيماً لأنه لا يُسوّى بين الله وبين خلقه، فكيف بمن يُشّرك في الطاعة والذل والخضوع بين الله وبين أعدى أعداء الله، وأعدى أعداء دينه وهو الشيطان- بطاعة الشيطان واتِّباعه لما يدعو إليه من عصيان الله -سبحانه وتعالى-، ولِما يدعو إليه أيضاً من الشرك بالله -سبحانه وتعالى- ؟!

ولهذا انطلق ابن القيم هنا ليُبين أن كل صور الشرك سواء عُبِدت النجوم، أو عُبِدت الأحجار، أو عُبِدت القباب، أو عُبِد...، هي في الحقيقة عبادة للشيطان، لأن الداعي إلى ذلك هو الشيطان، والطاعة في عبادة هذه الأشياء إنما هي طاعة للشيطان ﴿أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يا بَني آدَمَ أَن لا تَعبُدُوا الشَّيطانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبين (٦٠) وَأَنِ اعبُدوني هذا صِراطٌ مُستَقيمٌ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١]

{أَن لا تَعبُدُوا الشَّيطانَ} من أطاعه فيما يدعوا إليه من الشرك بعبادة النجوم، أو الكواكب، أو القمر، أو الشمس، أو الشجر، أو الأولياء، أو غير ذلك فهو في الحقيقة عبَد الشيطان - بأن أطاعه فيما يدعو إليه من الشرك بالله- .

« قال : ولما عَبَد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم للشيطان»

يقول ابن القيم :وقعت عبادتهم -في نفس الأمر- للشيطان،يعني الذين عبدوا الملائكة، الملائكة لا ترضى بذلك، بل الملائكة جند لله-عز وجل - خاضعون، ذليلون لله، لا يفترون عن ذكر الله، ولا يعصون الله- سبحانه وتعالى- ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون ,فالملائكة لا ترضى بذلك، فمن عبَد الملائكة، فقد وقعت- يقول ابن القيم- : عبادته في نفس الأمر للشيطان؛ لأن هذه العبادة هي مبتغى الشيطان، ومطلوبه منهم، فعندما يعبد الملائكة، هو في نفس الأمر إنمّا عبَد الشيطان؛ لأن الشيطان هو الذي دعاه إلى عبادة الملائكة.

قال: وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبإ: 40 – 41]

هم كانوا في الدنيا يعبدون الملائكة، ولمّا يقول الله للملائكة يوم الحشر: ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ﴾[سبإ: 40- 41]

تبرؤوا منهم ومن عبادتهم؛ لأنهم لم يأمروهم، ولَم يرضوا بعبادتهم، ولا رغبوا فيها، ولا أحبوها، ولا قبلوها، ولادعوا إليها، وإنمّا شيء دعاهم إليه الشيطان فأطاعوه، فهم عبيد للشيطان، أمّا الملائكة براءٌ منهم، الملائكة يتبرؤون منهم؛ لأنهم وإن كانوا هم توجهوا إلى الملائكة بالعبادة، لكن الملائكة لم ترضى بذلك، ولا تقبل ذلك، ولادعت إلى ذلك، فرجعت حقيقة الأمر إلى أن هؤلاء عبدة للشيطان ، ووقعت عبادتهم -كما عبّر ابن القيم- في نفس الأمر للشيطان؛ لأنه هو الذي دعاهم إلى ذلك فأطاعوه.

قال-رحمه الله- : فالشيطان يدعو المشرك إلى عبادته، ويوهمه أنه ملك، وكذلك عُبّاد الشمس.

هذه أيضاً من طرائق الشيطان في الدعوة إلى عبادة الله، قد يوهم بعض الناس أنه مَلَك من الملائكة، ما يقول لهم أنا الشيطان، وأنا عدو الإنسان، لا، يأتي بصورة أنه مَلَك من الملائكة، ويدعوهم إلى عبادة نفسه على أنه مَلَك، ثم يُفتن بعبادته من يُفتن، ويظن أنه إنمّا يعبد ملكاً من الملائكة، وهو في حقيقة الأمر يعبد شيطاناً من الشياطين.

قال: وكذلك عُباد الشمس، والقمر ، والكواكب، يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب، وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج.

الحقيقة أن الذي يخاطبهم الشيطان، وهم يتوهمون أنهم يخاطبون روحانيات هذه الكواكب، الشمس، والقمر، والنجوم، ويسمعون خطاباً، حتى إنهم قد يسمعون خطاباً عند بعض الأصنام، تخاطبهم الشياطين من جهة الصنم الذي يتجهون إليه ويعبدونه، ويظنون أنَّ الصنم خاطبهم، وهنا يظنون أيضاً أن روحانيات الشمس، أو القمر، أو النجوم خاطبتهم، والذي تخاطبهم إنما هي الشياطين، إضلالاً لهم وإغواءً، ودعوة إلى عبادة غير الله- سبحانه وتعالى- .

قال:(ولهذا إذا طلعت الشمس قارنها الشيطان، فيسجد لها الكفار).

حتى يقع سجود الكفار للشمس التي هو دعاهم إليها- إلى عبادتها-،سجوداً له؛ لأنه يقارنها الشيطان في طلوعها،فإذا سجدوا للشمس- ومن الذي دعاهم للسجود للشمس؟- هو نفسه الشيطان- ، ثم أيضاً يقارن الشمس في

طلوعها، فيجتمع للشيطان، فيما يريد هنا في هذا الباب أن جعلهم يعبدونه من جهة طاعته، ويعبدونه من جهة ماذا؟ - السجود له، -من جهتين- ،
-يعبدونه من جهة طاعته, دعاهم إلى عبادة الشمس فعبدوها،
-ثم يقارن الشمس في طلوعها فإذا سجدوا يقع أيضاً سجودهم للشمس سجوداً للشيطان،
فيكون وقع منهم الشرك من جهتين ، من جهة طاعته فيما دعاهم إليه من عبادة الشمس، وسجودهم للشيطان الذي قارن الشمس في طلوعها.

فيقع سجودهم له، وكذلك عند غروبها، وكذلك من عبد المسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان

من عبد المسيح وأمه لم يعبدهما وإنما عبد الشيطان، لأن هذه العبادة وهذا التوجه إنما هو من الشيطان و بتحريضه و بدعوته, ولهذا إبراهيم الخليل لما كان ينهى أباه عن عبادة النجوم و الكواكب, قال: ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾؛ لأن هذه كلها من عبادة الشيطان، الشيطان هو الذي يدعو إلى هذا الشرك وهذا الكفر بالله .

فإنه يزعم أنه يعبد من أمره بعبادته وعبادة أمه، ورضيها لهم ، وأمرهم بها ، وهذا هو الشيطان الرجيم -لعنة الله عليه- لا عبد الله و رسوله. فنزل هذا كله على قوله تعالى:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[يس: ٦٠]

يقصد: -رحمه الله- و الآية تقدمت قريباً أن جميع صور الشرك هي في الحقيقة عبادة للشيطان؛ لأن الشيطان هو الداعي إلى ذلك، وهو الذي أمر بذلك.

قال: فما عَبَد أحد من بني آدم غير الله كائناً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان.

يعني: ما عبد أحد من بني آدم غير الله كائناً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان، لماذا؟
- لأن هذا الشرك وهذا الكفر بالله -سبحانه وتعالى- إنما هو من دعوة الشيطان, فهو عبادة له من جهة طاعته, وقد يكون عبادة له من جهة مباشرة العبادة له كما في الصورة التي أشرت إليها

ولهذا هو يقارن الشمس في طلوعها وأيضاً الأصنام المُتخذة الشيطان تقارنها، فيأتي المرء يبكي عندها ويذل ويخضع ويسجد ويطلب وتخاطبه الشيطان المقارنة لهذه الأصنام، ويظن أن الذي خاطبه الصنم وهو في الحقيقة إنما خاطبه الشيطان، وهو بهذه العبادة إنما عبد الشيطان ولجأ إلى الشيطان.

، فَيَسْتَمْتِعُ الْعَابِدُ بِالْمَعْبُودِ فِي حُصُولِ غَرَضِهِ، وَيَسْتَمْتِعُ الْمَعْبُودُ بِالْعَابِدِ فِي تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَإِشْرَاكِهِ مَعَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ رِضَا الشَّيْطَانِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} أَيْ: مِنْ

إغْوَائِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ {وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: 128] .

يعني كل من العابد والمعبود، العابد : من عبد غير الله، والمعبود : هو الشيطان في الحقيقة؛ لأنه هو من دعا إلى عبادة غير الله -سبحانه وتعالى- كلٌ استمتع بالآخر " استمتع بعضهم ببعض "

المعبود: استمتع بما حصل له من ذل العابد وخضوعه و انكساره بين يديه

والعابد :حصل له استمتاع بقضاء بعض مصالحه أو مبتغياته الدنيوية -وهذا يقع استدراجاً وفتنة-على بعض العباد- , يعني أحياناً مثلاً قد يدعو قبراً في حاجة ثم الحاجة التي طلبها قد تقع بتقدير من الله -عز وجل - وهذا فتنة واستدراج ,فيظن أن الذي قضاها هو هذا الصنم الذي دعاه أو القبر الذي التجأ إليه,

وكم يُفتن الناس بمثل هذا ,وقد تعينه الشياطين ببعض الأمور دلالة على شيء أو من هذا القبيل, فأيضاً تقع الفتنة بذلك

قال : فَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى السِّرِّ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَانَ الشِّرْكُ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَغْفِر بِغَيْرِ التَّوْبَةِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي الْعَذَابِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ تَحْرِيمُهُ وَقُبْحُهُ بِمُجَرَّدِ النَّهْيِ عَنْهُ، بَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَعَ لِعِبَادِهِ عِبَادَةَ إِلَهٍ غَيْرِهِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مَا يُنَاقِضُ أَوْصَافَ كَمَالِهِ، وَنُعُوتَ جَلَالِهِ، وَكَيْفَ يُظَنُّ بِالْمُنْفَرِدِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ أَنْ يَأْذَنَ فِي مُشَارَكَتِهِ فِي ذَلِكَ، أَوْ يَرْضَى بِهِ؟ - تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

هذا خلاصة ما سبق يعني أن ما سبق من البيان كله دليل على أن الشرك هو أكبر الذنوب وأعظمها وأنه الذنب الذي لا يغفره الله -سبحانه وتعالى- إلا بالتوبة منه, فإن من تاب من الشرك وصدق مع الله في توبته تاب الله عليه لعموم قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣]

أي حتى الشرك ,فمن تاب من أي ذنب كان تاب الله -سبحانه وتعالى- عليه لكن من مات على الشرك فلا مطمع له إطلاقاً في مغفرة الله, كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]

قال -رحمه الله- [فَصْلٌ الشِّرْكُ وَالْكِبْرُ]

فَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ أَكْبَرَ شَيْءٍ مُنَافَاةً لِلْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْخَلْقَ، وَأَمَرَ لِأَجْلِهِ بِالْأَمْرِ، كَانَ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ.وَكَذَلِكَ الْكِبْرُ وَتَوَابِعُهُ كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ لِتَكُونَ الطَّاعَةُ لَهُ وَحْدَهُ، وَالشِّرْكُ وَالْكِبْرُ يُنَافِيَانِ ذَلِكَ.وَلِذَلِكَ حَرَّمَ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، فَلَا يَدْخُلُهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ.

في هذا الفصل يذكر -رحمه الله- أن في معرفة الكبيرة والكبائر وأكبر الكبائر أن الأمر كل ما كان مصادماً لمقصود الخلق؛ مقصود الخلق: العبادة والتعظيم لله

فكل ما كان مصادماً للمقصود من خلق الخلق كان أعظم من غيره ,ولهذا تعتبر هذه المسالة -مسألة الكبائر- من مقصود الخلق , فمقصود الخلق أن يُوحد الله وأن يُفرد بالعبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

فلما كان هذا هو المقصود من خلق الخليقة فمن صرف هذا المقصود لغير الله أو جعل مع الله شريكاً فقد ارتكب أكبر الذنوب؛ لأنه فعل أمراً يناقض مقصود الخلق .

مقصود الخلق: الإسلام: الاستسلام لله -سبحانه وتعالى- هذا هو المقصود: أن يسلم المرء لله وأن يستسلم .

والشرك والكبر ينافيان هذا المقصود كل المنافاة؛ لأن الإسلام الذي خلق الله الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه هو: الاستسلام لله بالتوحيد،

الاستسلام لله: أي وحده-هذا هو الإسلام-

الاستسلام أي لله وحده, فمن استسلم لله ولغيره،جعل مع الله غيره في استسلامه وذلّه وخضوعه يكون ماذا؟ مشركاً؛ لأنّه ما حقق المقصود, ومن لم يستسلم لله لِما قام في قلبه من الكبر كان هذا مناقضاً لمقصود الخلق ولهذا الكبر والشرك.

الشرك: أن يسوّيَ غير الله مع الله في مقصود الخلق,

والكبر: إباء المرء وامتناعه عن الخضوع لله فيما خلقه لأجله:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]

ولهذا الكبر والشرك ينافيان هذا المقصود, ولهذا كانا أكبر الكبائر, وقد حرم الله الجنة على أهل الشرك والكبر فلا يدخلها مشرك ولا يدخلها من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

قال -رحمه الله- تعالى : [فَصْلٌ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ]

وَيَلِي ذَلِكَ فِي كِبَرِ الْمَفْسَدَةِ: الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَوَصْفُهُ بِضِدِّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، صلى الله عليه وسلم. فَهَذَا أَشَدُّ شَيْءٍ مُنَاقَضَةً وَمُنَافَاةً لِكَمَالِ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَقَدْحٌ فِي نَفْسِ الرُّبُوبِيَّةِ وَخَصَائِصِ الرَّبِّ، فَإِنْ صَدَرَ ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ فَهُوَ عِنَادٌ أَقْبَحُ مِنَ الشِّرْكِ، وَأَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ.

فَإِنَّ الْمُشْرِكَ الْمُقِرَّ بِصِفَاتِ الرَّبِّ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَطِّلِ الْجَاحِدِ لِصِفَاتِ كَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَقَرَّ لِمَلِكٍ بِالْمُلْكِ، وَلَمْ يَجْحَدْ مُلْكَهُ وَلَا الصِّفَاتِ الَّتِي اسْتَحَقَّ بِهَا الْمُلْكَ، لَكِنْ جَعَلَ مَعَهُ شَرِيكًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، خَيْرٌ مِمَّنْ جَحَدَ صِفَاتِ الْمَلِكِ وَمَا يَكُونُ بِهِ مَلِكًا، وَهَذَا أَمْرٌ مُسْتَقِرٌّ فِي سَائِرِ الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ.

فَأَيْنَ الْقَدْحُ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ وَالْجَحْدِ لَهَا، مِنْ عِبَادَةِ وَاسِطَةٍ بَيْنَ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ وَبَيْنَ الْعَابِدِ، يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِعِبَادَةِ تِلْكَ الْوَاسِطَةِ إِعْظَامًا لَهُ وَإِجْلَالًا؟

من أيضاً أعظم الذنوب وأكبر الكبائر: القول على الله بلا علم. ولهذا لما ذكر الله -سبحانه وتعالى- المحرمات التي اتفقت على تحريمها جميع الشرائع وفي نبوة جميع الأنبياء ذكر منها: القول على الله بلا علم كما في قول الله -سبحانه وتعالى- في الآية الكريمة:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٣]

فالقول على الله -سبحانه وتعالى- بلا علم هذا من أعظم الذنوب ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[الإسراء: ٣٦]

وبالقول على الله بلا علم وقع الشرك ووقعت المحرمات وتركت الفرائض وانتهكت الحرمات وحصل أمور كثيرة كلها من الجرأة على الله وفي دين الله -سبحانه وتعالى- بالقول على الله -سبحانه وتعالى- بلا علم .

وإذا كان هذا القول على الله بلا علم في باب الأسماء والصفات فالأمر أخطر وأخطر؛ لأن الخطأ في أسماء الرب وصفاته ليس كالخطأ في أي اسم من الأسماء ولا في أي صفة من الصفات؛ لأن إثبات أسماء الله توحيد لله، وهو من أركان التوحيد التي لا يقوم التوحيد إلا بها .

فإذا جُحدت أو عُطلت أو حُرّفت، فإن هذا من أعظم القول على الله -سبحانه وتعالى- بلا علم؛ لأن هذا القول على الله بلا علم مخل بأصل يقوم عليه دين الله

فشتان بين قول على الله بلا علم في أصل يقوم عليه دين الله وقول على الله بلا علم في فرع من الفروع .

فالقول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله هذا قول عليه في أصل، ركن من أركان الإيمان بالله -سبحانه وتعالى- .

فمن قال على الله بلا علم في أسمائه وصفاته بأن وصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام وصفه بضد ذلك أو كذلك جحد ما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله؛ لأن الخطأ في هذا الباب كما أشرت سابقاً يكون إما بإثبات ما نفى الله أو بنفي ما أثبت الله .

وكل من هذين قول على الله بلا علم في أعظم الأمور وأخطرها وهو مهلك لصاحبه غاية الهلاك كما مر معنا عند المصنف في إيراده للآية الكريمة :﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[فصلت: ٢٣] في حق من جحد شيئاً مما يتعلق بعلم الله -سبحانه وتعالى- .

قال : فهذا أشد شيء مناقضةً ومنافاةً لكمال من له الخلق والأمر ، وقدحٌ في نفس الربوبية وخصائص الربوبية .

فإذا صدر ذلك عن علم فهو عناد أقبح من الشرك ، وأعظم إثمًا عند الله -سبحانه وتعالى- .

ثم ضرب -رحمه الله- مثالاً يوضح ذلك؛ قال :فإن المشرك – يعني الذي عبد مع الله غيره - مقر بصفات الرب - المقر بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله .

وضرب على ذلك مثال قال :كما أن من أقر لِمَلِك من الملوك بالمُلك ولم يجحد ملكه ولا الصفات التي استحق بها هذا الملك لكن جعل معه شريكاً وغرضه من هذا الشريك أن يقربه من الملك أيهما أعظم - الذي جحد أصلاً الملك وصفات الملك وأنكرها جملة- ؛ أو الذي أثبتها ولكن اتخذ معه شريك وغرضه من هذا الشريك أن يقربه من الملك؟

قال :لكن جعل معه شريكًا في بعض الأمور يقربه إليه خير ممن جحد صفات الملك وما يكون به ملكاً هذا أمر مستقر في سائر الفِطَر في العقول .

فهذه الصورة توضح أن القدح في صفات الكمال والجحد لها أعظم من عبادة واسطة بين المعبود الحق وبين العابد تقربه من المعبود وكل منهما شرك كل منهما ناقل من الملة- لكن هذا أعظم- .

قال -رحمه الله- تعالى : فَدَاءُ التَّعْطِيلِ هو الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ، وَلِهَذَا حَكَى اللَّهُ تعالى عَنْ إِمَامِ الْمُعَطِّلَةِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى مُوسَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَقَالَ: {يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ - أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [سُورَةُ غَافِرٍ: 36 - 37] .

وَاحْتَجَّ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كُتُبِهِ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ.وَلَقَدْ ذَكَرْنَا لَفْظَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ.

ذكر لفظه في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن قيم مليء بالنقول العظيمة عن أئمة السلف- رحمهم الله تعالى - في إثبات صفات الله وإثبات علوه وإثبات صفاته جل وعلا ,و من

جملة من نقل عنهم نقل نقول عن أبي الحسن الأشعري الذي تنتسب إليه الأشاعرة لكن الأشاعرة في الحقيقة ينتسبون إلى الأشعري فيما تاب منه -ينتسبون إليه فيما تاب منه- في آخر حياته رجع -رحمه الله- إلى عقيدة أهل السنة حتى إنه قال في بعض كتبه: " وبكل ما قال به الإمام المبجل أحمد بن حَنبَل نقول" وأصبح يقرر تقريرات هي في الحقيقة رد من الأشعري على الأشاعرة، والأشاعرة هم منتسبون إلى الأشعري في مرحلة تاب منها,ولهذا ألف بعض الكتب مثل الإبانة، ورسائل إلى أهل الثغر، ومقالات الإسلاميين، ألف رسائل وذكر فيها وقرر عقيدة أهل السنة والجماعة.

قال -رحمه الله- تعالى : وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ وَالشِّرْكُ مُتَلَازِمَانِ. وَلَمَّا كَانَتْ الْبِدَعُ الْمُضِلَّةُ جَهْلًا بِصِفَاتِ اللَّهِ وَتَكْذِيبًا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنَادًا وَجَهْلًا - كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَإِنْ قَصُرَتْ عَنِ الْكُفْرِ وَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ كِبَارِ الذُّنُوبِ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ: لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا وَالْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا.

وَقَالَ إِبْلِيسُ: أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالِاسْتِغْفَارِ وَبِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ بَثَثْتُ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ، فَهُمْ يُذْنِبُونَ وَلَا يَتُوبُونَ، لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

يقول بعض السلف: المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها

المعصية يتاب منها؛ لأن العاصي غلبته نفسه ويشعر أنه عاصي

ولهذا في الغالب العصاة عندما يناصح أحدهم على معصية يرتكبها يقول لمن يناصحه ادعُ الله أن يخلصني منها أنا مبتلى-كثير منهم هذه حاله يعرف أنه مبتلى وأنه في معصية ويود الخلاص منها لكن نفسه غلبته حتى إن بعضهم في صراع من نفسه يريد الفكاك منها والنجاة لكن تغلبه نفسه أو يغلبه أيضاً قرناء السوء الذين يصاحبهم ويخالطهم على المعصية-

بخلاف صاحب البدعة، لو جاءه شخص يناصحه في بدعته يقبل أو لا يقبل؟ ما يقبل لأنه يرى أن هذا هو الحق بخلاف العاصي، العاصي يرى أن الذي يفعله ليس بحق فنفسه تتقبل وهو أقرب للتوبة لكن المبتدع لا يقبل؛ لأنه يرى أن الذي عليه هو الحق حتى لو كان الذي عليه هو الشرك أو الضلال تجده يتعصب والعياذ بالله للضلال، يتعصب للشرك، يتعصب للأهواء، يتعصب للبدع لماذا؛ لأن المبتدع يرى أن هذا هو الحق وأن هذا هو دين الله -سبحانه وتعالى-.

ولهذا قال بعض السلف: المعصية يتاب منها والبدع لا يتاب منها ,هل معنى ذلك أن المبتدع ما يتوب ؟

لا، لكن هذا ذكر لغالب أحوال الناس أن المبتدع يتعصب لبدعته ويرى أنها حق لكن من أراد الله -سبحانه وتعالى- توبته تاب, ومرَّ معنا حال أبي الحسن الأشعري قريباً كان أمضى عمراً طويلاً من عمره في الاعتزال وأنواع

من البدع وتاب الله عليه -سبحانه وتعالى- لكن الغالب أن صاحب البدعة يتعصب لبدعته؛ لأنه يرى أنها هي الحق.

قال -رحمه الله- تعالى-: وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُذْنِبَ إِنَّمَا ضَرَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ فَضَرَرُهُ عَلَى النَّوْعِ، وَفِتْنَةُ الْمُبْتَدِعِ فِي أَصْلِ الدِّينِ، وَفِتْنَةُ الْمُذْنِبِ فِي الشَّهْوَةِ، وَالْمُبْتَدِعُ قَدْ قَعَدَ لِلنَّاسِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ يَصُدُّهُمْ عَنْهُ، وَالْمُذْنِبُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَالْمُبْتَدِعُ قَادِحٌ فِي أَوْصَافِ الرَّبِّ وَكَمَالِهِ، وَالْمُذْنِبُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالْمُبْتَدِعُ مناقض لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعاصي ليس كذلك والمبتدع يَقْطَعُ عَلَى النَّاسِ طَرِيقَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاصِي بَطِيءُ السَّيْرِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ.

هذه جملة فروقات ذكرها - -رحمه الله تعالى- بين المبتدع والعاصي حتى يظهر الفرق بين هذا وهذا فذكر -رحمه الله - جملة فروقات وهذا الجمع ربما ما تكاد تجده في موضع آخر بهذه الخلاصة الجميلة في الفرق بين المبتدع والعاصي

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يصلح أحوالنا أجمعين وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولولاة أمرنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- تعالى في كتابه الداء والدواء[فَصْلٌ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ]

ثُمَّ لَمَّا كَانَ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ مُنَافِيَيْنِ لِلعَدْلِ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأَرْسَلَ لَهُ سُبْحَانَهُ رُسُلَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِهِ -كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَتْ دَرَجَتُهُ فِي العِظَمِ بِحَسَبِ مَفْسَدَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَكَانَ قَتْلُ الْإِنْسَانِ وَلَدَهُ الطِّفلَ الصَّغِيرَ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ وَقَدْ جَبَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْقُلُوبَ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَطْفِهَا عَلَيْهِمْ، وَخَصَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ ذَلِكَ بِمَزِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ، فَقَتْلُهُ خَشْيَةَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَالِهِ، مِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ وَأَشَدِّهِ، وَكَذَلِكَ قَتْلُهُ أَبَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا سَبَبَ وُجُودِهِ، وَكَذَلِكَ قَتْلُهُ ذَا رَحِمِهِ.

وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُ الْقَتْلِ بِحَسَبِ قُبْحِهِ وَاسْتِحْقَاقِ مَنْ قَتَلَهُ لِلْسَعْيِ فِي إِبْقَائِهِ وَنَصِيحَتِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ.

وَيَلِيهِ مَنْ قَتَلَ إِمَامًا أو عالمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَنْصَحُهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَزَاءَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ عَمْدًا الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَغَضَبَ الْجَبَّارِ وَلَعْنَتَهُ، وَإِعْدَادَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ لَهُ، هَذَا مُوجِبُ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ مَانِعٌ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْإِسْلَامَ الْوَاقِعَ بَعْدَ الْقَتْلِ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا مَانِعٌ مِنْ نُفُوذِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ، وَهَلْ تَمْنَعُ تَوْبَةُ الْمُسْلِمِ مِنْهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ لِلسَّلَفِ وَالْخَلَفِ،

بسم الله الرحمن الرحيم ...

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولاتكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .. أما بعـد ،

فلا يزال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في تأصيلٍ لما يكون به معرفة الكبائر، وأيها أكبر إثماً وأعظم خطورةً، وعرفنا أن ابن القيم -رحمه الله تعالى- في هذه المسألة الجليلة الكبيرة أصّلها من حيث النظر في معرفة الكبائر وأكبرها إلى الأصل الذي هو مقصود الخلق، فكل ما كان أعظم منافاةً لهذا الأصل العظيم الذي خلق الخلق لأجله وأوجد الخلق لتحقيقه، كان أكبر من غيره، فبين من خلال ذلك أن أكبر الكبائر الشرك بالله -سبحانه وتعالى-، ثم ذكر خطورة القول على الله -سبحانه وتعالى- بلا علم؛ وأن القول على الله بلا علم هو الذي يجر إلى الشرك وإلى غيره من الذنوب، ولاسيما إذا كان القول على الله بلا علم في توحيده وأسمائه وصفاته. وهل عُطِّلت صفات الله وجحدت وكفر بها إلا من جهة القول على الله - سبحانه وتعالى- وفي دينه بلا علم!

وهل كان الدعاة إلى الشرك والذين يروجون له هذا شأنهم إلا من قولهم وجرأتهم القول على الله -سبحانه وتعالى- وفي دينه بلا علم؟! فأقول لا يزال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في تأصيل هذه المسألة وتقريرها فوصل في هذا الفصل لبيان خطورة الظلم والعدوان.

فيقول -رحمه الله- : إن العدل قامت به السماوات والأرض وأرسل رسله وأنزل كتبه لقيام العدل

ولهذا فإن دين الله -سبحانه وتعالى- وشرعه كله عدل وحكمة، والسماوات والأرض إنما قامت بالعدل والله -سبحانه وتعالى- إنما يأمر بالعدل، وكُتب الله المنزلة كلها كتب حق وعدل، ورسل الله عز وجل الكرام كلهم دعاة إلى العدل، فلما كان الظلم والعدوان منافياً لهذا المطلب العظيم الذي فيه قامت السماوات والأرض، وبه نزلت الكتب، وإليه دعا الرسل، وشأنه بهذه المكانة العظيمة فكان الظلم وهو منافٍ للعدل تمام المنافاة من أعظم الذنوب وأكبرها.

قال : لما كان الظلم والعدوان منافياً للعدل الذي به قامت السماوات والأرض وأرسل الله رسله عليهم السلام وأنزل كتبه ليقوم الناس به :أي(بالعدل) كان من أكبر الكبائر عند الله أي (الظلم والعدوان) وَكَانَتْ دَرَجَتُهُ فِي العِظَمِ بِحَسَبِ مَفْسَدَتِهِ فِي نَفْسِهِ

ولهذا لو نظر الإنسان إلى الظلم والعدوان، وعظم أثره يجد أنه متفاوت والظلم ظلمات وليس الظلم على رتبة واحدة ولا درجة واحدة ولهذا يتفاوت غلظه وشدة كبره بحسب مفسدته في نفسه
ثم ذكر -رحمه الله- أمثله على ذلك :-

- فمن الظلم العظيم: قتل الإنسان ولده الصغير الذي لا ذنب له خشية أن يطعم معه

مع أن القلوب جبلها الله -سبحانه وتعالى- وفطرها على الرحمة بالصغير؛ الذي ليس من ولد الإنسان إذا رآه رحمه وتلطف به ورفق به وأحسن إليه وإذا رآه على خطر سارع على إنقاذه.

فكيف يبلغ الأمر بالمرء إلى درجة أن يقتل ولده خشية أن يطعم معه، وعلى هذا كان أهل الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء كان الواحد منهم يقتل ولده خشية إملاق يعني خشية أن يسبب له وجود الولد (الفقر)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: 31]

فكانوا في الجاهلية يصنعون ذلك وهذا يعد من الجرائم العظيمة والكبائر العظيمة؛ لأن إضافة إلى كونه قتل لنفس محرمة هو قتل-كما قال ابن القيم-: لنفس جبلت قلوب العباد، وفطرت على الرحمة لهذا الصغير، واللطف به والعطف عليه، وخص الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة، فقتله خشية أن يشاركه في مطعمه ومشربه وماله من أقبح الظلم وأشده؛ لأن هذا الأب مطلوب منه أن يسعى لما فيه حياة هذا الابن وصلاحه، وفلاحه ونجاحه أن يسعى في ذلك، فأن يأتي بنقيض ما هو مطلوب منه أن يسعى له؛ وهو قتل هذا الولد، هذا من أظلم الظلم

وأشده، ومثل ذلك قتل المرء أبويه أو أحد أبويه اللذين كانا سببًا في وجوده، والمطلوب منه أن يسعى في كل ما فيه عافية الوالدين وصحة الوالدين وسلامة الوالدين، أقل ما في ذلك ردًا للجميل والإحسان العظيم كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان : 14]

وقال:﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ } [الأحقاف : 15]

هذا الجميل السابغ والإحسان العظيم لا يُنسى ولا يقابل بالعقوق والقطيعة والإساءة فضلاً أن يقابل بالقتل- والعياذ بالله-، ولهذا عُدّ من أعظم الكبائر وأشدها قتل المرء لوالديه أو أحدهما، كذلك قتله ذا رحمه من عمٍ أو خالٍ أو نحو ذلك ..

هو مطلوب منه أن يصل الرحم وأن يبلها ببلالها وأن يحسن إلى ذا رحمه فأن يصل به الأمر إلى أن يقتل ذا رحم هذا أيضًا من أعظم الذنوب وأبشعها وأشنعها!

قال: وتتفاوت درجات القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله السعي في إبقائه ونصيحته

يعني الآن فيما يتعلق بالطفل قتل الإنسان ولده المطلوب من الوالد أن يسعى في إبقاء هذا الولد وفي مصالح هذا الولد،أيضاً فيما يتعلق بالولد مع والده مطلوب معه أن يسعى فيما فيه إبقاء الوالد من خدمة ورعاية وإحسان إلى آخره، ولهذا ينبه على هذا المعنى ابن القيم -رحمه الله-

يقول:" وتتفاوت درجة القتل بحسب قبحه واستحقاق من قتله السعي في إبقائه ونصيحته "

الوالد من أعظم من يستحق هذا السعي في إبقائه ونصيحته وأيضاً الولد من والده يستحق من والده أن يسعى فيما فيه إبقاء هذا الولد ونصيحته فالقتل هنا يُعد من أشنع الذنوب وأعظمها وأكبرها

قال:" ولهذا كان أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي "

وهذا نص حديث ثابت في مسند الإمام أحمد بسند ثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام هذا لفظ الحديث

قال: ﷺ:" أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبيًا أو قتله نبي" هذا لفظ حديث النبي عليه الصلاة والسلام ،فأشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً، لماذا؟ لأن الأنبياء هم صفوة البشر وهداة الخلق ودعاة الحق والنصحاء للبشرية، والخير إنما يصل إلى البشر من جهتهم فهم الواسطة بين الله وخلقه في إبلاغ دينه ونصح عباده وتعليمهم وهدايتهم ودلالتهم إلى الحق والهدى، فمن قتل نبياً فجُرمه أعظم جرم وجريمته جريمة القتل أعظم جريمة قتل؛ لأن قتل النفس المعصومة يتفاوت الجرم بحسب المفسدة وكلها جريمة وكله قتل وكله فيه الوعيد، لكن هل من قَتَل واحداً من أفراد المسلمين كمن قتل نبيًا من النبيين؟
- البَون شاسع، هذا النبي نور للأرض وضياء وإمام هدى وقدوة للعالمين، قدوة للناس داعية للهدى فقتله أعظم القتل ،ولهذا أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً ومن قتله نبي، يعني من باشر قتله نبي وكون قتله يكون على يد نبي هذا دليل على عظم هوانه؛ لأن هذا الذي قُتل على يده هو المنقذ بإذن الله -سبحانه وتعالى- للناس

من الظلمات إلى النور، فأن يقتل على يد نبي هذا دليل على تأصل الشر فيه، وتجذره في نفسه، حتى باء بهذه المنزلة أن يقتل على يد من هو رحمة للناس، وداعية للهدى، ومعلم للخير

- هل من قُتل وأزهقت روحه، فيه مثلاً خصومة بينه وبين أحد الأشخاص، كمن قتله نبي من الأنبياء ؟
- شتان بين هذا وهذا ،هذا قُتل على يد إمام الهدى ومن هو رحمة أرسله الله رحمة للعباد، وداعية للحق، ومنقذ لهم من النار فأن يقتل على يده، هذا دليل على تجذر الشر، والفساد في قلبه ،ولهذا قال نبينا -عليه الصلاة والسلام- « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي» ويليه من قتل إمامًا، أو عالماً يأمر الناس بالقسط

- مِن السبعة الذين يظلهم الله في ظله إمام يحكم بالعدل، إمام عادل، مِن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، لماذا؟ لأن الإمام العادل أثره ليس على نفسه فقط،ولهذا صلاح الراعي صلاح للرعية، وأثر صلاحه على الرعية ليس باليسير، فإذا قتل إمام عدل إمام هدى، عادت المضرة على كل من هم تحت رعايته، وعادت المضرة على كل من هم تحت رعايته، فكانت الجريمة أعظم

- وكذلك من قتل عالماً ناصحاً داعية للحق والهدى، يُعلم الناس الخير، ويدعوهم إلى الهدى، وسنة النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- فقتله ليس كقتل آحاد الناس، بل موت العالم ليس كموت أي شخص

ولهذا تجد العالم الذي له مكانة في قلوب الأمة لعلمه، ونُصحه، ودعوته، إذا مات تفقده الأمة كلها، وبعض المسلمين قد يموت وجيرانه ما علموا به، ولا فقدوه، والعالم في ساعة فقده الأمة كلها في أطراف الأرض تفقده لماذا ؟

-لأن خيره ممتد، فمن قتل عالماً جريمته ليست كجريمة من قتل فرداً من آحاد الناس

قال: أو قتل عالماً يأمر الناس بالقسط، ويدعوهم إليه، وينصحهم في دينهم

وقد جعل الله -سبحانه- جزاء قتل النفس المؤمنة عمداً، هذا عموم الأنفس وقبلها ذكر التفاوت

قتل النفس المؤمنة عمداً موجباً للخلود في النار، وغضب الجبار، وموجباً للعنته، وإعداد العذاب العظيم له، كما في الآية الكريمة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿93﴾﴾ في سورة النساء. فجمع له كل هذا الوعيد

قال : هذا موجب قتل المؤمن عمداً ما لم يمنع منه مانع، يمنع من ماذا ؟

- من إلحاق الوعيد - هذا وعيد -،

قال: ما لم يمنع منه مانع، هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ هي في سورة النساء

وجاء في السورة نفسها قبل هذه الآية وبعدها قبلها بآيات وبعدها بآيات قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[النساء: 48]

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[النساء: 116]

فمن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم خالداً فيها..

يقول ابن القيم: ما لم يمنع مانع؛ من أين أخذ ما لم يمنع مانع؟ - لأن الله عز وجل خص الشرك فقط بأنه لا يغفر وما دونه تحت المشيئة، قال: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال: ما لم يمنع مانع ومعلوم أن التوحيد مانع من الخلود في النار فإذا وجد التوحيد فالتوحيد مانع من الخلود في النار

ولهذا قال في الحديث القدسي: ((أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان))

قال: ولا خلاف أن الإسلام الواقع بعد القتل طوعاً واختياراً مانع من نفوذ ذلك الجزاء شخص في الجاهلية قبل الإسلام

قتل ثم دخل في الإسلام، الإسلام يجبُّ ما قبله كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، لا خلاف أن الإسلام الواقع بعد القتل طوعاً واختياراً مانع من نفوذ ذلك الجزاء وهذا مثال لما لم يمنع مانع هذا مثال له

قال: وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه- يعني شخص قتل آخر عمداً ثم تاب إلى الله -سبحانه وتعالى- توبة نصوحاً فهل التوبة تمنع منه بعد وقوعه؟

يقول: فيه قولان للسلف والخلف وهما روايتان عن الإمام أحمد

قال -رحمه الله-: وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ.

تَوْبَةُ الْقَاتِلِ

وَالَّذِينَ قَالُوا: لَا تَمْنَعُ التَّوْبَةُ مِنْ نُفُوذِهِ. رَأَوْا أَنَّهُ حَقٌّ لِآدَمِيٍّ لَمْ يَسْتَوْفِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَخَرَجَ مِنْهُ بِظُلَامَتِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُسْتَوْفَى فِي دَارِ الْعَدْلِ.

خرج منها بظلامته ،الذين قالوا: لا تمنع التوبة من نفوذه :يعني نفوذ هذا الوعيد- رأوا أنه حق لآدمي لم يستوفه في دار الدنيا، الآن لاحظ جميع المعاصي يعني مثلاً شخص اغتاب آخر أو مثلاً أخذ مالاً له بغير حق أو غشه في بيع أو ظلمه أو ضربه اعتدى عليه بضرب، هذه الأشياء كلها يستطيع أن يتداركها؛ لأنه يستطيع أن يذهب لمن آذاه يطلب منه السماح ويعطيه المال إذا كان هناك مال و يترجاه أن يسامحه، إلى آخره أمر ممكن أن يتداركه،

لكن إذا قتل شخصاً ذهبت نفسه وظَلَمه ظلماً بأن أزهق روحه وروحه معصومة ومحرمة، فإذا يريد أن يعتذر مثل الحالات الأولى من سرقة أو غيرها الأمر ليس فيه كالمعاصي الأخرى أو الذنوب الأخرى

ولهذا قال عبد الله بن عمر: إن من أعظم الورطات أن يقتل المرء نفساً محرمة، هذه ورطة عظيمة جداً، الورطات الأخرى متداركة بالذهاب إلى من أخطأ في حقك وطلب المسامحة والعفو.. إلى آخره ،لكن إذا أزهق روحه ويأتي المقتول يوم القيامة ورأسه بين يديه يُطالب بحقه، كما جاء في الحديث عن نبينا -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-

- فالذين قالوا لا تمنع التوبة من نفوذه رأوا أنه حق لآدمي لم يستوفه في دار الدنيا وخرج منها بظِلامته،خرج مظلوم من الدنيا بأن قُتل، وذاك الذي قتل لو يريد أن يعتذر من سيعتذر منه أزهق روحه، فلابد أن يُستوفى له في دار العدل، لابد أن يُستوفى له حقه في دار العدل

قَالُوا: وَمَا اسْتَوْفَاهُ الْوَارِثُ إِنَّمَا اسْتَوْفَى مَحْضَ حَقِّهِ الَّذِي خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ اسْتِيفَائِهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وَمَا يَنْفَعُ الْمَقْتُولَ مِنِ اسْتِيفَاءِ وَارِثِهِ؟ وَأَيُّ اسْتِدْرَاكٍ لِظُلَامَتِهِ حَصَلَ بِاسْتِيفَاءِ وَارِثِهِ؟

وَهَذَا أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ فِي الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ حَقَّ الْمَقْتُولِ لَا يَسْقُطُ بِاسْتِيفَاءِ الْوَارِثِ وَهُمَا وَجْهَانِ لِأَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا.
وَرَأَتْ طَائِفَةٌ أَنَّهُ يَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ وَاسْتِيفَاءِ الْوَارِثِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا، وَالذَّنْبُ الَّذِي جَنَاهُ قَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّهُ.

قَالُوا: وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ تَمْحُو أَثَرَ الْكُفْرِ وَالسِّحْرِ، وَهُمَا أَعْظَمُ إِثْمًا مِنَ الْقَتْلِ، فَكَيْفَ تَقْصُرُ عَنْ مَحْوِ أَثَرِ الْقَتْلِ؟ وَقَدْ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَةَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ، وَجَعَلَهُمْ مِنْ خِيَارِ عِبَادِهِ، وَدَعَا الَّذِينَ أَحْرَقُوا أَوْلِيَاءَهُ وَفَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [سُورَةُ الزُّمَرِ: 53] فَهَذَا فِي حَقِّ التَّائِبِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْكُفْرَ وَمَا دُونَهُ.

قَالُوا: وَكَيْفَ يَتُوبُ الْعَبْدُ مِنَ الذَّنْبِ وَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ؟ هَذَا مَعْلُومٌ انْتِفَاؤُهُ فِي شَرْعِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ.

قَالُوا: وَتَوْبَةُ هَذَا الْمُذْنِبِ تَسْلِيمُ نَفْسِهِ، وَلَا يُمْكِنُ تَسْلِيمُهَا إِلَى الْمَقْتُولِ، فَأَقَامَ الشَّارِعُ وَلِيَّهُ مَقَامَهُ وَجَعَلَ تَسْلِيمَ النَّفْسِ إِلَيْهِ كَتَسْلِيمِهَا إِلَى الْمَقْتُولِ، بِمَنْزِلَةِ تَسْلِيمِ الْمَالِ الَّذِي عَلَيْهِ لِوَارِثِهِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ تَسْلِيمِهِ لِلْمُوَرِّثِ.

نعم -يعني هذا الذكر لأدلة القول الثاني في المسألة، وهو قول من رأى أنه يسقط بالتوبة، يسقط هذا الحق بالتوبة واستيفاء الوارث ،الوارث يَستوفي من القاتل:

- إما بالدية، أو بالعفو عنه فهذا يعني حق الورثة فيسقط بتسليم القاتل نفسه، واستيفاء الورثة الحق منه ،

- وإما أن يُقتل أو يعفو عنه بالقتل ويدفع يعني شيئاً مُقابل ذلك، أو يعفون عنه لوجه الله -عز وجل-، فهذا حق للورثة .

فإذا سلم نفسه تائباً إلى الله - سبحانه وتعالى- قَبِل الله -عز وجل- توبته، وكان قتله في الدنيا قصاصاً، أو أن يُعفى من قبل الورثة عنه إما لوجه الله أو بمقابل يُدفع لهم، فإنه يكون بهذا حقق التوبة فيسقط عنه ذلك العقاب، هذا قول ،

والقول الأول قبله أيضاً عرفناه ننظر للتحقيق الذي يقرره ابن القيم -رحمه الله- في المسألة

«قال -رحمه الله- : وَالتَّحْقِيقُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْقَتْلَ يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ: حَقٌّ لِلَّهِ وَحَقٌّ لِلْمَقْتُولِ، وَحَقٌّ لِلْوَلِيِّ، فَإِذَا سَلَّمَ الْقَاتِلُ نَفْسَهُ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا إِلَى الْوَلِيِّ نَدَمًا عَلَى مَا فَعَلَ، وَخَوْفًا مِنَ اللَّهِ، وَتَوْبَةً نَصُوحًا، سَقَطَ حَقُّ اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ، وَحَقُّ الْوَلِيِّ بِالِاسْتِيفَاءِ أَوِ الصُّلْحِ أَوِ الْعَفْوِ، وَبَقِيَ حَقُّ الْمَقْتُولِ يُعَوِّضُهُ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ عَبْدِهِ التَّائِبِ الْمُحْسِنِ، وَيُصْلِحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَلَا يَبْطُلُ حَقُّ هَذَا، وَلَا تَبْطُلُ تَوْبَةُ هَذَا.».

هذا كلام عظيم جداً في تحقيق هذه المسألة وأن من قتل يترتب على هذه الجريمة ثلاثة حقوق :

حقٌّ لله رب العالمين -سبحانه وتعالى- ، ومن صدق مع الله في التوبة النصوح قبل الله توبته أيًا كان ذنبه حتى القتل؛ لأن القتل جاء في سورة الفرقان قول الله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿68﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿69﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾
[الفرقان: 68 – 70]

فمن صدق مع الله في التوبة أيًا كان جرمه إن كانت التوبة صادقة، توبة نصوحة فإن الله -سبحانه وتعالى- يقبل توبته .

ولهذا يقول المصنف فيما يتعلق بحق الله أول الحقوق :إذا جاء القاتل وسلم نفسه طوعا واختيارًا إلى الولي ندماً على ما فعل وخوفاً من الله وتوبة نصوح سقط حق الله بالتوبة

يبقى الحق الثاني لأولياء المقتول :

فحق الأولياء هم فيه بين - الاستيفاء؛ وهو القصاص،

- أو الصلح؛ يصطلحون على شيء يكون لهم،

- أو يعفون عنه لوجه الله -سبحانه وتعالى-

فيسقط حقهم بأحد هذه الأمور الثلاثة

يبقى حق المقتول :

يقول ابن القيم :إذا اجتمعت هذه الأشياء وصدق المرء مع الله، وكان فعلاً توبته صادقة، وأصلح من نفسه، مثلما في الآية الكريمة إيمان وصلاح وتقوى وندم وإقبال على الله -سبحانه وتعالى- .

إذا كان بهذه الحال يعوض الله المقتول يوم القيامة عن عبده التائب المحسن .

وهذا فضل الله -سبحانه وتعالى- ويصلح بينه وبينه فلا يضيع حق المقتول ولا يبطل أيضاً حق القاتل، ونصحه وصدقه مع الله -سبحانه وتعالى- في التوبة.

قال -رحمه الله- : وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الْمَالِ: فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِذَا أَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ إِلَى الْوَارِثِ بَرِئَ مِنْ عُهْدَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا بَرِئَ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلِ الْمُطَالَبَةُ لِمَنْ ظَلَمَهُ بِأَخْذِهِ بَاقِيَةٌ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ لَمْ يَسْتَدْرِكْ ظِلَامَتَهُ بِأَخْذِ وَارِثِهِ لَهُ، فَإِنَّهُ مَنَعَهُ مِنِ انْتِفَاعِهِ بِهِ فِي طُولِ حَيَاتِهِ، وَمَاتَ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، وَهَذَا ظُلْمٌ لَمْ يَسْتَدْرِكْهُ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ بِاسْتِدْرَاكِهِ، وَبَنَوْا عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَوِ انْتَقَلَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ، وَتَعَدَّدَ الْوَرَثَةُ، كَانَتِ الْمُطَالَبَةُ لِلْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُهُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِنْدَ كَوْنِهِ هُوَ الْوَارِثَ، وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ.

وَفَصَّلَ شَيْخُنَا - رحمه الله - بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ، فَقَالَ: إِنْ تَمَكَّنَ الْمَوْرُوثُ مِنْ أَخْذِ مَالِهِ وَالْمُطَالَبَةِ بِهِ فَلَمْ يَأْخُذْهُ حَتَّى مَاتَ، صَارَتِ الْمُطَالَبَةُ بِهِ لِلْوَارِثِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ طَلَبِهِ وَأَخْذِهِ، بَلْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَالطَّلَبُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُقَالُ، فَإِنَّ الْمَالَ إِذَا اسْتَهْلَكَهُ الظَّالِمُ عَلَى الْمَوْرُوثِ، وَتَعَذَّرَ أَخْذُهُ مِنْهُ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ الَّذِي قَتَلَهُ قَاتِلٌ، وَدَارِهِ الَّتِي أَحْرَقَهَا غَيْرُهُ، وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ الَّذِي أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ غَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا إِنَّمَا تَلَفَ عَلَى الْمَوْرُوثِ لَا عَلَى الْوَارِثِ، فَحَقُّ الْمُطَالَبَةِ لِمَنْ تَلَفَ عَلَى ملكِهِ. وَيَبْقَى أَنْ يُقَالَ: فَإِذَا كَانَ الْمَالُ عَقَارًا أَوْ أَرْضًا أَوْ أَعْيَانًا قَائِمَةً بَاقِيَةً بَعْدَ الْمَوْتِ فَهِيَ مِلْكُ الْوَارِثِ يَجِبُ عَلَى الْغَاصِبِ دَفْعُهَا إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ

هذه تختلف عن الصورة الأولى ،يعني الصورة الأولى شيء استهلكه، يعني إن كان شيئا يؤكل، أو أشياء من هذا القبيل استهلكها ولم يبقَ لها عين، لكن إذا كانت هناك أعياناً قائمة، وباقية فالصورة أخرى كما يفصل -رحمه الله تعالى-

«، فَإِذَا لَمْ يَدْفَعْ إِلَيْهِ أَعْيَانَ مَالِهِ اسْتَحَقَّ الْمُطَالَبَةَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يَسْتَحِقُّ الْمُطَالَبَةَ بِهَا فِي الدُّنْيَا.وَهَذَا سُؤَالٌ قَوِيٌّ لَا مَخْلَصَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: الْمُطَالَبَةُ لَهُمَا جَمِيعًا، كَمَا لَوْ غَصَبَ مَالًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ جَمَاعَةٍ؛ اسْتَحَقَّ كُلٌّ مِنْهُمُ الْمُطَالَبَةَ لِحَقِّهِ مِنْهُ، كَمَا لَوِ اسْتَوْلَى عَلَى وَقْفٍ مُرَتَّبٍ عَلَى بُطُونٍ، فَأَبْطَلَ حَقَّ الْبُطُونِ كُلِّهِمْ مِنْهُ، كَانَتِ الْمُطَالَبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَمِيعِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.»

هذا عندما يكون الظلم الذي حصل بالاعتداء على المال تضرر منه المورِث في حياته، وتضرر منه الورثة أيضاً بعد وفاته، بعد وفاة مورثهم، فالمطالبة من الجميع(الوارث، الموّرِث يطالب بحقه يوم القيامة، والورثة أيضاً يطالبون بحقهم يوم القيامة).

«قال –رحمه الله- تعالى- [فَصْلٌ جَرِيمَةُ الْقَتْلِ]

وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْقَتْلِ هَذِهِ الْمَفْسَدَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 32] .

وَقَدْ أَشْكَلَ فَهْمُ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ: مَعْلُومٌ أَنَّ إِثْمَ قَاتِلِ مِائَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِثْمِ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا أُتُوا مِنْ ظَنِّهِمْ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي مِقْدَارِ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّفْظُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى هَذَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ أَخْذُهُ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: 46] .

وَقَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ} [سُورَةُ الْأَحْقَافِ: 35] .

وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنَّ لُبْثَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْمِقْدَارَ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ» ، أَيْ: مَعَ الْعِشَاءِ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ، وَأَصْرَحُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ» ، وَقَوْلُهُ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَرَأَ " {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} " فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» »

هذا الفصل يؤجل إلى لقاء الغد بإذن الله -سبحانه وتعالى-

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين، وأن يوفقنا لكل خير إنه -تبارك وتعالى- سميع قريب مجيب

وقبل أن نختم هذه الليلة السابعة والعشرين من ليالي رمضان المباركة، هي من الليالي التي تحري فيها ليلة القدر أحرى من غيرها من الليالي، وبعض أهل العلم يجزم بذلك لكن الجزم محل نظر، لكنها من الليالي التي يعظم فيه التحري لهذه الليلة العظيمة التي هي خير من ألف شهر

وعلى كل ينبغي أن يكون التحري في الليالي كلها، لكننا عندما نسمع كلام لأهل العلم في مثل ليلة ثلاث وعشرين، أو في ليلة خمس وعشرين، أو في ليلة سبع وعشرين، ونحن في الليلة نفسها يزيد في نشاطنا فيها، ولا

يعطلنا عن غيرها من الليالي، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم أرشدنا إلى تحريها في العشر الأواخر، وهي في الأوتار منها أحرى، لكن التحري يكون في العشر كلها

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يغنمنا بركات ليلة القدر، وأن يوفقنا لحسن قيامها، وذكر الله فيها، وأن يُعيننا فيها وفي كل ليلة ويوم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

اضغط على الرابط للاشتراك 👇*

https://t.me/alzaadd

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله - تعالى في كتابه الداء والدواء, [فَصْلٌ جَرِيمَةُ الْقَتْلِ]

وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْقَتْلِ هَذِهِ الْمَفْسَدَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ: 32] .

وَقَدْ أَشْكَلَ فَهْمُ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالُوا: مَعْلُومٌ أَنَّ إِثْمَ قَاتِلِ مِائَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ إِثْمِ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا أُتُوا مِنْ ظَنِّهِمْ أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي مِقْدَارِ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّفْظُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى هَذَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ أَخْذُهُ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [سُورَةُ النَّازِعَاتِ: 46] .

وَقَالَ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ} [سُورَةُ الْأَحْقَافِ: 35] .

وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنَّ لُبْثَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْمِقْدَارَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين...اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد,

أورد -رحمه الله - في هذا الفصل إشكالاً في فهم معنى آية من كتاب الله عز وجل في الباب الذي سبق في الفصل الذي قبله أن تحدث عنه وهو باب القتل وأنه من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب فأورد قول الله عز وجل فيمن قتل نفساً واحدة قال: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] وقال -رحمه الله - تعالى: " إن فهم هذا أشكل على كثير من الناس ".

قال: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ومن المعلوم أن من قتل نفساً واحدة ليس كمن قتل مائة نفس, فكيف يكون من قتل نفساً واحدة كأنما قتل الناس جميعاً؟

قال هذا أشكل على كثير من الناس, ثم قال: وأتوا من فهمهم الخاطئ من هذه الآية؛ لأن التشبيه " فكأنما قتل الناس جميعاً لا يلزم منه المشابهة من كل وجه وإنما في أصل العقوبة ولهذا سيأتي عند ابن القيم -رحمه الله - ذكر وجه شبه بين من قتل نفساً أو قتل أنفساً كثيرة هناك وجه شبه وقاسم مشترك بينهم, لكن لا يلزم من قوله تعالى: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ فالمشابهة في أصل العقوبة لا في صفتها

معلوم أن صفة عقوبة من قتل مائة نفس أعظم من صفة عقوبة من قتل نفساً واحدة لكن الله عز وجل لما قال: ﴿ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ وهو قاتل لنفس واحدة قال :من قتل نفساً :يعني واحدة بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً :هذا الذي قتل نفساً واحدة هو بقتله لنفس واحدة استباح جنس قتل المعصوم ولم يكن عنده مانع يمنعه من قتل نفس معصومة, فصار شريكاً في قتل كل نفس مثله قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : 105] قوم نوح من كذبوا؟- نوح وحده , لكن لما كذبوا رسولاً وبلغوا هذا المبلغ تكذيب الرسول فكأنما كذبوا جميع الرسل وهم إنما كذبوا رسولهم نوح - عليه السلام- لكن وصفهم الله بقوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وهم إنما كذبوا نوحاً وحده لكن لما كانت دعوة الأنبياء واحدة وتكذيب واحد منهم كتكذيبهم كلهم؛ لأنهم كلهم رسل الله وكلهم مبلغون عن الله -سبحانه وتعالى-

فالحاصل أن المصنف لما أورد الإشكال قال: وإنما أتوا من ظنهم أن التشبيه في مقدار الإثم والعقوبة، التشبيه ليس في مقدار الإثم والعقوبة وإنما في أصل العقوبة في أصلها وليس في وصفها (في أصلها وليس في مقدارها)

قال: واللفظ لم يدل على هذا وذكر -رحمه الله - لذلك نظائر يأتي فيها مثل هذا التشبيه فيقول -رحمه الله -: ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه فلا يلزم من قوله:﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أخذه بجميع أحكام من قتل الناس جميعاً لكن ثمة وجه شبه وسيفصل فيه ابن القيم -رحمه الله تعالى- ذكر نظائر منها:﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا ﴾ [النازعات : 46] أي في الدنيا ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ كأنهم لم يلبثوا إلا عشية ,وفي الآية الأخرى قال: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف : 35]

فهل يوجب ذلك أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا هذا المقدار ساعة من النهار منهم من عاش مائة سنة ومنهم من عاش سبعين سنة لكن لقِصر هذه المدة ومرورها المرور السريع أيضاً مقارنة بزمن الآخرة الممتد وأن الآخرة هي الحيوان ,فهذا المكث الذي في الدنيا كأنما هو ساعة من نهار فهل يلزم من تشبيهه بالساعة من النهار أن يكون بهذا المقدار! فالتشبيه لا يلزم منه المشابهة من كل وجه.

قال -رحمه الله -: وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ» ، أَيْ: مَعَ الْعِشَاءِ كَمَا جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ، وَأَصْرَحُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ» ، وَقَوْلُهُ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ قَرَأَ " {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} " فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» »

وَمَعْلُومٌ أَنَّ ثَوَابَ فَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَبْلُغْ ثَوَابَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَيَكُونُ قَدْرُهُمَا سَوَاءً، وَلَوْ كَانَ قَدْرُ الثَّوَابِ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لِمُصَلِّي الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ جَمَاعَةً فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مَنْفَعَةٌ غَيْرُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، وَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ - بَعْدَ الْإِيمَانِ - أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، صلى الله عليه وسلم. وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

ذكر -رحمه الله - مثالاً آخر قول النبي ﷺ من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة.فكأنما قام الليل كله»، أي مع العشاء كما جاء في لفظ آخر

واللفظ الآخر في مُسند الإمام أحمد لفظه : « من صلى صلاة العشاء والصبح في جماعة فكأنما قيام ليلة»، وهذا يُفسر هذه الرواية؛ لأن بعض الناس يفهم أن من صلى العشاء بنصف ليلة، ومن صلى الفجر فكأنما أحيا الليل كله هذه ليلة ونصف- هكذا يفهم البعض والصواب- أن الفجر مع العشاء من أدى الفجر والعشاء كلاهما في جماعة فكأنما قام الليل كله, لكن هل يلزم من قوله فكأنما قام الليل كله أن يكون النبي صلى الفجر في جماعة، والعشاء في جماعة مثل الذي قام وأحيا ثُلث الليل صلاةً وقياماً وذكراً- أيكونون في الأجر سواءً-؟- هذا لا يُقال، لكن هذا فيه فضل صلاة العشاء وصلاة الفجر في جماعة، وأن من أدى ذلك فكأنما أحيا الليل كله .

لكن من صلى الفجر في جماعة، والعشاء في جماعة، وأحيا جزءً من الليل أثوابهما واحد؟

إن قيل ثوابهما واحد لم يبق حاجة أصلاً؛ لأن يقوم المرء شيئاً من الليل،

وإذا قال قائل هذا هو المراد بالحديث فيكون كأنه فهم من النبي - ﷺ - أنه لا حاجة إلى قيام الليل، وهذا لا يقوله أحد

- لكن مقصد هذا الحديث الحث على المحافظة على العشاء والفجر في جماعة، وأن من فعل ذلك فكأنما أحيا الليل كله ,لكن من صلى الفجر في جماعة، والعشاء في جماعة، وأحيا قدراً من الليل لا يدل هذا الحديث أن قدر ثوابهما سواءً

ولا يقول قائل النبي - ﷺ - قال : « فكأنما أحيا الليل كله» فقدرهما في الثواب سواءً لا يقال ذلك، فإن الحديث لا يلزم منه ذلك ،

وأصرح من هذا قوله : «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال»، هذه ستة وثلاثون يوماً «فكأنما صام الدهر»، فهل من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال صام الدهر كله أداء ؟

فكأنما صام الدهر يعني له هذا الثواب، لكن من صام رمضان وستاً من شوال، وصام البيض، وصام عاشوراء، وصام النوافل الأخرى لا يكون أجره ومن اقتصر على رمضان وستٍ من شوال سواءً، بل باب الثواب راجع إلى العمل وصلاح النية في العمل

قال : ومثله قوله - ﷺ - : « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن»، ومعلوم أن ثواب فاعل هذه الأشياء لم يبلغ ثواب المُشبه به -يعني لم يبلغ ثواب المُشبه بمن أحيا الليل، أو بمن صام الدهر، أو بمن قرأ القرآن كله، لم يبلغ ثواب المشبه به فيكون قدرهما سواءً - هذا لا يقال!!

ولو كان قدر الثواب سواءً لم يكن لمصلي العشاء والفجر جماعة في قيام الليل منفعة غير التعب والنصب، وهذا لا يقوله أحد

قال -رحمه الله - : وما أوتي أحد بعد الإيمان أفضل من الفهم عن الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال -رحمه الله - : فَإِنْ قِيلَ: فَفِي أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَقَاتِلِ النَّاسِ جَمِيعًا؟

لما دفع -رحمه الله - الإشكال بالأمثلة أخذ يوضح ما هو التشابه الذي بين من قتل نفساً واحدة، وقاتل الناس جميعاً .

قِيلَ: فِي وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم - مُخَالِفٌ لِأَمْرِهِ مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَتِهِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَإِعْدَادِهِ عَذَابًا عَظِيمًا، وَإِنَّمَا التَّفَاوُتُ فِي دَرَجَاتِ الْعَذَابِ، فَلَيْسَ إِثْمُ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ عَالِمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، كَإِثْمِ مَنْ قَتَلَ مَنْ لَا مَزِيَّةَ لَهُ مِنْ آحَادِ النَّاسِ.

هذا الوجه الأول : أنهما اشتركا في معصية التي هي معصية القتل .فكلاهما عاصٍ لله ورسوله، مستحق للعقوبة, فالاشتراك الذي بينهما في أصل العقوبة لكن صفة العقوبة، هل هي واحدة ؟

من قتل نفساً ومن قتل مائة، من قتل نفسًا من آحاد الناس ومن قتل عالماً من العلماء، من قتل نفساً من آحاد الناس أو قتل نبياً من الأنبياء ؟

العقوبة ليست في صفتها واحدة؛ لأن العقوبة يوم القيامة دركات حتى لأهل الكبائر، العقوبة يوم القيامة دركات ليست على صفة واحدة لكن الاشتراك بينهما في أصل العقوبة، أي التي دل عليها قول الله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٩٣]

هذا الأصل في العقوبة للجميع: مائة، واحد، قتل عالماً ، قتل عددًا، قتل فرداً ،العقوبة لهؤلاء جميعاً .

لكن صفة العقوبة مختلفة، ولهذا الاشتراك في أصل العقوبة لا في صفتها أو قدر العقوبة.

الثَّانِي: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي اسْتِحْقَاقِ إِزْهَاقِ النَّفْسِ.

أنهما سواءً في استحقاق إزهاق النفس؛ لأن كل منهما أزهق نفسًا معصومة مُحرّمة بغير حق .

الثَّالِثُ: أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي الْجَرَاءَةِ عَلَى سَفْكِ الدَّمِ الْحَرَامِ، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، بَلْ لِمُجَرَّدِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ لِأَخْذِ مَالِهِ: فَإِنَّهُ يَجْتَرِئُ عَلَى قَتْلِ كُلِّ مَنْ ظَفَرَ بِهِ وَأَمْكَنَهُ قَتْلُهُ، فَهُوَ مُعَادٍ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ.

هذا أيضاً اشتراك في الجرأة على الدم المعصومة, الدم كما يُعلم أمر له هيبته ولا يُتجاسر عليه - له هيبة- الله عز وجل فطر النفوس على ذلك. لكن من تجرأ وسفك الدم مرة واحدة ومن سفكها مرات، فيهما كلاهما أصل الجرأة على سفك الدم.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَمَّى قَاتِلًا أَوْ فَاسِقًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ عَاصِيًا بِقَتْلِهِ وَاحِدًا، كَمَا يُسَمَّى كَذَلِكَ بِقَتْلِهِ النَّاسَ جَمِيعًا.

هذا من وجوه الاشتراك أن من قتل نفساً أو قتل مائة نفس، كلاهما مشترك في أنه قاتل، وأنه عاصٍ، و أنه آثم، وأنه فاسق، وأنه ظالم .﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[الحجرات: ١١]

فهذه الأسماء تنطبق على هذا وتنطبق على هذا لكن حظهما من مسمياتها مختلفة .

هذا ظالم وهذا ظالم، لكن ظلمهما واحد ؟,من قتل واحدًا أو قتل مائة فسقهما واحد ؟

- اشتركا في أصل الفسق، اشتركا في أصل الظلم، لكن يتفاوتون بحسب الجرم الذي ارتكبه كل منهما.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ، فَإِذَا أَتْلَفَ الْقَاتِلُ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ عُضْوًا، فَكَأَنَّمَا أَتْلَفَ سَائِرَ الْجَسَدِ، وَآلَمَ جَمِيعَ أَعْضَائِهِ، فَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا آذَى جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي أَذَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَذَى جَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يُدَافِعُ عَنِ النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ، فَإِيذَاءُ الْخَفِيرِ إِيذَاءُ الْمَخْفُورِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» .

هذا أيضاً وجه شبه أخذه الإمام ابن القيم -رحمه الله - تعالى من الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)،(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) , فمن قتل واحداً تجرأ على كيان واحد، على بنيان واحد، فهذا صدع في بناء كامل يتأثر البناء كله,ولهذا بقتله نفساً واحدة كأنه جعل الناس كلهم خصماء له؛ لأن هذا جزء منهم، مثل البدن إذا مرض منه جزء تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فمن قتل نفساً واحدة غضبة الناس عليه، واستبشاعهم لجريمته و تأثرهم من فعلته النكراء ، كأنما قتل الناس جميعاً، وبعض المفسرين حمل الآية هذا المعنى, وهذا من التأويلات التي قيلت في معنى الآية، وهو ينقل عن ابن -الأنباري- في حمل الآية على هذا المعنى.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» .وَلَمْ يَجِئْ هَذَا الْوَعِيدُ فِي أَوَّلِ زَانٍ وَلَا أَوَّلِ سَارِقٍ وَلَا أَوَّلِ شَارِبِ مُسْكِرٍ،

هنا أيضاً يوضح هذا أيضاً جريمة القتل، وأنها في خطورة عظيمة، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» يقول ابن القيم :هذا لم يجئ في الزنا وشرب الخمر،لم يأتِ أن أول من زنا عليه كفل من كل من زنا بعده، ومن شرب الخمر أول من شرب الخمر كفل من نصيب كل من شرب الخمر بعده , وإنما هذا جاء في القتل، وهذا يوضح أن القتل - يوضح المعنى السابق- أن القتل صدع في ماذا؟ - صدع في بناء الأمة؛ لأن هذا جزء من الأمة ,الأمة كجسد واحد, فالقاتل الأول سن في الأمة هذه السنة التي هي سنة القتل ، فكان له من كل جريمة قتل بعده كفل من دمه , قال ابن القيم: ولم يجئ هذا الوعيد في أول زان ولا أول سارق ولا أول شارب مسكر.

قال -رحمه الله -_ وَإِنْ كَانَ أَوَّلُ الْمُشْرِكِينَ قَدْ يَكُونُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ قَاتِلٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الشِّرْكَ؛ وَلِهَذَا رَأَى النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يُعَذَّبُ أَعْظَمَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 41] .

أَيْ فَيَقْتَدِي بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، فَيَكُونُ إِثْمُ كُفْرِهِ عَلَيْكُمْ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا.

فيما يتعلق بالشرك وأول المشركين من كان قدوة لغيره في سن الباطل سواءً الشرك أو البدعة أو الضلال، له نصيبٌ من وزر وإثم من اتبعه بحسب من تأثروا به؛ لأنه سن فيهم سنة سيئة- سواءً كانت السنة السيئة الشرك أو الكفر أو النفاق أو حتى المعاصي- إذا كان سنها وحرض عليها ورغب فيها فصار قدوة للآخرين فهذا يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: { من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها }.

قال -رحمه الله - : وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟» فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: 93] . ثُمَّ قَالَ: مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا بُدِّلَتْ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ثم أورد -رحمه الله - تعالى أحاديث في عظم جريمة القتل وكِبر هذا الذنب فجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عظيمة في هذا الباب منها هذا الحديث الذي في جامع الترمذي : أنه يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة (يعني بمن قتله) ناصيته ورأسه بيده (ناصية القاتل ورأس القاتل بيده يجره) ، وأوداجه تشخب دماً، (أوداجه ما

أحاط بالعنق من العروق) تشخب دماً أي : تصب دماً يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ (يعني يطلب حقه والحقوق مؤداة يوم القيامة { لتؤدن الحقوق يوم القيامة} ، سل هذا فيم قتلني

فذكروا لابن عباس التوبة " إن تاب القاتل وصدق مع الله -سبحانه وتعالى- ألَهُ توبة مقبولة؟ فذكروا له التوبة ، فتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣] قال هذه ما نسخت ولا بدلت وأنَّى له التوبة، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور أهل العلم على خلاف ذلك وأن الذنوب كلها فيها توبة وقصة القاتل للتسعة والتسعين نفس شاهد على ذلك

قال :ومن يحول بينه وبينها أي : التوبة، وآية الفرقان :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿68﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿69﴾ إِلَّا مَن تَابَ [الفرقان: 68 - 69]، قوله : (إلا من تاب) يتناول الشرك والقتل والزنا وهذه أكبر الجرائم وأعظم الذنوب فهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما،وهناك بعض الآثار عنه أخذ منها بعض أهل العلم رجوعه عن ذلك مثل الذي جاء في الأدب المفرد بسند صحيح : أن رجلاً جاء يستفتي ابن عباس كان يحب امرأة ويرغب في زواجها فامتنعت وقبلت غيره فغار وقتلها فكان يسأل ابن عباس رضي الله عنه هل له توبة .

قال: ألك أم، قال: لا، قال: استغفر وتب، استغفر الله، وتب إليه، أو كما جاء عنه-رضي الله عنهما-،فجاء عنه بعض الآثار في هذا المعنى، أخذ منها بعض أهل العلم، رجوع ابن عباس عن ذلك، لكن قول أهل العلم أن القتل كسائر الذنوب، فيمن صدق مع الله- سبحانه وتعالى- في توبته، وتاب التوبة النصوح، مستوفياً شروط التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، لعموم قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53]

في سورة البروج، الذين خدّوا الأخاديد، وقتلوا أولياء الله قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ [البروج : 10]

قال–رحمه الله – وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ نَافِعٍ قَالَ: نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا في حرمة المؤمن، الكعبة لها حرمة، وكلٍ يدرك حرمة الكعبة، وعظم حرمة الكعبة، وكيف لو أن شخصاً تجرأ على هدمها، كيف أن هذا من أعظم الأمور التي يستشنعها كل مسلم، لها حرمة، لها مكانة، لها هيبة في النفوس، فنظر عبد الله بن عمر يوماً إلى الكعبة، وقال: (ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمنون عند الله

أعظم حرمة منك)، لحرمة المؤمن أعظم، وهذا يُبين فيه- رضي الله عنه - عظم شناعة قتل النفس المؤمنة، المعصومة، المحرمة.

قال-رحمه الله -- وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ.

هذا كلام عظيم، للصحابي الجليل سمرة بن جندب، يتعلق بأكل الحرام والقتل، أمّا أكل الحرام، فينصح ويوصي- رضي الله عنه-، بألا يدخل المرء في جوفه إلا الحلال الطيب، يقول: (أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع منكم ألاّ يأكل إلاّ طيباً فليفعل) وليتذكر هذا المعنى، أن أول ما ينتن منه بطنه، فلا يغذي هذا البطن، الذي هو أول ما ينتن من الإنسان إذا أدرج في القبر، لا يدخل فيه خبيثاً، بل يحرص على ألاّ يدخل فيه إلا الطيبات، وهذا فيه وعظ عظيم جداً، هذا فيه وعظ وإيقاظ للنفوس في باب أكل الطيبات، وتجنب الخبائث,كثير من الناس لا يبالي، يدخل في بطنه ولا يبالي، ولا يتأمل في حلالٍ و حرام، ولا يتورع، ولا يتقي الله- سبحانه وتعالى- فإذا تذكر الإنسان، أن هذا البطن الذي يتعامل معه بعض الناس هذه المعاملة، هو أول ما يُنتن من الإنسان.

أمّا فيما يتعلق بالقتل، قال: (ومن استطاع ألاّ يحول بينه وبين الجنة ملء كفٍّ من دمٍ أهراقه فليفعل)، يعني بقتله لنفسٍ معصومة محرمة، وأن قتل النفس المحرمة المعصومة من أسباب عدم دخول الجنة، هذه عقوبته عند الله ومن أسباب الخلود في النار لكن هذا جزاؤه والجزاء في إلحاقه بالمعين يترتب على وجود شروط وانتفاء موانع.

قال -رحمه الله - : وَفِي صَحِيحِهِ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» .

أن الدم الحرام ورطة عظيمة جداً مثل ما سيأتي في الأثر بعده ورطة عظيمة جداً لأن إن كان الإنسان جريمته سرقة أو غش هذه أشياء يمكن يتداركها مع من اعتدى عليهم في سرقة أو في غش أو في سوء تعامل أو غير ذلك,هذه أمور يمكن أن يتداركها لكن إذا قتل نفساً وأزهقت النفس ذهبت وانتهى الدنيا مَن قتله كيف يتدارك هذا ؟! فلا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً الدم الحرام هذا أمر ليس بالهين.

وذكر البخاري أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله.

لأن هذه أعظم ورطة هذه من ورطات الأمور العظيمة التي لا مخرج منها من سفك دماً؛ لأن إذا سفك الدم ليس هناك مجال أن يطلب منه عفواً أو يطلب منه مسامحة إن كان سرق منه إن كان اغتابه إن كان ظلمه إلى آخره يمكن أن يعالجها معه لكن إن قتله كيف يعالجها معه وسيأتي يوم القيامة ويأخذ بناصيته ويطلب أن يقتص له حقه منه.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"

وفيهما أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "

هذان الحديثان فيهما عظم جريمة القتل من جهة أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف هذا العمل بأنه كفر قال: " قتاله كفر "، وقال: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " فوصف هذا العمل بأنه كفر لكنه ليس بالكفر الأكبر وإنما هو كفر دون كفر لكن يكفي شناعةً لهذا العمل أن النبي صلى الله عليه وسلم وصفه بهذا الوصف.

في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم"من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً "

هذا من قتل معاهداً والمعاهد غير مسلم كافر عدو لله عز وجل ومن قتله لم يرح رائحة الجنة والمعاهد غير مسلم فكيف بمن قتل مسلماً !"

قال -رحمه الله -: هذه عقوبة قاتل عدو الله إذا كان في عهده وأمانه فكيف عقوبة قاتل عبده المؤمن؟!

كيف عقوبة قاتل عبده المؤمن إذا كان الذي قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ومر معنا في كلام سمرة قال: " من استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم أهراقه فليفعل" لأن القتل يحول بين المرء

هذه عقوبته أنه يحول بينه وبين الجنة إذا كان يحول بين من قتل معاهداً والجنة ولم يرح رائحة الجنة كما جاء في الحديث فكيف بالذي يقتل نفساً مسلمة محرمة معصومة؟!!

قال: وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً وعطشاً فرآها النبي صلى الله عليه وسلم في النار والهرة تخدشها في وجهها وصدرها فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتى مات بغير جرم

هذا في قتل هرة والنبي صلى الله عليه وسلم رأى هذه المرأة تعذب رأى ذلك صلوات الله وسلامه عليه وهو يصلي بالناس صلاة الكسوف في تلك الصلاة رأى الجنة ثم رأى النار وقد تقدم معنا قريباً شيئاً مما رآه أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم في

النار في صلاة الكسوف قال: رأيت عمرو بن لحي يجر قُصبه أي أمعاءه في النار- هذا كان في صلاة الكسوف والمرأة هذه أيضاً رآها في صلاة الكسوف-

الأول : يتعلق بماذا ؟ - الشرك أول ما غير دين إبراهيم
وهذا: يتعلق بالنفس بالقتل- قتل النفس- إذا كانت هذه قتلت هرة حبستها, فكيف بمن يقتل نفساً محرمة ؟!

وذكر أيضاً: فيما يتعلق بالسرقة أنه رأى صاحب المحجن الذي كان يسرق الحجاج بمحجنه

وفيما يتعلق :بالزنا أيضاً ذكر عليه الصلاة والسلام إن غيرة الله -سبحانه وتعالى- من أن يزني عبده أو تزني أمته.

ذكر ذلك في خطبته بعد صلاة الكسوف لما سأله الناس لحذر من هذه الذنوب الأربعة -في تلك الخطبة حذر من هذه الذنوب الأربعة- التي أكبر الذنوب الشرك والقتل والزنا والسرقة وجمع عليه الصلاة والسلام هذه الأربع في خطبة الوداع عندما قال: ألا إنما هن أربع (يعني أُكبر الكبائر وأعظم الذنوب) ألا إنما هن أربع: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولاتزنوا ولا تسرقوا.

وفي بعض السنن عنه ﷺ لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق".

وهذا أيضاً فيه أن قتل المؤمن بغير حق مفسدته عظيمة وجرمه كبير للغاية

ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا أجمعين بما علمنا وأن يزيدنا علماً وتوفيقاً وهدىً وصلاحاً بمنه وكرمه وأن يصلح لنا شأننا كله إنه سميع قريب مجيب . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

اضغط على الرابط للاشتراك👇*

https://t.me/alzaadd